تقديس السنة المسيحية

بقراءة

سيرة القديسين اليومية

المجلد الأول

www.muhammadanism.org
June 6, 2010
Arabic

Abrégé

De la

Vie des Saints

Pour

La Sanctification

De L'Année Chrétienne

Tome Premier

Novele édition revue et corrigée

Mossoul

Imprimrie des Pères Dominicains

1891

[Blank Page]

تقديس السنة المسيحية

بقراءة

سيرة القديسين اليومية

لننزه

الأنفس الروحية

في روضة الكنيسة الكاثوليكية

بعد المراجعة والتنقيح طُبع ثانيةً

المجلد الأول

طُبع في الموصل

في دير الآباء الدومِنِكيّين

سنة ١٨٩١

بسم الآب والابن والروح القدس

الاله الواحد آمين

* المقدَّمة *

الحمد لله الذي جعل أمثال القدّيسين الذين أظهروا في حياتهم على الأرض سيرة يسوع المسيح وأبانوها بأعمالهم البرِّيّة ان تكون نافعةً للمؤْمنين كمن أنفع الوسائط للخلاص* امّا بعدُ فهذا مختصرٌ جميلٌ في سيرة القدّيسين قد اقتطفناه من رياضهم الزاهرة وكراماتهم الباهرة. وقدّمناهُ كروضةٍ لشرح صدور المؤْمنين وتعمير أرواحهم وتزكية أنفسهم. قاصدين بذلك أن نحرّكهم إلى الاقتداء بما يقرأُونهُ* وقد اخترنا لكلّ يوم من السنة بعضاً من هؤلاء الطوباويّين الذين حازوا السعادة الأبديّة وهم قاطنون في السماء. لكي تظهر في مجمل أيّام السنة وعلى مدارها كاكليلٍ لها مشعشعة بأنوار القداسة جميع الفضائل المسيحيّة التي تلأْلأَت في الكنيسة الكاثليكيّة الواحدة المقدّسة الرسوليّة عن وجه أشخاص مختلفين في كلّ نوعٍ وظرفٍ من متعلّقات العيشة الأرضيّة. أولئك الذين كلّ واحدٍ منهم قد اشتهر في شيءٍ واحدٍ منها أو أكثر. وبيَّن أنهُ يوجد كثيرون مثلهُ لا يسعنا هذا المختصر الصغير أن نكتب سيرتهم فرداً فرداً لأنهُ لا يكفي ألوفُ مثل هذا لكتابة سيرة جميع القدّيسين الذين أولدتهم الكنيسة الكاثليكيّة التي هي وحدها عروس يسوع المسيح قدّوس القدّيسين*

فلنطلب من الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس الاله الواحد في ثلثة اقانيم ومن يسوع المسيح ربّنا ومخلّصنا ومن مريم العذراء المحبول بها بلا دنس وسلطانة الورديّة المقدّسة ومن جميع الملائكة والقدّيسين أن يهبوا نعمةً للقارئين في هذا الكتاب كي يتقدّسوا بقراءَتهم ومن ثَمَّ يصلّوا مسترحمين الله لمن اهتم بتلفيقهِ أن يجعل باستحقاقات دم قلب يسوع الثمين وبشفاعة مريم العذراء حظّهُ مع القدّيسين في دار النعيم آمين*

شهر كانون الثاني

* اليوم الأوّل *

ذكر ختانة ربّنا يسوع المسيح.

بعد ميلاد الربّ يسوع بثمانية أيَّام دعا يوسف ومريم الكهنة إلى بيت لحم حيث وُلد المخلّص في المغارة وختنوهُ هناك كما قال ابيفانيوس وذلك إِطاعةً للشريعة الآمرة بالختانة المختصَّة بشعب الله في ذلك العهد. ودُعي اسمهُ يسوع كما أوصى جبرائيل الملاك أبويهِ حين البشارة بهِ* قال بعض القدّيسين انّ يسوع مخلّصنا عمل باختتانهِ مثلما يعمل التاجر الذي إذا ما رأَى بضاعةً وأراد أن يبتاعها فيعطي عربوناً لابتياعها. فالبضاعة هي أنفسنا وثمنها هو دمهُ الزكي والعربون هو دم ختانتهِ* وقال مار توما اللاهوتي: انّ السيّد المسيح لم يكُن ملتزماً بالختانة كباقي الناس لأَنَّهُ لم يسقط في خطيَّةٍ ليتطهَّر منها بالختانة. وانَّما اختتن لثلاثة أسباب. أوّلاً ليوضح لنا حقيقة ناموسهِ* ثانياً ليبين أَنَّهُ من نسل ابرهيم المختون* ثالثاً لئلاّ يعطي لليهود سبباً في نكران ذاتهِ أي انَّهُ ليس من نسل ابرهيم إذا ما رأَوهُ غير مختون*

وقال أيضاً مار باسيليوس: انَّ يسوع قد اختتن ليعلّمنا أن نختتن بالروح أي أن نستأصل منَّا جميع العوائد الرديَّة* ثمَّ انّ اسم يسوع معناهُ المخلّص: أي انَّه خلّص العالم من الخطيَّة. **فمن ثَمَّ يعلو هذا الاسم شرفاً على كلّ اسم*** قال مار بولس الرسول لكي تجثو باسم يسوع كلّ ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض* وهذا الرسول لكثرة انشغافهِ بهذا الاسم ذكرهُ في رسائلهِ نحو خمسماية مرَّة*

*اليوم الثاني *

مار مكاريوس الاسكندري

انَّ القدّيس مكاريوس الاسكندري وُلد في الاسكندريَّة حيث اشتغل أوّلاً في بيع السكّر. وبعد ذلك مسَّت النعمة قلبهُ فهجر العالم إلى الأبد مكرّساً ذاتهُ بجملتها لله ومنعكفاً على عمل التقشّف والتأَمّل* ثمَّ انطلق إلى أرض تيبائيدة وهي مصر العالية وهناك تعلّم الفضائل السامية من معلّمين حاذقين في السيرة الرهبانيَّة. ولاشتهائهِ الحصول على أقصى درجة من الكمال ترك تلك الأرض وذهب فسكن مصر الواطئة* وكان هناك ثلاث صحارى واسعة فاتّخذ لهُ مكاريوس في كلّ صحراء قلاّية وكان في احداهنّ يقتبل الغرباء ويرشدهم إلى السيرة في التزهّد* وفي تلك الأماكن رُفع إلى درجة الكهنوت

فصار قسّاً مخصّصاً لخدمة اخوتهِ الزهَّاد* وكان كلٌّ منهم يعيش منفرداً عن أخوته بحيث لا يرى أحدهم الآخر. ولم يكن يخرج منها الاَّ في يوم السبت ويوم الأحد حيث تجتمع جميع الأخوة في الكنيسة لخدمة الأسرار المقدّسة والاشتراك في جسد ودم يسوع المسيح* وكانوا يشتغلون في نسج السلال والحصر مستحضرين الله في جميع أعمالهم وملتزمين السكوت المطلق* وكان القدّيس مكاريوس قدوةً للجميع في فضيلة الصمت والصوم. وكان يقشّف جسدهُ بصرامة كلّيّة حتى انَّهُ مكث سبع سنين لا يأكل طعاماً مطبوخاً على النار* وذات يوم أُهدِيَ لهُ سلّة عنب نفيس جدّاً فأراد أن يستعمل في ذلك نوعاً من التقشُّف والقناعة فلم يشأْ أن يأكل منهُ بل أرسلهُ إلى أحد الأخوة الذي كان مريضاً. فهذا المريض صنع أيضاً مثل مكاريوس ولم يأكل منهُ شيئاً بل أرسلهُ إلى غيرهِ وهكذا كان يُرسَل العنب من واحد إلى آخر إلى أن أُرسل إلى جميعهم ولم يذُق أحدٌ منهم شيئاً من ذلك العنب. وأخيراً أحدُ الرهبان المرسَل إليهِ إذ لم يكُن يعرف أنّ العنب أُهديَ أوّلاً للقدّيس مكاريوس أرسلهُ إليهِ. فتعجَّب مكاريوس من قناعة أخوتهِ وشكر الله على ذلك وقرّبهُ لله قائلاً وأنا أيضاً لا أذوقهُ*

ثمَّ انَّ مكاريوس كان محترساً على فضيلة العفّة حتى انَّهُ عرّى ذراعيهِ وظهرهُ من اللباس ليكون مرعىً للدغ البقّ مدّةماية وثمانين يوماً لكي يظفر بالشيطان الذي كان يجرّبهُ ليخسّرهُ هذه الفضيلة العزيزة عليهِ

جدّاً* ولمّا رجع إلى أخوتهِ لم يعرفوهُ لتغيّر صورتهِ وجسمهِ من ذلك التقشّف*

وكان القدّيس مكاريوس الاسكندري مقترناً بوصال محبَّة مقدّسة مع القدّيس مكاريوس المصري. فذات يوم اتّفق انّ كليهما كانا راكبين سفينةً ليعبرا نهر النيل وكان في تلك السفينة من العابرين أيضاً جنودٌ مع روسائهم. فنظر أحد الروساء فأبصر في زاوية السفينة هذين المتوحّدين لابسَين ثياباً فقريَّة. فقال لهما على سبيل التهكّم. انتما سعيدان لانّكما هجرتما العالم. فاجابهُ مكاريوس الاسكندري حالاً. أي نعم نحن لعبنا بالعالم وامَّا انتم فالعالم يلعب بكم. وأنت لقد الهمك الله بهذه الكلمة لأنّ اسم كلٍّ منَّا مكاريوس (وهي لفظة يونانيَّة معناها سعيد). فتحرّك قلب ذلك الرئيس من كلام القدّيس فقام حالاً وخلع ثيابهُ الفاخرة وأخذ يفرّق مالهُ على الفقراء ثمَّ انطلق وصار راهباً*

وامَّا مكاريوس فبعدما قضى ستّين سنة متزهّداً في البرّيّة مات منفيّاً من الهراطقة الآريوسيّين وكان ذلك في نحو منتهى الجيل الرابع من التاريخ المسيحي*

وكان لهُ عادة أن يقول في مدّة حياتهِ. يجب على الإنسان المسيحي أن يشتغل دائماً كانَّهُ عائشٌ دائماً وان يسير كأَنَّهُ يموت كلّ يوم*

* اليوم الثالث *

ملاخيا النبي ـ القديسة جنوافا

ملاخيا النبي

انَّ ملاخيا النبي كان في أرض اليهوديَّة ويُظَنّ انَّهُ وُلد في سوفه في قبيلة زابلون. وكان ظهورهُ قبل المسيح باربعماية سنة. ويُعَدّ الأخير من الأنبياءِ الصغار الاثني عشر ومن جميع الأنبياء الذين قلّدهم الله تعليم شعبهِ وتبشير العالم بمجيئهِ. وكان أيضاً خاتمة كتَبة العهد القديم* وكان ملاخيا محبوباً جدّاً من الشعب ولجمال صورتهِ سُمّي ملاخيا الذي تاويلهُ ملاكيّ* وبعدما كمّل رسالتهُ توفّي وهو شابّ*

القديسة جنوافا

انَّ القدّيسة جَنوافا وُلدت في ناترّا احدى قُرى مدينة باريس سنة ٤٢٢ من والدَين فقيرَين بحسب العالم وغنيَّين بالتقوى اللذَين بشجاعة عظمى دخلا في حضن الديانة المسيحيَّة بعد ان كانا من الديانة الوثنيَّة التي كانت قد عمَّت غالب جهات فرنسا* فالقدّيسة جنوافا منذ نعومة أظفارها وسم الله على جبهتها هيئة القداسة وذلك انَّ جرمانس اسقف مدينة اوكسرّا من أعمال فرنسا واسقفاً آخر مرّا ذات يوم بقرية القدّيسة وهما منطلقَين إلى بلاد برتانيا الكبرى لأجل

محاماة الايمان. فلشهرة فضائلهما خرج جميع أهل تلك القرية إليهما طالبين بركتهما وكان من جملتهم جَنوافا مع والدَيها وكان عمرها إذ ذاك سبع سنين. فحالما رآها القديس جرمانس علم أنَّها ستتلألأُ بقداسة عظيمة. فللوقت سأَل الشعب ما اسمها ومَن والداها. فحالاً امتثل أبواها امام القدّيس. فأخذ يخاطبهما قائلاً: أَهذه هي ابنتكما. فاجاباهُ نعم يا سيّد. فقال لهما وما اسمها. قالا جَنوافا. فقال حقّاً انَّها جَنوافا (لأنّ جنوافا تأويلها ابنة الجنَّة بلغة أهل فرنسا القديمة) فما أسعد اليوم الذي فيهِ رُزقتما هذه الفتاة المباركة لأنَّها افرحت بميلادها ملائكة السماء. وسيكون قدرها عظيماً عند الله. وستتحرَّك الخطاة من أمثالها الصالحة وسموّ فضائلها راجعين إلى يسوع المسيح* ثمَّ التفت هذا الشيخ الوقور إلى جَنوافا وقال لها: أَتريدين يا ابنتي أن تعيشي أمينة ليسوع المسيح مثل العذارى اللواتي كرّسنَ ذواتهنَّ لهُ. فأجابتهُ نعم يا سيّدي وهذه هي بغيتي الفريدة واطلب من الله أن يستجيبها لي. فحينئذٍ باركها القدّيس*

وكانت جنوافا كثيرة الانطلاق إلى الكنيسة. قليلة التكلّم. ذات احتشام في مشيها. ولم تكن ترغب الاّ ارضاء يسوع المسيح الذي اتّخذتهُ عريسها الوحيد. وكانت تُسَرّ جدّاً إذ كان يرسلها أبوها إلى البريَّة لترعى غنمهُ فكانت تصلّي هناك رافعةً قلبها إلى الله ومسلّمةً ذاتها إليهِ* وكانت كلّما رأَت ذئباً يدور حول الغنم تتصوَّر ذاك الذئاب الجهنّمي الذي لا يزال يدور حولنا ليفترسنا. وكلَّما نبح كلب القطيع

فكان يذكّرها الانتباه الذي يجب أن تستعملهُ نحو ذاتها. والغنم كانت لها صورة الاحتشام والوداعة والبساطة* وكانت تعدّ نفسها سعيدة إذ كانت تذهب إلى الكنيسة. فذات يوم أرادت أمُّها الانطلاق إلى الكنيسة فطلبت إليها الابنة القدّيسة بلجاجة أن تأخذها معها. فأَبت فالحَّت عليها بالطلب. فغضبت أمّها ولطمتها على وجهها. فحالاً ضربها الله بالعمى. فاستمرَّت عمياء نحو سنتين. وبعد ذلك شفيت بصلوات جَنوافا التي تناولت ماءً من بئرٍ ورسمت عليهِ إشارة الصليب وغسلت بهِ عيني والدتها ثلاث مرّات فانفتحتا باذن الله تعالى ورجع إليها بصرها. فلم تعد تمنعها بعدُ من الذهاب إلى الكنيسة*

وإذ بلغت جَنوافا إلى السنة الرابعة عشرة من عمرها كمَّلت على يد أحد الاساقفة نذر بتوليَّتها لله الذي كانت تتوق إليهِ منذ صغرها*

وبعدما مات أبواها جاءَت إلى مدينة باريس وسكنت عند امرأَة عجوز كانت اشبينتها. فبعد زمان وقعت مريضة بمرضٍ عضَّال حتى انَّها بقيت ثلاثة أيَّام كأنَّها مائتة. فارى الله نفسها رؤْيات مختلفة وذلك انَّها شاهدت فرح الطوباويّين في السماء وعذاب الهالكين في الجحيم* وصارت بالروح إلى جبل الجلجلة فرأَت يسوع المسيح على الهيئَة التي كان بها معلَّقاً على الصليب. فانطبع هذا المنظر فيها إلى حين موتها* واغناها الله بنعم وافرة وخصّها بموهبة تمييز الأرواح حتى انَّها كانت تكشف بسهولة حيَل الشيطان وتوبّخ الخطاة على خطاياهم كاشفةً لهم ايّاها فكانوا يتوبون على يديها*

ومنذُ أراها الله تلك الرؤْيات كانت تنمو بالفضائل يوماً فيوماً. وكانت تستعمل أنواعاً لا توصف من التقشّف حتى انَّها لم تكن تتناول طعاماً الاّ مرّتين في السبّة أي يوم الأحد ويوم الخميس فقط. وكان طعامها خبز شعير وفول لا غير. واستمرّت على تلك الحالة نحو خمسين سنة* ثمَّ أخذت تستعمل قليلاً من السمك والحليب في طعامها طاعةً لبعض الأساقفة. ولم يقدر أحد أن يجبرها حتى وفي مرضها أيضاً على أكل اللحم وشرب الخمر لأنَّها كانت تُذلّ جسدها حتى تُخضعهُ لنفسها. وكانت تفرح جدّاً عند استعمالها الأشغال الدنيَّة مثل كنس البيت وغسل الثياب وخدمة رفيقاتها* فامَّا الله الممتحن مختاريهِ لازدياد اجرهم فاراد أن ينقّي ذهب صبرها في كور التجارب فسمح أن يصيب جسدها برصٌ مهول فصارت مهملةً من الجميع ما خلا عريسها الالهيّ الذي نجَّاها من هذا السقم الذي قد يئس من شفائهِ جميع الناس*

فاذ رأى الشيطان جَنوافا وما هي عليهِ من الفضائل السامية وكم من النفوس اللواتي خلّصتهنّ من بين يديهِ بأمثالها الصالحة غضب عليها وعزم أن ينتقم منها فأخذ ينادي على ألسن الأشرار انّ جَنوافا مرائية وانَّها تصوم في الظاهر ولكنَّها في الباطن كانت تستعمل كلّ نوع من اللذّات الجسديَّة. فلذلك أغلب الناس احتقروها وكانوا يعاملونها بالافتراء إلاّ أنَّها أخيراً انتصرت على هذا عدوّها الحسود. وذلك فانّ القدّيس جرمانس المذكور عاد يوماً ما إلى باريس فاتت إليهِ الناس

جموعاً مسلّمين عليهِ. وامَّا هو فقبل كلّ شيءٍ سأَل عن جَنوافا. فطفقوا يذمّونها ويثلبونها امامهُ. فهذا الأسقف القدّيس الذي كان يعلَم ببرارتها قام حالاً وتوجَّه إليها ومعهُ جمٌّ غفير من الناس. فإذ دخل بيتها وجدها وحدها غرقى بالدموع مصلّيةً لله بحرارة عظيمة. فطاف في جميع أماكن بيتها وخباياهُ فلم يرّ مكاناً الاّ وفيهِ أثرٌ يدلّ على تقشُّفها. فحينئذٍ استعلنت برارتها وخرجوا جميعهم مادحين سيرتها. ومنذ ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يتكلّم شيئاً يشين اعتبارها*

فإذ صار لها نحو ثمانين سنة من العمر وكانت منحلّة من الشيخوخة ومن شدّة التقشّف تاقت إلى الوصال بالذي أحبَّتهُ من كلّ قلبها منذُ صباها فحينئذٍ استودعت نفسها لله منتقلةً من هذه الحيوة الزائلة إلى الحيوة الأبديَّة لكي تجني أثمار أعمالها الصالحة. وكان ذلك في اليوم الثالث من شهر كانون الثاني سنة ٥١٢* فليتعجَّب العالم عندما يرى أنّ الكنيسة المقدّسة الكاثليكيّة الملهمة من الروح القدس قد جعلت دولة فرنسا الفخيمة ومدينة باريس الزاهرة تحت حماية راعية غنم فقيرة وضيعة*

* اليوم الرابع *

مار تيطس الرسول

انّ القدّيس تيطس وُلد من والدين وثنيِّين. ويدعوهُ مار

بولس الرسول ابنهُ. دلالةً على اجتذابهِ ايَّاهُ إلى الايمان بالمسيح* ثمَّ صار تلميذاً لمار بولس وترجماناً لهُ في رسالتهِ. وقد جال معهُ في أماكن كثيرة وحضر في مجمع أورشليم معهُ أيضاً* وفي سنة ٥٦ أَرسلهُ مار بولس من افسس إلى كورنثس لكي يصلح الشقاق الذي صار بين المسيحييّن الجدد* ثمَّ بعد ذلك سامهُ أسقفاً وأرسلهُ إلى جزيرة كريت حيث كان مار بولس قد أنذر بايمان المسيح أوّلاً. وكتب لهُ رسالةً في سنة ٦٤ بها يعلّمهُ واجبات الأساقفة والمومنين* ثمَّ أرسلهُ إلى دلماسيا لينذر بالانجيل. وبعدهُ رجع ثانيةً إلى جزيرة كريت* وفي حياتهِ ربح أناساً كثيرين للمسيح. وأخيراً توفّي في كريت ولهُ من العمر نحو تسعين سنة*

* اليوم الخامس *

مار سمعان العموديّ

انّ مار سمعان العموديّ كان ابناً لراعي غنم فقير ومولدهُ في قرية صغيرة تُدعى سيزان من تخوم اسيَّا الصغرى وسوريَّة. ففي أوائلهِ اشتغل في رعاية الغنم. وذات يوم إذ كان لهُ من العمر ثلاث عشرة سنةً تعذّر انطلاقهُ إلى البرّيّة لرعاية غنمهِ لوقوع الثلج. فذهب إلى الكنيسة فسمع في الإنجيل الذي يُقرأ في ذلك اليوم هذه الكلمات وهي:

الطوبى للباكين والويل للضاحكين. فحرّكت قلبهُ إلى أن أُغرم بها وجعلتهُ من ثمَّ أن يسأل أحد الشيوخ ذوي النهى بماذا تُكتَسب هذه الطوبى المختصَّة بالدموع. فأجابهُ الشيخ بترك جميع أباطيل هذه الحيوة وباعتناق الكمال الرهبانيّ. فأثَّرت هذه الكلمات في قلب سمعان. فتنحَّى جانباً في الكنيسة منحنياً ومصليّاً لله عسى أن يهديهُ إلى سبيل القداسة والكمال. فبعد برهة من الزمان أخذهُ نعاسٌ خفيف فرأَى رؤْيا وهي كأنَّهُ يحفر أساسات في الأرض فسمع صوتاً يقول لهُ: احفر احفر عميقاً. فبعد أن حفر ورأَى أنَّ الأساس صار عميقاً كافياً للبنيان أراد أن يكفّ عن الحفر. فأتاهُ ذلك الصوت الأوّل قائلاً: احفر احفر عمّق أيضاً لأنَّك لم تحفر كفاية. وجرى ذلك ثلاث أو أربع مرّات. وكلّما كان يأتيهِ ذلك الصوت فكان يزيد الأساسات حفراً إلى أن أوقفهُ الصوت عن الحفر قائلاً: كفى ما قد حفرت. هوذا الاساسات عميقة كافيةً لأن تبني عليها بسهولة أيّ بنيان أردت* ثمَّ استيقظ فانطبعت فيهِ هذه الرويا. فقام ومضى إلى دير قريب وطلب الدخول في الرهبنة فبعد أن أذنوا لهُ وقبلوهُ مع المبتدئين أخذ يتعلّم المزامير غيباً لأنّ ذلك كان أوّل درس يلتزم بهِ المبتدئون. وكان حافظاً عندهُ دائماً هذا الكتاب الإلهي الذي كان يجد فيهِ قوتاً لذيذاً لنفسهِ. واستمرّ في ذلك الدير تسع سنين وفاق الرهبان بالقداسة والفضيلة. وكان يصوم السبَّة كلّها. وكان ممنطَقاً على بطنهِ بحبل منسوج من أغصان النخل. فغاص الحبل في جسمهِ

وكان يسيل منهُ الدم إلى أن علم بهِ رئيس الدير فأمرهُ أن ينزع عنهُ الحبل. فنزعهُ بكلّ صعوبةٍ وأبى أن يداوي جروحهُ. ثمَّ أخرجهُ الرئيس من الدير خوفاً من أن يبتلي الرهبان بالاسقام إذا ما ماثلوهُ. فامَّا هو فانطلق إلى جبلٍ وبقي فيهِ خمسة أيَّام مرتّلاً مراحم الربّ. ثمّ استردَّهُ الرئيس إلى الدير فلم يمكث إلاَّ قليلاً لأنَّهُ احبّ أن يعيش بسيرة أصعب وأضيق من قوانين الدير. فخرج منفرداً متوحّداً وسكن مغارةً ضيّقةً في جبل* وفي تلك الأثناء عزم على أن يصوم أربعين نهاراً وأربعين ليلةً من دون أن يتناول أدنى طعاماً اقتداءً بربنا يسوع المسيح وبموسى وايليا فانطلق إلى قسّيس يُدعى باسّيوس واستشارهُ في ذلك وطلب منهُ أن يسدّ عليهِ باب المغارة. فبعد أن أوضح لهُ هذا الكاهن العاقل أنَّهُ بهذا يجرّب الله ويقتل نفسهُ اشار عليهِ بأن يأخذ معهُ في المغارة عشرة أرغفة خبز واناء ماء لكي إذا لزم الأمر يأكل منها. ثمّ بعد أن دخل سمعان مغارتهُ سدَّها عليهِ باسّيوس إجابةً لطلبتهِ ومضى. فعاد بعد تمام الأربعين يوماً وفتح باب المغارة لينظر ما جرى لسمعان فوجد الخبزات والماء على هيئَتها ولم يكن قد مسَّها. وسمعان مطروحاً على الأرض كأنَّهُ مائت عديم الحركة. إنّما فيهِ رمق يسيرٌ. فحالاً أخذ اسفنجة وغطسها في الماء وطفق يبلّ شفتَي سمعان ويفتحهما رويداً رويداً ويضع في فمهِ قليلاً قليلاً من الطعام إلى أن رجع إليهِ صوابهُ فقام*

وبعد أن سكن في تلك المغارة ثلاث سنين انطلق إلى مؤْخر

الجبل ونوى أن يبقى هناك دائماً فعمل لهُ سلسلةً حديديَّةً ضخمةً طولها عشرون شبراً وربط طرفها الواحد بحجر عظيم وطرفها الآخر برجلهِ حتى إذا أراد أن يرتحل من ذلك المكان لا يقدر ولكي لا يستعمل حرّيَّتهُ الاّ للتأَمّل في السماء والتوق إلى يسوع المسيح. فإذ أتى لزيارتهِ يوماً ملاشيوس أسقف انطاكية ورآهُ في تلك الحالة أمرهُ أن ينزع تلك السلسلة من رجلهِ. فاستدعى الحدّاد وكسر ذلك الحديد*

ثمَّ ان مار سمعان مجازاةً لامانتهِ في خدمة الله تعالى نال موهبة شفاء الأمراض وإخراج الشياطين من أبدان المجانين. فكان الناس يتقاطرون إليهِ من الشرق والغرب أفواجاً أفواجاً طالبين بركتهُ. فامَّا هو فعمل لهُ عموداً طولهُ ستَّة أشبار ثمّ بعد ذلك جعلهُ اثني عشر شبراً ثمّ عشرين وأخيراً رفعهُ إلى ستة وثلثين شبراً وسكن على ذلك العمود سبعاً وأربعين سنة أي إلى حين وفاتهِ* قال تاودورِطس كاتب سيرتهِ الذي شاهد جميع أعمالهِ عياناً. انّ العناية الإلهية هي التي حرّكت مار سمعان وألهمتهُ بأن يعمل هذا العمود وذلك لكي يحرّك الناس الفاترين إلى المبادرة إلى التوبة عندما ينظرونهُ محتملاً الحرّ والبرد ممارساً هذا التقشّف الصارم ولكي يهتدي الغير المؤْمنين الجالسين في ظلال الموت الأبدي إلى نور السماء وعرفان يسوع المسيح واتّخاذهِ ربّاً وفادياً* وكان يصلّي فوق ذلك العمود تارةً واقفاً وتارةً جاثياً. فإذ كان يصلّي واقفاً كان يسجد متواتراً. ولم يكن لسجداتهِ عدد حتّى انّ أحد خدّام تاودورِطس

المذكور رام أن يعدّها وإذ أخذ يعدّها عجز عند وصولهِ إلى عدد ألف ومايتين وأربع وأربعين سجدة فرجع إلى محلّهِ* ولمّا كان يصلّي جاثياً فكان يطرق بجبهتهِ حتى إلى رجليهِ* وكان يعظ الناس ويسمع سؤَالاتهم وهو على عمودهِ*

فإذ سمع الرهبان الساكنون في تلك البرّيَّة بخبر سيرتهِ الغريبة أرادوا أن يمتحنوهُ. فقالوا لنرسل إليهِ بعضاً منَّا يأْمروهُ بالنزول من قِبَل جميعنا فان أطاع حالاً ونزل فيقولون لهُ أن يبقى مكانهُ فنتحقّق انّ الله معهُ وانَّهُ هو الذي يدبّرهُ وان أبى وامتنع من النزول فليحسبوهُ من على عامودهِ غصباً ونعلم من ذلك انّ الله ليس هو مع ذوي الإرادة الذاتيَّة وعديمي الطاعة* فلمّا وصلت الرسل إلى سمعان وبلّغوهُ أمر الرهبان تهيَّأَ حالاً للنزول وطلب سلّماً فقالوا لهُ: أَن أثبت مكانك. فرجعوا واعلموا الرهبان بسرعة طاعتهِ فتأكّدت عندهم أمانتهُ وقداسة سيرتهِ*

فلمّا أراد الله أن يريحهُ من أتعابهِ ويكافيهُ على أعمالهِ الصالحة نقلهُ إليهِ. وكيفيَّة موتهِ هكذا كانت أنَّهُ انحنى ذات يوم لكي يصلّي كجاري عادتهِ فوق العمود فلم يقم لأنَّهُ رقد بالرب. ولم يعلم الناس بموتهِ الاّ بعد ثلثة أيَّام* ثمَّ نُقِل جسدهُ إلى انطاكية بكلّ اكرام* وكان موتهُ في اليوم الخامس من شهر كانون الثاني سنة ٤٦٠*

* اليوم السادس *

اعتماذ ربّنا يسوع المسيح من يوحنا في نهر الأردن

سجود ملوك المجوس ليسوع الطفل

اعتماذ الربّ

انَّ يسوع المسيح بعد أن قضى ثلاثين سنةً من عمرهِ في سيرة خفيَّة. ذهب من الجليل إلى اليهوديَّة إلى يوحنا بن زكريَّا الذي كان يعمّذ الناس في نهر الأردن ووقف مع الطالبين الاعتماذ كواحد منهم كانَّهُ محتاج إلى التطهير* فيوحنا لم يكن يعرفهُ. فحالما رآهُ ارتاع منهُ وقال لهُ: انا محتاج ان اعتمذ منك وأنت تأْتي إليَّ لتعتمذ منّي* فاجابهُ يسوع: اسمح الآن لأن هكذا يليق بنا أن نكمّل كلّ برّ. أي كلّ ما يليق بإنسان قدّيس من التواضع والطاعة* فاذ تحقّق هذه يوحنَّا سمح لهُ وعمّذهُ* قال المعلم مينوكيوس: إنّ ربَّنا يسوع المسيح أراد أن يعتمذ من يوحنَّا لغايات أربع. الأولى لكي تأتيهُ الشهادة من السماء بأنَّهُ ابن الله حقّاً* الثانية لكي يشهد لمعموديَّة يوحنَّا بانَّها كانت من الله* الثالثة لكي يحثّ الخطاة إلى الاعتماذ من يوحنّا للتوبة* الرابعة لكي يجعل سرّ المعموديَّة مفيداً للمؤْمنين بهِ* ونقول نحن أيضاً أنَّهُ اعتمذ لكي يقدّس الماء ويجعلهُ مادّةً بها تتطهّر النفوس باستحقاقاتهِ من الخطيّة الأصليَّة وتوابعها* ثمّ بعد أن اعتمذ يسوع صعد

للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت لهُ فرأَى روح الله نازلاً وآتياً عليهِ. وصوت من السموات قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ. واستقرّت الحمامة فوق رأسهِ ليتحقّق السامعون والناظرون انّ الصوت كان لهُ دون غيرهِ. ثمَّ اختفت الحمامة وبعد ذلك ابتدأَ يسوع بالتبشير والتعليم والانذار*

سجود ملوك المجوس ليسوع الطفل

انَّهُ من بعدما وُلد يسوع في بيت لحم بثلثة عشر يوماً. وافت إليهِ ملوك المجوس. وكانوا ملوكاً وحكماء فلكيّين* قال القدّيس ابيفانوس: إِنَّهم كانوا من نسل ابرهيم من جاريتهِ قِطوره. واسماؤُهم: كسبار وملكيور وبلشاصر. وكان قدومهم من بلاد فارس من الجهة الشرقيَّة نظراً إلى الجهة اليهوديَّة* وقد تحقَّقوا مولد الربّ يسوع أوّلاً بوحيٍ إلهيّ* ثانياً من نبوّة بلعام العرّاف الذي قال إِنَّهُ يَطلع كوكب من يعقوب. وهؤلاء كانوا من ذرّيّة بلعام* ثالثاً من النجم الذي كان يدلّهم على مكان مولد المسيح. وهذا النجم كان نظير النجوم ذوات الذنَب. وكان نورهُ يفوق نور الشمس. وكان يسير في وسط النهار مع مسير المجوس ويقف عند موقفهم. ولم يكن يراهُ غيرهم* قال كيجيديوس الحكيم الوثني: إِنّنا وجدنا خبراً مقدّساً ينبئ عن طلوع كوكب يدلّ على هبوط الله وتردّدهِ مع البشر* وروى القدّيسون افرام

واوغسطينس ويوحنَّا فم الذهب: انّ هذا النجم قد ظهر للمجوس قبل مولد المسيح بسنتين* وقال جمهور العلماء الغربيّين: إِنَّهُ ظهر يوم مولدهِ واستمرّت المجوس في الطريق ثلثة عشر يوماً فقط. وفي هذا شرح طويل*

أمَّا المجوس فلمّا دنوا من أورشليم اختفى النجم عنهم وذلك حتى يلتزموا أن يسأَلوا عنهُ سكّان المدينة. ويذيع خبر ميلاد المسيح عند اليهود وعند هيرودس. وهكذا صار لأنَّهم لمَّا سمعوا اضطربوا* ظهر لهم النجم أيضاً وأراهم البيت أي المغارة والمذود حيث وجد الصبيّ مع مريم امّهِ. فخرّوا لهُ ساجدين سجوداً الهيّاً لأنّ الروح اعلمهم بلاهوتهِ. وقدّموا لهُ قرباناً ذهباً ولباناً ومرّاً. ثمَّ عادوا إلى بلادهم في طريق أخرى غير التي جاءُوا منها كما أوحى لهم ملاك الربّ وأخيراً أخذوا يبشّرون بالمسيح. وختموا حياتهم بالاستشهاد. والآن أجسادهم موجودة في مدينة كولونيا من بلاد جرمانيا محفوظة باكرا عظيم* وهم مشهورون بشفاء داء الصرع*

* اليوم السابع *

مديح القدّيس يوحنا المعمذان ـ مار لوقيانس القسّيس السرياني

مديح مار يوحنا المعمذان

انّ جميع القدّيسين تشهد لهم الكنيسة الجامعة وتثبّت قداستهم. وأمَّا يوحنا الصابغ فنرى أنّ الله عينهُ واضع الكنيسة ومثبّتها يشهد لقداستهِ ويثبّت برّهُ بقولهِ: إنَّهُ لم يقم نبيّ في مواليد النساء أعظم من يوحنّا. فهو نبيّ لأَنَّهُ تنبّأَ عن مجيء المسيح بقولهِ لليهود: أنا أعمّذكم بالماء للتوبة وسوف يأتي بعدي مَن هو أقوى منّي. وهو يعمّذكم بروح القدس والنار. وهو أعظم نبيّ لأنَّهُ دلّ على المسيح بذات أصبعهِ قائلاً: هذا هو حمل الله الذي يرفع خطيَّة العالم* وهو رسول أيضاً لأَنَّهُ كان يبشّر اليهود بالمسيح ويعظهم ويعمّذهم للتوبة. وهو أعظم رسول لأَنَّهُ عمَّذ سيّد الرسل* وهو شهيد لأَنَّهُ قُتل لأجل حقّ ناموس الله. وهو أعظم شهيد لأَنَّهُ متوسّط العهدين بشهادتهِ قبل موت المسيح مكلّل الشهداء* وهو معترف لأَنَّهُ اعترف قائلاً: إنّي لستُ المسيح لكنّي رسول أمامهُ. وهو أعظم معترف لأَنَّهُ قال: أنا عانيتُ وشهدتُ انّ هذا هو ابن الله. ومَن لا يؤْمن بالابن يحلّ عليهِ غضب الله* وهو كاهن لأَنَّهُ من نسل الكهنوت. وهو أعظم كاهن لأَنَّهُ خدم راس كهنوت الكهنة المتجسّد. وحُبل بهِ بالبشارة كما حُبل بابن الله. والمبشّر فيهما

واحد وهو جبرائيل رئيس الملائكة* وتقدّس في حشا أمّهِ وتبرّر من الخطيَّة الأصليَّة. وكان منفرداً في البرّيَّة منذ صغر سنّهِ. وهو أوّل الناسكين والمنفردين لله* وكان بكراً في المولد. وبكراً في النسك. وبكراً في الرسالة والتبشير بابن الله. وبكراً في النبوّة الحديثة. وبكراً في العهد الجديد* فلهذا يجدر بنا أن نضفر لهُ اكليل المديح والثناء ونهنّئهُ على نعمة الوظيفة التي بها استحقّ أن يكون معمّذاً لابن الله ونبيّاً ورسولاً وشهيداً ومعترفاً وكاهناً وبكراً وناسكاً*

مار لوقيانس القسّيس السرياني

انّ القدّيس لوقيانس وُلد في سوريَّة من أبوَين مسيحيّين شريفي الأصل* فمنذ طفوليّتهِ اعتنى أبواهُ بتربيتهِ وبتعليمهِ خوف الله وجميع واجبات الديانة المسيحيَّة* فإذ بلغ الاثنتي عشرة من العمر توفّي والداهُ وتركا لهُ جميع أموالهما وراثةً* فامَّا هو فاذ رأى نفسهُ وحيداً فاقد الأهل وعديم التسلية. اختار لهُ السيرة الاكليريكيَّة التي بها يقدر أن يخدم الله بأكمل نوع وينجو من مصائب العالم. فحينئذٍ وزَّع جميع أموالهِ على الفقراءِ وشرع يدرس العلوم الدينيَّة عند معلّم مشهور يدعى مكاريوس. ثمّ بعد ذلك ذهب إلى مدينة انطاكية. وهناك ارتفع إلى درجة الكهنوت فاضحى قدوةً للكهنة بفضائلهِ وبتعليمهِ الناس وإرشادهِ ايَّاهم في سبيل الفضيلة*

ففي ذلك الزمان كانت كنيسة انطاكية متمتّعة بأَمن وسلام عظيمَين. لأنّ السلاطين الرومانيّين الوثنيّين ارخوا لها عنان البغي. واطلقوا لها الحرّيَّة في استعمال رسوماتها الدينيَّة. غير أنّ تلك الراحة لم تدُم زماناً طويلاً لأنّ أحد القياصرة المدعو مكسِمينس تسلّح ضدّ الله وضدّ كنيستهِ. واقلق راحة المؤْمنين باضطهادهِ ايَّاهم وجزم أن يهلك أوّلاً شيوخ الكنيسة الذين بقداسة سيرتهم كانوا يثبّتون الشعب في الديانة المسيحيّة ويهدون الضالّين من الوثنيّين إلى معرفة الاله الواحد الحقيقي. فشرع يعذّبهم ويميتهم* ولمّا سمع بخبر لوقيانس أَنَّهُ كان من الذين تكرمهم وتحترمهم النصارى. أسرع بإرسال الجنود إليهِ في أنطاكية لكي يجلبوهُ إليهِ في مدينة نيقوميدية قاصداً أن يربحهُ لنفسهِ أحرى من أن يهلكهُ. فإذ أمسكوهُ واتوا بهِ إلى نيقوميدية واحضروهُ أمام هذا الظالم الوثنيّ. قال لهُ: يا لوقيانس ان أنتَ اطعنتا وقدّمت الذبيحة لآلهتنا أشركناك في سلطنتنا واتخذناك لنا رفيقاً ومشيراً* فأجابهُ مار لوقيانس مستهزئاً بهذهِ المواعيد الباطلة: انّ هذا لمَن المحال. ولا يمكن أن اؤَدّيهُ. فللوقت تغيَّرت مواعيد مكسِمينس إلى تهديدات وقال لهُ: إذاً استعدّ للعذاب* فحُبِس وعُذّب بأنواع لا تُنعَت. منها انَّهم ضربوهُ بالسياط وكانوا ينخزونهُ بالحربات الحديديَّة المحمَّرة بالنار. وأخيراً ربطوهُ واضجعوهُ على خزف مكسَّر ومسامير وأشواك حادّة فلم يكن يقدر أن يتحرّك الاّ ويزداد ألمهُ. وأضافوا فوق ذلك شتائِم وتوبيخات وتهديدات مُرّة. ولم يكونوا يقدّمون لهُ

طعاماً الاّ من لحم ما ذُبح للأوثان. فامَّا هو فكان أَحَبّ إليهِ أن يموت جوعاً من أن ينظر إلى ذلك اللحم* وبقي في تلك الحالة نحو أربعة عشر يوماً من دون أن يتناول أدنى طعام*

ولما دنا عيد الدنح جاءَت إليهِ تلامذتهُ حزينين لأَنَّهم كانوا يظنّون أنّ مدّتهُ لا تطول إلى ذلك اليوم فلا يستطيعون أن يحتفلوا معهُ بهذا العيد ويقدّسوا الاوخرستيا* فإذ رآهم على ما كانوا عليهِ من الكئَابة يعزّيهم بهذه الكلمات وهي: تشجَّعوا يا أولادي ولا تضجروا فانّي أكون معكم في هذا الموسم الشريف ونعيّد جميعنا سوّيةً غير أنّني في الغد أترككم وأمضي لأتمتَّع في المجد السمويّ* فبلغ عيد الدنح. فاحتار تلاميذهُ كيف يأتون بمائدة إلى السجن لكي يقدّس لوقيانس عليها جسد الربّ من دون أن يَراهم الوثنيّون* فقال لهم الشهيد: قلبي وجسدي الممدّد يكونان مائدةً. وهذا على ما أرجو أنَّهُ لا يكون أقلّ قبولاً واعتباراً لديهِ تعالى من مائدة خشبيَّة عديمة الحيوة. وأنتم تحتاطوني فتكونون لي هيكلاً* فهكذا قدَّس هذا الشهيد الاوخرستيا على صدرهِ وتناول وناول تلاميذهُ*

وفي الغد أرسل السلطان لينظر هل لوقيانس بعدُ في قيد الحيوة. فلمَّا شاهد هذا الشهيد أعوان الظالم صاح بصوت عظيم ثلاث مرّات قائلاً: أنا مسيحي وفي المرّة الأخيرة ردّ نفسهُ لله. وكان ذلك في اليوم السابع من شهر كانون الثاني كما كان قد أعلن لتلاميذهِ* فامَّا مكسِمينس السلطان القاسي فلم يكتفِ بذلك بل

واصل غضبهُ على هذا القدّيس الشهيد حتَّى بعد موتهِ أيضاً وذلك أَنَّهُ أمرَ أن تُربَط يد الشهيد اليمنى بحجر عظيم ويُطرح في قعر البحر حتى يحرم النصارى من تجنيزهِ ودفنتهِ* فامَّا أحكام الله التي هي بخلاف أحكام البشر فجعلت أن يحملهُ حوت من البحر ويأتي بهِ إلى الشاطئ أمام تلاميذهِ الذين كانوا ينتظرونهُ فللوقت ارتموا عليهِ وقبّلوهُ ودفنوهُ بكلّ اكرام. وكان ذلك في نحو سنة ٢٨٦*

* اليوم الثامن *

جهاد القديس اسطفانس رئيس الشمامسة وأوّل الشهداء

هذا القدّيس المعظّم انتخبهُ الرسل الاثنا عشر رئيساً على الشمامسة فاضحى مبشّراً غيوراً بايمان المسيح. وكان ينذر اليهود وينبّههم بكلّ شجاعة. فلهذا اغتاظوا منهُ. وقبضوا عليهِ وأقاموهُ أمام عظيم الكهنة. فظهر أمامهم بوجه منير كأَنَّهُ وجه ملاك* وحين سأَلوهُ عن إيمانهِ. اعترف علانيةً وطفق يوبّخهم على جحودهم احسانات الله إليهم منذ ابرهيم إلى ذلك الحين بعبارات مختصرة مفهومة المعنى. وبيَّن لهم انَّهم أبناء أولئك الذين فتكوا بالأنبياء. وانَّهم اضطهدوا المسيح الموعود بهِ وصلبوهُ* ثمَّ رفع القدّيس الشهيد عينيهِ إلى السماء فرأَى الله وابنهُ يسوع جالساً من عن يمينهِ فاخبرهم حالاً بالرؤْيا قائلاً. هوذا أرى

السماء مفتوحة وابن الإنسان يسوع قائماً من عن يمين العظمة. فسدّ اليهود آذانهم وقالوا لقد جدَّف. فقضوا بموتهِ ورجموهُ خارج المدينة. وشاول بولس كان مسروراً بقتلهِ. وكان يحثّ الراجمين على رجمهِ. فامَّا مار اسطفانس فكان يستغفر لهم ربَّهُ. ثمّ هجع بسلامٍ وكان ذلك في سنة ٣٤ للمسيح. فنال الاكليل كحسب اسمهِ*

* اليوم التاسع *

مار يوليانس وزوجته باسيلسّا البتولَين

انّ القدّيس يوليانس وُلد في انطاكية مدينة اسقفيَّة سوريَّة. وكان وحيداً لوالديهِ وكانا غنيّين بحسب العالم ومسيحيَّين حقيقيَّين سائرَين في خوف الله* فمنذُ أوائلهِ كان متولّعاً في درس العلوم وحصل على جَمٍّ منها لجودة قريحتهِ* فلمّا صار لهُ من العمر ثمان عشرة سنةً أراد أهلهُ أن يزوّجوهُ وذلك لبعض علل مقدّسة مبنيَّة على خوف الله. فامَّا هو فكان قد كرّس بتوليَّتهُ لله واشتهى أن يثبت في وعدهِ ويحفظ هذه الفضيلة من دون دنس. فإذ رأَى نفسهُ مجبوراً من والديهِ طلب منهما سبعة أيَّام مهلةً لكي يتفكر في هذا الأمر ويستودعهُ لله. فسمحوا لهُ. فأَخذ يوليانس يقضي ليلهُ ونهارهُ في الصلوة متوسّلا إلى ربّنا يسوع المسيح أن ينعم عليهِ بأَن يكمّل إرادة والديهِ ويحفظ معاً

بتوليَّتهُ التي كان قد نذرها لهُ* ففي ليلة اليوم السابع كان يوليانس مضنوكاً من الصلوة والصوم فنام وفيما هو نائِم ظهر لهُ يسوع المسيح في الحلم وعزَّاهُ وأمرهُ بأن يطيع والديهِ ويتزوّج من دون أن يخسر هذه الزنبقة التي قصد أن يحفظها. وذلك لأنّ الفتاة التي كان مزمعاً أن يتزوّج بها هي أيضاً عتيدة أن تحفظ بتوليَّتها مثلهُ. وبعد أن كلّمهُ بهذا ربّنا يسوع المسيح لمسهُ بيدهِ وشجَّعهُ على هذا المقصد. فتعزّى يوليانس من تلك الرؤْيا وشكر الله على هذه النعمة. وأوعد أهلهُ بأنَّهُ فاعلٌ ما يأْمرونهُ بهِ. ففرحوا بذلك وأخذوا يلتمسون لهُ خطّيبة لائقة بشأنهِ. فبعناية الله اختاروا لهُ فتاةً ذات عقل وأدب وجمال وغنىً من أصل شريف وحيدة لأهلها مثلهُ تسمَّى باسيليسَّا. فخطبوها لهُ* وإذ بلغ يوم العرس أظهر يوليانس الفرح والسرور إلاّ أنَّهُ كان في الباطن يصلّي لله طالباً منهُ أن يحفظهُ* ولمّا صار الليل واجتمع بعروسهِ. إذ قد فاحت في مخدعهما رائحة ورود ذكيَّة. فاندهشت باسيليسّا من ذلك وسأَلت عريسها من أين الرائحة لأنّ ذلك الآن لم يكُن إِبَّان الورود. فأجابها يوليانس: انّ هذه الرائحة التي تستنشقينها يا حبيتي ليست من ورود الفصل بل من ورود يسوع المسيح محبّ العفَّة الذي يودّ الذين يحفظونها ويعطيهم الحيوة الأبديَّة. فإِن أردتِ أن نحفظ كلانا بتوليَّتنا ونقدّمها لهُ ونعيش بالعفَّة كاخ وأخت ونحفظ وصاياهُ لا شكّ أنَّهُ يعطينا الاكليل المعدّ للانقياء الأطهار في السعادة الأبديَّة. فأجابته باسيليسَّا انّ ذلك حقّ وانَّها ليس لها قصد اشهى

وأجمل من أن تنذر بتوليَّتها لله معهُ* فحالما سمع يوليانس منها ذلك فرح فرحاً عظيماً وشكر يسوع المسيح على هذا الاحسان الذي أسداهُ إليهِ. فقضيا ليلتهما بالصلوة متوسّلَين إلى يسوع المسيح أن يؤَيّد عزمهما الصالح. فانعم الله عليهما بالثبات فعاشا طول حياتهما بالنقاوة الملائكيَّة*

وبعد زمان مات أبوا يوليانس وأبوا باسيليسَّا تاركين أموالهم وراثةً لولديهم. فاخذا يعولان بها الفقراء والمحتاجين والمرضى. وجعلا بيتهما محلّ قرىً للضيوف وكان فيهِ مساكن مفترقة بعضها من بعض فجعلا منها للرجال ومنها للنساء. فكانت باسيلسَّا متولّية خدمة النساء ويوليانس متولّياً خدمة الرجال ولمحبَّتهِ للفقراء سُمِّي أبا الضيوف* ثمّ بعد ذلك توفّيت باسيليسَّا بسلام الله. وعاش يوليانس بعدها بعض سنين وأخيراً تكلّل بالاستشهاد. وكيفيَّة استشهادهِ هكذا كانت: انَّهُ في ذلك الزمان جاء إلى انطاكية مرقيّون وكيل السلطان الروماني الذي كان وثنيّاً مضطهداً للنصارى. فعزم أن يميت جميع المسيحيّين الذين لا يريدون أن يسجدوا للآلهة الباطلة* فامَّا يوليانس فكان يحثّ جميع النصارى على الثبات في الايمان الحقيقي. فلمَّا سمع بهِ مرقيّون أحرق بيتهُ وجلدهُ بالقضبان. وفي تلك الأثناء وقع أكثر من خمسين صنماً على الأرض وتكسَّرت. وكذلك واحد من الذين كانوا يجلدونهُ فُقئت عينهُ بعصا رفيقهِ فردّها لهُ مار لوقيانس باعجوبة. وأقام أيضاً ميتاً. وبتجلّدهِ على احتمال العذاب جذب نفراً من الوثنيّين إلى الايمان بيسوع المسيح. فإذ رأَى ذلك مرقيّون شقّ عليهِ جدّاً وتقلّى

على جمرات الغضب فكان يعذّبهُ بأنواع لا تحصى بالحديد وبالنار* فمرّةً قال لهُ بوليانس خذني إلى هيكلك. ففرح هذا الظالم ظانًّا أنَّهُ يسجد لآلهتهِ لكي ينجو من عذابهِ. فجمع نحو ألفٍ من كهنة الأصنام في الهيكل. فلمَّا كان يوليانس في ذلك المقام أخذ يصلّي لربّنا يسوع المسيح لكي يبيد تلك المنحوتات. فحالاً سقط الهيكل وانسحقت الكهنة والأصنام تحت الردم. فما كان من الأمر مرقيّون الاّ ورماهُ للوحوش الضارية. فعوضاً عن أن تفترسهُ شرعت تلحس قدميهِ. وأخيراً قطعوا رأسهُ بالسيف ونال جزاءَهُ في الملكوت السموي وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر كانون الثاني سنة ٣٠٩

* اليوم العاشر *

مار بولس أوّل الحبساء

انّ هذا القدّيس الفاضل كان مصريّاً وكان في عهد والريانس قيصر قد هجر العالم وانطلق إلى البرّيَّة وسكن في مغارة على جبلٍ فيها عين ماء وعندها شجرة نخل يقتات من ثمرها ويكتسي من ورقها فاستقام يعبد الله هناك ثماني وسبعين سنةً لا يرى بشراً أصلاً* فذات يوم انطلق لزيارتهِ مار انطونيوس الكبير أبو الرهبان وذلك بوحي إلهيّ. فلمَّا وصل إلى مغارتهِ تطلّع فيها فلم يقدر أن يرى شيئاً

لتكاثف الظلمة فيها فدخلها راجياً أن يجد فيها ذلك الحبيس. وفيما هو داخل سطع في المغارة نور عظيم وأخيراً وجد فيها مار بولس الحبيس ذلك الشيخ الوقور. فتعانقا كلاهما بمحبَّة عظيمة وطفقا يتفاوضان مفاوضةً روحيّة. وفيما هما كذلك وإذا غراب قد أتى إليهما وفي منقارهِ رغيف خبز فوضعهُ أمامهما وطار. فقال الانباء بولس: تبارك الربّ الذي بعث لنا اليوم كفافنا. لأنّ لي ستّون سنةً ياتيني هذا الغراب كلّ يوم بنصف رغيف. واليوم كرامةً لخاطرك يا أخي انطونيوس قد جاءَنا برغيف كامل. فأكلا وشكرا العناية الآلهيّة التي لم تنسَهما وقضيا تلك الليلة بالمفاوضة الروحيَّة والصلوة* ولمَّا أصبح الصباح قال مار بولس لمار انطونيوس: يا أخي انّ موتي قد دنا. وقد أوحى الله لي بمجيئك لتدفنَني وتضع التراب في التراب. فلمَّا سمع مار انطونيوس هذا الكلام أخذ يسكب العبرات من عينيهِ متنهّداً وطالباً إليهِ أن لا يتركهُ بل أن يأخذهُ معهُ إلى الراحة الأبديَّة. فأجابهُ القدّيس بولس قائلاً: لا تتمنَّ راحة نفسك بل راحة أخوتك. حقّاً انَّك تفرح ان تركت هذا الحمل الثقيل الذي هو جسدك. ولكنَّ الأوفق لاخوتك أن تعيش معهم وترشدهم فيأتّموا بأمثالك* ثمّ قال لهُ: ارغب إليك أن تأتيني بالعباءَة التي وهبها لك مار اثناسيوس البطريرك وتكفّنَني فيها. فتعجَّب مار انطونيوس حين سمعهُ يتكلّم عن مار اثناسيوس وعن العباءَة. وَتحقَّق من ذلك انَّ روح المسيح فيهِ. فبارك الله في قلبهِ ودنا منهُ ولم يجسر أن يكلّمهُ بل قبَّل عينيهِ ويديهِ

ورجع مسرعاً إلى ديرهِ لكي يأتيهُ بالعباءَة* فلمَّا وصل الدير أخذ العباءَة وقصد مغارة بولس. وفيما هو في الطريق شاهد روح المغبوط بولس صاعدةً إلى السماء ببياض أنقى من الثلج موشّحةً بالأنوار ومحتاطةً بالعساكر السمويَّة بمجد عظيم. فساعتئذٍ سقط على وجههِ على الأرض ونثر التراب على رأسهِ وبكى وصرخ قائلاً: يا بولس لِمَ تركتني. لِمَ انطلقتَ ولم تتوادع معي. آه انّي عرفتك متأَخّراً وفقدتُك عاجلاً* ثمّ مشى إلى أن وصل المغارة فدخلها فابصر جسد المتنيّح راكعاً على ركبتيهِ ورافعاً يديهِ إلى السماء. فخالهُ حيّاً فجثا إلى جانبهِ وشرع يصلّي. وأخيراً علم أنّهُ مائتٌ. وانَّ هذا الجسد الذي كان معتاداً أن يصلّي وهو راكع في طول حياتهِ استمرّ على هذه الصورة بعد موتهِ أيضاً. فللوقت ارتمى مار انطونيوس عليهِ وأخذ يقبّلهُ ويبلّهُ بدموعهِ. ثمَّ كفَّنهُ بالعباءَة التي أتى بها وحملهُ إلى خارج المغارة مرتّلاً فرض الموتى حسب تقليد الكنيسة* وإذ أراد أن يدفنهُ لم يكن لهُ شيءٌ يحفر بهِ الأرض فاحتار في أمرهِ وأخيراً سلّم الأمر لله فأرسل الله لهُ أسدَين حفرا بمخاليبهما ضريحاً لمار بولس ودفنهُ فيهِ*

ولكي يرث مار انطونيوس كلّ الثروة التي كان يقتنيها مار بولس في العالم شلّحهُ رداءَهُ الذي كان قد عملهُ من ورق النخل ولبسهُ جملة سنين الذي لم يكن لهُ شيءٌ غيرهُ. فأخذهُ ورجع إلى ديرهِ حاملاً هذا الكنز الثمين إرثاً لهُ. وحكى تلاميذهُ كلّ ما جرى* ولكي يبيّن عظمة اعتبارهِ لذلك الرداء لم يكن يلبسهُ إلاّ في العيد الكبير

وعيد العنصرة* وكانت وفاة مار بولس أوّل الحبساء في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني سنة ٣٤٣*

قال مار ايرونِمُس كاتب هذه السيرة انّي أطلب من كلّ مَن وقف عليها أن يتذكّر ايرونِمُس الخاطئ الذي لو خيَّرهُ الله لاختار فقر الانباء بولس مع استحقاقاتهِ أفضل من برفير الملوك مع عذاباتهم*

* اليوم الحادي عشر *

مار تاودوسيوس أبي الرهبان

انّ هذا القدّيس كان في أيَّام يوستنيانس قيصر مولوداً في إحدى قرى الكبادوك من أبوَين مؤْمنَين. فانطلق إلى بريّة اورشليم لكي يزور الأماكن المقدّسة. فمرّ في طريقهِ بسمعان العموديّ في أنطاكية ليطلب بركتهُ. فحالما رآهُ مار سمعان صرخ قائلاً: مرحباً بتاودوسيوس رجل الله. فانذهل من لفظ اسمهِ بفم سمعان لأنَّهُ لم يكن يعرفهُ قطُّ. ثمّ اصعدهُ القدّيس سمعان على عمودهِ واعتنقهُ واعلمهُ بأنَّهُ سيكون أباً لرهبان كثيرين. فنزل تاودوسيوس ومشى في طريقهِ إلى أن وصل إلى أورشليم فكمَّل قصدهُ بزيارة الأماكن المقدّسة. وبعد ذلك هجر العالم ولبس الزيّ الرهبانيّ ومضى فسكن في البرّيّة مع رجل بارّ سالكٍ في طريق الكمال اسمهُ لونجينس. ثمَّ تركهُ وانطلق فسكن في جبلٍ

مع بعض الرهبان الذين سمعوا بقداسة سيرتهِ وواصلوهُ ليرتشدوا منهُ* فامّا هو فوضع لهم أوّل أساس لسيرتهم الرهبانيَّة ذكر الموت. ولكي يجعلهُ أن يكون دائماً أمام عيونهم أمر أن يحفروا قبراً ويدَعوهُ مفتوحاً* فذات يوم إذ كان يتمشَّى مع تلاميذهِ حول هذا القبر أخذ يخاطبهم متبسّماً وقائلاً: انّ القبر محفور. فمَن منكم يدخلهُ أوّلاً. فللوقت ركع أمامهُ واحد منهم اسمهُ باسيليوس وكان كاهناً فقال لهُ: يا أبي اعطِني بركتك فانّي أنا الذي أدخلهُ قبل الجميع. فباركهُ وأمر أن يصلّوا من أجلهِ فرض الموتى وهو بعد في الحيوة* وبعد أربعين يوماً صحّ قول باسيليوس إذ انَّهُ توفّي من دون مرض البتَّة. ودُفِن في ذلك القبر*

ثمّ ان القدّيس تاودوسيوس كان منعكفاً على ممارسة التقشّف حتَّى انَّهُ لم يكن يتناول طعاماً إلاّ مرّةً في الأسبوع واستمرّ مدّة ثلاثين سنة لم يذق خبزاً فاستحقّ من الله أن يكون أباً لرهبان كثيرين. ونال موهبة عمل العجائب. وبنى أديرةً كثيرةً ورسم لها قوانين*

ولمّا حان وقت خروجهِ من هذا العالم جمع رهبانهُ وطفق يرشدهم ويوصيهم أن يثبتوا في خدمة الله وأخيراً استودع نفسهُ لله وكان ذلك سنة ٥٢٩ فحزن رهبانهُ على فقدهم معلّماً صالحاً مثل هذا. وكان لهُ من العمر إذ مات نحو ماية وخمس سنين*

* اليوم الثاني عشر *

القديسة تاتيانا الشهيدة

انّ هذه الشهيدة كانت في أيّام اسكندر قيصر رومانيَّة الأصل ابنة أحد الوزراء الرومانيّين. فقبض عليها الملك وأدخلها إلى بيت الأصنام وأمرها أن تسجد لها. فتزعزعت الأصنام بصلاتها وتساقطت. فلطمها الأعوان وشقّوا جفونها وضربوا لحمها بأمشاط حديديَّة ثمَّ طرحوها إلى الوحوش الضارية فلم تفترسها فاحتزّوا أخيراً رأسها بالسيف وكان ذلك سنة ٢٠٢ للمسح.

* اليوم الثالث عشر *

مار الاريوس أسقف بواتيارا

انَّ مار إلاريوس كان في أيَّام الملك قسطنطين الاريوسيّ وُلد في مدينة بواتيارا من أعمال فرنسا من نسب شريف. فمنذ صغرهِ لاحت على جبينهِ نعمة القداسة. وقد تزوّج أوّلاً وخلّف ابنةً واحدة فقط. فماتت زوجتهُ. فحفظ عفّتهُ بعدها وانكبّ على مطالعة العلوم حتّى اتقنها* ثمَّ أُقيم أسقفاً على مدينتهِ نفسها. وكان بطلاً منتصباً لمضادّة الاريوسيّين. فلذلك جلاهُ الملك قسطنطين إلى مدينة فروجيا

من أعمال اسيا. فاحتمل في نفيهِ مشقَّاتٍ كثيرةً وبان فضلهُ في الشدائد كالذهب في النار. وصنَّف في موضع نفيهِ كتاباً في الثالوث الأقدس. وفسَّر بعض المزامير. وفسَّر أيضاً بشارة مار متَّى الإنجيلي كلّها. وألّف تصانيف أخرى بديعة. ولم يمنعهُ النفي من مساعدة الكنيسة بعلمهِ وبعملهِ. ثمّ أعادهُ الملك إلى كرسيّهِ تهيّباً منهُ. ولأمانتهِ في خدمة ربّهِ نال موهبة عمل العجائب. فمن ذلك انَّهُ أحيا طفلاً مات قبل اعتماذهِ فعمّذهُ. واقنع ابنةً أن تهجر العالم وأباطيلهُ وتخطب لها العريس السمويّ فرضيت بذلك وطلبت منهُ أن يريها المسيح عريسها. فللوقت جثا مصلّياً. وفي الحال استودعت نفسها لله. وبعد أن قضى حياتهُ في المتاجرة ليسوع المسيح ومحاماة كنيستهِ انتقل من هذا العالم إلى الحيوة الأبديَّة في سنة ٣٦٠ للمسيح. وهو معدود من ابطال علماء الكنيسة*

* اليوم الرابع عشر *

ميخا النبي

انّ هذا النبيّ هو السادس من مصاف الأنبياء الصغار الاثني عشر تنبّأ في أيَّام يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا. وأصلهُ من سبط افرام. وكانت مدّة نبوّتهِ نحو خمسين سنة. ولهُ قد أوحى الربّ بهذه الكلمات الدالّة على تجسّدهِ وهي: امَّا أنتِ يا بيت لحم افراثة وأنتِ صغيرة ان

تكوني بين ألوف يهوذا فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلّطاً على إسرائيل ومخارجهُ منذ القديم منذ أيّام الأزل (ميخا صـ ٥ عـ ٢) وهو الذي قد تنبّأً أيضاً على خراب أورشليم* فذات يوم طلب منهُ أخاب ملك إسرائيل أن يسأَل الربّ هل يريد أن يحارب ملك آرام. فلمّا قال لهُ النبي لا تحاربهُ اغتاظ منهُ فلطمهُ صدقيَّا النبي الكاذب على خدّهِ لأَنَّهُ فضح كذب نبوّتهِ القائلة للملك أن يحارب ملك آرام. وأمر الملك بحبس ميخا وأن يُعطى طعاماً قليلاً إلى أن يكون رجع من حرب آرام. فقال لهُ ميخا انَّك لن ترجع. وهكذا صار لأنّ آخاب قُتِل في الحرب وأخيراً قتلوا ميخا النبيّ. وكان ظهورهُ في سنة ٣١٠٨ للخليقة قبل مجيء المسيح بنحو ثمانماية وثلاث عشرة سنةً* وامَّا لفظة ميخا فهي عبرانيَّة معناها فقير*

* اليوم الخامس عشر *

هرب الربّ يسوع إلى مصر ـ مار يوحنّا الكوخي

هرب الربّ يسوع إلى مصر

انّ هيرودس بن انتيبطرس أراد أن يقتل يسوع الطفل الذي سمع بمولدهِ من ملوك المجوس. فظهر ملاك الربّ لمار يوسف في الحلم وأمرهُ أن يأخذ يسوع الطفل وأمّهُ مريم ويهرب بهما إلى مصر. فاسرع

يوسف حالاً وأخذ يسوع ومريم وهرب إلى مصر. ومكثوا هناك سبع سنين ساكنين في مغارة موجودة في تخوم مدينة ارمافوليس* فلمّا دخل السيّد في تلك الامصار تساقطت جميع أصنامها* وكان يوسف هناك مشتغلاً بصناعة النجارة ومريم العذراء كانت مهتمّة في أمور البيت وبخدمة ابنها يسوع* فلمّا مات هيرودس الظالم بأشقى موته وهي انَّهُ ضُرب في جسدهِ بالقروح حتَّى تفجَّر وانتن وسلّم نفسهُ التعيسة إلى الشيطان ظهر ملاك الربّ ليوسف في الحلم وأمرهُ أن يرجع إلى أرض إسرائيل بيسوع الطفل وبامّهِ فرجعوا وكان ذلك في السنة الثامنة للمسيح الذي لهُ المجد إلى الأبد*

مار يوحنَّا الكوخي

انّ هذا القدّيس كان بن رجل غنيّ من قوّاد الملك. وكان رومانيّ الأصل. فمنذ نعومة أظفارهِ انعكف على الفضيلة والعلم ونجح فيهما. فاتّفق ذات يوم أَن جاء راهب إلى رومية وكان منطلقاً إلى أورشليم لزيارة الأماكن المقدّسة. فاستضاف في المدرسة التي كان يدرس فيها يوحنَّا. فإذ رأَى هذا الفتى زيّ الراهب وما هو عليهِ من الاحتشام وسمة النعمة انفرد بهِ وطلب إليهِ بتوسّل أن يخبرهُ مَن هو ومن أين آتٍ وإلى أين منطلق وما هذا الثوب الذي لابسهُ. فاعلمهُ الراهب بكلّ ما ابتغى استعلامهُ وأخبرهُ عن ديرهِ وعن رهبنتهِ

وقوانينها. فتحرّك قلب الفتى إلى اتّباع الراهب في ترك العالم. والتمس منهُ انَّهُ إذا رجع من أورشليم يمرّ بروميَّة لكي يأخذهُ معه إلى الدير ويلبس الزيّ الرهبانيّ مكرّساً ذاتهُ بجملتها لخدمة يسوع المسيح. فرضي الراهب واجابهُ إلى ذلك. ثمّ انطلق في وجهتهِ وبقي يوحنَّا في المدرسة* فذات يوم طلب يوحنا من والديهِ انجيلاً يقرأُ فيهِ. ففرحا بهذه الطلبة وعملا لهُ إنجيلاً مجلّداً بالذهب ومرصّعاً بالجواهر الكريمة ووهباهُ لهُ. فأخذهُ يوحنّا مسروراً وكان يقرأُ فيهِ دائماً ويحفظ الحقائق الإلهيّة المحتوية فيهِ*

فبعد زمان رجع ذلك الراهب إلى رومية وأخذ معهُ الصبي يوحنّا من دون أن يعلم أبواهُ بذلك. وسافرا حتى وصلا إلى الدير. فقُبِل يوحنا وأُحصي مع الرهبان. وكان محبوباً منهم جميعاً لسموّ فضائلهِ فانَّهُ كان يخدم وأُحصي مع الرهبان. وكان محبوباً منهم جميعاً لسموّ فضائلهِ فانَّهُ كان يخدم الكبير منهم والصغير بمحبَّة وطاعة واحتشام. ومع انَّهُ كان ظريف التركيب نحيف الجسم والقوام. فكان يستعمل تقشّفاً صارماً في عيشتهِ* وأقام في ذلك الدير ستّ سنين* فحسدهُ العدوّ العموميّ وهمَّ أن يسقطهُ في فخاخهِ فأخذ يذكّرهُ غنى والديهِ والعيشة الرغدة التي كان يتنعَّم فيها لو كان في بيتهِ. والافتخار والشرف والعظمة التي كانت تحصل لهُ لو عاش مع والديهِ. وحرّك في قلبهِ رغبةً عظيمة في أن يرى أهلهُ. فامَّا هو فكان كلّما شعر بهذه التجارب ضاعف تقشّفاتهِ وظفر بها إلى أن ذات يوم أراد أن يرضّ راس الحيَّة الجهنميَّة كلّ الرضّ فعزم أن ينطلق إلى بيت والديهِ ويسكن فيهِ غير معروف

من أحدٍ أصلاً حتى لا تكون لهُ رؤْية أهلهِ وسكناهُ في دارهم موضوع تنعّم بل تزيدهُ تقشّفاً وبهذا النوع العجيب يقهر عدوّهُ الشيطان الحسود. فإذ تحقَّق يوحنَّا أنّ ذلك الهامٌ الهيّ كشف عزمهُ للرئيس وللرهبان وتوسَّل إليهم بدموع سخينة أن لا يملّوا من الصلوة من أجلهِ حتَّى يحفظهُ الربّ وينصرهُ على عدوّهِ. فباركهُ الرئيس وعانقهُ جميع الرهبان ومضى مستودعاً ذاتهُ إلى العناية الإلهيّة. فصادف في الطريق فقيراً لابساً ثياباً رثّة فسأَلهُ أن يعطيهُ ايَّاها ويأخذ ثيابهُ فأخذها ولبسها. فلمّا وصل إلى روميَّة ليلاً ونظر بيت أبيهِ توسَّل إليه تعالى بالاَّ يتركهُ بل يحفظهُ بنعمتهِ لكي يغلب عدوّهُ ويموت في بيت أهلهِ غير معروف من أحد. وكان طول تلك الليلة يدور حول البيت مسلّماً إرادتهُ لله. فلمّا تبلّج النهار وفُتح الباب ونظرهُ البوّاب واقفاً على الباب وهو في تلك الحالة الفقريَّة طردهُ. فتذلّل يوحنّا بين يديهِ متوسّلاً إليهِ لحبّ الله أن يدخلهُ لكي يأْتوي في زاوية كانت في وراء الباب. فرقّ لهُ البوّاب وتركهُ* فبعد أيَّام وقع نظر أمّهِ عليهِ فإذ رأَتهُ في تلك الحالة التي غيَّرت هيئَتهُ لم تعرفهُ. فأمرت الخدّام فطردوهُ خارجاً. فلم يكترث القدّيس لمّا رأَى نفسهُ مطروداً من أمّهِ نفسها ومن بيتهِ بل فرح بذلك اكراماً لاسمهِ تعالى الذي وضع كلّ اتّكالهِ عليهِ. وبقي مطروحاً مدّة خارجاً في الزقاق متوسّلاً إلى البوّاب أن يسمَح لهُ حبّاً ليسوع المسيح أن يلتجئ في كوخ ضيّق في البيت. وكان يعدهُ بنوال نعم جزيلة من الله جزاءً لهُ على قبولهِ ايَّاهُ* فحنّ عليهِ

البوّاب أخيراً وادخلهُ ثانيةً وبقي ساكناً في ذلك الكوخ الصغير إلى حين موتهِ مرذولاً محتقراً من خدّامهِ ومكرّماً ومعتبراً من ربّ السماء*

فلمّا أراد ربّنا يسوع المسيح أن يجازي هذا خادمهُ الأَمين ظهر لهُ واعلمهُ بانَّهُ بعد ثلاثة أيَّام مزمع أن يسافر من هذا العالم لكي ينال جزاء أتعابهِ في الراحة الأبديَّة. ففرح يوحنّا بذلك وشكر الربّ وطلب منهُ رحمةً لوالديهِ. ثمّ استدعى البوّاب وطلب إليهِ أن ينطلق إلى مولاتهِ ويبلّغها من قِبَلهِ هذا الكلام وهو أنّ الفقير الذي كنتِ قد طردتِهِ يدعوكِ حبّاً ليسوع المسيح متوسّلاً إليكِ أن تحضري عندهُ وتسمعي لهُ ببعض كلمات يكلمّكِ بها. فانطلق البوّاب وبلّغها كلمات يوحنَّا. فاستخفّتهُ ولم تستجب طلبتهُ. فلمّا علم زوجها بذلك أمرها بأن تذهب إليهِ وتسلّيهُ قائلاً انّ الله قد اختار الفقراء. ومَن يحسن إليهم فيكون قد أحسن إليهِ. وأخيراً لبَّت دعوة يوحنَّا وجاءَت إليهِ في الكوخ فرأَتهُ مطروحاً مغطّىً بعباءَة عتيقة ممزّقة فلم تعرفهُ أيضاً. فامَّا هو فأخذ يقول لها: انَّ الله سيجازيها على رحمتها للفقراء. وأوعدها بأنّها ان منحتهُ ما يطلب منها يترك لها كنزاً ثميناً في بيتها. فأجابتهُ إلى ذلك. فطلب منها أن تدفنهُ بعد موتهِ في ذلك الكوخ الذي كان ساكناً فيهِ وفي تلك الثياب عينها التي كان مكتسياً بها. ثمَّ بعد أن كلّمها بهذه الكلمات ناولها انجيلهُ الذهبيّ الذي قد وهبتهُ لهُ هي وأبوهُ قائلاً لها: خذي هذه الهديَّة الثمينة واحتفظي بها* فامَّا هي فحالما رأَتهُ شبيهاً بانجيل ولدها أخذتهُ إلى زوجها. فإذ تأَمَّلهُ عرفهُ انّهُ هو هو ذلك

الإنجيل عينهُ الذي عملهُ لابنهِ يوحنا. فحالاً بادرا كلاهما إلى ذلك الفقير واستحلفاهُ باسم الثالوث الأقدس أن يقول لهما مَن الذي أعطاهُ هذا الإنجيل وأين هو ابنهما يوحنَّا. وكانت العبَرات تهطل من أعينهما. فحينئذٍ أجابهما القدّيس: أنا هو يوحنّا ولدكما. وهذا هو الإنجيل الذي أعطيتمانيهِ إذ كنتُ عندكما. حقّاً انَّني خلّفتُ لكما الحسرة عليّ الاّ انني اخترتُ أن أحمل نير المسيح الحلو* فإذ سمع ذلك أبواهُ لم يكن منهما الاّ وارتميا على ولدهما وأخذا يقبّلانهِ ويبلاّنهِ بدموعهما وكان بكاؤُهما ممزوجاً بدموع الفرح وبدموع الحزن. فكانا من جهةٍ يثنيان على قداسة سيرة ولدهما ويشكران الله الذي وهبهُ لهما. ومن جهةٍ يتحسَّران على عدم معرفتهما بهذا الكنز الثمين المخفيّ في دارهما من مدّة ثلاث سنين* وأخيراً نجَّاهُ ربّنا يسوع المسيح من أخطار هذه الحيوة الشقيَّة إذ قاد نفسهُ إلى الأفراح الأبديَّة في حضور والديهِ. وتسامع الناس بخبرهِ فتعجُبوا مادحين غلبتهُ وانتصارهُ على الشيطان والعالم*

فلمّا أرادوا أن يدفنوهُ نسيت أمّهُ الوعد الذي أوعدتهُ بهِ بأن تدفنهُ بتلك الثياب البالية نفسها. فخلعتهما والبستهُ لباساً فاخراً فقاصصها الله حالاً بداء الفالج وحينئذٍ تذكّرت طلبتهُ منها فأعادت عليهِ ثيابهُ الأولى فشفيت في الحال* ثمَّ دفنوهُ في المكان الذي طلبهُ هو أي ذلك الكوخ الذي سكنهُ ثلاث سنين* وشيَّد أهلهُ على قبرهِ كنيسةً عظيمة وهي الموجودة الآن في رومية في جزيرة مار بوثُلماوس. وكان ذلك في سنة ٤٧٠ للمسيح*

* اليوم السادس عشر *

سلسلة مار بطرس الرسول ـ مركللس البابا

سلسلة مار بطرس الرسول

انَّ هيرودس بعدما قتل يعقوب أخا يوحنَّا قبض على بطرس وسجنهُ* قال القدّيس يوحنَّا فم الذهب: انّ هيرودس واليهود امسكوا بطرس دون غيرهِ من الرسل لأنَّهم كانوا يرونهُ المتقدّم فيهم والفاعل العجائب. وانَّهُ هو المناصب والمجاوب عن كلّ شي. وظنّوا انَّهم إذا قتلوهُ يمحون شريعة المسيح من العالم. ولكنّ الربّ أرسل ملاكهُ إلى الحبس وكلّم بطرس فتساقطت السلسلتان اللتان كان مغلّلاً بهما. ثمّ أخرجهُ الملاك من السجن والأبواب مغلقة وردّهُ إلى أخوتهِ الرسل سالماً. وامَّا السلسلتان فاحداهما أُهدِيت إلى الملكة افدوكسيا زوجة الملك ثاودوسيوس. والملكة أهدتها إلى البابا خوستس الثالث. والأخرى كانت في رومية فلمّا قرنهما البابا رآهما متساويتين وبقدرة الله التحتما وصارتا سلسلةً واحدة كما روى بارونيوس الذي حقَّق صحَّتهما بقولهِ انَّهما لمّا وُضِعتا على رجل فيهِ أرواح شرّيرة شفي حالاً. وهذا الحادث كان في سنة ٤٠٥ للمسيح*

البابا مركللس

انّ هذا الحبر القدّيس كان في أيَّام مكسميانس قيصر رومانيّ الأصل. وكان مجتهداً في انذار الوثنيّين بايمان المسيح. فلمّا سمع بهِ الملك أوثقهُ وطرحهُ في السجن. وكانوا يحثّونهُ على السجود للأصنام. فهو كان يزدري بهم وبأوثانهم. فتهدّدهُ الملك بأن يجعلهُ طعاماً للوحوش* وأخيراً أخرجتهُ كهنتهُ وتلاميذهُ من السجن خفيةً واخفوهُ في بيت امرأَةٍ مؤْمنةٍ تقيَّة. فكان البابا هناك يصلّي مع المؤْمنين في الليل ويقدّس في ذلك البيت. فلمّا بلغ الملك ذلك أمر بأن يصير ذلك البيت اصطبلاً للدوابّ ويكون البابا مركللس سائساً لها. فاستقام هذا البابا في هذهِ الحالة خمس سنين ثمَّ توفّي بسلام الربّ في سنة ٣٠٩ للمسيح. وبعد ذلك صار ذلك البيت كنيسة* وكتب هذا البابا رسالةً إلى أهل انطاكية يقول فيها انّ كلّ مجمع مسكوني يقوم بغير أمر البابا الرومانيّ فهو مجمع بطّال*

* اليوم السابع عشر *

مار انطونيوس الكبير عظيم النسّاك وأبي الرهبان

انَّ هذا القدّيس الفاضل كان في أيَّام قسطنطين الكبير من إحدى مدن مصر قبطيّ النسب وُلِد في سنة ٢٥١ من أبوَين مؤْمنَين غنيَّين

بحسب العالم وفي خوف الله. ومنذ صغرهِ كان ملازماً الكنائس ومنعكفاً على الصلوة. ثمّ مات أبوهُ إذ كان لهُ من العمر ثماني عشرة سنةً ولهُ أختٌ أصغر منهُ سنّاً. فيوماً ما إذ كان في الكنيسة والإنجيل يُتلى على الشعب فسمع فيهِ هذه الكلمات وهي: إن شئت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كلّ ما لك وأَعطهِ للمساكين واحمل صليبك واتبعني* فلمّا فهم انطونيوس هذا النصّ الإلهيّ مضى حالاً واعطى اختهُ ما يخصّها من ميراث والديها وأخذ هو ما يخصّهُ ووزّعهُ على الفقراء وذهب فسكن في دير وصار راهباً. فكان يراقب سيرة واحد واحد من الرهبان ويأخذ لذاتهِ من أعمالهم ما يستحسنهُ مثل نحلة تجني من الزهور ما ناسبها. حتَّى استغنى انطونيوس في الفضائل. وعظم قدرهُ بين أخوتهِ فكانوا يحبّونهُ ويسمعون وعظهُ ويستشيرونهُ بمنزلة أعظم النسّاك. فأخذ الشيطان يحاربهُ. فذكّرهُ أوّلاً أهلهُ واحبّاءَهُ ولذّات العالم وأَنّ العمر طويل وأتعاب الرهبنة شاقّة. فامَّا القدّيس فكان يقطّع هذه الاحبولات بالصلوة والتأمّل والتقشّف. ثمّ حاربهُ اللعين بأفكار وخيالات نجسة ليلاً ونهاراً وكان القدّيس ينتصر عليها ويدفعها عنهُ بشجاعة. فإذ رأَى الشيطان انَّهُ لا ينجح في تكميل اربهِ ظهر لهُ بصورة بشعة جدّاً قائلاً لهُ: أنا اضلّيتُ كثيرين واسقطتُهم. الاّ أَنَّني اعترف لك انَّك غلبتني. فكان مراد اللعين بذلك أن يُسقِط انطونيوس في المجد الباطل والكبرياء. فامَّا هذا الذي لم يكن متّكلاً على ذاتهِ بل على قوّة الله لم يصغَ إلى تمليقاتهِ بل قال لهُ: مَن أنت. فاجابهُ الشيطان

أنا هو ملك الدعارة. أنا الذي اضرم سعير الشهوة وكلّ نوع من الفواحش في قلوب الشباب والشيوخ من الرجال والنساء ولذلك اسمَّى روح الشرّ. كم من الذين قد عزموا أن يعيشوا في العفاف وبعد ذلك سقطوا بخداعاتي. وكم من الذين بدأُوا في سيرة حميدة وانتهوا بسيرة ذميمة بمكيداتي. وكم من الذين انتصروا مرّات عديدة على أجسادهم وبعد ذلك خضعوا لاهوائها بحيلاتي. وبالنتيجة أنا الذي حاربتُك مرّات عديدة فغلبتني* فلمّا سمع ذلك مار انطونيوس أخذ يتأمَّل في ضعفهِ وفي قوّة الله. وشكر الله الذي نصرهُ في هذه الحرب. ثمّ التفت إلى عدوّهِ الشرّير وقال لهُ: لا شكّ انَّك لا شيء لأنّك تقرّ بانَّك غُلِبتَ من فتىً ضعيف بهذا المقدار نظيري حسبما يبيّن ذلك وجهك الأسود المشوّه* وهيهات أنا لا أخافك أبداً. فاهجم عليّ بكلّ قواك وجرّبني بكلّ حيلك. فربّي يسوع المسيح الذي حماني إلى الآن هو الذي يحميني دائماً. ثمَّ ترنَّم بهذه آية النبي وهي: يعينني الربّ فاهزأُ باعدائي. فغاب الشيطان مكتسياً بثوب الخزي والخجل* وامَّا مار انطونيوس فانفرد وسكن في مغارة في البرّيَّة. وكان يقضي نهارهُ وليلهُ في الصلوة. ولمّا كان يضطرّ إلى النوم فكان ينام قليلاً متوكّئاً على عكّازتهِ. ومع ذلك فكان بينهُ وبين الشيطان حرب مداومة حتَّى انَّ هذا العدوّ القتَّال هجم عليهِ ذات يوم مع عدد وافر من جنودهِ وجلدوهُ بالقضبان جلداً قاسياً حتَّى قال القدّيس فيما بعد إِنَّهُ لن يوجد في العالم عذاب أليم يساويهِ. فلذلك سقط مغشيّاً

عليهِ. ثمّ استفاق وقام بكلّ شجاعة أمام الشياطين وقال لهم: هأَنذا أنا هو انطونيوس: لا أهرب منكم ولا أختفي عنكم اعملوا ما قدرتم عليهِ فلا تقدر قساوتكم ان تفصلني من يسوع المسيح. وبدأَ يترنَّم بهذه آية النبي: ولو أنني محتاط من أعدائي فلا يفزع قلبي أبداً* فصرّ الشياطين أسنانهم عليهِ وتظاهروا لهُ بصور وحوش ضاربة من أسد ونمر وفهد وثور وذئب وحيَّات وعقارب وغير ذلك وهجموا عليهِ بضجيج عظيم وأخذوا ينهشونهُ ويمزّقون جسدهُ بأنيابهم وبمخاليبهم ويرفسونهُ ويتجاذبونهُ بشراسةٍ شيطانيَّة. فأمَّا هو فكان يضحك مستهزئاً بهم ويقول لهم: يا لكم من ضعفاء جبانين. ما بالكم قد اجتمعتم جميعاً على واحد. انَّ أحدكم لا يستطيع أن يظفر بإنسان واحد ضعيف فكيف تردّيتم كلّكم بزيّ وحوش ضارية. أين ذاك الوجه الملاكي الذي كان لكم. أُفٍّ لكم ولأعمالكم أيّها المرَدَة. ان كان لكم قدرة عليّ فابتلعوني والاّ فلمَ باشرتم عملاً لا تستطيعون أن تنجحوا فيهِ* فللوقت سطع نور في تلك المغارة ازال ذلك القتام وطرد تلك الخيالات الجهنميَّة وحالاً شُفي القدّيس من جروح الأبالسة التي كانت قد مزّقت جسمهُ. فعلم انطونيوس أنّ يسوع المسيح ظهر لهُ. فصاح بصوت موجع قائلاً: أين كنتَ يا سيّدي. لمَ لم تحضر قبل الآن لتساعدني على أعدائي في حومة هذه الحرب* فأجابهُ الربّ بصوتٍ حلو قائلاً: انَّني كنتُ ههنا ناظراً إلى جهادك. ولأنَّك كافحتَ أعداءَك كالبطل الشهم فانا أكون ناصرك وأذيع اسمك في العالم كلّهِ وهكذا صار لأنَّ الله أعطاهُ موهبة

عمل العجائب وقوّةً على طرد الشياطين* ثمّ انّ الشيطان لم يعد يجسر أن يهجم عليهِ بذراع مسلّحة أو بقُوى حيَّة بل كان ينصب لهُ اشراكاً. فمن ذلك انَّ مار انطونيوس إذ كان ماشياً ذات يوم في البرّيّة رمَى المحتال أمامهُ مقداراً وافراً من الفضَّة. فإذ رآها القدّيس وقف عن المشي وعرف احبولة الشيطان فقال لهُ: لتمضي معك فضّتك إلى الهلاك أيّها العدوّ الجهنميّ. ففي الحال استحالت تلك الفضَّة إلى دخان واضمحلّت*

ويوماً آخر رأَى في ذلك المكان عينهِ ذهباً كثيراً كان المكّار قد وضعهُ ليخدعهُ بهِ. فهرب فارّاً إلى أن وصل الدير. وكان هناك قصر متروك تسكنهُ الوحوش الضارية والحيَّات فطردها وجعل مقامهُ فيهِ واستمرّ هناك عشرين سنةً والباب مسدود عليهِ لا يراهُ أحدٌ ولا يَرى أحداً غير راهبٍ كان كلّ يوم يأتيهِ مرّتين بقليل من الخبز والماء لعيشتهِ الضروريَّة فكان يناولهُ ذلك من الطاقة* وكان كثيرٌ من الناس يأتون إليهِ ليستشيروهُ أو ليستشفوا من أمراضهم فكانوا يكلّمونهُ من خارج وهم واقفون على بابهِ لا يرونهُ وينالون مطلوبهم. فكانوا أحياناً يسمعون أصواتاً تتشاجر معهُ وتونّبهُ قائلةً: لماذا دخلت بيتنا. ما عملك في هذه البريَّة. اخرجْ من حدودنا فانَّك لا تقدر أن تعيش فيها ولا أن تقاوم قوّاتنا. فالذين كانوا يسمعون هذه الأصوات كانوا يظنّون أنّ بعضاً من البشر عندهُ داخلاً يتشاجرون معهُ إلاّ أنَّهم عرفوا فيما بعد أنَّها كانت أصوات الشياطين. فكانوا

يخافون. وكان القدّيس يشجّعهم قائلاً: تسلّحوا بعلامة الصليب ولا تخافوا الشيطان أبداً لأنَّهُ غُلب وطُرد من العالم بهذه العلامة* فبعد أن سكن هناك عشرين سنة خرج وعمَّر أديرةً وجمع فيها رهباناً وعاش معهم مرشداً ايَّاهم في طريق الكمال والفضيلة*

ثمّ انَّ هذا الأب بعد ما قضىماية وخمس سنين من عمرهِ وقد ملأَ العالم برائحة قداستهِ السامية وبأعاجيبهِ الباهرة دعاهُ ربّنا يسوع المسيح إليهِ لكي يجازيهُ على أتعابهِ بالراحة الأبديَّة. ففرح بذلك وجمع رهبانهُ واعلمهم بسفرهِ من هذا العالم وارشدهم أن يثبتوا في خدمة الله وأوصاهم أن يدفنوهُ بعد موتهِ في مكانٍ خفيّ لا يعلم بهِ أحد قاصداً بذلك التجنّب من إكرام الناس. ثمّ قبّل رهبانهُ وبسط رجليهِ وسلّم نفسهُ المباركة لله. فصنع رهبانهُ ما أوصاهم بهِ ودفنوهُ في قبرٍ محجوب وبقي مخفيّاً إلى أن بعد مدّة من الزمان وُجد جسدهُ بوحيٍ إلهيّ. فنُقِل من تيبابيدة إلى الإسكندريَّة. وبعد ذلك أُخِذ على وِيَنّا من أعمال فرنسا حيث تُكرَم ذخائرهُ* وكان موتهُ في اليوم السابع عشر من شهر كانون الثاني سنة ٣٥٧

* اليوم الثامن عشر *

مار قوريللس الاسكندري ـ إقامة مار بطرس كرسيّهُ في روميَّة

مار قوريللس الاسكندري

انّ هذا القدّيس الشهير كان في عهد الملك تاودوسيوس الصغير ولسموّ فضائلهِ أُقيم بطريركاً على الاسكندريّة بعد وفاة عمّهِ تاوفيلس. وكان متعمّقاً في العلوم النظريّة والإلهيّة. وكان من أعظم المحاربين لنسطور الملحد الذي كان بطريركاً على القسطنطينية وكان يزعم أنّ في المسيح اقنومان. وانَّ مريم العذراء ليست والدة الله. وانَّ الروح القدس غير منبثق من الابن. فكان مار قوريللس يكاتبهُ أوّلاً بالوداعة والحلم لعلّهُ يردّهُ عن ضلالتهِ فكان نسطور يجاوبهُ بفضاضة. فلمّا رأَى مار قوريللس أَنَّهُ لا يحصل من ذلك منفعة كتب رسالةً إلى روميَّة إلى البابا كلستينس يخبرهُ بهذه الواقعة فأمر البابا بالتئام مجمع عام في افسس. فاجتمع فيهِ مايتا أسقف وكان قوريللس المتقدّم عليهم لأنَّ البابا جعلهُ نائبهُ في هذا المجمع المقدّس. فحرموا نسطور وتبَّاعهُ واثبتوا انَّ في المسيح اقنوم واحد الهيّ. وانّ مريم العذراء والدة الله حقّاً. وانّ الروح القدس منبثق من الآب والابن. ثمَّ انّ مار قوريللس بعدما أغنى الكنيسة بتآليفهِ العديدة النافعة ودبّر كرسيّهُ أيّ تدبيرٍ مدّة اثنتين وثلاثين سنة انتقل إلى الحيوة الأبديَّة في اليوم

التاسع من شهر حزيران سنة ٤٤٤ *

كرسي مار بطرس في روميّة

انّ مار بطرس الرسول بعدما أقام كرسيّهُ في مدينة انطاكية ومكث فيهِ متسلّطاً تسلّطاً عامّاً على جميع الكنائس مدّة سبع سنين انتقل إلى رومية ونصب فيها كرسيّهُ واستمرّ هناك خمساً وعشرين سنةً. ثمّ مات مصلوباً. فصار الكرسيّ الروماني من بعدهِ في يد خلفائهِ إلى اليوم. وسيدوم بنعمة الله إلى انقضاء العالم. وكلٌّ من هؤلاء الخلفاء يُسمَّى بابا أي أباً عامّاً لكنيسة المسيح* قال مار توما اللاهوتي: إنَّ الله قد اختار مار بطرس دون اخوتهِ الرسل واقامهُ رأْساً للديانة المسيحيَّة بسلطان مطلق على جميع كنائس الدنيا لأجل ثلاثة أسباب: أوّلاً لأَنَّهُ كان أقدم الرسل* ثانياً لأَنَّهُ كان يحبّ المسيح أكثر من جميع الرسل* ثالثاً لأَنَّهُ اعترف بهِ قبل جميع الرسل. فلذلك نال الطوبى من يسوع المسيح وتسلّم مفاتيح الرياسة المطلقة دون الرسل* وأمَّا كرسيّ مار بطرس الذي كان في أنطاكية. فأُقيم عليهِ اوديوس البارّ بطريركاً* وكان انتقال كرسيّ مار بطرس إلى روميَّة سنة ٤٥ للمسيح*

* اليوم التاسع عشر *

مار مارس وزوجته مرتا الشهيدَين

انَّهُ في عهد الملك قلودس الثاني كان رجل فارسيّ شريف اسمهُ مارس ولهُ زوجة اسمها مرتا وولدان اسم الواحد اوديفاس والآخر اباكُوم. وكانوا مسيحيّين ذوي فضيلةٍ عظمى. فجاؤا جميعهم إلى رومية لكي يؤَدّوا الاكرام للقدّيسين ويصلّوا عند ضريحَي بطرس وبولس* فبعدما قضوا أربهم أخذوا يستعملون زمانهم وأموالهم في مساعدة المعترفين بالايمان الذين حسبهم قلودس القاسي: فكانوا يعزّون الحزانى. ويدارون المرضى. ويطعمون الجياع. ويكسون العراة. ويشجّعون المتألّمين ليسوع المسيح. ويدفنون الموتى ويؤَدّون أنواعاً أُخر مختلفة من الخدمة للمستشهدين حتَّى انَّهم كثيراً ما رُؤُوا في السجن يأخذون الماء الذي بهِ غسلوا أرجل القدّيسين فيسكبونهُ على رؤُوسهم متبرّكين بهِ بما أَنَّهُ لمس هولاء الذين يستشهدون من أجل يسوع المسيح* فلأجل هذه الأعمال الصالحة أمسكهم السلطان وجبرهم على أن يضحّوا للأوثان. فلمّا لم يمكنهُ أن يزحزحهم عن ايمانهم اسلمهم إلى ماقينس الوالي. فهذا عرّى القدّيس مارس وولديهِ ومزّق أجسادهم بالسياط بحضور مرتا ثمَّ عذّبهم بأمشاط حديديَّة. فكان الشهداء في وسط العذاب يشكرون الله الذي أهَّلهم أن يتأَلّموا من أجل اسمهِ الذي محبَّتهُ كانت تعضدهم وكانوا يرتّلون مراحمهُ* أمَّا مرتا التي كانت تماثل شموني المقابية فكانت تشجعهم

وتعطيهم الطوبى. ثمَّ قالت لولديها: تشجّعا يا ولديَّ وتألّما بقلب ثابت لكي تحفظا ذاتكما للسعادة الأبديَّة* ثمَّ بعد ذلك قطعوا أيديهم وعلّقوها في أعناقهم. وكانوا يطوفون بهم في شوارع روميَّة وأزلَّتها ومنادٍ ينادي قائلاً: ألا لا تجدّفوا على الآلهة* فأمّا هم فكانوا يجيبونهُ قائلين انّ الآلهة التي تسجد لها هي شياطين تلقيك في الغرور وتهلكك أنت وسلطانك* وكانت مرتا تمشي وراءهم وتجمع الدم الذي كان يسيل من أعضاء زوجها وولديها المقطوعة وتدهن بهِ رأسها معتبرةً ايّاهُ مثل بلسم ثمين* وكان قلبها متعطّشاً وتائقاً إلى الاستشهاد مع زوجها وولديها* وأخيراً أتوا بهم إلى خارج المدينة وقطعوا رؤوسهم ثمّ طرحوا أجسادهم في النار فلم تحرقهم بالتمام. فامَّا القدّيسة مرتا فالقوها في بئْر وهناك تمّمت استشهادها* فاحدى النساء التقيَّات أخرجت جسدها من البئر ودفنتهُ في القبر الذي دُفِن فيهِ بقيَّة أجساد زوجها مار مارس وولديها اوديفاس واباكوم. وكان استشهادهم في اليوم التاسع عشر من شهر كانون الثاني سنة ٢٧٠ للمسيح*

* اليوم العشرون *

مار فابيانس البابا الشهيد ـ مار سبستيانس الشهيد

مار فابيانس البابا الشهيد

انّ هذا البابا كان في أيَّام الملك فيلبّس قيصر أصلهُ من رومية وقد انتُخِب بابا باعجوبة وذلك انَّهُ بينما كان الشعب في الكنيسة مجتمعاً لانتخاب خليفة للبابا انطارس المستشهد دخل فابيانس إلى الكنيسة وإذا بحمامة وقفت على رأْسِهِ. فصاح كلّ الشعب قائلاً: هذا هو البابا. فأقاموهُ على الكرسيّ الرسولي. وبعد انتخابهِ تنصّر على يدهِ الملك فيلبّس قيصر المذكور هو وابنهُ* وأقام هذا البابا مؤَرخّين يكتبون قصص الشهداء وشمامسة يعتنون بتدبير الأرامل والأيتام ورسم ان يكون تكريس الميرون في كلّ سنة في يوم الخميس الكبير وان يُحرَق العتيق. ثمّ بعد أن دبَّر الكنيسة نحو خمس عشرة سنةً تكلّل بالاستشهاد على يد داكيوس الملك في اليوم العشرين من شهر كانون الثاني سنة **٢٥٣** للمسيح*

مار سبستيانس الشهيد

إِنّ هذا الشهيد كان في أيَّام ديوكلتيانس الملك منشاهُ في مدينة

مديولان من أصل شريف وكان جنديّاً بطَلاً ولشهامتهِ صار قائد جيش ديوكلتيانس. ولم يعلم بهِ أحد أنَّهُ مسيحي. ثمَّ أراد أن يظهر ديانتهُ فكان يحرّض المضطهَدين من أجل ايمان المسيح على الثبات. وكان ملازماً الوعظ والتعليم فآمن على يدهِ كثيرون. وقد أطلق لسان امرأَةٍ خرساء وعمل آيات اخر غيرها* وعلى يدهِ تنصَّر قلودس والي رومية وغيرهُ من الاشراف الرومانيّين. ثمَّ جعل بيتهُ محلّ ضيافةٍ للمسيحيّين وكان يجزل عليهم النفقات ويساعدهم في احتياجاتهم الروحيَّة والجسديَّة* فلمّا علم بهِ الملك قبض عليهِ وحكم عليهِ ان يُربَط في خشبةٍ ويُرمى بالاسهم ففرح القدّيس بذلك وشكر الله الذي جعلهُ أهلاً لأن يحظى بشرف الاستشهاد. فقدّم لهُ ذاتهُ بجملتها. فرماهُ الجنود بالنبل حتَّى أضحى جسدهُ شبيهاً بالقنفد فظنّوا أنَّهُ مات فتركوهُ* ولمّا جنّ الليل جاءَت امرأَة مؤْمنة ذات تقوى وأنزلتهُ من على الخشبة وفيهِ رمق فحملتهُ إلى بيتها وداوت جروحهُ أيَّاماً حتَّى شفي. فظهر امام الملك ووبّخهُ على قساوتهِ وبغيهِ بقتلهِ النصارى الأبرياء وانذرهُ بقوّة يسوع المسيح. فلمّا راهُ الملك انذهل بهِ لعلمهِ بأنَّهُ قد مات وأمَر فجلدوهُ بقضبان من حديد حتَّى مات وتمّت شهادتهُ. وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر كانون الثاني سنة ٢٨٨ للمسيح*

* اليوم الحادي والعشرون *

القديسة اغنيسة الشهيدة

إِنَّ هذه الفتاة القدّيسة وُلدت في روميّة في أيّام ديوكلتيانس الملك من أبوين شريفَي الأصل وخائفين من الله. فاهتمّا بتربيتها تربيةً مسيحيّة. ولمّا بلغت السنة الثالثة عشرة من العمر قبض عليها ولي روميّة وأراد أَن يجبرها على أن تعبد الأوثان وتتزوّج بابنهِ الذي كان قد أُغرم بهواها. فانكرت عليه ذلك قادحةً بآلهتهِ الباطلة ورافضةً الاقتران بابنهِ. وذكرت لهُ بأنّها لا تريد أبداً أن تفترق من حبيبها ومخلّصها يسوع الذي خصّصت لهُ نفسها واتّخذتهُ لها عريساً منذ نعومة أظفارها. فاغتاظ الوالي من كلامها هذا وعزم أن يمكّن ابنهُ منها غصباً. فإِذ همّ ابنهُ على اجراءِ هذا الفعل المنكَر عاقبهُ الله حالاً بالموت. فلما شاهد أبوهُ ذلك طفق يتوسّل إلى القدّيسة بأَن تحييهُ. فصلّت واحياهُ الله وقام من الموت مؤْمناً يصرخ لا يوجد الاه غير الله خالق السماء والأرض الذي لهُ وحدهُ فقط تسجد النصارى. وانّ الأوثان هي شياطين تضلّنا لكي تسقطنا في جهنّم. فنسبوا هذه الكرامة إلى سحر من القدّيسة فطرحوها في النار فلم تؤْذِها بل احرقت من كان حولها من الكفّار. وأخيراً قطعوا رأسها في اليوم الحادي والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ٣٠٤ للمسيح*

وفيما كان ذات يوم أبواها وانسباؤُها يبكون عند قبرها وإذا اغنيسة قد ظهرت لهم بصورة جميلة جدّاً ومعها بتولات كثيرات

فقالت لهم: كفّوا عن البكاء عليّ يا والديّ وانسبائي وتعزّوا لأنّي لم امت بل أنا عائشة بحيوة أبديّة وقائمة مع هولاء البتولات في خدمة يسوع الذي سفكتُ دمي حبّاً لهُ وهو الآن يكرمنا ويشرّفنا جدّاً في ملكوتهِ السمويّ قالت هذا ثمَّ توارت عنهم ففرحوا بذلك وتعزّوا*

* اليوم الثاني والعشرون *

مار طيمُثاوس الرسول ـ مار منصور الشهيد

مار طيمثاوس الرسول

انّ هذا القدّيس كان في أيَّام تَربانس قيصر من مدينة لسترة من أعمال أناضول. وكان أبوهُ يونانيّاً وامَّا امّهُ المدعوّة افنيكي وجدّتهُ لوئيس اللتان كانتا مشهورتين لأجل ايمانها فاهتمّتا في تربيتهِ اهتماماً مقدّساً حتَّى صارت الكتب المقدّسة مغروسةً في عقلهِ من صباه. وفي شبابهِ اهتدى إلى معرفة الحقّ بيسوع المسيح على يد بولس الرسول. وقد اتّخذهُ هذا الرسول تلميذاً لهُ وكان حاذقاً ماهراً في فهمهِ وعقلهِ وعملهِ فصيّرهُ مار بولس شريكاً لهُ في الرسالة والتعليم فافاد البيعة كثيراً* ومع انَّهُ كان نحيف الجسم كان قويّاً بالايمان وغنيّاً بالمواهب الروحيَّة. وقد سامهُ مار بولس اسقفاً على افسس وهو في سنّ الحداثة.

وكتب إليهِ مار بولس رسالتين الأولى من مكدونية إلى افسس. والثانية من رومية إلى افسس في سنة ٦٥ للمسيح بعد الأولى بسنة* وفيما كان طيمُثاوس في افسس صار عيدٌ للوثنيّين وكان لهم عادة في هذا العيد أن يمسكوا باليد الواحدة صنمهم وبالأخرى سيفاً ويطوفوا في المدينة ويقتلوا من يحبّون قتلهُ ضحيَّة لآلهتهم. فوبَّخهم القدّيس على ذلك وفضح قباحة أصنامهم. فللوقت غضبوا عليهِ ورجموهُ وسحبوهُ في شوارع المدينة حتى تمزّق جسمهُ واسلم روحهُ في يد الله. وكان ذلك في اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٠٩ للمسيح*

مار منصور الشهيد

انَّ هذا الشهيد وُلد في مدينة هويسكا من أعمال ارّغون وتربَّى في سراغوسا قاعدة هذه المملكة. فمنذ نعومة أظفارهِ سلك في سبيل التقوى والفضيلة ودرس العلوم. ثمَّ سامهُ مار والريوس اسقف سراغوسا شمّاساً. ولأنّ هذا الأسقف كان ثقيل اللسان لشيخوختهِ قلّدهُ وظيفة الوعظ وكان ذلك في عهد ديوكلتيانس ومكسميانس القيصرين العدوَّين ليسوع المسيح اللذين لم ينفكّا من اهراق دماء المسيحيين. فهذان السلطانان أرسلا داسيوس إلى اسبانيا والياً عليها من قبلهما. فإذ بلغ هذا الوالي إلى سراغوسا باشر اضطهاداً شديداً للنصارى وطفق يمسكهم ويعذّبهم. ومن جملتهم كان مار والريوس

وشمّاسهُ مار منصور فقيّدهما باغلال من حديد واخذهما إلى والَنسا من أعمال اسبانيا والقاهما في سجن مظلم قذر حيث بقيا مدّة أيَّام لا يُقدّمون لهما طعاماً ولا شراباً. ثمَّ احضرهما داسيوس أمامهُ. وقال لهما: الاَ تطيعان القيصرين وتسجدان لآلهتهما. فالأسقف لشيخوختهِ وثقل لسانهِ لم يجاوب بشيءٍ. فحينئذٍ رفع صوتهُ مار منصور وقال: ما هذا يا أبي. لمَ لا تجاوب وترضّ رأس الحيَّة الجهنمّيّة كانَّك خائف من هذا الكلب. ان كنتَ عاجزاً عن ذلك لشيخوختك وضعفك فائذن لي أن أجاوبهُ أنا. فاذن لهُ. فللوقت نظر مار منصور إلى داسيوس الوالي شزراً وقال لهُ: أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله. لتكن آلهتكم لكم وقدّموا لها أنتم بخوركم وضحاياكم واسجدوا لها. فامَّا نحن المسيحيّين فانَّنا نعلم أنَّ آلهتكم هي صنعة ايديكم وهي صمّاء لا حركة ولا حسّ لها. فلا نعرف نحن سوى الذي خلق السماء والأرض بمجرّد إرادتهِ والذي بعنايتهِ فقط يدبّر الكون. ولا نؤْمن الاّ بهذا الإله ولا نسجد الاّ لهُ ولابنهِ يسوع المسيح الذي تنازل ولبس جسدنا ومات من أجلنا على الصليب. ولذلك نحن مستعدّون لأن نحتمل كلّ نوع من العذاب حبّاً لهُ* فغضب الوالي غضباً شديداً عليهِ وطرد والريوس الأسقف وقضى على منصور بعذاب أليم. فعرّاهُ للوقت الجلاّدون وربطوهُ في خشبة وجلدوهُ. وفي مدَّة جلدهِ كان يقول لهُ داسيوس الوالي الظالم: ألا ترى جسدك المتفاصل الأعضاء* فكان يجيبهُ الشهيد ضاحكاً: هذا الذي كنتُ أتوق إليهِ دائماً. فلا تسكّن غضبك وتشفق عليَّ فانَّهُ بمقدار

ما تكون معاملتك ايّاي أشدّ قساوةً فبازيد من ذلك يكون اكليلي مسجَّداً واكمّل بالأحسن الاشتهاء الذي لي أن أموت حبّاً لمن مات عنّي في الصليب. فشقَّت هذه الكلمات على الوالي. فاقبل على الجلاّدين قادحاً النار من عينيهِ وقاذفاً زفرات الغضب من فمهِ وزائراً مثل الأسد وأخذ السياط من أيديهم وطفق يضربهم بها قائلاً: يا قليلي القوّة اما قدرتم أن تميتوهُ تحت الضرب. فرفع الشهيد البطَل عينيهِ نحوهُ وأجابهُ اشكر فضلك على حسن صداقتك لي لأنَّك انتقمت لي من الذين يضربونني ويسيئون إليَّ* فازداد غضب الوالي عليهِ لِمَا رأَى من استهزائهِ بهِ وبعذاباتهِ. فأمر الجلاَّدين أن يعيدوا عليهِ الضرب وأن يمزّقوا جسدهُ عضواً فعضواً باظفار من حديد فعملوا ما أمرهم بقساوة بربريَّة. ومع ذلك فكان الشهيد يضحك بهم قائلاً: يا لكم من ضعفاء جبانين. انّي كنتُ أظنّكم شجعاناً* وأخيراً اضجعوهُ على سرير حديديّ محمرّ بالنار. فاشتوى لحمهُ ولم يبقَ فيهِ إلاَّ العظام وكانت سوداء محروقة. وهذا جندي يسوع المسيح الهُمام الصنديد كان كما انَّهُ نائِم على سرير من الزهور. وكان دائماً يضحك على الجلاَّدين* فلمّا رأَى داسيوس نفسهُ مغلوباً من هذا الرجل القدّيس أمر أن يحبسوهُ في سجن مظلم ويضجعوهُ على خزفٍ مكسَّر ويقلّبوهُ عليها ظهراً لبطنٍ. فلمّا عُمل بأمر الوالي ظهر نور في ذلك الحبس المظلم وفاحت رائحة ذكيّة وجاءت الملائكة لزيارة هذا الشهيد المعظّم منغّمين أناشيد حلوة. فاضطربت الحرّاس من ذلك وظنّوا أنّ الشهيد هارب. فحينئذٍ قال

لهم: لا تخافوا فانّي لستُ أهرب من ههنا. تعالوا وانظروا ما بعث لي الهي لكي تعلموا عظمة الملك الذي أنا أخدمهُ وأتألّم لأجلهِ. ثمَّ قولوا لداسيوس من قِبَلي أن يخترع أنواعاً جديدة من العذابات لأنّي شفيتُ بالكلّيّة وأنا مستعدٌ لأن أحتمل بتجلّد أكثر من الأوّل* فلمّا بلّغوا كلام القدّيس إلى الوالي أخذهُ التعجّب والانذهال وشرع يفتكر في الحيلة التي بها يقدر أن يتمكّن من هلاكهِ. ثمَّ أمر فأُحضِر الشهيد أمامهُ واضجعهُ على سرير ناعم لطيف جدّاً وأخذ يتلطّف بهِ. الاّ أنَّهُ لم ينتفع شيئاً لأنَّ الشهيد أحبّ العذابات أزيد من رقادهِ على سرير ناعم فاستودع نفسهُ لله* فلمّا رأَى ذلك داسيوس جزم أن ينتقم منهُ بعد موتهِ لأنَّهُ لم يقدر أن يقهرهُ في حياتهِ فطرح جسدهُ للكلاب والوحوش والطيور حتَّى يكون ماكلاً لهنَّ ولكن قد خاب أملهُ لأنَّ الله حاماهُ وجعل غراباً يطرد كلّ من دنا منهُ من الوحوش والطيور* فلمّا علم بذلك داسيوس. صاح مثل مجنون. أَوَ تغلبني يا منصور بعد موتك أيضاً. وأعضاؤك الباردة المجرّدة من اللحم تحاربني* ثمَّ التفت إلى خدَمهِ وأمرهم فحملوا هذا الجسد ورموهُ في قعر البحر لكي يكون قوتاً للأسماك. فاخرجتهُ يد القادر على كلّ شي إلى الشاطئ. فلمّا رآهُ الجنود خافوا ولم يجسروا أن يدنوا منهُ. ثمَّ بعناية الله حفرت لهُ الأمواج بتلاطمها مكاناً في شاطئ البحر وغطّتهُ بالرمل. وبقي على أن اعلم هذا الشهيد إحدى النساء التقيَّات بجسدهِ ودلّها على المكان. فاخرجتهُ ودفنتهُ خارج أسوار مدينة والَنسا وشُيّد على قبرهِ كنيسةٌ لاكرامهِ. وكان

تكليلهُ بالاستشهاد في اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ٣٠٣ للتجسد الإلهيّ*

* اليوم الثالث والعشرون *

مار يوحنا بطريرك الاسكندريّة المدعوّ الرحوم أو عامل الصدقات ـ

مار ريمندس البنفرتي

مار يوحنا الرحوم

إِنَّ هذا القدّيس البطريرك الرحوم وُلد في جزيرة قبرص. وكان أبوهُ وثنيّاً غنيّاً جدّاً وحاكماً في هذه الجزيرة. ومنذ صغرهِ اهتمّ والداهُ بإرشادهِ وتعليمهِ. ولمّا شبَّ زوّجوهُ غصباً وجاءهُ أولادٌ. ثمّ ماتت زوجتهُ فشكر الله على أنّهُ عتقهُ من رباط الزيجة لكي يكرّس ذاتهُ بجملتها لخدمة يسوع المسيح. فبدأً يمارس كلّ نوعٍ من أفعال الرحمة ويعمل صدقات وافرة من أموالهِ فلذلك سُمّي الرحوم وذاع صيتهُ في كلّ الشرق حتَّى سمع بخبرهِ الملك هرقليوس الذي كان موجوداً في القسطنطينيَّة. وبعد وفاة بطريرك الاسكندريَّة استدعاهُ الملك وطلب إليهِ أن يرتضي بالجلوس على الكرسيّ الاسكندري لأجل تدبير الكنيسة. فأبى مار يوحنا محتسباً نفسهُ غير مستحقّ. وأخيراً أطاع أوامر الله الذي انتخبهُ بعلامات بيّنات* فلمّا استقرّ على كرسيّ

الاسكندريَّة أخذ باستئصال الشوك والارطقات من كرمها فكان يرشد الناس إلى طريق الفضيلة ويدبّر كنيستهُ بفطنة عجيبة وبغيرة فعَّالة: فذات يوم إذ كان يقرّب الذبيحة الإلهيّة رأَى بعد قراءَة الإنجيل انَّ بعض الناس خرجوا من الكنيسة حسب عادتهم وجلسوا عند الباب من خارج يتكلّمون مع بعضهم. فترك هذا البطريرك قدَّاسهُ وخرج خارجاً وجلس مع الشعب. فلمّا رأوهُ انذهلوا من ذلك. فقال لهم: لا تتعجّبوا من هذا لأنَّ الراعي يجب عليهِ أن يتبع قطيعهُ انتهى* وبالاجمال انَّهُ كان حبراً شهماً وراعياً صالحاً هُماماً مجتهداً في تهذيب القطيع الذي استودعهُ لهُ الراعي الإلهيّ*

وكانت محبّتهُ للفقراء عظيمة حتَّى انَّهُ كان يجعلها لذَّتهُ الوحيدة مفتكراً انَّ اعطاء الصدقة هو أفضل عمل مقبول لدى يسوع المسيح. فكان عندهُ مكتوباً في ورقة أسماء جميع فقراء المدينة الذين بلغ عددهم إلى سبعة آلاف وخمسماية وكان يقيتهم يوماً فيوماً مهتمّاً بكلّ لوازمهم* فإذ بلغهُ يوماً أَنَّ قائد جيوش كسرى ملك العجم أخرب مدينة أورشليم أرسل إليها وكلاء من قبَلهِ بمبلغ وافر من الفضّة لفداء الأسرى واعطاهم قمحاً وثياباً لمساعدة المحتاجين وتعزية الحزانى. وشيّد بيمارستانات لمداراة المرضى*

ويوماً آخر أتى إليهِ خدّامهُ قائلين انَّهُ يوجد بعض نساء يطلبنَ صدقةً وعليهنّ شيءٌ كثير من الحلي. فهل نعطيهنَّ* فنظر إليهم قائلاً: أنا لم أرسلكم حتَّى تفحصوا عن احتياج من يطلب منكم الصدقة بل لكي

تعطوا من يطلبها. لأَنَّهُ لو كان الذي نعطيهِ هو لنا. لكنَّا نقدر أن نضع لذلك بعض حدود حسب فطنتنا. ولكن بما أنَّ الكلّ هو لله فيجب علينا أن نعمل بوصيّتهِ على مالهِ الآمرة أن نعطي للذين يطلبون منَّا وان نردّ ما لله لله. وان خفتم أن نخلص كنوز الكنيسة فاعلموا انّ غنى الله لا ينتهي ولو التجأَ كلّ العالم قاطبةً إلى الاسكندريَّة فأنا ألتزم بأن أقوم باحتياجاتهِ من مال الله*

ويوماً آخر جاءَ رجل لكي يجرّبهُ لابساً زيّاً فقريّاً متوسّلاً إليهِ أن يساعدهُ ويفديهُ لأَنَّهُ كان أسيراً فمنحهُ طلبتهُ. فانطلق وغيَّر لبسهُ وجاء ثانيةً مستعطياً فاعطاهُ إلى ثلاث مرّات. وأخيراً قيل للقدّيس أنَّ الرجل جاءَ ثلاث دفعات متنكّراً وأنت تعطيهِ. فأجاب انَّهُ لو جاءَ ألف مرّة لاعطيتهُ. لأَنَّهُ يمكن أنَّ يسوع المسيح يريد أن يجرّبنا متنكّراً بثياب الفقراءِ*

وامتحنهُ يسوع المسيح مرّةً. فسمح بأن تغرق ثلاث سفن لكنيسة الاسكندريَّة ممتلئة مالاً وكان هذا البطريرك الرحوم قد خصَّص ذلك المال لمساعدة المحتاجين. فخاف النواتيّ أن يغضب عليهم البطريرك لسوء تدبيرهم السفن فجاؤُوا والتجأُوا في الكنيسة. فلمّا علم هو بذلك استدعاهم وامّنهم وهدّأ روعهم وقال لهم أن لا يفتكروا في شيء لأنَّ هذا المال هو لله وهو الذي أعطاهُ وهو الذي نزعهُ وسيقدّر عوضهُ وسائط أخرى لمساعدة الفقراء* فمجازاةً لمحبّتهِ للمساكين عوّض الربّ عليهِ ما فُقد بأضعاف كثيرة*

وكان هذا الراعي الجوَّاد يحثُّ الناس على عمل الصدقة وذلك بأمثالهِ وبأقوالهِ* فحكى هو أنَّ رجلاً قدّيساً يُدعى سرابيون كان ماشياً ذات يوم حاملاً انجيلهُ في يدهِ فصادف فقيراً عرياناً. فإذ لم يكن لهُ شيءٌ أعطاهُ عباءَتهُ. ثمّ جاءَ إليهِ فقيرٌ آخر فأعطاهُ رداءَهُ وبالنتيجة كلّ من أتاهُ من الفقراء أعطاهُ شيئاً من كسوتهِ إلى أن بقي عرياناً أكثر من الفقراء فجلس وفي يدهِ الإنجيل. ولمّا سُئل مَن الذي شلّحهُ قال هذا الإنجيل الذي بيدي*

وكان مار يوحنا الرحوم مزيّناً بجميع الفضائل أيضاً فكان عجيباً في صبرهِ على مشقّات الحيوة. وفي غفرانهِ لمن كان يسيء إليهِ. فمن ذلك أنَّهُ إذ علم يوماً انَّ أحد الاقليرس واجدٌ حقداً عليهِ وكان هو يقرّب الذبيحة الإلهيّة. فلمّا وصل إلى الصلوة الربّيّة ترك القربان وجاء وانطرح عند قدمَي ذلك الرجل طالباً منهُ الغفران. ثمّ رجع وقال الصلوة الربّيّة وكمّل هذه الكلمات: اغفر لنا خطايانا كما نحن أيضاً نغفر لمن أخطأَ إلينا*

وكان مواظباً على عيادة المرضى ويحرضهم في موتهم ويدفنهم ويقدّس لراحة أنفسهم* وكانت حياتهُ تأمّلاً مداوماً في الموت*

فلمّا حان الزمان الذي ينتقل فيهِ هذا البطريرك المغبوط إلى الآخرة ليقتبل جزاء أتعابهِ قدم إليهِ من القسطنطينيَّة أحد ندماء الملك هرقليوس مخبراً إيَّاهُ بأنَّ الملك قاصدٌ محاربة كسرى ملك الفرس الذي غزا أورشليم وجلى عود فدائنا المقدّس. وقال لهُ أنَّهُ يلتمس

منهُ أن يحضر إلى القسطنطينيَّة لكي يباركهُ قبل انطلاقهِ فنزل القدّيس مع نديم الملك في السفينة وسافرا متوجّهَين إلى القسطنطينيَّة. فلمَّا بلغا إلى جزيرة رودس رأَى القدّيس رجلاً ذا هيبة ووقار ماسكاً في يدهِ عصاً. فدنا منهُ الرجل قائلاً: يا يوحنا ملك الملوك يدعوك. وهذه الرويا لم تكن في حلمهِ بل في يقظتهِ* فلمّا سمع القدّيس انَّ يسوع المسيح يدعوهُ إلى الحيوة الأخرى ترك نديم الملك وانطلق إلى جزيرة قبرص حيث وُلِد وكان فرِحاً مسروراً شاكراً الله وتوفّي هناك سنة ٦٢٠ ودُفن في كنيسة مار تيكون في قبر الأساقفة*

مار ريمندس البَنّفرتي الدومنيكيّ

انَّ القدّيس ريمندس ولد في سنة ١١٧٥ للمسيح في قصر بَنَّفُرت في كتَلَونيا. وكان نجاحهُ في الدرس سريعاً حتَّى انَّهُ لمّا بلغ السنة العشرين من عمرهِ صار يدرّس الفلسفة في مدينة برشلّونا مجَّاناً. ولمّا صار ابن ثلاثين سنة انطلق إلى مدينة بُلونيا في اطاليا لكي يتكمّل بدرس الفقه البيعيّ وعلم الأدبيّات. ثمّ ارتقى إلى درجة معلّم في تلك البلدة وعلّم وارشد بالغيرة والشهامة مثلما كان في وطنهِ. ثمَّ أخذهُ أسقف برشلّونا من هناك عند رجوعهِ من روميَّة وأعطاهُ وظيفة كاهن قانونيّ في كنيستهِ. ورقَّاهُ بالتدريج إلى وظيفة الخورنة ثمَّ إلى النيابة وسياسة الكنيسة. فكان يهذّب اقليرس برشلّونا بحسن سيرتهِ ومناقبهِ*

وكان مشهوراً خصوصاً بحرارة عيادتهِ واحتشامهِ وغيرتهِ ومحبّتهِ للفقراء وكان معتاداً أن يسمّي نفسهُ غريمهم*

فلمّا تصادق مع الأخوة الكواريز الساكنين في برشلّونا البسوهُ الثوب الرهبانيّ سنة ١٢٢٢ بعد وفاة مار عبد الأحد مؤَسّس هذه الرهبنة بثمانية أشهر وفاق سائر المبتدئين بحلمهِ وطاعتهِ وتواضعهِ وحرارة عبادتهِ* ولأنَّهُ أراد أن يتنقَّى بالتدريج من أدناس سنيهِ الأولى طلب من روسائهِ أن يفرضوا عليهِ توبةً صعبةً عن الكبرياء التي كانت فيهِ لمّا كان معلّماً. فاوجبوا عليهِ توبةً خفيفةً خلاف ما طلب وهي أن يصنّف كتاباً في سياسة الضمائر لإرشاد معلّمي الاعتراف وطلاّب علم الأدبيَّات وهو الذي يُدعى مختصر مار ريمندس. وهذا كان المصنّف الأوّل في هذا الباب. ولم يكن في قضاياهُ ما ليس بصحيح لأنَّها كلّها اقتُبِست من الكتاب المقدّس والتقليد* ولم يكن لهُ ممكناً أن يختلي لكثرة جولانهِ واهتمامهِ بخلاص النفوس لأَنّهُ كان يتعب على ترجيع الهراطقة واليهود والغير المؤْمنين إلى الايمان ويردّ الخطاة إلى التوبة. وكان من جملة تائبيهِ يعقوب ملك ارّغون. وكان أيضاً مرشد القدّيس بطرس نولاسكا الذي أعانهُ في انشاء أخويَّة الرحمة لفداء الأسرى* والبابا غريغوريوس دعاهُ إلى رومية وولاّهُ على قصرهِ. ثمّ جعلهُ معلّم اعترافهِ وكان يثق بهِ جدّاً ويستشيرهُ في الأمور الصعبة. وكان يدعوهُ أبا الفقراء لشدّة غيرتهِ عليهم* وفي ثاني سنة اختارهُ لرتبة المطران في تراكون. فأَبى بدموع غزيرة* ثمَّ رجع إلى برشلّونا

فأرسل إليهِ الأخوة الدومنيكيّون طالبين إليهِ بأن يرتضي أن يكون رئيس روساء في رهبنتهم. فأَبى أيضاً وفي الآخر اضطرّ أن يقبل ذلك طاعةً*

فذات يوم سافر إلى جزيرة تدعى مايُرك مع رجل أمير كان شجاعاً ومحبّ الديانة إلاَّ أنَّ محبَّة النساء أطغتهُ. فكان القدّيس يفرغ جهدهُ ناصحاً إيَّاهُ فلم ينتصح. وأخيراً اشمأَزّ منهُ مار ريمندس وجاءَ إلى شاطئ البحر ورمى عباءَتهُ على الماء مادّاً إيَّاها ثمَّ جلس فوقها والعصا بيدهِ وجثا مصلّياً إلى الله لكي يقوّيهُ. فلم يزل يطفو على الماء إلى أن وصل المينا بدون أن يبتلّ. ومن هناك انطلق إلى الدير ودخلهُ والأبواب مغلقة*

وإذ علم انَّ الموت قريب منهُ استعدّ لهُ بحرارة شديدة مصلّياً ليلاً ونهاراً ومواظباً على التوبة. ثمَّ مات في اليوم السادس من شهر كانون الثاني سنة ١٢٧٥ وكان عمرهُ ماية سنة ودُفِن. وجرت كرامات كثيرة عظيمة على قبرهِ*

* اليوم الرابع والعشرون *

اكليمنتس أسقف انقرة وإغاتنجلوس الشهيدين العظيمين ـ مار دوسيتاوس الراهب

أكليمنتس اسقف أنقرة وإغاتنجلوس الشهيدَين العظيمين

هذان القدّيسان كانا في أيَّام ديوكلتيانس قيصر من مدينة أنقرة إحدى بلاد غلاطية. أمَّا اكليمنتس فكان أبوه وثنيّاً وأمّهُ مسيحيَّة فترك أباهُ وتبع أمّهُ. ولزيادة فضيلتهِ أقيم أسقفاً على أنقرة ولهُ من العمر اثنتان وعشرون سنةً* وتاجر بوزناتهِ تجارةً عظيمةً فعلّم وارشد نفوساً لا تحصى. ثمّ قبض عليهِ والي مدينتهِ وأمر بتعذيبهِ. فاستقام المغبوط يُعاقَب من الولاة القساة واحداً بعد واحدٍ مدّة ثماني وعشرين سنةً حتَّى أدهش العالم صبرُهُ وجهادهُ وتعجَّبت ملئكة السماء من ثباتهِ ومحبَّتهِ. فكابد جلداً وتجريداً وتحطيماً وتهشيماً وبضعاً وسلخاً وحريقاً وغريقاً حتَّى أضحى مشهداً للملائكة وللناس وللعالم أجمع. ولقد ضجر المعذّبون ولانت صلابتهم واكليمنتس المجاهد لم يضجر ولا ارتخى ثباتهُ* وأمَّا القدّيس اغاتَنجلس فلم يكن عذابهُ أقلّ من عذاب رفيقهِ غير أنَّ أيَّام عذابهِ كانت أقلّ من أيَّام أسقفهِ لأنَّهُ مكث في العذاب ثمان سنين. ثمَّ قطعوا رأسيهما في مدينة أنقرة ونالا أجرهما في الراحة الأبديَّة*

مار دوسيتاوس الرهب

انَّ هذا القدّيس كان ابن أمير من أمراء الاسكندريَّة وتربَّى في كلّ نوع من الترفّه والتنعّم. فذات يوم إذ سمع في المزامير هذه الآية وهي: سمّر خوفك في لحمي لأنّي من حكوماتك جزعتُ. امتلأَ قلبهُ خوفاً عظيماً من دينونة الله الصارمة المدقّقة. فترك العالم وترهّب عند القدّيس دورُتاوس الذي كان تلميذاً للانباء بخُوميوس. وكان دوسيتاوس المذكور ضعيفاً جدّاً في جسمهِ. ولضعفهِ لم يكن لهُ استطاعة أن يساوي أخوتهُ في أعمالهم. ولكنَّهُ وضع في فكرهِ أن يسلّم إرادتهُ إلى الطاعة تسليماً مطلقاً فأقامهُ الرئيس في وظيفة خدمة الغرباء وكان يكمّلها بتعبٍ وصبرٍ جميلٍ ناظراً إلى الطاعة التي كان قد أوعد الله بها. واستقام في هذه الوظيفة الشاقّة مدّة خمسين سنة يتعب فيها ليلاً ونهاراً لأنَّ ديرهم كان مأْوىً للغرباء والمسافرين. وأخيراً اعتراهُ داءُ السلّ وبهِ تنيَّح منتقلاً إلى ربّهِ فأوحى الله إلى مار دورُتاوس يقول لهُ إِنَّ دوسيتاوس حصل على مكافاة انطونيوس الكبير وبولس أوّل السوّاح. فلمّا سمع الرهبان تقمقموا على تدبير الله قائلين. كيف يستحقّ مثل هذه المكافاة هذا الشابّ الذي عاش قليلاً في الرهبنة وما كان يمكنهُ أن يساوي أتعاب الرهبان ومشقَّاتهم. ففي أيّة درجةٍ تكون إذاً مكافاتنا نحن الذين قضينا حياتنا كلّها في الجهادات النسكيَّة* فسمعوا حينئذٍ الجواب من الربّ يقول: إِنّكم لم تعرفوا قوّة الطاعة وشرفها مثلما عرفها

دوسيتاوس. ولأجلها استحقّ في زمانٍ قليل أكثر ممّا تستحقّونهُ أنتم بالتقشّفات الزائدة المديدة*

* اليوم الخامس والعشرون *

ايمان مار بولس الرسول واعتماذهِ

انَّ مار بولس كان يهوديّ الأصل من سبط بنيامين قد وُلد في طرسوس كيليكة وتربَّى في أورشليم وكان يسمَّى أوّلاً شاول. وكان مضادّاً جدّاً للمسيحيّين. وهو الذي حثّ اليهود على رجم مار اسطِفانس أوّل الشهداء ورئيس الشمامسة* وإذ كان ذات يوم منطلقاً من أورشليم إلى دمشق برسائل من أحبار اليهود لكي يضطهد هناك المسيحيّين. فقبل أن يدخل دمشق برق بغتةً حولهُ نور من السماءِ فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً لهُ: شاول شاول لماذا تضطهدني. فقال مَن أنت يا سيّد. فقال الربّ أنا يسوع الذي أنت تضطهدهُ. فقال وهو مرتعد ومتحيّر يا ربّ ماذا تريد أن أفعل. فأجابهُ الربّ قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً. فاقتادهُ مَن معهُ بيدهِ وادخلوهُ إلى دمشق. وكان ثلاثة أيَّام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب* وكان في دمشق تلميذ اسمهُ حنانيا فأوحى لهُ الربّ وأخبرهُ

بأمر شاول وأَمَرَهُ فانطلق حنانيا إلى حيث كان شاول فرآهُ يصلّي. فأخبرهُ أنَّ يسوع أرسلهُ إليهِ. فعمّذهُ حينئذٍ حنانيا فانفتحت عيناهُ حالاً وصار لله اناءً مختاراً. وخرج يبشّر بايمان المسيح علانيةً حتَّى تعجَّب منهُ مَن كان يعرفهُ* قال القدّيس يوحنَّا فم الذهب: إنَّ مار بولس لمّا اعتمذ كان عمرهُ خمساً وثلاثين سنة. وكان من تلاميذ غملائيل نسيب مار اسطِفانس أوّل الشهداء* وهو الذي عمّذ سرجيوس وسمَّاهُ باسمهِ بولس لمحبّتهِ لهُ* وكان اعتماذ مار بولس الرسول سنة **٣٦** للمسيح*

* اليوم السادس والعشرون *

مار بلكربس اسقف مدينة ازمير الشهيد

إنّ هذا الشهيد المعظّم كان في أيَّام الملك مرقس اوراليوس وكان شيخاً مهاباً وأسقفاً على مدينة أزمير* وكان تلميذاً لمار يوحنّا الإنجيليّ أبي جميع كنائس آسيَّا وهو الذي سامهُ أسقفاً*

وفي ذلك الزمان صار شقاق بين المسيحيّين من جهة عيد الفصح وعيد القيامة فالتزم بُلِكربس أن ينطلق إلى رومية ويتكلّم مع البابا في شان تثبيت قانونٍ لذلك. ولمّا صار في رومية عرض هذا المشكل على البابا فحلّهُ*

وكان في رومية والنتينس ومرقيون الارطوقيّان يزرعان تعاليمهما

الفاسدة. فأخذ بُلكربس يكرز ويحثّ المومنين أن يتحرّزوا منهما كأعداء ليسوع المسيح. وهدى بتعاليمهِ المستقيمة وأمثالهِ الصالحة المقدّسة جمّاً غفيراً من الاراطقة إلى الايمان الكاثُليكي. ثمَّ رجع إلى ازمير. ولمّا كان هناك مرَّ بهِ مار اغناطيوس النوريّ بطريرك انطاكية الذي أخذهُ المضطهدون إلى رومية ليستشهد هناك. فقبلهُ مار بُلِكربس باكرام عظيم وحسدهُ على أنَّهُ منطلق ليموت قبلهُ من أجل يسوع المسيح. وبعد ما ودّعهُ مار اغناطيوس وسافر من أزمير كتب إليهِ رسالةً يحكيهِ فيها عن سفرهِ ويستودع نفسهُ إلى صلواتهِ*

وكان حينئذٍ في روميَّة ثلاثة قياصرة معاً وهم مرقس اوراليوس وانطونينس ولوقيوس ويرس. فثار في أيَّامهم اضطهادٌ عظيمٌ على الكنيسة فكان الكفَّار يمسكون النصارى ويعذّبونهم ثمَّ يهلكونهم. ووصل عجاج هذا الاضطهاد إلى آسيا وبلغ إلى مدينة ازمير* أمَّا القدّيس بُلكربس فكان محترساً بقطيعهِ. وكان يعزّي الحزانى ويشجّع الضعفاءَ ويساعد المحتاجين ويثبّت المسيحيّين في الايمان* فلمّا علم أعداءُ الله بأعمالهِ وانَّهُ ركنٌ لمسيحيّ آسيًا. توهّموا أنَّهم إذا هدّوا هذا الركن يسقط البنيان كلّهُ. فكانوا يطلبون قتلهُ* وكان بُلِكربس مشتغلاً في تكميل وظيفتهِ بلا خوف. فالحّ عليهِ كثيرون من المسيحيّين وتوسَّلوا إليهِ بلجاجة أن يهرب من المدينة وينطلق فيختفي في بيتٍ في البريّة. فانطلق واستمرّ هناك مدّة أيَّام مصلّياً إلى الله لأجل سلامة الكنيسة* ففتَّش عليهِ الوثنيّون. ولمّا لم يجدوهُ في المدينة أخذوا صبيَّين من النصارى وجلدوهما

حتى أقرَّا أنَّ بُلِكربس انَّ بُلِكرس الأسقف مختفٍ في البرّيَّة. فارسلوا جنوداً معهما ليقبضوا عليهِ. ولمّا وصلوا إليهِ هشَّ لهم وأضافهم في بيتهِ واكرمهم كثيراً وسأَلهم أن يمهلوهُ ريثما يصلّي قليلاً. وحينما كان الجنود يتغدّون كان بُلِكربس يصلّي طالباً من الله القوّة والمعونة على احتمال الشدائد والعذابات. وبعد أن ختم صلاتهُ أخذوهُ وأتوا بهِ إلى المدينة*

وبينما هم في الطريق صادفوا هيرودس رئيس البلد وأباهُ نيقاطاس فهذان أخذا الشيخ القدّيس واركباهُ على عجلتهما وطفقا يقنعانهِ أن يطيع أمر السلاطين ويسجد للآلهة لأنَّهُ ليس لهُ قوّة على احتمال العذاب بما أنَّهُ كان شيخاً ضعيفاً* أمَّا هو فكان صامتاً لا يُجيبهما بشيءٍ. فلمّا الحّا عليهِ قال لهما يا سيّديَّ لا تتعبا فانّي لا أُريد أن أعمل بما تقولان. فغضبا عليهِ وشتماهُ واوسعاهُ ضرباً وطرداهُ*

ولمّا أتت بهِ الجنود إلى الوالي وكان في الميدان اللعب. فقبل أن يدخل عليهِ بُلكِربس سمع صوتاً من السماءِ يقول لهُ تشجَّع يا بُلِكربس وحامِ ببسالةٍ عن حقّ الله. وكثيرون من المسيحييّن سمعوا هذا الصوت ولم يروا المتكلّم* ثمَّ قال لهُ الوالي: أَأَنت بُلِكربس الأسقف. قال نعم. فأخذ يتملّقهُ بمواعيد كاذبة في أن يترك دين المسيح. فلم يشأْ. فقال لهُ جدّف على المسيح واشتمهُ. فأجابهُ الشيخ القدّيس: إنَّ لي ستٌّ وثمانون سنةً أخدمهُ ولم أرَ منهُ ضرّاً ولا أذىً وقد أحسن إليَّ كثيراً فكيف أكافيهِ بالسبّ والكفران وأُقابل الخير بالشرّ مع أنَّهُ مولاي وملِكي والهي* فعند ذلك قال لهُ الوالي ان اطعتني والاَّ أحرقتُك حيّاً أو

طرحتُك للوحوش الضارية فافترستك. أجابهُ الشهيد من أين لي أن أتأَلّم من أجل سيّدي. احضر عاجلاً ما تريد فانّي لا أخاف أبداً من هذهِ النار التي تنتهي في برهةٍ وجيزة بل أخاف بالأحرى من تلك النار التي لا تنطفئ أبداً وهي شديدة الاحراق فلا تظنّني أخاف من عذاباتك. احضر الوحوش واضرم النار فانّي مستعدٌّ لاحتمال كلّ نوع من العذاب لكوني ثابتاً على قاعدة ايمان المسيح ولستُ أُريد أن أترك الخير واتبع الشرّ وابدل النور بالظلام* فتعجَّب الوالي من كلامهِ وامر جنودهُ أن يطوفوا بالشهيد في المدينة وينادوا بصوتٍ عالٍ انَّ بُلِكربس الملفان اعترف بأَنَّهُ مسيحيّ. فصاح الوثنيّون واليهود بصوتٍ واحد قائلين: ليُقتَل بُلِكربس معلّم آسيَّا لكونهِ أبا النصارى ومعلّم السحراء وهو الذي يقلب أمَّتنا ويهين آلهتنا. ليُحرق في النار حيّاً* فعند ذلك اسرعوا بحطبٍ وعملوهُ مثل مذبح ليحرقوا الشهيد عليهِ. فلمّا تحقّق ذلك عند القدّيس تدرّع بقوّةٍ من العلا ونزع ثيابهُ وخلع نعليهِ وحلّ منطقتهُ. فاقبل إليهِ جنود الوالي ليسمّروهُ على الحطب فقال لهم: دعوني فانّي لست محتاجاً إلى التسمير لأنَّ الله برحمتهِ الغزيرة يمنحني الصبر والتجلّد على احتمال عذاب هذه النار. فحينئذٍ ربطوا يديهِ إلى خلفهِ وساقوهُ مثل حمَل وديع ليكون محرقةً لله. ولمّا اضجعوهُ على مذبح الحطب رفع عينيهِ إلى السماءِ قائلاً: اقبل أيها الآب الأزلي ذبيحةً هذه الحيوة التي أعطيتنيها أنت هو ربّ العالمين أنت هو أبو مخلّصي الذي بهِ عرفناك والذي قدّم ذاته ضحيّةً عنَّا في الصليب. وبواسطتهِ أقدّم لك الآن ذاتي محرقةً

لاجل مجدك الأبديّ. أشكرك شكراً عظيماً على أنَّك أهَّلتني لأكون معدوداً ما بين شهدائك المغبوطين واشركنني في كاس آلام فاديَّ. امجّدك وأرفعك وأباركك مع ابنك الوحيد الكاهن العظيم والحبر الأبديّ الذي يحيا ويملك معك اتّحاداً مع الروح القدس إلى دهر الداهرين* وحالما فرغ من صلاتهِ هذه أضرم الجنود النار في الحطب. فكانت تتأجَّج ولا تضرّ جسد الشهيد. وأضحى جسمهُ يلمع مثل الذهب في الكور. وكان يفوح من لهبات النار روائح عطريَّة ذكيَّة* فلمَّا رأَى المضطهدون الظالمون انَّ النار لم تؤْذهِ نخزوهُ بالسيف. فسال منهُ دم غزير اطفأً النار وحينئذٍ طارت روحهُ إلى السماء لتتمتَّع بالاهها. وكان ذلك في اليوم السادس والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٦٩ للمسيح*

وكان بُلِكربس قبل موتهِ قد كتب رسالةً إلى أهل فيلبّي وكانت تُقرأ في الكنيسة علانيةً وفيها يوصيهم أن يثبتوا في الايمان والرجاء والمحبَّة ويحرّزهم من البخل كأصل جميع الشرور. ويعلّمهم كيف يربُّوا أولادهم. ويأمرهم أن يطيعوا الكهنة كما يطيعون الله. ويرشدهم إلى أشياء اخر مهمَّة* ومن جملة تلاميذهِ كان مار إِرناوس الشهيد المعظّم أسقف مدينة ليون*

* اليوم السابع والعشرون *

مار يوحنّا فم الذهب بطريرك القسطنطينيّة ومعلّم الكنيسة

انَّ هذا القدّيس المسمَّى لفصاحتهِ السامية فم الذهب وُلِد في مدينة انطاكية من أبوَين شريفين غنيَّين جدّاً الاّ أنَّهما كانا وثنيّين. فاهتمَّا بهِ أيّ اهتمام ووضعاهُ عند معلّمين حاذقين فاستفاد منهم جدّاً وتعلّم جمّاً من العلوم لرغبتهِ في ذلك وجودة قريحتهِ*

وفي ذلك الزمان كان ملاشيوس اسقفاً على أنطاكية. فلمّا رأَى انَّ يوحنَّا ذو فضيلة وعلم وفصاحة وأخلاق لطيفة سعى بربحهِ ليسوع المسيح وهدايتهِ إلى الايمان المستقيم ليجعلهُ خطيباً فصيحاً بكلام الله* فاقنعهُ أن يهجر الخدمة للأصنام ويشمّر لخدمة يسوع المسيح مخلّص العالم. فتنصَّر يوحنَّا وتنصَّر أهلهُ بواسطتهِ*

وكان هذا القدّيس منذ صغرهِ محبّاً للعلوم ومطالعة الكتب وقد احكم علم النحو والفصاحة والمنطق والفلسفة وسائر العلوم الرياضيَّة. ثمَّ انطلق إلى مدينة آثينا لكي يتعمَّق في العلوم عند معلّمين ماهرين جدّاً حتى يكون بذلك شرفاً لأصلهِ وفخراً لمدينتهِ. وبعدما ختم مسعاهُ فيها رجع إلى انطاكية وكان أهلها يحبّونهُ إلى الغاية*

وفي ذلك الزمان بدأَ يوحنَّا أن يستحقر العالم ولذَّاتهِ وأباطليهُ. وعزم أن يترهَّب في أحد الأديرة. فلمّا علمت أمّهُ غايتهُ استدعتهُ خفيةً وأخذت تكلّمهُ وتتوسَّل إليهِ بدموع غزيرة أَلاَّ يتركها* أمَّا هو فرقَّ

لها أوّلاً الاَّ أنَّهُ أخيراً اتّقد في قلبهِ حبّ الترهّب فترك بيتهُ وغناهُ وأصحابهُ وأهلهُ وحرّيّتهُ وانطلق إلى دير صعب القوانين ولبس فيهِ الزيّ الرهبانيّ. ومع انَّهُ كان شابّاً نحيف القوام أخذ يستعمل تقشّفاً شديداً بالصلوة والصوم والسهر وغير ذلك* وكان مواظباً على درس العلوم الإلهيّة ومطالعة الأسفار المقدّسة. فكان يفسّر من الكتاب المقدّس ما رآهُ نافعاً لاصلاح الأمور وتقديم الناس إلى التقوى* وفي مدّة سكناهُ في الدير صنَّف كتباً عجيبة بخصوص وظيفة الكهنوت* وكان ربّنا يسوع المسيح يظهر قداستهُ باشارات بيّنة. فمن ذلك أنَّهُ كان رجلٌ قدّيس في الدير اسمهُ اسيكيوس فهذا إذ كان مرّةً في الصلوة الفرضيَّة رأَى رجلين لابِسَين ثياباً بيضاً ذوي وجهٍ صبيح سمويّ قد اقتربا إلى يوحنَّا وكان في الصلوة أيضاً وامسكاهُ بيدهِ قائلَين: إنَّ يسوع المسيح أرسلنا إليك. وساعتئذٍ أحدهما وضع في يديهِ كتاباً وقال لهُ: خذ هذه الهديَّة التي بعث بها الله إليك. واعلم انّي أنا يوحنَّا الرسول والإنجيليّ الذي استراح على صدر يسوع المسيح. وانَّك بواسطة هذا الكتاب تفهم بسهولة جميع معاني الكتاب المقدّس وبمساعدتي لا يكون لك إشكال وصعوبة في شيءٍ* وامَّا الآخر فناولهُ مفاتيح قائلاً: اعلم انّي أنا بطرس هامة الرسل الذي اعترف بابن الله الحيّ. وانَّك ستُعطَى قدرة بها تدبّر النفوس* وفي مدّة ما كان الرسولان يخاطبانهِ كان هو منحنياً ومطرقاً بعينيهِ إلى الأرض. فقال لهما: انّي لستُ مستحقّاً هذه الخطوب العظيمة* فشجَّعاهُ وعانقاهُ وغابا*

وكان يوحنا الأوّل في الرهبان بالفضيلة والعلم. فلذلك كان الناس يكرمونهُ ويحترمونهُ. فلكي يتجنَّب من ذلك الاكرام نوى ان يترك الدير ويمضي فيسكن البريَّة ويعيش منفرداً غير معروف الاَّ من الله فقط. فاستأْذن رئيسهُ ورحل. واستمرّ في البرّيَّة سنتين متوحّداً لا يكلّم إنساناً. ولشدّة تقشّفهِ وقع مريضاً فالتزم أن يرجع إلى انطاكية ليعالج اسقامهُ*

ولمّا حُسِمت أداؤهُ سامهُ ملاشيوس اسقف انطاكية شمَّاساً انجليّاً وقلّدهُ وظيفة الوعظ. فظهر واعظاً فصيحاً بارعاً. واندهشت الناس من فصاحتهِ وعلمهِ. وربح كثيرين لله فسمّوهُ لذلك المنذر بالتوبة* وكانت أقوالهُ غويصة يعسر فهمها أحياناً على الناس. فنبّهتهُ على ذلك إحدى النساء التقيَّات فانتصح منها وأخذ يتأَنَّى في وعظهِ ويجتهد في تفيهمهِ للسامعين. فلذّ لهم خطابهُ كثيراً فلقّبوهُ بفم الذهب وفم الله وفم يسوع المسيح* وبعدما خدم وظيفتهُ في كنيسة انطاكية خمس سنين رجع إلى الانفراد في الدير*

وبعد زمان تخلّف على كرسيّ انطاكية مار فلابيانس. فهذا القدّيس إذ كان يصلّي ذات يوم صباحاً رأَى ملاكاً يقول لهُ آن اذهب إلى يوحنَّا فم الذهب في الدير الفلاني وتِ بهِ إلى الكنيسة وارسمهُ قسّيساً. وقد رأَى يوحنَّا أيضاً تلك الرؤْيا عينها* فقام فلابيانس وانطلق إلى ذلك الدير. ولمّا وجد يوحنَّا عانقهُ وخاطبهُ عن الرؤْيا وعن سبب مجيئهِ والزمهُ أن لا يقاوم إرادة الله. وفي الآخِر أخذهُ وأتى بهِ إلى كنيسة

انطاكية ورسمهُ فيها كاهناً. وفي رسامتهِ جاءَت حمامةٌ بيضاء واستقرّت على رأْسهِ ورآها الحاضرون فتحقّقوا أَنَّ ذلك إشارة تدلّ على أنَّ الروح القدس هو الذي انتخبهُ لهذه الدرجة* وأبدى مار يوحنا غيرة عجيبة على مجد الله وخلاص الأنفس. فكان يزور المرضى بمحبَّة عظيمة وشفى منهم كثيرين. ومن جملتهم كانت امرأَة رئيس انطاكية الهرطوقيّ العدوّ الأكبر للكاثُليكيّين. فهذا الرئيس جمع أوّلاً شيوخ طائفتهِ لكي يصلّوا على امرأَتهِ. ولمَّا كانت أوجاعها تزداد شيئاً فشيئاً بصلواتهم التزم أن يأتي بها إلى مار يوحنَّا فم الذهب ليشفيها. فجعل هذا القدّيس ان تحمَل المريضة على سرير إلى الكنيسة. وبعدما وبّخها على هرطقتها أخذ ماءً وقدّمهُ إلى مار فلابيانس أسقفهِ فباركهُ وقدّمهُ يوحنا إلى المريضة فحالما شربت منهُ شفيت ورجعت صحيحة متعافية إلى البيت مع زوجها. واعتقدا لذلك كلاهما بالايمان الكاثليكيّ. وكثيرون من الهراطقة دخلوا في حضن الكنيسة الكاثليكيَّة المقدَّسة*

وبعد أن استمرّ مار يوحنّا فم الذهب في درجة القسوسيَّة اثنتي عشرة سنةً مات بطريرك القسطنطينيَّة. فأراد الملك اركاديوس والشعب رجلاً غيوراً علاّمة يمسك زمام الكرسيّ القسطنطينيّ. وإذ كانوا يعلمون بفضل يوحنَّا فم الذهب وبمناقبهِ الشائعة الذكر كتب الملك اركاديوس رسالةً إلى مار فلابيانس بطريرك انطاكية فيها يطلب منهُ يوحنَّا فم الذهب ليكون بطريركاً على الكرسيّ القسطنطينيّ. فاستدعى فلابيانس مار يوحنَّا وأخبرهُ بنيَّة الملك وشعب القسطنطينيَّة وأقنعهُ أن يقتبل

هذه الوظيفة. فحزن أوّلاً لأنَّهُ كان يخال نفسهُ غير مستحقّ لها ولا قادر عليها وأخيراً قبلها طاعةً لبطريركهِ وللملك اركاديوس. فانطلق ولمّا دنا من مدينة القسطنطينيَّة خرج أمامهُ كلّ الشعب بأمر الملك وادخلوهُ باكرام عظيم وقبلوهُ بالفرح والسرور. فأُقيم بطريركاً على الكرسيّ القسطنطينيّ*

فلمّا استقرَّ فم الذهب على كرسيّهِ باشر تدبير الكنيسة. فكان لا يملّ من إنذار الشعب وتعليمهِ. ولم يكن يشغلهُ عن ذلك شاغلٌ* وكان سهلاً مع التائبين وصارماً نحو المصرّين على خطاياهم. فكان يوبّخهم في خطباتهِ. وبذلك استأْصل زِوان الرذائل من قلوب كثيرين وزرع مكانهُ قمح الفضائل*

وكان مواظباً على قراءة الأسفار المقدَّسة. وأعظم لذّتهِ كان في قراءَتهِ رسائل مار بولس الرسول. ولطالما ظهر لهُ صاحب هذه الرسائل وفسَّر لهُ معاني الأشياء الغويصة فيها*

وكان لهُ محبَّة حارّة واحترام عميق لسرّ الاوخرستيَّا. فأحياناً في تقريبهِ الذبيحة الإلهيّة كان ينزل إشارات سمويَّة على الأسرار المقدّسة*

وكان يحثّ الناس على المحبَّة. وينيرهم بتعاليمهِ الصحيحة. ويجادل الهراطقة وهدم لهم هيكلاً في مدينة فينيقيَّة. وشيَّد كنائس كثيرة. وبنى مارستانات عديدة لمداراة المرضى وقلّد لخدمتها كهنةً قدّيسين. وكان يخرج الشياطين من أبدان المجانين ويعمل أعمالاً عظيمة باهرة. فذاع صيتهُ في كلّ القسطنطينيّة وفي جميع جهات آسيَّا وبلاد الروم*

فلمّا رأَى الشيطان عدوّ خدّام الله هذا الرجل القدّيس والراعي الغيور انَّهُ قد حصل على كلّ هذا الاعتبار لم يقدر أن يحتمل ذلك فأخذ ينفث فيهِ سمّهُ* وذلك انَّ الملكة اودوكسيا زوجة اركاديوس الملك بغت ذات يوم على امرأَة أرملة واختلست كرمها. فإذ لم يكن مساعدٌ لهذه المسكينة جاءَت متوسّلةً إلى مار يوحنا البطريرك ان ينتصر لظُلامتها. فكتب إلى الملكة افدوكسيا طالباً أن تعوّض للأرملة ما أخذتهُ منها أو تردّ إليها كرمها. فلم تبالِ برسالتهِ. فالتزم أن يذهب إليها بنفسهِ ويخاطبها بلسانهِ. أمَّا هي فاستمرَّت على عنادها ولم تُرِد ان تردّ الكرم للأرملة*

فلمّا جاءَت اودوكسيا إلى الكنيسة يوم عيد الصليب منعها هذا البطريرك العادل من الدخول. وللوقت أحد خدَّامها استلّ سيفهُ وأراد أن ينتقم لإهانة سيّدتهِ ويُدخلها غصباً إلى الكنيسة. فاييس الله يدهُ. فمكثت اودوكسيا خارجاً غضبي على البطريرك ومندهشة من الأعجوبة التي عملها الله أمام عينيها. وحينئذٍ ندم ذلك الجنديّ على ما عمل فجاءَ إلى البطريرك يوحنا مستغفراً* فرقّ لهُ القدّيس وغسل يدهُ اليابسة بماء مكرّس فشفيت في الحال*

أمَّا الملكة اودوكسيا فلم تقدر أن تكظم غيظها على مار يوحنا فم الذهب فجمعت عليهِ مجمعاً من الأساقفة الذين كانت عيونهم مظلمة لا تقدر أن تنظر إلى نورهِ الساطع فحكموا عليهِ بالنفي ظلماً* وكانت الملكة تحرّك اركاديوس زوجها أن يطردهُ من القسطنطينيَّة عاجلاً.

فالتزم مار يوحنا أن يخرج من المدينة ليلاً. فحزن عليهِ الشعب حزناً أليماً* أمَّا الله الذي لا يمكن أن يترك الظالمين بلا قصاص فبعدما خرج القدّيس ضرب مدينة القسطنطينيَّة بزلزلة عظيمة. فكان جميع الشعب يصرخ في الأزقّة انَّ ذلك قصاص ربَّاني من أجل نفي البطريرك يوحنا فم الذهب ظلماً* فلئلاّ يصير شغب في الشعب التزم الملك أن يستردّهُ. فكتب إليهِ رسالةً ملتمساً منهُ أن يرجع ويضع السلم في المدينة. فرجع وقبلهُ أهلها بفرح عظيم*

ولمّا حصل في كنيستهِ واصل عملهُ الأوّل فكان يماثل القدّيسين بسيرتهِ والرسل بإنذارهِ* وذات يوم أراد الشعب أن يحتفلوا بعض الأعياد في كنيسة القدّيسة صوفيا وكان تمثال الملكة اودوكسيا منصوباً فوق باب الكنيسة. فنهى مار يوحنا البطريرك الشعب أن يحتفل العيد هناك لوجود التمثال* فلمّا بلغ ذلك الملكة تأَجّج في قلبها نار الحقد والغضب فجمعت عليهِ مجمعاً من الأساقفة وكان مقدّمهم تاوفيلس بطريرك الاسكندريَّة فحكموا عليهِ بالنفي ثانيةً إلى بلاد الأرمن. فخرج هذا الراعي البريّ من القسطنطينيَّة وخلّف البكاء والحسرات لقطيعهِ. وكان هو مسروراً فرحان لأنَّهُ حُسِب أهلاً ليُضطَهد من أجل الحقّ. وكان مضطهدوهُ قد بعثوا معهُ جنوداً للمحافظة عليهِ. وبعد سفرٍ شاقّ وصل القدّيس إلى كاكوسا وكانت مدينةً رديئةً ممتلئةً من عبدة الشمس والحيوانات فردّ منهم إلى الايمان الصحيح عدداً وافراً بتعاليمهِ وبعجائبهِ. ثمّ أخذتهُ الجنود من هناك إلى مدينة بثيونته وإلى أقاصي

البحر الأسود والمملكة الرومانيَّة. فضجر القدّيس جدّاً في هذا السفر لسوء معاملة الجنود إيّاهُ لأنَّهم جزموا على هلاكهِ. فوقع مريضاً واعترتهُ حمىً شديدة ووجع مؤلم في معدتهِ. ولم يُعطَ ساعة واحدة للاستراحة. فظهر لهُ في ذلك الحين مار بطرس ومار يوحنا الرسولان وعزّياهُ* ثمَّ أخذهُ الجنود وساروا بهِ إلى أن أوصلوهُ إلى كنيسة قريبة من مدينة كومانه كان مدفوناً فيها مار باسيليكوس الأسقف الشهيد. فظهر لهُ هذا القدّيس قائلاً: تشجَّع يا أخي يوحنّا وافرح لأنَّك غدا تكون عندي* ففرح فم الذهب بهذه البشارة وطلب إلى الجنود أن يأْذنوا لهُ أن يبقى في ذلك المكان. فلم يأذنوا ثمَّ أخذوهُ وسافروا فارجعهم يسوع المسيح كرهاً منهم. وبعدما تناول مار يوحنا البطريرك المغبوط الأسرار المقدّسة ردّ نفسهُ لله. وكان ذلك في اليوم الرابع عشر من شهر ايلول أي يوم عيد ارتفاع الصليب المقدّس سنة ٤٠٧ للمسيح*

وهكذا مات في النفي محتقراً من أجل تثبيت الحقّ هذا الأسقف العظيم تاج الكنيسة الشرقيَّة. ومثال الشجاعة في محاماة الايمان. واعجوبة الحلم في احتمال الشدائد. وعمق العلم والقداسة. والخطيب الأجلّ في زمانهِ. ومعلّم الأجيال العتيدة بتآليفهِ الغزيرة. والراعي الحقيقيّ الذي يبذل نفسهُ عن غنمهِ والمعترف. والشهيد. وافتخار الأحبار. والغيور على مجد الرب وخلاص النفوس*

وبعد موتهِ نزل عقاب الله على الذين اضطهدوهُ: فمنهم مَن مات بأشنع موتة مثل الملكة اودوكسيا وغيرها. ومنهم مَن ضُرب بالجرَب

وسائر الأمراض الكريهة حتَّى التزموا أن يقرّوا جميعاً بأنَّ غضب الله حلّ عليهم من جرى معاملتهم بالسوء هذا القدّيس البري*

وفي ذلك الزمان تخلّف لاركاديوس الملك ابنهُ تاودوسيوس الصغير فهذا الملك كان تقيّاً ومحبّاً للقدّيس يوحنا فم الذهب لأنَّهُ هو الذي عمّذهُ وعلّمهُ أصول التعليم المسيحيّ. فأراد أن يجلب جسدهُ إلى القسطنطينيَّة ليستغفرهُ عن معاملة والديهِ ايَّاهُ. فأرسل مشيريهِ لكي يأتوا بهِ. فذهبوا وجاؤا بهِ باكرام عظيم. ولمّا سمع الملك بخبر وصولهِ إلى المدينة تلقَّاهُ باحترام ووقار* ولمّا ادخلوهُ إلى الكنيسة انحنى الملك امامهُ وأخذ يستغفرهُ لوالديهِ ولا سيّما لأمّهِ اودوكسيا التي هي كانت سبب نفيهِ. وكان ذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ٤٣٨* والآن ذخائرهُ موجودة في روميَّة في كنيسة مار بطرس* وخلّف للبيعة المقدّسة تصنيفاتٍ عديدة مشهورة جعلتهُ مستحقّاً لأن يسمَّى معلّم الكنيسة*

* اليوم الثامن والعشرون *

الاب الملفان المعظّم مار افرام السريانيّ

انَّ مار افرام الشهير الصيت كان في أيَّام الملك قسطنطين الكبير سريانيّاً جنساً ولغةً وُلِد في نصيبين إحدى مدن بين النهرين

من والدَين وثنيّين وذلك في نحو سنة ٣٢٠ وكان أبوهُ من كهنة الأَصنام* ومنذ صغرهِ لاحت فيهِ سمة القداسة. واهتدى إلى ايمان المسيح وابتدأَ بالسلوك في سبيل الفضيلة. فحسدهُ عدوّ الخير وملَك الظلمة فتكلّم مع أبيهِ من الصنم قائلاً: إِن لم تطرد ابنك افرام من بيتك فما أنت لي بكاهن لأَنَّهُ عدوّ لي. فتوعّدهُ أبوهُ بالطرد من بيتهِ ان لم يرتدّ عن ايمان المسيح. فلم يخضع مار افرام لأبيهِ في ذلك لأَنَّهُ كان أحبّ إليهِ أن يفترق من والديهِ ومن بيتهِ من أن ينفصل عن يسوع المسيح مخلّصهِ. فعند ذلك طردهُ أبوهُ. فلَجأَ إلى مار يعقوب الملفان اسقف نصيبين وتتلمذ لهُ وتعلّم عندهُ كلّ صنفٍ من العبادة والتقوى. وكان ينمو بالفضائل يوماً فيوماً. ثمَّ ألبسهُ معلّمهُ الثوب الرهبانيّ وعلّمهُ علوماً الاهيَّة انار بها العالم واحضرهُ معهُ في مجمع نيقيَّة الذي التأَم على آريوس الملحد. وكان مار افرام أكبر عدوّ وأشدّ محارب لهذا الهرطوقيّ*

وكان ربّنا يسوع المسيح يظهر بإشارات بيّنة الفصاحة والحكمة والعلم التي كان عتيداً ان يزيّن بها خادمهُ افرام* وحكى هذا القدّيس عن نفسهِ أَنَّهُ إذ خرج من سنّ الصبوّة رأَى رؤْيا وهي أَنَّهُ رأَى كرماً عظيماً طالعاً في فمهِ ملأَت أغصانهُ الأَرض كلّها حتَّى كانت الطيور تعشّش فيها وتقتات من العنب الذي كان يثمرهُ هذا الكرم*

وبعد وفاة معلّمهِ مار يعقوب انطلق فقطن البراري ما بين الرهبان وسعى في الوصول إلى الكمال الرهبانيّ حتَّى حصل عليهِ ففاق جميع معاصريهِ في النسك والتقشّف حتَّى انَّ كلّ من كان يراهُ أَو يسمع بهِ

لم يَخَلْهُ انساناً* ثمَّ أَلهمهُ ربّنا يسوع المسيح أن يترك البرّيَّة من أجل خير القريب. فانتخب مار افرام مدينة الرها التي كان الله يهديهِ إليها لكي يضيء فيها كسراجٍ إلهيّ. فانطلق إليها وشرع يُظهر فيها غيرتهُ على مجد الله وخلاص النفوس*

وإذ كان يصلّي ذات يومٍ سمع صوتاً يقول لهُ: أَن كُلْ. فقال: ماذا آكل يا ربّ ومن يطعمني. فأمرهُ الله أن يذهب عند مار باسيليوس الأسقف ليطعمهُ لحماً الهيّاً وابديّاً. فانطلق إليهِ ووجدهُ في الكنيسة فلمّا رآهُ مار باسيليوس عانقهُ بمحبَّة جزيلة وأخذ يتفاوض معهُ عن أشياء روحيَّة. أمَّا مار افرام فلم يكن يفهم ما يقول لهُ لأنَّ لغتهُ هي السريانيَّة ولغة مار باسيليوس اليونانيَّة. فطلب إليهِ أن يصلّي إلى الله ليحصل على موهبة التكلّم باللغة اليونانيَّة. فصلّى مار باسيليوس وفي الحال تعلّمها مار افرام وبدأ يتخاطب معهُ بها* ثمّ سامهُ مار باسيليوس شمّاساً انجيليّاً لبيعة الرها. وفي تلك الأثناء بلغ أفرام بأَن قد سرت في الرها أضاليل وهرطقات كثيرة. فالتزم أن يرجع إلى الرها ليحارب هذه الهرطقات. فودّع مار باسيليوس وسافر. وبعد أن قطع سفراً طويلاً بلغ إلى مدينة شمشاط التي هي على نهر الفرات. فصادف هناك معلّمَ مدرسةٍ للهراطقة وتلاميذه يلعبون. فلمّا رأَوهُ متواضعاً ولابساً ثياب الفقر تقدّم صبيٌّ منهم ولطمهُ على خدّهِ لِيُضحِكَ الصبيان عليهِ. فلم يجبهُ القدّيس بشيء. أمّا المعلّم فجلس ليأكل هو وتلاميذه فخرجت أفتى ولسعت ذلك الصبي الجسور في اليد التي ضرب بها القدّيس. فمات لساعتهِ. واتّصل خبر

عقاب الله بأهل المدينة فلحقوا بأَثر القدّيس وجثوا أمامهُ متوسّلين إليهِ أن يغفر للصبي التعيس ويرحمهُ. فصعى القدّيس إلى طلبتهم ورجع إلى المائت وامسكهُ بيده وقال: لِيُقِمْكَ المسيح يا ابني. فنهض لساعتهِ حيّاً سالماً. فلمّا رأَى الحاضرون هذه الأُعجوبة مجّدوا الله ورفضوا ضلالتهم* ولمّا وصل افرام إلى الرها رأَى أن ضباب الهرطقات قد غطّى نور الحق. فشرع يحارب الهراطقة ويجادلهم ويسعى بازالة أضاليلهم ومن جملتهم كان ابوليناريوس وبرديصان ومرقيّون ومانس وسابيليوس* فمن ذلك انَّ ابوليناريوس وبرديصان صنَّفا كتاباً قبيحاً وشرحا فيهِ أنواع كفرهما وقد تعبا فيهِ تعباً باهظاً. فإذ علم بهِ مار افرام احتال في الوصول إليهِ. فاستعارهُ منهما كأَنَّهُ يريد أن يقرأَ فيهِ ليطّلع على فحواهُ فأخذهُ ولزق أوراقهُ بلزاق حتَّى صيّرهُ مثل قطعة قرميد ثمَّ ردّهُ إليهما فسبَّب لهما بذلك خزياً اماتهما كمداً*

وفي ذلك الزمان ألّف هرمونيوس بن برديصان الهرطوقيّ اشعاراً مملوّة كفراً وجعلها أن تُغنَّى بأفواه تبّاعهِ ليستعين بها على انتشار أضاليلهِ واجتذاب الناس إلى هرطقتهِ. فلمّا رأَى ذلك مار افرام وانَّ الناس ينصبّون كثيراً إلى الأغاني والانغام لم يرَ سبيلاً لمقاومة ذلك اللعين ورسم حقائق الايمان المستقيم في أذهان الناس الاَّ الألحان بنفسها. فصنَّف أناشيد دينيّة تتضمَّن حقائق الايمان الكاثُليكي ورتَّب فيها ألحاناً وأنغاماً موسيقيَّة. وأقام بناتٍ يرتّلنَها في الكنائس والمحافل فكانت الناس تتراكم لاستماعهنَّ فتنطبع حقائق الايمان في أذهان العامة. وبهذه

الواسطة انتصر على ذلك الهرطوقيّ إذ انسى أشعارهُ باشعارهِ* ولم تزل الكنيسة السريانيَّة حافظةً إلى الآن أناشيدهُ التقويَّة وترنّلها في فروضها*

وكان ايمان هذا القدّيس قويّاً ورجاؤهُ وطيداً وقلبهُ مغرَماً بحبّ الاههِ* وامّا تواضعهُ فكان عجيباً بهذا المقدار حتَّى انَّهُ لما أراد الشعب أن ينتخبهُ اسقفاً وهو لم يكن الاَّ شمّاساً انجيليّاً فقط امتنع محتسباً نفسهُ غير مستحقٍّ لهذه الوظيفة. فمن أجل لجاجة الشعب واغتصابهِ ايَّاهُ تظاهر بالجنون فكان يركض في الازقّة ساحباً ثيابهُ ويعمل اعمال الصبيان الذين ما بلغوا بعد إلى سنّ التمييز حتَّى خيِل للذين أرادوا أن ينتخبوهُ أسقفاً انَّهُ عُتِه واختلّ عقلهُ فتركوهُ*

وامَّا عفّتهُ فكانت متّصفة بنقاوة ملاكيَّة. وكان محافظاً على هذه الزنبقة ما بين أهواء هذا العالم المسمومة* وكانت محبّتهُ للفقر لا توصف حتَّى انَّهُ لبس ثوب الفقر طول عمرهِ. وكان يحبّ الفقراء ويتحنَّن على مسكنتهم ويجتهد في سدّ احتياجاتهم فمن ذلك انَّهُ حدث في بعض السنين مجاعة في الرها وكان الفقراء يهلكون جوعاً* فلمّا رأى هذا الرجل الغيور أخوتهُ في هذه الحالة اتَّقدت شهامتهُ ومحبَّتهُ وأخذ يوبّخ الأغنياء على انَّهم لا يلتفتون إلى أخوة يسوع المسيح بالصدقة وانَّهم يخسرون هذه الفرصة التي بها يقدرون أن يشتروا السماء بأرخص ثمن. فكانوا يحتجّون انَّهُ لا يوجد مَن يتكلّف الأمر ويكون اميناً في توزيع الصدقة على الفقراء. والتزم هو أن يتكلّفهُ حبّاً لله وللقريب فهيّأً للفقراء من مال الصدقة الفاً وثلاثماية من الاسرّة. وجعلها في محلٍّ واسع وكان يقبل فيهِ كلّ من

أتى إليهِ من المحتاجين. فكان يطعم الجياع ويكسو العراة ويداري المرضى ويعزّي الحزانى. واستمرّ في هذا العمل إلى أن ارتفعت المجاعة وحينئذ انفرد في محلّهِ*

وبعدما قضى حيوةً مملوءَة كلّها من الفضائل واشتغل بامانةٍ في كرم سيّدهِ علم أنّ ربّ الكرم يدعوهُ ليعطيهُ أجرتهُ في السعادة الأبديَّة فكتب وصيَّةً عجيبة لا تخلو من إرشادات مقدّسة وهي المسمّاة بوصيَّة مار افرام لأنَّهُ كتبها في ساعة موتهِ. وفيها يوصّي ان لا يزيّن أحد جنَّازهُ بجوخ ثمين كجاري العادة. وكانوا قد أعدّوا لهُ غطاءً من جوخ فأمر أن يُباع ويُعطَى ثمنهُ للمساكين* وكان أحد الأشراف الأغنياء يحبّ مار افرام إلى الغاية فارسل لهُ قماشاً ثميناً ليكفّنوهُ بهِ مفتكراً انَّ الله يقبل منهُ ذلك أكثر ممَّا لو بيع ووُزّع ثمنهُ على الفقراء. وبما أنَّ ذلك كان مضادّاً لإرادة القدّيس فدخلهُ روح شرّير وعذّبهُ إلى أن عرف ذنبهُ فجاء وانطرح على قدمَي مار افرام طالباً منهُ الغفران. فوقتئذٍ رفع القدّيس يدهُ ووضعها عليهِ وابراهُ* وأمر أيضاً في تلك الوصيَّة أن لا يدفنوهُ في الكنيسة بل في المقبرة العامَّة وان يُعدَم كلّ كرامة في تجنيزهِ وتشييعهِ. وبعدما حرّض الشعب في وصيّتهِ على الثبات في محبَّة الله وخوفهِ وعلى اقتناء الفضيلة ردَّ نفسهُ المقدّسة لله. وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر كانون الثاني سنة ٣٧٨* وترك للكنيسة تصانيف عجيبة في لغتهِ السريانيَّة. وحسب قول القدّيس غريغوريوس نيصص انَّهُ فسَّر الكتاب المقدّس كلّهُ من سفر التكوين إلى آخر سفر

من العهد الجديد بالشعر* وقد مدح هذه التصانيف قدّيسوا عصرهِ ولا سيَّما اليونانيّون الذين ترجموها من اللغة السريانيَّة إلى لغتهم اليونانيَّة* قال مار ايرونُمِس: إِنَّ كتب مار افرام لزيادة شهرتها كانت تقرأُ في الكنائس بعد الكتاب المقدّس*

حقّاً إِنَّ حياة مار افرام السريانيّ تشبه ينبوعاً تجري منهُ جميع الفضائل وفلكاً تتلألأُ فيهِ نجوم مختلفة وفردوساً أرضيّاً يحوي أشجاراً عديدة مثمرة لأَنَّهُ كان رجلاً عجيباً سمويّاً منوّراً من الله. وقد مدحهُ آباء الكنيسة الأقدمون الذين من جملتهم مار غريغوريوس نيصص الذي كتب سيرتهُ فهذا القدّيس يقابلهُ بهابيل وبنوح وبابرهيم وبموسى وبصموئيل وبالأنبياء الآخر وبقدّيسي العهد القديم. ومن جملة ما كتب عنهُ هذه الكلمات وهي: بمَ نمدح هذا القدّيس وكيف نصف فضائلهُ. انَّهُ كان متّصفاً بالفضائل الالهيّة أي الايمان والرجاء والمحبَّة وبتقوى الله. وكان منعكفاً على قراءَة الكتاب المقدّس والتأمُّل في معانيهِ. وكان طاهراً في نفسهِ وجسدهِ. وكانت دموعهُ غير منقطعة. وصلواتهُ حارّة وتواضعهُ عميقاً. وكان محبّاً للاختلاء والفقر. وغيوراً على مجد الله وخلاص النفوس. وشجاعاً في محاماة الديانة الحقيقيَّة انتهى* ومار يوحنَّا فم الذهب يدعوهُ افرام الكبير ومعزّي الحزانى ودليل التائبين* ثمّ انَّنا نطّلع على رصانة عقلهِ وسموّ روحهِ وعلوّ همّتهِ وحكمتهِ وفصاحتهِ من تصانيفهِ العجيبة التي صارت مرآةً صافيةً لهُ*

* اليوم التاسع والعشرون *

مار فرنسيس سالس أسقف مدينة جنيفة

إِنَّ هذا القدّيس المعظّم وُلد من أصل شريف إلى الغاية. في قصر مجاور لمدينة جنيفه من أعمال سويس وذلك في اليوم الحادي عشر من شهر آب سنة ١٥٦٨ فربَّتهُ امّهُ تربيةً حسنة. ولمّا بلغ إلى السنّ الكافي القابل للتعليم وضعهُ أبوهُ في مدارس مختلفة وتعلّم جمّاً غفيراً من العلوم لأنّهُ كان حاذقاً جدّاً وذا ذهن ثاقب. ثمَّ سيم كاهناً لزيادة فضيلتهِ وعلمهِ وكان هُماماً غيوراً على خلاص الانفس وحليماً بنوع لا يوصف فاستحقّ أن يُقام أسقفاً على مدينة جَنيفه وكابد اضطهادات عظيمة من الهراطقة أعداء الحقّ. وهو مع ذلك لم يفتر من العمل الصالح والفلاحة في كرم سيّدهِ. ولوداعتهِ الغير المنقطعة كان يقول في تجاريبهِ: يا قلبي لا تضطرب ويا فمي اسكت لأنني ما أريد أن أخسر في دقيقة واحدة ثمرة تعب حياتي كلّها* وربح لله نفوساً كثيرة من رجال ونساء نحو سبعين ألف نفس من الهراطقة البرتستنت وهو الذي أنشأَ أخويَّة راهبات الزيارة. وكان البابا والملوك والولاة يعتبرونهُ خادماً عظيماً وأميناً لله وكان عجيباً في تواضعهِ حتَّى انَّهُ لم يكن يلفظ كلاماً الاّ وفيهِ ما يبيّن تواضعهُ. وكان حافظاً بكلّ تدقيق زنبقة طهارتهِ بين ألوف من التجارب والاحبولات التي كان

الشيطان ينصبها لكي يسقطهُ فيها. فكان القدّيس دائماً ظافراً بها. وكان لهُ عبادة خصوصيَّة لسيّدتنا مريم العذراء النقيَّة. وجزاءَ لفضائلهِ السامية منحهُ الله موهبة الكرامات. وصنَّف كتباً جليلةً عديدة تركها في خزانة الكنيسة لمنفعة المؤْمنين. ثمَّ نفاهُ الظالمون من كرسيّهِ وتوفّي في مدينة ليون من أعمال فرنسا سنة ١٦٢٢ للمسيح ونُقل جسدهُ إلى مدينة أنسي من أعمال سابوديا. وإلى الآن يسوع المسيح يظهر قداسة عبدهِ فرنسيس المطران الوديع الحليم بأعاجيب كثيرة باهرة تجري على قبرهِ*

* اليوم الثلاثون *

مار مكسيمس المعترف

إنَّ هذا البار كان راهباً في أيَّام الملك قسطَنس بن قسطنطين بن هرقل الملك وكان مقاوماً أولئك المنشئين بدعة المشيَّة الواحدة. وكابد من المبتدعين اضطهادات شاقَّة. وجادل بيرس بطريرك القسطنطينيَّة المبتدع في شأن مشيئتَي المسيح وغلبهُ في الجدال. فتظاهر بيرس المذكور انَّهُ آمن بمشيئَتي المسيح لكنّ باطنهُ كان بخلاف ظاهرهِ* وكان هذا القدّيس يساعد البابا مرتينس بغيرة الايمان المستقيم وينادي علانيةً انَّ في المسيح مشيّتان مشيَّة الهيّة ومشيَّة إنسانيَّة. فقبض عليهِ أعداء

الحقّ وأذاقوهُ أنواعا عديدة من العذاب وما أمكنهم أن يزحزحوهُ عن اعتقادهِ فنفوهُ إلى قرية واربا في جهات إطاليا. ثمَّ استعادهُ الملك قسطنس من نفيهِ. وإذ سأَلهُ الهراطقة لماذا تحبّ الكاثُليكيّين أكثر منَّا قال. لأنّي اعتقد اعتقادهم. فأمر قائد الملك أن يجلدوهُ. ثمَّ قطعوا لسانهُ فمنحهُ الله النطق بغير لسان باعجوبة تؤَيّد الحقّ. وكان يوبّخهم على فساد رأيهم. ثمَّ قطعوا يمينهُ وكانوا يطوفون بهِ في المدينة ويفترون عليهِ بألفاظ شنيعة نجسة. وأخيراً نفوهُ إلى مكان بعيد من القسطنطينيَّة صعب المعاش جدّاً. وهناك تنيح بالرب. وظهر على قبرهِ ثلاث كواكب نيّرة جدّاً دالّة على طهارة نفسهِ المتلأْلأَة أمام الله. وترك للكنيسة مصنّفات شتَّى تضادّ المبتدعين. وكانت وفاتهُ سنة ٦٦٦ للمسيح*

* اليوم الحادي والثلاثون *

مار بطرس نولاسكا

انَّ هذا القدّيس وُلد في سنة ١١٨٩ في بلاد لوراغة التي من ابرشيّة تُلوزا من ابوَين شريفَي الأَصل وغنيّين في التقوى أيضاً. ومنذ صغرهِ اهتما بتربيتهِ تربيةً حسنةً وهو كان مطيعاً لهما في كلّ شيءٍ* وكان رقيق الجنان حنوناً على الفقراء فكان إذا أعطاهُ أبوهُ شيئاً من الفضَّة ينفقهُ على الفقراء. وكان لهُ عادة أن يحضر كلّ يوم صباحاً

الذبيحة الالهيّة*

ولمّا بلغ من العمر خمس عشرة سنةً مات أبوهُ. وكانت أمّهُ تعظهُ بأمثالها أكثر ممَّا بأقوالها وتدرّبهُ في سبيل الفضائل المسيحيّة. وكانت هذه الفضائل تنمو فيهِ شيئاً فشيئاً إلى أن جعلتهُ أن ينذر عفّتهُ ويخصّص جميع أموالهِ لمساعدة المحتاجين* ولمّا صار لهُ من العمر نحو خمسٍ وعشرين سنة ظهر مثالاً كاملاً في جميع الفضائل وكان منعكفاً بالخصوص على التقشُّف والصلوة والتأمّل وقراءَة الكتب المقدّسة*

وفي ذلك الزمان كان مسيحيّون كثيرون مأسورين عند أهل مغارب اسبانيا وافريقيا. فتراءَف القدّيس على شقاوتهم وخاف على ايمانهم فعزم أن يفدي هولاء الأسرى بالمال. وفي تلك الأثناء ظهرت سيّدتنا مريم العذراء المباركة لهُ ولمار ريمندس البنّفرتي مستعرفهُ وليعقوب ملك ارَّغون وامرتهم أن ينشئوا رهبنةً ويلقّبوها برهبنة مريم العذراء أمّ الفداء. فحينئذٍ أخذوا بتأْسيسها وكانوا يجمعون الأموال ويفكّون بها الذين في الأسر عند الغير المومنين*

فلمّا بلغ عيد مار لورنسيوس سنة ١٢٢٣ نذر مار بطرس النذور الثلاثة الاحتفاليَّة وهي العفَّة والفقر والطاعة وذلك في الكنيسة على يد أسقف برشلّونه. وأضافوا في هذه الرهبنة على هذه النذور الثلثة نذراً رابعاً وهو أن يبيعوا ذواتهم من أجل فداء الأسرى. ثمّ البسهُ مار ريمندس الثياب الرهبانيَّة وجعلهُ أوّل رئيس عامّ على هذه الرهبنة* وكان القدّيس بطرس نولاسكا محبّاً للخلوة جدّاً حتّى إنَّهُ لم يكن يخرج

من الدير الاَّ عندما يضطرّهُ إلى ذلك عمل الرحمة* ثمّ سافر إلى جهات اسبانيا لكي يبشّر بالإنجيل ويفدي الأسرى. وكابد مشقّات عظيمة في بلاد الجزائر. من ذلك انّ أهل تلك البلاد غلّلوهُ بأصفاد حديديَّة من أجل ايمان المسيح. غير انَّ هذه المعاملة لم تمنعهُ من تكميل مرغوبهِ لأنَّهُ لم يكن يتمنَّى الاّ مجد الاستشهاد* ولمّا رجع إلى مدينة برشلّونة أراد أن يتنازل من وظيفة الرياسة العامّة فلم يُعطَ لهُ ذلك* ومع وظيفتهِ السامية كان تواضعهُ عجيباً حتّى انَّهُ كان يعتبر نفسهُ احقر الجميع والأخير في الرهبان. وكان يُسرّ في اعطاء الصدقات عند باب الدير لأنَّهُ بذلك كان يتمكّن من ارشاد الفقراء إلى سبيل الفضيلة* وفي سنة ١٢٢٩ تنازل عن وظيفتهِ. ورقد بالربّ سنة ١٢٥٦*

انتهى شهر كانون الثاني

* شهر اشباط *

* اليوم الأول *

مار اغناطيوس النوريّ بطريرك انطاكية الشهيد

انَّ هذا الشهيد المعظّم كان في عهد الملك طرَيانس قيصر* قال المعلّم نيكافور المورّخ. إِنَّ اغناطيوس هو ذاك الطفل الذي وضع يسوع المسيح يدهُ عليهِ عندما قال لتلاميذهِ ان لم تكونوا مثل هذا الطفل فلا تدخلون ملكوت السموات* فهذا المغبوط تتلمذ أوَّلاً لمار يوحنا الانجيليّ. ثمَّ اقامهُ الرسل بالتدريج بطريركاً على انطاكية. وكما يشهد عنهُ مار يوحنا فم الذهب انَّهُ كان مزيّناً بجميع الفضائل اللازمة للأسقف* وكان في مدّة الاضطهاد الذي أثارهُ دومسيانس قيصر على النصارى لا يفتر في تشجيع المومنين وفي حراسة قطيعهِ بامثالهِ وبصلواتهِ. ولمّا مات الملك المضطهد وحصل النصارى على الراحة فرح القدّيس بسلامتهم الاّ انَّهُ حزن على نفسهِ مفتكراً انَّهُ غير مستحقّ التالّم والموت من أجل اسم يسوع المسيح. فلم تلبث تلك الراحة زماناً أَن شبّ اضطهاد آخر في عهد طرَيانُس قيصر* فهذا الملك القاسي جاء إلى

انطاكية والزم النصارى أن يسجدوا لآلهتهِ الباطلة متهدّداً ايَّاهم متهدّداً ايَّاهم بالموت أن ابَوا* فامَّا مار اغناطيوس الراعي الهمام فلم يكن يخاف الاَّ على قطيعهِ الذي كان يحبّهُ جدّاً فلذلك كان يشجّعهُ على التجلّد في احتمال العذاب مثبّتاً ايَّاهُ في ايمان المسيح* فلمّا سمع بهِ الملك احضرهُ إليهِ وسأَلهُ عن ايمانهِ. فاقرّ القدّيس معترفاً علانيةً بانَّهُ مسيحيّ. فتوعّدهُ المضطهد بالموت ان لم يسجد لآلهتهِ. فلم يبالِ هذا الشجاع بهِ بل كان يجيبهُ بأجوبة تفحمهُ وتمزّق قلبهُ غيظاً. فاذ رأَى الملك ثباتهُ وما هو عليهِ من الشجاعة أمر بارسالهِ إلى رومية لكي يُقتل هناك. فشمل القدّيس لذلك فرحٌ عظيم. فحينئذٍ صُفِّد بالسلاسل وأُرسِل إلى رومية مع عشرة من جنود الملك. وكانوا عليهِ أقسى وأضرى من الوحوش الكاسرة* وفي طريقهِ كان المؤمنون يأتون لزيارتهِ ويطلبون بركتهُ ويُرشون الجنود لكي يأذنوا لهم أن يتمتّعوا باستماع أقاويلهِ المقدّسة المعزّية لكلّ قلب ثاكل* فكان يحرّضهم على الثبات في الايمان والتمسّك بفرائض الرسل وتعليمهم القديم* ولم يمرّ هذا السعيد بمدينة أو بقرية الاّ ويقبلهُ اهلها باكرام واحترام. وكانوا عند مفارقتهم ايَّاهُ يقدّمون لهُ كلّ ما احتاج إليهِ لضرورة المعيشة في السفر* فسار من انطاكية إلى ازمير حيث التقى بالقديس بولكربس اسقفها. فكانا يتفاوضان مفاوضةً روحيَّة راجعة إلى مجد الله وخلاص النفوس* ولمّا كان في مدينة ازمير كتب بعض رسائل وأرسلها إلى المسيحيّين الموجودين في العالم. منها رسالة إلى أهل رومية فيها يخبرهم بقدومهِ إليهم للشهادة ويعزّيهم

قائلاً. لا تغتمّوا يا أولادي عليّ لأنَّني عالم كم أربح عوض تالّمي من أجل اسم سيّدي. وفيها يطلب منهم أن يصلّوا لأجلهِ حتَّى ينال من الله نعمة أن يموت بهذا النوع أي أن يكون مفترَساً من الوحوش الضاربة* فلمّا ازمع الشخوص من أزمير طلب من أهلها أن يقترنوا معهُ في الصلوة عسى الله أن يستجيب طلبتهُ. ثمَّ ودّعهم وركب البحر وسافر حتَّى وصل إلى طورادس. ومنها كتب رسائل إلى كنيسة فيلادلفيّا. وإلى كنيسة ازمير. وإلى بُلِكربُس اسقفها. وأراد أن يكتب أيضاً رسائل أُخرى إلى كنائس اسيَّا فلم يستطع لأنَّ الجنود لم يسمحوا لهُ بل الزموهُ بالسفر. فارتحل من طورادس إلى أن وصل إلى روميَّة. فبعث بهِ الوالي إلى ميدان الشهادة. وطرحهُ إلى الوحوش الضارية* فلمّا سمع زئير الأسود وزمجرتهنّ عليهِ صرخ قائلاً: أنا قمح الربّ فيجب عليَّ أن أُطحَن بأسنان هذه الوحوش لكي أضحى خبزاً طاهراً ليسوع المسيح. فحالما نطق بهذه الكلمات هجم عليهِ أسدان وافترساهُ حالاً ولم يتركا من جسدهِ إلاّ العظام الضخمة. وهكذا تنيَّح حسبما طلب من الله. فأتى النصارى وجمعوا ما بقي من عظامهِ ودفنوها خارجاً عن رومية. ثمّ بعد ذلك نقلوها بكلّ تبجيلٍ واكرامٍ إلى مدينة انطاكية. وكان استشهادهُ في اليوم الأوّل من شهر اشباط سنة ١١٠ للمسيح* وهو أوّل من رتَّب أن تكون الصلوة الفرضيَّة في الكنيسة ما بين جوقتين بحسبما رأَى الملائكة في الرؤْيا يسبّحون الله في السماء*

* اليوم الثاني *

تقديم يسوع في الهيكل

يخبّرنا مار لوقا الانجيليّ انَّهُ بعد تمام الأربعين يوماً من ميلاد الربّ يسوع ذهبت بهِ مريم امّهُ إلى الهيكل لتقدّمهُ لله بحسب ناموس موسى* قال بعض العلماء انَّ مريم العذراء كانت في مدّة هذه الأربعين يوماً مقيمةً في المغارة حيث ولَدت يسوع انتهى* وانطلق معها مار يوسف أيضاً ولم يخافا من بأْس هيرودس الذي أضمر على قتل الطفل وذلك لغيرتهما على اتمام الوصيَّة. ولمّا دخلا اورشليم ابتاعا يمامتين تقدمةً للهيكل لأنَّهما كانا فقيرين وهذه تقدمة الفقراء* وأمَّا الذهب الذي قبلتهُ مريم من المجوس لمّا قدّموهُ لابنها حين سجدوا لهُ فكانت قد وزّعتهُ على المساكين* وفي ذلك الزمان كان كاهن شيخ قدّيس اسمهُ سمعان ملازماً الهيكل ليلاً ونهاراً ومنتظراً بشوقٍ جزيل مجيء الربّ يسوع الطفل الموعود لهُ بهِ من الله أن يراهُ حسبما أُعلِن لهُ من الروح القدس أنَّهُ لا يذوق الموت حتى يعاين مسيح الربّ. والإعلان كان على هذا النوع وهو انَّ هذا الشيخ المبارك كان كاهناً عالِماً وكان يفسّر الكتب المقدّسة. فاتّفق انَّهُ يوماً عزم أن يفسّر نبوّة اشعيا القائلة هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً. فقال في ضميره انّ الناس تشكّ في صدق هذه النبوّة من حيث انَّهُ لا يمكن انَّ عذراء تحبل وتلد وهي عذراء. فكَتَب كلمة صبيّة عوض كلمة عذراء* ولمّا كان اليوم الثاني فتح الكتاب

فوجد كلمة صبيّة ممحوةً ومكتوباً عوضها كلمة عذراء. فتعجّب القدّيس من ذلك فاعلن لهُ الروح القدس انَّهُ لا يموت حتى يعاين الأمر المتعجّب منهُ. ولهذا كان ملازماً الهيكل ومتشوّقاً إلى الحظوى بالوعد إلى أن دخلت مريم بالطفل مع يوسف إلى الهيكل. فلمّا رآهُ سمعان محمولاً على ذراعَي امّهِ عرفهُ بالهام الروح القدس فتناولهُ وضمَّهُ إلى صدرهِ وقبّلهُ شاكراً الله وأخذ ينشدهُ قائلاً: الآن اطلق يا سيّدي عبدك بسلام حسب وعدك لأنّ عينيّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددتهُ قدّام وجه الشعوب نورَ إعلانٍ للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل* وبما انّهُ كان كاهناً بارك مريم ويوسف وأنذر مريم قائلاً. انّ ابنكِ هذا قد وُضع لقيام وسقوط كثيرين في إسرائيل ولعلامةٍ تقاوم. وأنتِ سيجوز في نفسكِ سيف لتعلن أفكار من قلوب كثيرة* وكان في الهيكل أيضاً امرأَة اسمها حنّه النبيَّة وكانت أرملةً قدّيسة قد عاشت مع بعلها سبع سنين ثمَّ ترمّلت مدّة أربع وثمانين سنةً واستمرّت غير مفارقة الهيكل في طول هذه المدّة تخدم الله فيهِ بالصلوة والصوم ليلاً ونهاراً. فهذه كانت خليلةً لمريم العذراء وتحبّها جدّاً حين كانت معها في الهيكل متربّيةً. فلمّا أبصرتها في الهيكل مع ابنها فرحت ونطقت بالهام الروح القدس وقالت في مريم وابنها أشياءً عظيمة نبويَّة معلنةً بانّ هذا هو الذي يترجّاهُ شعب اسرائيل* ثمّ بعد أن أُكمل كلّ شيءٍ حسب ناموس التطهير أعطت مريم خمسة دراهم فضة لكاهن الهيكل حسب وصيّة الناموس ورجعت بالطفل مع يوسف إلى الناصرة*

* اليوم الثالث *

مار بلاسيوس الأسقف الشهيد

إِنَّ هذا القدّيس منذُ صغر سنّهِ انعكف على الفضيلة وخوف الله. ولسموّ فضائلهِ انتخبهُ الشعب أسقفاً على مدينة سبسطية وتُسمَّى الآن سيواس من أعمال أرمنيّة. ثمَّ بعد ذلك انطلق وسكن في مغارة على جبلٍ قريبٍ من هناك وكانت الوحوش تأْتي إليهِ كلّ يوم وتكرمهُ ولم تفارقهُ حتَّى تكون قد أخذت بركتهُ* وكان مار بلاسيوس ملتذّاً في مغارتهِ بانفرادهِ وبانقياد الوحوش إليهِ* فيوماً من الأيّام جاء رئيس من قِبَل القيصرَين الوثنيَّين ديوكلتيانس ومكسميانس إلى سيواس فباشر فيها اضطهاداً لقطيع يسوع المسيح فكانت جنودهُ مثل ذئاب قاسية جائعة تُحاول أن تخطف وتخزّق حملان هذا القطيع في مدّة ما كانت الذئاب والوحوش الطبيعيَّة تلحس قدمَي بلاسيوس راعيهِ وتقبّلهما في البرّية* فلم يكتفِ ذلك الظالم أن يعذّب المؤمنين واحداً فواحداً بل أراد أن يطرحهم جميعاً إلى الوحوش الضارية دفعةً واحدة حتَّآ لا تكون دفنتهم في القبور بل في بطون هذه الوحوش. فأرسل خدَمهُ إلى البراري لكي يصطادوا لهُ وحوشاً ضاريةً لتكميل مرغوبهِ الجافي. فاتّفق انَّهم انطلقوا إلى ذلك الجبل الذي فيهِ بلاسيوس. ولمّا دنوا من مغارتهِ رأَوا عندهُ عدداً وافراً من الأسُود والنمورة والدبَب والذئاب وغيرهنّ وهنّ بمواصلةٍ عظيمةٍ معهُ. وشاهدوا القدّيس يصلّي.

فاندهشوا من هذا المنظر ورجعوا فاخبروا رئيسهم بما عاينوهُ. فللوقت أرسل معهم فِئةً من الجنود إلى ذلك الجبل لكي يلتمسوا ما فيهِ من النصارى ويأتوا بهم إليهِ ليعذّبهم أو يكفروا. فلمّا بلغوا إلى المغارة ورأَوا القدّيس بلاسيوس وحدهُ يسبّح الله قالوا لهُ: تعال معنا تعال فالرئيس يدعوك. فنرحَّب بهم وأجابهم مسروراً: ها أنا منتظركم من زمن مديد وقد تركتُ نفسي إلى هداية ربّي في هذه البرّية. والآن اتبعكم بكلّ فرح لأنّ الهي ظهر لي ثلاث مرّات في هذه الليلة وقال لي أن أقوم واقرّب لهُ ذاتي ضحيّةً. فقوموا ننطلق إذاً. فنهض واتى معهم إلى المدينة وهناك طُرح في السجن. وفي اليوم الثاني استدعاهُ الرئيس إليهِ قاصداً أن يربحهُ لديانتهِ فهشّ لهُ قائلاً: مرحباً ببلاسيوس صديقي وصديق الآلهة الغير المائتة العزيز. فأجابهُ القدّيس حفظك الله أيَّها الرئيس ولكنّك لكي تتأكّد حفظهُ ايَّاك لا تدعُ آلهةً الشياطين الذين سيعذّبون بأيديهم أولئك الذين يسجدون لهم ويتّخذونهم لهم آلهةً* فحنق عليهِ الرئيس لجوابهِ وأَمر فضربوهُ بالعصيّ مدّة ثلاثة ساعات ضرباً أليماً ومزّقوا جوارحهُ بأمشاط حديديّة. وكان القدّيس مسروراً فرحان بذلك وكان يهزأ بالرئيس قائلاً: اتظنّ أيُّها الخدّاع انَّك بعذاباتك تفصلني من الهي. كلاّ ثمّ كلاّ انّ هذا الربّ الذي أعبدهُ هو هو معي الآن ويقوّيني فاعمل ما بدا لك* ثمّ بعد ذلك ارجعهُ الرئيس إلى السجن. وكان في السجن يشفي بصلواتهِ كلّ مَن أتى إليهِ من المرضى. وكان من جملتهم صبيّ قد وقف في حلقهِ عظم سمكة وحصل في التهلكة

ودنا منهُ العطب وكانت أمهُ تبكي. فصلّى القدّيس وطلب من الله أن يردّ لهُ الصحّة ولجميع الذين يستغيثون بهِ في هذا الداء. فاستجاب الله طلبتهُ وشفي الصبيّ حالاً. ومنذ ذلك اعطاهُ الله أن يشفي جميع المستغيثين بهِ الذين قد وقف في حلقهم عظمٌ ما* وإلى الآن يُعايَن ذلك مرّات عديدة*

ثمّ بعد زمان استدعى الرئيس مار بلاسيوس ثانيةً وكلّمهُ. فلمّا رآهُ ثابتاً في ايمانهِ أمر فعذّبوهُ بعذاباتٍ متنوّعة قاسية. وأخيراً طرحهُ في بُحيرة قريبة إلى المدينة. فرسم القدّيس إشارة الصليب وكان يمشي على المياه قائلاً للوثنيّين. ان كانت آلهتكم صادقةً فانزلوا أنتم وامشوا على المياه مثلي فتساعدكم. فللوقت نزل إلى الماء نحو ثمانية وستّين رجلاً من الوثنيّين فغرقوا جميعاً. وفي تلك الأثناء ظهر ملاك الربّ لبلاسيوس وقال لهُ: أيّتها النفس التي أنارها الله. أيّها الحبر خليل الله. اخرج من هذه المياه لكي تنال الاكليل الغير الزائل. فصعد حالاً إلى الأرض وجاء امام الرئيس. فلمّا رأَى هذا المضطهد انّ عذاباتهِ مرّت عبثاً مع القدّيس قضى بقطع رأْسهِ. فحينما دنا منهُ الجلاّدون جثا مصلّياً ومستودعاً ذاتهُ في يدي الله وتوسّل إليهِ أن يقبل ضحيّة نفسِه. وللوقت ظهر لهُ يسوع المسيح وقال لهُ بصوتٍ عالٍ سمعهُ الحاضرون. سمعتُ صلواتك واستجبتُ طلباتك. ثمّ احتزّوا رأْسهُ بالسيف وكان ذلك في اليوم الثالث من شهر اشباط سنة ٣١٦*

* اليوم الرابع *

مار اندراوس كُرسيني الراهب الكرمليّ واسقف مدينة فيازُلي ـ القديسة حنَّه الفلواسية

مار اندراوس كُرسيني الراهب الكرمليّ واسقف مدينة فيازُلي

إِنّ هذا القدّيس وُلد في مدينة فلورنسا من أعمال تُسكانا في إطاليا من أبوَين شريفَي الأَصل خائفَي الله جدّاً. فكانا قبل ميلادهِ يطلبان من الله ليلاً ونهاراً بالصلوة والدموع أن يرزقهما ولداً ليخصّصاهُ لخدمتهِ تعالى لأَنَّهما كانا عاقرين واتّخذا لهما وسيطةً في هذه الطلبة مريم العذراء والدة الله لكي يحصلا بشفاعتها على مرادهما. فاستجاب الرحمن طلبتهما ورزقهما ابناً فدُعي باسم اندراوس لأنّ اليوم الذي وُلد فيهِ كان عيد مار اندراوس الرسول. فمنذُ نعومة أظفارهِ اهتمّ أبواهُ بتعليمهِ وتدريبهِ في الفضيلة ودرس العلوم وكرّساهُ لله بحسب وعدهما قبل ميلادهِ* فلمّا شبّ الصبي وبلغ سنّ التمييز بدأَ يسير بسيرة ملومة مخالطاً الصبيان الأشرار وماشياً معهم في سبيل اللذّات الأرضيَّة الباطلة. وطالما نهاهُ والداهُ عن أفعالهِ الذميمة فلم ينتهِ. ولو لم تتداركهُ المراحم الربانيَّة لسقط في قعر بحر الفساد وغرق* فذات يومٍ أخذت امّهُ تنصحهُ وبسطت أمامهُ الوعد الذي وعدت بهِ الله هي وأبوهُ بأن يكرّساهُ لخدمتهِ وخدمة مريم العذراء المباركة. فعند ذلك بدأَ قلبهُ

أن يتخشّع ويلين وحينئذٍ أوعد والدتهُ أن يتوب. وفي الغد انطلق إلى الكنيسة وجثا مصلّياً أمام مذبح مريم العذراء طالباً منها أن تنال لهُ من ابنها نعمة الانعتاق من أسر الخطيَّة. فامدّتهُ بعونها واحسانها. فقام وانطلق إلى دير الكرمليّين وطلب الدخول في رهبنتهم. فلمّا سمع أبواهُ بذلك شملهما فرح عظيم وشكرا الله على أنَّهُ لم يخيّب رجاءَهما. ثمّ ألبسهُ الرئيس الاسكيم أمام والديهِ واحصاهُ مع المبتدئين. فكان اندراوس لا يفتر في عمل التوبة والتقشُّف وفي محاربة رذائلهِ واستعمال الشغل الأدنى في الدير* فحسدهُ الشيطان الخبيث وهمّ أن يسقطهُ في اشراكهِ ويستردّهُ إلى إِسرهِ القديم فحرّك أحد أصدقائهِ الشبَّان على تكبيل هذا العمل الأثيم وذلك انّ هذا الشابّ جاءَ إليه في الدير وأخذ يتملّقهُ علّهُ يقنعهُ أن يترك الرهبنة ويرجع إلى بيتهِ فيجتذبهُ إلى مواصلتهِ القديمة. ولكن لقد خاب أملهُ لأنّ اندراوس استمرّ ثابتاً ولم يجبهُ بشيءٍ البتَّة فرجع الشابّ خازياً وولّى مدبراً* ثمّ بعد ذلك نذر نذورهُ الثلاثة الاحتفاليّة وعزم أن ينمو دائماً بالفضيلة وينعكف على درس العلوم. وكان مواظباً على الصلوة والتواضع والمحبّة. وكان يقهر جسدهُ بالسهر والصوم وبلبس المسح بدل القميص وبجلدهِ نفسهُ بالسياط وبحفظهِ السكوت وبطاعتهِ الكبير والصغير من الرهبان. وكان يحمل دائماً كيس المؤونة ويستعطي قوتهُ من بابٍ إلى باب حتى من بيت أهلهِ وأصدقائهِ الذين كانوا يهزأُون بهِ. وبذلك كان يجتذبهم إلى طريق الخلاص* فلسموّ فضائلهِ أراد روساؤهُ أن يرسموهُ كاهناً فامتنع

أوّلاً ثمّ أطاع. ولمّا سمع أهلهُ بذلك فرحوا فرحاً عظيماً وأرادوا أن يعملوا وليمةً عظيمةً يوم يقدّس أوّل مرّة. فلمّا علم هو بنيّة أهلهِ استأْذن روساءَهُ وانطلق خفيةً إلى دير آخر يبعد عن ديرهِ نحو ثلاثة أميال وهناك ارتسم قسّيساً وقدّم لله باكورة كهنوتهِ. وفيما هو يقدّم الذبيحة الالهيّة مرّةً أولى ظهرت لهُ مريم العذراء مع جوقة من الملائكة قائلةً لهُ هذه آية اشعيا النبي وهي: انتَ خادمي وسأَتمجّد فيك. وكان منذ ذلك اليوم يزداد تواضعاً وامانةً في اتمام وظيفتهِ* واشتهرت أيضاً قداسة سيرتهِ بالكرامات التي كان الله يعملها على يديهِ. فمن ذلك انَّهُ إذ كان يوماً راجعاً من باريس إلى مدينة فلورنسا مرّ بطريقهِ على مدينة أَوِنيون وهناك ردّ البصر لأَعمى طلب منهُ صدقةً عند باب الكنيسة* وأُقيم بعد ذلك رئيساً على دير فلورنسا. واظهر في وظيفتهِ غيرةً مضطرمةً وفطنةً عجيبةً في تدبير الرهبان*

وفي ذلك الزمان مات أسقف مدينة فيازُلي التي كانت ذات شهرة في عصرها. فأراد أهلها أن ينتخبوا أسقفاً عوضهُ. فقال كلّ الحاضرين بصوت واحد اندراوس. فلمّا بلغهُ ذلك وعلم بالحمل الثقيل الذي سيحمّلونهُ بهِ فرّ هارباً من فلورنسا إلى دير الكرتوزيّين الذي كان قريباً من هناك. ففتّشوا عليهِ في المدينة ولمّا لم يجدوهُ التزموا أن ينتخبوا عوضهُ. أمَّا الله الذي كانت غايتهُ أن يكون مار اندراوس أسقفاً على تلك المدينة فانطق أحد الصبيان قائلاً: انَّ يسوع المسيح قد انتخب اندراوس حَبراً لهُ وها هو في دير الكرتوزيّين يصلّي فهناك

تجدونهُ. فأرسلوا إليهِ طالبين منهُ أن يرتضي بقبول هذه الدعوة الإلهيّة ويكون أسقفاً عليهم. فامّا هو فخاف من المقاومة فانقلب راجعاً إلى مدينة فيازُلي وأُقيم عليها أسقفاً وكان لهُ إذ ذاك من العمر ثمان وخمسون سنة. وباشر الفلاحة الكاملة في كرم معلّمهِ. فكان راعياً صالحاً يرعى قطيع يسوع المسيح في مروج التقوى والفضيلة ويهديهِ إلى صيرة يسوع المسيح راعي الرعاة* فلمّا أراد الله أن يكافيهُ على أتعابهِ ارسل إليهِ والدتهُ الطوباويَّة مريم العذراء في ليلة عيد الميلاد حينما كان يقدّس لتعلمُه بانعتاقهِ من سجن هذه الحيوة المائتة وبدخولهِ إلى أورشليم السمويَّة في عيد سجود الملوك أي عيد الدنح حتى يعاين وجهاً بازاء وجهٍ ذلك الملك الأبديّ الذي خدمهُ كلّ هذا الزمان بغيرةٍ وشهامة وأمانة عجيبة. فملأَت هذه البشارة السمويَّة قلبهُ فرحاً واوعبتهُ ارتقاشاً. فلمّا دنا ذلك اليوم أي يوم عيد الملوك نقل الله نفسهُ إليهِ بكلّ سلامة وكان لهُ من العمر احدى وسبعون سنة. وذلك في اليوم السادس من شهر شباط سنة ١٣٧٣*

القديسة حنّة الفلواسيّة

انّ هذه القدّيسة كانت ملكة فرنسا وقد انشأَت اكراماً لعشر فضائل مريم العذراء رهبنة البشارة وقلّدت تدبيرها الأخوة الصغار رهبان مار فرنسيس. وبهمّتها جعلت أَن تُتلى كلّ يوم صلاة ملاك الربّ في الكنيسة صباحاً وعند الظهر ومساءً*

* اليوم الخامس *

القديسة اغاتا البتول الشهيدة

إِنّ هذه الشهيدة كانت في أيّام الملك داكيوس قيصر من مدينة بالرمو في جزيرة صقلية ذات جنس شريف غنيَّة بالمال والجمال والايمان. ولذلك أمر الملك بحبسها في مدينة كتانيا من تلك الجزيرة نفسها. ولمّا لم تكفر بايمانها أمام الوالي بل شتمتهُ هو وأوثانهُ واعترفت بانَّها تخدم المسيح أمر بتعذيبها فجذبوها بالحبال وجلدوها بقضبان من حديد ومشّطوا جسمها بأسنان حديديَّة. فقالت الشهيدة حينئذٍ. ما أكثر فرحي وشوقي إلى هذا العذاب لأنّ نفسي لا تدخل السماء إلاّ بعد تقطيع هذا الجسد. ثمّ قطعوا ثدييَها بقساوة عظيمة فقالت للوالي اما تستحي أن تقطع في امرأَةٍ ما رضعتهما في امّك* فغضب عليها الوالي وأمر بأن تُلقى في السجن. فبعدما سجنوها ظهر لها مار بطرس هامة الرسل بصورة شيخ طبيب وقال لها انَّكِ أوجعتِ الوالي أكثر ممَّا أوجعكِ. فهل تريدين أن أداوي جروحكِ. فأجابتهُ القدّيسة انَّني لم استعمل الطبّ حياتي كلّها. والآن قد بقي لي من العمر أربعة أيَّام فما لي والطبّ. فقال لها أنا يا ابنتي بطرس رئيس الرسل ويسوع أرسلني لأشفيكِ فلتكوني باسمي مشفيَّة. ثمّ توارى عنها. فشفي حالاً جسم القدّيسة كلّهُ فادّت تمجيداً لله. وظهر في ذلك الحبس نور ساطع ارهب الحرّاس ففرّوا هاربين ثمّ احضرها الوالي أيضاً وأخذ يتملّقها

بالمواعيد. ولمّا لم ترضَ بوعدهِ ووعيدهِ أمر أن يبسطوها على جمر نار فيها خزف محميّ وكانوا يقلّبونها فوقهُ بطناً على ظهرٍ. فتزلزل المكان وانهدم منهُ جانب عظيم قُتِل تحت ردمهِ اثنان من أجناد الوالي ثمّ حُبِست وفي السجن ردّت نفسها لله سنة ٢٥٤ للمسيح*

* اليوم السادس *

القديسة دوروتيا البتول الشهيدة

إِنَّ هذه القدّيسة كانت في أيَّام الملك ديوكلتيانس من قيصريَّة الكبادوك ذات عقلٍ ذكيّ وحسنٍ بهيّ وفضلٍ رضيّ. فلمّا أحضرها الوالي الوثني ليقتلها أو تسجد لآلهتهِ سأَلها ما اسمكِ: فقالت لهُ اسمي دوروتيا. فاعرض عليها عبادة الأصنام. فقالت لهُ انَّ الاه السماء أمرني أَلاّ أعبد إِلاَّ ايَّاهُ فاحكم أنت بما ترى. هل تجب الطاعة لملك السماء أم لملك الأرض* فاغتاظ الوالي من كلامها وأمر بتعليقها. فقالت لهُ لا تلعب معي لعب الصبيان بل افعل ما أنتَ فاعلهُ عاجلاً لاحظى بما ابتغيهِ عند المسيح عريسي السمويّ. وأخذت تصف لهُ شرف يسوع وخيرات السماء فاجرى عليها الوالي حينئذٍ العذاب الأليم وهي ثابتة وفَرِحة. ثمّ قضى بعد ذلك بقطع رأسها. وفيما كانوا منطلقين بها إلى ميدان الشهادة اعترضها أحد علماء الوثنيّين المدعوّ بتاوفيلس وقال لها

مستهزئاً: إذا وصلتِ يا صبيّة إلى مدينة خطّيبكِ فارسلي لي من بستانهِ ورداً وتفّاحاً. فأجابتهُ الشهيدة إلى ذلك* ولمّا وصلت إلى المقتل وجثت على ركبتيها ليقطع السيَّاف رأسها إذا ملاك الربّ قد ظهر لها بهيئة غلام بهيّ الصورة وأتاها بسلّة فيها ثلاث وردات وثلاث تفّاحات تفوق رائحتها روائح العالم الذكيّة فقالت لهُ: احملها إلى تاوفيلس وقل لهُ هذا ما أوعدتك بهِ دوروتيا. فلمّا قُطِع راس دوروتيا قدّم الملاك لتاوفيلس تلك السلّة قائلاً: خذ هذه الورود وهذا التفّاح المجنيَّة من بستان عريس البتول الشهيدة دوروتيا. فلمّا رأَى تاوفيلس ذلك تعجَّب جدّاً لأنَّ ذلك الوقت لم يكن إبَّان الأثمار والورود فآمن بالمسيح واستشهد* وكان استشهاد دوروتيا سنة ٣٠٤ للمسيح*

* اليوم السابع *

مار تاودورس التريوني الشهيد ـ مار روموالدس منشئ رهبنة السوّاح المدعوّة كمالدُوله

مار تاودورس التريوني الشهيد

إنّ هذا القديس كان في أيَّام ديوكلتيانس ومكسميانس القيصرَين الروميّين من مدينة اماسيا من أعمال ارمنيّة* قال مار غريغوريوس نيصص: انَّ القيصرين المذكورين ابرزا أمراً في أن يُقتَل كلّ مسيحيّ

وكان القدّيس تاودورس من جملة قوّاد الجيوش فلم يجزع من هذا القضاء القاسي البربريّ بل تظاهر علانيةً انَّهُ مسيحيّ وانّ الملكَين افتريا بما أمرا. فاحضرهُ إليهِ زعيم القوّاد وسأَلهُ عمَّا سمع عنهُ. فأجابهُ نعم انَّ القيصرَين ظالمان لأَنَّهما يقولان انَّ الأَوثان هي آلهة مع انّهُ لا يوجد الاه غير الهي الذي خلق السماء والأرض وكلّ ما فيهما والذي لهُ وحدهُ يجب السجود وأخذ يثلب الأَوثان ما استطاع. فاطلقهُ رئيس القوّاد ليفحص ذاتهُ. فذهب مار تاودورس واحرق معبد الأَصنام. فاضطرب الوثنيّون لاحراقهِ معبدهم. فحملوا عليهِ وأخذوهُ إلى امام الوالي فاقرَّ بأَنَّهُ هو الذي أحرقهُ. فاندهش الوالي من جراءَتهِ وأمر بجلدهِ فجلدوهُ جلداً قاسياً ومشّطوا لحمهُ بأمشاط حديديّة واحرقوا جنبيهِ* فامَّا القدّيس فكان يرى ذاتهُ وهو في ذلك العذاب كانّهُ في رياض زاهرة. وكان لسانهُ يترنَّم مع داود المرتّل قائلاً. أبارك الربّ في كلّ وقتٍ وحين الخ* ثمّ طرحوهُ في سجن مظلم. فأنار الله ظلامهُ بنور ساطع لا يُوصف وسُمع فيهِ أصوات تراتيل سمويَّة مذهلة. فاندهش من ذلك السجَّان هو ومَن كان في السجن* وفي اليوم الثاني القوهُ في اتّون نار. فوقف الشهيد في وسط النار يرتّل ويشكر الله زماناً طويلاً ثمّ اسلم نفسهُ بيد الله سنة ٣٠٠ للمسيح*

مار روموالدس منشئ رهبنة السوّاح المدعوّة كمالدُولة

إنّ القدّيس روموالدس وُلد في راونّه وهي مدينة شهيرة في إِطاليا. من والدَين معتبرَين جدّاً في الحسَب والنسَب وتربَّى في أرغد عيش إلى أن بلغ العشرين من عمرهِ. وكان دأبهُ الصيد وما يلهو الشباب. وكان من طبعهِ أن يحبّ الخلوة والانفراد والتنزّه في البراري والاكم ما بين الغياض والعيون والأشجار والحقول* فذات يوم فيما كان جائلاً في تلك الأماكن أخذ يفتكر في هذه المخلوقات وبارئها فتحرّك قلبهُ ومال إلى هجران العالم فانطلق ودخل ديراً لرهبنة مار بَنَدكتس (أي مبارك) وبعد ما بقي فيهِ بعض أيَّام طلب إلى الرئيس أن يلبّسهُ الثوب الرهبانيّ. فخاف الرئيس من أبيهِ لأنَّهُ كان ذا غنىً وسطوة وبأْس. وفي الآخر البسهُ ايَّاهُ* وكان روموالدس يزداد في الفضيلة حتَّى صار قدوةً لجميع الرهبان* وبعدما قضى ثلاث سنين في ذلك الدير استأْذن رئيسهُ وانطلق إلى أحد النسّاك المدعوّ مارين وكان قاطناً في برّيّة قريبة إلى مدينة فينيس وتوسّل إليهِ أن يقبلهُ تلميذاً خاضعاً لهُ. فاستجاب الناسك طلبتهُ وقبلهُ وكانا كلاهما يعيشان في الصلوة والتقشّف* فامَّا ربّنا يسوع المسيح فأراد أن يجعل روموالدس آلةً لاجتذاب كثيرين إلى السلوك في سبيل الكمال ويكون أباً لجمٍّ غفير من الرهبان القدّيسين* وبعدما استمرّ هذا القدّيس ثلاث سنين مع معلّمهِ جزم أن يصلح أديرة رهبان مار مُبارك أبيهِ التي كانت قوانينها

قد انحطّت من جرى الضعف البشري. فتركهُ وباشر هذا العمل العظيم وكابد من أجلهِ أسفاراً شاقّة وأتعاباً جزيلة واضطهادات عظيمة. فاصلح أديرة مدينة فينيس وتُسكانا في إطاليا وأديرة كثيرة في فرنسا. وفضلاً عن ذلك فقد عمَّر نحوماية دير جديد وجعلها تحت قوانين مار مبارك. واشحن البراري من السوّاح. وكان يهذّب جميعهم بأمثالهِ الصالحة. وكان منعكفاً على قراءَة سيرة القدّيسين مقتدئاً بهم في أصوامهم وسهرهم وتقشّفهم وصلواتهم*

فامّا الشيطان الحسود فلم يقدر أن يَرى جمّاً غفيراً من الناس يخدمون يسوع المسيح ولا سيَّما روموالدس الذي كان يفوق جميعهم ففتح معهُ حرباً قويَّة وكان يجرّبهُ بتجارب مهولة واضعاً أمامهُ لذّات العالم التي هجرها ومقابلاً إيّاها مع سيرتهِ القشفيَّة. فكان القدّيس لا يلتفت إليهِ بل يظفر بهِ دائماً. وكثيراً ما ظهر لهُ هذا العدوّ الخبيث وضربهُ بالعصيّ. وقد استمرّت هذه الحرب خمس سنوات كاملة. وكان من عادة القدّيس أن يقول لهُ حينما يظهر لهُ هذه الكلمات وهي. يا أيُّها العدوّ طُرِدتَ من السماء وتأْتي إلى القفر ولِّ أيُّها الحيَّة الجهنمّيّة فلك ما أنت أهلهُ. فهذه الكلمات كانت تخزيهِ وتطردهُ وحينئذٍ كان يسوع يعزّيهِ ويقوّيهِ*

ثمّ بعد ذلك رجع إلى الدير الذي فيهِ لبس الاسكيم الرهبانيّ وهناك أُقيم رئيساً وكان كاهناً. ودبَّر فيهِ الرهبان مدّة سنتين بهمّة وفطنة وغيرة عظيمة. ثمَّ تركهُ يسيح وربح لهُ تلامذة كثيرين من

كلّ صنف وجنس. وكانوا في البرّيّة يصلّون ويشتغلون ويعيشون بعرق جبهتهم. ولم يكونوا يأكلون الاّ مرّتين في الأسبوع أي يوم الخميس ويوم الأحد. ولمّا كانوا يرون في البرّيَّة شوكاً وقرطباً فكانوا يتعرّون ويضطجعون عليهِ ويتقلّبون فوقهُ ظهراً لبطن إلى أن يرتبكوا فيهِ فيسيل دمهم* وامَّا مار روموالدس فكان لهُ اشتهاء عظيم للاستشهاد ولذلك انطلق إلى بلاد هونكريا لكي يكرز بايمان يسوع المسيح ويبذل نفسهُ من أجلهِ. فالله الذي غاياتهُ لا تُدرَك رَدعهُ عن ذلك لأَنَّهُ حفظهُ لافادة نفوسٍ كثيرة غير انَّهُ لم يرجع صفر اليدين بل اجتذب أناساً كثيرين من ألمانيا واتّخذهم رفقاء لهُ. فكانوا يُضطهَدون ويُجلَدون حبّاً لاسم يسوع المسيح وبنى لهم أديرة كثيرة* وكان هذا القدّيس الفضيل يزداد تقشّفاً من يوم إلى يوم حتَّى انَّهُ حبس نفسهُ سبع سنين في مغارة. وكان حافظاً سكوتاً مداوماً* وفي صوم الأربعين لم يكن يأكل إلاّ قليلاً من الحشيش والبقل. وكان لهُ ثلاثة أَمسُح في كلّ شهر يلبس واحداً منها* ووهب لهُ الله موهبة النبوّة ونوراً فائق الطبيعة لتفسير الكتب المقدّسة*

ولمّا صار لهُ ماية وسنتان من العمر جزم أن ينفرد ويختلي لكي يخدم الله بأكثر نشاط ما بقي لهُ من الحيوة القصيرة فانطلق إلى جبل ابنّين في حدود إطاليا. وإذ بلغ إلى قمّتهِ نظر فإذا فيهِ حقلٌ ظريفٌ فيهِ ينابيع ماء زلال رائق. فبعدما تنزّه فيهِ قليلاً نعس ونام إلى جانب ينبوع فرأَى حلماً لا يخلو من إشارات. وكان يشبه حلم يعقوب

وذلك انَّهُ رأَى سلّماً يبلغ رأْسها الواحد إلى السماء والآخر إلى الأرض ورأَى رهبانهُ لابسين ثياباً بيضاً وصاعدين عليها إلى السماء. فعلم أنَّ ذلك من الله فقام وذهب إلى ربّ تلك الأرض وطلبها منهُ فوهبها لهُ. وشيَّد فيها ديراً وكنيسةً لرهبانهِ وعمل هناك صوامع كثيرة وغيَّر ثياب الرهبان السود إلى ثياب بيض حسبما رآها في الحلم*

ثمَّ بعد أن ربح لله نفوساً لا تُحصَى وجمع تحت لواء قانونهِ جمّاً غفيراً من الرهبان رقد بسلام الربّ في اليوم التاسع عشر من شهر حزيران سنة ١١٢٧ وعمرهُ ماية وعشرون سنة* وبعد موتهِ باربعماية وأربعين سنة وُجِد جسدهُ كما كان حيّاً من دون أن يعتريَهُ فساد بل كان كريمَ الوجه نقيّ البدَن أبيض البشرة فنقلوهُ إلى مدينة فابريانو ووضعوهُ في كنيسة مار باسيليوس الذي كان من رهبنتهِ أيضاً والآن هو موجود هناك*

* اليوم الثامن *

مار اسطفانس منشئ رهبنة غرانمنْت

إِنَّ هذا القدّيس كان ابن رجل شريف على الغاية من اقليم اوفيرنيا. ومنذ صغرهِ اظهر محبةً عظمى للفضيلة وتربّى عند كاهن ذي تقوى سامية الذي بعد ذلك صار أسقفاً. فكان يعلّمهُ الكتاب المقدس

والكمال. ولمّا رآهُ وما هو عليهِ من الفضيلة قلّدهُ خدمة المذبح وسامهُ شمَّاساً انجيليّاً. وبعد موت هذا معلّمهِ الأسقف انطلق إلى روميَّة لكي يتمّم مسعى دروسهِ فأقام فيها أربع سنين. وكان يحسّ في قلبهِ بصوتٍ يقول لهُ ان اهجر العالم. فلذلك انطلق إلى البابا واستأْذنهُ ومضى إلى البرّيَّة فأخذ يتمشَّى من قفر إلى قفر حتَّى بلغ إلى أحد الجبال وكان شديد البرد لا يسكنهُ أحد إلاَّ الوحوش الضارية فجزم أن يجعل مقامهُ فيهِ ويخصّص نفسهُ لخدمة الله. فعمل لهُ كوخاً من أغصان الشجر لكي يحتمي فيهِ. واستمرّ هناك ستّاً وأربعين سنةً منعكفاً على الصلوة والتقشّف. وكان تقشّفهُ عجيباً حتَّى انَّهُ لم يكن يأكل الاّ الحشيش وعروق الأشجار. ولمّا علم بهِ بعض الرعاة في السنة الثانية من سكناهُ كانوا يأْتونهُ من زمن إلى زمن بخبز. وكان يلبس مسحاً منسوجاً بحلقات من حديد وفوقهُ ثوباً عتيقاً لم يكن عندهُ غيرهُ فكان يلبسهُ في الصيف وفي الشتاء. ولمّا كان يضطرّ إلى النوم فيضطجع على ألواح من خشب عملها على هيئة تابوت. وكان يلتذّ جدّاً في استعمال التأَمّل* فشهرة قداسة سيرتهِ جذبت كثيراً من الأشخاص إلى برّيّتهِ وصاروا لهُ تلاميذ. فكان يحبّهم كأولادهِ ويدبّرهم بحكمة عجيبة. وكان قاسياً على نفسهِ وحليماً نحو الآخرين وشديداً على محافظة قوانين السيرة المنفردة مثل الصمت والفقر وترك الذات. وكان لهُ عادة أن يقول للذين كانوا يأْتون إليهِ ليعيشوا معهُ. هنا سجن ليس فيهِ لا باب ولا طاقة فلا تقدرون أن تخرجوا منهُ وترجعوا إلى العالم انتهى*

وكان يحسب نفسهُ الأخير فيما بين أخوتهِ. وكان يجلس دائماً في المكان الأخير. وحينما كان أخوتهُ يجلسون على المائدة فكان هو يقرأُ لهم سيرة القدّيسين. فمجازاةً لهُ أعطاهُ الله موهبة النبوّة وعمل الكرامات. فاعظم كرامة نراها في سيرتهِ هي الجمّ الغفير من الخطاة الذين ربحهم ليسوع المسيح. ولشهرة قداسة سيرتهِ زارهُ كردنالان وتفاوضا معهُ مفاوضةً روحيَّة راجعة إلى مجد الله وخلاص النفوس*

ثمّ انَّهُ بعد ذلك أُوحيَ إليهِ بأنّ سفرهُ من هذا العالم قريب. فحينئذٍ أخذ يضاعف تقشّفاتهِ وبعد زمان وقع مريضاً. وفي مدّة مرضهِ كان يقوّي تلاميذهُ في دعوتهم وينعش فيهم رجاءً عظيماً بالله. ثمّ طلَبَ أن يُذهَب بهِ إلى الكنيسة وهناك حضر الذبيحة الإلهيّة وأخذ سرّ المشحة وتناول الاوخرستيّا ثمّ رقد بالربّ في اليوم الثامن من شهر شباط سنة ١١٢٤ متلفّظاً بهذه الكلمات وهي: في يديك استودع روحي. وكان لهُ من العمر نحو ثمانين سنة فدفنهُ تلاميذهُ وجرت كرامات عظيمة وافرة على قبرهِ*

* اليوم التاسع *

القديسة ابوللينا البتول الشهيدة ـ مار مارون الشهيد

القديسة ابوللينا البتول الشهيدة

إنَّ هذه الشهيدة كانت من مدينة الاسكندريَّة قد حفظت بتوليَّتها باحتشام عظيم وتمييز ومثَل صالح* فقبض عليها الوثنيّون والزموها أن تكفر بالمسيح وتقرّب الذبيحة للآلهة الباطلة. فابت وأظهرت انَّها لا تريد أن تسمع كلماتهم. فضربوها بالعصيّ إلى أن كسروا فكّها وقلعوا أسنانها ثمّ اضرموا ناراً وتهدّدوها أن يلقوها فيها ان لم تجدّف على المسيح. فامَّا القدّيسة فشرعت تستعدّ للاستشهاد بالصلوة وبتوديع نفسها لله وازداد غرامها لعريسها فعَدَت وطرحت نفسها في النار فردّت نفسها لله واخزت مضطهديها وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر شباط سنة ٢٥٢ للتجسّد الإلهيّ* ويُستغاث بهذه القدّيسة في سقم الأسنان. والربّ يسوع يعطي بشفاعتها الشفاء لمن ابتُلِيَ بهذا الداء*

مار مارون الناسك

قد أخبرنا عن هذا القدّيس العظيم المعلّم تاودورِطُس في أربعة فصول من كتاب تاريخهِ على القدّيسين قائلاً: انّ البارّ مارون الناسك كان كاهناً من بلاد سوريَّة الثانية وكان في سيرتهِ راهباً

ساكناً في قمّة جبل قورس من أعمال أنطاكية. وكان هناك هيكل للأصنام فكرّسهُ هيكلاً للاله الحقيقي. وصنع لهُ هناك كوخاً صغيراً سكنهُ قليلاً لأنَّهُ كان أكثر مقامهِ تحت جوّ السماء. وكان منعكفاً على خدمة الله ليلاً ونهاراً وقد وهب لهُ الله موهبة شِفاء الأمراض فكان يأتي إليهِ كثيرون من كلّ مكان ليستشفوا من أمراضهم وكان يخرج الشياطين من أبدان المجانين ويشفي بصلاتهِ كلّ سقم في النفس والجسد* ولمّا اشتهر فضلهُ في العالم تتلمذ لهُ أناس كثيرون فصاروا قدّيسين كما يروي عنهم تاودورِطُس المذكور واحداً فواحداً* ولمّا نُفيَ القدّيس العظيم يوحنا فم الذهب من كرسيّهِ ارسل إليهِ رسالة من منفاهُ بها يمدحهُ ويطلب إليهِ أن يذكرهُ في صلاتهِ. ومن هذا ومثلهِ نستدلّ على تفاقم شرف هذا القدّيس* وبعد أن تمّم سعي حياتهِ مزيّناً بالقداسة رقد بسلام الربّ سنة ٤٠٠ للمسيح*

* اليوم العاشر *

مار غِليوم الماليوالي السائح ـ الطوباويَّة كلارة الريمينيّة الأرملة

مار غِليوم الماليوالي السائح

انَّ هذا القدّيس كان فرنساويّ الأصل بن أمير شريف جدّاً. وكان أبوهُ قد أرخى لهُ منذ صغرهِ عنان هواهُ خوفاً على صحّتهِ. فواصل

شباباً دنسين وسرى إليهِ دنسهم فصار منغمساً في كلّ نوع من الفواحش* فبعد وفاة والديهِ أدركتهُ النعمة الإلهيّة فقام وانطلق إلى روميَّة ليزور ضريحَي القدّيسين بطرس وبولس. وطلب إلى البابا أن يفرض عليهِ قانوناً بهِ يكفّر خطاياهُ* فأمرهُ الحبر العظيم أن يذهب إلى أورشليم ويعيش هناك في سبيل التوبة إلى مدّة ما. فامتثل غِليوم أمر البابا وسافر إلى أورشليم واستمرّ فيها ثماني سنين ملازماً التوبة والتقشّف في الأماكن المقدّسة التي اكتملت فيها أسرار فدائنا* ثمَّ رجع إلى أوروبا وانفرد في برّيَّة من أعمال تُسكانا. وبعد ذلك قُلِّد سياسة ديرٍ غير انَّهُ لم يلبث زماناً أَن تركهم لعدم قبولهم النظام وانطلق فسكن في مغارة عميقة كانت في وادٍ. فاذ علم بهِ أحد الشرفاء بنى لهُ هناك قلاّية فبقي غليوم فيها أربعة أشهر لا يرى إلاّ الوحوش التي كانت تأْنس بهِ. وكان يأكل حشيشاً. فلمّا جاءَ يوم عيد الدنح من السنة الثانية من سكناهُ جاءَ إليهِ شابّ اسمهُ البرتس وطلب التتلمذ لهُ فقبلهُ مار غِليوم فعاش معهُ مدّة ثلاث عشرة سنة أي إلى حين وفاتهِ. وكان مار غِليوم منعكفاً على التقشّف والصلوة والتامّل والشغل. ومدّة ما كان يشتغل فكان يعلّم ويهذّب تلميذهُ البرتس في أهمّ سبُل الكمال* ولمّا أحسّ بقرب المنون طلب الأسرار المقدّسة. فاتاهُ بها أحد الكهنة من المدينة وبعد أن حصل عليها ردّ نفسهُ لله في يدي تلميذهِ في اليوم العاشر من شهر شباط سنة ١١٥٧*

وكان رجل طبيب قد واصل البرتس قبل موت غليوم بزمن

وجيز وكان حاضراً في موتهِ فدفن جسدهُ هو والبرتس في جنينتهِ التي كان يفلحها هو. وشرعا كلاهما يقتديان بسيرة معلّمهما الطوباوي* ثمَّ أعطاهما الله رفقاء كثيرين في هذه السيرة وكانوا يزدادون يوماً فيوماً. وبنوا مصلّى على قبر غِليوم* فهذا هو أصل الغليوميين الذين انتشروا في إِطاليا وفرنسا وجرمانيا* وكان هولاء السوَّاح من جملة قوانينهم انَّهم يمشون حفاة ويصومون مداوماً. فخفّفها عليهم البابا غريغوريوس التاسع وجعلهم تحت قوانين مار مُبارك*

الطوباويّة كلارة الريمينيّة الأرملة

إِنَّ الطوباويَّة كلارة كانت من مدينة ريميني من أعمال إِطاليا. ولمّا كان لها من العمر سبع سنين ماتت أمّها فتزوّج أبوها بارملة وزوّجها شابّاً. وبعد سنين قليلة ترمّلت كلارة بموت زوجها وكذلك ماتت زوجة أبيها* وكانت كلارة في عنفوان صبوّتها جميلةً جدّاً ومتولّعة في الأمور الدنيويَّة وعائشةً بارغد عيش في اللذّات والأباطيل الزائلة وشهوات الجسد القبيحة* ثمَّ تزوّجت ثانيةً بشابّ من بني الأغنياء وعاشت معهُ مدّةً وهي على حالتها الأولى إلى أن أتى عليها من العمر أربع وثلاثون سنةً فذات يوم دخلت كلارة إلى كنيسة مار فرنسيس فسمعت صوتاً يقول لها أن تقول الصلوة الربيَّة بعبادة. فلمّا قالت هذه الصلوات أحسَّت في قلبها بحلاوة عظيمة. ومن

هنا بدأَت نعمة الله أن تدنو منها. فانفردت في بستانٍ لها حيث كانت تنتظرها الرحمة الإلهيّة وأخذت تفتكر في سيرتها عازمةً على التوبة والاصطلاح. فاذ انطلقت مرّةً أخرى إلى كنيسة مار فرنسيس ظهرت لها مريم العذراء محتاطةً بجوقة عظيمة من الملائكة والتفتت إليها قائلةً: ماذا انتفع زوجكِ الأوّل الذي كنتِ تحبّينهُ بأموالهِ الغزيرة وبشبابهِ وبعظمة بيتهِ وبوساعة قصرهِ إذ انَّ حمّى فصلتهُ عنكِ واحلّتهُ رمسهُ. فكانت هذه الكلمات مثل سيفٍ ماضٍ جرح قلب كلارة وطغى فيهِ حبّ العالم واضرم عوضهُ لهبات محبَّة الله فتركت كلّ شيءٍ وخصّصت نفسها لعمل التوبة ما بقي لها من الحيوة. ولم تكن تريد أن تحبّ الاّ صليب هذا السيّد الصالح الذي أهانتهُ بكلّ تلك الاهانة وأن تبكي أمام قدميهِ نادبةً سقطاتها وخطاياها. فرجعت إلى قصرها وحكت زوجها عن ظهور مريم العذراء لها وتوسّلت إليهِ بدموع أن يأْذن لها أن تكرّس ذاتها بجملتها لخدمة الله. فمنحها سؤالها فلبست ثياب التوبة وهجرت العالم غير أنَّها لم تدخل في إحدى الرهبنات. وعاشت هكذا سنتين متّخذةً يسوع المسيح عريساً وحيداً لها* وكانت تمارس تقشّفاً لا يحتمَل. فمنهُ انّها كانت تلبس مسحاً وتمشي حافيةً عوض الجواهر والحجارة الكريمة والذهب التي كانت تزيّن بها جسدها وكانت متمنطقة بسلسلة حديديَّة ولابسةً درعاً ثقيلاً وزنهُ ثلاثون رطلاً. وكانت تعيش منقطعةً على الخبز والماء وقليل من البقل* فاذ رأَى الوحش الجهنّمي انّ هذه الفريسة الجميلة افلتت من

بين أنيابهِ أخذ يجرّبها مصوّراً أمامها لذّات حياتها الماضية. أمَّا هي فكانت تجثو على ركبتيها وتصرخ. يا ربّ أَمِل بنظرك إليَّ. يا ربّ اعِنّي أنت ملجأنا يا ابن داود. فبهذه الاستغاثة كانت تتشجّع وتظفر بالشيطان. فذات يوم بعد أن جرّبها هذا العدوّ القتَّال خرجت مساءً من قلاّيتها وتوسَّلت إلى إحدى رفيقاتها أن تضرم لها ناراً فالتمست جثَّة حيوان كرهة نتنة فشوتها وأكلتها بجراءَة قائلةً. تناول أيها الجسد هذا الطعام النفيس وكلهُ. وهكذا كانت تنتصر على عدوّها* ومن جملة تقشّفها أنَّها أضافت على أصوام الكنيسة صومَين أربعينيّين وأصواماً أُخر كثيرة. فالليل المعيَّن للراحة كان لها فرصةً لاستعمال التقشّف. واستمرّت في عمل التوبة مدّه ثلاثين سنة*

وبعد موت زوجها بزمان تمرّض أخوها في مدينة اوربينو. فلمّا بلغها ذلك انطلقت إليهِ وقامت بخدمتهِ إلى أن أفلت من الخطر فأقامت لهُ خدّاماً عوضها لتقدر أن تكمّل أعمالها التقويّة. وكانت تمكث في الكنيسة إلى حين صلاة الساعة التاسعة مشتغلةً بالصلوة والبكاء على خطاياها السالفة ثمَّ تخرج وتنطلق فتستعطي خبزها من باب إلى باب وما فضل كانت تعطيهِ للفقراء. وبعد ذلك كانت ترجع وتزور أخاها وتساعد الخدّام في الأشغال الصعبة. ومن هناك كانت تذهب وتسلّي الحزانى وتعين الفقراء وتداري المرضى. وكانت تقضي جزءاً كبيراً من الليل في الكنيسة بالبكاء على خطاياها. وبعد أن نقه أخوها من مرضهِ رجعت بهِ إلى مدينة ريميني وسكنت في بيتهِ

إلى أن اكتشفت في سور المدينة قلاّية صغيرة مهدومة بلا سقف فجعلت مقرّها فيها وكانت تقول. يا إلهي هنا أقدر أن أجدك* وكانت محبّتها للقريب عظيمة بهذا المقدار حتّى انَّهُ إذ بلغها ذات يوم انَّ امرأَةً مسكينة تستعطي لكي تفتدي يد زوجها التي قُضي بقطعها ذهبت ووقفت على حجر في مكان ممتلئٍ من الناس وعرضت نفسها للبيع فكانت تصيح من يشتريني عبدةً لهُ فداءً عن يد هذا الفقير. فتعجَّب الجمع من ذلك وبلّغوا الخبر إلى موالي المدينة فتعطّفت قلوبهم وعفوا عن يد المسكين من دون فداء* ومجازاةً لها منحها الله موهبة عمل الكرامات فكانت تشفي المرضى المصابين بأسقام النفس والجسد وتجترح أعاجيب اخر كثيرة*

وذات يوم دخلت بيعة الأخوة الواعظين في يوم عيد الطوباويّ مار عبد الأحد وشرعت تفتكر في آلام المسيح التي كان دأبها أن تتأمّل فيها دائماً. فاستحوذ عليها الارتعاد والرجفة واصفرت وسقطت مُغمىً عليها. فاجتمع حولها الشعب وظنّوها مائتة. فرئيس الدير الذي كان عارفاً بوفور عبادتها لسرّ القربان المقدّس أخذ هذا القوت الالهيّ وأتى بهِ إليها فلمّا أدناهُ من فيها هبَّت حالاً من نعاس الموت واقتبلت ربّها العزيز. وصحَّت فيها كلماتهُ تعالى: أنا خبز الحيوة من يأكلني ولو مات فهو يعيش*

وإذ راد ربّنا يسوع المسيح أن يجلبها إليهِ دعاها بكلمات النشيد الحلوة وهي: قومي اسرعي يا حبيبتي وتعالي* فبعد أن تمرّضت مدّة

ستّة أشهر دنا اليوم السعيد الذي فيهِ تخلص من وادي الدموع فجمعت رفيقاتها وحثّتهنّ على حفظ السلام والمحبَّة. ولمّا جاءَت ساعتها الأخيرة رفعت عينيها إلى السماء قائلةً. يا ربّ في يديك استودع روحي. وحينما لفظت هذه الكلمات دخلت في الأبديَّة السعيدة وكان ذلك في اليوم العاشر من شهر شباط سنة ١٣٤٦*

* اليوم الحادي عشر *

مار سَوَرينس رئيس الرهبان

إنَّ القدّيس سوَرينس كان من نسبٍ شريف وقد اهتمّ بهِ أبواهُ منذ نعومة أظفارهِ وعلّماهُ العلوم الدنيويَّة ودرَّباهُ في سُبُل الآداب لكي يجعلاهُ من أصحاب الوظائف والمراتب العليا في العالم* أمَّا الله الذي قد اختارهُ لكمالٍ أشرف فحرّك قلبهُ أن يترك الأرض لأجل السماء. فانفرد في أحد الأديرة في بلاد السويس وهناك أخذ يمارس الصوم والصلوة والمحبَّة وسائر الفضائل حتَّى أضحى في زمن قليل كاملاً في جميعها فأُقيم رئيساً على الرهبان برضى جميعهم. وكانت فضيلتهُ تشتهر بالكرامات الكثيرة التي كانت تجري على يديهِ. فمن ذلك انَّ قلاوس أوّل ملك فرنساويّ تنصَّر وقع مريضاً بحمَّى قويّة. فلمّا سمع بقداسة سَوَرينس وبكراماتهِ أرسل إليهِ يدعوهُ لكي يزورهُ ويشفيهُ. فصعب على

القدّيس ترك خلوتهِ وانطلاقهُ إلى الدار الملوكيَّة بالاكرام وأخيراً لبَّى دعوة الملك. ولمّا عزم على السفر أوصى أخوتهُ الرهبان بالمحبَّة والتقوى وقال لهم انَّهم لا يرونهُ فيما بعدُ لأنَّ الله أوحى لهُ أن يموت في فرنسا. ثمَّ ودّعهم وسافر ولمّا بلغ إلى باريس رأَى على بابها رجلاً أبرص فشفاهُ بتقبيلهِ وبغسلهِ ايَّاهُ بريقهِ. ثمَّ انطلق إلى قصر الملك ودخل فسلّم عليهِ بالملوكيَّة ثمّ وضع حلّتهُ المقدّسة على جسد الملك وفي الحال شفي فامتلأَت المدينة فرحاً. فكان البعض يمدحون فضيلتهُ والبعض يتعجّبون من قوّة الديانة المسيحيَّة فبغضوا عبادة الأوثان وقلبوا أصنامهم التي كانوا يسجدون لها قبلاً. وارتفع لواء الصليب في كلّ جهات فرنسا وأبطلت ديانة الأوثان. ثمّ أمر الملك بأن يُعمَل دورة احتفاليَّة لله المحسن إليهِ وأطلق جميع المحبوسين اكراماً للقدّيس*

فغب ان سكن سَوَرينس في باريس بعض أيَّام أحسّ بدنوّ ساعتهِ الأخيرة. فما أحبّ أن يموت في قصر الملك. فاستأْذن الملك وانطلق إلى كنيسة صغيرة وهناك استعدّ للموت بقبولهِ الاسلحة المسيحيَّة أي الأسرار المقدَّسة ثمّ طارت نفسهُ إلى السماء لكي يجني ثمار أعمالهِ. فامتلأً المكان الذي كان فيهِ نوراً سمويّاً دلالةً على عظمة مجدهِ. ودفنهُ كاهنان كانا عندهُ في تلك الكنيسة الصغيرة وجرت كرامات كثيرة على قبرهِ. وبعد زمانٍ وسّع أحد الملوك تلك الكنيسة وزيّنها بالجواهر والحجارة الكريمة*

* اليوم الثاني عشر *

مار ملاشيوس بطريرك انطاكية

إنَّ مار ملاشيوس البطريرك كان في أيَّام الملك والَنْس الآريوسيّ وكان الشعب يحبّهُ جدّاً لزيادة فضلهِ. وكان كلٌّ من المؤمنين يطلب منهُ الدخول إلى بيتهِ معتقداً أنَّهُ بدخولهِ يتبارك المنزل ومَن فيهِ. ولقد نفاهُ الآريوسيّون مرَّات عديدة. ثمّ ذهب على القسطنطينيَّة وتوفّي فيها سنة ٣٨١ للمسيح* وهذا القدّيس هو الذي عمّذ يوحنّا فم الذهب وسامهُ شمّاساً انجيليّاً وقلّدهُ وظيفة الوعظ* ولطالما مدحهُ القدّيسان غريغوريوس نيصص ويوحنَّا فم الذهب في ميامرهما*

اليوم الثالث عشر *

القديسة كاترينة الريشية البتول الدومنيكيّة

إنّ القدّيسة كاترينة وُلِدت في مدينة فلورنسا في سنة اثنتين وعشرين وخمسماية وألف من والدين شريفَي الأصل من إطاليا. وسمّيت في العماذ منصورة فامَّا امّها فماتت لمّا كانت كاترينة طفلة وكان لها اشبينة ذات تقوى. فهذه تقلّدت تربيتها* وكانت تبان منذ صباها انّها فتاةٌ مباركة. واسبغ الله عليها اختصاصات جزيلة

وإلهامات فائقة الطبيعة. وتملّكت في قلبها المحبَّة الإلهيَّة وكثيراً ما كانت تغيب عن حواسّها ساعات طويلة* ولمّا بلغت إلى ما بين الستّ والسبع من العمر وضعها أبوها في مدرسة كانت في دير يدعى جبل الله لكي تُحسن تربيتها هناك. فكانت هناك تقضي جميع فرائض الديانة بكمال عظيم. وعزمت على نفسها أن لا تترك الله أبداً من أجل الدنيا وأن لا يكون لها عريس الاّ عريس نفسها يسوع حمل الله الذي تتبعهُ العذارى الطاهرات* وأراد أبوها أن يزوّجها ولكنّها استأْذنتهُ وصارت راهبة من رهبنة مار عبد الاحد في السنة الرابعة عشرة من عمرها. ولبّسوها ثوب مار عبد الأحد بفرح عظيم وسمّيت كاترينة لكي تكون تحت حماية القدّيسة كاترينة السيانيَّة السرافيَّة. وعمدت في نفسها أن تقتدي بها في كلّ شيء. وقضت العدّة المعلومة للمبتدئين في الرهبنة الثالثة من رهبنة مار عبد الأحد في دير كان على اسم مار منصور في مدينة من أعمال تُسكانا وظهرت بين أخواتها كملاك من السماء وذلك بتقواها وتواضعها وحلمها واحتشامها وطاعتها* ثمّ انّ الله الذي كان يريد أن يجعلها عروساً مستحقّة لابنهِ المصلوب جرّبها بتجارب وأوجاع قاسية شديدة. وطالت أوجاعها مدّة سنتين ولم يكن يصيبها من الأدوية شيءٌ الاَّ ازدياد الوجع. فلم تكن هي تفقد صبرها بل كانت تفرح بانّها صارت شريكة مع يسوع المسيح في آلامهِ التي كانت غاية تامّلاتها المداومة. وبعد ذلك الزمان ردّ لها الله الصحّة باعجوبة وبدأَت وقتئذٍ أن تقضي عمرها بالتقشّف. وكانت تنقطع

ثلاثة أيَّام في الأسبوع على الخبز والماء وكانت تجلد نفسها بسياط جافية جدّاً وتتحزّم بسلسلة حديديَّة. ولم تكن تصنع هذه التوبة المهولة خارجاً فقط بل داخلاً أيضاً وكان لها طاعة كاملة ووداعة غير فاسدة وبالخصوص تواضع عميق. وكانت تحتقر ذاتها وإذا مدحها الناس واعتبروها تنزعج من ذلك. ولم تكن تشتهي الاّ شيئاً واحداً وهو أن تكون غير معروفة ومحسوبة لا شيء. وكانت تلتمس دائماً وفي كلّ شي ما يُرضي الله وإرادتهُ الإلهيّة. وتناولت في حرارة صلاتها ذوق الحقائق السمويّة وروح ترك الأشياء الدنيويَّة ومحبّة غير مدركة ليسوع المسيح الفقير المتالّم الملاشي نفسهُ* وكانت محبّتها للقريب مضطرمة بلا انقطاع وكانت تساعد الفقراء والمرضى والأرامل واليتامى والشيوخ في كلّ المدينة وذلك إمَّا بنفسها وإمَّا بواسطة غيرها. ولكي تحصّل رجوع الخطاة قدّمت نفسها لله كذبيحة للتكفير عن خطاياهم. وارسل الله إليها أوجاعاً شديدة لكي تنال منهُ خلاص الأنفس الضالّة. وعندما كانت تتكلّم مع الخطاة كانت أقوالها مضطرمة تحرّك ضمائرهم على التوبة. وكان تحنّنها على الأنفس المطهريّة عظيماً وبخصوص ذلك نالت من الله أن تأخذ على نفسها جزءاً من عذابات هذه الأنفس البائسة. وكانت تقول بحرارة متّقدة عن ذلك. يا إلهي أنا أقبل بشكر كلّ الأتعاب الواجبة على هذه الأنفس المسكينة لكي تنطلق وتفرح بحضور يسوع المسيح وترتّل بتسابيحهِ ومدائحهِ*

وقد اختيرت هذه القدّيسة كاترينة أوّلاً لتكون معلّمةً للمبتدئات.

ثمّ تصبوها نائبة الرئيسة. ولمّا بلغت خمساً وعشرين سنةً من عمرها أقاموها رئيسة مؤَبّدة فمن كثرة الصيت العالي الذي لها كان كثير من الأمراء والأساقفة والكردنالات يوافونها كلّ يوم لكي يستشيروها* وكان مكاتبة بينها وبين القدّيس فيلبّس نيري الذي كان قاطناً في رومية. وكما أنّ كليهما كانا يشتاقان ان يرى بعضهما بعضاً لكي يتفاوضا في الأشياء السمويّة فيوماً ما بغتةً خطفهما الله ووجدا نفسهما في مكان واحد فاخذا يتكلّمان زماناً طويلاً عن أشياء تخصّ خلاص النفوس ومجد الله* ومرَّات كثيرة وخصوصاً في زمن أوجاعها كان وجهها يلوح شبيهاً بوجه يسوع المسيح وذلك علامة لوصالهِ معها ووصالها معهُ* وحينما كانت تتأَمَّل في آلام ربّنا يسوع المسيح كانت روحها تُخطَف* وذات يوم لمّا كانت تصلّي أمام المصلوب قائلةً لهُ يا عريسي يا حبيبي المصلوب أأَنت تتأَلّم من أجلي ليتني أنا أكون بنفسي على الصليب يا ربّي انظر مع ذلك كم أنا أتأَلّم معك بفرح واشتياق وفكّت يدَي الصليب فاعتنقها المصلوب. وكان وصالها مع يسوع المسيح المتألّم عظيماً حتَّى انَّهُ ظهر لها مرّةً ما وطبع في جسمها آثار جراحاتهِ ليس كمار فرنسيس على رجليها ويديها وجنبها فقط بل طبع أيضاً على رأسها أثر اكليلهِ الشوكيّ وعلى كتفيها آثار عميقة للصليب. وسمح يسوع المسيح أن نُجرَّب بالاحتقار والكلمات القاسية والافتراء والنميمة. امَّا هي فكانت تفرح بذلك. وعندما كانت تصلّي ذات يوم أمام المصلوب ظهرت لها مريم العذراء وناجتها بآيات من الكتاب

المقدّس فيها إشارة إلى آلام ربّنا يسوع المسيح. ومنذ ذلك اليوم دخلت العادة أن يتروّض المؤْمنون بهذه الآيات في كلّ جمعة من الصوم الكبير في كنائس مار عبد الأحد* ثمَّ انَّها مع كونها قد حفظت برارة معموذيَّتها ونالت كلّ هذه النعم من يسوع المسيح كانت تظنّ بالحقيقة انَّها أكبر خطاة العالم وعار رهبنتها. ومَن يقدر أن يحصي عدد الخطاة الذين رجّعتهم إلى التوبة بواسطة صلواتها. وعدد الأنفس المطهريَّة التي خلّصتها بتكفيرها عنها. وكم تدقّقت في تأْدية قوانين رهبانيّتها. وكم كانت حنونة على القريب وقاسيةً على نفسها*

وجادَ الله على القدّيسة كاترينة بروح النبوّة فكانت تتنبَّأُ عن المستقبلات وترى الأشياءَ البعيدة كما أنّها لو كانت حاضرةً أمام عينيها. فمن ذلك أَنَّها انبأَت يوماً الاب سيكسْت فابري رئيس الرهبنة الدومينيكيّة العامّ بانّهُ إِن ادخل نفسهُ في أمورٍ كذا حدثت وقتئذٍ فيصيبهُ من جرّاء ذلك ما يضجّرهُ كثيراً. وفي الآخِر صدقت نبوّتُها إذ أنّ الأَب المذكور لاقى من أجل تداخلهِ هذا مشقّاتٍ عظيمة الزمتهُ بعد ذلك أن يتنازل عن رياستهِ*

ويوماً آخر صادفت القدّيسة أحدَ الشبّان من مدينة فلورنسا كان قد عزم أن يذهب إلى روميّة ليتزوّجَ هناك بإِحدى النساء رغماً عن إرادة امّهِ التي كانت تريد أن يتزوّج بفتاةٍ أُخرى في فلورنسا. فانبأَتْهُ القدّيسة بأنّ الأجدر بهِ والأوفق لهُ أن ينصتَ إلى مشورة امّهِ ويعمل برضاها وان لا يخرج من فلورنسا. فلم يعبأْ الشاب المذكور

بكلام القدّيسة بل ركب حصانَهُ وأَراد الذهاب إلى روميّة فاعتراهُ بغتةً مرضٌ مهول الزمهُ أن يكفَّ عن السفر ويلازم الفراش عدّة أيّام. ولم يتعافَ منهُ إلاّ بعد أن أيقن بنبوّة كاترينة وعزم أن يخضع لإرادة أمّهِ*

ووافى إليها مرّةً أخرى البعضُ من أخوةِ الرحمة وتوسّلوا إليها أن تصلّي من أجل أحد الأشقياء الذي حُكم عليهِ بالموت ولم يكنْ يريد أَنْ يستعدَّ لميتةٍ صالحة. بل انّهُ كان يرفضُ بكلّ عنادٍ التوبةَ والرجوع إلى الله. فبعد أن صلّتْ القدّيسة لأجلهِ صلوةً وجيزة قالت لهم: بأنّ الرجل قد ارعوى وتاب وأمرتهم أن يرجعوا إليهِ في الحال. فلمّا وصلوا مقرّهم وجدوا الأمر كما قالت لهم كاترينة*

وإذا كانت الراهبات رفيقاتها مجتمعات أحدَ الأيام اعلمتهنَّ القدّيسة بأن عمّها الاب طيماثاوس ريشّي معلّم اعترافهنّ توفّي في ذلك الوقت في مدينة بيروز. وطلبت اليهنّ أن يصلّين عن روحهِ. وبعد ذلك جاءت الاخبار مشيرةً إلى وفاةِ الاب المذكور في الساعةِ التي فيها أنبأَت القدّيسةُ الراهبات

والعجائب التي فعلتها القدّيسة في حياتها كثيرةٌ من أن تُحصى. منها انّ أحد الشباب الذي كان يعرف ببرارتها وقع يوماً في هوتةٍ عميقة جدّاً. فاستغاث حالاً مستنجداً القدّيسة لإِغاثتهِ. فظهرت لهُ في الحال وانتشلتهُ من عمق تلك الهاوية من دون أن يصيبهُ أدنى ضرر. وبقيت بعد ذلك ثيابهُ التي كانت قد تخرّقت من السقطة وآثار جراحهِ التي

شُفيت تشهَدُ بحقيقة الاعجوبة*

ومرّةً أخرى جاءَت إلى الدير امرأةٌ قرويةٌ مسكينة كانت مصابةً بداء الاستسقاء وأخذت تسأل الراهبات قائلةً: ألا تدلِلْنَني على الراهبةِ القدّيسة كاترينة. فوافق أَنّ كاترينة واقفةً وقتئذٍ تسمعُ كلام هذهِ المرأة. فلم ترقَّ عليها بل قالت لها لعمقِ تواضعها: لا يوجد هنا قدّيسة. القدّيسون هم في السماء. ودخلت حالاً إلى قلاّيتها واغلقت الباب في وجهِ المرأة. فأخذت حينئذٍ بعض الراهبات اللّواتي كنّ حاضرات ومشاهدات القضيّة يتوسّلنَ إلى كاترينة بشأن هذه المسكينة والتحنّن عليها. فأَصغت كاترينة إذ ذاك إلى طلبتهنّ وخرجت إلى المرأة وبعد أن أخذت بخاطرها وعزّتها رسمت عليها إشارة الصليب فشُفِيَت لساعتها* وصنعت القديسة كاترينة غير ذلك كثيراً من أمثالِ هذه العجائب والمعجزات التي يطولُ شرحها*

وهكذا بعد أن قضتْ في الرهبنة أربعاً وخمسين سنةً كلّها ذات أجر وثواب اعتراها مرضها الأخير. فعلمت بأن قد حان زمن ارتحالها من هذا العالم لتأخذ جزاءَها في الملكوت. فاستدعت إليها جميع الراهبات وشرعت تطلب منهنَّ العفوَ والغفران وتبيّن لهنّ بأنّها لم تكن تستاهل الاعتبار والاكرام اللَّذَين كنّ يؤَدّينهما لها. بل انّها هي أكبرُ الخطاة وعار الرهبنة وحملٌ ثقيل على الدير. واستمرّت طول مدّةِ مرضها هذا حتّى آخر نسمةٍ من حياتها مواظبةً على أفعال التقوى والبرّ ومداومةً على تأمّلاتها كعادتها يومَ كانت في حال الصحّة. وهكذا كانت تحتمل

أوجاعها الشديدة بعظيم صبرٍ محبّةً بآلام مخلّصها الحبيب يسوع المسيح* ثمّ تزوّدت بزوّادة المسيحيين الأخيرة وطلبت إلى الله أن يعجّل موتها لا لكي تستريح من آلام الأوجاع بل لكي لا تثقّل على أخواتها الراهبات اللّواتي كنّ لا يفارقنها ولم يرضين بأن يتركنها ولو لحظةً فضلاً عن احتمالهنّ السهر والعناء. وهكذا رذت نفسها لله بسلامٍ بعد مكابدة مرضٍ طويل وذلك في اليوم الأوّل من شهر شباط ليلة عيد تطهير مريم العذراء سنة ١٥٩٠ وعمرها سبعٌ وستون سنة*

وعند موتها تلألأً جسدها بأنوار باهرة حتّى انّهُ لم يكن يستطيع أحدُ وقتئذٍ أن يداومَ النظر إليها. وأضحى جمال وجهها يفوق جمال البشر كافّةً. وانبعثت من جسدِها رائحةُ عطورٍ ذكيّة سمويةً تفوق جميع روائح العالم الطيّبة. وابقوا جسدها في الكنيسة مدّة يومين ليتبرّك منهُ المؤمنون الذين كانوا يوافون إليها أفواجاً من النواحي المجاورة للدير. وبعد دفنِها لم يهدأ الناس أيضاً من الحجّ إلى قبرها. وكثيرون منهم نالوا بشفاعتها نعماً وافضالاً لا تُحصى من لُدنِ الله الذي عجائبهُ في قُدّيسيهِ*

وبعد مرور مائة واثنتين واربعين سنةً من وفاتها فتحوا قبرها بحضور جمٍّ غفير من الناس كانوا قد أُحضروا ليكونوا شهداء على ما يعاينوهُ من بقايا جسد القدّيسة. فوجدوا أنّ بعضَ الأجزاءِ من جسدها كانت باقيةً على هيئتها الأصليّة سالمةً من كلّ فساد. غير أنّ الباقي منهُ لم يكن إلا عظاماً يابسة. ولقد ازدادوا تعجّباً عندما تأكّدوا بأنّ

هذه الأعضاء الخالية من الفساد لم تكن إلاّ تلك الأعضاء التي كانت قد رُسمت فيها جراحات يسوع المصلوب* وهكذا شاهدوا أيضاً بأنّ جميع الزينات المختصّة بالحزن التي كانوا قد زيّنوا بها قبرها قد استحالت إلى رماد ما عدا الصليب الصغير الخشبيّ الذي يُوضَعُ عادةً في يديّ كلّ راهبةٍ ترتحل إلى دار البقاء. وبعد ذلك رفعوها باكرام من القبر ووضعوها في صندوقٍ. جميل مغشًّى بالذهب. ولم يكونوا يظهرونهُ للمؤمنين الاّ في الأعياد المحتفلَة

وفي سنة ١٧٣٢ الحقها البابا اقليميس الثاني عشر في سلك الطوباويّين. وسنة ١٧٤٦ حكم البابا بندكتس الرابع عشر بقداستها.

* اليوم الرابع عشر *

مار والنتينس الكاهن الشهيد

إنّ هذا القدّيس كان في أيّام قلودس قيصر من مدينة روميّة. فقبض عليهِ الملك وشرع يتملّقهُ علَّهُ يستميلهُ إلى عبادة الأوثان. فأخذ الشهيد يظهر ضلالة أصنامه ويشرح لهُ سيرة يسوع المسيح وحسن اعتقاد المسيحيّين فمال الحاضرون إلى تصديق أقوالهِ وكادوا أن يتنصّروا فنهض بعض الولاة الحاضرون وقال: حاشا أن تبطل ديانة آلهتنا

ويعبَد المصلوب. فخاف الملك من السجن فاسلمهُ إلى أحد نوّابهِ وكان يدعى استاريوس وقال لهُ اجتهد في أن تقنعهُ ليعبد آلهتنا والاّ فاقتلهُ. فأخذهُ استاريوس إلى بيتهِ وكان لهُ بنتٌ عمياء فشفاها القدّيس بصلاتهِ. فآمن استاريوس وأهل بيتهِ. فلمّا بلغ ذلك الملك قضى بقتل القدّيس والنتينس واستاريوس وأهل بيتهِ جميعاً وتمّت شهادتهم في اليوم الرابع عشر من شهر شباط سنة ٢٧٠ للمسيح*

* اليوم الخامس عشر *

القديسَين فوستينس ويوفيطس الشهيدَين

انّ هذين جنديَّي المسيح كانا أخوين قد وُلِدا في مدينة برشّيا من أعمال لُمبرديّة من عيلة شريفة. ومنذ صغرهما كانا فضيلَين ومرتبطَين بعقال محبَّة أخويَّة لا يُفَكّ. فرسم أسقف مدينتهما البكر وهو فوستينس كاهناً ورسم يوفيطس شمَّاساً انجيليّاً. فكانا ينذران بايمان المسيح ويرشدان الجهّال ويستعملان كلّ نوع من الفضائل. وكانا مهتمّين جدّاً بخلاص النفوس ويترجيع الوثنيّين إلى ايمان المسيح الحقيقي. وفي ذلك الزمان أثار ادريانس قيصر اضطهاداً على النصارى فكان يمسكهم ويعذّبهم ويميتهم وكان من جملة المضطَهدين فوستينس ويوفيطس فلمّا قبضوا عليهما واتوا بهما أمام الملك عمل كلّ جهدهِ في أن يستميلهما

إلى السجود للأوثان فما استطاع. أخيراً قادهما إلى هيكل الشمس وكانت فيهِ صورتها مزيّنة جدّاً بالذهب والجواهر الكريمة. أمَّا هذان القدّيسان فشرعا يصلّيان إلى الله تعالى عسى أن يظهر بطلان ديانة الأوثان ويبيّن حقيقة ايمان المسيح. فللوقت انقلبت تلك الصورة إلى خيال عنكبوت وصارت كالفحم* فإذ رأَى الملك ذلك أمر كهّان الهيكل أن ينقّوا صورة الشمس. فحالما اقتربوا إليها وقعت وصارت هباءً منثوراً. فخاف الملك من هذا المنظر وأمر بإلقاء هذين الشهيدَين أمام أربعة أسود جافية فعوض أن تفترسهما أخذت تلحس أقدامهما بمودّة. ثمّ طرحوهما إلى النمورة والدبب ووحوش أخرى فلم تؤذِهما. فلمّا تحقّق الملك أَنَّهُ مهما يعمل فلا ينجح أمر بسجنهما وان لا يتكلّم أحد معهما وأن لا يقدَّم لهما مطعم ولا مشرب حتّى يهلكا جوعاً وعطشاً* ولكن من يقدر أن يقاوم الله القادر على كلّ شيء فانَّهُ أرسل ملائكتهُ وأعالوهما في الحبس. وكثيرٌ من الوثنيّين آمنوا بالمسيح عند معاينتهم ذلك فغضب الملك عليهم وقتلهم قاطبةً ثمّ قيّد فوستينس ويوفيطس بالأغلال وأخذهما معهُ إلى مدينة ميلان وهناك عذّبهما بعذابات أليمة منها أنهُ أمر أن يسكبوا رصاصاً مذوّباً في فَميها فاحرق الرصاص المعذِّبين ولم يضرّ الشهيدَين. ثمّ استعملوا معهما انصالاً محمرّة في النار فكانوا يضعونها على جوارحهما. ولمَّا رأى الملك أنّ جميع عذاباتهِ لم تضرّهما أخذهما إلى روميّة وهناك أذاقهما عذابات جديدة ثمّ بعث بهما إلى مدينة نابُلي وضاعفوا عذاباتهما هناك ثمّ طرحوهما في البحر فخلّصهما

ملاك الربّ من الغرق بقدرة ذاك الذي كان يحارب فيهما. فخرجا من البحر ظافرَين وأخيراً ارجعوهما إلى مدينتهما وقطعوا رأسَيهما بالسيف خارجاً عن المدينة وهكذا تمَّت شهادتهما. وكان ذلك في اليوم الخامس عشر من شهر شباط سنة ٢٠٢ للمسيح*

* اليوم السادس عشر *

مار فلابيانس بطريرك القسطنطينيَّة

إنَّ هذا الاب العظيم كان في أيّام الملك تاودوسيوس الصغير. ولمّا ظهر اوطيخا ببدعتهِ المخالفة للصواب التي كانت تُعَلِّم انّ في المسيح طبيعة واحدة ومشيّة واحدة عارضهُ القدّيس وحرمهُ فلأجل ذلك جمع عليهِ اوطيخا وديوسقورس اسقف الاسكندريّة وبرصوم الراهب مجمعاً خبيثاً وحرمهُ ديوسقورس ظلماً وأخرجهُ من الكنيسة بالضرب والرفس والتهشيم. ثمّ غلّلوهُ بالسلاسل واثخنوهُ جراحاً ونفوهُ وتنيّح في النفي من ضيق الشدائد التي كابدها لأجل الايمان المستقيم. وكان ذلك سنة ٤٥٠ للمسيح*

* اليوم السابع عشر *

مار ألكَسيس فالكونياري أحد منشئ رهبنة عبيد مريم العذراء أم الأحزان ـ مار اغابيطس المعترف أسقف صوناده ـ مار بولس الصليبيّ منشئ رهبنة الصليب المقدّس والام ربنا يسوع المسيح

مار ألكَسيس فالكونياري

إِنَّهُ في يوم عيد انتقال مريم العذراء سنة ١٢٣٣ في زمَن حبريّة غريغوريوس التاسع الحبر الروماني سبعة شبّان من أغنى عيلات مدينة فلورنسا وأشرفها كانوا مجتمعين في الكنيسة يرتّلون بأمجاد مريم العذراء القدّيسة. وكان من جملتهم الطوباويّ الكَسيس فالكونياري. فظهرت لهم مريم العذراء وحثّتهم على هجران العالم والتمسّك بسيرة كاملة. فاطاعوا صوتها وقاموا فانطلقوا إلى أسقف فلورنسا وكان صدّيقاً وحكوا لهُ عن ظهور مريم العذراء لهم ثمَّ ذهبوا بحسب مشورتهِ وسكنوا في بيت صغير كان في البرّيَّة بقرب فلورنسا ومكثوا هناك سنة كاملة يصلّون ويصومون ويمارسون تقشّفات نظير آباء البريَّة القدَم. ولمّا لم يُجمعوا على أمرٍ لتدبير سيرتهم قصدوا ثانيةً أسقفهم. فتفاوضوا معهُ من جرى ذلك وعزموا أن يخصّصوا ذواتهم لمريم العذراء لا خدّاماً فقط بل عبيداً أيضاً. من حيث انَّ الخادم يقدر أن يترك معلّمهُ امَّا العبد فلا يقدر أن يترك مولاهُ لأَنَّهُ مملوكهُ في حياتهِ وموتهِ. ثمَّ رجعوا

إلى خلوتهم الصغيرة وتبعهم جمٌّ غفير من الناس. أمّا هم فلكي يتجنّبوا الضوضاء انطلقوا إلى جبل عالٍ وسكنوا في مغارة مظلمة وجدوها فيهِ وهناك غاصوا في التأمُّل والصلوة والتقشّف. فلم تتركهم مولاتهم المباركة بل ظهرت لهم يوماً وبشّرتهم بأنَّها قد انتخبتهم لاكرام آلام ابنها بنوع خصوصيّ وللاشتراك في الأوجاع التي احتملتها هي لمّا كانت واقفة تحت الصليب. ثمَّ قالت لهم انّ غاية رهبانيّتكم هي أن تكونوا رجال جزن ودموع. وأعطتهم ثوباً أسود علامةً للأوجاع التي أشركتهم فيها* فانطلقوا إلى أسقفهم وطلبوا إليهِ أن ياذن لهم أن يغيّروا ثوبهم القديم ويلبسوا الثوب الأسود الذي أخذوهُ من يد مريم العذراء. ومنذ ذلك اليوم خصّصوا ذواتهم للتأمّل في أوجاع محاميتهم وابنها العزيز* فسمع بخبرهم أحد الرهبان الدومنيكيّين وكان يدعى بطرس فجاءَ إليهم زائراً ومكث عندهم في الجبل مدّة أيّام* وفيما كان يصلّي ذات يوم ظهرت لهُ مريم العذراء وكرّرت لهُ ما قالتهُ لعبيدها حين ظهرت لهم وأمرتهم أن يشتركوا في أوجاعها وانَّها تريد أن ينشئُوا رهبنةً مخصّصة لخدمتها ولمجدها وانَّها قد اختارتهُ هو أيضاً ليكون رفيقاً لهم* فحكى هذا الراهب ذلك إلى القدّيس أَلَكسيس ورفقائهِ. فحينئذٍ تدرّعوا بشجاعة عظيمة وجموا أن يقتبلوا كلّ مَن أتى إليهم طالباً الدخول في رهبنتهم الجديدة. وللوقت جعلوا رهبانيّتهم مؤَسَّسة على قوانين مار اوغسطينس. فانتشر هذا البنيان الجديد في كلّ إِطاليا وفي جزءٍ من أوروبا. ودخلت في كلّ مكان العبادة لأوجاع مريم العذراء

السبعة. وقد منح الأحبار الرومانيّون غفراناتٍ لمن يصلّي مسبحة الأحزان المؤَلّفة من سبعة أقسام كلّ قسم يحوي سبع مرّات السلام لكِ*

أمَّا الطوباوي الَكسيس فبقي الأخير من أخوتهِ في هذه الحيوة لأنَّهم جميعهم تنيّحوا قبلهُ فمضى وسكن في مدينة فلورنسا بين أولادهِ بالربّ وهناك توفّي ولهُ من العمر ١٢٠ سنة وشارك أخوتهُ في التسبيح إلى الأبد بحمد الله وبأمجاد مولاتهم التي أكرموها وأحبّوها وخدموها على الأرض*

البار اغابيطس المعترف أسقف صونادة

انَّ هذا القدّيس كان في أيَّام الملك قسطنطين الكبير من كبادوكيا وكان أبواهُ مسيحيّين ولمّا شبّ صار جنديّاً ثمَّ ترك هذه الوظيفة وصار راهباً وأخذ يستعمل التقشّف حتى انحلّت قواهُ من بعد ما كان قويّاً جدّاً. وكان يشتاق جدّاً إلى الاستشهاد من أجل يسوع المسيح فلذلك كان يقاوم المضطهدين فاثخنوه جراحاً غير أنّ الله استبقاهُ حبّا لمنفعة آخرين. ومنحهُ عمل الكرامات فكان يشفي الأسقام من الإنسان والحيوان. فلمّا بلغ خبر فضائلهِ أسقف مدينة صونادة أخذهُ إليهِ وسامهُ شمّاساً ثمَّ قسّاً* وبعد موت هذا الأسقف أقامهُ الشعب مكانهُ أسقفاً عليهم فاضحى راعياً غيوراً متجمّلاً بالمُكرَمات والكرامات

وأُعطِيَ أيضاً روح النبوّة فكان يوبّخ الناس سرّاً عمَّا فعلوهُ من القبيح والمُنكَر خفيةً. وحوّل بصلاتهِ نهراً من مكانهِ إلى مكان آخر ثمّ رقد بسلام الربّ*

مار بولس الصليبي منشئ رهبنة الصليب المقدّس وآلام ربّنا يسوع المسيح

إنَّ هذا القدّيس وُلِد في إطاليا في قرية تدعى اواده وكان اسم أبيهِ لوقا واسم أمّهِ حنّه ورزقهما الله ستّة عشر ولداً وكان بولس البكر. فاهتمّا بتربيتهِ حسناً فكان صبيّاً صالحاً منذ صغرهِ محبّاً للفضيلة. ولمّا بلغ العَشَر من العمر أرسلهُ أبواهُ إلى إحدى المدارس ليتعلّم العلوم فنجح فيها لأنهُ كان جوّاد القريحة* وكان دأبهُ التأمّل في الكمالات الإلهيّة واستعمال التقشّف. وكان لهُ عبادة حارّة لسيّدتنا مريم العذراء وكان مختبراً محاماتها لهُ. فمن ذلك أنَّهُ وقع ذات يوم في نهر هو وأخوهُ يوحنا واوشكا أن يغرقا وإذا سلطانة السماء قد مدّت لهما يدها وجذبتهما سالمين* وكانت محبّتهُ للفقراء عظيمة فكان يساعدهم ما استطاع. وكان غيوراً على خلاص البشر مهتمّاً في إرشادهم إلى أسرار الايمان وإلى السيرة المسيحيَّة وفي تعليمهم خصوصاً التأمُّل في آلام المسيح. ولقد كرّس حياتهُ وخصّصها للشغل في ترجيع الخطاة إلى طريق الحقّ* وكان قد جمع لهُ أولاداً كثيرين وجعلهم رفقاءً لهُ

فكان يتخاطب معهم عن الله وعن الأشياء السمويَّة ويذهب بهم إلى الكنائس ويستميلهم إلى هجران العالم وأباطيلهِ. فاعتنق كثيرون منهم بأمثالهِ وأقوالهِ السيرة الرهبانيَّة* وكان يشتهي جدّاً أن يسفك دمهُ من أجل الايمان فاذ بلغهُ أَنَّ عسكراً تجهّز في مدينة فينيس لمقاومة الغير المؤمنين انطلق فدخل في العسكريَّة لكي يحامي ديانتهُ* فإذ كان يوماً يصلّي في الكنيسة أمام القربان شعر في قلبهِ بصوتٍ يقول لهُ: لقد قبل الله عملك هذا الصالح ولكنّهُ قد خصّصك لسيرةٍ أخرى. فرجع لذلك إلى مدينتهِ وعمد في قلبهِ أن يصير سائحاً ويجمع لهُ رفقاء لكي يشتغلوا لخلاص الأنفس ولمجدهِ تعالى ويحرّكوا المؤْمنين إلى التعبّد ليسوع المصلوب* وطالما رأَى يسوع المسيح أو مريم العذراء أو ملاكاً يريهِ تارةً ثوباً أسود وتارةً رايةً منقوشاً فيها قلبٌ يعلوهُ صليب مكتوب عليهِ آلام يسوع المسيح وفيهِ ثلاثة مسامير* فكشف نيّتهُ إلى أسقفٍ فطين جدّاً وبعدما أجال الأسقف فكرتهُ في هذا الأمر زماناً طويلاً ثبَّت مقصدهُ وألبسهُ ثوباً مثل الثوب الذي رآهُ مرّاتٍ عديدة وهو الذي يلبسهُ منذ ذلك الأخوة الآلاميّون. ففرح القدّيس بدنوّ الزمان الذي فيهِ يكرّس لله ذاتهُ بجملتها* ثمّ انطلق حسب مشورة ذلك الأسقف فسكن في كوخ دنيّ بقرب الكنيسة. ولم يكن طعامهُ الاّ خبزاً فقط. وكان يتصدّق بهِ عليهِ أحد الفلاّحين. فكان بولس في ذلك الكوخ منعكفاً على الصوم والصلوة والتأمّل في آلام ربّنا يسوع المسيح الخلاصيَّة* وكان أحد أخوتهِ المدعوّ يوحنا قد

تبعهُ وأراد أن يرافقهُ ويشاركهُ في هذه السيرة* ثمّ ألّف بولس قوانين جديدة لهذه الرهبنة التي باشر إنشاءَها وقدّمها إلى أسقفهِ فاستحسنها وأمرهُ أن يذهب إلى روميَّة ويتوسَّل إلى الحبر العظيم وكيل المسيح أن يثبّت عملهُ هذا الجليل. فأطاع وانطلق الاّ أنَّهُ لم يحصل على مرغوبهِ لبعض موانع إصابتهُ فرجع صفر اليدين واخبر الأسقف بذلك فشجّعهُ ووطّد رجاءَهُ* وفي تلك الأثناء ألبس ذلك الأسقف يوحنَّا أخا بولس ثوب الرهبنة الجديدة لأنَّهُ رآهُ ثابتاً في اتّفاقهِ مع أخيهِ* وبعد زمان انطلق بولس مع أخيهِ إلى روميَّة ثانيةً لأجل ذلك الغرض عينهِ فنال من الحبر الأعظم البركة والتثبيت لعملهِ فرجع فرِحاً مسروراً بهذه الآلاء التي خوّلهُ ايَّاها الله. وتبعهُ أحد الكردنالات. فهذا الكردنال الزم بولس وأخاهُ يوحنا باسم الطاعة أن يرتضيا بأن يُساما كاهنين. فأطاعا أمر الكردنال. وبعد أن درسا واجبات الكهنوت رسمهما الحبر الأعظم بنفسهِ قسّيسين. وفي حين وضع يدهِ على رأس بولس نزل نور من السماء فصرخ البابا: الحمد لله*

وكان مار بولس مشتغلاً في الصلوة ومنتظراً أن يرسل لهُ الربّ رفقاء. فلم يبطئوا عليهِ أن جاءَهُ أوّلاً ثمانية. وبعد ذلك كانوا يزدادون شيئاً فشيئاً* وأمَّا القوانين فأرسلها إلى الحبر الأعظم لكي يثبّتها. فقلّد فحصها بعض كردنالات. فبعد أن فحصوها حذفوا منها ما كان صعباً استعمالهُ. وثبّتها وكيل المسيح وخليفة مار بطرس ببراءَةٍ رسوليَّة*

وكان بولس يدبّر أخوتهُ بغيرة عظيمة ومحبَّة لا توصف. وكان مهتمّاً بالوعظ والإرشاد والتعليم مستأصلاً من النفوس الرذائل وزارعاً بدلها الفضائل. وكلّ مَن سمع وعظهُ تاب عن خطاياهُ. فمن ذلك انّ رئيس عسكر الزم عسكرهُ أن يمضي إلى الكنيسة ويسمع خطبة بولس. فلمّا خطب تغيَّرت قلوب الجنود جميعاً فتابوا عن خطاياهم* وكان الهراطقة عند سماعهم وعظهُ يتركون ارطقاتهم ويدخلون تحت لواء الايمان الحقيقي*

ولكثرة أتعابهِ اعتراهُ مرض عضَّال طرحهُ في الفراش ويئس الأطبّاء من شفائهِ. وفي تلك الأثناء أرسل بولس اثنين من رهبانهِ إلى البابا يطلبان لهُ بركتهُ. فلمّا سمع البابا بانَّهُ مريض قال للراهبين اذهبا وقولا لهُ باسم الطاعة أَنْ قم وامشِ. فحالما بلّغ الراهبان كلمات وكيل المسيح لبولس شفي من مرضهِ وعاش بعد ذلك بعض سنين*

ولمّا أراد الله أن يجتذبهُ إليهِ ليجازيهُ على أعمالهِ الصالحة سمح بأن يصيبهُ مرض اهزلهُ وضعّفهُ وأخيراً جعلهُ طريح الفراش وكان يثقل يوماً بعد يوم. ولمّا احسّ القدّيس بقرب نهايتهِ تناول الأسرار المقدّسة زوّادةً للسفر وبقي ينتظر الانعتاق من حبس الجسد. ولمّا دنت ساعتهُ الأخيرة استدعى أحد الرهبان وطلب إليهِ أن يقرأَ عليهِ قصّة آلام المسيح. ولمّا قرأَ هذه الكلمات وهي: ورفع عينيهِ إلى السماء طارت روح القدّيس المباركة إلى ربّها يسوع المسيح وكان ذلك في سلخ شهر حزيران سنة ١٧٧٥ وعمرهُ إحدى وثمانون سنة* وصار موتهُ اكليلاً مجيداً

لحياتهِ وذلك لكثرة الاكرام الذي حصل لهُ في تجنيزهِ وتشييعهِ ودفنتهِ*

* اليوم الثامن عشر *

مار سمعان الشيخ أسقف أورشليم الشهيد

إِنَّ هذا القدّيس كان ابن كلاويا ابن عم ربّنا يسوع المسيح بحسب الجسد. وكان سائراً سيرةً مقدّسة كلّها ذات أجر وثواب. وبعدما قتل اليهود مار يوحنَّا الصغير رسول يسوع المسيح الذي كان أوّل أسقفٍ على أورشليم اجتمع الرسل من أماكن مختلفة وأقاموا مار سمعان خليفةً لمار يوحنا في الكرسي الأورشليمي. فساس هذه الكنيسة بعض سنين إلى زمان حصار أورشليم وهدمها على يد وسباسيانس وتيطس اللذين كانا قيصرَين حينئذٍ. وعاش إلى عهد ترَيانس الذي اضطهد النصارى بقساوة فضيعة. فوُشي أمام نائبهِ بسمعان أنَّهُ مسيحيّ فاحضرهُ هذا النائب وشرع يتكلّم معهُ رجاءً أن يستميلهُ إلى ترك ايمان المسيح ويقنعهُ أن يطيع أمر قيصر. فلم يقدر فحمل عليهِ لذلك وجلدهُ جلداً قاسياً عدّة أيَّام وعذّبهُ بأنواع أخرى بربريَّة. وكان هذا القدّيس الشيخ يحتملها بتجلّد حتى انّ القاضي والحاضرين كانوا يتعجّبون لرؤْيتهم جسداً نحيفاً ضعيفاً بهذا المقدار يحتمل عذاباً كذا قاسياً. ولكن ربّنا يسوع المسيح الذي يهب القوّة

للمتألّمين من أجلهِ شجّعهُ في هذه الشيخوخة لكي يثبت في الجلد والعذاب وبعدما عجزوا من تعذيبهِ صلبوهُ على الصليب مثل معلّمهِ يسوعَ المسيح الذي صُلب من أجلهِ وهكذا تمَّت شهادتهُ في اليوم الثامن عشر من شهر شباط سنة ١٢٠*

* اليوم التاسع عشر *

كُنرادس الناسك

إنَّ كُنرادس وُلِد في مدينة بلازنسا من أبوين غنيّين جدّاً. فلمّا كبر زوّجاهُ. ثمّ ماتا وتركا لهُ أموالهما وراثةً. أمَّا هو فأخذ يسير سيرةً ذميمةً في اللذّات والأباطيل مهملاً واجباتهِ المسيحيَّة* فذات يوم إذ خرج إلى الصيد حاملاً بارودتهُ رأَى في أرضٍ لهُ وحشاً ضارياً فاطلق عليهِ النار فأصابت غاباً كان هناك فاحترق رويداً رويداً. امَّا هو فهرب وتركهُ يحترق إلى أن أُفنيَ بالنار. فلمّا عُلِم بذلك أخذت الحكومة تفتّش عن أشخاص يُظَنّ بهم وتحبسهم ومن جملتهم كان رجل فقير قد رُؤي عابراً من هناك قبل احتراق الغاب بساعاتٍ فأُثبِتَ عليهِ بأنَّهُ هو الذي أحرقهُ فعذّبوهُ ثمَّ حكموا عليهِ بالموت. فلمّا سمع كُنرادس بهذا القضاء على ذلك الفقير البريّ لأجل الذنب الذي صنعهُ هو أقلقهُ ضميرهُ فانطلق إلى القضاة واعلمهم بما جرى

وانَّهُ هو الذي أحرقهُ فغرموهُ جزءاً كبيراً من أموالهِ عن ثمن الغاب ثمّ أطلقوهُ هو والفقير. فاستفاد كُنرادس من ذلك إذ انَّهُ شرع يفتكر في أمر خلاص نفسهِ ونوى أن يصرف ما بقي لهُ من الحيوة في عمل التوبة وفي تكريس ذاتهِ لخدمة الله فاتَّفقت معهُ امرأَتهُ وانطلقا كلاهما إلى روميَّة فدخل هو في رهبنة مار فرنسيس الثالثة وصارت امرأَتهُ كرمليَّة* وبعد زمان مضى كُنرادس إلى بلد قيليقيه واستمرّ هناك يخدم المرضى. ثمّ تاق إلى السكنى في الخلود فانفرد في أحد الجبال العالية حيث لازَم التوبة على خطاياهُ إلى حين موتهِ الذي كان سنة ١٣٥١. وكان عمرهُ إحدى وستين سنة* وجرى على قبرهِ معجزات عظيمة دالّة على قداستهِ*

* اليوم العشرون *

لاون البارّ اسقف كتانيا

إنَّ أصل هذا القدّيس كان من مدينة تراني في جزيرة صقليا وكان أبواهُ غنيّين وتقيّين جدّاً. ولزيادة فضلهِ أُقيم أسقفاً على كتانيا. فضاهى الأسد بشجاعتهِ والكوكب المنير بفضيلتهِ إذ أنار رعيّتهُ بتعليمهِ وهداهم إلى منهاج الخلاص* وكان أباً للأيتام وسنداً للأرامل وملجاً للفقراء والمساكين. وبصلاتهِ دكّ صنماً كان هناك ولاشاهُ. وشيَّد

هيكلاً عجيباً لاكرام القدّيسة لوسيّة الشهيدة. وأحرق باليودورس الساحر الذي كان يضلّ الناس بآيات سحرهِ وقد رام أن يُوصِل شرّهُ على مدينة كتانيا. فقبض عليهِ لاون القدّيس مرّةً ومرّتين وسجنهُ. وكان يخلّص ذاتهُ بقوّة سحرهِ. وفيما كان قائماً ذات يوم في محفل الناس مبدياً بسحرهِ خيالات نجسة هجم عليهِ الأسقف الغيور وربط عنقهُ بالبطرشيل وأمر أن يُوقَدَ ناراً عظيمة في وسط المدينة. فدخل القدّيس لاون والساحر معاً في النار فلم يلبثا زماناً أن احترق الساحر وصار رماداً وخرج القدّيس صحيحاً سالماً لم تمسّهُ النار حتّى ولا ثيابهُ فتعجَّب الحاضرون ومجّدوا الله* وبعد أن قضى حيوةً كلّها ذات أجر وثواب توفّي بسلام الربّ*

* اليوم الحادي والعشرون *

زكريّا النبي بن براخيا

إنَّ هذا النبي كان من سبط لاوي وكان في أيَّام داريوس الملك وهو الحادي عشر في الأنبياء الصغار الاثني عشر. وكان الهيكل في أيَّامهِ منهدماً. وكان يتنبّأُ على بنيانهِ وعلى بطلان الكهنوت والنبوّة من اليهود وتغيير السبت وغير ذلك* وكان ظهورهُ سنة **٣٥٣٣** للخليقة قبل مجيء المسيح بخمسماية وثماني عشرة سنة. وهذا

زخرياء ليس الذي قُتِل بين الهيكل والمذبح الذي أخبر عنهُ السيّد المسيح في إنجيلهِ المقدّس لأنّ هذا مات حتف أنفهِ في شيخوخة حميدة والهيكل كان منهدماً*

* اليوم الثاني والعشرون *

كرسي مار بطرس في انطاكية ـ القدّيسة مرغريثا الكرتونيَّة التائبة

كرسيّ مار بطرس في انطاكية

إنّ الرسل لمّا اقتسموا الدنيا بالقرعة للإنذار بايمان المسيح وقعت انطاكية لمار بطرس هامة الرسل. فسار إليها وعمّذ فيها كثيرين. فقبض عليهِ ثاوفيلس والي انطاكية وأمر بحبسهِ محتسباً ايَّاهُ معتوهاً لأنَّهُ يبشّر بالاه قد مات. وأمر أيضاً بحلق شعر رأْسهِ وان يبقوا لهُ اكليلاً من شعر رأسهِ ليبان عند الجميع أنَّهُ فاقد العقل. ومن هناك تقلّدت البيعة أن تصنع لكهنتها وأحبارها اكليلاً. ثمّ أخرجهُ الوالي من الحبس وسأَلهُ عن حقيقة تعليمهِ فأخذ الرسول بطرس يثبّت لهُ حقيقة المسيح كيف أنَّهُ جاءَ متجسّداً وخلّص العالم وكيف هو الاه وإنسان معاً. فقال لهُ الوالي. ان كان ما تقولهُ حقّاً ها هوذا ابني قد مات منذ أيَّام قليلة ان أنتَ أحييتَهُ أُؤْمن بالهك. فأجابهُ الرسول إلى ذلك وسار إلى القبر فصلّى وصاح بالميت قائلاً: قُم باسم يسوع المسيح

فنهض الميت حيّاً. فآمن حينئذٍ ثاوفيلس الوالي هو وأهل المدينة كلّها وهذا هو ثاوفيلس صديق لوقا البشير الذي كتب لهُ بشارة الإنجيل وسفر أعمال الرسل حيث ينادي في فاتحة الكتابَين يا ثاوفيلس وأقام مار بطرس أوّلاً كرسيّ رياستهِ العامَّة في انطاكية مدّة سبع سنين يدبّر جميع الكنائس وبعد ذلك نصب في مكانهِ اوديوس بطريركاً وانتقل هو إلى رومية وثبَّت هناك كرسيّهُ إلى انتهاء العالم* وكان إقامة كرسيّ مار بطرس في انطاكية سنة ٣٨ للمسيح*

القديسة مرغريثا الكرتونيّة التائبة

إنَّ هذه القدّيسة ولدت في مدينة أَلويانو من أعمال تُسكانا من والدَين فقيرين وقد ربّياها تربيةً حسنةً ولمّا شبَّت ماتت أمّها فتزوّج أبوها وأضحت هي مطلوقة العنان إذ لم يكن من يردعها. فاطغتها اللذَّات الزائلة وجعلتها أن تسير في سبيل الخطيّة الدَّنِسة. وكان لها معاشرة رديّة مع شابّ من بني الأغنياء افضت بها إلى الفرار من بيت أبيها والالتصاق بهِ وقد عاشت معهُ في الفجور تسع سنين* فذات يوم تخلّف عنها فانتظرتهُ فلم يعُدْ. فأخذها القلق والحزن عليهِ وانطلقت في طلبهِ فرأَتهُ مقتولاً في حرش والدود تأكل جُثمانهُ وقد تفجَّر وانتن. فاشمأَزّت من هذا المنظر المهول وشرعت تفتكر في سيرتها القبيحة ودخل في قلبها رعب دينونة الله الصارمة وحينئذٍ بدأَت

تندب سقطاتها الماضية وعزمت مثل ابن الشاطر أن تقوم وترجع إلى أبيها. فأعانتها النعمة الإلهيّة على هذا المقصد. فكانت ليلاً ونهاراً تبكي بدموع سخينة على خطاياها ناويةً أن تصلح الشكوك التي سبّبتها بقبح سيرتها. ثمّ انطلقت إلى مدينة كُرتونه وهناك اعترفت اعترافاً عامّاً عند أحد رهبان مار فرنسيس وباشرت اصلاح السيرة. فكانت تزداد في الفضائل يوماً فيوماً* وأرادت أن تخصّص ذاتها بجملتها لعمل التوبة وخدمة الله فجزمت أن تدخل في رهبنة مار فرنسيس الثالثة. وبعد أن جرّبوها مدّة ثلاث سنين قبلوها في الرهبنة. فحبست نفسها مدّة عشرين سنة في قلاّية وكانت هناك تكفّر عن خطاياها بدموع التوبة. ثمّ انطلقت فسكنت في أعلى المدينة على حيطان برج عتيق وكانت هناك تسير سيرةً قشفة جدّاً* وكان لها محبَّة عظمى للفقراء فكانت تستعطي لهم وتقيتهم. وبنت لهم مارستاناً كبيراً من دراهم الصدقة التي جمعتها لهم. فذاع صيت قداسة سيرتها في كلّ تلك الامصار. فكان أناس كثيرون يأتون إليها مستشفين من أسقامهم الروحيَّة والجسديَّة*

وظهر لها يسوع المسيح ذات يوم ووبّخها على قبح سيرتها السابقة فأخذت تكثر من البكاء والنحيب والصوم والصلوة وسائر أنواع التقشّف حتى كانت تنطرح أحياناً على الأرض مغشياً عليها* ويوماً ما إذ كانت تصلّي أمام المصلوب والدموع تهطل من عينيها كلّمها يسوع بصوت حلو قائلاً: ما تريدين يا ابنتي. فأجابتهُ حينئذٍ: يا

يسوع إلهيّ انّي لا أريد الاّ ايَّاك*

ولمّا رأى الشيطان انّ هذه القدّيسة قد عُتقت من أسرهِ وافلتت من بين أنيابهِ بتوبتها أراد أن يخدعها ليسقطها في فخاخهِ ثانيةً فلمّا لم يتمكّن منها غضب عليها وأخذ يترايا لها بمناظر مختلفة مريعة. من ذلك انَّهُ ظهر لها بزيّ تنّين عظيم وهَمّ أن يبتلعها. فدعت يسوع لاغاثتها فهرب عنها الوحش الجهنمّي* وكانت الملائكة تأتي إليها وتعزّيها* وكان لها محبَّة حارَّة لسرّ القربان المقدّس وكانت تشعر بلذّة عظيمة حين تناولها إيَّاهُ. ووهب لها الله عمل الكرمات* ثمّ بعدما قضت ثلاثاً وعشرين سنة في عمل التوبة عن خطاياها والسلوك في سبيل الفضيلة وربحت لله جمّاً غفيراً من الخطاة الذين تابوا على يديها حان منونها فانتقلت إلى السعادة الأبديَّة في اليوم الثاني والعشرين من شهر شباط سنة ١٢٩٧ وعمرها خمسون سنة*

* اليوم الثالث والعشرون *

مار بطرس دَميانس معلّم الكنيسة

إنّ هذا القدّيس وُلد في مدينة راونَّه وفقد والديهِ إذ كان صغيراً وكان لهُ أخ أكبر منهُ يعاملهُ بسوءِ المعاملة وقد جعلهُ أن يرعى قطيع خنازير كان لهُ. ثمّ أخذهُ أحد الكهنة وأرسلهُ إلى مدارس مختلفة

وهناك تعلّم علوماً غزيرة. وبعدهُ انطلق إلى نسّاك أتقياء كانوا سكّاناً في جبل أَبَنّين وعاش معهم هناك ممارساً أعمال التوبة والتقشُّف. وبعد موت رئيسهم أقاموهُ عوضهُ رئيساً عليهم فساسهم بحكمة عظيمة. وأنشأَ هناك خمس صوامع أخرى. وكان يرتقش فرحاً عندما يرى عدداً وافراً من القدّيسين تحت يدهِ* وذاع صيتهُ في تلك الجهات كلّها. فانتدبهُ الباباوات وقلّدوهُ أمور الكنيسة. والزمهُ البابا اسطفانس التاسع وجعلهُ أن يرتضي ويصير أسقفاً وكردنالاً. فأبدى خدمة عظيمة للكنيسة المقدَّسة إذ دحض هرطقات عديدة وحارب ببسالة الهرطقة السيمونيَّة. وكان مع الاكرام والوقار والعظمة التي كانت لهُ يتوق إلى سكناهُ الأولى في البرّيَّة. فذات يوم استأْذن البابا بتوسُّل ورجع إلى صومعتهِ تاركاً تلك الوظيفة السامية فخصّص ما بقي لهُ من حياتهِ للتوبة وصفّ بعض كتب لمنفعة الكنيسة. ولاكرام سيّدتنا مريم العذراء وعبادتها ثم أرسلهُ البابا إلى راونَّه لتثبيت الرهبانيَّة فيها فمات في رجوعهِ وكان ذلك في اليوم الثاني والعشرين من شهر شباط سنة ١٠٦٢ ولهُ من العمر ثلاث وثمانون سنة*

* اليوم الرابع والعشرون *

مار متياس الرسول

إِنّ هذا الرسول كان في أيّام الملك نيرون عبرانيّاً من سبط يهوذا وكان معدوداً أوّلاً من المبشّرين الاثنين والسبعين ثمّ اختارهُ الرسل بقرعة أن يكون عوض يهوذا الاسخريوطيّ فصار حينئذٍ معدوداً من الرسل الاثنَي عشر ولمّا اقتسم الرسل الدنيا للإنذار وقع لهُ بالقرعة بلاد فلسطين من أرض اليهوديَّة فاجتذب بوعظهِ وبكراماتهِ كثيرين إلى الايمان بالمسيح. وكان حاذقاً في علمهِ وغيوراً في عملهِ ولهذا بغضهُ اليهود قائلين انَّهُ مبتدع. وسأَلتهُ مشائخهم عن اعتقادهِ فاقرّ بالمسيح علانيةً فرجموهُ وقطعوا رأسهُ في سنة ٦٠ للفداء*

* اليوم الخامس والعشرون *

مار ثراسيوس بطريرك قسطنطينيّة

إِنَّ هذا القدّيس العظيم وُلِد في قسطنطينيَّة من نسب شريف جدّاً وكان أبواهُ ذوي سيرة مقدّسة. فاقتدى بفضائلهما ومكرماتهما وحصل بحسن تربية أمّهِ لهُ على جانب عظيم من الكمال حتَّى انَّهُ لمّا بلغ السنّ الذي فيهِ عرف أن يميّز الأمور العالميَّة أُقيم مشيراً وأوّل

كاتم أسرار السلطان. فاظهر في هذه الوظيفة علامات دالّة على قداستهِ المستقبلة. فكان متجنّباً الطمع والأباطيل العالميَّة. وجعلهُ تواضعهُ وتقواهُ أن يترك الخدمة للسلطان الأرضيّ ويدخل في خدمة السلطان السمويّ بصيرورتهِ بالتدريج بطريركاً على قسطنطينية عوض بولس الذي تنازل عن كرسيّها لعدم قوّتهِ على مكافحة ارطقة محاربي الايقونات التي أفسدت كنيسة قسطنطينيَّة بمحاربتها صور يسوع المسيح ومريم العذراء والقدّيسين. فظهر هذا الحبر الجديد غيوراً على محاماة الكنيسة من هذه الارطقة. واصلح رعيّتهُ وبنى ديراً واملأَهُ رهباناً علماء لكي يكونوا مثل عواميد قويَّة تسند بنيان البيعة. ثمّ اهتمّ بالتئام مجمع بمشورة البابا وحضر فيها جمٌّ غفير من الأساقفة وحرموا فيهِ تلك الارطقة وأثبتوا الاكرام لصور سيّدنا يسوع المسيح ومريم العذراء والقدّيسين*

وكان القدّيس ثراسيوس متجمّلاً بالمكرمات. واكرم فضيلة كانت فيهِ هي الرحمة. فكان يأكل على مائدتهِ فقراء كثيرون وكان يخدمهم بنفسهِ بمحبَّة وتواضع عجيبين. وكان يفتقد المحتاجين ويزور المرضى ويعزّي الحزانى ويكسو العراة ويستعمل أنواعاً أخر من أعمال الرحمة*

وفي ذلك الزمان فسدت سيرة قسطنطين عاهل القسطنطينيَّة بالفسق من بعدما كان صالحاً وذلك أنّهُ عشق إحدى السيّدات الشريفات وعزم أن يطلّق امرأَتهُ الشرعيَّة ويتزوّج بها. ولكي يكتم شهوتهُ احتجّ بأن امرأَتهُ أرادت أن تسمّهُ. فلم يسمح لهُ بذلك ثراسيوس

الحبَر. فلمّا رأَى السلطان أَنَّهُ غير قادر على أخذ رضى ثراسيوس استخدم لهُ كاهناً كان وكيل كنيسة قسطنطينيَّة في تكليلهِ على عروسهِ الجديدة. فشقّ ذلك على ثراسيوس لأَنَّهُ ان سمح لهُ كان ذلك مخالفاً للشريعة وان لم يسمح يخاف انّ الملك يضطهد الكنيسة ويسبّب لها أضراراً جسيمة. ومع ذلك فكان يوبّخهُ على هذا عملهِ المكروه الاّ انَّهُ لمن يمنعهُ من شركة الكنيسة ولا طرد القسّ الذي كلّلهُ ولمّا رأى الملك أنَّ القدّيس يوبّخهُ دائماً على هذا صنيعهِ الأثيم بغضهُ واضطهدهُ فكان مار ثراسيوس يحتمل ذلك بصبر جميل*

ثمّ انّ هذا البطريرك المغبوط غبَّ ان دبَّر كنيسة القسطنطينيَّة اثنتين وعشرين سنةً وقع مريضاً جدّاً. وعندما دنت ساعة موتهِ أخذت الشياطين تحاربهُ جدّاً وبعدما ظفر بهم ردّ نفسهُ لله وذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط سنة ٨٠٦. فبكت عليهِ جميع المدينة حتَّى السلطان نفسهُ. وندبهُ الرهبان والفقراء واليتامى والأرامل والمحبوسون. ثمَّ دُفِن باكرام عظيم في الدير الذي بناهُ هو وزيّن الله قبرهُ بمعجزات عظيمة دالّة على قداستهِ*

* اليوم السادس والعشرون *

مار بُرفيرس أسقف غزّة

إنَّ هذا القدّيس المعظّم وُلِد في مدينة تسّالونيقي من أعمال مكدونيَّة من أبوين حسيبين وغنيّين في التقوى فربّياهُ في سرير الفضيلة ودرس العلوم وحصل على جانب عظيم منها. فكان يحامي الديانة المسيحيَّة ويغلب الوثنيين والهراطقة الذين كانوا يجادلونهُ في الايمان* وجعلهُ شوقهُ إلى خدمة الله أن يهجر أصحابهُ ووطنهُ وينطلق فيسكن برّيَّة الإِسقيط المشهورة في مصر. وبعدما استقرّ فيها خمس سنين ممارساً السيرة الرهبانيَّة تركها ومضى إلى أورشليم وزار جميع الأماكن المقدّسة الموجودة فيها. ثمّ قطن مغارةً بقرب الأردن. وبعدما قضى فيها خمس سنين أيضاً تركها لاسقام اعترتهُ ورجع إلى أورشليم. وكان كلّ يوم يشترك في المائدة الالهيّة أي جسد الربّ ويزور الأماكن المقدّسة متوكّئاً على هراوتهِ* فذات يوم إذ كان على جبل الجلجلة متأمّلاً في آلام المسيح غاب عن حسّهِ فرأَى أمامهُ يسوع المسيح مصلوباً ولصّ اليمين قائماً عن يمينهِ. فقال بُرفيرس للمصلوب: اذكرني يا ربّ إذا أتيت في ملكوتك. فللوقت أمر يسوع ذلك اللصّ أن يساعدهُ. فرفعهُ اللصّ عن الأرض وأدناهُ إلى يسوع. فنزل يسوع عن الصليب وناولهُ إيّاهُ قائلاً: خذ يا بُرفيرس هذا الصليب. فلمّا أخذهُ القدّيس وحملهُ على كتفيهِ ومشى بهِ بعض خطوات رجع إلى صوابهِ فرأَى

ذاتهُ معافىً من تلك الأسقام التي كانت قد انهكتهُ*

وفي ذلك الزمان تتلمذ لهُ رجل اسمهُ مرقس. فكانا كلاهما يعيشان بنفس واحدة* فذات يوم قال لهُ بُرفيرس. يا مرقس شيءٌ واحدٌ يكدّرني. قال وما هو. قال القدّيس انّي لم أبع بعدُ مالي ولا اعطيتهُ للفقراء بل تركتهُ في مدينتي. فالآن أنا مُرسِلك لتأتي بهِ حتّى نوزّعهُ على الفقراء والمحتاجين* فقام مرقس وانطلق ثمّ رجع بالمال. ففرح القدّيس بذلك ووزّعهُ كلّهُ على الفقراء ولم يترك منهُ لمعيشتهِ شيئاً. فالتزم أن يتعلّم صنعة عمل الخيام ليحصّل بها قوت يومهِ. وكان مرقس ينسخ كتباً ويعتاش بما يربحهُ* فإذ تحقّق بطريرك أورشليم قداسة سيرة بُرفيرس سامهُ قسّيساً وكان عمرهُ إذ ذاك أربعين سنة وكان ممارساً تقشّفاً صارماً. ولمّا مات أسقف غزّة أرسل اقليرُسها وشعبها إلى يوحنّا أسقف قيصريَّة يطلبون إليهِ أسقفاً. فكتب هذا الأسقف إلى بطريرك أورشليم طالباً أن يرسل إليهِ بُرفيرس لكيما يستشيرهُ في بعض الأمور. فرضي البطريرك وأرسلهُ بشرط أن يرجع بعد سبعة أيَّام. فذهب بُرفيرس إلى قيصريَّة وتخاطب مع أسقفها عن أمور روحيَّة. ففي الغد أمر الأسقف الشعب أن يمسكوا بُرفيرس ليرسمهُ اسقفا فامسكوهُ ووضع يدهُ عليهِ وسامهُ. وفي مدّة الرسامة كانت الدموع تهطل من عيني بُرفيرس* وبعد ذلك انطلق إلى غزّة وأخذ بتدبير شعبها* وزيّنهُ الله بالكرامات التي كان يعملها على يديهِ. فمن ذلك أنَّهُ في إحدى السنين انقطع المطر وسبّب المحل مجاعةً في مدينة غزّة.

فأمر القدّيس بُرفيرس الشعب أن يعمل دورة احتفاليَّة بالصلوة والتضرّع إلى الله تعالى. فقبل تمام الدورة هطلت أمطار غزيرة أروت الأرض العطشى. فلمّا تحقّق ذلك الوثنيّون الذين كانوا في تلك المدينة صاحوا قائلين: لقد غلب المسيح الذي لا إله إلاّ هو. فتنصَّروا ودخلوا في حضن الكنيسة المقدّسة. فعلّمهم الأسقف القدّيس واجبات الديانة ومنحهم سرّ المعموديَّة وسرّ التثبيت* وهدم هيكل الأصنام بأمر نالهُ من الملك وبنى مكانهُ كنيسةً فاخرة. ودبّر رعيّتهُ أحسن تدبير بالغيرة والحكمة والفطنة والقداسة على يوم موتهِ الذي كان في اليوم السادس والعشرين من شهر شباط سنة ٤٢٠ للمسيح. وكان عمرهُ إذ مات سبعاً وستين سنة*

اليوم السابع والعشرون *

مار لآندرس أسقف مدينة سَولاّ

إنَّ هذا القدّيس وُلد في مدينة قرطاجنة من أعمال أسبانيا. ومنذ صغرهِ انعكف على درس الفضيلة والعلوم. ثمّ هجر العالم وترهَّب في ديرٍ لمار مبارك في مدينة سوِلاّ واشتهر بقداسة سيرتهِ وبتعليمهِ. وبعد وفاة أسقف هذه المدينة أُقيم لآندرس على كرسيّهِ برضى الاقليرس والعامّة كافّةً* وكانت إذ ذاك الارطقة الآريوسيَّة قد عمّت غالب

جهات اسبانيا منذماية وسبعين سنة والملك نفسهُ كان من حزبها. فلمّا رأَى هذا الأسقف الجديد هولاء الاراطقة وما هم عليهِ من الفساد عزم أن يهتمّ بترجيعهم إلى نور الحقّ. فأخذ قبل كلّ شيءٍ يستعمل الصلوة التي وحدها تقدر أن تقوّيهُ على تتميم هذا العمل العظيم. ثمّ بدأَ يبذل جميع قواهُ في تثبيت سلطنة الحقّ. فامدّهُ الله بعون من عندهِ وفتح عيون أغلب الهراطقة وجعلهم أن ينظروا نور الحقّ فجلبهم إلى الايمان المستقيم وادخلهم في حضن الكنيسة الكاثليكيَّة. ومن جملتهم كان ابن الملك. فجرت مخاصمة بين هذا الأمير المهتدي وأبيهَ الملك الارطوقيّ أفضت بهما إلى انشقاق المملكة فصارت قسمَين قسم منها تبع ابن الملك الكاثُليكيّ وهم الكاثليكيّون والاريوسيّون المهتدون معهُ والقسم الآخر تبع أباهُ الملك وهم الاريوسيّون المصرّون على هرطقتهم مع الملك فشبَّت حربٌ بينهما. فأرسل ابن الملك القدّيس لآندرس إلى قسطنطينيَّة طالباً من السلطان طباريوس العون على الأعداء فامدّهُ بجنود. والتقى هناك لآندرس بالقدّيس غريغوريوس الكبير الذي جاءَ حينئذٍ إلى قسطنطينيَّة بصفة قاصد رسولي من قبل البابا بلاجيوس الثاني لقضاء بعض الحاجات فصارت بينهما صداقة عظمى ما انفكّت أبداً طول حياتهما* ولمّا رجع القدّيس لآندرس إلى أسبانيا بالجيش الذي نالهُ من الملك اضطرم سعير الهيجاء بين الملك الاريوسي وابنهِ المهتدي فكانت الدائرة على ابن الملك لأنّ جنودهُ خانتهُ. فصفّدهُ أبوهُ بالسلاسل وحبسهُ. ثمّ قتلهُ في السجن لأنَّهُ لم يتناول الاوخرستيَّا في

عيد الفصح من يد كاهن اريوسيّ كان قد أرسلهُ إليهِ. وهكذا تكلّل بالاستشهاد هذا الأمير المجيد* وباشر هذا الملك القاسي اضطهاداً للكنيسة فنفى من أسبانيا الأساقفة القدّيسين الذين كانوا أعمدةً لها وكان من جملتهم لآندرس الأسقف. وقتل كثيرين من الكاثليكيّين وسلب أموالهم. فلم ينفكّ لآندرس الأسقف الغيور أن يبدي شهامتهُ وغيرتهُ على خلاص النفوس فصنَّف في موضع نفيهِ كتابَين لدحض الارطقة الآريوسيَّة وكتاباً آخر يردّ فيهِ على اعتراضاتها ونشرها في كلّ اسبانيا*

وبعد زمان عرف الملك اثمهُ وتذكّر ما فعل بابنهِ البكر وريث ملكهِ من القساوة فندم على أَنَّهُ قتلهُ حيث لم تفدهُ الندامة شيئاً. فلذلك بغض المذهب الآريوسي الاّ انَّهُ لم يدخل في حضن الكنيسة الكاثليكيَّة خوفاً أن يصير سجس في تبّاعهِ الاريوسيّين. ولمّا مرض وعلم بقرب أجَلهِ أرسل على لآندرس واستردّهُ من النفي وقلّدهُ تربية ابنهِ الصغير رِكارادس وطلب إليهِ أن يعلّمهُ أصول الديانة الكاثليكيَّة. فعلّمهُ إيّاها جيّداً وأضحى هذا الولد كاثليكيّاً حقيقيّاً. وبعد موت أبيه جلس هو على تختهِ. وكان طائعاً جدّاً لمعلّمهِ لآندرس الأسقف القدّيس وبذلا كلاهما كلّ الوسع في ترجيع الهراطقة الآريوسيّين إلى الايمان المستقيم. وجمع هذا الملك مجمعاً من الهراطقة وأساقفتهم وأخذ يتكلّم معهم بحكمة عظيمة عن أسباب رجوعهِ إلى الكنيسة الكاثُليكيَّة ويحثّهم أن يتبعوهُ هم أيضاً فنجح جدّاً بنعمة الله وجذبهم جميعاً إلى طريق

الحقّ. ففرح لآندرس بهذا النجاح وشكر الله على هذا الاحسان* ولمّا صار عمرهُ نحو ثمانين سنة وقد اشتغل في كلّ هذا الزمان الطويل بفلاحة كرم الربّ ودعاهُ سيّدهُ ليعطيهُ أجرة أتعابهِ فرقد بالسلام في اليوم السابع والعشرين من شهر شباط سنة ٦٠٣*

* اليوم الثامن والعشرون *

مار رومانس رئيس الدير ـ القديستين مارانا وكورا البتولين الحلبيّتين

مار رومانس رئيس الدير

انَّ رومانس كان أخا مار لوبيقينُس ووُلدا كلاهما في ابرشيَّة مدينة ليون من أعمال فرنسا. فهذان الأخوان أحبَّا الفضيلة منذ نعومة أظفارهما وبعدما قضيا صباهما في درس العلوم الزمهما أهلهما أن يتزوّجا. أمَّا هما فأبيا لأنَّهما أرادا أن يخصّصا ذاتهما لخدمة الله بالطهارة وقداسة السيرة. فللجاجة أبيهما رضي لوبيقينُس بالزيجة وذلك خوفاً أن يحزنهُ ويهينهُ بعدم طاعتهِ لهُ فتزوّج لكنّهُ عاش مع امرأَتهِ كالذين لا نساءً لهم. وأمَّا القدّيس رومانس فامتنع بالكلّيّة وأبى أن يتزوّج* وبعد زمان مات أبوهما فإذ رأيا أنَّهما مطلوقا الحرّيَّة عمدا أن يعيشا في أكمل سيرة فانطلقا إلى برّيَّة بين المانيا وبرغونيا بقرب مدينة أُوَنسونه

وجعلا هناك مقامهما عائشين فيهِ عيشةً قشفةً جدّاً. وكان العشب قوتهما والأرض مرقدهما. وكانا يقضيان النهار والليل في تسبيح الله. فلم يلبثا زماناً في الرحة أن حاربهما الشيطان العدوّ الألدّ للجنس البشريّ فنصب لهما اشراكهُ ليوهقهما فيها. وكانا كلما قاما للتسبيح والصلوة رماهما بالبَرَد والحجارة. فإذ لم يكونا بعد خبيرين في المحاربة مع الأعداء الشديدي البأْس خافا وعزما أن يتركا خلوتهما ويرجعا إلى بلدتهما. وفيما كانا في الطريق وقد أدركتهما دجى الليل التمسا ملجأً ليحتميا فيهِ فأَوتهما امرأَة فقيرة في بيتها. ولمّا رأَت زيَّهما وهيئَتهما سأَلتهما مَن هما وما عملهما ومن أين قادمان. فاعلماها بكلّ ما ابتغت استعلامهُ وأخبراها بأنَّهما مزمعان الرجوع إلى وطنهما لأنَّهما قليلا المحاربة للشيطان. فأجابتهما لقد كان يجب أن تحاربا هذا العدوَّ بشجاعة من دون أن تخافا حيلهُ وفخاخهُ فلا شكّ كنتما تظفران بهِ لأنَّهُ عدوّ القداسة وحسود الجنس البشريّ يحسد القدّيسين الذين يرثون المقرّ السمويّ الذي طُرِد منهُ هو ولذلك يحتال على عكس مقاصدهم ويهجم عليهم بقساوة ولكن غالباً تأُول حربهُ إلى خجلهِ والغلبة عليهِ* فلمّا سمعا من المرأَة هذا الجواب تشجّعا وأخذ كلٌّ منهما عصاً في يدهِ ورسما إشارة الصليب وانقلبا راجعين إلى خلوتهما. وعادت الشياطين تحاربهما أشدّ من ذي قبل. أمَّا هما فكانا يظفران بهم بنعمة الله والثبات. فذاع صيتهما. فكانت الناس تتقاطر إليهما أفواجاً أفواجاً من كلّ مكان راغبين استماع أَقاويلهما الخلاصيَّة. وكان البعض يطلبون الوصال

معهما* فلمّا رأَى هذان الأخوان القدّيسان الجمّ الغفير الراغب السلوك في سبيلهما بنيا ديراً وكانا فيهِ يقبلان كلّ من أتى إليهما طالباً مشاركتهما في الرهبانيَّة. وبعد زمان إذ كثرت الرهبان التزما أن يبنيا ديراً آخر أكبر من الأوّل. ثمّ عمّرا ديراً ثالثاً أكبر من الاثنين الأوّلين. وكانا كلاهما مقلّدين سياسة هذه الأديرة الثلاثة. وأوحى الله لمار لوبيقينس واعلمهُ بوجود كنز في ذلك المكان فاخرجهُ القدّيس وأخذ يسدّ بهِ عوز الأديرة* وكان مار رومانس يزور المرضى من الرهبان فذات يوم انطلق إلى حجرة المرضى وكان فيها تسعة بُرص فغسل أرجلهم واعدّ سريراً كبيراً وأمرهم أن يرقدوا عليهِ كلّهم معهُ. وفيما كان هو يقول المزامير ليلاً لمس بيدهِ اثنين من المرضى فشفيا حالاً. فإذ رأَيا نفسيهما طاهرين من البرص أيقظا رفاقهما واعلماهم بذلك فتوسَّلوا إلى القدّيس رومانس أن يلمسهم هم أيضاً فلمسهم واشفاهم فشكروا الله جميعاً* ويوماً آخر احتاج الرهبان إلى القوت الجسديّ واضحوا عادمين بِيت ليلةٍ. فانطلق مار لوبيقينس وكان قد شاخ إلى ملك برغونيا متصدّقاً. فلمّا بلغ إلى باب القصر الملوكيّ وكان الملك جالساً على كرسيّهِ وإذا الكرسيّ قد اهتزّ فراعهُ ذلك فاستدعى حشمهُ وقال لهم هل من زلزلةٍ صارت في الأرض. فأجابوهُ كلاّ. فقال انّي حسستُ بأنّ كرسيَّ قد ارتجّ فافزعني الامر فاسرعوا وانظروا هل من عدوٍّ جاء إلينا ليكدّرنا لأنَّ رجَّة كرسيّ لا تخلو من إغراب. فعند ذلك جروا إلى باب القصر فلم يروا سوى لوبيقينس الشيخ الفقير فاتوا بهِ أمام

الملك فسأَلهُ مَن أنتَ ومن أين أتيتَ وما الذي أتى بك إلى ههنا. فأجابهُ أنا لوبيقينس راعي خراف يسوع المسيح قد أتيتُ من الدير راغباً إلى جودتك أن تتصدّق عليّ بما يسدّ عوز رهباني. فأمر لهُ الملك بحقول وكروم فشكرهُ القدّيس وابى قبولها قائلاً: لا يليق بالرهبان أن يقتنوا ثروةً مثل هذه لأنَّهم لا يطلبون سوى ملكوت الله* فتعجّب الملك من هذا الجواب وأمر أن يُعطى لرهبانهِ كلّ سنةٍ ثلاثماية كيلٍ قمحاً لقوتهم ومابة ريالٍ ذهباً للباسهم*

وبعد أن قضى الأخوان القدّيسان رومانس ولوبيقينس حياتهما في خدمة الله توفَّاهما الله في شيخوخة مقدّسة وجازاهما بالسعادة الأبديَّة وذلك في منتصف الجيل السادس وتبجّلا بعد موتهما بالكرامات البواهر التي أجراها الله بشفاعتهما*

القدّيستَين مارانا وكورا البتولَين الحلبيّتين

إِنَّ هتين القدّيستين كانتا من أشراف حلب وكانتا بتولّين تقيَّتين ماشيتَين في سلك التقوى والفضيلة. ثمّ تركنا التنعّم والترفّه حبّاً للمسيح عريسهما واحتبستا في بيت ضيّق وسدّتا بابهُ وجعلتا لهُ نافذة صغيرة تتناولان منها القوت الضروريّ لهما. فمكثتا ساكنتَين هناك مدّة سنة. وكانتا لابستَين حديداً ثقيلاً على جسديهما. ثمّ ذهبتا بعد ذلك إلى أورشليم لزيارة قبر المسيح ماشيَتين وعادتا إلى موضعهما وبعد

ان قضتا سيرةً كلّها ذات أجر وثواب تاقتا إلى الوصال بعريسهما الإلهيّ الذي قد خدمتاهُ كلّ حياتهما فارتحلتا من هذا العالم إلى السعادة الأبديَّة لتتنعمّا في الخدر السمويّ*

* اليوم التاسع والعشرون *

مار كاسيانس الشهيد

إِنَّ كاسيانس الشهيد كان في أيَّام الملك يُليانس الجاحد وكانت وظيفتهُ معلّماً في مكتبٍ يعلّم الصبيان القراءَة والكتابة في مدينة إِيمُلا من أعمال إِطاليا. ولزيادة غيرتهِ وحسن تعليمهِ صار عندهُ دارسون كثيرون. وكان ذا هيبة عظيمة يخافهُ الصبيان جدّاً فلذلك كانوا يتقمقمون عليهِ* وفي ذلك الزمان شبّ اضطهاد عظيم على المسيحيّين. وبما أنّ كاسيانس كان مسيحيّاً أمسكوهُ وعرضوا عليهِ أن يذبح للأوثان فأَبى. فطفقوا يتشاورون على كيفيَّة تعذيبهِ وموتتهِ. فقال أحدهم. ليوضع بين ايادي أولاد مدرستهِ ليعذّبوهُ ويميتوهُ كيفما شاؤا. فاستحسنوا رأيهُ. وأرسلوا على الصبيان فأتوا. ثمّ عَرَّوا هذا المعلّم القدّيس من ثيابهِ وربطوا يديهِ إلى خلفهِ ودفعوهُ إلى الصبيان قائلين: دونكم معلّمكم الذي كان يضربكم بالعصيّ بلا رحمة اعملوا بهِ ما تريدون والعبوا بجسد مَن لم يرحم جسدكم. اثقبوا وقطّعوا وخزّقوا مَن كان يجلدكم بلا شفقة

ولتُلَطِّخ أيديكم بدمهِ* فاستفاد الصبيان جيّداً من هذا درس القساوة الذي تعلّموهُ من الظالمين. وتذكّروا ضرباتهِ لهم فاتّقد فيهم نار عظيمة للانتقام وأخذ الثار. ولمّا شاهدوا الحرّيَّة المطلقة التي أعطوهم إيَّاها على قتلهِ هجموا عليهِ ورموهُ أوّلاً بصناديقهم وبالألواح التي كانوا يكتبون عليها فتهشَّم رأسهُ. ثمّ استعانوا بآلاتهم الحديديّة التي كانوا يستعملونها للكتابة والنقش مثل المبراة والمنقاش وغير ذلك فكانوا يدخلونها في عينيهِ ويخزقون بها جسمهُ من كلّ جانب إلى أن اثخنوهُ جراحاً وأضحى جسدهُ جرحاً واحداً. فعند ذلك قال لهم الشهيد: لا ترتخِ أيديكم يا أولادي بل عجّلوا بسرعة على أوّل مقتول لكم ولتعطِكم قساوتكم القوّة التي لم تعطِكم إيَّاها الطبيعة بعدُ. فقال لهُ أكبرهم سنّاً مِمَّ تشكون يا معلّمي أنت الذي وضع الأقلام في أيدينا وعلّمنا تصوير الحروف بتعب عظيم ها انَّنا قد كتبنا ألف حرف على جسمك فانظر ثمرة أتعابك أمَا تعلّمنا جيّداً* وقال الآخر: يا معلّمي لِمَ تحزن على انَّنا نكتب اما كنتَ تجعلنا ان نكتب كلّ يوم وكنتَ توصينا مايةَ مرّة في النهار أن لا نبقى كسَالى بطّالين ولا نقضي نهاراً ما لم نكتب فيهِ شيئاً* وقال الثالث: يا معلّمي اليوم ما نطلب إليك أن تسمح لنا بوقتٍ للاستراحة بل نحبّ أن نكتب أحرى من أن نتنزّه. ثمّ قال لهُ الآخر: يا معلّمي قد كتبتُ صحيفة كبيرة ليس ناقصاً فيها لا حطّة ولا نقطة فافحصها وان وجدت فيها بعض غلطات أو حروفاً لم تُكتَب جيّداً فقل لي أن أصلحها. وهكذا كلّ من هولاء الصغار

الكفّار كان بعالم معلّمهُ بالهزؤْ والقساوة. وأخيراً تحنّن يسوع المسيح على عذاب خادمهِ وقطع الخيط الأخير الذي كان يربط نفسهُ في جسدهِ فمات وأخذ أجرهُ وكان ذلك في سنة ٣٦٣ للمسيح*

انتهى شهر شباط

* شهر آذار *

* اليوم الأوّل *

مار اوبان اسقف مدينة انجبر

إِنَّ مار اوبان مثال جميع الفضائل ومرآة الأساقفة وفخر فرنسا وُلد في برتانيا في ابرشيَّة وانّس من والدين غنيّين وشريفَي النسَب. وأظهر منذ صغرهِ ما سيحصل عليهِ يوماً لأنَّهُ كان يتجنبَّب اللذّات والأباطيل الزائلة ويتمسّك بما يقودهُ إلى سبيل التقوى والفضيلة فكان يحتمل سبّاً وتعييراً من رفاقهِ وهو فرحان بذلك. وكان يداوم الترداد إلى الكنائس ويصلّي بلا انقطاع وينطلق إلى الأماكن المنفردة ويتأمَّل هناك في الأشياء السمويَّة* وإذ رأَى نفسهُ غير قادر أن يكرّس ذاتهُ بجملتها لله وهو في العالم ترك والديهِ وترهَّب في ديرٍ وأخذ يسير سيرةً قشفة بالصوم والسهر وأنواع أخرى. وكان أشدّ تواضعاً من جميع الرهبان* ولمّا بلغ من العمر الخمس والثلاثين نُصِب رئيساً في ذلك الدير وأخذ بتدبير الرهبان بحكمة عظيمة وحلم لا مثيل لهُ. وبعدما قضى في هذه الوظيفة خمساً وعشرين سنة ما أراد الله أن يترك هذا

السراج العظيم مخفيّاً تحت المكيال. فحرّك اقليرس مدينة انجير والعامَّة الذين كانوا محتاجين إلى راعٍ أن يختاروهُ أسقفاً عليهم. فأبى أوّلاً ثمّ أطاع إرادة الله وأخضع عنقهُ لهذا الحمل الثقيل وشرع إذ ذاك يظهر جزيل النعم التي كانت مخفيَّة في نفسهِ مُذ صغرهِ. فكان منعكفاً على الوعظ وإرشاد المؤْمنين ومكثراً من عيادة المرضى والفقراء والأرامل واليتامى والمحبوسين باذلاً كلّ الوسع في مساعدتهم* وإذ سمع ذات يومٍ انَّ امرأَةً شريفةً حُبِست بأمر الملك على أنَّها كانت غريمةً ووُضِعت بين أيادي جنود فاسقين قام مسرعاً وانطلق إلى السجن واخرجها بشجاعة فقاومهُ أحد الجنود وأخذ يشتمهُ. فنفخ القدّيس بوجههِ فسقط حالاً ميتاً وأخرج القدّيس المرأَة إذ وفى عنها دينها* وصنع كرامات اخر كثيرة منها انَّهُ ابرأَ باشارة الصليب رجلاً يابسةً يدهُ وأقام صبيّاً من الموت وردّ البصر لخمسة عميان* وذات يوم استعان بهِ أناس كانوا محبوسين في برج انجير. فانطلق يعتذر إلى القاضي عنهم طالباً أن يعتقهم فأبى القاضي وقال لهُ صلِّ إلى الله لعلّهُ ينجّيهم. فانصرف القدّيس من عندهِ وأخذ يصلّي من أجلهم سائلاً من الله نجاتهم من السجن. ولمّا كان الليل سقط حجر كبير وهدم جانباً من السجن فخرجوا كلّهم وجاؤا شاكرين للقدّيس وأوعدوهُ بأنَّهم لا يعودون بعد ذلك إلى الذنوب* وفكّ يوماً امرأَةً كان قد اعتراها الروح الشرّير* ويوماً آخر مات أحد خدّامهِ ولم يكن هو حاضراً. فعلم بموتهِ وأراد أن يحضر دفنتهُ. فلمّا جاؤا ليدفنوهُ لم يستطيعوا أن

يحرّكوا جسدهُ إلى أن جاءَ مولاهُ القدّيس وحينئذٍ حملوهُ ودفنوهُ*

ولسموّ فضائلهِ وكراماتهِ كان جميع أهالي فرنسا يكرمونهُ ويحترمونهُ وجمع مجمعاً وفيهِ استأْصل رذائل عديدة من المسيحيّين ورسم بعض رسومات راجعة إلى مجد الله وخلاص النفوس* ولمّا صار عمرهُ ثمانين سنة حان منونهُ فانتقل من هذا العالم. ودُفن جسدهُ باحتفال عظيم في كنيسة مار موريسيوس. وبعد ذلك نُقِل من قبرهِ ودُفِن في كنيسة شُيّدت على اسمهِ وهو موجود الآن هناك وقد بُني على اسمهِ كنائس أُخر عديدة في فرنسا* وكان موتهُ في منتصف الجيل السادس*

* اليوم الثاني *

الطوباويّ هنري سوزو الدومِنِكيّ

إِنَّ هذا الطوباويّ كان شريف الحسَب والنسَب وربّتهُ امّهُ في التقوى وخوف الله. ولمّا صار عمرهُ ثلاث عشرة سنةً دخل في رهبنة مار عبد الأحد* وكان في أوائله فاتراً في سيرته لأنّ قلبهُ لم يكن بعد قد تجرّد كلّيّاً من حبّ العالم إلى أن ملكت قلبهُ الحكمة الإلهيّة وجعلتهُ كجمرة نار ملتهبة بالمحبَّة. فكان ليلاً ونهاراً يتأمّل كلّ شي فيها ويصرخ: أيَّتها الحكمة الإلهيّة وجدتكِ فلا أتركِكِ. احببتكِ واخترتكِ عروساً وحيدةً لي لأنَّ فيكِ سلامي وخلاصي ومجدي*

وكان يقدّم جميع أعمالهِ لله واهباً لهُ ذاتهُ بجملتها* وكان لهُ عبادة حارّة لسيّدتنا مريم العذراء. فكان ينطلق في الربيع في إبّان الورود إلى البساتين والحقول ويقطف وروداً ذكيَّة يضفر منها اكليلاً جميلاً ويقدّمهُ لحبيبتهِ وامّ الاههِ مريم العذراء* فيوماً ما ظهر لهُ ملاك وامرهُ أَلاّ يملّ من الوعظ بمديح مريم العذراء وأوعدهُ من قِبَلها بنعم عظيمة* وكان لهُ غرامٌ زائد بحبّ يسوع المسيح. فكان هذا الغرام يزداد فيهِ شيئاً فشيئاً إلى أن جعلهُ أن يطبع على قلبهِ بآلة حديديَّة اسم يسوع المسجود لهُ. فأضحى هذا الاسم الإلهيّ مكتوباً على قلبهِ بحروف دمويّة*

وكان شديد التقشُّف. فمن ذلك انَّهُ عمل لهُ مسحاً يلبسهُ على لحمهِ وسلسلةً حديديّةً يتمنطق بها ورداءً منسوجاً من حبال وفيهِماية وخمسون مسماراً رفيعاً. وكان يضمّ هذا الرداء إلى جسمهِ فتغوص المسامير في لحمهِ إلى أن قَرِح ودوّدت قروحهُ فكان يموت في كلّ دقيقة وهو حيٌّ. وكانت الدود تقرض لحمهُ وتمصّ دمهُ. وقد احتمل هذا الاستشهاد الاختياريّ مدّة ستّ عشرة سنةً إلى أن ظهر لهُ ملاك وامرهُ أن يترك استعمال هذا العذاب. فأطاع ورمى كلّ آلات العذاب في النهر*

وكان يتأَمَّل بلا انقطاع في آلام يسوع المسيح ويحمل الصليب روحيّاً مع المخلّص* ولكي يشترك مع يسوع في حملهِ الصليب صنع لهُ صليباً ووضع فيهِ ثلاثين مسماراً حادّاً ووضعهُ على كنفهِ من تحت

ثيابهِ حتَّى لا يقدر أن يتحرّك بلا أَلَم. وحمل هذا الصليب ثماني سنين* وكان يجلد نفسهُ بالسياط مرّتين في اليوم مرّةً اكراماً لجلد يسوع المسيح ومرّةً اكراماً لموتهِ على الصليب* وكان ينام على حصير عتيق ويتوسّد بكيس محشيٍّ تبناً. ولم يكن لهُ في قلاّيتهِ شيءٌ غير ذلك* واستمرّ خمساً وعشرين سنةً لا يقترب إلى نار ليصطلي في فصل الشتاء* وكان يتناول طعاماً مرّةً واحدة في اليوم. ولم يكن طعامهُ سوى خبزٍ وبقلٍ لا غير* وذات يوم إذ رفع عينيهِ إلى السماء سمع صوتاً من العلا يقول لهُ: اذكر يا هنري كم كان عطشي حارّاً إذ كنتُ على الصليب في آخر نزاعي. أنا الذي خلقتُ كلّ المياه والينابيع لم أقدر أن أحصل في ذلك الوقت لتبريد غليلي إلاّ على خلّ ممزوج بمرارة. فاحتمل أنت العطش بصبر ان أردت أن تقتدي باثري* فاثَّرت هذه الكلمات في قلب الطوباويّ وجعل يقضي النهار كلّهُ من دون أن يشرب ماءً الاّ مساءً حين العشاء فقط. وفي أيَّام الصيف حينما يكون النهار طويلاً وحارّاً فكان هو يلهث من شدّة العطش وتيبس شفتاهُ ويتوق إلى قليل من الماء ليبرّد بهِ لسانهُ ولا يريد أن يتناول* فذات يوم اشتدّ لَهاثهُ وإذا بصوت من السماء يشجّعهُ وأوعدهُ بأن قد اقتربت ساعة الفرح والتنفيس* فلمّا جنّ الليل وكان هو يصلّي غاب عن صوابهِ وظهرت لهُ مريم العذراء وابنها وكان يبان ابن سبع سنين. وكان ماسكاً بيدهِ اناءً ممتلئاً ماءً سمويّاً. فأَخذت هذه الأمّ المباركة ذلك الاناء من يد ابنها الإلهيّ وقدّمتهُ إلى هنري فشرب منهُ بشوق جزيل

فاحسّ في قلبه بلذّة فائقة وتبريد عظيم*

ويوماً آخر إذ كان صباحاً جالساً في قلاّيتهِ سمع صوتاً يقول لهُ: افتح الشبّاك وانظر. فتطلّع فنظر في مدخل الدير كلباً في فمهِ خرقة جوخ يتلاعب بها. فكان يرميها في الهواء ويتناولها بأنيابهِ فيخزّقها ويمزّقها. ففهم من ذلك هنري أنَّهُ عتيدٌ أن يحتمل ضيقات ومصائب عظيمة من الناس. فرفع عينيهِ إلى السماء وفاضت الدموع من مقلتيهِ وإذا بذلك الصوت يقول لهُ: أَلا انَّك إلى الآن احتملت التقشُّف من ذاتك فقط فينبغي أن تحتملهُ أيضاً من أخوتك الذين سيعاملونك معاملة الكلب للخرقة* فوضع اتّكالهُ كلّهُ على الله ونوى أن يحتمل ذلك بتجلّد. فجمع لهُ خِرَقاً وحفظها عندهُ جملة سنين فكان كلّما أصابهُ شيءٌ من الشدائد تأمَّل في تلك الخرق متذكّراً معاملة الكلب لها*

ومن جملة التجارب التي سمح الله أن تحلّ بهِ أنَّهُ كان يُعاني من الناس افتراءً وثلباً وسبّاً ونميمةً بنوع لا يُطاق احتمالهُ حتّى انَّهم أرادوا أن يطرحوهُ في نهر فتوارى عنهم. وكلّ ذلك من أجل أسباب لا طائل لها* وأُتهم مرّةً بالفحشاء فتركتهُ أصحابهُ وأخوتهُ ولم يكونوا ينظرون إليهِ إلاّ بعين الاحتقار. ومقتهُ أهلهُ ورؤساؤهُ. فامسى مُهمَلاً من الجميع ما خلا الههِ العالِم بكلّ شيءٍ والذي لا يخفاهُ خافٍ* أمَّا هو فكان يحتمل بصبر كلّ التعبيرات والشتائِم التي كانت تلحق بهِ من جرى ذلك إلى أن انتشلتهُ العدالة الإلهيّة من تلك الضيقة إذ أعلنت برارتهُ. فاكتسى أعداؤهُ ثوب الخجل ونزل بهم القصاص الإلهيّ*

وبلغهُ ذات يوم أَنَّ أختهُ التي كانت راهبة تركت الدير وهربت لأنّ الشيطان اطغاها واضرم في قلبها حبّ العالم وشهوات الجسد القبيحة. فتمزّق قلبهُ ألماً وحزناً وجادت عيناهُ بالدموع. فإذ لم يقدر أن يكتم وَجدَهُ نهض حالاً وبادر بالتفتيش عليها. وبعد تعبٍ جزيل وجَدٍّ عظيم وجدها. فأخذ يخاطبها بكلمات تنفطر لها الأكباد والعبرات تسحّ من عينيهِ إلى أن ليَّن قلبها فانطرحت على قدميهِ نادمةً ونادبةً سقطتها. فللوقت أرسلها إلى دير ذي قوانين صعبة ضيّقة. فعاشت فيهِ بالتوبة وبقداسة السيرة إلى حين موتها*

وبعد أن تعنَّى هذا الطوباويّ كلّ هذه الأتعاب واحتمل كلّ تلك الشدائد أظهر الله فضلهُ ونشر رائحة قداستهِ بين أخوتهِ فانتخبوهُ رئيساً عليهم وساعدهُ الله في هذا الحمل الجديد. وانقضت أيَّام حياتهِ الأخيرة في الأعمال الرسليَّة ومات في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٣٦٥ ودُفِن باكرامٍ عظيم وجرت كرامات باهرة على قبرهِ أيَّدت قداستهُ* وبعد مايتين وثمان وأربعين سنةً حفروا قبرهُ فوجدوا جسدهُ سالماً من الفساد وفائحاً منهُ رائحة ذكيَّة*

* اليوم الثالث *

القدّيسة كُناغُنده الملكة والبتول

إِنَّ القدّيسة كُناغُنده كانت من حَسبٍ شريف وتزوّجت بهنري الثاني ملك جرمانيا وكانت بديعة الجمال ذات مزايا حميدة وأخلاق حسنة. فاتّفقت مع الملك عريسها أن يحفظا بتوليّتهما ويعيشا مثل أخ وأخت لا مثل زوج وزوجة ولقد كمّلا ذلك فعلاً وانتصرا على الطبيعة أيّ انتصار. فكانا عائشين في هذه النقاوة المقترنة بالتقوى. وكرّسا ذاتهما لخدمة الله وشيّدا كنائس جمَّةً وأديرة عديدة وزيّناها بكلّ ما يجب من التزويق والأثاث وغير ذلك. ورمَّا الكنائس المنهدمة. فذاع صيتهما وأثنى الناس على جودتهما وتقواهما* أمَّا عدوّ الخير الشيطان الحسود فإذ رأَى هذين الطوباويّين وما هما عليهِ من العمل الصالح وانَّهما عائشان برباط محبّةٍ عفيفة همَّ ان يكدّر ويفحّم بياض نقاوتهما. فزرع في ضمير الملك هنري زِوان شكوكٍ باطلة بالملكة كُناغُنده قرينتهِ فكان هنري المغشوش يظنّ انَّها نقضت العهد الذي بينهُ وبينها وانجذبت إلى حبّ شخص ما* وقد سمح الله بذلك لكي يزيد سموّ فضيلة القدّيسة ويثبّت عفافها بشهادة من السماء. وذلك فانَّها خطت أمام قرينها خمس عشرة خطوةً على قضيب من حديد محمرّ بالنار فلم تضرّها الحرارة وكانت متوسّلةً إلى ربَّنا يسوع المسيح العالِم بأَنَّ بتوليّتها لم تنثلم أبداً أن يعلن برارتها. فسمعت

صوتاً يقول لها: أيّتها البتول النقيَّة لا تخافي فانَّ مريم العذراء تحفظكِ* وهكذا سحقت رأْس الثلاّب واستمرّت ظافرةً بهِ. فلمّا شاهد الملك زوجها ما صار ندم على ما فرط منهُ وازدادت محبّتها في قلبهِ وعاش معها بسلام حتَّى دعاهُ إليهِ يسوع المسيح وشرّفهُ بكرامات وافرة جرت بعد موتهِ فكُتِب اسمهُ في سفر القدّيسين وسيرتهُ مسطورة في اليوم الخامس عشر من شهر تموز*

وامَّا القدّيسة كُناغُندة فبعد ما أَدَّت للطوباوي هنري الملك قرينها واجباتهِ الأخيرة هجرت العالم وترهَّبت في أحد الأديرة التي عمَّرتها هي وبقيت هناك مواظبةً على الصلوة والشغل. وكانت تزور المرضى وتعزّي الحزانى وتعمل أعمالاً أخرى صالحة. فبمجازاةً لها زيّنها الله بموهبة عمل العجائب. فمن ذلك انَّها إذ كانت ليلةً تعبى ونائمة على سرير دنيّ وقعت الشمعة على قشّ السرير فأخذت النار فاستيقظت لذلك القدّيسة ورسمت إشارة الصليب على النار فانطفأَت حالاً*

ولمّا تمّ لها خمس عشرة سنةً في الرهبنة اعترتها حمَّى ثقيلة فعلمت انَّ رحالها من هذا العالم قد حان فاستعدّت لهُ. ولمّا بلغت إلى سياق الموت شرعت الراهبات يُعدِدن لوازم الدفنة فلمّا رأَت أنَّهنّ اجمعنَ على أن يضعنَ على جنّازها جوخاً موشّىً بالذهب حدقت بهنّ قائلةً: لا لي لا لي هذا الجوخ. ارفعنَهُ عن جنّازي فانّي عريانة قد خرجتُ من بطن أمّي. ارغب اليكنَّ أن تعطّينَ رأسي بثوب دنيّ. ثمّ تدفنَّني إلى جانب هنري مولاي وأخي الذي يدعوني من السماء. فلمّا

قالت هذا ردَّت نفسها لله. فدُفِن جسدها في المكان الذي أرادتهُ هي. وتبجّلت بكرامات عظيمة جرت على ظريحها فكان مرضى كثيرون يأتون عندهُ مصلّين فيشفون بشفاعتها* وكان موتها في اليوم الثالث من شهر آذار سنة ١٠٤٠*

* اليوم الرابع *

جهاد ادريانس الشهيد

إِنَّه في عهد الملك مكسميانس قيصر عدوّ المسيح حدث اضطهاد عظيم للنصارى وذلك فإِنَّ هذا الملك القاسي إذ كان في مدينة نيقوميديَّة أصدر أمراً بأن يُقتل جميع من يعترف بايمان المسيح. فكان يمسك المسيحيّين ويعذّبهم بأنواع مختلفة ثمّ يهلكهم. وكان عندهُ قائد جيش مقرَّب إليهِ جدّاً اسمهُ ادريانس وكان شريفاً غنيّاً ولهُ امرأَة مسيحيَّة ذات فضيلة فائقة تدعى نَطاليا. فلمّا شاهد ادريانس عذاب الشهداء واحتمالهم الموت بفرح من أجل ايمانهم وعلم منهم عظمة المجازاة التي يناولونها في السماء عوض استشهادهم صرخ بصوت عالٍ قائلاً: أنا مسيحيّ* فبلغ الملك ذلك حالاً فأمر بإحضاره. فلمّا مثُل بين يديهِ قال لهُ: يا ادريانس ما بالك قد تجنّنت وخاطرت بنفسك. هلاّ تخاف حلول رمسك* فأجابهُ المستشهد: انّي لستُ معتوهاً بل

بعكس ذلك قد كنتُ معتوهاً والآن عقلتُ* قال لهُ المغتصب: أَلاَ اسكت ولا تتكلّم. فكان ينبغي لك أن تستغفرني وتقرّ أمام الحاضرين بأنَّك بئسما تكلّمت. فأجابهُ ادريانس: اعلم أيُّها الكافر انّي لستُ أستغفر الاّ ربّي عسى أن يصفح عن حياتي الماضية والذنوب التي ارتكبتُها أمامهُ* فعند ذلك حنق عليهِ مكسيمانس وحبسهُ*

ولمّا بلغ نطاليا زوجتهُ خبر ايمانهِ وحبسهِ فرحت فرحاً عظيماً وانطلقت مسرعةً إليهِ في السجن وصارت تقبّل قدميهِ واصفادَهُ وتشجّعهُ على احتمال العذاب وتدعوهُ طوباويّاً لأَنَّهُ يتشرّف بالاستشهاد من أجل يسوع المسيح* وكان معهُ في السجن ثلاثة وعشرون من الشهداء فأوصتهم بهِ طالبةً إليهم أن لا يملّوا من تشجيعهِ والصلوة من أجلهِ. فقال لها ادريانس امضي يا نَطاليا إلى بيتكِ ومتى حان وقت تعذيبنا اعلمتُكِ فحضرتِ في استشهادي. فانصرفت من عندهِ*

وبعد أيَّام إذ سمع ادريانس أنَّ القضاة قد أجمعوا على أن ينهوا أمرهُ ارشى حارس السجن لكي يأْذن لهُ بالانطلاق إلى زوجتهِ ليخبرها بأنَّ ساعة استشهادهِ قد حانت ثمّ يرجع. فأذن لهُ. وبينما هو في الطريق سمعت زوجتهُ نَطاليا بمجيئهِ فظنَّت أنَّهُ قد خاف من العذاب فكفر. ولذلك شملها حزن عظيم من أجلهِ. ولمّا وصل إلى البيت وقرع الباب طفقت توبّخهُ توبيخاً شديداً ولم ترد أن تفتح لهُ الباب. فازداد ادريانس الماً على ألمٍ وأجابها: افتحي الباب عاجلاً ولا تقلقي فانّي لستُ كذلك. وإنَّما جئتُ لكي أبشّركِ بأنَّ وقت استشهادي

قد جاءَ وادعوكِ أن تحضري فيهِ فافتحي وهلّمي معي. فحالما سمعت هذا الجواب تغيَّر قلقها وحزنها إلى فرح وسرور وفتحت الباب وقبَّلتهُ وسارت معهُ إلى السجن* ولمّا احضروا ادريانس ورفقاءَهُ الشهداء أمام مكسميانس. أمال هذا الملك نظرهُ إلى ادريانس وقال لهُ: هل أنت مقيم بعد يا ادريانس على جنونك حتَّى الآن: فأجابهُ لقد قلتُ لك إنّي إذ تركتُ جنوني استعدّيتُ أن أسفك دمي حبّاً ليسوع المسيح. فاغتاظ منهُ المضطهد وأمر فجلدوهُ حتى بانت أمعاؤُهُ ثمَّ ارجعوهُ هو والشهداء إلى السجن* وأمَّا زوجتهُ نَطاليا فلم تتركهُ بل كانت تعزّيهِ وتشجّعهُ*

فلمّا رأَى مكسميانس انَّهُ غُلِب وانَّ الشهداء اوشكوا أن يموتوا من شدّة العذاب خاف أن يموتوا قبل أن يقتلهم فأمر أن تُقطّع أيديهم وسيقانهم على سندان ويُتركوا ليموتوا في تلك الحالة. فامَّا نَطاليا فخافت أن يفزع قلب ادريانس لمشاهدتهِ شدّة هذا العذاب المهول في اخوتهِ وتوسَّلت إلى الجلاّدين أن يبدأوا بهِ أوّلاً. فيا لشجاعة نَطاليا التي هي بنفسها بسطت رجلَي زوجها على السندان وامسكتهما فقطّعوهما بالفأْس. ثمّ قالت لادريانس: ارغب إليك يا سيّدي خادم يسوع المسيح أن تمدّ لي يدك ليقطعوها حتَّى لا تكون أقلّ اعتباراً من الشهداء القدّيسين الآخرين. فقدّمها لها. فبسطتها أيضاً على السندان وامسكتها فقطعوها. وفي هذا العذاب ردّ نفسهُ لله وذلك في اليوم الرابع من آذار. وبهذا النوع أيضاً قُتِل الشهداء

ونالوا مع ادريانس اكليل المجد في السماء* ثمّ أراد الملك أن يحرق أعضاءَهم بالنار فانحدر مطرٌ من السماء وأطفأَ النار. وأخذت النصارى أجساد الشهداء إلى قسطنطينيَّة ودفنوها هناك باكرام عظيم وكان ذلك سنة ٣٠٤ للمسيح* وأمَّا القدّيسة نَطاليا فسكنت بقرب ظريح زوجها ادريانس حتَّى توفّيت*

* اليوم الخامس *

مار فوقاس البستانيّ الشهيد

إِنَّ هذا الشهيد كان سريانيّاً جنساً وكان لهُ بستان يحرثها ويعتاش منها وكان فقيراً ولزيادة فضلهِ كان يعتبرهُ الناس قدّيساً لأَنَّهُ جمع فيهِ جميع الفضائل التي يجب أن يقتنيها القدّيسون. ولم يمنعهُ فقرهُ من عمل الجود والكرم والصدقة. فكان بيتهُ مقرىً للضيوف يقتبل فيهِ كلّ من استقراهُ من العابرين ويبذل جهدهُ بحسب مكنتهِ في تأْدية الواجب له فشابه بهذا العمل لوطاً وابرهيم* وفي ذلك الزمان كانت الديانة النصرانيَّة مضطَهَدة جدّاً. فوُشي ذات يومٍ بفوقاس أَنَّهُ مسيحيّ. فبعث إليهِ المضطهدون جنوداً ليقتلوهُ فوجدوهُ في بيتهِ وأَخذوا يشتمونهُ ويؤذونهُ امَّا هو فسأَلهم بكلام لطيف حلو جدّاً عن سبب مجيئَهم إليهِ. فلمّا شاهدوا مكارم أخلاقهِ وعذوبة

كلامهِ تعجَّبوا منهُ جدّاً وظنّوا أنَّ هذا الرجل الكريم ليس هو فوقاس الذي قصدوهُ. فاعتذروا إليهِ وقالوا لهُ: أما تعرف رجلاً نصرانيّاً اسمهُ فوقاس لأنَّنا جئنا لنقتلهُ. فأجابهم أتوسَّل إليكم بمودّة أن تبيتوا الليلة عندي وغداً اريكموهُ. فأجابوهُ إلى ذلك. فبالغ باكرامهم وعشّاهم وعاملهم معاملة أعزّ الأصدقاء* ولمّا ناموا قام فوقاس للصلوة وهيّأَ نفسهُ لاقتبال اكليل الاستشهاد وحفر لذاتهِ ظريحاً. ولمّا أصبح الصباح واستيقظت الجنود جاءَ إليهم فوقاس وقال لهم: يا ساداتي أتريدون أن أريكم فوقاس حسبما وعدتكم أمس. أجابوهُ يكون لك فضل علينا بذلك. فقال لهم: أنا هو فوقاس. فخذوني واقتلوني فها قبري معدٌّ وأشار لهم إليهِ فامتنع الجنود في قتلهِ لِمَا رأَوا فيهِ من الحلم والشجاعة. أمَّا هو فكان يتوسَّل إليهم أن لا يخسّروهُ اكليل الاستشهاد بل أن يعجّلوا بامتثال أمر من أرسلهم. وفي الآخر قطعوا رأسهُ بالسيف في مدينة انطاكية وذلك في اليوم الخامس من شهر آذار سنة ٣٠٣ للمسيح*

* اليوم السادس *

القديسة كولّته البتول مصلحة رهبنة القدّيسة كلارة

إنَّ هذه البتول التقيَّة وُلدت في مدينة كوربيا من أعمال بيكارديا. ومنذ نعومة أظفارها امتلأَت من نعم الروح القدس.

فكانت جميلةً في النفس والجسد وذات احتشام عظيم ولم تتولّع بلذّات العالم بل كان دَيدنها التأمّل في الأشياء الإلهية. ولمّا بلغت إلى سنّ التمييز وعرفت حيل الشيطان وفخاخهُ التي يستعملها ليوهق بها البشر أخذت ترشد الناس إلى الأشياء الخلاصيَّة. وحينما كانت تتكلّم مع الخطاة فكانت تعتبر نفسها أخطأً منهم. ثمّ دخل في قلبها حبّ الترهّب وشوق عظيم لاصلاح قوانين أديرة مار فرنسيس غير أنَّها كانت تخال نفسها غير مستطيعة على مباشرة عملٍ كذا عظيم. وفي الآخر انطلقت إلى البابا واعلمتهُ بغايتها وتوسَّلت إليهِ أن يخصّصها إلى الأبد خادمةً للراهبات المُصلَحة قوانينهنَّ. فلمَّا اطّلع الحبر الأعظم على قداسة سيرتها منحها طلبتها المقدّسة وأعطاها براءَةً فيها ثبّتها امَّ هولاء الراهبات ورئيستهنَّ* وبما أنَّها كانت متواضعة إلى الغاية كرهت من كلّ قلبها شرف الرياسة وأحبَّت أن تطيع أحرى من أن تُطاع* ثمّ باشرت إصلاح رهبنة مار فرنسيس الثالثة. فقبل كلّ شيءٍ اختلت في قلاّية مدّة أربع سنين كاملة لابسةً مسحاً خشناً ومتمنطقةً بثلاث سلاسل ومصلّيةً لله بحرارة أن يمدّها بعون من عندهِ. فعرفت برؤْيا أَنَّ الله قد اختارها بشفاعة مار فرنسيس أن تشتغل من أجل خلاص القريب في هذا الاصلاح. فلضعفها الطبيعيّ خافت أن تتبع هذا الالهام. فعاقبها الله بقصاص إلهيّ وهو أَنَّهُ ضربها بالخَرس والعمى فاستمرّت خرساء وعمياء طولما كانت تقاوم إرادة الله. وفي الآخر التزمت أن تطيعهُ تعالى وتهيّئ نفسها للمباشرة فردّ الله عليها نطقها

وبصرها. فأخذت تفتكر في عظمة هذا العمل والوسائط اللازمة لمباشرتهِ ثمّ انطلقت إلى البابا لتستميحهُ البركة والأذن على المباشرة وكان حينئذٍ البابا في مدينة نيتزا مشتغلاً في أمور الكنيسة وبلّغتهُ سبب مجيئِها وتوسَّلت إليهِ بتواضع أن يأذن لها بإصلاح رهبنة القدّيسة كلارة. فمنحها طلبتها ووضع على رأسها النقاب ورسمها امَّا للراهبات ورئيسةً عليهنَّ لكي تصلحهنَّ بأمثال سيرتها الصالحة وترجعهنّ إلى قداسة سيرتهنَّ القديمة* فأخذ الشيطان يعكس أمورها واستعمل في ذلك كلّ حيلهِ. فحرّك عليها العالم فكانوا يضحكون عليها ويشتمونها ودعوها ساحرة. وكان الأمر يعظم شيئاً فشيئاً حتى انّ الذين كانوا يكرمونها ويحبّونها احتقروها وبغضوها* امَّا هذه الابنة القدّيسة فكانت تصبر واثقةً بالله الذي لا يترك خاصّتهُ. فجعل الله أن تأخذها عندها إحدى السيّدات الفضيلات وتقوم بجميع احتياجاتها واعطتها نصف قصرها فوضعت القدّيسة فيهِ أوّل أساسات إصلاحها المقدّس. وأمدّها الله بعونهِ وجعل بضياء قداستها أن يضمحلّ عجاج النميمة التي كان الناس يفترون بها عليها. ثمّ أعطاها البابا ديراً وتبعها سرب من النساء والبنات من كلّ صنف* ونقول بالاجمال انَّها جمعت تحت لواء رهبنة مار فرنسيس جمّاً غفيراً من الرجال والنساء*

وبعد ذلك أرادت أن تعمّر أديرةً وبما أنَّها كانت تحتاج إلى دراهمِ فلم يتركها الله وذلك انَّها طالما وجدت إلى جانبها بعد نهاية صلاتها خمسمائَة ريالٍ ذهباً فهذا كان يزيد ثقتها ويوطّد رجاءَها

بالجودة الالهيّة. وعمَّرت أديرة كثيرة وما عدا ذلك فكانت تساعد الفقراء والمحتاجين* وكانت تمارس أصنافاً عديدة من التقشُّف. وبمقدار ما كانت حليمةً رأوفةً نحو القريب بازيد من ذلك كانت قاسيةً على ذاتها فلم تُرَ قطُّ لابسةً حذاءً بل كانت تمشي حافيةً صيفاً وشتاءً وتنام على الأرض أو على لوح من خشب متوسّدةً بكيس محشيٍّ تبناً. وكانت مواظبةً على الصلوة والتأمُّل. وحينما كانت تتناول فكانت الدموع تجري من عينيها كانَّها السيل. وزيّنها ربّنا يسوع المسيح بموهبة عمل الكرامات فكانت تقيم الموتى وتفكّ المعترين من الشيطان وتشفي المرضى وتعمل أشياء أخر عجيبة* وكانت تسوس الراهبات وتصلح زلاّتهنَّ بحلمها من دون أن يظهر فيها علامة للغضب وكانت تصبر على كلّ ما حلّ بها من الشدائد راجيةً الجزاء السمويّ. وكثيراً ما عرضت لها الشياطين وكانوا يضربونها بقساوة جهنمّيّة إلى أن يبقى فيها رمق يسير فيتركونها* وكانت تسعف بصلواتها وأعمالها الصالحة الأنفس المطهريَّة فكانت كلّ يوم تقول عنهنّ فرض الموتى. فكم من نفوس خلّصتهنَّ من النيران المطهريَّة بتكفيرها عنهنَّ* وذات يومٍ إذ كان مار منصور الفرّاري في اقليم ارّغون يصلّي رأى بوحي إلهيّ القدّيسة كولّته التي كانت ساكنةً حينئذٍ في بُرغونيا جاثيةً أمام الربّ تسأَلهُ بدموع حارّة رجوع الخطاة إلى التوبة. وعمل مار منصور بالهام الهيّ سموّ فضائل هذه القدّيسة فاضطرم شوقاً إلى رؤيتها والمخاطبة معها. فقصدها ولمّا وصل إليها قضى عندها أيّاماً عُدّةً في المخاطبة عن

أشياء تخصّ مجد الله وخلاص النفوس وتعاهدا أن يشتركا كلاهما في خدمة ربّهما احدهما بخطباتهِ الرسليَّة والآخر بتكميل اصلاح القوانين الرهبانيَّة* وكانت القدّيسة كولّتّه تحبّ الفقراء جدّاً وتساعدهم بقدر وسعها فكانت تشاركهم في الصدقات التي كانت تعيش بها هي وراهباتها وكثيراً ما كثَّرت الخبز باعجوبة عندما كان يعوزها. وكانت تلتفت إليها دائماً العناية الإلهيّة وتمنحها جميع ما تحتاج إليهِ من ذلك انَّهُ ذات يوم شبَّت حرب بين أهالي تلك البلاد فلم تقدر الراهبات أن يجمعنَ صدقةً وعازهنَّ الخبز وفيما كنَّ في الحيرة إذا باب الدير يُقرع فلمّا فتحنَهُ وجدنَ شاباً لابساً ثياباً بيضاً وعلى كتفهِ كيسٌ مملوءُ خبزاً نفيساً فناولهنَّ الكيس ومضى* ويوماً آخر إذ كانت القدّيسة تعمّر ديراً للراهبات فعازتها النفقات والتزمت أن تكفّ عن البناء* ثمَّ دخلت إلى معبدها وشرعت تصلّي طالبةً من الله العون. ولمّا خرجت وجدت على الباب كيساً فيهِ خمسماية ريالٍ ذهباً فتمّمت بها عمارة الدير* وكان لها عبادة حارّة لمريم العذراء القدّيسة فكانت تكرمها بجميع الوسائل التي تقدر عليها وتحيّيها بالسلام المَلَكيّ. وكانت تختبر محبَّة مريم لها ومحاماتها ايَّاها في أسفارها وفي أخطارها. وطالما ظهرت لها هذه الأمّ الطوباويَّة ومنحتها رجوع الخطاة بنعمة ابنها* ثمّ انّ القدّيسة كولّتّه بعد أن قضت أربعين سنةً في أعمال كلّها ذات أجر وثواب حان منونها فجمعت راهباتها وأوصتهنَّ بالثبات في الفضيلة والمحافظة على القوانين واعلمتهنَّ برحالها من هذا العالم. ثمّ تأَهَّبت

للموت وسلّمت روحها إلى عريسها السمويّ ودُفِنت بفقر عظيم بحسبما أوصت وذلك في سنة ١٤٤٧*

* اليوم السابع *

مار توما الاكوينيّ الدومنِكيّ اللاهوتيّ معلّم الكنيسة وشمس المدارس

إنَّ الله قد جعل في الكنيسة الكاثُليكيَّة رسلاً وانجيليّين وشهداء امَّأ الرسل فكرزوا بتعليم مرشدهم والانجيليّون أغذوها بكتبهم والشهداء ماتوا عنها. وقد أعطاها الله أيضاً معلّمين سموا بالعلم والقداسة إذ ساعدتهم نفخة الله الفعَّالة التي منحتهم روحهُ فحامَوا عن وحدانيَّة الديانة الإلهيّة التي علّمها يسوع المسيح وتحاربوا مع الذين نكروا قداسة قواعدها أو طهارة آدابها. فهم جنودٌ للايمان قد أفرغوا جهدهم في تشييد جسد يسوع المسيح وبهذا قد نجزت مواعيد يسوع المسيح لتلاميذهِ إذ قال إنّي سأكون معكم إلى انقضاء الدهور لكي اعلّمكم الحقّ وأدفع عنكم صدم أبواب الجحيم*

إنَّ الطوباوي مار توما الاكويني نور الكنيسة الكاثُليكيَّة والمعلّم الملاكيّ وشمس المدارس الساطعة وفخر رهبنة الأخوة الواعظين استحقّ أن يكون معدوداً بين الرجال الشهيرين الذين أقامهم الله برحمتهِ لتهذيب المؤْمنين وخزي الذين ينكرون حقائق الايمان. ثمّ انَّ العناية

الالهيّة خوّلت هذا محامي الكنيسة الجديد كلّ ما كان من شأنهِ أن يعينهُ ليقوم بالدعوة التي دعاهُ الله إليها أي انّها رتّبت أن يولد من نسل شريف وزيَّنتهُ بجميع الخلال الحميدة الروحيّة والجسديَّة الدالّة على شرف أصلهِ لأنَّ عشيرة الاكوينيّين كانت من أصل كريم في إطاليا من ذرّيَّة اللمُبرديّين الملوك القدماء وازدادوا بالعظمة منذ القرن التاسع. وكان ملوك ارّغون وصقلية متصادقين معهم* وقال الكردنال بيرون عن هذا القدّيس في خطبةٍ تلاها في مجلسٍ منعقدٍ من روساء الدولة سنة ١٦١٥ انَّهُ كان أميراً ومن نسب مار لويس ملك فرنسا انتهى* إنَّ القدّيس توما كان حفيد توما الاكويني الشهير أحد أعيان سوماقل ونائب قائد قوّاد جيوش الملك فريدريك الأوّل وأبوهُ كان يُدعى لندُلف وامّهُ تُدعى ثاودوره وكانت ابنة رجل عظيم النَسب*

وحكى غليوم توكو انَّهُ لمّا كانت ثاودوره امّ مار توما حبلى بهِ جاء إليها حبيس قدّيس وقال لها افرحي يا سيّدتي لأنَّكِ ستلدين ابناً يدعى توما ويزيّنهُ الربّ بأفضل مواهبهِ وسيدخل في رهبنة الأخوة الواعظين ويكون من أعظم الأنوار التي شرقت في هذه الرهبنة وبعلمهِ وقداستهِ يفوق على كلّ بني عصرهِ. قالت ثاودوره انّي لا أستحقّ أن أكون أمّاً لولدٍ كذا ولكن لتكن إرادة الله* ثمّ بعد أيَّام نجز وعد الحبيس لأنَّ ثاودوره ولدت ابناً سُمّي توما وهذا هو الاسم الذي لاق بهِ لأنَّ معناهُ اللجّة. وبالحقيقة صار توما لجّةً زاخرةً من العلم*

وولد توما سنة ١٢٢٧ في مدينة اكوين التي حصلت على فخر جديد في أيَّام الحبر الأعظم هنوريوس الثالث والملك فريدريك الثاني* وفي صغرهِ لم يكن لهُ شيءٌ من أخلاق الصبيان بل كان ذا عقل وفهم يفوقان الطبيعة. وبأفكارهِ كان يذهل العالم وحقّاً يقال انَّ الصبيان موضوعون لخطايا كثيرة وأميال عديدة كعمل الإرادة والغضب وعدم الصبر والحسد. أمَّا الصبيّ توما فلم يكن لهُ شيءٌ من ذلك البتّة. وكان يُستدَلّ من ضياء وجههِ على جودتهِ وحلمهِ وتقواهُ* وقد أعدّ الله لنفسهِ مسكناً في هذه النفس الصغيرة. وكان منذ ولادتهِ ذا ميلٍ طبيعيّ إلى الصلوة ونفسٍ شريفةٍ متّقدة بالمحبَّة وعمل الفضائل وقلبهُ كان مستقيماً حليماً منصبّاً على قضاء الفرائض وكان بعقلهِ السامي يفهم الحقائق الغويصة* وإذ كان في غاية الصغر وضعهُ أبواهُ في بيت الربّ وهناك بقدوة معلّميهِ وأمثالهم تعلّم أن يصير قدّيساً قبل أن يصير عالماً*

ولمّا صار عمرهُ خمس سنين أودعهُ أبوهُ في الدير عند رهبان جبل كسّين لكي يتعلّم منذ صغرهِ المحبَّة وخوف الله المقدّس. فاندهش الرهبان متهلّلين لمّا رأَوا نجاح هذا تلميذهم الصغير قائلين انَّ هذا الصبيّ مدعوٌّ لقضاء أمور سامية* وروح القدس كان معلّمهُ الأوّل وكان يهديهِ إلى تأْدية أشهر الفضائل الأدبيَّة الموجودة في الشريعة المسيحيَّة قبل أن صار ذا عمرٍ كافٍ*

ولمّا صار ابن عشر سنين اعترف معلّموهُ أنَّهُ قد فاقهم في العلم

ولذلك الزم رئيس الدير أباهُ أن يرسلهُ إلى إحدى المدارس العظيمة ليتكمّل هناك في العلوم الساطعة. فعزم أبوهُ أن يضعهُ في مدرسة نابُلي التي كانت مزهرةً بالعلوم وكانت نابُلي حينئذٍ ممتلئة من الشرور والفواحش. فلمّا بلغ توما ذلك نوى أن يضبط ذاتهُ مصوناً من ذلك الشرّ العامّ. فلمّا أرسلهُ أبوه إليها ضاعف صلواتهِ وتيقّظهُ على نفسهِ فنجا من ذلك مدّة إقامتهِ كلّها هناك مع انَّ رفاقهُ في المدرسة ذاقوا كلّ الفواحش المختلفة إلى آخرها. أمَّا هو فكان كلّ يوم يختلي منفرداً مستعيناً بالصلوة والدرس وبذلك انتصر على هوى الدنيا والفساد الموجود فيها* ثمّ قرأَ علم البيان والفلسفة على أشهر المعلّمين. وكان مثالاً وقدوةً لشبّان المدرسة فكان كلّ يوم يكرّر الدرس بفصاحة أكثر من معلّمهِ ومع كلّ هذه كثرة درسهِ لم يغفل عن الديانة* وكانت صدقاتهُ وافرة على الفقراءِ ولم يعرف بها أحد سوى الله وحدهُ. وكان يشمأزّ من مدح الناس لهُ*

وكان في عصرهِ حروب ثائرة في بلاد إِطاليا وطنهِ. فلمّا رأَى توما ذلك تزهّد عن الدنيا وقصد الدخول في رهبنة مار عبد الأحد. فلمّا سمع أبوهُ عزم على منعهِ عن ذلك بكلّ ما في طاقتهِ ولكنَّهُ لم يُجدهِ ذلك نفعاً لأنَّ توما ثبت على قصدهِ ولبس ثوب الرهبنة في دير الدومِنِكيين في نابُلي سنة **١٢٤٣** وكان عمرهُ إذ ذاك سبع عشرة سنة* ولمّا بلغ ذلك الأميرة ثاودوره امّهُ عملت كلّ الحيل لترجّع ابنها إلى الدنيا فانطلقت مبادرةً إلى نابُلي. أمَّا توما فطلب العون

من روسائهِ فارسلوهُ إلى دير سَنْتَه سَبِينه في رومية. وإذ علم أنَّ امّهُ آتية إليهِ ترك رومية وتوجَّه إلى باريس. فاستعانت أمّهُ باخويهِ اللذَين كانا في تُسكانا فانطلقا لملاقاتهِ في طريقهِ التي عهداها ولمّا لقياهُ اغتصباهُ خلع الثياب الرهبانيَّة ولكن توما رفض ذلك فقاداهُ إلى مكانٍ كانت أمّهُ تنتظرهُ فيهِ فحصلت على فرحٍ لا يوصف ثمّ أخذت تتوسَّل إليهِ أن يترك السيرة الرهبانيَّة فأجاب وقال لأمّهِ: انَّ الله هو أبي ومدبري المطلق وأنا واجبٌ عليَّ طاعتهُ. فقالت لهُ أمّهُ متدمّعةً يا ابني لا تعذّب بالتقشّف جسدك الذي هو غالٍ عليَّ. قال لها توما مع اشعيا النبي: انَّ الذين يتوكّلون على الربّ يجدون دائماً قواهم مجدّدة وبأجنحة يطيرون مثل النسور من دون أن يتعبوا ويمشون بلا ملل* فلمّا تحقَّقت أمّهُ خيبة آمالها وانَّ توما ثابتاً في قصدهِ اغتاظت منهُ وخرّقت ثيابهُ وسلّمتهُ إلى أخوتهِ ليحبسوهُ زاعمةً بذلك أنّها ترخيهِ. فحبسوهُ سنتين ولم يؤَثّر فيهِ كلّ ذلك بل كان يزداد شجاعةً وشوقاً. ثمَّ انّ امّهُ خافت أن تتركهُ وحدهُ فأرسلت عندهُ اختيهِ لكي تعزّياهُ وتردعاهُ عن قصدهِ بأقوالهما. أمَّا الله الذي كان قد اختارهُ لعملٍ عظيم فكان يقوّيه ويثبّتهُ. وكان مار توما يتكلّم دائماً مع اختيهِ عن ترك العالم وحبّ الفضيلة إلى أن استمالهما إلى طريق التقوى الكاملة. فانعكفتا على الفضيلة. وفي الآخر هجرت إحداهما العالم وترهّبت في ديرٍ مكرّس على اسم مريم العذراء وصارت فيهِ رئيسةً على الراهبات* وبعد ما بقي مار توما سنتين في ذلك الحبس

منعكفاً على الصلوة والتأمُّل والدرس ومطالعة الكتاب المقدّس وراسخاً في قلبهِ الحقائق المتضمّنة فيهِ سعت في أمرهِ الرهبان الدومِنِكيّون عند البابا انكّنتيوس الرابع والملك فريدريك الثاني فأَمرا باخراجهِ وترجيعهِ إلى الدير* فلمّا رأَى أهلهُ أنَّهم مغلوبون جدّوا باستنباط واسطة أخرى شيطانيَّة بها ظنُّوا أنَّهم يقدرون أن يزحزحوهُ وذلك انَّهم حرّكوا فتاةً رديّة من بنات الأغنياء أن تدخل عليهِ مزيّنةً وتخدعهُ بتهييج شهوتهِ الجسديَّة وأوعدوها بجزاءٍ عظيم ان جذبت قلبهُ إلى الشرّ. فدخلت عليهِ وأخذت تحتال عليهِ لكي تسقطهُ. أمَّا ربَّنا يسوع المسيح الذي كان قد اختار مار توما ليكون مثال العفّة في كنيستهِ فقوّاهُ فلم تتمكّن الفاجرة منهُ وفي الآخر غضب مار توما وضربها بحزامهِ وحمل عليها بجذوة مضطرمة ليحرقها بها ففرّت الأفعى من قدّامهِ ترتعد خوفاً. فانطرح عند ذلك قدّام الصليب وشرع يبكي طالباً من الله أن يسترهُ تحت كنفهِ ويحميهُ من الروح الجهنَّمي الذي يزأَر ليختطفهُ وقدّم لهُ نفسهُ وجسدهُ ناذراً أن يخدمهُ بعفّة كلّ أيَّام حياتهِ واستشفع في ذلك امّهُ مريم العذراء العفيفة سلطانة الورديّة المقدّسة. وبعد ذلك أخذهُ نعاس خفيف فظهر لهُ ملاكان وهنّآهُ على انتصارهِ وبشّراهُ بأنَّ الله استجاب طلبتهُ ثمّ شدّا حقويهِ بزنّار قائلين خذ يا توما زنّار العفّة الأبديَّة ليكن معك طول حياتك. فشكر الله على هذا الإحسان ومع ذلك فكان يفرّ من النساء كفرارهِ من الأفاعي*

ولمّا رأَت ثاودوره أنَّ ثبات ابنها عديم التزعزع قطعت رجاءَها

وكفّت عن مقاومتهِ مفتكرةً انّ ذلك من إرادة الله فتركتهُ أن يذهب. فانطلق توما مبادراً إلى دير رهبان مار عبد الأحد فاستقبلوهُ بابتهاجٍ ممجّدين الله. وبعد أيّامٍ قليلة سلّمتهُ الكهنة إلى رئيس الروساء فذهب بهِ إلى بلاد النمسا حتّى يقرأً الفلسفة والمنطق حيث كان القدّيس البرنس الكبير يعلّم في مدرسة كُلونيا وهناك مع كثرة انعكافهِ على الدرس كان لم يقلِّل أدنى شيءٍ من أفعالهِ التقويَّة. ولكثرة انصبابهِ على الدرس كان يحفظ الصمت مدّة أيّام عديدة ولهذا كانت رفاقهُ تلقّبه بالثور الصامت. وإذ عَلم ذلك أهل المدرسة كان يرمون أصعب المسائل على توما قدّام المعلّم القدّيس البرنس الكبير وكان يحلّها بكلّ سهولة ولهذا شهد البرنس قائلاً: انَّ هذا الثور الصامت سيخور يوماً ويمدّ خوارهُ في كلّ الأرض. فصحَّ قولهُ لأَنَّهُ فيما بعد استُخرجت مولفات مار توما من اللاتيني إلى اليوناني والعبراني حتَّى انَّ قبائل المتوحّشين أيضاً كانت تدرس مولّفاتهِ إذ انَّ ربَّنا يسوع المسيح أراد أن يكون تعليم مار توما منبثّاً في جميع أقطار المسكونة مثل تعليمهِ*

وبعد ذلك انطلق مار توما إلى باريس بأمر معلّمهِ وروسائهِ وفيها ترقّى إلى أوّل مرتبة من رتب الخاتمين العلم وصار هو من أفخر ما افتخرت بهِ تلك المدينة ولم تكن تنتهي وعظاتهُ الاَّ وقد حرّكت قلوب الخطاة. ولمّا استحقّ أن يسمَّى معلّماً في اللاهوت أبى قبول تلك الوظيفة السامية قائلاً: إنّي ليس لي حكمة ولكن طاعةً لروسائهِ قبل ذلك ثمَّ دخل إلى حجرتهِ باكياً أمام صورة المصلوب قائلاً: يا يسوع أبا الكل

لقد وشّحت عبدك بهذه الرتبة فامنحني نعمة العلم والحكمة* وكان يكرّر هذه كلمات داود النبي وهي: خلّصني يا ربّ فانَّ الحق قد قلّ بين البشر. وحينئذٍ ظهر لهُ مار عبد الأحد قائلاً: لمَ تبكي يا توما لا تحزن لأنّ علوّ السماء سيسقي الجبال وستشبع الأرض من ثمار أعمالك* وصار في باريس معلّماً محبوباً ومفضَّلاً عند الجميع على سائر المعلّمين ثمّ أقام مدرسة العلوم في رومية وكانت تنجح بعلوم ساطعة*

وكان بين مار توما ومار بوناونتورا الذي كان من رهبنة مار فرنسيس صداقة كاملة لانَّهما كانا متساويين ومتشابهين في القداسة والتعليم والغيرة على مجد الله وخلاص النفوس فكان يزور احدهما الآخر ويتفاوضان مفاوضة أخوين حقيقيّين. فذات يومٍ ذهب مار توما لزيارة مار بوناونتورا فإذ وجده مشتغلاً في كتابة سيرة أبيهِ مار فرنسيس لم يُرد أن يكلمهُ بل رجع قائلاً: لندع القدّيس يشتغل من أجل القدّيس. لأنَّ قداستهُ أعلمتهُ بقداسة مار بوناونتورا*

وفي الحقيقة يليق أن نوقّر هذا الرجل العظيم مار توما عند قراءَتنا مولّفاتهِ العديدة. فقد قيل انَّهُ كان لهُ أربعة كتَّاب في كلّ وقتٍ يحرّرون ما كان يلقّنهم إيَّاهُ بسرعةٍ عجيبة فكان يقول لكلّ واحد منهم موضوعاً على حدة. وأيضاً حُكي أنَّهُ مرّةً ما أخذهُ النعاس وهو لم يزل يوضّح العبارات حتَّى انَّ الكتّاب بعينهم لم يعلموا برقادهِ بل ظلّوا ناصتين لقولهِ ومحرّرين على الورق* ثمَّ افتكر انَّ كثرة العلم ليست مرضيَّة لله كالعبادة فازداد شوقاً وحرارةً في الصلوة والتقشُّف

والسهر ولكثرة حبّهِ للدرس أبى أن يكون أسقفاً ومطراناً والناس كانوا يلجّون بهِ غايةً* وطلب منهُ الرهبان بشوقٍ أن يصير رئيساً على دير جبل كسّين ولكنَّهُ أحبّ أن يولّف كتباً نافعة أحرى من ذلك* وكان ذات يومٍ منطلقاً إلى باريس وبرفقتهِ بعض تلاميذهِ فسأَلوهُ اما يعجبك أن تحكم على هذه المدينة العامرة حيث يوجد فيها قصور فاخرة. فقال انّي أحبّ أكثر من ذلك أن أستوعب كتب مار يوحنّا فم الذهب وأجد فيها الحلاوة الروحيَّة لأنَّ تدبير هذه المدينة يشغل قلبي عن محبَّة الله* ويوماً آخر إذ كان جالساً مع رئيسهِ على مائدة القدّيس لويس ملك فرنسا أخذ يفتكر ثمّ ضرب المائدة قائلاً: قد وجدتُ براهين مبيدة ارطقات طائفة المانيين. فنبَّههُ رئيسهُ قائلاً: اعلم انَّك قدّام الملك. فانتبه توما وطلب العفو من الملك. ثمَّ انّ الملك دعا ثلاثة كتّاب وأمرهم بأن يكتبوا حالاً ما يفسّر لهم هذا القدّيس من الأفكار التي افتكر فيها وقت الغداء ضدّ الاراطقة*

وجاء إليهِ مرّةً كردنال فلم يقضِ لهُ أدنى اكرام بل جلس متفكّراً ثمّ قال متبسّماً قد وجدتُ مرغوبي. وكان هناك جالساً مطران كابْوَه أحد تلاميذهِ فقال هذا معتذراً للكردنال: لا تستغرب أيّها السيّد الجليل فانَّ هذه عادتهُ لكثرة درسهِ وافتكارهِ في العلم. ثمّ أفاق توما وسأَلوهُ ما كانت أفكارك. فقال انّي كنتُ مفتكراً في حلّ مسأَلة* وكان في كلّ أعمالهِ يستشير بالعناية الإلهيّة قبل أن يدرس ويؤَلّف

ويجادل. وبناءً على ذلك أقرَّ يوماً لرفيقهِ رِنَلدس أنَّ كلّ ما لهُ من العلم والحذاقة قد نالهُ من يسوع المسيح. ثمَّ انَّ رِنَلدس أكَّد لتوما قائلاً انَّ العذراء مريم ينبوع الرحمة قد وعدت بأنَّها ستمنحك ما ترغبهُ مكافأةً لاتعابك* ومن أعجب ما حدث لتوما هو أنَّهُ يوماً ما إذ كان مفتكراً في حلّ مشكل بعد أن صام وصلّى أيَّاماً كثيرة ظهر القدّيسان بطرس وبولس موضّحين لهُ تفسير المشكل. وفيما بعد جاءَهُ رِنَلدس رفيقهُ وسأَلهُ مع من كنتَ تتكلّم. فانكر توما إلى أن حلّفهُ رِنَلدس فاقرّ* ومرّةً أخرى في باريس أيضاً ظهر لهُ القدّيسان بطرس وبولس وشرحا لهُ كلّ ما كان صعباً في رسائل مار بولس* ويوماً آخر إذ كانت العلماء تشكّ في ما قالهُ عن الاوخرستيا من جهة اعراض الخبز والخمر أخذ كتابتهُ ووضعها على المذبح طالباً من يسوع المسيح أن يؤَيّدهُ ان كان قولهُ حقّاً فظهر يسوع المسيح فوق الكتابة منظوراً للجميع قائلاً: يا توما كلّ ما كتبتهُ عن جسدي فهو حقٌّ. ثمّ رأَوا توما مرتفعاً عن الأرض وحُفِظت كتابتهُ كانّها نزلت من السماء* وحكى أحد الرهبان الدومِنِكيّين انَّهُ رآهُ مرتفعاً عن الأرض بعلو ذراع إذ كان يكتب عن آلام يسوع المسيح وانَّهُ خاطبهُ المصلوب قائلاً: يا توما انَّ كلّ ما كتبت عنّي هو حقٌّ فاسأَلني ما تروم. فقال توما يا ربّي انّي أسأَل نعمتك فقط* وكان لهُ عبادة حارّة لسيّدتنا مريم العذراء. وكان يسمّيها الوسيطة بينهُ وبين يسوع وقبل موتهِ اعترف قائلاً انّي لم أطلب شيئاً بوساطة مريم العذراء

الطوباويّة في طول مدّة حياتي الاّ ونلتهُ*

وكان يقدّس كلّ يوم ويخدم قدّاساً آخر وحينما يمنعهُ مرضهُ من التقديس فكان يسمع قدّاسين كاملين ودموعهُ تهطل من عينيهِ لكثرة محبّتهِ لسرّ الاوخرستيّا. وكان دائماً يتأَمّل في هذا السرّ الإلهي. وكان تواضعهُ لا يوصف حتّى انَّهُ إذ كان يوماً يتمشّى في حوش دير في بُلونيا جاءَ إليهِ راهب لم يكن يعرفهُ وقال لهُ: إِنَّ الرئيس يأْمر أن ترافقني لقضاء حاجة. وكان الرئيس قد قال للراهب أن يأخذ معهُ أوّل راهب يجدهُ بطّالاً. فامَّا مار توما فحمل على كتفهِ كيس المؤُونة ومشى معهُ صامتاً وكانا يستعطيان في المدينة. ولأنَّ مار توما كان لهُ سقم في رجلهِ لم يقدر أن يلحق الراهب في المشي فبقي وراءَهُ* فلمّا نظرهُ رجلٌ حاملاً على كتفهِ ذلك الكيس الثقيل وهو تعبان لا يقدر أن يمشي وكان يعرفهُ أنَّهُ توما اللاهوتي صاح على الراهب واعلمهُ بهِ. فلمّا عرفهُ الراهب ورأَى تواضعهُ جاءَ إليهِ وانطرح على قدميهِ مستغفراً. فأقامهُ مار توما متبسّماً وقال لهُ: علامَ تستغفرني فانّي لا أرى منك هفوةً. واعلم انَّ جوهر الرهبنة يتوقّف على الطاعة التي بها يخضع الإنسان بكلّ إرادتهِ للناس حبّاً لله* وكان لهُ محبَّة عظيمة لله ولخلاص النفوس فكان ليلاً ونهاراً يشتغل في التعليم والتصنيف وإظهار غيرة مضطرمة على الوعظ بكلام الله مثل الرسل. وقد جذب عدداً وافراً من الخطاة إلى التوبة وخدمة ربّنا يسوع المسيح بالامانة* وذات يوم سأَلتهُ أختهُ قائلةً كيف أقدر أن أخلص

فأجابها: أَريدي أَريدي ثمَّ أَريدي* وكان رقيق القلب على الفقراء ويجتهد في مساعدتهم وكان يعزّي الحزانى بكلمات عذبة إلى الغاية*

ولمّا صار عمرهُ خمسين سنة أرسلهُ البابا غريغوريوس العاشر ليحضر في مجمع ليون. ولمّا كان في الطريق أخذتهُ الحمَّى في قريةٍ ما وعلم أَنَّ أيَّامهُ قربت أن تنتهي فانطلق إلى دير فُسَّنوفا وهناك قضى أيَّام حياتهِ الملاكيَّة بعد أن أخذ الأسرار المقدّسة بايمان ورجاء وكان ذلك في اليوم السابع من آذار سنة ١٢٧٤. وكان الجمع مشتاقاً إلى نظر جسدهِ والبعض كانوا يقصّون من ثيابهِ والبعض أخذوا حذاءَهُ والبعض لمسوهُ بأغصان زيتون وحفظوها ذخراً عندهم* وكان قسّيس أعمى يدعى يوحنَّا حصل على البصر بلمس الجثَّة المقدّسة وكثيرٌ من العجائب صُنعت بجاههِ* وفي يوم موتهِ معلّمهُ البرنس الكبير الذي كان في كُلونيا أخذ يبكي بمرارةٍ بحضور نفرٍ من الرهبان. وإذ سأَلوهُ عن سبب بكائهِ قال انّ ابني توما الاكويني الذي كان نور الكنيسة قد توفّي* ثمّ دفنوهُ في دير فُسَّنوفا. وبعد بعض سنين أرادوا أن ينقلوا جسدهُ إلى مكانٍ آخر ففتحوا قبرهُ فوجدوهُ سالماً من الفساد تفوح منهُ رائحة سمويَّة*

فبالحقيقة يلبق بنا أن نكرم هذا رجل الله العظيم الذي ينابيع تعاليمهِ كانت صافيةً وهي مثل ترياق بحسم سمّ تجميع الارطقات* وقد يسمّيهِ الأنام الأتقياء ركن الكنيسة وزهرة اللاهوت وربنة الفلسفة وهيكل الديانة وقصر الكنيسة والمعلّم الملاكيّ وترس الايمان الكاثُليكيّ

ومطرقة الاراطقة وشمس المدارس الذي جعلهُ الله معلّماً لكنيستهِ المقدّسة وفخراً لرهبنة مار عبد الأحد*

* اليوم الثامن *

مار يوحنّا رجل الله منشئ رهبنة الرحمة

إِنَّ هذا القدّيس الشريف وُلد في سنة ١٤٩٥ في بلدةٍ صغيرة من أعمال برتوغال من والدين فقيرين جدّاً غير انَّهما كانا غنيّين في الله* ولمّا شبّ دخل في العسكرية. ثمّ ماتت أمّهُ وترهَّب أبوهُ في رهبنة مار فرنسيس* فيوماً من الأيَّام إذ كان يوحنّا منطلقاً لقضاءِ حاجةٍ وكان راكباً حصاناً فرماهُ الحصان فوقع مغشيّاً عليهِ. فظهرت لهُ مريم العذراء وشفتهُ وعلّمتهُ الطريق التي يجب أن يسلك فيها. فعند ذلك عزم أن يترك خدمة العسكريَّة ويخصّص نفسهُ لخدمة الله* وفي تلك الأثناء صادف رجلاً شريفاً برتوغاليّا قد نفاهُ ملك برتوغال هو وامرأَتهُ وأولادهُ إلى مدينة جبرالتر فلمّا رآهُ أنَّهُ قد أفقرتهُ صروف الدهر وأضحى محتاجاً جدّاً إلى المعيشة وليس لهُ سند وعون من البشر شمَّر لخدمتهِ فكان يشتغل ويقيتهُ هو وعيالهُ جميعاً. وكان شغلهُ بيع صور وكتب وأشياء أخر كان يجول بها من قرية إلى قرية* فيوماً ما إذ كان في الطريق حاملاً بضاعتهُ وذاهباً بها ليبيعها

ظهر لهُ يسوع المسيح بشكل صبيّ ذي هيئة حسنة وقدّ رشيق لابساً ثياب رثّة وحافياً. فدنا منهُ يوحنا متحنّناً عليهِ وقدّم لهُ نعلاً فحذاها فلم تأتِ على حذو رجلهِ فقدّم لهُ أخرى فكانت كذلك وبالنتيجة انّهُ حذا رجليهِ بجميع نعالهِ فلم يوجد فيها واحدة على حذو رجلهِ بل كانت كلّها إمَّا طويلة وإمَّا عريضة أو ضيّقة تؤَلّم رجليهِ. فحزن يوحنّا على أنّ الصبي بقي حافياً فلجّ بهِ أن يركب على ظهرهِ فوق حملهِ فرضي الصبي فحملهُ يوحنَّا وسار. وبمقدار ما كان يمشي كان الحمل يثقل عليهِ فكان يعرق لشدّة تعبهِ. فنظر وإذا عين ماء وعندها شجرة. فقال للصبي أرغب إليك أن تسمح لي بأن ألقيك تحت ظلّ هذه الشجرة حتى أشرب من ماء العين وأروي عطشي ثمّ آتي وأحملك* فعند ذلك ناولهُ الصبي يسوع شيئاً أروى بهِ عطشهُ وقال لهُ يا يوحنّا صليبك هو في مدينة غُرناده وغاب عنهُ* فقصدها يوحنَّا ولمّا دخلها مضى إلى الكنيسة وكان يومئذٍ عيد مار سبستيانس فسمع الخطيب يخطب على الجماعة وإذ وعى تلك الخطبة خرج من الكنيسة وأخذ يعدو في الطرق صارخاً: رحمةً رحمةً يا ربّ فلمّا رآهُ الصبيان جروا وراءَهُ وكانوا يرمونهُ بكتلات وحل صارخين المعتوه المعتوه* ثمّ انطلق إلى بيتهِ وانفق ما عندهُ على المحتاجين. وعاد يعدو في المدينة ويتمرّغ في الوحل إلى أن وصل إلى الكنيسة فانطرح على الأرض صارخاً رحمةً رحمةً يا رب. فلمّا رآهُ الجمع ظنّوهُ معتوهاً فأخذوهُ إلى مارستان المعتوهين* وبعد ذلك خرج وشرع

يوبّخ الولاة ويونّبهم على أنَّهم لا يلتفتون إلى الفقراء. فاعتبروهُ مجنوناً مكّاراً فجلدوهُ بحبل غليظ وأطلقوهُ فخرج وخصّص نفسهُ لمساعدة المحتاجين فكان يبذل جهدهُ ويستفرغ وسعهُ في سدّ احتياجات الفقراء وتعزية الحزانى ومداراة المرضى ويعمل أعمال رحمة أخر. وكان مع ذلك لا يزال العالم يرشقهُ باسهم الافتراء والشتائِم والتعييرات. امَّا هو فلم يكن يبالِ بشيءٍ من ذلك متذكّراً ما قالهُ لهُ الصبي يسوع وهو انَّ صليبك في مدينة غُرناده* ثمّ بعد ذلك استأْجر بيتاً في قرية وجعلهُ مارستاناً وجمع فيهِ جمّاً غفيراً من الفقراء المقطوعين والمرضى وكان يستعطي لهم معيشتهم. فلمّا كثروا التزم أن يقلّد لخدمتهم أشخاصاً أتقياء حتى يخدموهم مدّة ما كان هو يستعطي لهم القوت. وهكذا كانت محبَّتهُ وغيرتهُ ورحمتهُ تنمو شيئاً فشيئاً حتى انّهُ كان يفتّش أيضاً على الفقراء الذين يمنعهم حياؤُهم من الاستعطاء فيستعطي لهم ويعولهم سرّاً* وكان يعاشر الفَجرة فيجتذبهم إلى التوبة وكان يصيبهُ من ذلك إهانات عديدة وهو لا يلتفت إلى ورائهِ* وإذ كان يرى أحياناً فقراء عراةً ولم يكن عندهُ شيءٌ يكسوهم بهِ فكان يخلع ثيابهُ ويعطيهم ايَّاها* وذات يومٍ اتّفق انَّهُ انطلق يستعطي لفقرائهِ من أحد الأمراء وكان هذا الأمير جالساً مع أصحابهِ فتصدّقوا عليهِ بخمسة وعشرين ديناراً فأخذها ورجع بها شاكراً فضلهم. فأراد الأمير أن يجرّبهُ ليتحقّق هل الدنانير التي أخذها هي مخصّصة للصدقة. فلمّا جنّ الليل جاءَ الأمير متنكّراً وقرع باب يوحنَّا قائلاً أيُّها الأخ يوحنَّا. أنا رجل من أشراف

هذه المدينة وقد خان بي دهري فاضحيتُ معوزاً إلى الغاية والآن جئتك مستعيناً فاعنّي لئلاّ أهين الله* فأجابهُ يوحنّا بحلمٍ ها انّني معطيك كلّ ما عندي وناولهُ الخمسة والعشرين ديناراً التي استعطاها منهُ ومن أصحابهِ في ذلك النهار. فأخذها الأمير المتنكّر وشكرهُ وانطلق فحكى أصحابهُ ما كان. فمدحوا جميعاً صدقهُ وجودتهُ* ولمّا كان الغد رجع إليهِ الأمير وأعاد عليهِ الخمسة والعشرين ديناراً وازاد لهُ فوقهاماية وخمسين ريالاً ذهباً وبعث لهُ أيضاً خمسين رغيفاً خبزاً وأربعة كباش وثماني دجاجات وأَمر بأن يُرسَل لهُ ذلك كلّ يوم بلا انقطاع طول مدّة سكناهُ في تلك البلدة لكي يساعد فقراءَهُ*

وكان يبذل جهدهُ في خلاص القريب ولو كان يفضي بهِ ذلك أحياناً إلى الخطر فمن ذلك انَّهُ ذات يوم احترق مارستانهُ فأبدى غيرة عجيبة وهي انَّهُ شرع يحمل المرضى على ذراعيهِ مخلّصاً ايَّاهم من الحريق ويضعهم في مكانٍ أمين. وبعد ما نقلهم جميعاً وحدهُ أخذ يرمي الأمتعة خارجاً من أمام النار فاحاقتهُ اللهبات من كلّ جانب فظنَّ الحاضرون أنّ النار أكلتهُ. ورفعوا أصواتهم بالصياح والولولة. وبعد هنيهة من الزمان طلع يوحنَّا من جوف النار سالماً لم يحترق فيهِ شيءٌ سوى أهداب عينيهِ وذلك دلالة على الكرامة التي صنعها فيهِ الله*

وإذ كان يوماً جالساً على مائدةٍ مع أحد الأساقفة في مدينة غُرناده سأَلهُ هذا الأسقف قائلاً: ما اسمك. قال يوحنَّا. فقال لهُ الأسقف لِتُسمَّ يوحنّا رجل الله. أجابهُ يوحنَّا فلتكن إرادة الله. ومنذ

ذلك اليوم بدأَت الناس تسمّيهِ يوحنَّا رجل الله* ثمّ ألبسهُ الأسقف في تلك الساعة إكراماً للثالوث الأقدس ثياباً دنيّة من جوخ خشن علامةً لرهبانيّتهِ الجديدة. ففرح يوحنَّا وشكر الله على ما خولّهُ من الاحسان فخرج باسم جديد وثياب جديدة بعدما أخذ البركة من يدي الأسقف*

وكان تواضعهُ وصبرهُ عجيبين حتَّى انَّهُ كان يحتمل بسكوت وصبر من العالم شتائِم لا تحصى وكانوا يسمّونه مرائيّاً. وكان رأس مضطهديهِ ومحاربيهِ الشيطان فهذا العدوّ الملعون عمل كلّ جهدهِ وجدّهِ في اسقاطهِ فلم يتمكّن منهُ فمن ذلك انَّهُ إذ كان ذات يوم يصلّي في قلاّيتهِ سمعهُ أحد مجاوريهِ يبكي ويصرخ بشدّة كأَنَّهُ متعارك مع أحد فاسرع إليهِ فرآهُ راكعاً على ركبتيهِ عرقان تعبان جدّاً وهو يقول ليتفضّل يسوع عليَّ ويخلّصني من الشيطان. ليكن يسوع معي. فلمّا رجع الرجل رأَى الشيطان بوجهٍ مرعب قاذفاً ناراً من فيهِ. فصاح على رفقائهِ قائلاً تعالوا انظروا هذه الصورة. فعند ذلك هرب الشيطان فلمّا جاؤُا إلى القدّيس يوحنا ورأَوا ما حلّ بهِ من الضرّ حملوهُ إلى المارستان وبقي فيهِ ثمانية أيَّام طريح الفراش* وبعد أيَّام قليلة إذ كان القدّيس في قلاّيتهِ والباب مُغلقاً عرض لهُ الشيطان بشكل صبيَّة. فقال لها من أين دخلتِ. قالت أنا لا أحتاج إلى باب لكي أدخل لأنّي أدخل من حيث أريد. فقال القدّيس لا يمكنكِ أن تدخلي إلّم تكوني شيطاناً قال هذا والتفت إلى بابهِ فرآهُ مغلقاً وفي

الحال هرب الشيطان. فانطلق القدّيس إلى فقرائهِ وطلب إليهم أن يصلّوا لأجلهِ* ويوماً آخر ظهر لهُ بشكل رجل طالباً منهُ صدقةً وإذ لم يطلب ذلك باسم الله لم يرد يوحنا ان يعطيهُ شيئاً فضربهُ الشيطان على صدرهِ ضربة شديدة ألقاهُ بها على قفاهُ ثمَّ هرب* وكان هذا القدّيس يستعمل نحو ذاتهِ تقشُّفاً عظيماً من ذلك انَّهُ كان ينقطع في كلّ يوم جمعة على الخبز والماء فقط وكان يجلد نفسهُ بالسياط حتى يسيل دمهُ وكان ينام على حصير ويتوسّد بحجر ويتغطّى دائماً بلحاف عتيق دنيّ. وكان أكلهُ الاعتيادي بصلاً مشوياً وقلّما كان يأكل لحماً. وكان يمشي حافياً سواءٌ كان في المدينة أم في أسفارهِ*

ومنحهُ الربّ موهبة النبوّة فكان يحرّك الخطاة على التوبة كاشفاً لهم خطاياهم* وقبل موتهِ قال إِنَّهُ سيُعطَى أشخاصاً يلبسون مثل ثيابهِ ويتقلّدون مثلهُ خدمة المرضى والفقراء والمحتاجين والخطاة. فصحَّت نبوّتهُ إذ صار لهُ بعد ذلك بنعمة الله مارستانات عديدة مشحونة بأشخاص غيورين مثلهُ لابسين ثياب رهبنتهِ في أسبانيا وإِطاليا وفرنسا وألمانيا وبلاد لاه حتَّى في الهند أيضاً في البلاد المسيحيَّة*

وذات يوم أُخبر يوحنَّا بأنَّ النهر قد فاض وأخذ خشباً كثيراً وكان إذ ذاك فصل الشتاء فانطلق يوحنَّا مع بعض من رفقائهِ إلى الشاطي ورمى بنفسهِ في الماء فتبعهُ رفاقهُ وكانوا يسبحون طمعاً في أخذ الخشب لأَنَّهُ كان ينفعهم لاصطلاء الفقراء فأوشك أحدهم أن يغرق فلحقهُ يوحنَّا وجذبهُ وخلّصهُ من الغرق* وبعد ذلك وقع يوحنَّا مريضاً

فعلم أنَّ هذا آخر مرض وانَّ أيَّامهُ قربت أن تنتهي. وفي تلك الأثناء اشتكِيَ عليهِ عند أسقفهِ بأنَّهُ حاوٍ عندهُ في مارستانهِ خطاةً ذوي سيرة ملومة. فأرسل الأسقف يستدعيهِ أن يحضر ولم يكن يعلم بمرضهِ فقام يوحنَّا وأتى مسرعاً إليهِ فبلّغهُ الأسقف ما سمع عنهُ بأنّهُ حاوٍ أشخاصاً كذا وكذا. فأجابهُ يوحنا قائلاً انّي لا أعرف في مارستاني أحداً خاطئاً ذا سيرةٍ ملومة غيري أنا الذي لستُ أهلاً أن أسكنهُ لرذائلي* فلمّا سمع الأسقف ذلك ورآهُ يتعذّل ويرمي اللؤم على نفسهِ قال لهُ أيُّها الأخ يوحنَّا رجل الله دبّر مارستانك كما تشاء فانّي معطيك سلطاناً مطلقاً على كلّ ما تفعل وأنا واثق بك انتهى*

وكان مرضهُ يزداد يوماً بعد يوم فزارتهُ امرأَة شريفة ذات فضائل ومزايا حميدة وإذ رأَتهُ محتاطاً بالفقراء والمرضى وليس لهُ معهم راحة طلبت إليهِ أن يأْتي إلى بيتها. ولمّا صار عندها زارهُ أسقفهُ وعزّاهُ وأوعدهُ بأنَّهُ هو يجتهد في فقرائهِ* ثمّ بعد ذلك تناول مار يوحنَّا الأسرار المقدّسة بايمان ورجاء ومحبَّة وبقي منتظراً للساعة السعيدة التي فيها تخرج نفسهُ من حبس جسدهِ وتنطلق لتستريح في مقرّ راحتها الأبديَّة* وفيما هو كذلك علم بوحي إلهي أنَّهُ يوجد رجل فقير إلى الغاية قد أجهدهُ الجوع وهو في حالةٍ يرثى لها فتحرّك قلبهُ شفقةً عليهِ فقام من سريرهِ وطلب ثيابهُ وهو في غاية المرض وبعد أن لبسها خرج من المدينة ومشى في البريَّة متوجّهاً إلى حيث قادتهُ العناية الإلهيّة ولمّا سار غير بعيد رأَى ذلك الفقير الشقي تحت شجرة

قد خلع عباءَتهُ وفي يدهِ حبل مريداً أن يشنق بهِ نفسهُ لشدّة الجوع الذي أجهدهُ فجاءَ إليهِ القدّيس وأخذ يوبّخهُ على ذلك بكلام لطيف عذب. ثمّ أخذهُ وأتى بهِ إلى المدينة واستعطى لهُ من إحدى السيّدات الشريفات ما كان يحتاج إليهِ. وبهذه الواسطة خلّصهُ من الموت الجسدي والموت الروحي أيضاً* ولمّا رجع إلى سريرهِ أحسّ بدنوّ ساعتهِ الأخيرة فدعا أحد رفاقهِ واستودعهُ فقراءَهُ ولا سيّما اليتامى منهم والذين يمنعهم حياؤهم من الاستعطاء ثمّ جثا على ركبتيهِ وأخذ صليباً وقبّلهُ وبقي هكذا صامتاً مدّةً من الزمان وبعد ذلك قال يا يسوع في يديك استودع روحي وحين فاه بهذه الكلمات خرجت نفسهُ وبقي راكعاً نحو ربع ساعة بعد موتهِ. وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر آذار سنة ١٥٥٠ وعمرهُ خمسون سنة. وصار لهُ احتفال عظيم في تجنيزه وتشييعهِ ودفنتهِ*

وأراد ربّنا يسوع المسيح أن يزيد شرف عبدهِ يوحنّا بعد موتهِ أيضاً بالكرامات التي كان يجريها بشفاعتهِ. فكثير من المرضى قد شُفوا من أسقامهم باستغاثتهم بهِ وكثيرٌ من الخطاة والغير المؤمنين قد اهتدوا إلى طريق الحقّ بصلواتهِ. فمن ذلك انَّهُ كان ما بين المرضى في المارستان رجل مغربيٌّ غير مومن لم يشأْ أن يتنصَّر. فأحد رهبان مار يوحنا رجل الله أخذ هو ورفيقٌ لهُ بالصلوة من أجلهِ لعل الله يهديهِ إلى طريق الحقّ بشفاعة مار يوحنا. فاستجاب الله طلبتهما حالاً وذلك انَّ ذلك المغربيّ الغير المؤمن رأَى بجانبهِ رجلاً

(وكان مار يوحنا رجل الله) يأمرهُ أن يعتمذ. فعند ذلك طلب إلى الرهبان أن يعمذوهُ. فبعد ما وعظوهُ وعلّموهُ أصول الديانة عمّذوهُ فخرج من المارستان صحيحاً نفساً وجسداً*

ويوماً آخر كان في مدينة ملاغه امرأَة عجوز عمرها خمس وثمانون سنة وكانت من السيّدات الشريفات. فهذه اعتراها سقم مهول جدّاً حتَّى انَّ جميع الأطبّاء حكموا بموتها. فلمّا رأَت هذه السيّدة انَّهُ لم يبقَ لها علاج يحسم داءَها استودعت ذاتها إلى الطوباوي يوحنا رجل الله وكانت تكرمهُ جدّاً. فأصبحت في الغد صحيحةً متعافيةً ليس فيها أدنى أثر يدلّ على أنَّها كانت مريضة* وكان عندها خادم مغربيّ غير مؤْمن وكان يستنكف حينما يكلّمونهُ عن التنصّر والاعتماذ. فلمّا عاين شفاء سيّدتهِ العجيب طلب العماذ. فسلّمتهُ سيّدتهُ إلى كاهن فضيل لكي يعلّمهُ أصول الديانة والصلوات اللازمة أوّلاً ثمَّ يعمّذهُ حسب عادة الموعوظين* فأخذهُ القسّيس وبذل جهدهُ في تعليمهِ فلم يتعلّم شيئاً لأَنَّهُ كان بليداً ذا ذهن مظلم ومع ذلك فكان يطلب إلى سيّدتهِ بلجاجةٍ أن تقول للكاهن أن يعمّذهُ. فاستدعت سيّدتهُ الكاهن وطلبت إليهِ أن يعمّذهُ فقال لها انَّهُ لا يستحق العماذ بعد لأَنَّهُ لم يتعلّم شيئاً من أصول الديانة والصلوات* فأجاب المغربيّ وقال كيف لا أعرف شيئاً وانّي قد تعلّمت كلّ ذلك جيّداً لأنَّ الليلة السابقة ظهر لي رجل صفتهُ كيت وكيت وعلّمني كلّ ما يجب. ولصحّة ما قال قرأَ حالاً على ظهر قلبهِ قواعد الايمان والصلوات اللازمة.

واستُدلَّ على الرجل الذي علّمهُ من صفاتهِ وهيئَتهِ التي ذكرها المغربيّ بأنَّهُ كان مار يوحنَّا رجل الله* وعمل أيضاً هذا القدّيس أعاجيب آخر كثيرة باهرة بعد موتهِ وشفى أسقاماً روحيَّة وجسديَّة من كثيرين وظهر لكثيرين وعلّمهم السبل الخلاصيَّة*

* اليوم التاسع *

القدّيسة فرنسيسة الرومانيّة الأرملة

إِنَّ القدّيسة الشريفة فرنسيسة وُلدت في روميَّة سنة ١٣٨٤ من والدين شريفَي الحسَب والنسَب. ومنذ صباها أحبَّت الفضيلة ومقتت كلّ ما من شانهِ أن يكدّر نقاوة فضيلة العفَّة. وكانت تتجنَّب الملاهي واللذّات وتلازم الخلوة والصلوة* ولمّا صار عمرها إحدى عشرة سنةً عمدت أن تهجر العالم وتنذر بتوليّتها لله في الرهبنة. فلم يوافقها أبواها على عزمها هذا بل الزماها بالزيجة فزوّجاها رغماً عنها بشابٍّ غنيّ من شرفاء روميَّة. فلم تصدّها الزيجة عن العبادة. فكانت تفرّ من المعاشرات والولائِم وتقضي زمانها في الصلوة والتأمُّل والذهاب إلى الكنائس واستماع الوعظ وفي مهمّات البيت* وكانت تحترم زوجها وتكرمهُ وتطيعهُ وتكمّل كلّ ما هو مفروض على المزوّجين المسيحيّين. وكان بينها وبين زوجها محبَّة شديدة حتى انَّهما عاشا في رباط الزيجة

مدّة أربعين سنة من دون أن يكدّر أحدهما الآخر في شيء مهما كان* وكانت تربّي أولادها في سبيل التقوى والفضيلة وتطلب لهم من الله أن يجعلهم مستحقّين الفردوس السمويّ* وكانت تعامل خدّامها كاخوتها وخادماتها كاخواتها مجتهدةً في خلاصهم* وكان تقشُّفها شديداً حتى انَّها كانت تلبس مسحاً على جسمها وتجلد ذاتها بالسياط حتى يسيل دمها. وكانت تأكل مرّةً واحدةً في النهار ولم تأكل اللحم إلاّ عندما تمرض ويفضي بها المرض إلى الخطر. وكانت لابسةً ثياباً خشنة فقريَّة ومتمنطقةً على حقويها بمنطقة من شعر. وحينما كان يصدر منها هفوة فكانت هي تقاصُّ ذاتها مثلاً إذا فاهت بكلمة بطّالة تلطم فاها وقس على ذلك. فحرّكت بأمثالها الصالحة سرباً من النساء الرومانيَّات الشريفات على هجران العالم وتكريس ذواتهنَّ لله بالعبادة والتقشف* فحسدها الشيطان ووضع عداوة بينهُ وبينها ونوى أن ينتقم منها لأنَّها قد خلّصت من بين أنيابهِ فريسات عديدة فكان يعرض لها بأشكال شتّى وهيئات مختلفة مفزعة. أمَّا هي فكانت تطردهُ باستغاثتها باسم الله*

ورزقها الله أولاداً قدّيسن أحدهم يسمّى اوانجَلسطس (أي إنجيلي) فهذا منذ صغرهِ لاحت فيهِ سمة الفضيلة فذات يوم حدث طاعون في رومية وانطعن فيهِ هذا الصبيّ القدّيس وإذ علم انَّهُ مائت اعترف وأخذ الأسرار المقدّسة وقال لأمّهِ: يا أمّاه انّي أرى جوقةً من الأرواح السمويّة آتية إليَّ لتأخذني. وتوفّي في ذلك اليوم عينهِ*

ووهب الله للقدّيسة فرنسيسة أن ترى ملاكها الحارس. وكان هذا الملاك السمويّ يرتّب لها كلّ قوانين سيرتها. وكانت تكرمهُ وتحترمهُ إلى الغاية وحينما كان يصدر منها بعض نقائص فكان الملاك يتوارى عنها ووقتئذٍ تتذكّر نقيصاتها فتندم عليها وتصلح ما عكستهُ وحيْنئذٍ تقدر أن تراهُ* وكان لها رأفة جزيلة على الفقراء حتى انَّها لم تردّ أبداً فقيراً استعطى من بابها* ويوماً ما حدثت مجاعة في رومية وكان حموها قد عمل خمراً جزيلاً. امَّا هي فتصدّقت بهِ على الفقراء من دون علمهِ. وإذ علم بذلك غضب عليها فاعتذرت إليهِ. ولمّا نزل إلى السرداب ليرى ما بقي من الخمر رأَى انَّ الأَزقاق والبراني كلّها ممتلئة مثلما كانت قبلاً فتعجَّب أهل المنزل ومجَّدوا الله* ومرّةً أخرى كنست هريَ القمح وجمعت كُناستهُ فوزّعتها على الفقراء ثمّ جاءَت إليهِ ثانيةً فرأَت وإذا فيهِ أزيد من أربعين كيلاً قمحاً في غاية الجودة* وكانت تعطي الخبز الجيّد للفقراء وتستبقى لنفسها الدون* ومنحها الله هبة عمل الكرامات فكانت تشفي المبتلين بأسقام الروح والجسد وتجترح أعاجيب أُخر*

وكان لها صبر جميل في التجارب من ذلك انَّهُ ذات يوم ثار شغبٌ ما بين شعوب رومية بعضهم مع بعض فنُفي زوجها من رومية بعد أن سلّبوه أموالهُ. أمَّا هي فكانت تشكر الله وتقول مع أيّوب: الربّ أخذ منّي ما أعطاني. وانّي أفرح بكلّ ما يحلّ بي من الشدائد لأنَّ الله شاءَ فابارك اسمهُ وارفعهُ إلى الأبد* وعلى هذه الصورة استمرّت

ثابتة غير متزعزعة كانَّها صخرة في بحرٍ إلى أن همدت نار الهيجاء وسكنت زوبعة الشغب فعاد زوجها إلى حالتهِ الأولى*

وفي سنة ١٤٢٥ في عهد البابا مرتينس الخامس إذ كان للقدّيسة فرنسيسة من العمر نحو أربعين سنةً أعطاها زوجها حرّيّةً مطلقةً لتعمل كلّ ما أرادت من العبادة فجمعت لها أخويّةً من بنات وأرامل وكانت تعلّمهنّ أصول التقوى والعبادة على أن استمالتهنّ إلى هجران العالم والترهّب فادخلتهنّ في دير وجعلت أن تكون قوانينهنّ قوانين رهبنة مار مبارك فأوحى لها الله برؤْيا واعلمها بأنَّ عملها هذا مقبول لديهِ جدّاً* وفي سنة ١٤٣٦ مات زوجها فرتّبت بيتها وتركت الثروة لأولادها وانطلقت إلى دير راهباتها ودخلت معهنَّ في الرهبنة وصارت لهنَّ قدوةً في كلّ شيءٍ فكنَّ يسمعنَ لها ويكرمنَها* فذات يوم جلسنَ على المائدة وكان الطعام يعوزهنَّ ولم يكن عندهنَّ سوى خبز يسير فضل من عشاء اليوم الماضي فاعلمت إحدى الراهبات القدّيسة فرنسيسة بذلك. فقالت الله يرزقنا. ثمّ أمرت أن توضع تلك فضلات الخبز على المائدة فلمّا وُضعت رفعت القدّيسة نفسها إلى الله وصلّت ثمّ قسَّمت تلك الخبزات على الراهبات وكنّ خمس عشرة فكثَّرتها جودة الله فاكلنَ كلّهنَّ وشبعنَ وفضل منها* ويوماً آخر انطلقت مع بعضٍ من راهباتها إلى البرّيّة لكي تأتي بحطب للفقراء. فتعبت الراهبات واجهدهنَّ العطش وكان الماء بعيداً. فصلّت القدّيسة وإذا أمامهنّ كرمة حاملة عناقيد نضجة مثلما في زمان الخريف وكان

ذلك في شهر كانون الثاني الذي ليس هو إِبَّان الكروم. فقالت لهنَّ اجنينَ وكلنَ ممَّا هيّأَ لكُنَّ الله فاكلنَ جميعاً وارويِنَ عطشهنَّ وشكرنَ الله* ومرّةً أخرى انطلقت القدّيسة إلى كرمها مع بعض من راهباتها. وهناك جثت على ركبتيها وأخذت تتلو فرض السيّدة. وفي تلك الأثناء جاءَ مطر غزير جدّاً حتى ابتلّ جميع الراهبات اللواتي كنَّ معها امّا هي فلم يصبها أدنى شيء أبداً*

وبعد زمان وقع ابنها يوحنا مريضاً بمرض مخطر فذهبت إليهِ لتخدمهُ وتؤَهّبهُ لموتة صالحة. فأمرها مستعرفها أن تبيتَ عندهُ تلك الليلة لأنَّ الدير كان بعيداً من المنزل. فاعترتها في تلك الليلة حمَّى محرقة ولمّا أصبحت أرادت أن ترجع إلى الدير فلم تقدر. فأُوحي لها بأنَّها تموت بعد سبعة أيَّام فاعترفت اعترافاً مدقَّقاً وأخذت أسرار البيعة المقدّسة على سبيل الزوّادة وبقيت منتظرةً للساعة السعيدة التي فيها تُعتق من سجن جسدها. وقبل موتها بأربعة أيّام زارها رجل من أولي التقى وقال لها: أرجو أنَّ الله لا يأخذكِ الآن بل يتركككِ أيضاً للعالم لأجل خير كثيرين. فأجابتهُ المجد لله لأنّي يوم الخميس أخرج من هذه الحيوة لافوز بخيرٍ منها. وصار كما قالت لأنَّها ليلة الخميس سلّمت نفسها إلى الله وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر آذار سنة ١٤٤٠ وعمرها خمس وخمسون سنة* ودُفنت باحتفال عظيم وزيّنها الله بعد موتها بكرامات عظيمة جرت بشفاعتها*

* اليوم العاشر *

جهاد الأربعين شهيداً

بين السلاطين البرابرة الذين اضطهدوا كنيسة المسيح بأكثر قساوة كان لِكينيوس فهذا السلطان الظالم جاءَ إلى كبادوكية بجيش عظيم وأبرز أمراً بقتل النصارى أو يكفروا بايمانهم. وكان لِكينيوس ذا بأسٍ واقتدارٍ وعتوٍّ فاضطرب النصارى منهُ وخافوا جدّاً فمنهم مَن فرَّ هارباً ومنهم من أطاع أمر السلطان ومنهم من استمرّ ثابتاً وعرض نفسهُ للعذاب. ونقول بالاجمال انَّ ذلك الاضطهاد كان شديداً إلى الغاية* وكان في مدينة سيواس من أعمال أرمنيَّة شرذمة من الجنود الأبطال الأقوياء يبلغ عددهم إلى أربعين جنديّاً وكانوا نصارى وهذه أسماؤهم: دومطيانُس. اونوقيوس. سيسيانُس. هَرَاقليوس. اسكندر. يوحنّا. قلودِس. اثَناسيوس. والَنْس. أَيليانُس. ماليطون. اوديقُس. اقاطُس. بِبيانُس. اواليوس. ثاودولُس. قورللس. فلابيوس. ساوريانُس. قُريون. والريانُس. قليديون. ساقردون. فريسقُس. اوريطُس. سمارغدس. فيلوطيمون. آقرُس. ميكال. لوسيماكُس. دُومْنُس. ثاوفيلُس. اوطيكيوس. كزانْسيوس. انجيارُس. لاونيقُس. اسيكيوس. كالُس. غرغونيوس. قنديدس* وكان والي سيواس حينئذٍ رجل ملاّق وكان أقسى من مولاهُ لِيكينيوس فهذا إذ سمع بأنَّ هولاء الجنود الأربعين هم نصارى أحضرهم أمامهُ وشرع

يتملّقهم بمواعيد السلطان أن أطاعوهُ وكفروا بالمسيح والاّ فيفضي بهم الأمر إلى الوبال* فأجابوهُ قائلين. لا يخفاك أيُّها الوالي كيفيَّة محاربتنا من أجل السلطان الأرضيّ اما يليق بنا أن نحارب بأكثر من ذلك من أجل السلطان السمويّ* ولمّا لم يقدر أن يزحزحهم عن ايمانهم حبسهم فكانوا في السجن يصلّون سويّةً طالبين من ربّنا يسوع المسيح أن يمنحهم قوّةً لا تُغلَب ليحاربوا من أجل مجدهِ. وقضوا كلّ تلك الليلة مغنّين بمراحم الربّ. فظهر لهم يسوع المسيح قائلاً: لقد ابتدأْتم حسناً فانتهوا كذلك لأنَّهُ لا يأخذ الاكليل الاّ مَن يثبت إلى المنتهى* ولمّا كان الغد احضرهم الوالي ثانيةً وهشّ لهم وأوعدهم بأنَّهم أن أطاعوهُ يعلّي قدرهم ويرفعهم إلى شرف أعظم. فلمّا لم يتمكّن منهم لا بمواعيدهِ ولا بتهديداتهِ أرسلهم ثانيةً إلى الحبس. فأحدهم المدعوّ قُريون كان يكلّمهم قائلاً. يا أخوتي. لقد شاء الله أن نكون كلّنا في أخويَّة واحدة فلا ينفصلنّ أحدنا من صاحبهِ لا في الحيوة ولا في الموت. وكما اشتغلنا في خدمة السلطان الأرضيّ الذي ليس هو سوى إنسان مثلنا هكذا فلنشتغل الآن بأكثر من ذلك في المحاربة عن السلطان السمويّ ولنخاطر بحياتنا حبّاً لهُ فلا غرو انَّهُ يجزينا في الحيوة الأبديَّة السعيدة التي لا يقدر أن يعطينا ايَّاها لِكينيوس. تذكَّروا يا أخوتي كم من مرّة قد وقعنا في أيدي أعدائنا وطلبنا عونهُ تعالى فاستجابنا وخلّصنا فلا تفتكروا في شيءٍ فانَّهُ يعيننا ويقوّينا لنحتمل كلّ ما يأتي علينا من العذاب من أجل اسمهِ*

ثمّ بعد ستّة أو سبعة أيّام جاءَ قائدهم إلى سيواس فاخبرهُ الوالي بأمرهم فأرسل عليهم ليحضروا أمامهُ. وكان مقدّمهم قُريون يقول لهم في الطريق: اعلموا يا أخوتي انَّ أعداءَنا ثلاثة وهم الشيطان والوالي وقائدنا وبالحقيقة ليس لنا سوى عدوّ واحد غير منظور وهو الشيطان الذي يستعمل عدوّينا الآخرَين آلةً لمحاربتنا. فهل تظنّون انَّ عدوّاً واحداً يقدر أن يغلب أربعين وكلّنا بنعمة الله جنود ابطال للمسيح كلاّ ثمَّ كلاّ لا يمكن ذلك* فلمّا مثُلوا أمام قائدهم تكلّم معهم زماناً طويلاً رجاءً أن يقنعهم أن يتركوا النصرانيَّة فلم يستفد شيئاً لأنَّهم كلّما كُلِّموا بهذا الشأن ازدادوا شجاعةً وثباتاً. فعند ذلك حكُم عليهم بأن تكسَّر أفواههم وأسنانهم بالحجارة. فلمّا أخذ الأعوان حجارةً ورموهم بها رجعت عليهم وضربتهم هم فكسَّرت أسنانهم وملأَت أفواههم دماً. وأمَّا الشهداء فكانوا سالمين لم يصبهم شيءٌ أبداً. فخالهم قائدهم سحراءَ فأخذ حجراً ورماها بأحدهم فأصابت الوالي على فكّهِ والّمتهُ جدّاً* فلمّا رأَوا ذلك تعجّبوا وارجعوهم إلى السجن لينظروا في أمر موتتهم* وكان الشهداء في السجن يصلّون ويرتّلون هذا المزمور وهو. إليك رفعتُ عينيّ يا ساكناً في السموات الخ* وظهر لهم يسوع قائلاً: مَن يؤْمن بي ولو مات فهو يعيش. ثقوا ولا تخافوا أبداً من عذاب الناس الذي لا يدوم الاّ زماناً يسيراً. حاربوا ببسالة لكي تنالوا الاكليل* وفي الغد صباحاً أتوا بهم أمام الوالي ليقضي عليهم بالموت* وكان قريباً من سيواس بحيرة ماء بارد مجلّد لأنَّه ذلك الزمان كان فصل

شدّة البرد. فأمر الوالي بأن يُعرَّوا من ثيابهم ويُطرحوا في تلك البحيرة ليموتوا برداً وان يحرسهم حرّاس لئلاّ يفلت منهم أحد ويفرّ من عقابهِ. ثمّ أعدّ حمّاماً حتَّى إذا غلب العذاب أحداً منهم وأراد أن يكفر بالمسيح فيخرج من البحيرة ويدخل يستدفِئ في الحمّام. فلمّا تحقّق جنود يسوع المسيح الابطال ذلك أسرعوا إلى البحيرة وأخذوا يخلعون ثيابهم قائلين بعضهم لبعض إنّ الجنود عرّوا ربّنا يسوع المسيح من ثيابهِ وتلاعبوا بها وقد احتمل هذا العذاب من أجل خطايانا فلنخلع الآن ثيابنا حبّاً لهُ لكي نوفي عن جرائمنا. أي نعم صعبٌ هو احتمال هذا البرد ولكنَّا فيما بعد سننطلق في هذه الطريق إلى الفردوس السمويّ. إنَّ الجليد يعذّب أجسادنا ولكنَّ نفوسنا تفرح برجاء الثواب. العذاب هو يسيرٌ غير انَّ المجد هو أبديّ. لنبدل ليلة واحدة زائلة بنهار لا يزول إلى الأبد. وإن كانت أرجلنا تتعذّب هنا بالجليد فسوف تطأُ النجوم. وان كانت أيدينا تتألَّم هنا فسوف تعانق هناك ربَّنا يسوع المسيح الذي وهبها لنا* كم من رفقاء لنا قد ماتوا في الحرب إظهاراً لأمانتهم في خدمة السلطان الأرضيّ فلِمَ نحن لا نعرض حياتنا للموت إظهاراً لامانتنا في خدمة السلطان السمويّ* كم من الاثيمين قد احتملوا أشدّ من هذا العذاب. فلنشكرنّ الله نحن لأنَّنا نموت من أجل الحقّ والفضيلة والاقرار بالايمان* ثمّ رفعوا عيونهم إلى السماء وقدّموا ذواتهم لله ذبيحةً ورموا بأنفسهم جميعاً في البحيرة متوسّلين إلى الربّ بأن يثبّتهم ويقوّيهم على احتمال العذاب

حتّى انَّهم كما دخلوا فيها بعدد أربعين هكذا يخرجون أيضاً بعددهم تماماً غالبين من دون أن ينقص منهم واحد* وكان البرد شديداً جدّاً. وكان فيهم واحد جبان قد غلبهُ البرد والعذاب فاستغاث بالحرّاس فجرّوهُ من البحيرة بعد أن كفر بالمسيح وأخذوهُ إلى الحمَّام وبعد هنيهة من الزمان مات في الحمّام وهكذا خسر الدنيا والآخرة وترك رفاقهُ التسعة والثلاثين حزانى عليهِ وعلى نقصان عددهم. وكانوا يتوسّلون إليهِ تعالى أن يخفّف عذابهم ويثبّتهم إلى المنتهى في التجلّد والاحتمال بصبير* ولمّا انتصف الليل شرق عليهم نور ساطع مع حرارة أذابت الجليد وسخّنت لهم الماء. وظهرت ملائكة وفي أيديها تسعة وثلاثون اكليلاً فوضعت الملائكة الاكاليل على رأس واحد واحد من هولاء الشهداء* فلمَّا رأَى ما صار أحد الحرّاس خلع ثيابهُ حالاً ورمى بنفسهِ في البحيرة صارخاً أنا مسيحيّ. وحينئذٍ لبس الاكليل الذي خسرهُ ذلك الجبان المنكود الحظّ وكمَّل عدد الأربعين*

ولمّا كان الصباح أمر الوالي أن يُخرَجوا من البحيرة وأن تُكسَّر سيقانهم بالعصيّ. فامَّا هولاء الشجعان فكانوا في وسط هذا العذاب الثاني يترنّمون بهذا المزمور وهو: نجت أنفسنا كالعصفور من فخّ الصيّادين الفخّ انكسر ونحن نجونا. عوننا باسم الربّ الصانع السموات والأرض. وحينما قالوا آمين سلّموا نفوسهم إلى الله* ثمّ أمر الوالي أن تُجمَع أجسادهم وتُحرَق في النار. فلمّا جمعوها وجدوا فيها جسداً حيّاً لم يمت بعد وكان اسم ذلك الشهيد ماليطون وكان شابّاً قويّاً في الغاية فتركوهُ وحدهُ رجاء

ان يضجر من السياق فيكفر. وكانت امّهُ حاضرة. فحملتهُ على كتفيها وأتت بهِ ووضعتهُ مع أجساد رفاقهِ المهيّأة للاحراق وقالت لهُ: يا ابني العزيز. يا ثمرة بطني. الطوبى لي إذ ثبتَّ إلى المنتهى ومتَّ من أجل يسوع المسيح. الطوبى للبطن الذي حملك وللثديَين اللذَين رضعتهما. تشجَّع يا نور عينيّ وانطلق لتنال النور الأبدي الذي يزحزح ظلماتي. لمّا كنتَ تنطلق لتحارب عن الملك الأرضيّ فكنتُ أرافقك باكيةً لأنّي كنتُ أخشى أن تنتهي بك الحرب إلى الموت. وامَّا الآن فلأنَّك تحارب عن الملك السمويّ فارافقك فارحةً لأنّني متأكّدة بأنَّ هذه الحرب تنتهي بك إلى الحيوة الأبديَّة. وها انَّ الملاك الذي كلّلك ينتظرك ليضعك مع اخوتك في الفردوس السمويّ. انَّ الجليد أوصلك إلى أبواب السماء. وهذه النار ستدخلك إليها. فتألَّم يا ابني بصبرٍ ما بقي لك من الزمان الوجيز. انَّ الله وهبك لي والآن أردُّك عليهِ بفرح عظيم ورضى مطلق. خليقٌ بالامّهات اللواتي ليس مؤَكّداً عندهنَّ خلاص أولادهنَّ أن يبكينَ عليهم ويندبنَهم. امَّا أنا فمؤَكّدٌ عندي خلاصك فلستُ أريد أن أبكي بل أن أفرح وأتعزّى بك* وهكذا كانت تكلّمهُ إلى أن تنيَّح بين يديها. فعند ذلك أخذتهُ هذه الامّ القدّيسة ووضعتهُ مع أجساد رفاقهِ الشهداء ليحرَق معهم. وعزمت ان لا تفارقهُ حتَّى تكون قد رأَتهُ رماداً* ثمّ بعد أن أحرقوا هذه الأجساد المباركة طرحوا رمادها وبقاياها في البحيرة حتَّى لا تأْخذها النصارى وتكرمها. فحفظ الله هذه الذخائر في الماء وجعلها أن تتلألأ كنجوم السماء

وبقيت في الماء إلى أن ظهر هولاء الشهداء إلى أحد الأساقفة واعلموهُ بمكان ذخائرهم. فاخرجها من الماء باحتفال واكرام ووضعها في مكان مقدَّس ثمّ نُقلت إلى القسطنطينيَّة. وبقيت هناك مخفيَّة في بستان إلى أن ظهرت الشهداء أيضاً للملكة بلكاريا واعلموها بها فاخرجتها باحتفال وتبجيل ووضعتها في الكنيسة* وكان استشهاد الأربعين شهيداً في اليوم التاسع من شهر آذار سنة ٣١٦*

* اليوم الحادي عشر *

مار صُفرونيوس بطريرك اورشليم

إنَّ هذا القدّيس وُلد في دمشق من أبوين مؤْمنين سالكين في خوف الله وتربَّى في مدينة بُسرة التي عند جبل لبنان. وكانت أعمالهُ وهو في بيت والديهِ تشبه أعمال النسّاك في البرّيَّة وكان منعكفاً على درس العلوم. ثمّ ذهب إلى مصر واتقن هناك كلّ علومهِ وبعد ذلك لبس الاسكيم الرهبانيّ وبلغ بقداسة سيرتهِ إلى أقصى درجة من الكمال* ولمّا ظهر كيرس المبتدع وزعم انَّ في المسيح طبيعتان ومشيَّة واحدة جادلهُ هذا القدّيس ودحض أقاويلهُ النجسة وقهرهُ في ميدان الجدال وأخذ يعظ الناس ويعلّمهم انَّ في المسيح طبيعتان ومشيئتان. وصنَّف في هذا الشان كتباً كثيرةً مفيدةً جدّاً حتَّى انَّهُ

لُقِّب بفم المسيح. ولزيادة علمهِ وعملهِ أُقيم بطريركاً على أورشليم ورعى رعيّتهُ في صدق الايمان وحسن الأعمال وقد كابد من المضطهدين بلايا كثيرة. وكتب قصص الآباء النسَّاك القدّيسين* ولمّا كانت الأعداء يوماً محاصرةً لاورشليم مدينة كرسيّهِ أخذ ينوح عليها كما ناح ارميا النبيّ على خرابها سابقاً. ولمّا رأَى القدّيس صفرونيوس انَّ الأعداء قد افتتحوها وشاهد رذيلة الخراب قائمة في الموضع المقدّس طلب من الله أن يأخذ روحهُ. فاستجاب الله طلبتهُ ونقلهُ إليهِ وكان ذلك في سنة **٦٣٦** للمسيح*

* اليوم الثاني عشر *

مار غريغوريوس الكبير البابا ومعلّم الكنيسة

بين جميع الأحبار العظماء والمعلّمين القدّيسين الذين تلألأُوا في الكنيسة المقدّسة الكاثليكيَّة اشتهر القدّيس غريغوريوس الكبير الذي بكلّ صواب لُقِّب بالكبير لشرف أصلهِ وغناهُ وقداستهِ وعلوّ رتبتهِ وكراماتهِ وتعليمهِ وسموّ فضائلهِ*

إنَّ مار غريغوريوس الكبير وُلد في روميَّة من أبَوين شريف أصلهما وغنيّين جدّاً. وقد ربّياهُ منذ صغرهِ في سرير العلوم ولمّا بلغ أَشُدّهُ تقلّد أمور المشيخة* ثمّ مات أبوهُ وإذ رأَى انَّ للثروة والأموال

بقيت تحت يدهِ أخذ يستعملها وينفقها في سبيل الله فعمَّر ستَّة أديرة في سيسيليا وديراً آخر في روميَّة في بيتهِ وشيَّد فيهِ كنيسة على اسم مار اندراوس وترك لكلّ هذه الأديرة أوقافاً كافيةً لسدّ حاجات الرهبان وما فضل من تركة أبيهِ وزّعها على الفقراء. ولم يكتفِ ببذل مالهِ كلّهِ حبّاً لله بل أراد أيضاً أن يقدّم ذاتهُ بجملتها ذبيحةً لهُ تعالى فترك وظيفتهُ السامية وترهَّب في الدير الذي عمّرهُ في بيتهِ وشرع يعيش في الفقر المقدّس والتزهُّد عن الأشياء العالميَّة حتَّى فاق جميع الرهبان نسكاً فكانوا يأْتّمون بهِ جميعهم. ولافراط نسكهِ ابتُلي باسقامٍ كثيرة أهزلتهُ جدّاً فاضحى عديم الاستطاعة على الصوم يوم السبت اليوم الذي يصومهُ العلمانيّون أنفسهم فضلاً عن الرهبان والزهّاد فطلب إلى رئيس الدير أن يقترن معهُ في الصلوة والطلبة من الله لعلّهُ يمدّهُ بقوّةٍ كي يصوم ذلك اليوم. فدخلا كلاهما الكنيسة وصلّيا بحرارة على هذه النيَّة. وبعد الفراغ من الصلوة اختبر مار غريغوريوس المعونة الإلهيّة إذ رأَى نفسهُ صحيحاً معافىً فشكر الله وعاد يصوم* وكانت صلواتهُ غير منقطعة وتأَمُّلاتهُ غويصة. وكان أكلهُ في الدير بقلاً كانت ترسلهُ إليهِ أمّهُ في اناء من فضّة. فذات يوم جاءَ إليهِ ملاك بزيّ تاجر وقال لهُ: انَّ جميع أموالهِ قد غرقت في البحر وأضحى لذلك في حالة الاقلال والفاقة وما لهُ بِيت ليلة وطلب منهُ أن يتصدّق عليهِ بشيءٍ يسدّ عوزهُ. فامر مار غريغوريوس وكيل الدير أن يعطيهُ ستّة ريالات فاعطاهُ. فاستزادهُ فامر لهُ بستّة أخرى

فأخذها ومضى. وبعد يومين إليهِ مستعطياً فإذ لم يكن للقدّيس شيءٌ يتصدّق بهِ عليهِ أعطاهُ ذلك الاناء الفضّيّ الذي كانت ترسل لهُ امهُ فيهِ الطعام فشكر لهُ ومضى. ومنذ ذلك الحين أُعطِي القديس موهبة عمَل الكرامات. وعُلِم بعد ذلك انَّ الفقير المستعطي كان ملاكاً كما سنقول*

ويوماً ما نوى أحد الرهبان أن يهجر الرهبنة ويهرب سرّاً. فاذ دخل مرّة إلى الكنيسة اعتراهُ الشيطان وعذّبهُ ولم يتركهُ حتى خرج فدخل ثانيةً فاعتراهُ الروح الشرّير وهكذا كان كلّما دخل الكنيسة اعتراهُ الشيطان ولا يتركهُ حتَّى يخرج. فلمّا عاين ذلك مار غريغوريوس سأَلهُ عن السبب. فاعترف لهُ الراهب بنيّتهِ وانَّهُ قد عزم على الفرار من الرهبنة سرّاً. فشرع القدّيس والرهبان يصلّون لأجلهِ ثلاثة أيَّام وبعد انتهاء هذه المدّة نجا الراهب من تلك التجربة ومن الروح الشرّير*

ويوماً آخر أُخبر مار غريغوريوس بانَّ أحد الرهبان في سياق الموت وعندهُ فضَّة تبلغ إلى ثلاثِ مائَة ريال. فاستقبح القدّيس هذا الذنب وأوصى رئيس الدير أن لا يدَع أحداً من الرهبان يدخل عليهِ ليزورهُ أو يسلّيهُ حتَّى إذا ما رأَى نفسهُ مهمَلاً في ساعة موتهِ من الجميع يتوب عن ذنبهِ فيخلص وان لم يتب ومات فتُطرَح جثَّتهُ في المزبلة ويقول كلٌّ من الرهبان عليهِ هذه الكلمات وهي: لتمضِ فضّتك معك إلى الهلاك* فلمّا رأَى الراهب انَّهُ مهمَل من أخوتهِ

عرف اثمهُ فأخذ يبكي واعترف بخطيّتهِ وفي الآخر مات تائباً* أمَّا الرهبان فخافوا أن يصيبهم ما أصابهُ فكان كلٌّ منهم يأْتي بما عندهُ ويطرحهُ أمام رجلَي الرئيس حتَّى الأشياء التي لا يحرّم عليهم اقتناءَها قانونهم* ثمّ أمر مار غريغوريوس أن يُقدَّس عن نفسهِ ثلاثون قدّاساً. فبعد تكميل ذلك أي بعد ثلاثين يوماً ظهر الراهب إلى أحد رفاقهِ وقال لهُ انَّهُ كان إلى ذلك الحين في المطهر وقد خرج تلك الساعة لينطلق برحمة الله إلى السماء*

ويوماً ما إذ كان القدّيس غريغوريوس ماشياً في السوق رأَى صبياناً ذوي قدٍّ رشيق ووجهٍ صبيح يُباعون. فسأَل من أين هم. فقيل لهُ انَّهم من بلاد الانكليز* قال هل سكان بلادهم نصارى. أجابوهُ لا بل وثنيّون. فبكى بمرارةٍ وقال اواه انَّ الشيطان يملك نفوس هولاء الصبيان اللطاف الذين يشبهون ملائكةً أرضيّين. قال هذا وانطلق رأْساً إلى البابا بَندكتس الأوّل وتوسَّل إليهِ أن يأْذن لهُ بإرسال واعظين ومبشّرين في انكلترّة لكي يضيئوا لهذه الأمّة العمياء ويهدوها إلى الايمان بيسوع المسيح. وقدّم نفسهُ الأوّل لهذا الخَطب فسمح لهُ البابا بذلك. فأخذ غريغوريوس بعضاً من الرهبان وقصد انكلترّة ليبشّر فيها بالإنجيل. وبعدما خرج حزنت روميَّة عليهِ واجتمع الفقراء والحزانى والمرضى الذين كانوا ملتجئين تحت ذيل حمايتهِ وكان هو أباهم وجاؤا إلى باب كنيسة مار بطرس. ولمّا جاءَ البابا ليدخل في الكنيسة صرخوا كلّهم بصوتٍ عالٍ باكين وقائلين: أيُّها الاب

الأقدس ماذا عملت انَّك سبّبتَ خراباً لروميَّة إذ سمحت لغريغوريوس أن يتركها وينطلق* فلمّا شاهد البابا ذلك وانَّ الجميع بلسان واحد يطلبونهُ التزم أن يبادر بترجيعهِ فارسل وراءَهُ من ارجعهُ إلى روميَّة ففرح بهِ الشعب جدّاً* وبعد ذلك رسمهُ البابا بلاجيوس الثاني شمّاساً انجيليّاً واقامهُ كردنالاً وعمد أن يرسلهُ إلى قسطنطينيَّة قاصداً وسفيراً من قبَلهِ إلى السلطان طباريوس لقضاء بعض الحاجات بما أنهُ كان كفواً لذلك لقداسة سيرتهِ وعلمهِ وفطنتهِ* فأطاع غريغوريوس أمر البابا وأخذ بعضاً من الرهبان وتوجَّه إلى قسطنطينيَّة فلمّا وصل إليها قبلهُ السلطان باكرام عظيم وقضى لهُ كلّ حاجة سأَلها باسم البابا* والتقى هناك بالقدّيس لآندرس أسقف سَوِلاّ الذي كان أيضاً قد جاءَ إلى قسطنطينيَّة مرسَلاً من قِبل ابن ملك اسبانيا إلى السلطان طباريوس طالباً منهُ جنوداً لمحاماة الديانة من الاراطقة الآريوسيّين. فتصادق معهُ واستمرّت صداقتهما حتى موتهما* وصنَّف مار غريغوريوس بعون صلوات مار لآندرس خمسة وثلثين مجلّداً تتضمَّن تفسير سفر أيّوب وكمَّلها بعد ذلك في روميَّة* وجرى في قسطنطينيَّة بين مار غريغوريوس واوتيكيوس بطريركها جدال في إحدى حقائق الدين. وذلك ان اوتيكيوس كان رجلاً قدّيساً ذا كرامات عظيمة غير أنَّ الله سمح أن يسقط في بعض الأضاليل حتى يذلّهُ ويجعلهُ عبرةً لنا. فهذا الرجل رغم أنَّ أجسادنا لا تكون أجساماً طبيعيَّة لحميَّة في يوم القيامة الأخيرة بل تكون أرفع وأرقّ من الهواء. فأثبت لهُ مار غريغوريوس

ببراهين سديدة بأنَّها تكون أجساماً لحميّة طبيعيّة حقيقيّة وانَّها مع ذلك تُضحي غير قابلة للموت. وقال لهُ: انَّ يسوع المسيح من بعد قيامتهِ دخل على تلاميذهِ والأبواب مغلقة وأراهم يديهِ ورجليهِ قائلاً: جسّوني وانظروا انَّ الروح ليس لهُ لحمٌ وعظام كما ترون لي* فاقتنع اوتيكيوس بكلامهِ ورجع عن ضلالتهِ. وفي حين موتهِ أمسك جلد يدهِ وقال انّني أقرّ معترفاً بأنَّنا كلّنا سنقوم بهذا اللحم عينهِ*

وبعد ذلك استدعى البابا بلاجيوس الثاني مار غريغوريوس من قسطنطينيَّة إلى روميَّة ونصبهُ رئيساً على دير مار اندراوس حيث كان سابقاً راهباً* وفي ذلك الزمان صار وباء في روميَّة ومات فيهِ البابا بلاجيوس الثاني. فانتخب الاقليرس والشعب غريغوريوس ليتخلّفهُ في الكرسيّ الرسوليّ الروماني. أمَّا هو فأَبى ولم يرتضِ ولكنّهم الزموهُ غصباً. فلمّا رأَى نفسهُ غير قادر على مقاومة جميع الشعب قال لهم لنكتب إلى موريسيوس عاهل القسطنطينيَّة المتخلّف لطباريوس فان رضي وأثبت انتخابي والاّ فدَعُوني. فرفضوا بذلك* وكان في ذلك الزمان تثبيت انتخاب الباباوات يكمل على أيدي سلاطين الشرق. وبما أنَّ السلطان موريسيوس كان صديقاً ومحبّاً لمار غريغوريوس كتب لهُ هذا القدّيس أن لا يثبّت انتخابه* فلمّا أحسّ والي روميَّة بهذا الدسّ احتال على وصول رسالة مار غريغوريوس إليهِ فأخذها وأبقاها عندهُ وكتب عوضها سرّاً من لسان القدّيس والاقليرس والشعب رسالةً غيرها إلى الملك موريسيوس ملتمسين فيها أن يرتضي

ويثبّت انتخاب غريغوريوس بابا لأنَّهُ لا يوجد مَن يقدر أن يضبط زمام الكنيسة حينئذٍ سواهُ. وبعث الرسالة مع دسيسٍ إلى القسطنطينيَّة. وفيما كانوا منتظرين جواب الملك كان الوباء يزداد في روميَّة شيئاً فشيئاً ومات فيهِ معظم الناس. فشرع مار غريغوريوس ينذر الشعب بالتوبة ويفهّمهم بأنَّ الله قد ضربهم من جرى خطاياهم فيجب عليهم من ثمّ أن يقتدوا بشعب نينوى في دموعهم وتوبتهم لعلّ الله يرحمهم. ثمَّ أمر أن يُصنَع دورة احتفاليَّة وتُحمَل فيها صورة مريم العذراء التي كان قد صوّرها مار لوقا الإنجيلي. وبينما كانوا دائرين بالبكاء والدموع رفع القدّيس عينيهِ إلى السماء فرأَى في الجوّ ملاكاً يردّ سيفهُ إلى غمدهِ فعرف أن قد هدأَ غضب الله العادل* وارتفع الوباء وحصلت السلامة لروميّة* وكان مار غريغوريوس منتظراً جواب رسالتهِ بقلق. أمَّا الملك فلمّا أخذ الرسالة وقرأَها وعلم فحواها فرح غاية الفرح بانتخاب غريغوريوس وثبَّت هذا الانتخاب معلناً بهِ رضاهُ المطلق* فلمّا علم غريغوريوس بذلك حزن جدّاً. وإذ لم يعد لهُ سبيل للمقاومة فرّ هارباً إلى الجبال والقفار والمغائر والحروش* أمَّا ربُّنا يسوع المسيح الذي كان لهُ إرادة بدعوتهِ فجعل أن يظهر فوق المكان الذي كان مختفياً فيهِ عمود نار. فرآهُ من أُرسِلوا في أثرهِ فجاؤا إليهِ وأخذوهُ فاتوا بهِ إلى روميَّة فأُجلس على الكرسيّ الرسولي الرومانيّ خليفةً لمار بطرس وكان ذلك في اليوم الثالث من شهر أيلول سنة ٥٩٠* أمَّا هو فكان يبكي ليلاً ونهاراً تائقاً إلى ديرهِ وقلاّيتهِ وخلوتهِ. وكانت رسائل

التهنئات تتوارد إليهِ وكان يجاوب مرسليها بانَّهُ ليس مستحقّاً لهذه الوظيفة السامية وانَّهُ غير قادرٍ لأن يحمل هذا الحمل الثقيل وفي الختام يستعين بصلواتهم.

ولمّا استقرَّ على كرسيّهِ أخذ يظهر غيرتهُ على مجد الله مهتمّاً بخير الكنيسة الكاثليكيَّة وإصلاح الأمور وتعمير المؤْمنين ومساعدة المحتاجين وتعزية الحزانى* وكان لهُ التفات خصوصيّ إلى الفقراء. وكتب عندهُ في سفر أسماء جميع فقراء روميَّة وقراها. فكان كلّ شهر يقدّم لهم لوازم معيشتهم. ولم يكن يأكل الاّ بعد ما يكون قد أرسل جزءاً من طعامهِ إلى الفقراء. وكان دائماً يُجلِس على مائدتهِ اثني عشر من الفقراء. فذات يوم أمر كاهنهُ الخصوصي أن يأْتيهُ باثنَي عشر فقيراً ليجلسوا على مائدتهِ. فلمَّا دخل بيت المائدة رأَى ثلثة عشر فدعا الكاهن وقال لهُ: أنا أمرتك أن تأْتي باثني عشرة وهوذا ثلثة عشر. فأجابهُ الكاهن انّي لم أدخل بازيد ممَّا أمرتني. فافتكر مار غريغوريوس وعلم أنَّ ذلك لا يخلو من سرّ فشرع يتفرَّس فيهم فرأَى وجه الثالث عشر يتغيَّر لوناً تارةً يحمرّ وتارةً يصفرّ وطوراً يبيضّ. وكان أحياناً يراهُ شاباً وبعد قليل ينظر فيهِ فإذا هو شيخ* فبعد الغداء انفرد بهِ القدّيس وسأَلهُ ما اسمهُ ومَن هو. فأجابهُ أنا هو ذاك التاجر الذي غرقت أموالهُ في البحر وأتاك مستعطياً فتصدّقت عليهِ باثني عشر ريالاً وباناءٍ من فضّة. فاعلم انَّ الله اجلالاً لجودتك جعلك خليفةً لمار بطرس هامة الرسل الذي اقتيدت بهِ حسناً. فأجابهُ مار غريغوريوس

ما الذي أعلمك بأفكار الله. قال انّي ملاك وقد أرسلني الله إليك ليمتحنك على يدي. فانذهل القدّيس من هذه الكلمات ودخل في قلبهِ رعبٌ منهُ. فقال لهُ الملاك: لا تخف يا غريغوريوس فانَّ يسوع المسيح أرسلني إليك لاعينك واحرسك إلى المنتهى وهو يمنحك برسالتي كلّ ما سألتهُ. فانحنى القدّيس إلى الأرض وأجابهُ باحترام وخوف قائلاً: ان كان الله قد أقامني راعياً على بيعتهِ لأجل هذه الأشياء الزهيدة فانَّني أرجو نعماً أزيد من ذلك من يدهِ السخيَّة إذا خدمتهُ بمحبَّة ووزّعت مالهُ على الفقراء. انتهى* فهذا الذي ازاد سخاء مار غريغوريوس وجعلهُ مفتوح اليد وسريع العطاء حتَّى انَّ جودتهُ عمّت جميع الكنائس والأديرة. فمن ذلك انَّهُ أرسل إلى أورشليم رئيس ديرٍ بمبلغ وافر من الفضَّة لبناءِ مارستان لمساعدة المرضى والمحتاجين* وكان يقدّم لهُ كلّ لوازمهِ* وكان يحرّك الأساقفة على مساعدة الفقراء. وكتب يوماً إلى أسقف بخيل رسالةً يقول لهُ فيها اعلم انَّهُ لا يكفي لتكميل وظيفة الأسقفيَّة أن يكون الأسقف منعكفاً على الصلوة والدرس بل يجب عليهِ أيضاً أن يفيد الآخرين بأعمالهِ. وان لم يكن مفتوح اليد سخيّاً مهتمّاً بسدّ احتياجات الفقراء ولا يفتكر انَّ فقرهم هو فقرهُ نفسهُ فيتغافل عن مساعدتهم فليس بأهلٍ لأن يسمَّى أسقفاً* وبمقدار ما كان مار غريغوريوس مجتهداً باحتياجات الناس الجسديَّة فبازيد من ذلك كان مهتمّاً باحتياجاتهم الروحيَّة. فانَّهُ جذب نفوساً عديدة من الضالّين إلى معرفة الله وعبادتهِ* وجمع مجمعاً في روميَّة وفيهِ رسم

بعض رسومات راجعة إلى مجد الله وخير الكنيسة المقدّسة* وكان تواضعهُ عجيباً حتَّى انَّهُ كثيراً ما كان يذهب إلى المدرسة ويعلّم الصبيان التراتيل الدينيَّة ويؤَدّبهم أن زلّوا* وأنعم الله عليهِ بكرامات كثيرة. من ذلك انَّهُ فيما كان يقدّس يوماً تقدّمت امرأَة لتتناول القربان المقدّس وكانت هي قد خبزت ذلك الخبز الذي قدّسهُ البابا. فلمَّا دنا منها ليناولها ايَّاهُ لافظاً هذه الكلمات وهي: جسد ربّنا يسوع المسيح يحفظ نفسكِ للحيوة الأبديَّة. ضحكت المرأَة. فلمّا رآها لم يناولها بل رجع بالقربان المقدّس إلى المذبح وبعد أن تمّ القدّاس أمر تلك الامرأَة أن تقرّ قدّام الشعب لماذا ضحكت عندما دنت إلى المائدة المقدّسة. فاطرقت مفكّرةً زماناً ثمَّ اعترفت قائلةً إِنّي ضحكت لأنَّك قلتَ انَّ الخبز الذي أنا بيدي عجينتهُ وخبزتهُ بانّهُ جسد المسيح. فلمّا سمع القدّيس منها هذا الكلام خرّ على وجههِ أمام المذبح وأخذ يصلّي هو والشعب متوسّلين إلى ربّنا يسوع المسيح أن ينير عقل هذه المرأَة ويفتح عينيها لتؤْمن. وفي الحال استحالت تلك البرشانة المقدّسة إلى لحم طبيعيّ بحضور كلّ الجمهور وأَراها للمرأَة القليلة الايمان. فحينئذٍ آمنت وازداد الشعب ايماناً. وبعد قليل أخذت البرشانة المقدّسة شكل الخبز كالأوّل*

وكان قلب هذا الحبر العظيم يشتعل بمحبَّة الله. وكان يتمنَّى أن يحبّ جميع البشر هذا الإله الجوّاد الكثير الاحسان. وبما انَّهُ مذ كان راهباً كان قد أبدى اهتماماً بهداية انكلترّه إلى ايمان يسوع المسيح

فلمّا حصل في وظيفة الرياسة العامّة على الكنيسة المقدّسة باشر هذا العمل السامي. فاختار راهباً من دير مار اندراوس اسمهُ اوغسطينس وعمد أن يرسلهُ مع رهبان آخرين إلى تلك البلاد لينذروا بالإنجيل وينيروا بأشعّة ايماننا المقدّس دُجى هذه الامَّة الوثنيَّة العمياء. فانطلق اوغسطينس على هذا القصد المقدّس. امَّا رفقاؤهُ فبعد أن مشوا عدّة أيَّام عيوا الأمر وأرادوا أن يرجعوا فارسلوا مقدّمهم اوغسطينس إلى البابا يستميحوهُ الاذن لهم بالرجوع لأنَّهم ليسوا بقادرين أن يتكلّفوا هذا العمل لعدم معرفتهم أطباع أولئك الأقوام ولغتهم ولعلّ أتعابهم لا تجدي نفعاً. فامَّا البابا غريغوريوس فلم يرد أن يسمح لهم بالرجوع فكتب لهم رسالة فيها يحثّهم على اتّباع رسالتهم ويشجّعهم بقوّة العناية الإلهيّة على مقاومة جميع أعدائهم* فلمَّا قرأَ الرهبان تلك الرسالة أخذوا بالحزم وداوموا سفرهم بشجاعة. فأوصلهم الله سالمين إلى انكلترّه بصلوات مار غريغوريوس وقبلهم أهلها باكرام عظيم وباشروا هناك الانذار بانجيل يسوع المسيح فاهتدى بواسطتهم جمٌّ غفير من أولئك الشعوب الوثنيّين. فاخبروا البابا غريغوريوس بانَّهم نجحوا جدّاً بنعمة الله وقالوا لهُ: انَّ الحصاد كثير والفعلة قليلون لا يكفون لهُ وطلبوا منهُ فعلة آخرين. فارسل لهم رجالاً غيورين للانذار معهم. وبعث معهم كلّ ما كان لازماً لزينة الكنائس وامرهم أن لا يدكّوا هياكل الأوثان بل أن يطّهروها بالماء المكرَّس ويكرّسوها كنائس للاله الحقّ* وكانت أعمالهم هناك سالكةً في سبل النجاح حتى انَّ أصنام بلاد

الانكليز دُكَّت جميعها وانتشرت ديانة يسوع المسيح بمعجزات باهرة. فكتب البابا غريغوريوس رسالةً إلى مار اوغسطينس رئيس المنذرين هناك فيها يهنّئهُ هو ورفاقهُ على النجاح الذي خوّلهم ايَّاهُ الله*

وكان هذا الراعي الصالح والحبر القدّيس حازماً يقِظاً في رعاية قطيع المسيح فكان يعامل بصرامة أولئك الأساقفة الذين يهملون تأْدية فرائضهم. ويكرز هو بنفسهِ على الشعب الاّ حينما يمنعهُ عن ذلك مرض أو يشغلهُ عنهُ شاغل فكان يكتب العظة ويجعلها أن تُقرأَ على الشعب* ونقول بالاجمال انَّهُ كان راعياً شهماً منتبهاً متدقّقاً في كلّ ما يختصُّ بوظيفتهِ السامية حتى انَّهُ يلوح انَّهُ شيءٌ عديم الامكان وهو انَّ رجلاً واحداً يقدر أن يتعاطى أموراً كثيرة ومختلفة بهذا المقدار ممَّا يتعلّق بالدين وبالآداب* وبنعمة الله وهمَّة هذا الرجل النحرير ازهرت الديانة المقدّسة وامّحت ارطقات كثيرة من أمصار مختلفة*

ولمّا رأَى الشيطان عدوّ خدّام الله هذا الحبر العظيم وما هو عليهِ من علوّ الهمَّة ونُجْح الأعمال لم يقدر أن يكظم غيظهُ فخدع أحد الأغنياء الرومانيّين وجعلهُ أن يطلّق امرأَتهُ الشرعيَّة ويتزوّج بغيرها فحرمهُ لذلك مار غريغوريوس. فغضب الغنيّ عليهِ وجزم أن ينتقم منهُ. فاتّفق مع بعض السحراء الوثنيّين على أن يلتمسوا حيلة تفضي بالقدّيس إلى الوبال والعطب. فاجمعوا على أنَّهم إذا خرج البابا يجول في المدينة راكباً حصانهُ يُدخلون شيطاناً في جسد الحصان فيجنّنهُ فيثور ويرمي البابا على الحضيض فيتحطّم. فلمّا علموا يوماً أنَّ البابا ركب وهو

يجول في المدينة انطلقوا في أثرهِ فوجدوهُ فرقَوا حصانهُ وادخلوا فيهِ شيطاناً فاضطرب الحصان وهاج وأخذ يثور حتَّى انَّ الذين كانوا حولهُ لم يقدروا أن يمسكوا عنانهُ. فعلم القدّيس سبب ذلك فرسم إشارة الصليب واخرج الشيطان من جسد الحصان فهدأَ* وعاقب الله السحراء بالعمى. فلمَّا رأَوا ما جرى لم يشكّوا في قداسة مار غريغوريوس فجاؤا وانطرحوا عند قدميهِ طالبين الغفران وسأَلوهُ أن يعمّذهم. فعمَّذهم الاَّ انَّهُ لم يردّ لهم البصر خوفاً من أن يرجعوا إلى شرّهم الأَوّل ويقرأوا كتب السحر* فلمّا رأَى الشيطان انَّهُ غُلِب من البابا زرع فتنةً بينهُ وبين موريسيوس عاهل القسطنطينيَّة الذي كان صديقاً محبّاً لهُ فصار هذا السلطان عدوّاً الدّ لمار غريغوريوس. وسبب ذلك هو انَّ البابا ما شاءَ أن يتركهُ يتداخل في الأمور الكنائسيَّة ويتعاطاها على حسب هواهُ فلأجل هذا بغضهُ موريسيوس*

وفي ذلك الزمان أُقيم راهب اسمهُ يوحنَّا بطريركاً على القسطنطينيَّة فهذا قبلما انتُخب لهذه الوظيفة اظهر تواضعاً وحلماً فلمّا حصل عليها واستوى على الكرسيّ شرع يسمّي نفسهُ البطريرك العموميّ. وجمع مجمعاً من الأساقفة وأمر أن يسمّيهُ الجميع بهذا الاسم الذي لا يحقّ لا لهُ ولا لغيرهِ الاّ لبابا رومية فقط الذي هو خليفة مار بطرس ووكيل المسيح ورأْساً عامّاً للكنيسة* فلمّا سمع مار غريغوريوس البابا بذلك عارض يوحنَّا البطريرك المتكبّر ونقض كلّ ما حدّدهُ في ذلك المجمع ووبَّخهُ على جسارتهِ. وكتب رسالة إلى الملكة قسطنسية فيها يحذّرها

من غشّ مَن عندهُ تواضع مع كبرياء وحلم مع حيلة ويطلب إليها أن لا تدع أن يقوى الرياء على الحقّ. وكتب رسالة أخرى إلى السلطان موريسيوس يطلب إليهِ أن لا يرتضي بأن يتّصف يوحنَّا بصفة بطريرك الكنيسة العموميّ لأنَّ هذه الكنيسة ليست لهُ* أمَّا السلطان فلعداوتهِ وبغضتهِ لهُ ولمحبَّتهِ شرف قسطنطينيَّة قاعدة مملكتهِ حامى يوحنا ورفض طلبة البابا غريغوريوس. ولم يكتفِ بذلك بل شرع يعذل ويذمّ من مدَحهُ هو مرّات عديدة سابقاً*

ولمّا علم أَجِلفُس ملك لمُبرديَّة ببغضة السلطان موريسيوس للبابا غريغوريوس أتى بجيشهِ إلى روميَّة وحاصرها مفتكراً انَّ السلطان لا يحامي روميَّة للعداوة التي بينهُ وبين أسقفها. فاستمرّ الحصار عاماً كاملاً. وفي مدّة هذا الزمان كان مار غريغوريوس يكتب رسائل إلى السلطان موريسيوس فيها يشكو إليهِ أحوالهُ ويسأَلهُ العفو ويستعين بهِ على محاصر روميَّة. فلم يلتفت إليهِ ولا تحنّن قلبهُ عليهِ* امَّا الله الذي لا يترك العالم أن يقوى على عبيدهِ فحامى مار غريغوريوس وأمدّهُ بقوّة وعون من عندهِ فثبت محامياً لروميَّة إلى أن غُلِب أَجلفُس وترك الحصار وولّى مدبراً* ولم يدع الله موريسيوس بلا قصاص لأَنَّهُ اضطهد وكيلهُ وأبا كنيستِه العامّ ظلماً. ففي تلك السنة عينها ظهر في قسطنطينيَّة رجل بزيّ راهب ماسكاً في يدهِ سيفاً مجرَّداً وهو يصرخ بصوت مرعب قائلاً: الا سيُقتَل موريسيوس بهذا السيف* فلمّا علم هذا السلطان بذلك رجع إلى نفسهِ وبدأَ يرسل صدقات إلى الأديرة

طالباً من الرهبان أن يتشفّعوا بهِ إلى الله عسى أن يعاقبهُ في هذه الحيوة ويعفي عنهُ في الآخرة. وبما أنَّهُ كان يطلب ذلك من الله بدموع سخينة استبان انَّ طلبتهُ استُجيبت فانَّهُ بعد زمانٍ قليل قام ضدّهُ رجل اسمهُ فوقاس فقتلهُ هو وامرأتهُ وأولادهُ كافّةً. ولمّا كان في سياق الموت شكر الله على أنَّهُ عاقبهُ في هذه الحيوة كما طلب معترفاً بأنَّهُ مستحقٌّ أن ينزل عليهِ غضب الله العادل لسوء معاملتهِ لغريغوريوس البابا* امَّا يوحنَّا البطريرك فمات بغتةً بقضاء الله العادل*

وكان الحبر العظيم مار غريغوريوس مزيّناً بمزايا حميدة فكان أحياناً يأْمر جميع الأساقفة والكهنة والقضاة والملوك أنفسهم بسلطان عظيم أن يحفظوا أوامرهُ حتَّى انَّهُ كان يُنزلهم عن وظائفهم ان عصوا عليهِ. وأحياناً كان يتذلّل كأدنى جميع الناس* وكان لهُ عادة أن يقول إِنَّهُ لا يجب على الروساء أن يعتبروا مقدرة رتبتهم بل المساواة التي بينهم وبين الذين تحت يدهم نظراً للطبيعة البشريَّة. ولا يجب عليهم أن يفرحوا عندما يرون أنفسهم نافعين لهم. ولطالما ينسى بعض الروساء ذاتهم فيحتقرون مَن هم تحت سلطانهم انتهى* وكان تواضعهُ لا مزيد عليهِ فكان يدعو الكهنة أخوتهُ والاقليرس الأدنى من الكهنة أولادهُ الأعزّاء والعوامّ ساداتهِ والنساء سيّداتهِ. وهو أوَّل من وضع امضاءَهُ في ختم رسائلهِ: عبد عبيد الله. وبهِ اقتدى جميع البابوات بوضع امضائهم هكذا* وكان هذا القدّيس على جانب عظيم من الصبر حتى انَّهُ لم يتشكَّ

أبداً في كلّ ما كان يحلّ بهِ من الاضطهادات والأمراض وسائر النوازل* وكان فقيراً بالروح ومجرَّد القلب من جميع الأشياء الأرضيَّة ولم يكن يستعمل أموالهُ لنفسهِ بل لسدّ احتياجات الفقراء ولاشياء أخر راجعة إلى مجد الله* وبعد ما نقّى يسوع المسيح هذا خادمهُ الأمين بتجارب كثيرة وأحزان مختلفة كما يتنقَّى الذهب في الكور خلّصهُ من حبس هذا الجسد وكلّلهُ باكليل المجد الذي استحقّهُ بأعمالهِ الصالحة وبتعاليمهِ السمويَّة التي دبَّر بها الكنيسة المقدّسة مدّة ثلاث عشرة سنة وستة أشهر ونيّف. وكانت وفاتهُ في اليوم الثاني عشر من شهر آذار سنة ٦٠٤* وترك في خزانة الكنيسة المقدّسة تصانيف مشهورة عديدة ورسائل جميلة ورفع أعلام العلوم والفنون وجعل روميَّة قدوةً للسيرة المسيحيَّة والرهبانيَّة وربح لله جمّاً غفيراً من الوثنيّين* وشرّفهُ الله بعد موتهِ بكرامات عظيمة أجراها بشفاعتهِ*

وقد مدحهُ معلّموا الكنيسة القدّيسون قائلين عنهُ إِنَّهُ كان رجلاً ماهراً في العلوم ورئيس اللاهوتيّين ونور الفلاسفة وضياء الفصحاء ومرآة القداسة ولسان الروح القدس* وروى عنهُ القدّيس إِلْدَفونسوس رئيس أساقفة تُلادة قائلاً: إِنَّهُ فاق انطونيوس قداسةً وكبريانُس فصاحةً واوغسطينُس علماً* وكتب عنهُ مار ايسِدورس قائلاً: انَّهُ بين جميع المعلّمين الذين سبقوهُ اشتهروا في عصرهِ لم يوجد مَن ماثلهُ*

* اليوم الثالث عشر *

القدّيسة افراسيا البتول

كان في قسطنطينيَّة رجل من الأشراف المقلّدين أمور الحكومة قد تزوّج امرأَةً شريفةً ذات فضل اسمها افراسيا فرزقهما الله ابنةً وحيدةً وسُمّيت افراسيا باسم امّها وكان اسم أبيها انطيغونا. وكان مسيحيّاً حقيقيّاً. وكان السلطان تاودوسيوس الصغير يحبّهُ جدّاً لِمَا فيهِ من مكارم الأخلاق وكان بينهما قرابة* فإذ عرف انطيغونا أباطيل العالم سأَل امرأَتهُ افراسيا هل تريد أن ترتضي وتتّفق معهُ على أن يعيشا في المستقبل في سبيل التعفّف ويخدما الله وحدهُ راجيَين الخيرات السمويَّة والسعادة الأبديَّة ومكتفيَين بما رزقهما الله. فارتضت زوجتهُ واجابتهُ قائلةً: لا شيء أَحَبُّ إليَّ من ذلك لأنّي أتأمّل دائماً في هذه كلمات الكتاب المقدّس وهي: الوقت منذ الآن مقصرٌ لكي يكون الذين لهم نساء كأَن ليس لهم. لأن شكل هذا العالم يزول. فشكرا الله على وفاق قصدهما وعاشا بعد ذلك مثل اخ واخت باذلَين كلّ جهدهما في خدمة الله وعبادتهِ* وبعد سنة توفّي انطيغونا وفاةً مقدّسةً. فعزّى الملك افراسيا وطلب إليها أن تحسن تربية ابنتها افراسيا وتتسلّى بها. وخطبها لشابٍّ شريف من أولي المراتب العليا في البلاط الملوكي إذ كانت بعد صغيرة* وفي ذلك الزمان انطلقت افراسيا مع ابنتها افراسيا إلى مصر. وكلّما دخلت مدينةً أو قريةً في طريقها وزّعت جزءاً من أموالها على

الفقراء. ثمَّ بلغت إلى أرض تيبائيدة الواطئة المشحونة بالنسّاك فزارتهم ومضت فسكنت في مدينةٍ فيها دير وفيهِ راهبات سائرات سيرةً قشفةً إلى الغاية. فواصلتهنَّ وكانت تقدّم لهنَّ ما تحتاج إليهِ كنيستهنَّ كالشمع والزيت والبخور وغير ذلك*

فاتّفق انَّها انطلقت ذات يوم مع ابنتها افراسيا لزيارة اولئك الراهبات وكان عمر افراسيا حينئذٍ سبع سنين فشرعت الرئيسة تتخاطب مع هذه الصبيَّة الصغيرة وتصف لها الفرح والسرور والابتهاج الذي تشعر بهِ النفس المخصّصة ذاتها بجملتها لله. فارتقش قلبها. وعمدت أن لا تخرج من الدير. فلمّا أزمعت امّها الانصراف والرجوع إلى البيت مساءً قالت لها ابنتها: يا أُمَّاه ارغب إليكِ أن تأْذني لي أن أبقى هنا في الدير. وان شئتِ فاذهبي أنتِ إلى البيت واتركيني أخدم الله ههنا مع الراهبات* فأجابتها الرئيسة انَّهُ لا يمكن لأحد أن يسكن في الدير ما لم يكرّس نفسهُ ليسوع المسيح بنذرٍ أبديّ. فتهلّلت الابنة القدّيسة وأخذت صليباً فاعتنقتهُ وقبّلتهُ بمحبّةٍ قائلةً: انّي أنذر ذاتي ليسوع المسيح طول حياتي. فانذهلت امّها والرئيسة من ذلك وتحقّقنا بأنَّها دعوةٌ الاهيَّة. فبكت أمّها من الفرح وقالت لها: كمّلي يا ابنتي مشتهى قلبكِ وليكن يسوع معكِ. ثمَّ تركتها بين يدي الرئيسة ورجعت وحدها إلى البيت تقرع صدرها وترفع عينيها إلى السماء طالبةً من الله أن يثبّت ابنتها في عزمها الصالح. وبعد زمان مرضت هذه الأمّ التقيَّة وعلمت أنَّ آخرتها قد اقتربت فارادت أن ترشد ابنتها بكلمات أخيرة

قبل موتها. فقالت لها: يا ابنتي العزيز افراسيا خافي الله واكرمي اخواتكِ واعتبري نفسكِ خادمةً لهنَّ ولا تفتكري أبداً في نفسكِ بأنَّكِ كنتِ غنيَّة بحسب العالم ومن نسل سلاطين بل كوني متواضعة وفقيرة على الأرض لكي تستحقّي أن تشتركي بالمجد والسعادة في الفردوس السمويّ* ثمّ كتبت وصيّتها وفيها تركت كلّ أموالها لابنتها افراسيا حتَّى تنفقها في سبيل الله. وبعد زمن قليل ماتت برائحة القداسة* فلمّا علم السلطان تاودوسيوس بموت هذه الأمّ المباركة وبحال ابنتها افراسيا أرسل إليها رسالة فيها يعزّيها بموت والدتها ويخطبها لخطّيبها الأوّل لأنَّها بلغت العمر الكافي للزيجة* فلمّا قرأَت افراسيا رسالة الملك ضحكت وأجابتهُ قائلةً: انَّهُ ليس صواباً أن أترك عريسي يسوع المسيح الذي هو آله أزليّ وأتزوّج رجلاً ليس هو الاّ قليلاً من التراب وستأكلهُ الدود عمّا قليل. فاتوسَّل إليك أيُّها الملك أن لا تضجرني في ذلك لأنّي عزمتُ أن أموت موتاً أحرى من أن أترك الرهبنة التي أراها طيّبةً في عينيَّ. وأسأَل جودتك بحقّ حبّك واكرامك لوالديَّ الودودَين أن توزّع جميع أموالي التي عندك في القسطنطينيَّة على الفقراء والأرامل واليتامى وعلى الكنائس وتطلق جميع عبيدي وخدّامي حتَّى اتجرّد من العالم بالكلّيّة ولا يعيقني شيءٌ عن خدمة الله. واطلب إليك أيُّها الملك أن تصلّي دائماً لأجلي إلى الله حتَّى يؤَهّلني أن أخدمهُ حسناً* فلمَّا قرأَ الملك رسالتها سحَّت عيناهُ دموعاً غزيرة وكمَّل طلبتها بحسبما شاءَت*

ولمّا رأَت القدّيسة افراسيا نفسها مجرَّدة من العالم أخذت تسير متقدّمة رويداً رويداً في سبيل الكمال وحينئذٍ فتح الشيطان حربهُ معها وشرع يضطهدها ويؤَلّمها ويجرّبها. أمَّا هي فكانت تظفر بهِ بتقشُّفها وصلاتها المتواترة. ولكي تذلّ نفسها وترضّ رأْس عدوّها كانت كلّما أتى عليها شيءٌ من تجارب الشيطان كشفتهُ لرئيستها. فكانت رئيستها تأْمرها أَن تعمل الأعمال الدُنيا في الدير كالكنس والطبخ وغير ذلك حتَّى تغلب الشيطان بطاعتها وتواضعها وتقشُّفها* فذات يومٍ بعد أن جرّبها الشيطان وكشفت تجربتها للرئيسة أمرتها رئيستها أن تنقل حجارةً من مكانٍ إلى آخر ثمّ تأتي بها إلى مكانها. فصنعت ذلك بطاعة كاملة. ومع ذلك فلم يكن الشيطان يتركها برهةً في الراحة فانَّهُ كان يرسل لها أحلاماً وخيالاتٍ مفزعة وهي لا تلتفت إليهِ بل كانت تزداد تقشُّفاً. واستأْذنت يوماً رئيستها وصامت أسبوعاً كاملاً من دون أن تذوق شيئاً. فحسدتها إحدى الراهبات وأخذت تثلبها قائلةً: بأنَّها مرائية تتظاهر بهذه الأفعال القشفة طمعاً أن تصير رئيسةً في الدير. أمَّا القدّيسة فركعت أمامها مستغفرةً ومعترفة بأنَّها خاطئة وتوسَّلت إليها أن تصلّي لأجلها* ولمّا علمت الرئيسة ما فعلت تلك الراهبة مع افراسيا عاقبتها على الشكّ الذي أبدتهُ في الدير* فإذ رأى الشيطان أنَّ القدّيسة افراسيا انتصرت على جميع التجارب الباطنة التي جرّبها بها جزم على قتلها. فيوماً ما إذ كانت تتناول ماءً من البئر أسقطها فيهِ فصرخت بصوتٍ عالٍ قائلةً: يا الاهي اعِنّي. فسمعت الراهبات

صوتها وأسرعنَ فاخرجنَها من البئر سالمةً. فقالت متبسّمةً: يا أيُّها الشيطان اطلب إلى يسوع المسيح أن لا يسمح بأن تغلبني* ويوماً آخر إذ كانت تشتغل في قطع حطب والفاس بيدها ضربها الشيطان بالفاس وجرح رجلها جرحاً مثخناً فوقعت مغميً عليها. فجرت إليها الراهبات وحملنَها إلى الدير وبعد قليل رجعت إلى صوابها فقامت وانطلقت تجمع الحطب الذي حطبتهُ لتأْتي بهِ إلى الدير لئلاَّ يفتخر الشيطان بأنَّهُ غلبها. وفيما هي صاعدة على الدرج. أسقطها الشيطان على الحطب فانتشب عودٌ في جبينها وسال دمها. فظنَّت الراهبات ان قد فُقِئَت عيناها. فقالت لهنَّ: لا تخفنَ فانَّ عدوّي لم يجرحني في عينيَّ بل في جبهتي* وأسقطها مرّةً أخرى من علوّ السطح إلى أسفل فنهضت صحيحة سالمة* وكانت يوماً تطبخ بقلاً في الدير وكانت القِدر تغلي فاكبّ عليها الشيطان القدر فظنَّها الراهبات قد احترقت. فقالت لهنَّ: انّي ما حسستُ سوى بماءٍ بارد* وقد سمح الله للشيطان أن يجرّبها بكلّ هذه التجارب لزيادة مجدها ولخزي الشيطان ولكي نعلم كم يبغض هذا الحسود النفوس الفاضلة* ووهب الله للقدّيسة افراسيا موهبة عمل الكرامات من ذلك انَّ امرأَةً أتت بولدٍ سقيمٍ لها إلى الدير طالبةً صلاة الراهبات عليهِ. وكان الصبيّ اصمّ واخرس ومفلوجاً. فأَمرت الرئيسة القدّيسة افراسيا أن تحمل الولد إلى المكان المعيّن للصلوة. وفيما كان محمولاً على ذراعيها تجنَّنت عليهِ فرسمت إشارة الصليب عليهِ قائلةً ليشفِكَ مَن خلقك. فشُفي حالاً*

وكان في الدير امرأَة مجنونة قد اعتراها الشيطان من زمن ليس بوجيز. وكانت الراهبات يصلّينَ عليها دائماً فلم تبرأْ. وكان فيها ذلك الروح الشرّير قويّاً جدّاً حتَّى انَّ الراهبات لا يجسرنَ أن يقتربنَ إليها لأنَّها كانت تضرب من دنا منها. وكانت معتقَلةً بالسلاسل في يديها ورجليها. وحينما كانت الراهبات يقدّمنَ لها الطعام فكنَّ يُدنينَهُ إليها بعصاً. فأمرت الرئيسة القدّيسة افراسيا أن تتقلد خدمتها. فأطاعت وكانت تخدمها بشجاعةٍ وتقدّم لها المطعم والمشرب. وعندما دنت منها القدّيسة أوّل مرّة ازعج الروح الشرّير تلك المرأَة فزجرتهُ القدّيسة فسكن وصارت المرأَة أهدأَ من الخروف ومع ذلك لم تجسر الراهبات أن يدنونَ منها* فذات يوم قالت تلك الراهبة التي ثَلبت يوماً القدّيسة افراسيا: أَوَ ما يوجد فينا راهبة تقدر أن تتكلّف خدمة هذه المستجنّة ما عدا افراسيا. لو كُلِّفتُ ذلك لفعلتهُ مثلها. ثمَّ أخذت الطعام وقدّمتهُ لتلك المرأَة فحالما اقتربتَ إليها وثبت عليها كالأسد وأمسكتها وخبطتها في الأرض وخزّقت ثيابها وعضّتها حتى قدّت لحمها. فكانت الراهبة تصرخ مستعينة بأخواتها فلم يوجد من يفكّها من بين يديها حتى جاءَت القدّيسة افراسيا إليها وخلّصتها وفيها رمق. وأمرت الروح الشرّير أن يسكن فسكن* فعرفت بذلك الراهبات قداسة سيرة افراسيا وانَّ ربنا يسوع المسيح ترك تلك الامرأَة إلى حينئذٍ ليفكّها بواسطة افراسيا. فأمرت الرئيسة هذه القدّيسة أن تخرج الشيطان من ذلك الجسد. فصلّت وقتئذٍ

افراسيا واخرجتهُ وعتقت المرأَة منهُ*

وبعد زمان أوحى الله للرئيسة بأنَّهُ يدعو افراسيا إلى السماء فحزنت على فقدانها قدّيسة كانت فخراً وشرفاً للدير. فاعلمتها بذلك ففرحت القدّيسة وشكرت الله وطلبت إليهِ تعالى أن يميلها ريثما تستوفي تقشُّفها. فاستمرَّت سنةً متأَهّبة للموت بالتوبة والتقشّف والصلوة والصوم واستيداع نفسها لله. وبعد ذلك اعترتها حمّى شديدة دنت بها إلى الموت. وكانت راهبة اسمها يوليّا تحبّ القدّيسة جدّاً وكانت لها مثل امّ ومعلّمة في الدير ولم تكن تفارقها في جميع أعمالها فتوسّلت إليها هي والرئيسة أن تصلّي إلى الله من أجلها عسى أن يأخذها معها. ولمّا تنيّحت افراسيا ودُفنت بكت عليها يوليّا ثلاثة أيَّام غير مفارقة قبرها وفي اليوم الرابع جاءت فرحى تبشّر الرئيسة بأنَّ يسوع المسيح يدعوها بصلوات القدّيسة أفراسيا. فعانقت الراهبات وتوفّيت في اليوم الخامس ودُفنت إلى جانب أختها افراسيا* وبعد ذلك بشهر جمعت الرئيسة الراهبات واعلمتهنَّ بأنَّها تموت هي أيضاً لأنَّ افراسيا نالت لها ذلك من الله وقالت لهنَّ: ان ينتخبنَ رئيسةً عوضها. فلما انتخبنَها أرشدتها وأوصت الراهبات أن يُطعنها ويماثلنَ افراسيا بسيرتهنَّ. ثمَّ نهتهنَّ عن أن يدخلنَ عندها تلك الليلة* ولمّا كان الصباح أتينَ إليها فوجدنها راقدة بالربّ. فدُفنت هي أيضاً إلى جانب افراسيا ويوليا* وعمل الله كرامات عظيمة عند ذلك القبر* وكانت موت القدّيسة افراسيا في سنة ٤١٠ ولها من العمر ثلاثون سنة*

* اليوم الرابع عشر *

القديسة ماتِلده ملكة جرمانيا

إِنَّ هذه القدّيسة كانت شريفةً نسَباً وتزوّجت بهنري ملك جرمانيا. وكانت مع وجودها في كذا شرفٍ تزور المرضى وتداريهم وتخدم الفقراء وتتصدّق عليهم وتعزّيهم وتقضي ليلاتها في الصلوة* وكان قلبها مجرّداً من محبَّة الأشياء الأرضيَّة* وبعد زمان مات الملك زوجها وخلّف لها ثلاثة أولاد فصار الواحد ملكاً وصار الآخر أميراً وانتُخب الآخر رئيس أساقفة في كُلونيا. فتخاصم الأمير مع أخيهِ الملك ونازعهُ في المُلك فوقع الخلف بينهما واجتمعا على أمّهما الملكة ماتِلدا وأهاناها لأنَّها أفنت دولتهما بإعطاء الصدقات وأخذا كلّ ما كانت تملكهُ من الحلي* وبعد زمان تصالحا وصالحا أمّهما وردّا عليها كلّ ما أخذاهُ منها. فأخذت توزّعهُ على الفقراءِ. وشيّدت خمسة أديرة وكنائس عديدة وشرعت تقضي حياتها في ممارسة الأفعال التقويَّة وأعمال الرحمة. وكانت ترشد الفقراء والجهّال وخدّامها وتعلّمهم أن يصلّوا حسناً. وكانت تكثر من زيارة ديرٍ للراهبات ففي إحدى زيارتها وقعت مريضةً في ذلك الدير ودنا موتها فاعترفت لمطران مدينة بايْنس ابن أحد بنيها. وبعد أيَّام اعترفت اعترافاً علناً بجميع خطاياها بحضور الكهنة وراهبات الدير وذلك تواضعاً منها. ثمَّ أخذت أسرار البيعة المقدّسة واضطجعت على مسحٍ ونثرت الرماد على

رأسها وسلّمت روحها إلى الله بسلامٍ وكان ذلك في اليوم الرابع عشر من شهر آذار سنة ٩٦٨*

* اليوم الخامس عشر *

مار لنجينُس الجنديّ

خبّرنا مَتافراسطُس عن هذا القدّيس قائلاً أنَّ لُنجينُس كان يهوديّاً وقائدماية حينما حُكِم على يسوع المسيح بالموت على الصليب وكان حاضراً في آلامهِ وموتهِ. وهو الذي طعنهُ في قلبهِ بعد موتهِ فجرى منهُ دمٌ وماءٌ ومن ذلك استنار بنور سمويّ وعلم أنَّ يسوع المسيح كان حقّاً ابن الله* فبعد موت المخلّص ودفنتهِ أُمِر لُنجينُس أن يذهب بعسكرهِ ويحرس القبر لينظروا هل يقوم يسوع من القبر كما سبق وقال لهم. فلمّا عاين لُنجينُس قيامة الربّ في اليوم الثالث من بين الأموات كما هو مكتوب في الإنجيل أخذ الجند خوف عظيم. أمَّا لُنجينُس فكان طول تلك الليلة يتذكّر صبر الربّ يسوع وثباتهُ وتجلّده في احتمال العذاب بصمتٍ وحزن الخلائق على موتهِ إذ أظلمت الشمس واكتست ثوب الحِداد وانشقّ حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل. وكانت هذه التصوّرات تزيده ايماناً* فلمّا أصبح الصباح انطلق وأخبر رئيس الكهنة والكتبة والفريسيّين بما كان وانَّهُ هو

وجنودهُ عاينوا قيامة يسوع المسيح المجيدة فشقَّ ذلك عليهم. ولكي يكتم هولاء العميان مجد الربّ اجتمعوا وتشاوروا وأعطوا العسكر فضّةً كثيرة قائلين: قولوا أن تلاميذهُ أتوا ليلاً وسرقوهُ ونحن نيَّام وإذا سُمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفهُ ونجعلكم مطمأنّين* فأخذوا الفضّة وفعلوا كما علّموهم. امَّا لُنجينُس قائدهم الذي كان قد تغيَّر قلبهُ وامتلأَ نوراً الاهيّاً فلم يشأْ أن يأْتي بكذب كذا فظيع بل أبى قبول الرشوة وأذاع الحقّ وأصبح شهيداً أميناً لقيامة يسوع المسيح* فلمّا رأَى اليهود ثباتهُ عزموا أن ينتقموا منهُ. فإذ علم سوءَ نيّتهم وما ائتمروا بهِ عليهِ هجر وظيفتهُ وهرب من أورشليم إلى كبادوكياس مصطحباً باثنين من جنودهِ قد اقتديا بهِ. وكان هناك ينذر بما رآهُ. فاهتدى بأقوالهِ وبأعمالهِ الصالحة أشخاص كثيرون إلى ايمان المسيح* وبعث أعداؤهُ جنوداً ليهلكوهُ. فجعل الله أن يستضيفهُ هولاء الجنود ولم يعرفوهُ. أمَّا هو فعرفهم وقبلهم باكرام وسأَلهم عن سبب مجيئهم فأجابوهُ قائلين انَّنا أتينا طالبين لُنجينس قائد المابة لنهلكهُ. فقال لهم امكثوا الآن عندي وأنا اريكموهُ* ثمَّ دعا الجنديَّين اللذَين اتيا معهُ من أورشليم لكي يشركهما باكليل الاسشتهاد فلمّا حضرا أمامهُ رفع صوتهُ قائلاً: أنا هو لُنجينُس. اميتوني فتكونون قد دفعتم لي أجرة خدمتي لكم في بيتي لأنّكم لا تقدرون أن تعطوني جزاءً أثمن من الموت* فانذهل الجنود عند سماعهم ذلك منهُ. وكفّوا عن قتلهِ لأنَّهُ بالغ في اكرامهم* أمَّا هو فكان يحرّكهم على قتلهِ ثمَّ لبس ثياباً بيضاً متهيّئاً إلى العرس السمويّ فبعد أن

عانق الجنود وأراهم المكان الذي أراد أن يُدفَن فيهِ قطعوا رأْسهُ هو ورفيقيهِ* وأخذ الجنود رأس لُنجينُس وأتوا بهِ إلى بيلاطس. فعلّقهُ على باب المدينة لكي يزدري بهِ جميع المارّين ثمَّ رماهُ اليهود في المزبلة. فصانهُ الله من الفساد واستمرَّ هناك إلى أن ظهر القدّيس لُنجينُس لامرأَةٍ فقيرة وكانت أرملة عمياء وكان لها ابن وحيد يعولها. وكانت الناس تعيّرها وتحتقرها. فقصدت أورشليم لتطلب من الله أن يشفيها. ولمّا بلغت إلى المدينة مات ابنها الوحيد وخلّف لها حزناً أبديّاً. فمن كثرة بكائها وحزنها عليهِ نعست ونامت وفيما هي نائمة ظهر لها مار لُنجينُس وعزَّاها وحدّثها بكيفيَّة ايمانهِ بالمسيح مخلّص العالم وسفكهِ دمهُ حبّاً لهُ. ثمَّ أمرها أن تنطلق وتفتّش على رأْسهِ المدفون في المزبلة وقال لها: انّها حالما تلمسهُ يُعاد عليها بصرها. وأوعدها بأنَّهُ يريها ابنها لتتعزّى بهِ. وعندما استيقظت قامت حالاً وانطلقت بشجاعة إلى المكان الذي دلّها عليهِ لُنجينُس. فلمّا حفرت الزبل وجدت الراس المقدّس. فاخذتهُ وحالما لمستهُ رجع إليها بصرها* وظهر لها أيضاً القدّيس في الليلة الثانية ومعهُ ابنها موشّحاً ببهاءٍ سمويّ وقال لها. لا تبكي على من تكلّل بالمجد في ملكوت الله. فالآن خذي رأْسي وادفنيهِ مع جسد ابنكِ في قبر واحد وامدحي الله في قدّيسيهِ لأنَّهُ هكذا يشاء فلمَّا أصبحت أخذت تلك الهامة المقدّسة وجسد ابنها وانطلقت بهما باكرام إلى قرية تُدعى صَنديال التي فيها وُلِد لُنجينُس ودفنتهما هناك* وكان استشهاد مار لُنجينُس في سنة ٨٠ للمسيح*

* اليوم السادس عشر *

مار ابرام الحبيس

إِنَّ هذا القدّيس كان من أصل شريف ومنذ صغرهِ مشى في سلك التقوى والفضيلة. وكان أبواهُ يحبّانهِ جدّاً. فلمّا بلغ أَشُدَّهُ عزما أن يزوّجاهُ فأبى وفي الآخر أجابهما إلى ذلك خوفاً أن يحزنهما. فخطبا لهُ فتاةً جميلةً ذات مكارم حميدة واعدَّا لهُ العرس ثلاثة أيَّام بالولائِم والطرَب والأغاني حسب عادة أهل العالم. فلمّا بلغ اليوم المعيّن لتكليلهِ على عروسهِ الهمهُ ربُّنا يسوع المسيح أن يتجنَّب هذه الأباطيل الزائلة التي ليست الاّ ظلاًّ يزول عمَّا قليل. فهرب ابرام من بيت أبويهِ ومضى فاختفى في مغارة تبعد من المدينة نحو ربع ميل. فلمَّا طلبهُ أهلهُ ولم يجدوهُ لا في الكنائس ولا في خبايا المدينة تذكّروا انَّهم غصبوهُ على هذه الزيجة وبعد بِضعة أيَّام وجدوهُ ففرحوا برؤْيتهِ ولكنّهم حزنوا على أنَّهُ خلّى عروسهُ وانفصل من العالم. فكان كلٌّ منهم يحتال عليهِ بنوع ليصدّهُ عن عزمهِ. أمَّا هو فكان ثابتاً في عزمهِ الصالح. وفي الآخر غلبهم وألزمهم أن يتركوهُ. فتركوهُ ورجعوا. فشكر أبرام الله على ما خوّلهُ من الآلاء وسدّ باب مغارتهِ وفتح لهُ فيها كُوةً صغيرة ليتناول منها الخبز والماء. واستمرَّ هناك عشر سنين سائراً سيرةً ملاكيَّة. وفي تلك الأثناء مات أبواهُ وتركا لهُ جميع أموالهما وراثةً. فلم تقدر هذه الثروة أن تزعزعهُ وتطغيهُ لأنَّهُ لم يبالِ بها بل كلّف

أحد أصدقائهِ أن يوزّعها على الفقراء ويستبقي منها عندهُ شيئاً لبعض الحاجات. فعمل صديقهُ ما كلّفهُ* وكان مار ابرام يفرح بفقرهِ إذ لم يكن لهُ سوى رداءٍ ومسح للباسهِ وحصيرٍ عتيق لرقادهِ وجرّةٍ لشربهِ الماء. وبمقدار ما كان فقيراً بالأشياء الأرضيَّة فبأكثر من ذلك كان غنيّاً بالمواهب السمويَّة. ولسموّ فضائلهِ ذاع اسمهُ في كلّ تلك الأمصار*

وكان هناك قرية سكّانها وثنيّون وكانوا أشراراً وأعداءً للمسيحيّين. وكان كلّما أرسل إليهم أسقف ذلك الاقليم كاهناً مبشّراً أو راهباً منذراً اضطهدوهُ وأساؤا إليهِ. فامتنع الاقليرس والرهبان من الرسالة إليهم. فعمد الأسقف أن يرسل إليهم مار ابرام الحبيس لعلّهُ يهديهم بقداسة سيرتهِ وحسن أعمالهِ. فانطلق إليهِ ومعهُ اقليرسهُ وطلب إليهِ أن يرتضي ويرتسم قسّاً ويتكلّف هذه الرسالة. فامتنع أوّلاً ولمّا رأَى أنَّ الأسقف الزمهُ وانَّ ذلك من إرادة الله حمل نير الطاعة وتبع الأسقف إلى الكنيسة فرسمهُ هناك قسّيساً* وكان ابرام يبكي لعلمهِ صعوبة هذا الخَطب العظيم. وافتكر أَنَّهُ لا ينجح بإنذارهِ وأعمالهِ أكثر ممَّا بالصلوة والبكاء أمام يسوع المسيح. فشرع لذلك يقضي ليلهُ ونهارهُ بالتوسّل إلى الجودة الإلهيّة ان تمدّهُ بعونها. ثمَّ شيَّد كنيسةً جميلةً بالفضّة التي استبقاها عند صديقهِ من تركة والديهِ وجعل مقرّهُ فيها وكان هناك ملازماً الصلوة. ولمّا حُمَّ لهُ الأمر أملأَ الله قلبهُ شجاعةً فخرج مثلما خرج الرسل من الغرفة الصهيونيَّة بعد ما حلّ الروح القدس عليهم ممتلئاً غيرةً على مجد الله وخلاص النفوس وشرع يدكّ كلّ صنم

رآهُ* فلمّا رأَى الوثنيّون أن قد دُكَّت آلهتهم علموا أنَّ ذلك من ابرام فاتوا إليهِ بالعصيّ والحجارة وقتلوهُ شرّ قتلةٍ حتَّى أثخنوهُ جراحاً. فقوّاهُ يسوع المسيح وأمدّهُ بصبر جميل على الاحتمال. وفي الغد أتوا إليهِ لينظروا ما جرى من أمرهِ فلمّا رأَوهُ حيّاً أخرجوهُ من الكنيسة وربطوهُ وجعلوا يسحبونهُ في الطرق ولم يتركوهُ الاَّ وقد بقي فيهِ رمق يسير. فشجّعهُ الربّ فقام ورجع إلى الكنيسة يطلب رحمةً لمضطهديهِ. ثمَّ جاؤا إليهِ ثالثةً وأخذوهُ وأخرجوهُ من قريتهم. فدام اضطهادهُ ثلاث سنين ولم تنقص شجاعتهُ ولا عيل صبرهُ وكان يجازيهم بالمحبَّة عوض البغضة وبالحلم عوض الغضب وبالبركة عوض اللعنة* وكان مضطهدوهُ يتعجّبون من فضائلهِ واصطبارهِ. فإذ كانوا يوماً يتخاطبون بينهم عنهُ وعن كيفيَّة احتمالهِ كلّ تلك الشتائِم والاهانات التي يلحقونها بهِ بحلم وصبر من دون تشكٍّ وذلك حبّاً لالاههِ فتح الله عيونهم وأنار عقلهم بنورهِ السمويّ فاعترفوا علانيةً بأنَّ الالاه الذي يعبدهُ ابرام وينذر بهِ حتى الالاه الحقيقيّ الأزليّ والربّ المطلق الذي لا إله إلاّ هو. ثمَّ انطلقوا إلى مار أبرام في الكنيسة وانطرحوا على قدميهِ صارخين بصوت عالٍ: لتتمجَّد أيُّها السيّدُ الربُّ آله السماء أرسلتَ إلينا عبدك ابرام ليعتقنا من ظلال عبادة الأوثان* فلمَّا رأَى مار ابرام هذا الانقلاب العجيب ارتقش قلبهُ فرحاً وشكر الله على أنَّهُ استجاب صلواتهِ وقبلهم باكرام وعمَّذوا منهم أَلفاً بعد أن علّمهم أصول الديانة. ولبث هذا القدّيس عاماً كاملاً مشتغلاً في ما يخصّ تعمير نفوسهم وخلاصهم* ثمَّ

افتكر أنهُ كمّل ما طلب منهُ الله في هذه الرسالة وانَّ غيرهُ يقدر أن يسقي هذه الغرسات الصغيرة فتوسَّل إلى ربّنا يسوع المسيح أن يقيم بدلهُ راعياً يكون كفواً لرعاية هذا القطيع حتَّى يذهب هو إلى خلوتهِ ويعود إلى نسكهِ الأوّل. فترك تلك القرية ومضى على هذا الرجاء من دون أن يعلم بهِ أحد. وفي الغد ذهب المتنصّرون الجدد إلى الكنيسة ليسمعوا القدّاس. فإذ لم يجدوهُ حزنوا جدّاً ففتَّشوا عليهِ غاية التفتيش ولم يقفوا منهُ على علمٍ فانطلقوا وأخبروا بذلك الأسقف الذي أرسلهُ إليهم. فقام الأسقف بنفسهِ وجاء معهم إلى قريتهم ورسم لهم كهنة وشمامسة وقلّدهم البنيان على الأساس الذي وضعهُ أبرام* فلمّا علم مار ابرام بما فعلهُ الأسقف شكر الله على أنَّهُ عتقهُ ورجع إلى مغارتهِ. فجرّبهُ الشيطان ملَك الظلمات وعَرض لهُ يوماً في نصف الليل بزيّ رجل موشّح بالأنوار وجعل يمدحهُ ويدعوهُ طوباويّاً لأنَّهُ بلغ أقصى درجة من الكمال. فعرف القدّيس حالاً ذلك المتكلّم وفهم غايتهُ فتذلّل بين يديهِ تعالى ووبَّخ الشيطان وطردهُ* وكان هذا العدوّ الحسود يعرض لهُ بتواتر ويقلقهُ ويتهدّدهُ بأن يُسقط المغارة عليهِ أو يحرقها فكان القدّيس يقطّع جميع أوهاقهِ واحبولاتهِ بالصلوة والاعتصام بالله. وهكذا استمرَّ ظافراً بالشيطان والجسد والعالم. وذات يوم مات أخوهُ وخلّف ابنةً يتيمةً من الاب والامّ تدعى مريم وكان عمرها سبع سنين فأُتي بها إلى عمّها ابرام ليربّيها إذ لم يبقَ لها أحد من أهلها فتحنَّن قلبهُ عليها وأسكنها في مغارةٍ بجانب مغارتهِ وفتح نافذةً بينهُ وبينها

وكان هناك يعولها ويعلّمها التعليم المسيحيّ وكلّ ما يتعلّق بخلاص نفسها فكانت تحنظ إرشادات عمّها وتعمل بها. وكان ابرام يحبّها جدّاً لأَنَّهُ رآها ذات فضيلة سامية. فلبثت مريم ثلاث عشرة سنةً عند عمّها* ولمّا صار عمرها عشرين سنة حاربها الشيطان وغلبها وذلك انَّهُ كان شاب يزور عمّها أحياناً. فذات يوم لاحت منهُ التفاتةٌ إليها فعلق بها قلبهُ وعلق بهِ قلبها فاوقعهما الشيطان في الفحشاء* أمَّا مريم فبعد ما افتكرت في الحمأَة التي سقطت فيها وأنَّها دنَّست بتوليّتها التي كانت قد خصَّصتها لله جادت عيناها بالدموع وشرعت تندب سقطتها وخسرانها الله وشرف البتوليَّة وراحة الضمير وأعمال التقشُّف التي مارستها زماناً طويلاً وما حصّلت بها سوى جهنَّم والخجل. فكانت تقول في قلبها تعساً لي أنا الشقيَّة. كيف أقدر أن أرفع عينيَّ إلى الله الذي أهنتهُ بكلّ هذه الاهانة واطلب إليهِ الغفران أنا التي دنّست هيكل ابنهِ وفقدت بلذّة دنيَّة الكنوز التي ربحتها* الويل لي أيَّ جواب أعطي لعمّي عن أفعالي. هل أجسر بعد أن أنظر إليهِ من الطاقة التي كان منها يرشدني ويُدخل في نفسي كلمات الحيوة. انفتحي أيّتها الأرض وابتلعيني ولتفترسني جهنَّم* ولم يكتفِ عدوّها القتَّال بأنَّهُ أسقطها في الفحشاء بل كاد لها مكيدةً أخرى وعمد أن يسقطها في قطع الرجاء حتَّى تبقى فريسةً لهُ ولا يقدر أحد أن يخلّصها من بين يديهِ فحركها على أن تترك عمّها وتنطلق إلى مكان بعيد لا تتصّل معرفتهُ إليهِ. وهكذا قطعت رجاءَها وانطلقت إلى مدينة تبعد مسافة يومين

عن مغارة عمّها. وهناك سلمّت نفسها إلى جميع الشهوات القبيحة. فأُوحي لابرام القدّيس بسقطة مريم ابنة أخيهِ وبهربها فشرع يصلّي إلى الله بدموع لعلّ هذه الحمامة التي ابتلعها التنّين الجهنّمي تخرج من بطنهِ. وبعد ما قضى سنتين في الصلوة من أجلها اعلمهُ الله بمكانها فقصدها لينهضها من سقطتها ويردّها إلى يسوع المسيح. فلمَّا وصل إليها أخذ يخاطبها بكلمات تنفطر لها الأكباد وتنسجم لرقّتها العبرات. فاضحت مريم غير قادرة على مقاومة الروح الإلهيّ الذي كان يكلّمها بفم عمّها واستمرّت برهةً باكيةً ومحمَّرة الوجه خجلاً ولم تقدر أن ترفع عينيها وتنظر إلى عمّها حياءً منهُ بل كانت مُطرقة وساكتة. أمَّا هو فعزَّاها وقال لها: علامَ لا تجاوبيني يا ابنتي ألا ترين انَّني قد أتيتُ إلى ههنا حبّاً لكِ لاجتذبكِ من الهلاك الأبديّ. فلا تخافي لأَنَّهُ لا جرح الاَّ ويغسلهُ دم يسوع المسيح فيشفيهِ. ها أنا حاملٌ خطاياكِ عليَّ ومجاوبٌ عنها ليسوع المسيح. فان أردتِ أن ترجعي معي إلى سكناكِ الأولى فهلّي عاجلاً ولا تبطئي* فحرّكت نعمة الله قلب مريم على الرجوع مع عمّها فقالت لهُ ماذا أعمل بثروتي التي جمعتها وبحَلْيي. فأجابها دعي كلّ شيءٍ ولا تفتكري سوى بيسوع المسيح. فتركت كلّ شيءٍ لها وسارت معهُ وهكذا قطعت مريم حبالات صيَّادها وافلتت من بين يديهِ وأخذت تقضي نهارها وليلها بالتكفير في المعاصي حتَّى رحضت بدموعها أدران خطاياها وأُوحي لها بغفران جميع ذنوبها وصنعت بعد ذلك كرامات عظيمة وشفت أسقام كثيرين ففرح بها عمُّها ابرام وشكر الله على الالاه

التي خوّلها ايَّاها* وبعد ما قضى هذا القدّيس خمسين سنة في سيرةٍ قشفة توفَّاهُ ربّهُ وقبل نفسهُ في ملكوتهِ السمويّ. وبعد خمس سنين ماتت أيضاً مريم موتةً مقدّسةً. وكان ذلك في نحو منتصف الجيل الخامس للميلاد*

* اليوم السابع عشر *

القدّيسة جرتروده البتول ـ مار باتريسيوس الأسقف ورسول ارلانده

القدّيسة جرتروده البتول

إنَّ القدّيسة جرتروده مرآة العذارى النقي وُلدت في مدينة من أعمال اوسترازيا إحدى مقاطعات فرنسا من أبوَين شريفَي الأصل سالكَين في سبيل التقوى والفضيلة. فاحسنا تربيتها وزيّنها الله بفضائل سامية ومزايا حميدة* ولمّا شبَّت بغضت العالم وأحبَّت أن تترك كلّ شيء حبّاً ليسوع المسيح الذي اتّخذتهُ عريساً وحيداً لها* ففي أحد الأيَّام دعا أبوها شابّاً من بني الأغنياء ليتغذّى عندهُ فوقعت عين الشابّ على جرتروده. فلمَّا رآها وما هي عليهِ من بدعة الجمال وسمة النعمة علِق بها قلبهُ وأحبّ أن تكون زوجتهُ فانطلق وحدّث الملك بفكرهِ ورغبتهِ وطلب إليهِ أن يتكلّف خطبتها. فأرسل الملك واستدعاها هي

وأبويها ولمّا حضروا كشف لهم أمر الشابّ وطلب أن تكون جرتروده خطّيبةً لهُ وشرع يصف أخلاقهُ وشرف أصلهِ وثروتهُ وجاههُ* أمَّا جرتروده الفتاة القدّيسة التي لم يكن يهوى قلبها سوى يسوع المسيح فقط فأجابت الملك قائلةً: أيُّها الملك أنا لا أنكر أوصاف هذا الشاب ولا أظنّ انّي إذا أردتُ أن أتزوّج احصل على خيرٍ منهُ ولكنّي قد نذرتُ بتوليّتي لربّي يسوع المسيح واتّخذتهُ عريسا وحيداً لي وأعطيتهُ ايماني عربوناً لهذا العرس السمويّ. وأنا لا أشاء أن أنقص بكلمتي وانقض نذري ولو خاطرت بحياتي* فأعجب الملك هذا الجواب وأثنى عليها وأطلقها فمضت فرِحةً مسرورةً بنوال غايتها ومضى الشابّ حزيناً خائباً* ومنذ ذلك الحين أخذت تتأَجّج في قلبها نار المحبَّة الإلهيّة. وبعد زمان قليل مات أبوها فبقيت تحت تدبير أمّها وكانت تخضع لها بطاعة كاملة*

ولمّا رأَت أمّها فضائل القدّيسة جرتردوه ابنتها تحرّك قلبها بأمثالها على هجران العالم كلّيّاً فعمدت أن تبني ديراً وتسكن فيهِ هي وابنتها فاستأْذنت في ذلك أحد الأساقفة القدّيسين وشيّدت ديراً وزيَّنتهُ بكلّ ما لزم وجعلت فيهِ سكناها هي وابنتها ولبستا نقاباً رهبانيّاً وخصَّصتا ذاتيهما لخدمة يسوع المسيح. وتبعها فتيات من بنات الأشراف مقتفيات أثرهما وخضعنَ لقوانينهما فأضحى ذلك الدير فردوساً صغيراً لا تزال مدائح الربّ تُرتَّل فيهِ على أفواه هولاء البنات القدّيسات* فلم يتركهنَّ عدوّ الخير زماناً ان اضطهدهنَّ فحرَّك عليهنَّ أناساً أشراراً

فكانوا يشتمونهنَّ ويقرفونهنَّ ويخطفون منهنَّ ما كان ضروريّاً لعيشتهنَّ الجسديَّة* وكانت القدّيسة جرتروده رئيسةً في ذلك الدير. فجميع هذه الاضطهادات لم تزعزع قلبها. وكانت تكمّل وظيفتها بغيرة وشجاعة. وكانت عفيفةً في الجسد والروح ومنعكفةً على الصلوة والصوم ومُحِبّةً لاعطاء الصدقة. وكانت تأْوي الغرباء وتداري المرضى وتعزّي الحزانى وتسامت بفضائلها على جميع أخواتها* وبما أنَّ الراهبات كنَّ يحتجنَ إلى مَن يفسر لهنَّ الاسفار المقدّسة لمنفعة نفوسهنَّ استدعت القدّيسة جرتروده أشخاصاً علماء ذوي سيرة ممدوحة وكلّفتهم ذلك* وكانت أمّها تساعدها في واجبات الرياسة. وبعد أن رتّبت لها أمور الدير وقد بلغت من العمر ستّين سنة دنا أجَلها فماتت موتةً صالحةً وذلك بعد موت زوجها باثنتَي عشرة سنة واستحقَّت لقداسة سيرتها أن تكرمها الكنيسة* فلمّا شاهدت القدّيسة جرتروده أنَّ سياسة الدير بقيت عليها وحدها شرعت تلازم التأمُّل في الأشياء الإلهيّة. ولكي تحسن تدبير الدير قلّدت لأمورهِ الخارجة رهباناً أمينين وقلّدت لأمورهِ الداخلة راهبات تقيَّات وأبقت لنفسها الرياسة العموميَّة في الدير. وانعكفت على الصلوة وقراءَة الكتب المقدّسة حتَّى انَّها حفظت على ظهر قلبها مُعظم الأسفار المقدّسة. وأنار الروح القدس عقلها وأعطاها موهبة الفهم فكانت تفهم بسهولة معاني جميع الأسرار الإلهية الغويصة وتفسّرها لأخواتها* وكانت تبذل جهدها في مساعدة الفقراء. وشيَّدت لهم مارستانات وكانت تعول فيها اليتامى والأرامل والغرباء وسائر

المحتاجين. ولافراط تقشُّفها اعترتها حمّىً شديدة فاضطرَّت أن تتنازل عن وظيفتها وأن تقلّدها لابنة أخيها وكانت فتاةً قد تربَّت منذ صغرها في ذلك الدير وجميع الراهبات كنَّ يحببنها لأنَّها كانت حليمةً ومحبَّةً لله وللقريب وذات مكارم لطيفة. فحملت هذه الابنة الفضيلة نير الرياسة وجعلت تسوس الراهبات بدل عمَّتها القدّيسة جرتروده. وكانت القدّيسة جرتروده ترتخي عزائمها وتضعف قواها ويزداد وجعها شيئاً فشيئاً وهي مع ذلك لا تبرح من استعمال تقشُّفها الأوَّل. وأرسلت يوماً تزور راهباً قدّيساً وتعلمهُ بقرب موتها. فأرسل لها الجواب قائلاً إِنَّها ستموت في الغد عند انتهاء التقدمة الالهيّة وتنطلق إلى الملكوت السمويّ. فلمّا بلغتها هذه البُشرى شكرت الله وشرعت تتأَهَّب للموت بالصلوة والتأمُّل كلّ تلك الليلة وكانت الراهبات مقترنات معها في الصلوة. ولمّا أصبحت أخذت أسرار البيعة المقدّسة. وحالما فرغ الكاهن من تقدمة الذبيحة الإلهيّة طارت نفسها إلى عريسها الالهيّ لتتمتَّع في خدرهِ السمويّ وكان ذلك في اليوم السابع عشر من شهر آذار سنة ٦٦٤ وعمرها ثلاث وثلاثون سنة* وتثبَّتت قداستها بأعمال الرحمة التي صنعتها وبالأعاجيب التي أجراها الله بشفاعتها وشرّفها بها* وفي يوم موتها ظهرت لصديقة لها اسمها مُدَسْته وكانت رئيسة دير في مدينة ترافس وذلك انَّها بينما كانت تصلّي أمام مذبح مريم العذراء شاهدت عن يمين المذبح القدّيسة جرتروده لابسةً ثيابها الاعتياديَّة فانذهلت من هذا المنظر. فقالت لها القدّيسة يا أختي مُدَسته: أنا

جرترودة صديقتكِ واعلمي أن الربّ دعاني اليوم من هذا العالم إلى خدرهِ السمويّ قالت هذا وتوارت عنها* وبعد موتها بعشر سنين أخذت النار في ديرها وكادت تحرق كلّ ما كان فيهِ وهربت الراهبات خارجاً وحار وكيل الدير في أمرهِ فوضع اتّكالهُ على الله ثمَّ رفع عينيهِ إلى السماء فرأى القدّيسة جرترودة واقفة فوق بيت المائدة بالزيّ الذي كانت فيهِ في الدير وهي تطفئ النار بنقابها وهكذا سلمت جميع أمتعة الدير من الحريق*

وكانت امرأَة تقيَّة من الشريفات تشكّ في كرامات القدّيسة جرترودة فذات يوم انطلقت لتزور دير الراهبات ومعها ابن وحيد لها وكان صبيّاً جميلاً لطيفاً وكانت تحبّهُ جدّاً. فوقع الصبيّ في البئر الموجودة في حوش الدير. وكانت أمّهُ حينئذٍ تتغدّى مع الراهبات في بيت المائدة ولم تعلم بوقعة ابنها. وبقي الولد في البئر حتَّى انتهاء الغداء. ثمَّ انّ إحدى الراهبات ذهبت إلى البئر لتستقي ماءً فرأَت فيها الولد فأسرعت وأخبرت أمّهُ والراهبات. فاستغثنَ كلّهنَّ بالقدّيسة جرترودة وأخرجنَ الولد من البئر ميتاً وحالما اضجعنهُ على سرير القدّيسة جرترودة قام من الموت صحيحاً سالماً. فلم تعد أمّهُ بعد ذلك تشكّ بكرامات هذه القدّيسة الفضيلة*

مار باتريسيوس الأسقف ورسول ارلانده

إنَّ هذا القدّيس العظيم وُلد في قرية من قرى برتانيا الكبرى من أبوين حسيبَين ومسيحيَّين* ولمّا صار عمرهُ ستّ عشرة سنةً حرّكت نعمة الله قلبهُ فعمد أن يخصّص ذاتهُ بجملتها لخدمتهِ تعالى. وفي تلك الأثناء هجمت على بلادهِ عساكر البربر وأخذوهُ أسيراً إلى ارلانده هو وخدّام والديهِ وقلّدوهُ رعاية الخنازير في تلك الجبال والغابات. وقد احتمل في أسرهِ جوعاً وعرىً وبرداً وحرّاً كفّارة عن خطاياهُ. وإذ رأَى نفسهُ مهمَلاً من الناس التجأَ إلى الله وقدّم لهُ ذبيحةً كلّ الضيقات التي كان يعانيها. وكان يتأَمَّل في حقائق الديانة المسيحيَّة ويقضي نهارهُ وليلهُ في الصلوة* وبعد ما لبث ستّ سنوات في خدمة مولاهُ تأَهَّب للرسالة التي كان الله قد هيَّأها لهُ وتعلّم لغة سكّان تلك البلاد وأخلاقهم. ثمَّ أُوحي إليهِ أن يرجع إلى وطنهِ. فتوجّه إلى ساحل البحر فرأَى سفينةً قد أزمعت السفر فطلب الدخول فيها فلم يأْذن لهُ القبطان لأَنَّهُ لم يكن لهُ فضَّة ليعطي أجرتها فرجع خائباً وشرع يصلّي إلى الله طالباً منهُ أن يسهّل أمورهُ ليشتغل من أجل مجدهِ. وفي الآخر رقّ عليهِ قلب القبطان لما رأَى من حلمهِ واتّضاعهِ وأدخلهُ السفينة. وبعد ما سارت ثلاثة أيام طلع الركّاب إلى برٍّ في بلاد اكوسيا وكان ذلك البرّ قفراً لا يسكنهُ أحد فتاهوا فيهِ مدّة سبعة وعشرين يوماً وعازهم القوت. وبما أنَّ باتريسيوس

كان دائماً يكلّمهم عن قدرة الاههِ الذي يعبدهُ لأنَّهم كانوا وثنيِّين طلبوا إليهِ أن يستشفعهُ لهم فأجابهم قائلاً: ان قرنتم صلواتكم مع صلواتي وسجدتم لالاه النصارى بخلوص النيَّة فتختبرون مفاعيل قدرتهِ. فأجابوهُ إلى ذلك وفعلوا ما قال لهم. فصادفوا حينئذٍ صيدات عديدة فقتلوها وصاروا يعتاشون بها إلى أن وصلوا مكاناً مسكوناً* وبلغ بعد ذلك باتريسيوس إلى وطنهِ وارتفع بالتدريج إلى درجة الأسقفيَّة ثمّ تكلّف الرسالة إلى إرلانده لينذر هناك الوثنيين بالإنجيل فقصدها لا بصفة أسير ليرعى خنازير بل بصفة رسول ليرعى غنم يسوع المسيح في تلك البلاد الوثنيَّة. وكان سكَّانها على جانب عظيم من التوحّش حتَّى انَّهم كانوا يقدّمون ذبائح بشريَّة لآلهتهم* ولمّا وصل إليها أخذ يطوف من مدينة إلى مدينة حتَّى بلغ إلى أقصائها مبشّراً في كلّ مكان بملكوت الله بشجاعة عظيمة. وقد تعنَّى لذلك شدائد مبشّراً عظيمة واحتملها راجياً أن يجني يوماً ثمرة أتعابهِ* وكان يثبّت عظاتهِ بكراماتهِ وقداسة سيرتهِ فكان الوثنيّون يتَقاطرون إلى ايمان يسوع المسيح أفواجاً أفواجاً من كلّ صنف من الأغنياء والفقراء والأدنياء والأمراء وكان القدّيس باتريسيوس يعلّمهم أصول الديانة ثمَّ يعمّذهم* وبعدما كثر المسيحيّون الجدد هناك رسم لهم كهنةً وشيَّد أديرةً واشحنها بالرهبان والراهبات. وأقام أساقفة في المدن العظمى وهكذا بنعمة الله وهمَّة هذا القدّيس زالت ظلمات الوثنيَّة من تلك البلاد وشرقت فيها أنوار النصرانيَّة*

وكان مار باتريسيوس مع تبشيرهِ وإنذارهِ بالمسيح منعكفاً أيضاً

على الصلوة والصوم والسهر وسائر الأعمال التقويَّة* وقبل موتهِ صنَّف كتاباً وفيهِ يحكي عن جميع أعمالهِ* ولمّا صار عمرهُ ثلاثاً وثمانين سنة مات بسلام وكان ذلك في نحو سنة ٤٦٤* وتعزَّى قبل موتهِ برؤيتهِ انَّ معظم بلاد ارلانده اهتدت بهمّتهِ إلى الايمان الحقيقيّ* وقد استمرَّ الارلانديّون حافظين الاكرام والعبادة لهذا القدّيس وامينين في التعليم الذي علّمهم ايَّاهُ إلى يومنا هذا وصانوا ايمانهم بين جميع الاضطهادات التي أثارتها عليهم حكومة الانكليز البُرتستنتيَّة مدّة أكثر من جيلَين*

* اليوم الثامن عشر *

مار قوررلس بطريرك اورشليم

انَّ مار قورلّس الشهير بتعليمهِ وفطنتهِ وُلد في أورشليم ومنذ صغرهِ انعكف على الفضيلة ودرس العلوم ورسمهُ مكسيمُس بطريرك أورشليم قسّاً وقلّده وظيفة الوعظ فكان ينذر بكلام الله بلسان فصيح طَلِق. ولمَّا مات مكسيمُس خلفهُ قوررلس في الكرسيّ الأورشليميّ وذلك في عهد السلطان قسطنس بن قسطنطين الكبير. وشرع يدبّر كنيستهُ بحكمة عجيبة. وكان رحوماً ومحبّاً للفقراء. وأرسل الله في زمانهِ على العالم مجاعة عظيمة عقاباً للبشر على خطاياهم. فكان الفقراء يلتجئون

إليهِ وكان هو يساعدهم. وحينما لم يكن لهُ شيءٌ يسدّ بهِ عوزهم فكان يبيع من أموال الكنيسة ويوزّع ثمنها عليهم ويعرّي الهيكل ليكسو هياكل الله الروحيَّة الحيَّة كما عمل القدّيسان امبروسيوس واوغسطينس وأساقفة أُخر* وحدث في عهدهِ آيةٌ عظمى وهي أنَّهُ ظهر في يوم عيد العنصرة بعد بزوغ الشمس بثلاث ساعات صليب في الجوّ فوق جبل الجلجلة وكان لضوى من الشمس ويداهُ كاننا ممتدّتين حتَّى إلى جبل الزيتون واستمرَّ زماناً طويلاً واقفاً وشاهدهُ جميع سكّان اورشليم فتركوا أعمالهم وخرجوا لينظروا هذه الآية. وكثير من اليهود الذين شاهدوا ذلك انفتحت عيونهم واستنارت عقولهم فعرفوا يسوع المسيح واهتدوا إلى ايمانهِ المقدّس. ولقد أرادت العزَة الإلهيّة أن تظهر هذه الآية العجيبة لتُجلّ بطريركيَّة القدّيس قورللس وتُميل السلطان قسطنس عن مواصلتهِ للآريوسيّين وتهديهُ إلى الايمان الحقيقيّ الذي اهتدى إليهِ أبوهُ قسطنطين الكبير بواسطة صليب ظهر لهُ في السماء* فكتب لهُ مار قورللس رسالةً فيها ينذرهُ بهذه الآية التي رآها بعينيهِ ويحرّضهُ أن يتبع لواء الصليب ويخدم من قد مات عنَّا فيهِ. فلم يجدهِ ذلك نفعاً* وكان القدّيس العظيم قورللس راعياً ساهراً على حفظ غنمهِ من الذئاب الخاطفة. وكان يقاوم بشجاعةٍ الاراطقة الآريوسيّين الذين كان يحاميهم السلطان قسطنس. فهولاء بغضوا مار قورللس لأنَّهُ كان يزحزح ظلام أضاليلهم وعزموا أن ينفوهُ من كرسيِّهِ استناداً على محاماة قسطنس لهم لكي ينزعوا من الكاثليكيّين راعيهم ويحرموا جنود المسيح من قائدهم

ويتركوا غنم قطيعهِ بلا راعٍ فيبدّدونهم ويفترسونهم مثل الذئاب الخاطفة* فالتأَم عليهِ لذلك مجمع من الأساقفة الأراطقة وكان من جملتهم اكاسيوس اسقف قيصريَّة وكان هذا يبغض القدّيس قورلّلس جدّاً لأَنَّهُ كان ركناً للكاثليكيّين واحتجّوا عليهِ بأَنَّهُ باع أمتعة الكنيسة ووزّعها على الفقراء فانزلوهُ عن كرسيّهِ البطريركي ونفوهُ هو وأساقفة آخرين وكاثُليكيّين كثيرين كانوا أعمدة الديانة وأقاموا مكانهُ هراقليوس الذي كان من طائفتهم. ولمّا مات هراقليوس أقاموا عوضهُ هِلاريوس*

والتأم بعد ذلك مجمع في مدينة سلوقيّة وفيهِ تبرَّر القدّيس قوررللس وأُعيد إلى كرسيّهِ الأورشليميّ* قال مار ايرونِمُس انَّ مار قورلّلس بطريرك اورشليم لم يُنفَ مرَّة واحدة من كرسيّهِ بل مرَّات عديدة* وزيَّنهُ الله بنعم وافرة وأجلّها كانت موهبة النبوّة. فذات يوم تخلّف يُليانس الجاحد لقسطنس بن عمّهِ في السلطنة. وبما أنَّهُ كان يحسن إلى اليهود بغضةً للنصارى أمر أن يُبنَى هيكل أورشليم لكيما يعود إليهِ اليهود بذبائحهم وصلواتهم. فشمَّر لهذا العمل باجتهاد عظيم وبنفقات جزيلة وحفر الأساسات وعمّقها. فتنبّأَ مار قوررللس قائلاً: انَّهُ لا يبقى حجر على حجر في هذه العمارة حسبما قال الربّ يسوع المسيح. فلم تمرّ ليلة الاّ وحدث زلزلة عظيمة قلعت حجارة الأساسات ورمتها بعيداً وانقضّت صاعقة من السماء وأحرقت جميع آلات البناء. فتراكض اليهود لينظروا هذه الاية وإذا بصلبان كثيرة متلألئة

وُسِمت في ثيابهم فأرادوا أن يمحوها فلم يقدروا. وهكذا صحَّت نبوّة مار قورلّلس وخجل يُليانس*

ولقد احتمل هذا البطريرك البارّ اضطهادات عظيمة مدّة سنين عديدة في عهد قسطنس ويُليانس ووالَنْس السلاطين الشرقيّين أعداء الكاثُليك ولم يسترِح حتَّى أُقيم تاودوسيوس الكبير على كرسيّ المملكة لأنَّهُ كان رجلاً تقيّاً فاستمرَّ مار قورلّلس في الأمن والراحة مدّة ثمان سنين مدبّراً كنيستهُ بحكمتهِ وقداستهِ وفي الآخر انتقل من هذه الحيوة إلى الحيوة السعيدة بعد أن حصل على العمر الطويل وحسن الأفعال وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من شهر آذار سنة ٣٨٦*

* اليوم التاسع عشر *

مار يوسف البتول خطّيب مريم العذراء الطوباويّة والدة الله

انَّ مار يوسف البتول خطّيب مريم العذراء وأبا يسوع المسيح بالتبنّي وُلد في اليهوديَّة في السنة الأربعين قبل التاريخ المسيحي من نسل الآباء وملوك يهوذا من ذرّيَّة داود الملك والنبيّ* قال متى الانجيلي إِنَّ يوسف كان ابن يعقوب وقال لوقا إِنَّهُ كان ابن هالي. وقد فهم من هذا أغلب المعلّمين انَّ يعقوب كان أبا يوسف بالطبيعة وهالي كان أباهُ بالشريعة. وذلك انَّ يعقوب وهالي كانا أخوَين لامّ.

فلمّا مات هالي بلا نسل تزوّج يعقوب بامرأَتهِ حتَّى يقيم زرعاً لاخيهِ كما في الناموس. فصار يوسف ابنهُ محسوباً ابن هالي بالشريعة*

إنَّنا في سيرة هذا القدّيس العظيم لا نقدر أن نتأكَّد الاَّ ما علّمنا إيَّاهُ الانجيليّون ولكن مع ذلك قد أخبرنا أيضاً عنهُ آباء الكنيسة ومعلّموها الأقدمون معتمدين على التقليد القديم الحقيقيّ* قال مار ابيفانس انَّهُ لن يوجد في الرجال أشرف وأعظم في عينَي الربّ من مار يوسف* وقال مار ايرونِمُس واوغسطينس انّ مار يوسف عاش بتولاً أبداً. وهذا رأي الكنيسة كلّها* وقال بعض علماء الكنيسة أيضاً إنَّهُ تقدّس في حشا أمّهِ مثل يوحنا المعمذان*

إنَّ مار يوسف كان فقيراً نجَّاراً غير انَّ فقرهُ لم يخفِ شرف أصلهِ وقد اختارهُ الله لقداستهِ وسموّ طهارتهِ أن يكون خطّيب مريم العذراء والدة ابنهِ وحارساً لهذا هيكل الله المقدّس. وأباً مربّياً ليسوع المسيح الحكمة الأزليَّة* وقد جعل الله أن يكون هذان القرينان أي يوسف ومريم فريدَين في الطهارة والقداسة وكاملَين في جميع الفضائل حتى انَّهُ لا خلق ولن يخلق في العالم نظيرهما وذلك لكي يكونا لائقَين لخدمة ابنهِ الوحيد* وقد أراد الله أن يكون مار يوسف خطّيباً لمريم العذراء والدة ابنهِ لكي يخفي عن الناس سرَّ الفداء ويصون مريم العذراء من النميمة والافتراء بما انَّ حبلها لم يكن من زرع رجل* ثمَّ إنَّ مريم انت نظير يوسف في شرف أصلها لأنَّها من نسل الآباء والملوك من ذرّيَّة داود حسبما وعد الله لداود بأنَّ المسيح يأْتي من

نسلهِ* قد جعل الله يوسف ومريم الشريفَي الأصل فقيرَين حتى يعلّمنا أن لا نحتقر الفقر ونحتسبهُ شيئاً رديّاً كما يخالهُ العالم ولكي يبيّن أَنَّ مار يوسف لم يستحيِ من الفقر ولم يكن يفتّش على واسطة بها يصير غنيّاً وكذلك مريم*

ويوجد مقابلة بين مار يوسف البتول وبين يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم: فكما أنَّ يوسف بن يعقوب الذي باعتهُ أخوتهُ للاسماعيليّين رفعهُ الله في مصر إلى أعلى المراتب وصار يوزّع بفطنتهِ على البشر القمح في مدّة المجاعة التي حدثت في مصر. هكذا أيضاً مار يوسف خطّيب مريم رفعهُ الله إلى منزلةٍ عظيمة واستودع عندهُ يسوع المسيح الخبز السمويّ الذي هو قوت البشر وخلاصهم وحياتهم* وكما أنَّ يوسف بن يعقوب كان طاهراً عفيفاً حتى انَّهُ خلّف رداءَهُ في يدَي مولاتهِ التي راودتهُ واحبَّ أن يدخل السجن من أن يخون الاههُ. هكذا أيضاً يوسف خطّيب مريم كان عفيفاً وبتولاً روحاً وجسداً حتى انَّهُ عاش بطهارة ملاكيَّة مع مريم العذراء التي كانت أشرف نساء العالمين واجملهنَّ. ولم يعرفها لا قبل الولادة ولا بعدها*

ثمَّ إِنَّ الإنجيل يسمّي مار يوسف بارّاً يعني أَنَّهُ كان حاوياً جميع الفضائل لأنَّ اسم يوسف معناهُ كثرة وزيادة ونمو. فمن يقدر أن يفهم ويصف المواهب الإلهيّة والفضائل العجيبة التي زيَّن بها الله هذا القدّيس العظيم الذي جعلهُ أهلاً لأن يكون مربيّاً لابنهِ الوحيد وحارساً لمن حملت كلمة الله في حشاها التي تفوق طهارةً على جميع العذارى

وتسمو ضياءً وبهاءً على الشمس والقمر وجميع النجوم*

وبعد خطبة مريم ليوسف أرسل الله جبرائيل الملاك إلى هذه البتول النقيَّة المحبول بها بلا خطيَّة ليأْتيها بالبشرة السمويَّة فحيَّاها بالسلام وبشَّرها بأنَّ ابن الله الذي تنتظرهُ الشعوب مزمعاً أن يتّخذ في حشاها جسداً ويولد منها وتكون هي والدة للإله المتأَنّس فادي البشر. فتعجَّبت من كلامهِ وقالت لهُ كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلاً. فقال لها الملاك: الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوَّة العليّ تظلّلكِ فلذلك أيضاً القدّوس المولود منكِ يدعى ابن الله. فقالت مريم هأَنذا أمةٌ للربّ فليكن لي كقولك* ثمَّ انّها لتواضعها كتمت هذا السرّ ولم تُعلِم بهِ أحداً حتى ولا يوسف أيضاً. فلمَّا أحسَّ مار يوسف بمريم حبلى وانَّ حبَلها ليس منهُ عزم أن يخلّيها سرّاً ولا يشهرها وبما أنَّهُ كان بارّاً حسب قول الإنجيل فكان سليم القلب ورحوماً وفهيماً وفطِناً وممتلئاً من جميع مواهب الروح القدس. وكان يعلّمهُ البرّ والفطنة وسائر الفضائل الموجودة فيهِ أن لا يشهر أمر مريم الحُبلَى* وقد فسَّر علماء كثيرون في الكنيسة أنَّ يوسف كان بارّاً يعني متواضعاً مثلما جاءَ في الإنجيل حينما قال يسوع ليوحنَّا المعمذان. اسمح الآن لأَنَّهُ هكذا يجب أن نكمّل كلّ برّ فقد استُعملت هنا لفظة برّ بمعنى تواضع فانَّ يوسف بهذا التواضع عرف شرف مريم العذراء الطوباويَّة والسرّ السامي الذي فعلهُ الله فيها بحسب نفسهُ غير مستحقّ لأن يرافقها ويخدمها ولذلك عزم أن يخلّيها سرّاً* وفيما هو مفتكر في هذا ظهر

لهُ ملاك الربّ واعلمهُ بأنَّ مريم حبلى من روح القدس وامرهُ أن يأخذها فعند ذلك شملهُ فرح عظيم واحتسب نفسهُ أسعد البشر لسكناهُ مع مريم والدة الله ولخدمتهِ من تخدمها الملائكة* وبعد ذلك التزم يوسف أن يصعد من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهوديَّة إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونهِ من بيت داود وعشيرتهِ ليكتَتَب مع مريم لأنَّها كانت هي أيضاً من ذرّيَّة داود وذلك طاعةً لأمر أوغسطس قيصر الذي أمر بأن تُكتَتَب كلّ المسكونة. فلمّا وصلا إلى بيت لحم لم يقدرا أن يحصلا على مقام ليأتويا فيهِ فالتزما أن يحتميا في اسطبل دنيّ ما بين البهائِم* ولمّأ انتصف الليل حانت الساعة السعيدة التي فيها أشرقت الأنوار السمويَّة على العالم فولدت مريم يسوع كلمة الله مخلّص العالم وعاين يوسف من انتظرتهُ الشعوب مدّة أربعة آلاف سنة وصار هو ومريم أوّل الساجدين لله المتجسّد* وبعد ذلك بثمانية أيَّام خُتِن الصبي وأعطاهُ يوسف ذلك الاسم المجيد الذي أعطاهُ إيَّاهُ الملاك قبل أن حُبل بهِ في البطن الذي يعلو شرفاً على كلّ اسم والذي تجثو لهُ كلّ ركبة ممَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض وهو يسوع الذي معناهُ المخلّص* وبعد ولادة هذا الطفل الإلهيّ بأربعين يوماً أخذهُ يوسف ومريم وصعدا بهِ إلى أورشليم ليقدّماهُ للربّ حسب شريعة موسى. ولكي يقدّما ذبيحةَ كما قيل في ناموس الربّ زوج يمام أو فرخَي حمام. ولمّا أُكمل كلّ شيء رجعا بالصبيّ يسوع إلى الجليل إلى مدينتهما الناصرة* وانّنا لنعاين في

سيرة مار يوسف تدقّقه في تكميل ناموس الربّ ونشاهد أيضاً إيمانهُ وطاعتهُ في كلّ ما كان يأمرهُ بهِ الملاك حينما كان يظهر لهُ. من ذلك أنَّهُ ظهر لهُ الملاك وأمرهُ أن يقوم ويأْخذ يسوع ومريم وينطلق بهما إلى مصر ويبقى هناك حتى يقول لهُ لأنَّ هيرودس مزمع أن يطلب الصبيّ ليهلكهُ. فقام يوسف وأخذ الصبيّ وأمَّهُ ليلاً وانصرف إلى مصر وسكن هناك زماناً طويلاً بين أولئك الوثنيّين سكَّان تلك البلاد واحتمل هناك مشقَّات كثيرة بالفقر والأتعاب وأحزان القلب. وكان هناك يشتغل بعمل يديهِ ويقيت خالق العالم وسلطانة السماء والأرض. وبعد ذلك رجع بيسوع ومريم إلى أرض إسرائيل طاعةً للملاك الذي ظهر لهُ وأمرهُ بالرجوع وسكن في الناصرة معهما. وكانوا كلّ سنة ينطلقون إلى أورشليم في عيد الفصح* ولمّا صار عمر يسوع اثنتي عشرة سنةً صعد بهِ يوسف ومريم إلى أورشليم كعادة العيد وعند رجوعهما تخلّف عنهما يسوع في أورشليم وهما لا يعلمان بهِ ففتّشا عليهِ باجتهادٍ ولمّا لم يجداهُ رجعا إلى أورشليم يطلبانهِ وبعد ثلاثة أيَّام وجداهُ في الهيكل جالساً في وسط المعلّمين يسمعهم ويسأَلهم فاستبشرا بوجدانهِ ورجعا بهِ إلى الناصرة. وكان يوسف يخدم يسوع ومريم ويكمّل وظيفة الأبوّة الممجَّدة التي قلّدهُ إيَّاها الآب السمويّ* قال أحد العلماء المشهورين: يا للشرف السامي الغير الموصوف الذي حازهُ مار يوسف العظيم لأنَّهُ ذاق أعظم سعادة أمكن وجودها في الأرض وهي أنَّ والدة الله وسلطانة السماء كانت تدعوهُ مولاها وأن

الله خالق البشر يدعوهُ أباهُ ويخضع لهُ خضوعاً تامّاً كخضوعهِ لأبيهِ. وان كان الرسل صاروا سعيدين لأنَّهم عاشوا مع يسوع ونظروهُ وسمعوا أقوالهُ مدّة ثلاث سنين فقط فكم بالحري صار أسعد منهم مار يوسف الذي على ما يُظنّ أنَّهُ مدّة ثلاثين سنة لم ينظر ويسمع أقوال يسوع فقط بل انَّهُ أيضاً حملهُ على ذراعيهِ وضمّهُ إلى صدرهِ وعانقهُ وربّاهُ ودبّرهُ وعاش معهُ يسيرة مخفيَّة عند الله حتى موتهِ فلذلك يليق لهُ الاكرام والاجلال أزيد من جميع القدّيسين بعد مريم العذراء والدة الله الطوباويَّة* ثمَّ انَّنا نرى شيئاً عجيباً في مار يوسف وهو انَّهُ بين جميع هذه الاختصاصات التي زيَّنهُ الله بها حفظ تواضعاً لا مزيد عليهِ فانَّهُ كان يحتسب نفسهُ الأخير في الناس وكان يكتم فيهِ المزايا والنعم العظيمة التي وشّحهُ الله بها*

وامَّا موتهُ فعلى ما يُظنّ انَّهُ كان قبل آلام ربّنا يسوع المسيح ونستدلّ على ذلك بأنَّهُ لو لم يمت قبل الآلام لما استودع يسوع إذ كان على الصليب أمّهُ ليوحنَّا الرسول بل ليوسف* وقيل انَّهُ مات قبلما ابتدأَ يسوع المسيح بحياتهِ المشتهرة وقبلما صنع الأعجوبة الأولى في قانا الجليل لأنَّ الإنجيل يخبرنا انّ مريم ويسوع وتلاميذهُ كانوا مدعوّين في عرس قانا ولم يقل شيئاً عن يوسف. فمن ثمَّ لا نشكّ في أنَّهُ مات بين أيدي يسوع ومريم وحاز المجد والسعادة بحياتهِ وموتهِ في مرافقتهما. فلذلك اختارتهُ الكنيسة ليكون شفيع الموتة الصالحة* وأمَّا جسدهُ فدُفن في وادي يهوشافاط بقرب قبر مريم العذراء بين جبل

صهيون وجبل الزيتون*

بالحقيقة إِنَّ هذا الاب القدّيس هو أعظم القدّيسين شرفاً بعد مريم العذراء لأَنَّهُ ازدان بجميع الفضائل في أقصى درجة فكان لهُ إيمان عظيمٌ ورجاء وطيد ومحبَّة مضطرمة وبتوليَّة ملاكيَّة وطهارة سمويَّة وتواضع عميق وطاعة كاملة وبساطة عجيبة وفطنة سامية وقوّة عظيمة وثبات مكين وصبر جميل وحلم فائق واحتراس مدقَّق. وصمت كامل حتَّى انّنا لا نجد في الإنجيل كلّهِ كلمة لفظها مار يوسف. وكان غائصاً في التأَمُّل في الوديعة الإلهيّة التي استودعها عندهُ الله لأَنَّ الآب اصطفاهُ أن يكون في مقامهِ إذ أقامهُ أباً لابنهِ بالتربية. والابن انتخبهُ أن يكون رفيقاً ومحامياً ومدبّراً لهُ وكان يُطيعهُ ويخدمهُ. وروح القدس اختارهُ أن يكون خطّيباً لعروسهِ مريم العذراء. فلأجل هذا استحقَّ أن ينال في السماء مكاناً عالياً. فَمِن ثمَّ يليق لهُ الاكرام والاحترام من جميع المؤمنين* وقد رأَينا في التواريخ الكنسيَّة أَنَّ كلّ من استشفعهُ نال وطرهُ ومن جملتهم كانت القدّيسة تريزه التي كتبت عنهُ قائلة: انّي قد اخترتُ مار يوسف شفيعاً لي وقد اختبرتُ شفاعتهُ إذ انّني لم أطلب شيئاً من الله بِشفاعتهِ الاَّ ونلتهُ. ولم اسمع من أحدٍ أستشفعهُ وخاب* وقد صنَّف قدّيسون ومعلّمون كثيرون كتباً عديدةً تحكي بالتفصيل عن فضائل مار يوسف العظيم ومناقبهِ السامية*

* اليوم العشرون *

مار يواقيم أبي مريم العذراء والدة الله

إِنَّ مار يواقيم كان عبرانيّاً جنساً من سبط يهوذا من ذرّيَّة داود الملك والنبيّ وُلِد في إحدى قرى الجليل وربَّاهُ والداهُ في سبيل التقوى فاضحى فضيلاً متدقّقاً في حفظ ناموس الله. ولمّا بلغ أَشُدَّهُ وحانت ساعة زيجتهِ خطب لهُ من قبيلتهِ فتاةً ذات مكارم حميدة اسمها حنّه وكانت من نسل كهنوتيّ قرابةً ومن ذرّية داود نسبةً غير أنَّ يواقيم كان من نسل سليمان بن داود وحنَّه كانت من نسل ناثان بن داود. وكانت ساكنة في بيت لحم* وكانا يقضيان أيَّامهما ولياليهما في الصلوة والصوم وأعمال الرحمة. واستمرَّا عشرين سنة في رباط الزيجة ولم يرزقهما الله ولداً وكانا مقطوعَي الرجاء لأنَّ حنَّه كانت عاقراً حسب قول مار غريغوريوس نيصص. فكانا لذلك يبكيان ويتوسّلان إليهِ تعالى أن يرفع العار عنهما لأنَّ العقرة في ذلك الزمان كانت عاراً عند الناس. وأوعداهُ تعالى بأَنَّهُ إذا رزقهما ولداً فيخصّصاهُ لخدمتهِ. ثمَّ انطلقت حنَّه إلى الهيكل اقتداءً بامّ صموئيل لتستعطف الرحمن لعلّهُ يرزقهما ولداً بهِ يذود عنها العار وجعلت تتوسّل إليهِ بدموع منسجمة أن لا يخيّب رجاءَها. فما خرجت من الهيكل الاّ وقد جلبت عليها المراحم الإلهيّة واستبشرت باستجابة طلتبها

وذلك فانَّ الله أرسل ملاكاً إلى يواقيم يبشّرهُ بأنَّهُ سيولد لهُ ابنة مباركة ويُدعى اسمها مريم وتمتلئ نعمة. ففرح يواقيم وحنَّه بهذه البُشرى وشكرا الله على أنَّهُ لم يخيّب رجاءَهما وحبلت حنّه بمريم العذراء المزمعة أن تكون هيكلاً لله وكان حبلها بريئاً من دنس الخطيَّة الأصليَّة* وبعد تسعة أشهر وُلدت تلك الزنبقة الطاهرة نجمة الصبح الساطعة التي بشَّرت ببزوغ شمس البرارة يسوع المسيح فادي العالم. وكان ميلادها في اليوم الثامن من شهر ايلول في بيتٍ كان ليواقيم على جبل قريب من تلك القُرى* وبعد تسعة أيَّام دعا القدّيسان يواقيم وحنَّه بكرهما بذلك الاسم الشريف الذي دعاها بهِ الملاك وهو مريم الذي تأويلهُ المرتفعة المتعالية* وفي اليوم الرابع والعشرين انطلقت حنّه إلى أورشليم وقدّمت ابنتها في الهيكل حسب وصيَّة الناموس* ولمّا صار عمر مريم ثلاث سنين أتى بها أبواها إلى أورشليم ليوفيا النذر الذي نذراهُ لله قبل ميلادها وهو أن يخصّصاها لخدمتهِ. فوهباها لهُ تعالى في الهيكل على أيدي الكهنة ورجعا إلى الناصرة وعاشا ما بقي من حياتهما في القداسة. ولم يُرزَقا ولداً غير مريم حتَّى ماتا* ولقد يدعو الإنجيل مريم امرأَة كلاوبا أخت مريم أمّ يسوع ولكنّها لم تكن بالحقيقة أختها بل كانت ابنة خالتها لأنَّ اليهود كانوا معتادين في ذلك الزمان أن يسمّوا أولاد الخالات أخوة*

* اليوم الحادي والعشرون*

مار مبارك أبي رهبان الغرب

خبَّرنا البابا مار غريغوريوس الكبير الحبر المجيد ومعلّم الكنيسة عن مار مبارك قائلاً: إِنَّ هذا القدّيس كان من إِطاليا وُلِد في مدينة نورسيا من أبوَين حسيبَين وتقيّين. ومنذ صغرهِ انصبَّ على الفضيلة والاحتشام وكان وهو صغير السنّ يبان كاملاً* وكان قلبهُ مجرّداً من الأشياء الأرضيَّة ومرتفعاً دائماً إلى الأشياء السمويَّة* وبعثهُ أبواهُ إلى روميَّة ليدرس العلوم هناك. فلمَّا رأَى مبارك جُلّ رفاقهِ في المدرسة متولّعين في الملاهي والشهوات ومفسودي السيرة خاف أن تسري إليهِ رذائلهم ويعدي عليهِ فسادهم وأحبَّ أن يخسر العلم ممَّا يخسر الله وأن يكون بسيطاً فضيلاً ممَّا يكون عالماً رذيلاً فخرج من المدرسة وترك أهلهُ وأصدقاءَهُ ولذّات هذه الحيوة وانطلق يفتّش على طريق أمينة ليسلك فيها ويستسير سيرة كاملة مرضيَّة لله. وعند خروجهِ من روميَّة تبعتهُ مربّيةٌ لهُ كانت تحبّهُ ولمّا دخلا قريةً في الطريق استعارت مربّيتهُ من سكّانها اناءً من خزف فوقع الاناء من يدها وتكسَّر. فحزن مبارك وجمع الكِسَر وقرنها ببعضها فتصحَّح الاناء باذن الله تعالى. ولمّا رأَى ذلك القرويّون تعجبّوا ومجّدوا قدرة الله في هذا الصبيّ وأخذوا ذلك الاناء وعلّقوهُ في باب كنيستهم ليكون ذكراً

مخلّداً لهذه الكرامة* امّا مبارك الذي كان يحبّ الاحتقار ازيد من الرفعة فترك مربّيتهُ ومضى سرّاً واستتر في برّيّة تبعد عن روميَّة نحو خمسة عشر ميلاً وكان هناك رهبان يخدمون الله بالنسك. فلمّا وصل إليها مبارك صادفهُ راهب منهم اسمهُ رومانُس وإذ شاهد هذا الراهب هيئة مبارك وما هو عليهِ من سمة النعمة سأَلهُ من أين هو وإلى أين منطلق وما غايتهُ. فاخبرهُ مبارك بنيّتهِ وانَّهُ يريد أن يخدم الله في هذه الأرض سرّاً من دون أن يعلم بهِ أحد. فشمَّر رومانُس لمساعدتهِ والبسهُ ثياباً رهبانيّةً واسكنهُ مغارةً ضيّقة وكتم أمرهُ. وكان يزورهُ أحياناً ويأْتيهِ بخبز* وبعد ما سكن مار مبارك تلك المغارة ثلاث سنين لا يعلم بهِ إلاّ الله ورومانس فقط لم يشأْ ربّنا يسوع المسيح أن يترك هذا السراج موضوعاً تحت المكيال بل أراد أن يضعهُ على منارة ليضيء لكثيرين ولذلك ظهر لأحد الكهنة الصّالحين ليلة عيد القيامة ودلّهُ على مغارة مبارك وأمرهُ أن ينطلق إليهِ بطعام فانطلق الكاهن إليهِ وواصلهُ* ورآهُ بعد ذلك رعاة. وكان ينتشر خبرهُ رويداً رويداً. وتسامع الناس بقداسة سيرتهِ فكانوا يأْتون إليهِ ويقدّمون لهُ القوت الضروريّ ويرتشدون منهُ* فلمّا رأَى الشيطان نسكهُ وانّهُ لا يزال يتقدّم في سلك الكمال أخذ ينصب لهُ اشراكاً ليصيدهُ. فإذ كان يوماً مبارك وحدهُ في المغارة تزيَّى الشيطان بزيّ طير أسود وأتى يرفرف حواليهِ فعرفهُ القدّيس فرسم علامة الصليب ففرّ الطير الجهنميّ الاّ انهُ لم ينفكّ من تجربتهِ بل شرع يصوّر في فكرهِ

مناظر غير لائقة ويضرم في قلبهِ نيران الشهوة. فمن قوّة التجربة أوشك أن يُغلب وعزم أن يترك خلوتهُ ويذهب منقاداً لشهوتهِ الدنسة. ولكنّهُ انتبهَ أخيراً على ضعفهِ والخطر الذي حصل فيهِ فاستغاث بيسوع المسيح فلم يتركهُ الربّ بل أعطاهُ روح القوّة وجعلهُ أن يظفر بالتجربة وذلك فانَّهُ خلع ثيابهُ واضّجع على شوك وما زال يتقلّب عليهِ ظهراً لبطنٍ حتَّى تخرّق جسمهُ وسال دمهُ من كلّ جوارحهِ وحينئذٍ انطفأَت نار التجربة*

وكان في تلك البراري دير قد توفّي رئيسهُ وأراد الرهبان أن ينتخبوا عوضهُ فجاؤا إلى مار مبارك وطلبوا إليهِ أن يكون رئيساً عليهم فأبى معتذراً وقال لهم انَّ أخلاقي وأخلاقكم لا تتّفق معاً. فاوعدوهُ بأن يطيعوهُ في كلّ ما يأمرهم بهِ. فللجاجتهم قبل تلك الوظيفة وباشر تدبيرهم بغيرة مضطرمة وكان لهم مرآةً في جميع الفضائل. وكان يحرّكهم بمثَلهِ على حبّ الخلوة والهرب من الكسل وحفظ الصمت والرغبة في الشغل والصوم والسهر والصلوة والتقشُّف والتأَمُّل المتّصل والمحبَّة الأخويَّة وحبّ الفقراء وكلّ ما يجب عملهُ على الأنام الروحيّين. وكان هو بنفسهِ يخدم المرضى ويضيف الغرباء ويحتمل زلاَّت الرهبان بحلم وينبّههم عليها. وكان أحياناً يعاقبهم بصرامة حينما يضطرّهُ الأمر* أمَّا الرهبان الذين كانت عيونهم المظلمة لا تقدر أن تنظر إلى ضيائهِ وطبيعتهم المفسودة لا تقدر أن تحتمل قوانين هذا أبيهم ورئيسهم الصالح فجعلوا يتقمقمون عليهِ وندموا على اتّخاذهم ايّاهُ رئيساً وكان أمرهم يعظم شيئاً فشيئاً إلى أن جزموا أن يهلكوهُ ويرتاحوا منهُ ويفلتوا من تلك

العبوديَّة. فأخذوا قعب خمر ووضعوا فيهِ سمّاً ناقعاً وقدّموهُ لهُ ليشرب فلمّا أخذهُ القدّيس رسم عليهِ إشارة الصليب حسبما كانت عادتهُ قبل أن يشرب. فكانت علامة الصليب مثل حجر ضرب ذلك القدح فسقط من يدهِ على الحضيض وانكسر وانسكب ما فيهِ من الخمر والسمّ. فعلم سوءَ عملهم فقال لهم: غفر الله لكم يا أخوتي على ما أردتم أن تعملوهُ معي. أَلَم أَقُل لكم إِنَّ أخلاقكم لا تتّفق مع أخلاقي وأنا وايّاكم لسنا واحداً. فالتمسوا لكم أباً غيري ليرعاكم لأني ما عدتُ أقدر أن أعيش معكم. فتركهم ورجع إلى مغارتهِ وكان هناك يسير سيرة ملاكيَّة* وأرسل لهُ الله هناك تلامذة وكانوا يزدادون شيئاً فشيئاً. وعوض ذلك الدير وأولئك الرهبان الذين تركهم جعلهُ ربّنا يسوع المسيح أن يشيّد اثنَي عشر ديراً وملأَها برهبان قدّيسين. وكان هذا الاب القدّيس يزورهم ويدبّرهم ويهديهم إلى الكمال الرهبانيّ. وكان بين الأديرة التي شيّدها ثلاثة مبنيَّة على جبل قاحل يابس لا ماء فيهِ وكان الرهبان ينطلقون ويتناولون الماء من وادٍ بمشقّة عظيمة. فطلبوا يوماً من أبيهم مبارك أن ينقلهم إلى مكان آخر فيهِ ماء. فصلّى القدّيس وأَمرهم أن يحفروا في مكان أشار بهِ إليهم فلمّا حفروا قليلاً نبع لهم ماء صافٍ غزير وصاروا يشربون من ذلك الينبوع* وكان أغنياء كثيرون يأْتونهُ بأولادهم ليعلّمهم خوف الله فكان يقتبلهم حبّاً لله ولخير الجمهور. وكانت تلك البراري تشبه فردوساً مشحوناً بملائكة أرضيّين*

وكان قريباً من دير مار مبارك كنيسة فيها كاهن مفسودٌ باطنهُ

فحسد مار مبارك على فضيلتهِ فأخذ ينمّ بهِ ويقول عنهُ انَّهُ مراءٍ يوجد تحت ثيابهِ الرهبانيَّة من المواربة والخبث ما لا نظير لهما ولكنَّ هذا الافتراء لم يلحق بالقدّيس ضُرّاً لأنَّ نور قداستهِ الساطعة كان يزحزح تلك الظلمات. فلمَّا رأَى الكاهن أنَّ صيت القدّيس يعلو ويزداد يوماً فيوماً وانَّهُ لم يصبهُ شيءٌ من مكائدهِ جزم أن يهلكهُ فأرسل لهُ خبزاً مسموماً. فعرفهُ القدّيس بالهام إلهيّ ولم يأكلهُ* وكان غرابٌ يأتي كلّ يومٍ إلى الدير ويأْخذ قوتهُ من يد مار مبارك فلمّا أَتى في ذلك اليوم كجاري عادتهِ قدّم لهُ مار مبارك ذلك الخبز المسموم وأَمرهُ أن يأْخذهُ بمنقارهِ وينطلق بهِ إلى قفر بعيد لا تطأُهُ أرجل بشريَّة ويطرحهُ هناك. فتقدّم الغراب إلى الخبز وجعل يرفرف حولهُ ويقترب إليهِ ثمَّ يبتعد عنهُ مظهراً أنَّهُ لا يريد أن يلمسهُ. فقال لهُ القدّيس انّي لم أُوْمرك بأكلهِ بل أريد أن تأخذهُ وتطرحهُ بعيداً فلا خطر في ذلك. فحينئذٍ حملهُ الغراب وطار بهِ وطرحهُ بعيداً ورجع فتناول قوتهُ من يد مار مبارك* أمَّا الله فلم يترك شرّ ذلك الكاهن بلا قصاص بل عاقبهُ عقاباً صارماً وهو انَّهُ بينما كان جالساً في بيتهِ إذ هبط عليهِ البيت ومات شرَّ موتةٍ تحت الردم. ولمّا سمع مار مبارك بما حلّ بهذا التعيس من الغضب الإلهيّ حزن على أنَّهُ أهان الله وخسر نفسهُ*

وكان في جبل كَسّين هيكل لصنم يعبدهُ الوثنيّون فانطلق مار مبارك إلى ذلك الجبل وهدى أولئك الوثنيّين إلى معرفة الالاه الحقّ بإنذارهِ إيَّاهم بكلام الله ودكَّ هيكلهم وصنمهم وشيَّد لهم كنيسةً في مكان

الهيكل* فلمَّا رأَى الشيطان ما عمل بهِ مار مبارك لم يقدر أن يكظم غيظهُ عليهِ فعزم أن ينتقم منهُ فتزيَّى بصورة مرعبة وعرض لهُ زائراً كالأسد وقادحاً ناراً من عينيهِ وقاذفاً زفرات الغضب من فيهِ وناداهُ قائلاً لهُ: مبارك مبارك فلم يجبهُ القدّيس بشيءٍ فقال لهُ الشيطان ملعون ملعون لماذا تضطهدني. فلم يجبهُ القدّيس بشيءٍ بل طردهُ* ويوماً آخر أراد الرهبان أن يرفعوا حجراً ليضعوهُ في البناء فوقف عليهِ الشيطان. فاجتمع كثيرون وهمّوا أن يزعزعوهُ فلم يقدروا فجاؤا واعلموا القدّيس بذلك. فصلّى ورسم إشارة الصليب على الحجر فرفعوهُ بسهولة* وأمر مار مبارك يوماً رهبانهُ أن يبنوا حائطاً. وبينما هو يصلّي في قلاَّيتهِ رأَى شيطاناً مقبلاً إليهِ وعليهِ لائحة امارات الغضب فصاح على رهبانهِ الذين يشتغلون في البناء قائلاً: حَذارِ حَذارِ. فحالما سمعوا صوتهُ اهبط الشيطان عليهم الحائط فقُتل تحت ردمهِ راهب فاخرجوهُ ميّتاً ومرضوضاً جسمهُ فحملوهُ إلى أبيهم مار مبارك فأخذهُ ووضعهُ في الكنيسة وشرع يصلّي إلى الله طالباً إليهِ أن يحييهُ فاحياهُ الله فقام الراهب يمجّدهُ تعالى. وأرسلهُ القدّيس ساعتئذٍ إلى أخوتهِ ليشتغل معهم في بناء الحائط الذي هدمهُ الشيطان. وهكذا اختزى هذا العدوّ الملعون*

ومن جملة الاختصاصات التي اختصّ بها الله مار مبارك كانت روح النبوّة ومعرفة خفايا القلوب فمن ذلك انَّ الرهبان حزنوا يوماً على أنَّ الخبز عازهم. فقال لهم مار مبارك: لا تقلقوا فيكون لكم في الغد

خبز وافر. فلمّا كان في الغداة وجدوا في مدخل الدير مايتي مدٍّ قمحاً فأخذوهُ ولم يعلموا من أين* وإذ كان القدّيس يتعشَّى يوماً وامامهُ راهبٌ شريف الأصل واقفاً وماسكاً بيدهِ شمعةً يضيء لهُ بها. فكّر الراهب في نفسهِ قائلاً: أمام مَن أنا واقف ولمن أُضيءُ هل جئتُ إلى الرهبنة لكي أخدم. فعرف القدّيس فكرهُ وقال لهُ بصوتٍ عالٍ: أيُّها الأخ ارسم على قلبك علامة الصليب في مَ تفتكر وما الذي تقولهُ في نفسك اعمل علامة الصليب وامرهُ أن يطرح الشمعة من يدهِ ويجلس* فلمَّا رأَى الرهبان ذلك سأَلوهُ عن فكرهِ فاصدَقهم واعترف لهم بضعفهِ وتكبّرهِ* ويوماً آخر جرَّب الشيطان أحد الرهبان ولشدّة التجربة عمد الراهب في قلبهِ أن يهجر الرهبنة. فعلم مار مبارك نيّتهُ فدعاهُ ونصحهُ فلم ينتصح لأنَّ التجربة تغلّبت عليهِ فتركهُ. ولمّا وصل الراهب إلى باب الدير ليخرج رأَى أمامهُ تنّيناً عظيماً قاصداً ابتلاعهُ. فعرف عند ذلك الراهب سقطتهُ ورجع مسرعاً واستغفر أباهُ مبارك فصلّى القدّيس عليهِ فزالت عنهُ تجربتهُ واستمرَّ ثابتاً في الرهبنة حتَّى يوم موتهِ* وذات يوم أرسل رجل إلى مبارك قارورتين خمراً. فاخفى الصبيّ الذي كان حاملهما واحدةً منهما في الطريق وأتاهُ بواحدة. فأخذها القدّيس وشكرهُ وقال لهُ: احذر يا ابني أن تشرب من خمر القارورة التي أخفيتها في الطريق بل انظر ما يوجد فيها أوّلاً ثمَّ اشرب لئلاَّ يصيبك من ذلك ضُرٌّ. فخجل الصبيُّ من كلامهِ ورجع وأخذ القارورة فرأَى حيَّةً خارجةً منها فعرف سوءَ عملهِ وانَّهُ

لا يجوز لأحد أن يغشّ خدّام الله ولا أن يختلس من الصدقات التي تُقدّم لهم*

وبعد ما كتب مار مبارك قوانين رهبنتهِ وأودع فيها وصايا جليلة واشتغل كلّ حياتهِ لمجدهِ تعالى ولخير النفوس وجمع تحت لواء قانونهِ جمّاً غفيراً من الرهبان حانت ساعة سفرهِ من هذا العالم فانتقل إلى السعادة الأبديَّة في اليوم الحادي والعشرين من شهر آذار سنة ٥٤٢ ولهُ من العمر سبعون سنة. ودُفن جسدهُ في كنيسة دير جبل كَسّين. وزيّنهُ الله بالكرامات الوافرة التي أجراها بعد موتهِ بشفاعتهِ* وبعد موتهِ بزمان نُقل جسدهُ باكرام عظيم ودُفِن في أحد الأديرة في فرنسا*

* اليوم الثاني والعشرون *

القدّيسة ليَّا الرومانيَّة الأرملة

إنَّ مار ايرونِمُس نور الكنيسة كتب إلى القدّيسة مركلّة امة الربّ الأمينة يعزّيها بموت القدّيسة ليَّا قائلاً: بِمَ امدح سيرة ليَّا القدّيسة التي وهبت نفسها بجملتها ليسوع المسيح وأصبحت قدوةً للراهبات وأمًّا للعذارى. وكانت تقمع جسدها بالتقشُّف وتقضي أيَّامها ولياليها بالصلوة وإرشاد رفيقاتها. وكان تواضعها لا مزيد عليهِ حتَّى أنَّها بعدما

كان لها خدّام كثيرون يخدمونها أمست خادمةً للجميع حتَّى تكون أمةً أمينةً ليسوع المسيح. ولم تكن تلبس الاَّ ثوباً بالياً ولا تأكل إلاَّ الطعام الأدنى. وهكذا بعدما قضت حيوةً كلّها ذات أجر وثواب استحقَّت اليوم ان تتمتَّع بسعادة أبديَّة وأن تُحصى ما بين أجواق الملائكة*

هكذا كتب مار ايرونِمُس في رسالتهِ الرابعة والعشرين. ويقول أيضاً في رسالةٍ أخرى كتبها إلى القدّيسة مركلّة أيضاً. إِنَّ القدّيسة ليَّا بعد ما توفّي زوجها اضحت أرملة ذات تقوى عظيمة وصارت راهبة قدّيسة*

* اليوم الثالث والعشرون *

مار نيكون الشهيد

إِنَّ هذا القدّيس كان من مدينة نابلُس ابن أبٍ وثنيّ وامّ مسيحيَّة. وكان جنديّاً وظيفةً ومسيحيّاً ديانةً إلاَّ أَنَّهُ لم يكن معمّذاً. فذات يوم حرّكت نعمة الله قلبهُ فانطلق إلى جزيرة شيون التي بقرب قسطنطينيَّة وصعد على جبل فيها وأقام فيهِ سبعة أيَّام في الصلوة والصوم والطلبة من الله أن يعلّمهُ الطريق التي يسلك فيها. فظهر لهُ ملاك الربّ وأمرهُ أن يذهب إلى جبل غانة. فلمّا صار إليهِ صادفهُ

هناك راهب وكان أسقفاً فاخذهُ إلى مغارة وعمّدهُ فيها وناولهُ الأسرار الإلهيّة ثمَّ سامهُ قسّاً* وبعد ذلك انطلق نيكون إلى جزيرة صقليه وسكن في أحد جبالها سبع سنين. وكان يعظ وينذر الوثنيّين بايمان المسيح وجذب منهم إلى معرفة الله جمّاً غفيراً فسمع بهِ والي تلك الجزيرة فاحضرهُ وسأَلهُ عن ايمانهِ فاقرَّ معترفاً بأَنَّهُ مسيحيّ. فأمر الوالي أن يُصفَّد ويُعذَّب فعذّبوهُ أوّلاً بالنار ثمَّ ربطوهُ بأذناب الخيل فكنَّ يتجاذبنهُ وراءَهنَّ وهنَّ يتطاردنَ. وبعد ذلك القوهُ من ذروة جبل شاهق على الحضيض. وصان الله حياتهُ في كلّ هذه العذابات الآخر تمَّ استشهادهُ بالرجم*

* اليوم الرابع والعشرون *

مار جبرائيل رئيس الملائكة

قال القدّيسان كليمنتُس الاسكندري وقبريانُس وغيرهما من العلماء القدّيسين أنَّ روساء الملائكة السبعة القائمين أمام العرش الإلهيّ هم: ميخائيل وجبرائيل ورافائيل واورائيل وسالاتائيل ويهودائيل وباراخائيل ولكلّ منهم خدمة خصوصيَّة. أمَّا خدمة جبرائيل الخصوصيَّة فهي التخبير بأعمال الله* ويخبرنا الكتاب المقدّس عن ظهور هذا الملاك أحياناً مُرسَلاً من الله إلى الأرض ليخبر بأعمالهِ فمن ذلك أنَّهُ ظهر لدانيال

النبيّ وحدّد لهُ الزمان الباقي لظهور المسيح في العالم لكي يفديهُ بموتهِ ويعتقهُ من نير الشيطان* وظهر أيضاً جبرائيل زعيم الملائكة إلى زكريَّا الكاهن حينما كان يبخّر لله في الهيكل وبشَّرهُ بولادة ابنهِ مار يوحنا المعمذان وبالفرح العظيم الذي سيصير بولادتهِ وبالنعمة التي يهبها لهُ الروح القدس وبأنَّ يوحنَّا يتقدّس وهو في بطن أمّهِ* وأرسلهُ الله أيضاً إلى مريم العذراء الطوباويَّة ليأْتيها بالبشرى السمويَّة المتضمّنة تجسّد ابن الله في حشاها وولادتهُ منها فسلّم عليها وأعلن لها هذا السرّ الإلهيّ* ثمَّ انّنا نستدلّ على شرف هذا الملاك من الرسالات التي قلّدها الله لهُ وبالخصوص البشارة بتأَنّس ابنهِ الوحيد لأنَّهُ كما أنَّ ملوك الأرض إذا أثروا أن يرسلوا أحداً لتكميل عمل عظيم مهمّ فيختارون أشرف الأشخاص الموجودين في مملكتهم. فلا شكّ أنَّ الله قد اختار واحداً من أشرف الأرواح السمويَّة وأرسلهُ لهذا العمل الذي لا يوجد أعظم منهُ*

وبما أنَّ الملائكة لا يحتاجون إلى أسماء ليُعرَفوا بها لأنَّهم معروفون من ذواتهم فالأسماء التي يلقّبهم بها الكتاب المقدّس ليست إلاّ علامةً لتبيين الرسالة التي أرسلهم الله من أجلها. فمن ذلك أن رئيس الملائكة الذي لم يسقط مع لوسيفورس رئيس الشياطين بل ثبت أميناً وصار الله نصيبهُ اسمهُ ميخائيل أي (مَن مثل الله)* والملاك الذي شفى طوبيا اسمهُ رافائيل أي (طبيب الله). والملاك الذي بشّر مريم العذراء بتجسّد كلمة الله اسمهُ جبرائيل أي (رجل الله) أو (جَبَروت الله) لأنَّهُ أتى يبشّر

بمَن يكون الاهاً وإنساناً معاً ويبيّن جَبَروت الله في طبيعتنا البشريَّة* فلنكن متعبّدين لهذا الملاك العظيم ولنكرمهُ ونستغث بعونهِ لكي بشفاعتهِ ننال ثمرة السرّ الإلهيّ الذي بشَّر بهِ على الأرض*

* اليوم الخامس والعشرون *

بشارة مريم العذراء وتجسّد يسوع المسيح مخلّص العالم ـ لصّ اليمين

بشارة مريم العذراء وتجسّد يسوع المسيح مخلّص العالم

قال لوقا الانجيلي إنَّ الله أرسل جبرائيل الملاك إلى مريم العذراء القدّيسة إذ كانت في الناصرة إحدى مدن الجليل وكانت حينئذٍ مخطوبة لرجل اسمهُ يوسف من بيت داود فلمّا دخل إليها قال لها السلام لكِ يا مريم الممتلئة نعمةً الربّ معكِ مباركة أنتِ في النساء. وبعد أن حيَّاها بهذا السلام بشَّرها بتجسّد ابن الله في حشاها وبأنَّها تكون لهُ أمّاً قائلاً لها: لا تخافي يا مريم لأنَّكِ قد وجدتِ نعمةً عند الله وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمّينهُ يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى ويعطيهِ الربّ الاله كرسي داود أبيهِ ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكهِ نهاية. وفي تلك الساعة حلّ كلمة الله في حشاها واتّخذ من دمها جسداً بنفس ناطقة واتّحد بهِ

اتّحاداً اقنوميّاً* فيا لهُ من سرٍّ عجيب نعاين فيهِ أشياء سامية وذلك أوّلاً مراحم الله ومحبّتهُ الغير المدركة للبشر التي حرّكتهُ على هذا الحلول ثانياً تواضعهُ الغير المحدود الذي استعملهُ بحلولهِ في حشا فتاة وضيعة من جنسنا وباتّخاذهِ طبيعتنا الدنيَّة* ثالثاً نعاين في هذا السرّ أيضاً قداسة مريم العذراء الطوباويّة وطهارتها التي جلبت ابن الله إلى الحلول في حشاها رابعاً نشاهد فيهِ أيضاً مريم العذراء بتولاً وامّاً معاً. فهي بتول لأنَّها استمرَت بتولاً قبل الولادة وفي الولادة وبعد الولادة. وهي امّ لأنَّها ولدت يسوع المسيح بن الله الوحيد* فمن يقدر أن يصف المزايا الفائقة التي خصّ الله بها هذه البتول والامّ المباركة التي ارتفعت إلى مقام لا يقدر أن يصل إليهِ الملائكة والقدّيسون جملةً. بالحقيقة انَّ جميع السن الواصفين تعجز عن ذلك. فلتعطكِ الطوبى جميع الأجيال يا مريم لأنَّ القدير صنع بكِ عظائِم واسمهُ قدّوس. لتكرمكِ أولادكِ ايّتها الامّ المباركة ولترتّل بمدائحكِ جميع عبيدكِ لأنَّكِ والدة الله وسلطانة الملائكة والبشر. لتخزَ جميع أعدائكِ من قدّام وجهكِ وليرتدّ إلى الوراء جميع مبغضيكِ الذين عيونهم عمياء لا تقدر أن تنظر إلى بهاء مجدكِ وجلالكِ. امَّا أنا فانّي اتّخذكِ امّاً لي فاقبليني ما بين أولادكِ المحبوبين ولا ترذليني بل استريني تحت ذيل حمايتكِ فانَّني خصّصتُ ذاتي لخدمتكِ طول حياتي. الا يا مريم توسَّلي على ابنكِ أن يصفح عن زلاّتي اجلالاً لكِ بما أنَّكِ والدتهُ. فانّني منتظر الساعة السعيدة التي فيها اتمتَّع بجمالكِ في السماء واسبّح

معكِ من رفعكِ إلى هذا المقام السامَي إلى أبد الدهور آمين*

إنَّ مريم العذراء رفعت قدر العذارى والمزوّجات والأمّهات وسائر النساء لأنَّها صارت مجداً لهنَّ لأنَّهنَّ قبل ظهور مريم العذراء في العالم كنَّ في كلّ مكان ذليلات مُهانات وأسيرات للرجال فكنَّ في بلاد الهند ذبائح يُحرقنَ في النار. وفي افريقيَّة بهائِم الشغل يحمّلونهنَّ أحمالاً ثقيلة وفي كلّ مكان كنَّ أحقر الخلائق. فكم تكون النساء مديونات لمريم العذراء التي جعلها الله فخراً وشرفاً لجنسهنَّ إذ رفع قدرها وعلاّها على الجميع وجعلها امّاً لهُ وسلطانةً للملائكة لأنَّ الرجل حينما رأَى أنَّ الله نفسهُ اكرم المرأَة لم يعد لهُ سبيل أن يحتقرها بل التزم أن يكرمها هو أيضاً*

إنَّ عيد البشارة هو قديم في الشرق عند جميع الكنائس إذ لا يُعرف الحين الذي تثبَّت فيهِ. وقد أثبتهُ ثانيةً المجمع القسطنطينيّ في سنة ٦٩٢ وهو يقع دائماً في اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار أي قبل عيد ميلاد المخلّص بتسعة أشهر كاملة اليوم الذي فيهِ صار سرّ التجسُّد الإلهيّ حسب التقليد القديم. ففي هذا اليوم ينبغي لكلّ المسيحيّين أن يهنّئوا مريم العذراء على أنَّها انتُخبت فيهِ امَّا لله ووافقت دعوتها السامية*

إنَّ مريم تُسَرّ جدّاً بالسلام الملَكي الذي يحيّيها بهِ المؤْمنون لأنَّهُ يذكّرها الفرح العظيم الذي أحسَّت بهِ حينما بشَّرها الملاك بأنَّها تصير والدةً لله. فمن ثمَّ يجب علينا أن نهدي لها هذا السلام دائماً* وقد

جرت العادة في الكنيسة المقدّسة أن يتلو المؤْمنون اكراماً لمريم العذراء صباحاً وعند الظهر ومساءً هذه الصلوة الوجيزة وهي: ملاك الربّ بشَّر مريم فحبلت من الروح القدس: السلام لكِ الخ* هأَنذا امةٌ للربّ فليكن لي كقولك: السلام لكِ الخ* والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا: السلام لكِ الخ* ويوجد في الكنيسة عبادةٌ أخرى لمريم العذراء تتضمَّن هذا السلام الملاكي أيضاً وهي المسمَّاة بالورديَّة. فهذه الصلوة مؤَلّفة من خمس عشرة مرَّةً ابانا الذي ومابة وخمسين مرَّة السلام لكِ وخمس عشرة مرَّة المجد للاب كلّ مرَّة من ابانا الذي وعشَرةٍ من السلام لكِ مع مرَّة من المجد للآب مخصَّصة لاكرام سرّ من أسرار حياة ربّنا يسوع المسيح أو لسرّ من أسرار حياة سيّدتنا مريم العذراء الطوباويَّة* وقد اختبر من صلّى هذه الصلوة بأمانة مفعول حماية مريم العذراء لهُ. فلندمننَّ إذاً على التعبّد لهذه السلطانة الجليلة القدر ونتّخذها امّاً لنا ونظهر لها جزيل حبّنا واكرامنا لها حتَّى ننال مساعدتها في حياتنا وعند موتنا*

لصّ اليمين

إنَّ هذا القدّيس كان اسمهُ ديسماس وهو الذي صُلب من عن يمين يسوع المسيح مع لصٍّ آخر صُلب عن شمالهِ وكان هذان اللصَّان يجدّفان على المسيح ويقولان: إِنَّهُ بسببهِ عجَّلوا بقتلهما قبل العيد. امَّا لصّ اليمين ديسماس فلمَّا سمع صلاة يسوع المسيح من أجل صالبيهِ

انتهر رفيقهُ قائلاً: أَلاَ تخاف الله وأنت تحت هذا الحكم بعينهِ. أمَّا نحن فبعدلٍ جوزينا لأنَّنا ننال استحقاق ما فعلنا. وامّا هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محلّهِ. ثمَّ قال ليسوع اذكرني يا ربّ متى جئت في ملكوتك. فقال لهُ يسوع الحقّ أقول لك انَّك اليوم تكون معي في الفردوس. ثمَّ انَّهُ مات بعد يسوع المسيح بثلاث ساعات عندما كسروا ساقيهِ. وانحدر إلى اليمبوس حيث انَّ يسوع المسيح قد انحدر قبلهُ ليخلّص الآباء الذين كانوا محبوسين هناك. وقد جعل يسوع المسيح ذلك المكان فردوساً لنزولهِ إليهِ وهكذا اعتمد هذا اللصّ بدمهِ وبموتهِ الذي احتملهُ بروح الايمان والمحبَّة واستحقّ لذلك أن ينال نعمة الخلاص الأبديّ كما أكَّد لهُ يسوع المسيح قائلاً: اليوم تكون معي في الفردوس وذلك لاعترافهِ بلاهوت المسيح في تلك الساعة التي كان فيها مُهمَلاً من الجميع*

* اليوم السادس والعشرون *

مار لودجر أسقف مدينة مُنْسْتر ورسول سكسا من أعمال ألمانيا

إِنَّ هذا القدّيس وُلِدَ في بلاد فريزا ولمّا كبر أرسلهُ أبوهُ إلى مار غريغوريوس تلميذ مار بونيفاسيوس وخليفتهِ في تدبير كنيسة أو تركتا ليتتلمذ لهُ فقبلهُ مار غريغوريوس في ديرهِ واجتهد في تربيتهِ وكان

يتعجَّب من فضائلهِ وسرعة تعلّمهِ ورسمهُ شمَّاساً. ثمَّ انطلق لودجر إلى انكلترّه باذن مار غريغوريوس مدبّرهِ ليتكمَّل في العلوم وبقي هناك مدّة أربع سنين ونصف يدرس عند أحد المعلّمين الماهرين ثمَّ رجع إلى اوتركتا* وفي غضون ذلك مات مار غريغوريوس وخَلفهُ أسقف يدعى البريكُس فهذا رسم لودجر كاهناً وقلّدهُ وظيفة الوعظ بالإنجيل في بلاد فريزا فنجح القدّيس بوعظهِ وربح لايمان المسيح جمّاً غفيراً من الغير المؤْمنين وشيَّد أديرة عديدة وبنى كنائس كثيرة في تلك النواحي* وبعد ذلك ألزمهُ فساد السكسونيّين في بلاد فريزا ان يقطع أعمالهُ الرسليَّة ويترك تلك البلاد. فذهب إلى روميَّة وأخبر البابا ادريانس الثاني بذلك ثمَّ انطلق فسكن في دير جبل كَسِّين ومكث فيهِ ما ينيف على ثلاث سنين. ومارس هناك كلّ صنف من التقشُّف* وفي ذلك الزمان حارب كارلُس الكبير ملك فرنسا السكسونيين وغلبهم وافتتح بلاد فريزا. فرجع لودجر إليها وأخذ يبشّر بالإنجيل عند السكسونيّين وهدى منهم عدداً وافراً وعمل نظير ذلك في بلاد أخرى* وكان الملك كارلُس يحبّهُ جدّاً. وبعد ذلك سامهُ أسقف كُلونيا أسقفاً على مدينة مُنسْتر. وكان هذا القدّيس يفسّر كلّ يومٍ الكتاب المقدّس لتلاميذهِ. ويقشّف جسدهُ بالصوم والسهر ويلبس المسح ويعمل أنواعاً أخرى من التقشُّف. وكان حليماً وديعاً نحو الفقراء وقاسياً شديداً على الأغنياء المفتخرين بثروتهم وعلى الخطاة المصرّين على خطاياهم* فلمّا رأَى الشيطان حسن سيرتهِ حرَّك أناساً على أن

يشوا بهِ عند الملك ظلماً فارسل كارلُس الملك يدعوهُ وكان عالماً ببرارتهِ وكان القدّيس حينئذٍ يصلّي فرضهُ فقال للمرسَلين إليهِ. لا آتي إلاّ بعد ما أكون قد فرغتُ من تلاوة فرضي. فانصرفوا عنهُ واخبروا الملك فارسل عليهِ ثانيةً وثالثةً وكان القدّيس يجاوب الرسل بكلامهِ الأوّل. ولبث الملك ينتظرهُ حتّى فرغ من تلاوة فرضهِ وحينئذٍ انطلق ومَثُل أمامهُ فقال لهُ الملك: ما الذي أبطأَك. فأجابهُ أيُّها الملك ظننتُ أنَّك لا تستكره تفضيل الله وتمييزهُ ممَّا سواهُ لأنَّ الإنسان حينما يتخاطب مع الله ينسى كلّ شيءٍ. فاقتنع الملك بهذا الجواب وبرَّرهُ من جميع التهمات وعاقب مضطهديهِ كافّةً* وكان للقدّيس لودجر محبَّة عظيمة للصلوة. ونال من الله موهبة عمل الكرامات والنبوّة. وهكذا قضى أيَّام حياتهِ بالأعمال الصالحة حتّى توفّي وكانت وفاته سنة ٨٠٩*

* اليوم السابع والعشرون *

مار اسحق المعترف ـ مار يوحنا المصري الناسك

مار اسحق المعترف

إنَّهُ شيءٌ أكيد هو أنَّ الله حينما يغضب على مملكة أو مدينة فيرسل إليها سلاطين أو ولاة ظالمين لكي يكونوا كآلة يستعملها العدل

الإلهيّ لعقاب الأشرار ثمَّ انَّهُ شيءٌ أكيد أيضاً انَّهُ تعالى يعاقب أولئك السلاطين أو أولئك الولاة الذين لا يرجعون عن عتوّهم وجورهم. ونرى ذلك في السلطان والَنس الاريوسيّ الذي اضطهد الكنيسة الكاثُليكيَّة اضطهاداً عظيماً. ولقد أراد الله أن ينذرهُ بالعقاب الذي سيحلّ برأسهِ ان لم يعدل عن غيّهِ فاختار لذلك رجلاً من الرهبان الشرقيّين اسمهُ اسحق وكان أميناً في خدمتهِ تعالى والهمهُ أن ينطلق إلى السلطان والَنس ويبسط أمام عينيهِ أعمالهُ الأثيمة وعقاب الله الصارم الذي سيحلّ بهِ ان لم يَتُب* فقام اسحق وانطلق حتّى انتهى إلى السلطان والَنس. وكان حينئذٍ قد جمع عسكراً وافراً ويريد مقاتلة البربر الذين اقتربوا إلى القسطنطينيَّة. فوقف اسحق أمامهُ وقال لهُ: أيُّها السلطان افتح كنائس الكاثُليكيّين التي أغلقتَها فينصرك الله على أعدائك. فاحمقَ السلطان كلام اسحق ولم يجبهُ بشيءٍ استصغاراً لأمرهِ واحتقاراً لشانهِ بل سار بعسكرهِ. فدنا منهُ مار اسحق يوماً آخر وقال لهُ: أيُّها السلطان افتح كنائس الكاثُليكيّين فتظفر في حومة الحرب باعدائك. فلم يلتفت إليهِ أيضاً. فانطلق إليهِ القدّيس ثالثةً وكان السلطان راكباً فدنا من الحصان وقبض على لجامهِ ووبخ الملك على أنَّهُ لم يعبأْ بهِ وبطلبتهِ. فغضب عليهِ والَنس وأمر أن يُطرَح في وهدة كانت هناك وكانت ممتلئة شوكاً وقرطباً. فطُرح حالاً في تلك الوهدة وسار الملك بعسكرهِ. فارسل لهُ الله ثلاثة ملائكة بزيّ رجال لابسين ثياباً بيضاً فاخرجوهُ من تلك الوهدة صحيحاً سالماً وغابوا*

فقام هذا القدّيس ممتلئاً من قوّة الروح الإلهي ولحق الملك حتى دنا منهُ فوقف أمامهُ وقال لهُ: أيُّها السلطان ظننتني أموت في تلك الأشواك ها انَّ ربّي يسوع المسيح خلّصني. فاعلم أنَّ الله قد حرَّك هولاء البربر على محاربتك من أجل أنَّك تضطهد بيعتهُ المقدّسة الكاثُليكيَّة وتحاربها. فان أردت أن تنتصر عليهم مُر أن تنفتح كنائس الكاثليكيّين* فهذه كلمات القدّيس التي كانت تتكرّر مرّات عديدة على مسامع السلطان والَنس لم تقدر أن تنفذ قلبهُ الذي كان أقسى من الصوَّان. فلمَّا رآهُ الملك وانَّهُ لا يخاف بأْسهُ أمر اثنين من قوَّاد جيشهِ أن يحتفظا بهِ حتى يرجع من الحرب فيعاقبهُ. فكان هذا القدّيس مثل ميخا النبي بين يدَي الملك آخاب يقول لهُ: ان رجعت من الحرب ظافراً فتحقّق انَّ الله لم يتكلّم بفمي ولكنَّك ستُغلَب ولا تقدر أن تقف أمام أعدائك وتكرّ القهقرى من قدّام وجههم لا بل ستقع في أيديهم ويحرقونك في المكان الذي تختفي فيهِ* فصحَّت هذه الكلمات النبويَّة إذ انَّ الدائرة وقعت على السلطان والَنس فانقهر وولّى مدبراً واستتر في كُوَيخ. فلحقهُ البربر واضرموا النار في المكان الذي احتمى فيهِ فاحترق حيّاً. فهذه كانت آخِرة السلطان والَنس الشقيَّة الذي لم يرتدع عن عتوّهِ وغيّهِ* أمَّا ذانك القائدان اللذان كانا موكّلين على مار اسحق فعرفا فضلهُ وصدق كلماتهِ فاكرماهُ وبنيا لهُ بيتاً فسكن فيهِ وتبعهُ رهبان كثيرون وسكنوا معهُ وكان هناك مثالاً لجميعهم بسيرتهِ الملاكيَّة. وكان صديقاهُ القائدان يوزّعان فضَّةً

جزيلةً على الفقراء على يدهِ. وكان القدّيس إذا وجد فقيراً ولم يكن لهُ شيءٌ يتصدّق بهِ عليهِ يخلع عباءَتهُ ويهبها لهُ وعلى هذا الأسلوب قضى أيَّام حياتهِ المقدّسة. ولمّا دنت ساعة رحالهِ من هذا العالم دعا رهبانهُ وحضَّضهم على الثبات في خدمة الله ثمَّ استودع روحهُ في يديهِ تعالى ونال أجرهُ في الفردوس السموي وكان ذلك في نحو أواخر القرن الرابع للميلاد*

مار يوحنا المصريّ الناسك

انَّ مار يوحنَّا المصريَّ وُلد في نحو سنة ٣٠٥ من أصل دنيّ وتعلّم في صغرهِ صناعة النجارة. ولمّا بلغ من العمر خمساً وعشرين سنةً هجر العالم وتتلمذ لناسكٍ قديم الأيَّام. فكان معلّمهُ يتعجَّب من اتّضاعهِ وحلمهِ وسداجتهِ. ولكي يعوّدهُ أيضاً على الطاعة أمرهُ بأشياء ليست شيئاً أمام عيون العالم ولكنّها جيّدة للتعوّد على الطاعة. فمن ذلك أنَّهُ أمرهُ بأن يسقي غصناً يابساً مرّتين في اليوم فأطاع يوحنَّا وفعل ذلك مدّة سنة* وبعد ما بقي يوحنا عند معلّمهِ نحو اثنتي عشرة سنة مات هذا الناسك الشيخ فقضى يوحنَّا أربع سنين في أديرة كانت قريبة من هناك* ولمّا صار عمرهُ نحو أربعين سنة مضى فسكن في مغارة على صخرة وسدّ عليهِ بابها وفتح لهُ كوَّةً يتناول منها القوت الضروريّ لعيشتهِ وكان يأْتيهِ بهِ الرحماء. وكان يتخاطب من تلك الكوَّة

مع الذين كانوا يزورونهُ ويرشدهم إلى السُبل الخلاصيَّة* فصار لهُ تلاميذ كثيرون وقد خصَّص خمسة أيَّام للمخاطبة مع الله وذلك من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ويومين للمخاطبة مع الناس أي يومَي السبت والأحد* ولم يكن يتناول الطعام الاَّ مرَّةً واحدة في اليوم وذلك بعد غروب الشمس. وعاش في هذه السيرة إلى أن بلغ من العمر ثمانين سنة* وبنى تلاميذهُ بجانب مغارتهِ بيتاً لمأْوى الغرباء* وزيَّن الله مار يوحنَّا بموهبة النبوّة ومعرفة الضمائر فحينما كان يتخاطب مع زائريهِ كان يكشف لهم خطاياهم ويحثّهم على التوبة. وأُعطي أيضاً موهبة الكرامات فكان يشفي جميع الأسقام بزيتٍ كان قد باركهُ. فذاع اسمهُ في كلّ تلك الأمصار* وبعث إليهِ يوماً السلطان تاودوسيوس الأوَّل يسأَلهُ هل ينجح في حرب يريد أن يفتحها مع مكسيمُس الظالم. فأجابهُ مار يوحنا بأنَّهُ سيكون ظافراً بعدوّهِ. فلم يشكّ السلطان بكلامهِ وتوجَّه إلى الغرب بعسكرهِ واقتتل مع مكسيمُس وقهرهُ دفعتين وفي الآخر قطع رأْسهُ ورجع مظفَّراً إلى قسطنطينيَّة* ويوماً آخر أراد هذا الملك أن يحارب أوجين الذي استولى على بلاد الغرب فبعث رسولاً إلى مار يوحنا يطلب إليهِ أن يقدم إلى القسطنطينيَّة ليشير عليهِ في هذه الحرب. فاعتذر القدّيس وما شاءَ أن يسافر معهُ. واعلمهُ بأنَّ السلطان سيظفر باوجين ولكنَّهُ سيموت في إطاليا وسيملك أحد بنيهِ في الغرب. وبعد ذلك صحَّت نبوّتهُ حرفاً فحرفاً*

إِنَّ هذا القدّيس مذ بداية نسكهِ نذر نذراً أبديّاً وهو انَّهُ جزم على نفسهِ ان لا ينظر إلى امرأَةٍ أبداً وقد حافظ على نذرهِ هذا بالتدقيق. فذات يوم زارهُ قائد جيش وقال لهُ انَّ امرأَتي مشتاقة إلى رؤْياك لِما سمعت عن فضلك وقداسة سيرتك وتريد أن تتخاطب معك فهل تسمح لها أن تزورك* فأجابهُ يوحنا انّي منذ أربعين سنة نذرتُ أن لا أنظر إلى امرأَةٍ وأنا محافظ على نذري فارغب إليك أن لا تغتاظ منّي ان لم أُجِب إلى سؤَالك. فمضى قائد الجيش حزيناً وبلّغ امرأَتهُ كلمات القدّيس فصعب عليها ذلك جدّاً. وفي الغد انطلق إليهِ ثانيةً وتوسَّل إليهِ أن يستجيب طلبة امرأَتهِ لأَنَّها ان لم تحصل على منُيَتها فتموت أَلَماً. فقال لهُ القدّيس اذهب قل لامرأَتك انَّها تراني في هذه الليلة من دون أن تخرج من بيتها. فبقي قائد الجيش وامرأَتهُ ينتظران القدّيس. فلمّا نامت المرأَة ظهر لها يوحنّا في الحلم وقال لها أيّتها الامرأَة: اعلمي أنَّ عظم ايمانكِ جعلني أن آتي وازوركِ. ولكنّي انبّهكِ أن لا تتمنَّي رؤْية خدّام الله على الأرض بل اكتفي بتأَمّلكِ في سيرتهم روحاً واقتدي بأمثالهم وعيشي دائماً في خوف الله ولا تنسي أبداً إحساناتهِ. وأَرشدها أيضاً إرشاداتٍ أخرى في السيرة المسيحيَّة وغاب عنها* فلمّا استيقظت الامرأَة صباحاً حكت زوجها ما كان ووصفت لهُ شكل الرجل الذي ظهر لها وهيئتهُ. فلم يشكّ في أَنَّهُ كان يوحنا. فانطلق إليهِ ليشكرهُ. فحالما رآهُ يوحنا قال لهُ. قد كمّلت ما طلبتَ ورأيتُ امرأَتك وتخاطبتُ معها عن كلّ ما خاطبتني

بهِ فاذهب بالسلام. فشكرهُ وأخذ بركتهُ وانصرف*

وبعد زمان علم مار يوحنا أن قد اقتربت ساعة سفرهِ من هذا العالم فتأَهَّب للموت. وحين ركع ليصلّي سلّم نفسهُ إلى الله وذلك في اليوم السابع عشر من شهر آذار سنة ٣٩٤*

* اليوم الثامن والعشرون *

مار اسطِفانُس هردنْغ رئيس دير السترسيّين

إِنَّ هذا القدّيس كان انكليزيّاً جنساً وتربَّى في ديرٍ من أديرة رهبان مار مبارك. ولمّا بلغ سنّ الشبوبيَّة انطلق إلى باريس ثمَّ إلى روميَّة وبعد ذلك رجع إلى فرنسا واستضاف في دير مولسما وكان رهبان ذلك الدير سائرين بموجب قوانين مار مبارك. فلمّا رأَى اسطفانس قداسة سيرتهم وانَّهم سالكون في فقرٍ لا مثيل لهُ حسبما كان يشتهي قلبهُ عمد أن يسكن بينهم. فقبلوهُ بفرح. وكان أولئك الرهبان يقتاتون بعرق جبهتهم من ثمار أعمال أيديهم. فكانوا يفلحون أراضي الدير ويعتاشون بأثمارها. وطالما عازهم الخبز فكانوا يصومون وكان ديرهم في حرش متطرّف وكانوا ساكنين في تلك الخلوة غير معروفين من العالم* فذات يوم عازهم الطعام ولم يكن عندهم بِيت ليلة فدعا رئيسهم مار روبرتس بعضاً منهم وقال لهم هذه كلمات اشعيا

النبي وهي: يا مَن ليس لكم فضَّة اسرعوا وتعالوا اشتروا* وأرسلهم إلى مدينة كانت قريبة من هناك ليشتروا طعاماً بلا فضَّة لأنَّهُ لم يكن عندهُ فضّة ليعطيهم حتَّى يبتاعوا بها الطعام. فانطلقوا واثقين بالرحمة الإلهيّة* ولمّا بلغوا إلى المدينة تعجَّب أهلها لرؤْيتهم هولاء الرهبان الغريبي الزيّ والهيئَة لأنَّ أثوابهم كانت قد سمَلت ووجوههم تغيّرت وهم حفايا. فاجتمع الناس إليهم لينظروا هذا المنظر الغريب. ووصل خبرهم إلى الأسقف فارسل استدعاهم فعرفهم واحسن إليهم جدّاً وشلّحهم اسمالَهم وألبسهم ثياباً جديدة وبعثهم إلى الدير بعربة ممتلئة ثياباً وقوتاً للرهبان. ومنذ ذلك الحين غزرت عليهم الصدقات من الناس فاستدّ عوزهم* ولمّا رأَى الرهبان نفوسهم غير معوزين فتروا في سيرتهم وأرادوا أن يأكلوا مثلما تأكل وتلبس سائر الرهبان الموجودين في عصرهم. وتركوا الشغل وثلموا قوانينهم. فبذل جهدهُ مار روبرتس في ترجيعهم إلى سيرتهم الأولى ولم يقدر لأنَّهم عصوهُ. فاضطرَّ أن يتركهم فأخذ معهُ مار البريكس واسطفانس وبعضاً من الرهبان الذين أرادوا أن يتبعوهُ فتركوا ذلك الدير وانطلقوا إلى مكان تبعد عنهُ نحو أربعة أميال* فبعد ما ترك هولاء القدّيسون ذلك الدير انحطّ صيتهُ فانقطعت عنهُ الصدقات. فلمّا رأَى الرهبان انَّهم امسوا في الاقلال والفاقة كالأوّل عمدوا أن يرجّعوا رئيسهم إلى الدير فطلبوا إلى البابا أن يعيدهُ عليهم. فالتزم مار روبرتس أن يخضع لأمر البابا ويعود إلى الدير مع رفاقهِ راجياً أن يُعيد عليهم سيرتهم الأولى. فباشر

اصلاحهم ولكنّهم لم يصطلحوا ولا انثنوا عن فتورهم وكان هذا الفتور يحزن قلب اسطفانس جداً. فذات يوم نوى أن يترك ذلك الدير وينفصل من أولئك الرهبان الخائنين لكي يُعيد على رهبنتهِ محاسن أيَّامها الأولى فكشف نيّتهُ لمار روبرتُس والبَريكُس فوافقاهُ ووافقهم بعض من الرهبان الامينين فتركوا الدير وانطلقوا إلى مدينة ليون وطلبوا إلى الكردنال أن يأْذن لهم ببناء دير جديد لكي يحفظوا فيهِ قوانين رهبنتهم بالتدقيق فأجاز لهم ذلك بفرح. فانطلقوا يسيرون في البرّيَّة حتى وصلوا إلى مكان يدعى سيتو فاوقفهم فيهِ صوت من السماء. وكان ذلك المكان مُلكاً لأمير فطلبوه منهُ فوهبهُ لهم وبنى لهم فيهِ ديراً فسكنوهُ وصار مار روبرتس أوَّل رئيس فيهِ* وبعد سنة طلبهُ مرَّةً أخرى أولئك الرهبان الذين تركهم مرّتين وتوسَّلوا إلى البابا أن يأْمرهُ بالمصير إليهم. فاستجاب البابا طلبتهم وأمر روبرتس أن يرجع إليهم لعلّهم يصطلحون. فأطاع هذا الرجل القدّيس أمر البابا وودَّع خليليهِ مار البَريكُس ومار اسطفانس وسائر الرهبان وانطلق إلى دير مولسما ليسكن ما بين أولئك الرهبان الذين طالما مرمروهُ* وجازاهُ الربّ على طاعتهِ بانَّهُ نجّحهُ في هذه المرَّة ووفَّقهُ على إصلاح الرهبان فاعادهم إلى سيرتهم القديمة. وقضى بينهم بقيَّة أيَّام حياتهِ ومات بعد أن شيَّد أديرةً عديدة*

وبعدما ترك مار روبرتس دير سيتو وانطلق بأمر البابا إلى رهبان دير مولسما كما قلنا خلَفهُ مار البَريكُس في الرياسة العامَّة على

دير سيتو الجديد وصار مار اسطفانس رئيساً خاصّاً* وفي تلك الأثناء ظهرت مريم العذراء لمار البَريكُس وامرتهُ أن يخلع ثوب مار مبارك الأسود ويلبس بدلهُ ثوبها الأبيض عربوناً لحمايتها لذلك الدير. فلذلك أصبح رهبان دير سيتو عبيداً خصوصيّين امينيين لمريم العذراء واتّخذوها شفيعةً لرهبنتهم وبنوا على اسمها كنائس كثيرة*

إنَّ سيرة رهبان دير سيتو كانت قشفةً جدّاً فانَّهم كانوا يقضون جزءاً كبيراً من الليل في الصلوة وفي النهار يشتغلون بفلاحة الأرض. وكان صومهم متواتراً ولم يكونوا يأكلون لحماً ولا سمكاً بل كانوا يقنعون بأكلهم الحشائش* وبعد زمان مات البَريكُس الرئيس العامّ وحزنت عليهِ الرهبان قاطبةً ولا سيّما اسطفانس فانتُخب مار اسطفانس رئيساً عامّاً مكانهُ وصار أحد الرهبان المسمَّى روبرتس رئيساً خاصّاً عوض اسطفانس* وكان الفقر والشغل يضنيان أولئك الرهبان جدّاً. وكان سيف الموت يقلّل عددهم شيئاً فشيئاً. ولم يكن يأْتيهم أحد ليترهَّب معهم لصعوبة قوانينهم. وكان مار اسطفانس حزيناً من جرى ذلك إذ لم يكن يعلم هل أنَّ سيرتهم هذه القشفة إلى الغاية مرضيَّة لله أم لا. فذات يوم إذ كان أحد الرهبان في سياق الموت وحولهُ أخوتهُ قال لهُ مار اسطفانس: أيُّها الأخ العزيز انّي اؤمرك باسم يسوع المسيح الذي قد سلكنا في هذه الطريق حبّاً لهُ ان تأُوب إلينا وتخبرنا هل انَّ سيرتنا مرضيَّة لهُ تعالى ام لا. فأجابهُ الراهب يا أبي إن شاءَ الربّ فبمعونة صلواتك سارجع إليك بالجواب* فبعد موتهِ بأيَّامٍ إذ كان

مار اسطفانس يصلّي ظهر لهُ هذا الراهب قائلاً يا أبي انَّ الرحمة الإلهيّة أرسلتني لابشّرك بأنَّ سيرتكم هي طيّبة إلى الغائة في عينّي الربّ فلا تقلق فانَّ نعمتهُ تعالى سترسل لك أشخاصاً كثيرين يعيشون في هذه الرهبنة ويكونون قدّيسين* ففرح القدّيس بهذه البُشرى السمويَّة وشكر الله على هذا الاحسان. وبعد أن تخاطب معهُ هذا الراهب القدّيس عن أشياء أخر غاب عنهُ* وأرسل الله لهذه الرهبنة أشخاصاً كثيرين من ذوي الحسَب والنسَب والغنى فكانوا يكثرون شيئاً فشيئاً. وتسامع بهم الناس فكانوا يكثرون شيئاً فشيئاً. وتسامع بهم الناس فكانوا يتقاطرون أفواجاً أفواجاً حتى امتلأَت بعد ذلك أوروبا من أديرتهم. وفرح مار اسطفانس بأولادهِ* ولمّا كبر وشاخ وتكمَّلت رهبنتهُ تنزَّل عن وظيفة الرياسة العامَّة لضعفهِ وبقي منتظراً للسفر إلى وطنهِ. ولمّا دنت ساعتهُ وكان في سياق الموت اجتمع حولهُ روساء الأديرة والرهبان ليسعفوهُ بصلواتهم. فقال بعضهم لبعض. حقّاً انَّ ابانا اسطفانس سعيد لأنَّهُ قد أثمر في زمانهِ أثماراً جزيلةً في بيعة الله. ولذلك ستقف نفسهُ أمام الله بطمأنينة وبلا خوف. فلمَّا سمع مار اسطفانس كلامهم أجابهم بصوتٍ منخفض. ما تقولون يا أخوتي. اعلموا انّي خائفٌ جدّاً من الوقوف أمام الله. لأنَّهُ ولو كانت دناءَتي قد أثمرت بعض أثمار فليس ذلك منّي بل من النعمة الإلهيّة. وفي الآخر تنيَّح هذا الاب المغبوط بين أيادي أولادهِ وكان ذلك في اليوم الثامن والعشرين من شهر آذار سنة ١١٣٤*

* اليوم التاسع والعشرون *

جهاد مار قورللس الشماس الشهيد

إِنَّهُ في عهد يُليانس الجاحد كان في مدينة بُسرة عند جبل لبنان بين الوثنيّين رجلٌ غيور جدّاً على مجد الربّ اسمهُ قورللس وكان شمَّاساً انجيليّاً. فهذا الشهم البطل غار يوماً على مجد الله غيرةً مضطرمة فنهض يطوف في مدينتهِ ويكسر كلّ صنم رآهُ. فوثب عليهِ الوثنيّون وشقّوا جوفهُ وأخذوا كبدهُ وجعلوا يأكلونهُ كالوحوش الضارية ليبرّدوا بهِ غليلهم. فعاقبهم الله على توحّشهم هذا وجعل ان كلّ مَن ذاق من كبدهِ نتن لسانهُ وانتثر شيئاً فشيئاً. وكان استشهاد مار قورللس سنة ٣٦٢*

* اليوم الثلاثون *

مار يوحنا قليماقس ويُكنَّى بالسلّمي

إِنَّ هذا القدّيس ترهَّب ولهُ من العمر ستّ عشرة سنةً وخصَّص ذاتهُ لخدمة الله في دير كان في طور سينا فامسى نموذجاً كاملاً للرهبان بفضائلهِ وقداسة سيرتهِ ولا سيّما بتواضعهِ وطاعتهِ* وبعدما استمرَّ في ذلك الدير تسع عشرة سنةً انطلق إلى إحدى البراري وقطن فيها

مدّة أربعين سنةً مشتغلاً في عبادة الله. وكان هناك يتأَمَّل في الحقائق السمويَّة ويصنّف كتباً. ولم يكن ينام إلاَّ قليلاً* فسمع بهِ أحد المتوحّدين وكان اسمهُ موسى فتتلمذ لهُ. وكان للقدّيس بستان يحرثهُ في تلك البرّيَّة. فذات يوم أرسل تلميذهُ موسى ليشتغل في ذلك البستان. وكان ذلك الأوان حارّاً جدّاً. فلمّا علت الشمس وصار الظهر تعب موسى إلى الغاية وانطلق فاستظلّ في لحف كهف عظيم ونعس فنام. فأُوحي لمار يوحنا بانَّ تلميذهُ موجود في خطر سقوط الكهف عليهِ. وبما انَّ البستان كان بعيداً ولم يقدر أن يصل إليهِ بسرعةٍ جعل يصلّي من أجلهِ. أمَّا موسى فإذ كان نائماً سمع كأَنَّ معلّمهُ يدعوهُ ليوقظهُ. فانتبه حالاً وقام وخرج من مكانهِ. وفي حال خروجهِ سقط الكهف أمام عينيهِ. فشكر الله على أَنَّهُ نجَّاهُ لأَنَّهُ لو لم يقم في تلك البرهة لهبط الكهف كلّهُ عليهِ ودُفِن في ردمهِ* ويوماً آخر جاءَ إلى مار يوحنا راهب قد جرَّبهُ روح الزناء بتجارب قويَّة فعرض عليهِ حالهُ سرّاً. فعزَّاهُ القدّيس وقال لهُ: يا ابني هلمَّ نصلِّ كلانا إلى ربّنا يسوع المسيح الرحوم الرأُوف لعلّهُ يزيل عنك هذه التجربة. فبعد أن فرغا من الصلوة أحسَّ الراهب بزوال التجربة*

ولقداسة سيرة هذا القدّيس واصَلهُ أشخاص كثيرون وكانوا يرتشدون منهُ. وفي غضون ذلك جاءَ إليهِ رهبان دير طور سيناء وتوسَّلوا إليهِ أن يرتضي ويكون رئيساً عليهم فأبى أوَّلاً ثمَّ أطاع دعوة الله وقبل هذه الوظيفة* وصنَّف كتاباً مفيداً جدّاً للرهبان وهو

المسمَّى بسلّم الفضائل ويتضمَّن ثلاثين درجةً. وإليهِ نُسِب القدّيس يوحنا السلّمي* وبعد أن كمَّل حياتهُ بشيخوخة صالحة انصرف بسلام الربّ إلى الراحة الأبديَّة في سنة ٣٤٩*

* اليوم الحادي والثلاثون *

مار نيقولاوس الافلو

إنَّ هذا القدّيس وُلِد من أبَوين تقيّين وخائفَي الله جدّاً في إحدى مدن سويس. ومنذ نعومة أظفارهِ انصبَّ على التقوى والفضيلة. واشغلهُ أبواهُ في رعاية غنمهما* ولمّا صار عمرهُ ثلاثاً وعشرين سنةً هجمت دولة غريبة على بلادهِ فدعوهُ إلى العسكريَّة ليحامي عن وطنهِ. فأخذ باليد الواحدة سيفاً وباليد الأخرى مسبحة الورديَّة وقحم على الأعداء وأظهر في تلك الهيجاء شجاعة عظيمة. ولذلك أقاموهُ قائد ماية. وبعد ذلك هجر خدمة العسكريَّة. وزوّجهُ أهلهُ كرهاً منهُ بفتاة تقيَّة اسمها دورونيا وبارك الله عرسهما ووهب لهما خمسة بنين وخمس بنات* وفي ذلك الزمان وَلِي نيقولاوس القضاء في إحدى مدن مملكتهِ واستمرَّ في هذه الوظيفة سنين عُدَّة قاضياً بالحقّ جميع الدعاوي التي كانت تُعرَض عليهِ* وبعد ذلك ألهمهُ الله أن يهجر العالم ويتوحَّد في البراري فطلب إلى امرأَتهِ أن لا تمنعهُ من استماع

صوت الله بل أن تسمح لهُ بالذهاب إلى حيث تقودهُ العناية الإلهيّة. فرضيت هذه الامرأَة التقيَّة ولم تعقهُ عن تكميل قصدهِ الصالح. وفي الغد دبَّر أهل بيتهِ وأمورهُ وجمع أولادهُ وامرأَتهُ وأباهُ الشيخ وجميع أقربائهِ وأصدقائهِ وعانقهم وأوصاهم أن لا ينسوا الله ثمَّ ودّعهم وخرج من المدينة ولم يأخذ معهُ سوى عصاً ومسبحة وثوب من شعر. وبعد أن سار عدّة أيَّامٍ بلغ إلى مكان في البريَّة لا تطأْهُ رجل إنسان وفيهِ حروش وصخور فبنى لهُ كوخاً من ورق الشجر ما بين تلك الصخور وشرع ينسك هناك* فاتّفق يوماً انَّ بصر بهِ صيّادون كانوا طاردين تيتلاً في تلك البرّيَّة فلمَّا رجعوا اعلموا بطرس أخاهُ بمقامهِ. فانطلق إليهِ ولمّا رآهُ مضنيّاً من النسك وقد ضعف جدّاً توسَّل إليهِ أن يترك ذلك المكان فأبى* وتسامع الناس بخبرهِ وبقداسة سيرتهِ فكانوا يأتون إليهِ مسترشدين. ولمّا رأَى أنَّ الناس يكدّرون راحة وحدتهِ عزم أن يترك ذلك المحلّ ويلتمس لهُ سواهُ يكون فيهِ متوحّداً لا يرى إنساناً. فانطلق إلى برّيَّة أخرى ووجد لهُ فيها مكاناً خالياً فبنى لهُ فيهِ كوخاً وجعل يعبد الله هناك بالوحدة. فأوحى لهُ الله بأنَّهُ قد اختارهُ لعمارة العالم. ومنذ ذلك الحين كان الناس يأْتون إليهِ مسترشدين فكنت ترى كوخهُ مفتوحاً للامراء والعلماء والأساقفة والكهنة وسائر الناس. وكانت تفوح رائحة فضائلهِ إلى أقاصي تلك البلاد* واستمرَّ في هذه السيرة المقدّسة إلى حين موتهِ. ولمّا دنت نفسهُ إلى الخروج من جسدهِ جاءَهُ خوري كان خليلاً لهُ بالقربان

المقدّس ليناولهُ إيَّاهُ على سبيل الزوّادة الأخيرة. فلمَّا رآهُ هذا المنازع القدّيس فتح ذراعيهِ بمحبَّة عظيمة وتناول هذا السرّ المسجود لهُ. ثمَّ رفع عينيهِ إلى السماء فطارت روحهُ إلى مقرّ راحتها الأبديَّة. وهكذا مات الطوباوي نيقولاوس بعد عمرٍ طويل بحضور امرأَتهِ وأولادهِ في سنة ١٤٨٧. ولبست جميع بلاد سويس ثوب الحِداد على فقدها هذا الرجل الكريم الذي كان فخراً ومجداً لها* وفي الغد اجتمع جميع كهنة مدينة كارنوالد القريبة من برّيتهِ وجنّزوهُ ودفنوهُ باحتفال عظيم. وصنع الله كرامات باهرة بشفاعتهِ*

* فصل *

في أنواع عذاب الشهداء الشرقيّين والغربيّين

إنَّ المضطهدين لكنيسة يسوع المسيح الكاثُليكيَّة كانوا يعذّبون الشهداء بأنواع مختلفة منها انَّهم كانوا يعلّقونهم على صلبان. ومنها انَّهم كانوا يربطونهم على عواميد ويوقدون ناراً تحت العامود المصلوب عليهِ الشهيد ويطعمونها عشباً قذراً منتناً فتتصاعد عليهِ تلك الابخرة والدخاخين وتؤْذيهُ بكراهيَّة رائحتها. ومنها انَّهم كانوا يربطون للمستشهد ذراعهُ الواحدة أو ذراعيهِ أو ابهاميهِ زماناً طويلاً* وكانوا أحياناً يضعون على أرجل الشهداء أو على رؤُوسهم أو على أكتافهم حجارة عظيمة أو رصاصاً أو حديداً حتَّى تنخلع عظامهم وتتفاصل

أعضاؤهم* وكانوا يربطون أيديهم وأرجلهم في عَجلةٍ فتجري بهم العجلة حتَّى تُرَضّ عظامهم ولحمانهم معاً. أو كانوا يجعلونهم في فم عَجلةٍ لها أسنان حادَّة من حديد فكانت تدور عليهم العَجلة وتسحقهم* وكانوا يضربونهم بالعصيّ المعقّدة أو بذات الأشواك أو بقضبان من حديد أو بسوط منسوج من حبال ويمزّقون جثمان الشهداء ويسحقون عظامهم*

وكان للظالمين آلات متعدّدة متنوّعة مخصَّصة لتعذيب الشهداء القدّيسين لتمزيق أجسامهم كالأظفار الحديديَّة التي كانت على هيئَة كلبتَين وعليها من كلّ جهة أسنان من حديد كأنَّها الأظفار فكانت لحمانهم تتناثر بها. وكانوا أحياناً يحرقون جوارح الشهداء بانصال حديديّة محمَّرة بالنار وبلهبات الشموع وذلك في ميدان اللعب أو على الحصان الخشبيّ. وكانوا يضعون في جروحهم ملحاً ويطلونهم بزيت مغلي ثمَّ يضجعونهم على خزف مسحوق ويقلبونهم عليهِ ظهراً لبطنٍ حتَّى يموتوا* وقد اخترع الشيطان لجنودهِ الظَلَمة أنواعاً أخر من العذابات أشدّ من التي ذكرناها وهي أنَّهم كانوا يضعون هولاء الصناديد في خلاقين من نحاس محمَّرة بالنار أو في قدر ممتلئة زفتاً أو زيتاً مغليّاً أو رصاصاً مذوّباً. أو يضعونهم على آلات حديديَّة ويشوونهم على نار هادئة. وكانوا أحياناً يلبّسونهم ثياباً حديديَّة ناريَّة وهي أنَّهم كانوا يضعون على رأسهم قلنوسة من حديد ويلبّسون جسدهم قميصاً من حديد أو قميصاً مطليّاً بزيت أو بزفت مغليّ ويحذون أرجلهم بنعال من حديد مرصّعة بمسامير حادّة وكلّ هذه الثياب

الحديديّة تلتهب ناراً وكانوا يجعلون الشهداء أن يمشوا حفايا على الجمر ويسكبون رصاصاً مذوّباً في أفواههم ويطرحونهم في نيران ملتهبة أو في اتّون متّقدة. وربّما حملوهم في سفينة ووضعوا فيها قدراً فيها ممتلئةً زفتاً أو زيتاً مغليّاً فكانوا يغطّسونهم في تلك القِدر ثمَّ يرمونهم في البحر* وامّا البنات النقيّات الشهيدات فكانوا يعرّونهنّ من ثيابهنّ ويربطونهنَّ من شعورهنَّ وينزعون عنهنَّ نهودهنَّ ويسحبونهنَّ في الأماكن القبيحة النجسة. وكان هذا أشدّ عذاب عليهنّ* وكانوا يقطعون السن الشهداء ويقلعون أسنانهم ويفقأُون عيونهم ويجدعون أنوفهم ويقطعون أيديهم وأرجلهم ويسحقون سيقانهم ويسلخون جلودهم وهم احياء ثمّ يحتزّون رؤوسهم بالسيف أو يطرحونهم في وهادٍ عميقة. ومنهم مَن يدقّون ابراً ضخمةً بين أظفارهم إلى لحمهم. ومنهم مَن يقطّعونهم ارباً ارباً ومنهم مَن يرمونهم بالاسهم. ومنهم مَن يربطونهم في أذناب الخيل ويطلقونها في الأماكن الوعريّة. ومنهم مَن يوثقونهم في قضبان شجرة عالية بحيث تكون تلك القضبان قويّة لا تنحني إلاّ بصعوبة فكانوا يجرّون تلك القضبان المربوط بها الشهيد حتى إلى الأرض ثمَّ يطلقونها كما يطلق الرامي القوس فترتفع بشدّة إلى فوق فتنتشب قضبان تلك الشجرة في جثمانهِ وتمزّقها* وكانوا يلقون بعضهم أمام الوحوش الضارية فتفترسهم أو يعرّونهم ويربطونهم ويطلقون عليهم الفار والجرذان فتقرض لحمهم أم يطلون أجسامهم بالعسل ويربطونهم فتجتمع عليهم الذباب وتؤذيهم. وكانوا يشقّون بطون البعض من الشهداء ويملأُونها تبناً ويضعونهم أمام

الخيل. وكانوا يدفنون البعض احياء أو يزجّونهم في البحر أو في النهر. ونقول بالإجمال أننا لا نقدر أن نصف سائر أنواع العذاب الكثيرة المختلفة التي كانت تحتملها أولئك الشهداء الأبطال من أجل يسوع المسيح. فمن ثم جديرٌ بنا أن نمجّد الالاه الذي وهب لجنودهِ تلك الشجاعة العجيبة التي لا تُغلَب وذاك الصبر الجميل في التجلّد واحتمال تلك التعاذيب الشديدة المتنوّعة وان نمدح أولئك الشجعان الذين ثبتوا في الاحتمال إلى المنتهى وان نبارك الكنيسة المقدّسة التي لا تزال تولد أولاداً أبطالاً كهولاء يحامونها بسفك دمهم وبموتهم عنها لأجل مجد الله وصيانة ايمانهم المستقيم إلى انقضاء الدهر*

* انتهى شهر آذار *

* شهر نيسان *

* اليوم الأوّل *

مار هوغُس أسقف غرنوبُلي

إنَّ هذا القدّيس وُلد في قرية مجاورة لمدينة والنسا من أعمال اسبانيا من والدَين شريفَين أصلاً وفضلاً وسيرة. ومنذ صغرهِ انصبَّ على درس العلوم ولجودة قريحتهِ حاز قصبات السبق على جميع أقرانهِ* ولمّا كبر رُسِم كاهناً قانونيّاً فأصبح قدوةً لجميع الناس بأمثالهِ الصالحة. ثمَّ انطلق إلى مدينة أَوِنيون في فرنسا مع كردِنال أرسلهُ البابا قاصداً إلى هناك. وفي تلك الأثناء جاءَ اقليرس مدينة غرنوبُلي طالبين إلى هذا الكردِنال أن يقيم هوغُس أسقفاً عليهم. فأجابهم إلى ذلك وتكلّم معهُ في هذا الشأن فتوسَّل إليهِ القدّيس أن لا يكلّفهُ شيئاً يفوق طاقتهُ ولا يحمّلهُ حملاً لا يقدر على حملهِ. فلمّا رأَى الكردنال أنَّ اعتذارهُ صادرٌ عن تواضعهِ الزمهُ بقبول هذه الوظيفة. فأخذهُ معهُ إلى رومية ورسمهُ البابا غريغوريوس السابع أسقفاً وأرسلهُ إلى غرنوبُلي. وكان أهل هذه البلدة

خالين من التقوى والفضيلة فشرع هذا الأسقف الجديد يفرغ كلّ همّتهِ في إصلاح حالهم. ولمّا لم ينجح إلاَّ قليلاً تركهم وانطلق إلى ديرٍ وسكن فيهِ مدَّة سنة. ولمّا سمِع بذلك البابا امرهُ بالرجوع إلى مدينة كرسيّهِ فاطاع ورجع وأخذ يشتغل في عمارتها كالأوَّل*

وبعد ثلاث سنين جاءَ إليهِ مار برُونون مع ستَّة من رفاقهِ واستشاروهُ في إنشاء رهبنة جديدة في ابرشيتهِ. فقبلهم الأسقف القدّيس باكرام وأضافهم عندهُ. ثمَّ رافقهم إلى مكان وعر ممتلئٍ صخوراً يسمَّى كرتوزة وهناك وضعوا أوَّل أساس لرهبانيّتهم وعمَّروا لهم ديراً وسُمِّيت رهبنتهم رهبنة الكرتوزيّين نسبةً إلى اسم ذلك الموضع* وكان مار هوغُس ينطلق أحياناً إلى هذا دير الكرتوزيّين الجديد ويمكث فيهِ أيَّاماً بالمفاوضة الروحيَّة مع مار برُونون ورفاقهِ الرهبان*

وكان هذا الحبر الجليل محترساً في حواسّهِ فكان يطرق بعينيهِ إلى الأرض إذا ما اقتضى لهُ أن يتخاطب مع امرأَةٍ. ويسدّ أذنيهِ عند سماعهِ كلمات بطّالة. وكان على جانب عظيم من الحلم والرحمة فكان يفرح عندما تصيبهُ إهانة من الأشرار. وكان يساعد الفقراء والمحتاجين. ويعظ بحرارة تليّن القلوب الصلبة*

ولمّا شاخ وضعف اعترتهُ أسقام مختلفة فكان يحتملها بصبر. وأخيراً أراد الله أن ينقلهُ إليهِ في هذه الأسقام فتوفَّاهُ وفاةً مقدَّسة في اليوم الأوَّل من شهر نيسان سنة ١١٣٢ وعمرهُ ثمانون سنة بعد أن قضى في درجة الأسقفيَّة خمساً وخمسين سنة. وزيّنهُ الله بكرامات باهرة صنعها بشفاعتهِ*

* اليوم الثاني *

القديسة مريم المصريَّة التائبة ـ مار فرنسيس بَولا منشئ رهبنة الأخوة الأصغرين

القدّيسة مريم المصريَّة التائبة

كان راهب قدّيس اسمهُ زوسِمُس قد سكن زماناً طويلاً في أحد أديرة فلّسطين ثمَّ انطلق بإلهام الله وسكن مع رهبان آخرين كانوا قاطنين في دير بقرب نهر الأردن. وكان لهولاءِ الرهبان عادة عند دخول الصوم الاربعينيّ أن يخرجوا من الدير ويسيحوا في البراري مقشّفين نفوسهم مدَّة أيَّام الصوم وفي عيد الفصح كانوا يرجعون إلى ديرهم* فاتّفق في إحدى السنين أن خرج الرهبان حسب مألوف عادتهم وخرج الراهب زوسِمُس أيضاً وبعدما استمرَّ في تلك البراري عشرين يوماً رأَى إنساناً من بعيد فانذهل من منظرهِ وخالهُ خيالاً. فرسم علامة الصليب وجعل يتفرَّس فيهِ فلاح لهُ صورة امرأَة سوداء البشرة بيضاء الشعر قليلتهُ. فأراد الراهب أن يراها ويخاطبها لأنَّهُ منذ دخل تلك البرّيَّة المقفرة لم يرَ فيها إنساناً ولا وحشاً ولا طيراً. فلمَّا عزم على القرب منها هربت من أمام وجههِ. فلحقها وصاح عليها قائلاً: يا عابدة الله لِمَ تهربين من أمامي. انظري فانَّني راهب شيخ خاطئ وأتوسَّل إليكِ بحقّ هذا الالاه الذي تعبدينهُ في هذه البرّيَّة أن تسمعي لي* فعند ذلك التفتت إليهِ قائلةً: اعذرني أيُّها الاب زوسِمُس فانّي امرأَة عريانة كما ترى ولذلك لا أجسر أن أقف

قدَّامك. فان أردت أن أدنو منك لتباركني وتصلّي من أجلي أنا الخاطئة فاطرح لي عباءَتك لاستتر بها* فتعجّب زوسِمُس لسماعهِ لفظة اسمهِ بفم شخص لم يرهُ قطّ وعلم أنَّ ذلك من الله. فطرح لها عباءَتهُ وحوَّل عنها وجههُ وأمهلها حتى استترت بها. ثمَّ رفعت إليهِ صوتها قائلةً: أيُّها الاب زوسِمُس ما الذي تريدهُ من هذه المرأَة الخاطئة التي جريت وراءَها بشوق عظيم. فحينئذٍ ركع أمامها وطلب بركتها. أمَّا هي فركعت أيضاً مثلهُ وطلبت بركتهُ قائلةً: انَّما يحقّ أن تباركني أنت يا أيُّها الاب زوسِمُس بما انَّك كاهن وقد خدمت سنين كثيرة على مذبح الله واشتركت بمواهبهِ السماويَّة* فاندهش الراهب القدّيس من كلماتها وعلم أنَّ روح الله فيها فأجابها بصوت منخفض. انَّني أقرّ بأنّي أفضل منكِ من حيث انّني كاهن ولكنَّكِ أفضل منّي بكثير لأنَّ الله كشف لكِ مَن أنا وأعلمك بدرجتي. فاتوسّل إليكِ بحقّ ربّنا يسوع المسيح أن تسلّيني ببركتكِ* فلمَّا رأَت دموعهُ وطلباتهِ بقلب منكسر ذليل قالت: تبارك اسم الربّ الذي يعمل أعمالاً عظيمة لخلاص نفوسنا. فقال زوسِمُس آمين* ثمَّ قاما كلاهما. فقالت لهُ: أيُّها الاب زوسِمُس انَّ الله قد قادك إلى هذا المكان لكي ترى فيهِ هذه المرأَة الخاطئة البائِسة. فالآن أرغب إليك أن تعلمني عن أحوال المسيحيّين. ومَن هم السلاطين الذين يسوسون العالم. وكيف أحوال الكنيسة أَفي الراحة والسِلم أم في الاضطهاد من الظالمين* فاعلمها زوسِمُس بكلّ ما ابتغت. ثمَّ سأَلها أن تصلّي إلى الله من أجلهِ عسى أن ينعم عليهِ بالثبات في خدمتهِ تعالى إلى منتهى حياتهِ. فرفعت القدّيسة يديها وعينيها

إلى السماء وشرعت تصلّي من أجلهِ فرآها في مدّة صلاتها مرتفعة نحو ذراع عن الأرض. فاستهابها ووقع على الأرض صارخاً واغوثاهُ واغوثاهُ يا ربّ. لأنَّهُ ظنَّها روحاً لا شخصاً بشريّاً. فلمّا فرغت من صلاتها اقتربت إليهِ وقالت لهُ أيُّها الاب زوسِمُس ما الذي أزعجك وجعلك أن تظنَّني روحاً. تأَكَّد بأنَّني امرأَة خاطئة بائسة ولستُ شيئاً سوى تراب ورماد* فلمَّا تحقَّق زوسِمُس انَّها امرأَة لا روح. توسَّل إليها بأن تعلمهُ عن حالها ولا تكتم عنهُ شيئاً* فعند ذلك شرعت تقصّ عليهِ قصَّتها قائلةً. انَّني وُلدتُ في مصر. ومذ كان عمري اثنتي عشرة سنةً هربتُ من بيت أبويَّ الذي كان في الاسكندريَّة وجريتُ وراء اللذَّات الجسديَّة وقضيتُ مدَّة سبع وعشرين سنة في الفواحش لا طمعاً في الذهب والفضة وجمع الأموال بل لإشباع شهواتي ولأجل ذلك لم أكن آخذ ما كان يُقدَّم لي* فرأيتُ ذات يوم بعضاً من الشبَّان يزمعون الشخوص من الاسكندريَّة قاصدين اورشليم ليعيّدوا هناك عيد ارتفاع الصليب المقدَّس فاردتُ أن أرافقهم. ولمّا لم يكن لي فضّة لانفقها في مهمَّات السفر سلّمتُ نفسي إلى الشبَّان وركبتُ البحر وأقلعتُ معهم من الاسكندريَّة. وخدعتُ في السفينة شباباً كثيرين وصرتُ لهم فخّاً شيطانيّاً وعرقلتهم. فيا للعجب كيف أنَّ المراحم الإلهيَّة احتملتني ولم تسمح أن يبتلعني البحر وأضحي فريسةً لجهنَّم. ولمّا بلغتُ إلى أورشليم أخذتُ أسير سيرةً شرّاً من سيرتي الماضية بأضعاف وارتكب آثاماً على آثامٍ وخطايا على خطايا* وحينما حضر يوم عيد ارتفاع الصليب المقدَّس كان الناس جميعاً يذهبون إلى الكنيسة ليؤدّوا العبادة والاكرام

لصليب مخلّص العالم. فأردتُ أنا أيضاً أن أدخل الكنيسة مع الداخلين. ولمّا دنوتُ من الباب شعرتُ بيد غير منظورة تدفعني وتمنعني من الدخول. فلمّا امتحنتُ الأمر ثلاث أو أربع مرَّات ورأَيتُ انَّني كلّما تقدَّمتُ أُخّرتُ شرعتُ افتكر في المانع. فشعرت في تلك الساعة بنور الهي كشف عن عقلي ظلاماً كثيفاً وأنار عينيَّ فعلمتُ أنَّ ذلك صادر عن سوء حالتي ودنس نفسي وأيقنتُ بأَنَّني غير مستحقَّة أن أدخل هيكل الله الطاهر. فاقلقني ضميري وتقطّر قلبي أسفاً على ما فات وحينئذٍ أخذتُ أقرع صدري وأبكي بدموع حارَّة. فوقع نظري على صورة الطوباويَّة مريم العذراء فالتجأَتُ إليها وندبتها قائلةً: أيَّتها البتول المجيدة يا والدة الله الرحيمة أنَّني اعلم بأنّي لا أستحقّ أن أرفع نظري إليكِ ولا أن تنظري إليَّ لأنَّكِ بتول وينبوع الطهارة والعفاف وأنا لستُ الاَّ بالوعة ممتلئة من الحمأَة والنتانة. ولكن من حيث أنّ الله تنازل واتّخذ جسداً في حشاكِ من أجل خلاص الخطاة لا تهملي أيَّتها البتول تلك التي لا ملجأً ولا عون لها الاَّ بكِ. اسمحي لي أن أدخل الكنيسة لانظر شجرة الخلاص وعود فدائنا وأنا أعدكِ بأنَّني لن أدنّس نفسي بعدها باللذَّات الجسديَّة واترك بنظري إلى الصليب المقدَّس جميع الأشياء الأرضيَّة واسلك من الآن فصاعداً في سبيل الخلاص المستقيم الذي تهديني إليهِ* وبعدما فرغتُ من هذه الصلوة دخلتُ الكنيسة بسهولة. ولمّا تأمَّلتُ في عود الصليب المقدَّس أقلقتني خطاياي وآثامي الفظيعة. وبعدما سجدتُ للصليب رجعتُ إلى صورة مريم العذراء وقلتُ لها: أيَّتها البتول الطوباويَّة انَّني أريد أن أنجز ما وعدتكِ بهِ فالان

أرغب إليكِ أن تدلّيني على الموضع الذي تريدين أن أسكن فيهِ وتعلّميني ما الذي يجب عليَّ عملهُ للتكفير عن خطاياي. فسمعتُ صوتاً يقول لي: اعبري نهر الأردن فتجدي راحتكِ. فاستمدَّيتُ حماية مريم العذراء وقصدتُ الأردن وكنتُ أسقي تلك الطريق بدموعي. ووصلتُ في ذلك النهار عينهِ إلى ساحل النهر فغسلتُ وجبي ورجليَّ بمائهِ المقدَّس* ثم بعد ان قضيتُ عمل التوبة تناولتُ سرّ الاوخرستيَّا في دير مار يوحنا المعمذان الذي كان قريباً من هناك وبتُّ على شاطئ الأردن. وفي الغد قمتُ وعبرتهُ وكنتُ أتوسَّل إلى مريم العذراء أن تهديني إلى الطريق التي يجب أن أسلك فيها. فقادتني الرحمة الإلهيّة إلى هذه البرّيَّة فسكنتُ فيها إلى الآن منعكفةً على التوبة لكي أكفّر آثامي* فقال لها زوسِمُس كم لكِ من الزمان وأنتِ ها هنا وبأيّ شيءٍ تعتاشين. فقالت لي هنا سبع وأربعون سنة وأنا أقتات من عشب الأرض ولمّا بليت ثيابي بقيتُ عريانة وعانيتُ حرّ الصيف وبرد الشتاء ولم أرَ إنساناً مذ دخلتُ هذه البرّيَّة سواك* فتعجَّب الراهب القدّيس من ثباتها واحتمالها ذلك التقشّف الشديد وقال لها: أمَا أصابكِ في ابتداء سكناكِ في هذه البرّيَّة شيء من التجارب. فقالت بلى انّي ابتليتُ مدَّة سبع عشرة سنةً بتجارب قويَّة جدّاً ولولا العون الإلهي لسقطتُ فيها لا محالة ورجعتُ إلى سيرتي الأولى الاثميَّة ولكنّي انتصرتُ عليها بنعمة الله. وطالما اختبرتُ في ضيقاتي قوَّة حماية مريم العذراء لي. وبعد تمام السبع عشرة سنة كفَّت عنّي التجارب بمعونة الله وبدأتُ أن أعيش بالهدو والراحة* ثمَّ طلبت إلى الاب زوسِمُس أن لا يعلم أحداً بها

وبحالتها ما دامت في قيد الحيوة. وطلبت منهُ أن يأتيها في السنة الآتية بالقربان المقدَّس ويناولها إيَّاهُ في يوم خميس الفصح* ثمَّ بعد أن أخذت بركة زوسِمُس وسأَلتهُ أن يصلّي لأجلها توغَّلت في تلك البرّيَّة وتركت هذا الشيخ القدّيس سابحاً بدموعهِ ومباركاً أعمال رحمة الله العجيبة. وكان يقبّل الأرض التي مشت عليها تلك الخاطئة القدّيسة التي أمست مثالاً للتائبين* ثمّ رجع إلى ديرهِ وكتم في قلبهِ الأمر الذي رآهُ*

وفي خميس الفصح من السنة الثانية أخذ زوسِمُس القربان المقدَّس سرّاً وانطلق ينتظرها عند شاطئ الأردن حسبما أوصتهُ. وأراد أن يعبر النهر ولكنَّهُ لم يجد لهُ واسطة لذلك. فبقي متحيّراً. وفيما هو مفكّر إذا بها قد أقبلت فرسمت إشارة الصليب على الماءِ ومشت عليهِ حتى وصلت إلى وزسِمُس فلمَّا رآها أراد أن يجثو أمامها. فصاحت عليهِ قائلة انظر لا تفعل لأنَّك كاهن وفي يديك جسد الربّ وأنا لستُ سوى امرأَة خاطئة* ولمّا دنت منهُ شكرتهُ على زيارتهِ إيَّاها. ثمَّ قالا كلاهما الصلوة الربّيّة وقانون الايمان وناولها جسد الربّ والدموع تهطل من عينيها وهي قائلة مع شمعون الشيخ: الآن اطلق يا ربّ امنك بسلام حسب وعدك لأنَّ عينيَّ ابصرتا خلاصك* وبعد ذلك طلبت إلى زوسِمُس أن يرجع إليها في السنة الآتية في المكان الذي رآها فيهِ أوَّل مرَّة ويراها ان أراد الله. فأجابها القدّيس إلى ذلك. ثمَّ رسمت علامة الصليب على ماءِ الأردن وعبرتهُ ماشيةً وذهبت في سبيلها* أمَّا زوسِمُس فرجع إلى ديرهِ فرحان بما عاينهُ ولكنَّهُ حزن على أنَّهُ لم يستعلمها عن اسمها. فلمَّا حان الصوم

الأربعينيّ من السنة الثالثة وكان زوسِمُس منتظراً بشوق عظيم أن يراها خرج من الدير كجاري العادة وتوجَّه إلى البرّيَّة التي كانت فيها القدّيسة وهو يقول باكياً ورافعاً عينيهِ إلى السماء: يا ربّ اطلعني جيّداً على هذا الكنز المخفيّ الذي أهَّلتَ عبدك الخاطئ أن يراهُ فانّي تائق إلى رؤْية ذلك الملاك الأرضيّ الذي لا مثيل لهُ في العالم* فلمّا دنا من المكان الذي رآها فيهِ أوَّل مرّة تطلّع وإذا أشعَّة نوريَّة تسطع فيه فتفرَّس جيداً فابصر جسد القدّيسة ممدوداً على الأرض ورأَى مكتوباً على الرمل هذه الكلمات وهي: أيُّها الاب زوسِمُس ادفن جسد مريم الخاطئة وضع التراب في التراب وغطِ الرماد بالرماد وصلِّ لأجلي أنا المائتة ليلة جمعة آلام يسوع المسيح في اليوم التاسع من شهر نيسان بعد ما ناولتني القربان المقدَّس* فمن هنا علم زوسِمُس بأنّ اسمها مريم وانَّها بعد تناولها من يدهِ جسد الربّ بساعة تنيَّحت بعدما قطعت طريق عشرين يوماً في تلك الساعة* ثمَّ دنا من ذلك الجسد المقدَّس وقبَّل قدمَي القدّيسة وجنَّزها وصلّى عليها صلاة الموتى كعادة الكنيسة المقدَّسة. واحتار كيف يدفنها لأنَّهُ لم يكن لهُ شيءٌ يحفر بهِ الأرض. وفيما هو مفكّرٌ في ذلك إذا أسد اقبل وجاء نحو جسد القدّيسة وجعل يلحس قدميها. فرسم زوسِمُس إشارة الصليب وأمر الأسد أن يحفر ضريحاً ليدفن فيهِ هذا الجسد المقدّس. فأطاع الأسد أمر القدّيس وحفر بمخالبيهِ لحداً فوضع فيهِ زوسِمُس هذا الكنز الثمين. ورجع إلى ديرهِ وهو يبارك الربّ. وحكى الرهبان كلّ ما جرى فتعجَّبوا جميعاً ومدحوا الله على كل ما يعملهُ مع قدّيسيهِ* وكان موت القدّيسة مريم المصريَّة التائبة في

القرن السادس للميلاد* أمَّا زوسِمُس فعاش بعد ذلك زماناً في الدير ولمّا صار عمرهُ ماية سنة استبدل الأرض بالسماء*

مار فرنسيس بَولا منشئ رهبنة الأخوة الأصغرين

انَّ هذا القدّيس وُلد في مدينة بَولا من أعمال كَلاَبريا. وكان والداهُ من أولي التقى والفضيلة* ولم يكن لهما ولد. وكانا يطلبان من الله بحرارة أن يرزقهما ولداً بشفاعة مار فرنسيس الاسّيسي منشئ رهبنة الأخوة الصغار. فاستجاب الله طلبتهما ووهب لهما هذا القدّيس الفضيل فسمَّياهُ فرنسيس لأنَّ مراحم الربّ افتقدتهما بشفاعة مار فرنسيس* ومنذ صغرهِ أحسن أبواهُ تربيتهُ في خوف الله. وكانت أخلاقهُ لطيفة جدّاً* ولمّا صار لهُ من العمر ثلاث عشرة سنةً خرج من بيت أهلهِ ومضى منفرداً في البرّيَّة ومكث هناك ستّ سنين مشتغلاً بالصلوة والتقشُّف والتأمّل في الأشياء الإلهيّة. ففاحت رائحة سيرتهِ المقدّسة في كلّ تلك الامصار وتتلمذ لهُ كثيرون فكان يرشدهم إلى السبل الخلاصيَّة* وبعد ذلك رجع إلى بلدتهِ وبنى كنيسةً وباشر إنشاء رهبانيَّتهِ الجديدة وسمَّاها رهبنة الأخوة الأصغرين وذلك تواضعاً منهُ. فكان كثير يدخلون تحت لواء هذه الرهبنة الجديدة وكان مار فرنسيس قدوةً للجميع بتواضعهِ وحلمهِ وتقشّفهِ. وكان دائماً يمشي حافياً في البرد والجليد والثلج. وينام على الأرض ويجلد نفسهُ بالسياط وكانت ثيابهُ من صوف دنيّ. ولم يكن يأكل الاَّ مرّةً في النهار أي بعد

غروب الشمس وكان طعامهُ الخبز فقط مع قليل من الماء. وكان إذا شعر بضعف يأكل مع الخبز قليلاً من البقل. وأضاف على النذور الثلاثة الاحتفاليَّة نذراً رابعاً وهو أن لا تأكل رهبانهُ سوى الطعام الذي يحلّ أكلهُ في الصوم الأربعينيّ الاّ إذا كانوا مرضى فيحلّ لهم أن يتناولوا طعاماً آخر*

وكان هذا القدّيس ريّق البِشْر فكان يجتذب قلوب زائريهِ إلى عبادة الله. وجزاءً لأعمالهِ زيَّنهُ الله بهبة عمل الكرامات فكان يطرد الشياطين من أبدان المجانين ويفتّح العميان ويقيم الموتى ويشفي كثيرين من أسقامهم الروحيَّة والجسديَّة. وكان يمشي على النار ويمسكها من دون أن تضرّهُ* ومن ذلك أنّهُ دخل مرّةً في اتّون متَّقد وأطفأَ لهباتهِ* ويوماً آخر مشى على البحر وسار من أرض كلابريا إلى جزيرة صقلية جالساً على عباءَتهِ* ووهب لهُ الله أيضاً روح النبوّة فكان ينطق بالغيب* وانتشرت رهبنتهُ في إيطاليا ثمّ في معظم بلاد أوروبا وخصوصاً في فرنسا حيث أعانهُ لويس التاسع ملكها. وذلك أنّ هذا الملك إذ كان مريضاً ويئس الأطبَّاء من شفاء علّتهِ توسّل إلى البابا أن يرسل لهُ فرنسيس بَولا لكي يصلّي عليهِ لعلّهُ يشفى. فأمر البابا مار فرنسيس أن ينطلق إليهِ. فلمّا وصل على فرنسا قُبِل باكرام عظيم ودخل على الملك وصلّى عليهِ. فأُوحي إليهِ بأنّهُ تعالى لا يشاء شفاء الملك. فلمّا فرغ القدّيس من صلاتهِ قال لهُ أيُّها الملك دبّر أهل بيتك وسلّم إرادتك إليهِ تعالى فانك تموت. فلمّا

تأكّد ذلك عند الملك أكرم القدّيس جدّاً وتأَهّب للموت. وأمر أن يُبنى لهُ أديرة كثيرة في فرنسا*

وبعدما كمَّل مار فرنسيس بَولا انشاء رهبنتهِ وجعل لها قوانين دنت ساعة وفاتهِ فاستعدّ لها بأخذ الأسرار المقدّسة وعاتق رهبانهُ وأوصاهم أن يحفظوا التواضع والمحبَّة الأخويّة وسائر الفضائل. ثمّ باركهم وأمسك صليباً في يديهِ وعانقهُ ورفع يديهِ وعينيهِ إلى السماء قائلاً: يا ربّ في يديك استودع روحي. فطارت نفسهُ إلى السماء لتنال الجزاء على كلّ تلك الأعمال الصالحة التي عملها في حياتهِ الطويلة وكان ذلك يوم الجمعة المقدّسة أي جمعة الآلام في سنة ١٥٠٧* وكان عمرهُ حين مات إحدى وتسعين سنة* ودُفن جسدهُ بعد موتهِ بأحد عشر يوماً وكان مع ذلك طريّاً تفوح منهُ رائحة سماويّة ذكيَّة*

* اليوم الثالث *

مار مبارك العبد الأسود

لا يوجد في العالم نسل خسيس رذيل الاّ وانبت الله فيهِ من فضل ربّنا يسوع المسيح زهرات قدسيَّة عجيبة حتى انَّهُ تعالى اختار لهُ أصفياء من نسل العبيد الذين هم أنذل البشر والذين لعنهم نوح عليهِ السلام. فمن هذا الجنس كان قدّيسنا مبارك الأسود. وكان لهُ أب اسمهُ

خرستفور وامّ اسمها ديانا. امّا أبوهُ فكان عبداً لأحد أشراف جزيرة صقلية. وأمّهُ كانت أمة في بيتٍ آخر وكان مواليها قد اعتقوها. وكان أصل هذين أبوَي مار مبارك من افريقا. فلمّا اقترنا برباط الزيجة عزما أن لا يعرف أحدهما الآخر لئلاّ يُرزَقا ولداً فيكون عبداً محروماً من حرّيّتهِ* فلمّا علم مولى خرستفور بذلك وعدهما بأنهُ يطلق لهما أوّل ولد يُولد لهما. فوُلد لهما البكر وهو مار مبارك. ومنذ صغرهِ تربَّى في سرير الفضائل لأنّ أباهُ خرستفور كان مسيحيّاً حقّاً ذا تقوى عظيمة وعبادة خصوصيَّة لمريم العذراء الطوباويَّة ومحبَّة جزيلة للفقراء. فكان كلّما جمع مقداراً من الفضَّة أو المال أنفقهُ على الفقراء. وكان رجلاً أمّيّاً لا يحسن القراءَة والكتابة ولأجل ذلك لم يعلّم ابنهُ مباركاً شيئاً من العلوم الدنيويَّة بل علّمهُ علم القدّيسين الذي هو محبَّة الله فوق كلّ شيءٍ وخدمتهُ* وكانت مشغلتهُ رعاية غنم مولاهُ. وكان محبوباً عند سيّدهِ لصدقهِ وأمانتهِ في خدمتهِ* أمَّا مار مبارك فلمّا كبر تقلّد رعاية الغنم مكان أبيهِ فكان يأخذها ويخترق بها البراري ويرعاها متباعداً عن رفاقهِ. فكان رفقاؤهُ يبغضونهُ ويحتقرونهُ لأنهُ لم يكن يخالطهم ويرافقهم في أعمالهم الرديَّة فكان يحتمل ذلك منهم بصبر* ولمّا صار عمره اثنتي عشرة سنةً ترك رعاية الغنم وأخذ يشتغل في فلاحة الأرض* وبعد ثلاث سنين دنت الساعة التي شاءَ الله أن يدعوهُ فيها إلى سيرة أكمل من سيرتهِ الأولى فانطلق إلى برّيّة فيها سوّاح. ولمّا رأوهُ طفقوا يهزأُون بهِ ولكن رجلاً شريفاً منهم زجرهم

وقال لهم: انكم الآن تستخفُّون بهذا العبد المسكين ولكنّكم عمّا قليل ستتعجَّبون من صيتهِ السامي. ثمّ التفت إلى مار مبارك وقال لهُ اتبعني. فتبعهُ وكان لهُ من العمر إذ ذاك إحدى وعشرون سنةً وشرع يسير سيرةً تحاكي سيرة آباء البرّية الأوّلين فلم يكن يأكل الاّ مرّةً واحدة في اليوم وكان طعامهُ الخبز والحشائش لا غير* وكان يقمع جسدهُ بالتقشّف وعمل لهُ ثياباً من ورق النخل فلما عمل يوماً بولس أوّل الحبساء* فذات يومٍ أرسلهُ رئيسهُ إلى المدينة لقضاء حاجة فصادف في الطريق امرأَةً فقيرةً بآكلة مهولة. فتوسّلت إليهِ أن يرسم علامة الصليب على قرحتها لعلّها تشفى. فتحنَّن القدّيس على بلواها وأجاب إلى سؤَالها وانصرف. فبرئت تلك المرأة من ساعتها* وذاع خبر هذه الكرامة في كلّ مكان فكان المرضى يتقاطرون إليهِ مستشفين. امّا هو فلكثرة ازدحام الجميع عليهِ ترك تلك البرّيّة وهرب مع رفاقهِ إلى أحد الجبال وبنوا لهم صوامع من الحجارة وورق الشجر وأقاموا فيها عائشين في العيادة والفقر وكانت جودة الله تسدّ احتياجاتهم. وبنى لهم هناك والي جزيرة صقلية كنيسة وصوامع أخر* وبعد زمان مات رئيسهم فأقاموا عوضهُ مار مبارك رئيساً عليهم برضاهم جميعاً فأصبح هذا القديس إماماً لهم في جميع الفضائل* واستمرّ في مرتبة الرياسة إلى حين ضمّ البابا بيوس الرابع اخويّتهم إلى رهبنة مار فرنسيس. وحينئذٍ أُرسِل مار مبارك إلى دير القدّيسة حنّه وسكن فيهِ ثلاث سنين منعكفاً على أعمال التقشّف والصلوة والتأمّل* ثمّ انطلق إلى دير القدّيسة مريم

وصار فيهِ طبّاخاً. واحتاج الرهبان يوماً إلى القوت لأنَّهم ما أمكنهم أن يستعطوا في المدينة لوقوع الثلج فأخذ مار مبارك راهباً من رفقائهِ ليساعدهُ في المطبخ فملأ جميع الأوعية ماءً وجعل القديس يطلب من الله العون مثل اليشاع النبي. وقضى تلك الليلة كلّها في الصلوة. ولمّا أصبح وجد كل تلك الآنية ممتلئة سمكاً فطبخها وقدَّمها للرهبان* ويوماً آخر احتاج إلى حطبٍ للمطبخ فخرج من الجبال يلتمس ذلك فوجد شجرةً عظيمة ملقاة على الأرض فحملها على كتفهِ وأتى بها إلى الدير. فلمّا رآهُ الرهبان تعجَّبوا من ذلك وقالوا لهُ: كيف قدرت أن تحمل هذه الشجرة العظيمة. أمّا هو فعكس العبارة وأجابهم أنني محتاجٌ إلى حطب للمطبخ* وكان يوصي الرهبان الذين كانوا يساعدونهُ في المطبخ أن يحترسوا يحفظ الفتات الفاضل من المائدة قائلاً لهم: لا ترموا شيئاً منهُ بل أعطوهُ للفقراء فانّهُ من دم المحسنين إلينا* وبعد ذلك الزمان أقيم رئيساً على أحد الأديرة فكان مع ذلك يعتبر نفسهُ الأخير في الرهبان وكان يعمل أدنى الأعمال في الدير محافظاً على الفقر والتواضع والصبر. وكان محبوباً عند الجميع لملاحة خصالهِ. وإذ وبَّخ يوماً أحد الرهبان على نقيصة سمعها عنهُ وكان الراهب بريئاً منها وعلم بعد ذلك برارتهُ جاء وانطرح على قدميهِ مستغفراً* وكان الناس يكرمونهُ ويحترمونهُ. وزيّنهُ الله بموهبة عمل الكرامات فكان بعلامة الصليب يردّ البصر للعميان والسمع للصمّ والصحة للعرج والمفلوجين والحيوة للموتى ويشفي كلّ نوع من الأسقام حتّى انّهُ كان

يلوح انّ ربّنا يسوع المسيح وهب لعبدهِ الأسود مبارك كلّ قدرتهِ على الحيوة وعلى الموت* وكان لهُ روح النبوّة ومعرفة خفايا القلوب فكان يكشف للخطاة خطاياهم ويحرّك قلوبهم على التوبة* وذات يوم جاءَت إليهِ امرأة تسألهُ عن حال ابنها وكان غائباً. فقال لها: لا تقلقي فانّكِ ستأتيكِ عنهُ أخبار الخير فاذهبي بسلام* وبعد يومين وردت إلى تلك المرأة رسالة من ابنها تبشّرها بقدومهِ* ويوماً آخر أهدى لهُ رجل كرّام سلّة عنب. فأخذ منها القدّيس شيئاً قائلاً: انّي لا آخذ سوى ما جنيتهُ من كرمك. لأنّ العناقيد الأخر كان الكرّام قد جناها من كرم جارهِ* ويوماً آخر جاءَت إليهِ امرأة شريفة تستعلمهُ عن شفاء زوجها وولدها لأنَّهما كانا مريضين جدّاً. فقال لها القدّيس: لا تخافي فانّ زوجكِ سيشفى. فقالت لهُ وما قولك في ولدي فأجابها: لا تقلقي فانَّكِ لا تقدرين أن تصنعي شيئاً أحسن من أن تردّيهُ على الله الذي وهبهُ لك. فدعيهِ يذهب إلى الفردوس وصحّت نبوّتهُ لأنهُ بعد خمسة أيَّام شُفي الرجل. وامّا الولد فمات*

وبعدما قضى مار مبارك العبد حيوةً مقدّسةً ممتلئةً أعمالاً صالحة وكراماتٍ باهرة شاء الله أن يكافيهُ على أمانتهِ في خدمتهِ فارسل لهُ حمّىً شديدة جعلتهُ طريح الفراش. فعلم من ذلك بأن قد حانت ساعة رحالهِ من هذا العالم فتناول أسرار البيعة المقدّسة وتأهّب للموت. فاستنار وجههُ بنور سمويّ وفاحت منهُ رائحة ذكيّة وبسط يديهِ على صدرهِ ولفظ اسم يسوع ومريم وأبيهِ مار فرنسيس

مرّةً أخيرة ورفع عينيهِ إلى السماء وقال: يا ربّ في يديك استودع روحي. وحين فاه بهذه الكلمات خرجت روحهُ. وكان ذلك في اليوم الرابع من شهر نيسان سنة ١٥٨٩ وعمرهُ خمس وستّون سنة* ولمّا نُعي وشاع خبر موتهِ اجتمع إلى الدير أناس كثيرون من الأمراء والأدنياء والفقراء والأغنياء وحضروا في تجنيزهِ ودفنتهِ. وأجرى الله كرامات باهرة على قبرهِ. وذاع صيت هذا العبد القدّيس في كلّ بلاد إيطاليا واسبانيا وبرتوغال حتى في أميركا وهناك اتّخذهُ العبيد الذين من نسلهِ محامياً وشفيعاً لهم*

وفي ساعة موتهِ كانت مباركة بنت أخيهِ تصلّي وكانت عالمة بمرض مبارك عمّها فرأت حمامةً أشدّ بياضاً من الثلج تحوم حواليها وسمعت صوتاً يقول لها: أَمَا تسألين شيئاً يا مباركة. فعرفت مباركة صوت عمّها وقالت: إلى أين منطلق يا عمّاه. فأجابها الصوت إلى السماء*

* اليوم الرابع *

مار امبروسيوس اسقف مديولان ومعلم الكنيسة

انّ مار امبروسيوس الشهير كان ابن رجل من أشراف روميَّة قد استولى على بلاد غاليا (وهي فرنسا القديمة)* ولمّا كان امبروسيوس

طفلاً راقداً في السرير رأى أبوهُ نحلاً يدخل ويخرج من فيهِ ويطير في الجوّ. فقال: إذا عاش هذا الصبيّ فلا شكّ أنَّهُ يكون عظيماً* ولمّا تربَّى امبروسيوس وبلغ سنّ الشبوبيَّة مات أبوهُ. أمَّا هو فرجع بهِ أمّهُ وأخوهُ إلى مدينة روميَّة. وكانت روميَّة حينئذٍ مدينة عظيمة وممتلئة فساداً وشروراً. فصان الله امبروسيوس من شرّها* وكان هذا القدّيس مولعاً في درس العلوم والفضائل حتَّى انَّهُ أصبح يوماً كاملاً في علم الفلسفة والبيان وفي سائر العلوم. وبازيد من ذلك صار مثالاً لجميع الفضائل ومرآةً للقداسة والطهارة* وتعارف مع أرباب الدولة فكانوا يحبُّونهُ لملاحة خصالهِ ونصبوهُ والياً على مقاطعات انسُبريا وليغوريا واميليا التي من أعمال مديولان من جهة جَنوَا ولمبرديَّة*

وكان مار امبروسيوس مهتمّاً بانتشار الديانة الكاثُليكيَّة في تلك الامصار وإزالة أضاليل الآريوسيّين الذين كان رئيسهم وأسقفهم رجل مكَّار من بلاد قَفَدوقية يُدعى أُكْسَنْت. وكان يتظاهر بأنَّهُ مسيحيّ غير أنَّهُ كان من أكبر أعداء المسيح. وكان ينفث هناك سمّ تعاليمهِ الفاسدة والمُفسدة. فسمح الله بموتهِ فارتاحت الكنيسة منهُ. ولكن بعد موتهِ تخاصمت جماعة مديولان التي كان قسمة منها كاثُليكيَّة والقسمة الأخرى آريوسيَّة على إقامة أسقف عوضهُ. فأراد الكاثُليكيُّون أن يكون الأسقف المنتخَب كاثُليكيّاً. وأراد الآريوسيُّون أن يكون آريوسيّاً* ولمّا رُفع الأمر إلى الملك والنطنيانس قيصر طلب إلى الأساقفة أن يقيموا مكان أُكْسَنْت أسقفاً صالحاً يستحقّ أن تُؤَدَّى لهُ الطاعة. فاجتمعت

الجماعة في الكنيسة وثار بينهم الشغب ثانيةً على أنّ كلاًّ من الفريقين كان يريد أن يكون الأسقف من حزبهِ* وفي تلك الأثناء دخل مار امبروسيوس ليصلح بينهم. فلمّا فتح فاهُ ليتكلّم صرخ أحد الصبيان بصوت عالٍ قائلاً: ليكن امبروسيوس أسقفاً. فقبل الفريقان بالهام الاهي هذا الصوت واتّفقا على انتخابهِ. فتعجَّب مار امبروسيوس من ذلك وأخذ يعمل جهدهُ لكي يُعفى من هذه الوظيفة التي كان يحتسب نفسهُ غير أهل لها ولكن كلّ احتجاجاتهِ لم تقدر أن تقنّع الجماعة. فعزم على الهرب إلى مدينة باويّاً. فخرج مساءً متنكّراً ولمّا قضى تلك الليلة كلّها وظنّ انَّهُ قد اقترب من تلك المدينة إذا بهِ في باب مديولان الذي كان قد خرج منهُ. فتحقَّق من ذلك انّ الله يريد منهُ أن يتقلّد هذه الوظيفة فأجاب إلى دعوة الجماعة* ولمّا علمت الجماعة بهربهِ ورجوعهِ بأعجوبة وضعوا حرَّاساً يحتفظون بهِ لئلاًّ يهرب ثانيةً وكتبوا إلى والنطنيانس الملك رسالة بها يستميحونهُ أن يثبّت امبروسيوس أسقفاً على مديولان لأنَّهُ كان في الشرائع والقوانين أنَّهُ إذا تنزَّل أحد من وظيفة الرياسة المدنيَّة ليدخل في وظيفة الرياسة البيعيَّة يجب أن يُطلَب لذلك رضى الملك. فلمَّا قُرئت تلك الرسالة على الملك وعلم فحواها فرح فرحاً عظيماً وثبَّت انتخابهُ برضى مطلق* وبينما كان الشعب ينتظرون جواب رسالتهم من الملك خدع مار امبروسيوس الحرَّاس وهرب ثانيةً إلى البرّيَّة واختفى هناك في بيت أحد أصدقائهِ. فلمَّا ورد جواب الملك بتثبيت انتخابهِ خاف الرجل أن يكتمهُ فأَظهره. فعند ذلك لم يعد لمار

امبروسيوس سبيل للامتناع. فالتزم أن يخضع لإرادة الله ويحني عنقهُ لهذا النير الذي استثقلهُ إلى الغاية ويصير أسقفاً مع أنَّهُ لم يكن معمَّذاً بعدُ بل كان من الموعوظين الداخلين جديداً في الايمان المسيحيّ الذين تمتحنهم الكنيسة مدَّة ثمَّ تقبلهم في حضنها وتسمح بعماذهم. فعُمِّذ مار امبروسيوس وسيم قسّيساً وبعدهُ رُفِع إلى درجة الأسقفيَّة. وحضر الملك بنفسهِ في رسامتهِ. وبعد انقضاء الرسامة رفع الملك عينيهِ إلى السماء وقال: أشكرك اللهمَّ على انَّك استودعت النفوس عند مَن استودعتُ أنا الأجساد وبيّنت في ذلك أنَّهُ نعم الانتخاب ما انتخبتُ* ففرحت كلّ إيطاليا بانتخابهِ. وهنَّأَهُ مار باسيليوس أسقف قيصريَّة برسالة مدحهُ فيها*

ولمّا استقرّ مار امبروسيوس على كرسيّهِ قلّد أمور السياسة المدنيَّة لأخيهِ ساتيرس. وأمَّا هو فخصَّص نفسهُ بجملتها لخدمة الله ورعاية النفوس. ووزَّع على الفقراء كلّ ما كان يملكهُ من الدراهم. وكان يقدّس كلّ يوم بعبادة ويكرز بكلام الله في كلّ يوم أحد. وكانت خطباتهُ مملوءَةً تعليماً وفصاحةً وبها اهتدى إلى الديانة الحقيقيَّة مار اوغسطينس فصار معلّماً ونوراً للكنيسة المقدّسة* وكان قدّيسنا الفاضل يعمل أعمال الرحمة الروحيَّة والجسديَّة فأضحى بفضائلهِ إماماً للاحبار ومرآةً في القداسة. وكان يكثر من الصوم والتقشُّف. وعلى قدر ما كان حليماً مع الناس كان قاسياً على ذاتهِ. وكان رحوماً سخيّاً مع الفقراء حتَّى انَّهُ حينما كان يلجئهُ الأمر كان يبيع أمتعة الكنيسة ويسعف بها الفقراء أو يفدي الأسرى. واقتدى بهِ في ذلك مار اوغسطينس* وكان مار

امبروسيوس يقول: نعم انَّهُ يجب أن تقتني الكنيسة ذهباً وأموالاً ولكن لا لكي تكنزها بل لكي تسدّ بها حوائج الفقراء أولادها. انتهى* وكان في عظاتهِ يحرّك العذارى على حفظ البتوليَّة واتّخاذ يسوع المسيح عريساً لهنَّ. فجذب بأقاويلهِ المفيدة جمّاً غفيراً من الأبكار العفيفات إلى تخصيص ذواتهنَّ ليسوع المسيح* وكان يتوجَّع قلبهُ على الخطاة ويسعى برجوعهم إلى التوبة. واستأصل من تلك البلاد عوائد كثيرة كانت قد بقيت عند المسيحيّين من آثار الديانة الوثنيَّة كعمل الولائِم برهج والطرب المفرط في رأس السنة وما يضاهي ذلك* ثمَّ انَّهُ كان يقاوم الاراطقة الآريوسيّين الذين كانوا يكدّرون راحة المؤْمنين ويقهرهم. وكان هولاء الأراطقة يبغضونهُ جدّاً. فذات يوم إذ كان يخطب على المنبر تجاسرت إحدى النساء الآريوسيَّات الشرّيرات وصعدت على المنبر وأمسكت رداءهُ لتطرحهُ إلى أسفل. فقال لها القدّيس بحلم: أيّتها المرأَة ليس لكِ حقّ لا أنتِ ولا أحد من طائفتكِ أن يمدّ يدهُ على أسقف أو على قسّيس. أما تخافين من دينونة الله ومن أنّ جسارتكِ تجلب عليكِ عقاباً صارماً منهُ تعالى. ولمّا وبَّخها بهذهِ الكلمات سقطت ميتةً أمام الجمع*

وبعد ذلك جمع مار امبروسيوس مجمعاً على الأساقفة الآريوسيّين في مدينة اكويلا وقهرهم في الجدال. وكان الله يحامي هذا حبرهُ الامين. فجزم أعداؤهُ يوماً أن يميتوهُ فسلَّحوا رجلاً شجاعاً من طائفتهم وأدخلوهُ عليهِ ليضربهُ بالسيف فلمّا دنا منهُ هذا الرجل ورفع يدهُ

بالسيف لينزل بهِ على رأسهِ إذا بيدهِ قد يبست. فيا للخجل الذي أصابهُ عند ذلك هو والذين سلّحوهُ وأرسلوهُ. فحينئذٍ انطرح على قدمَي مار امبروسيوس مستغفراً* وبهمَّة مار امبروسيوس وكراماتهِ التي كان يجريها بقوّة الله ضعفت شيعة الآريوسيّين وانتشرت الديانة الكاثُليكيّة الحقيقيّة *

وكان هذا الراعي الصالح غيوراً على مجد الله وخلاص النفوس وشجاعاً في المحاماة عن الحقّ. فاتَّفق ذات يوم انّ الملك ثاودوسيوس قتل في تسَّلونيقي أكثر من سبعة آلاف رجل لجرم ارتكبهُ بعضهم. وذلك من دون أن يميّز المجرم من البري. فلمّا سمع مار امبروسيوس تخزّق قلبهُ توجّعاً وشفقةً على أولئك الأبرياء الذين قُتِلوا مع المجرمين* وبعد ذلك لمّا عزم الملك أن يدخل الكنيسة منعهُ مار امبروسيوس الأسقف ووبّخهُ بكلمات شديدة وقال لهُ انّهُ لا يجوز لك الدخول في الكنيسة الاَّ بعد أن تعترف بذنبك علانيةً وتكفّره بالتوبة. فخضع الملك لأمر الأسقف ورجع إلى قصرهِ. وبقي يكفّر عن خطيّتهِ بدموع التوبة مدّة ثمانية أشهر* فدخل عليهِ في أحد الأيّام واحد من أهل مشورتهِ ورآهُ يبكي بدموع حارّة فقال لهُ: علامَ حزنك المتّصل وبكاؤك المداوم أيّها الملك. فأجابهُ ومن بالحزن والبكاء أحقَّ منّي. ها انني أرى الفقراء والأدنياء يدخلون الكنيسة بالسهولة وانا فمع انّني ملك أرى أبوابها مغلقة في وجهي. لأني أعلم أن ربّنا يسوع المسيح قد قال لكهنتهِ: ما ربطتموهُ على الأرض يكون مربوطاً

في السماء* فقال لهُ مشيرهُ: اكفف بكاءَك فانّي انطلق إلى الأسقف امبروسيوس واقنعهُ أن يحلّك. فقال الملك: انهُ لا يفعل ذلك لأنّني عالمٌ بأنّ قضيّة حكمهِ هي عادلة ومحقَّة وليس هو من اولئك الذين يتعدّون شريعة الله احتراماً للسطوة الملوكيّة* ولمّا دنا عيد الميلاد وكان الملك قد قضى ثمانية أشهر بالبكاء والندامة انطلق إلى الكنيسة لا لكي يدخل فيها بل لكي يستغفر مار امبروسيوس ويستعطفهُ ليحلّهُ. فلمّا رآهُ امبروسيوس ولم يكن يعرف نيَّتهُ وبَّخهُ توبيخاً شديداً. فقال الملك: أنا لا أريد أن أتعدَّى أوامر الكنيسة بدخولي إليها جبراً ولكنّي أرجوك أن تتذكّر حلم ربّنا يسوع المسيح وتحلّني من خطيّتي ولا تغلق الباب الذي فتحتهُ رحمتهُ للّذين يندمون على جميع خطاياهم* قال لهُ مار امبروسيوس: ايّة توبة صنعت عن الجرم العظيم الذي أجرمت بهِ. وبأيّ مرهم داويت تلك الجروح المثخنة العسرة الشفاء* قال الملك: إنّما عليك أن تصف الدواء وعليَّ تناولهُ. ففرض عليهِ مار امبروسيوس عند ذلك قوانين وفائيّة كفّارة عن خطاياهُ. وبعد أن أدّاها الملك كما يجب حلّهُ مار امبروسيوس فدخل الكنيسة وانطرح على الأرض وهو يجرّ شعرهُ ويقرع صدرهُ ويبلّ الأرض بدموعهِ وشرع يستغفر الله بهذه كلمات النبيّ والملك وهي: لصقت بالتراب نفسي فاحيِني حسب كلمتك*

وهكذا ترك هذا الملك الصالح ثاودوسيوس مثالاً مقدّساً لذكر مخلّد حسبما قال عنهُ مار اوغسطينس لكي تأتمّ بهِ جميع البشر حينما

يلجُّهم الأمر ولا يستحيي فقيرٌ أو دنيّ أو شريف أو غنيّ من العمل الذي لم يستحيِ من عملهِ الملك جهراً أمام العامّة*

ويوماً آخر دخل الملك ثاودوسيوس إلى الكنيسة ووقف على الخورس في مكان الكهنة لكي يسمع القدّاس. فلمّا رآهُ مار امبروسيوس أرسل إليهِ يقول: إنّ هذا المكان ليس هو مكانك بل مكان الكهنة وانّ الأرجوان نعم يقدر أن يعمل سلاطين ولكنهُ لا يقدر أن يعمل كهنة. فشكر الملك مار امبروسيوس على إصلاحهِ هفواتهِ* ولمّا رجع إلى القسطنطينيّة لم يعد يجلس في مكان الكهنة كما كان يفعل قبل ذلك وكان حافظاً طاعةً واكراماً لمار امبروسيوس. وبمشورة هذا القدّيس ثبّت في المملكة أشياء كثيرة نافعة للكنيسة واستمرّ اميناً معهُ حتى موتهِ*

وعمل مار امبروسيوس أَعمالاً أُخر عجيبة لا يسعنا هذا المختصر أن نذكرها* وقبلما وقع مريضاً بأيّام قليلة إذ كان يفسّر المزمور الثالث والأربعين ملقّناً كاتبهُ بولين إذا بكُرَةٍ ناريةً غطّت رأسهُ ودخلت فاهُ. وفي الحال تغيّر وجههُ وصار ساطعاً أشدّ بياضاً من الثلج. وبعد زمان قليل رجع لون وجههِ كالأوّل فقبل أن يختم ذلك المزمور وقع مريضاً وكان مرضهُ يشتدّ. ولمّا دنت ساعتهُ أخذ أسرار البيعة المقدّسة وسلّم نفسهُ إلى الله وذلك في اليوم الرابع من شهر نيسان سنة ٣٩٧ وعمرهُ إذ ذاك أربع وستّون سنة*

وحزنت عليهِ المدينة كلّها لا بلى سائر المملكة الرومانيّة لأنّهُ

كان نافعاً لها بصلواتهِ من أجلها وأعمالهِ الحسنة فيها. وزيَّنهُ الربّ بكرامات باهرة صنعها بشفاعتهِ في مدّة حياتهِ وبعد موتهِ*

من ذلك انّهُ إذ كان يوماً في روميّة يقدّس القدّاس جاءَت إليهِ امرأة مفلوجة محمولة على سرير وقبَّلت حلّتهُ المقدّسة فوضع يديهِ عليها فشُفيت في الحال وقاست تمشي*

ويوماً آخر إذ كان في مدينة فلورنسا نازلاً في بيت رجل من أشرافها وكان للرجل ابن فيهِ شيطان فشفاهُ ولكن الصبيّ مات بعد ذلك فأخذت تتوسّل أمّهُ إلى القدّيس أن يصلّي إلى الله لعلّهُ يردّهُ إلى الحيوة. فاقتدى مار امبروسيوس باليشاع النبي واضطجع على جسد الصبيّ واحياهُ بقدرة الله ودفعهُ إلى أمّهِ فمجَّد الله كلّ من عاين ذلك أو سمعهُ*

وفي يوم موتهِ ظهر لكثيرين ممّن كانوا يحبّونهُ وبعضهم رأى على جسدهِ كوكباً مضيئاً وقبلما دفنوهُ كانت الناس مزدحمةً تريد أن تقبّل يديهِ أو تلمس ثيابهُ

وكان مار امبروسيوس ذا شهرة عظيمة في حياتهِ حتى انّ المجامع والأساقفة كانوا يُؤَدّون لهُ اكراماً عظيماً ويسمعون لهُ في كلّ ما كان يتفوّهُ بهِ ولا سيَّما مار اغسطينس فانّهُ دعاهُ في كتبهِ رجل الله المحامي للحقّ الكاثُليكيّ من الهراطقة* ومدحهُ أيضاً مار باسيليوس الكبير وقال عنهُ كسّيدورس: انّهُ كان فصيحاً ذا قدرة على الاقناع. وكان فيهِ شيئان متساويان وهما قداسة السيرة والعلم الغويص. وانّهُ تزيّن بمزايا

اخر حميدة وبأعاجيب باهرة* وكان من تجاسر أن يذمّ مار امبروسيوس أو ينمّ بهِ يُعاقَب بعد زمان يسير. من ذلك أنّ رجلاً من اقليرُس مدينة مديولان إذ كان يتغدّى يوماً في وليمة أخذ يقدح في مار امبروسيوس. فضربهُ الله حالاً فحملوهُ من المائدة إلى الفراش ومن الفراش إلى القبر* فهذا يعلّمنا جزيل الاحترام الذي بهِ يجب علينا أن نتكلّم عن عبيد الله لأنّهُ قد قال جلّ جلالهُ في الإنجيل المقدّس: من لمسكم فقد لمس حدقة عيني*

وصنَّف هذا المعلّم العظيم تصانيف كثيرة لمنفعة بيعة الله جعلتهُ أهلاً لأن يدعى ملفان الكنيسة

* اليوم الخامس *

مار منصور الفرّاري الدومِنِكي

انّ مار منصور كان من رهبنة الأخوة الواعظين وفخر اسبانيا ووُلد في ٢٣ كانون ٢ سنة ١٣٥٠ في مدينة والنسا من أعمال اسبانيا من والدين شريفَي الحسب والنسب وساميَين في الفضيلة. وكان اسم أبيهِ غليوم فرّاري واسم امهِ ثابتة ميخائيل. ومنذ حُبل بهِ ظهرت إشارات بيّنة تدلّ على ما سيكون من ذلك الجنين فانّ أباهُ رأى رويا ذات ليلة وهي أنّهُ رأى راهباً من رهبنة مار عبد الأحد يكرز في إحدى الكنائس

وعند كرزهِ التفت إليهِ أمام جميع الناس الحاضرين في الكنيسة قائلاً لهُ: أنا أهنّئُك لأنَّهُ بعد أيّام قليلة يولد لك ابن يصير اعجوبة القداسة والعلم ويملأُ العالم من العجائب والسماء من التهاليل والجحيم من الخوف العظيم. وسيلبس ثوب رهبنة مار عبد الأحد ويُقبَل في الكنيسة المقدّسة بفرح عمومي مثل رسول يسوع المسيح* وللوقت استيقظ من نومهِ وحكى ذلك لأمرأتهِ. وقالت امرأتهُ انّني لم أشعر قطّ بوجع منذ حملتهُ وانّني طالما سمعتُ صوتاً كصوت جرو ينبح في حشاي* وبعدما فرغا من كلامها ذهبا كلاهما إلى مطران والنسا مرشدهما وكان من عشيرتهما وأخبراهُ بذلك. فقال لهما المطران افرحا بالربّ لأنّ الطفل الذي سيأتي إلى العالم يصير ابناً مستحقّاً لمار عبد الأحد وسيصنع احسانات جزيلة لشعوب الله بواسطة وعظهِ. وبنبحهِ يرعب الذئاب ويطردهم عن قطيعهِ. فاجتهدا بهِ وربياهُ تربية حسنة مقدّسة لكي يوافق النعمة العظيمة السامية التي ينعم الله بها عليهِ*

وبعدما وُلد مار منصور أخذهُ أهلهُ وأقرباؤهُ إلى الكنيسة ليعمّذوهُ. ولمّا أتوا إلى تسميتهِ جعلوا يتحدّثون بأيّ اسم يسمونهُ ولم يتّفقوا على ذلك. فحينئذٍ الكاهن المعمّذ للصبي قال بإلهام إلاهي ليكن اسمهُ منصوراً. فرضي الجميع ودعوهُ بهذا الاسم لأنَّهُ سيكون منصوراً على الجسد وعلى العالم وعلى الشيطان* وكان في طفوليتهِ حليماً هادئاً شهيّاً جميلاً بحيث أنّ الناس كانوا يأتون لزيارتهِ وملاطفتهِ*

ولمّا بلغ إلى السنة العاشرة فاق جميع رفاقهِ في المدرسة بالتعلّم

وكان بأعمالهِ يبيّن ما سيكون منهُ في المستقبل فانّهُ كان يجمع رفقاءَهُ الصبيان ويقول لهم اسمعوا أيُّها الصبيان واحكموا اما انّي واعظٌ وايّ واعظ. ثمّ كان يرسم علامة الصليب ويعظهم سارداً على مسامعهم البراهين التي كان قد سمعها من بعض الواعظين في والنسا ومخاطباً ايَّاهم بتلك الحركات التي كان يعاينها في أولئك الواعظين وكان الجميع يتعجّبون منهُ*

وبعدما تعلّم في زمن يسير على النحو والمنطق شرع يدرس علم اللاهوت وكان ازديادهُ في الفضائل على قدر اجتهادهِ في العلوم* ولمّا صار عمرهُ ثماني عشرة سنة وامعن فكرهُ في أباطيل الدنيا الزائلة عزم أن يتخلّى عن العالم ويخصّص نفسهُ لخدمة يسوع المسيح في رهبنة مار عبد الأحد. فتكلّم مع والديهِ في شأن ذلك ففرحا بقصدهِ هذا الصالح وباركاهُ* وفي الغد وكان ثاني يوم من شهر شباط وهو عيد تطهير مريم العذراء في سنة ١٢٦٧ أخذهُ أبوهُ وذهب بهِ إلى الدير. وكان رئيس الدير قد رأى رويا في تلك الليلة أنّ مار عبد الأحد ظهر لهُ محضراً أمامهُ فتىً وقائلاً لهُ: اقبلهُ في الجماعة لأنّ هذا هو ابني. ولمّا كان الصباح رأى قدّيسنا آتياً مع أبيهِ فعرفهُ لأنّهُ كان ذلك الذي رآهُ في حلمهِ فقبلهُ بفرح عظيم* ومنذ أوّل برهة من مكثهِ بين المبتدئين أخذ يقرأ سيرة أبيهِ الطوباويّ مار عبد الأحد متّخذاً إيّاها مثالاً لهُ ومقتدئاً بها على قدر امكانهِ فأصبح هو أيضاً قدوةً للجميع في طاعتهِ واتّضاعهِ وسكوتهِ وتقشّفهِ وسائر فضائلهِ*

وبعد أن قضى سني ابتدائهِ وختم مسعَاهُ في درس العلوم صار معلّم الدارسين في اللاهوت والفلسفة في مدينة لاريدا. وتعلّم اللغة العبرانية واللغة العربيّة. ولمّا كان شمّاساً كان يكرز بكلام الله في والنسا ويجتذب نفوساً كثيرة من الخطاة إلى التوبة والهراطقة والغير المؤْمنين إلى الايمان*

ولمّا بلغ السنة الحادية والثلاثين من عمرهِ سيم كاهناً. وكانت حياتهُ صلوةً مقطّعة بالدرس ودرساً مقطّعاً بالصلوة. وكان في نفسهِ مغالبة بين العلم والتقوى. وكان إذا تعب في النهار يأخذ راحتهُ في جزءٍ كبير من الليل بالتأمّل في الله بحضورهِ أمام القربان المقدّس. وحينما كان يقدّس كانت دموعهُ تهطل من عينيهِ. وكان يبان كأَنَّهُ عبد الأحد ثانٍ*

وفي ذلك الزمان صار مستعرف بَنَدكتُس الثالث عشر البابا الذي كان حينئذٍ في مدينة أَوِنيون. ونصبهُ هذا البابا معلّم القصر المقدّس والتوّاب المعظّم. وكانت حياتهُ القدسيّة تعظ أكثر من أقوالهِ وكان لها قوَّة على القلوب بسبب سيرتهِ الصالحة. وكان لهُ عادة أن يقول في شأن ذلك: من لا يستحيي أن يكرز أمام الناس بالشيء الذي ما يستعملهُ هو بنفسهِ. وكيف يمكن أن يصير الإنسان الشابّ أعمى حتّى لا يرى في حياة الكاهن الفاتر مناقضة ما يكرز بهِ أمام الناس انتهى* وذات يوم اعترف لديهِ رجل بخطيّة ثقيلة فعرض عليهِ قانوناً أن يعمل توبة مدّة سبع سنين. وكان الرجل متندّماً على خطيَّتهِ

تندّماً شديداً حتَّى بأن لهُ أنّ هذا القانون خفيف بالنسبة إلى ثقل خطيّتهِ. فقال للقدّيس: يا أبي أتظنّ أنّهُ يمكنّي أن أخلص بهذه الكفّارة الوجيزة. فأجابهُ مار منصور نعم يا ابني لا بل انقطع ثلاثة أيّام فقط على الخبز والماء. أمّا التائب فكان يبكي على خطيّتهِ بمرارة قلب ولم يكن يظنّ أنّ هذا القانون الخفيف يقدر أن يمحو جرمهُ* فلمّا رأى مار منصور انكسار قلبهِ أمرهُ أن يقول ثلاث مرّات أبانا الذي وثلاث مرّات السلام لكِ. فحينما فرغ التائب من تلاوة أبانا الذي في المرّة الأولى وقع ميتاً أمام رجلَي القدّيس من افراط توجّعهِ على خطاياهُ وخرجت روحهُ. ثمّ ظهر للقدّيس وبشّرهُ بأنّهُ قد فاز بالمجد من دون أن يدخل المطهر لأنّ الله قد اكتفى بتوجّعهِ الحقيقيّ كفّارةً عن خطاياهُ وذات يوم اشتدّ مرض القدّيس فظنُّوا أنّهُ يموت في تلك الساعة. فبرق على غفلة ضَوْء عظيم في الحجرة وظهر لهُ يسوع المسيح برفقة جيوش الملائكة مع الأبوَين الممجَّدين مار عبد الأحد ومار فرنسيس فخاطبهُ يسوع قائلاً: قم سالماً وتخلّص يا منصور وفي زمن قليل تتوب الخطاة. فقم واذهب واكرز في منع الرذائل لأنّي لأجل ذلك اخترتك. نبّه الخطاة لكي يرجعوا لأنّ دينونتي قريبة. أنا أثبّتك في النعمة. ودائماً تكون منصوراً على الدنيا وتجاريبها* وأرشدهُ لكي يعيش عيش الرسول. ولمّا فرغ يسوع من كلامهِ لمس وجه منصور باصبعهِ قائلاً: يا منصوري قم: فقام منصور. وكانت وسمة أصابع يسوع في وجههِ إلى ساعة موتهِ* وفي الغدّ ذهب إلى البابا واستأذنهُ أن يذهب ليكرز في العالم فلم

يأذن لهُ إلاَّ بعد سنتين. وبعد ذلك أرسل منصوراً بقدرة عظيمة رسليّة لكي يردّ العالم الضالّ إلى يسوع المسيح وذهب جاذباً أهالي أوروبا في كلّ مكان من اليهود والغير المؤمنين والهراطقة إلى الايمان والخطاة إلى التوبة ألوفاً ألوفاً. وفي سفرهِ ما كان يحمل معهُ سوى الكتاب المقدّس وكتاب الفرض. ولم يكن يسافر الاّ ماشياً. وقبلما كان يدخل في المدن كان يركع ويبكي ويطلب من الله قائلاً لا يكن يا إلهي مجدي بل مجدك فقط*

وكان يقشّف نفسهُ بنوع شديد حتّى انَّهُ لم يكن يأكل الاَّ قليلاً نحو المساء بالسكوت. وكان يلبس دائماً المسح ويجلد نفسهُ حتّى يسيل منهُ الدم. وكان إذا أصابهُ مرض يطلب إلى أحد رفاقهِ بحبّ الله أن يجلدهُ. ولم ينَم أبداً أكثر من خمس ساعات في اليوم وكان نومهُ على الأرض. ومن كثرة اشتياق الناس إلى سماع قدَّاسهِ ووعظهِ كان يقدّس في مكان مشتهر وهو باكٍ. وربَّما كان يرتفع عن الأرض حين تقديمهِ الذبيحة الإلهيّة. وكلّ يوم بعد القدَّاس كان يكرز بنطق إلهيّ. وكان في الليل يهيئ وعظهُ بالصلوة والتأمُّل أمام رجلَي المصلوب* وحدث يوماً أنَّ أحد الأمراء الأشراف أراد أن يسمع وعظهُ. فلمّا علم بذلك مار منصور شرع في ذلك اليوم يدرس في كتب الآباء مستعدّاً للوعظ في الغد أمام الأمير فأَعدَّ عظة حسنة جدّاً ولكنَّهُ لمّا وعظها أمام الأمير لم توثّر فيهِ بمقدار ما أثّرت فيهِ عظة أخرى وعظها في اليوم التابع في حضوره بدون استعداد بالدرس بل بالصلوة والتأمّل فقط* فسأَلهُ

عن سبب ذلك. فأجابهُ القدّيس قائلاً يا سيّد انّ منصوراً وعظ في الأمس وأمَّا اليوم فيسوع المسيح وعظ* وربَّما خطب هذا القدّيس أمام ستّين أو ثمانين ألفاً من الناس بحرارة مضطرمة. ولقد استمرّ يعظ بكلام الله مدَّة ثماني عشرة سنة وفي كلّ هذه المدَّة لم يُعَدّ الاَّ خمسة عشر يوماً لم يكرز فيها* وكان حين وعظهِ ربَّما يضطرّ أن يسكت لاضطراب الجماعة بالبكاء والصياح وهو أيضاً كان يقف أحياناً من بكائهِ وحرارة قلبهِ*

ولمّا صار شيخاً ولم يعد قادراً على المشي إلاَّ بالتعب فكان حين يذهب ليكرز يتغيَّر ويصير كشابّ قويّ. وربَّما كانوا يسمعون صوتهُ من بعد ساعتين. فإذا كان تعبان أو مريضاً ولم يقدر أن يكرز على الناس أحضر الأطفال وهذَّبهم وعلّمهم الفضائل. وهكذا لم يكن يُريد أن يأكل خبزهُ الجسديّ قبلما يطعم الخلق من الخبز الروحي* وكانت أقوالهُ تنفذ في صميم القلوب كالسهام وحين كان يكرز كان يبان على وجههِ مثل نار ملتهبة فكان معظم الناس يتوبون عن خطاياهم بسماعهم خطباتهِ ونظرهم إليهِ* ثمَّ إنَّهُ بعد الوعظ صباحاً كان يشفي جميع المرضى الذين كانوا يحضرونهم إليهِ حتَّى انّهم كانوا من بعيد يسمعون بانَّهُ يشفي الأمراض فكانوا يقرعون الناقوس. وكان الناس يقولون قُرِع ناقوس العجائب تعالوا ننطلق. وبعد ما كان يشفي جميعهم كان يستعرف الناس هو وماية من الكهنة معهُ إلى الظهر. وبعد ذلك يذهب لزيارة أديرة الرهبان ويستعرفهم ويعظهم. وكان يذهب نحو العصر

ويكرز على جميع الناس مثلما يصنع بعد القدَّاس* ونحو المغرب كان يُقرع ناقوس العجائب أيضاً وتأتي المرضى لكي يستشفوا. وبعد المغرب كلّ يوم كان يدور على التائبين ويرشدهم*

انّ مار منصور حفظ ايمانهُ القويّ بواسطة نقاوة نفسهِ. وكان رجاؤهُ دائماً وطيداً بالعناية الإلهيّة. ومحبّتهُ لله ولخلاص النفوس كانت تذوّب قلبهُ مثلما تذوّب النار الشمع. وما كان يطلب في كلّ شيء إلاّ مجد الله وخلاص النفوس ولذلك كان يفرح عندما كان الناس يقولون انّهُ قدّيس ويمدحونهُ ويقصّون من ثيابهِ للتبرّك. ولم يكن فرحهُ لأجل مجدهِ بل لعلمهِ أنّ ذلك راجع إلى مجد الله ربّهِ. وهذا كان يجذب الخطاة إلى التوبة* ويوماً ما بخصوص ذلك بعث خبراً إلى مدينة والَنْسا لكي يقبلوهُ باعتبار في المدينة ويخرجوا أمامهُ. فلمّا سمع الوالي بذلك منع أهل المدينة عن الخروج أمامهُ قائلاً: أهذا المتكبّر هو سلطان. لا تخرجوا أمامهُ. فاخبر الناس القدّيس بذلك فقال لهم. الملك يمنع والله يأمر. امشوا* وفي ذلك حدث أعجوبة جليلة وذلك انّ جميع نواقيس المدينة قُرعت من ذاتها بصوت عظيم من دون أن يمسّها أحد. ولسبب هذه الأعجوبة خرج جميع القوم للقائهِ ولم تسكت النواقيس حتّى دخل الدير. وكان الله يريد أن يمنح مجداً جزيلاً لمار منصور لأنّهُ كان ينسب إليهِ كلّ المجد الحاصل لهُ من الناس*

وذات يوم أتى القدّيس عبد الأحد لزيارتهِ عن سيّدنا يسوع

المسيح قائلاً لهُ: انّ الله بعثك مثلي للوعظ ولتعليم الحقّ. أنا أصل الجماعة وأنت الغصن الأجمل من الورود الذكيّة فتملك معي الحيوة الأبديّة. وربّما كان الناس في حين وعظهِ يرون ملائكةً يضعون شبه تاج فوق رأسهِ* ووهب لهُ الله روح النبوّة. من ذلك أنّهُ يوماً ما إذ كان يكرز في مدينة سَرغوسة وقف في وسط الوعظ وشرع يبكي ثمّ سكت ومسح دموعهُ. وبعدما استراح قليلاً قال انّ أمّي تُوُفّيت وقد أوحى إليّ الربّ بأن الملائكة أخذوها إلى السماء. وكان كلامهُ حقّاً*

وقال يوماً آخر جهراً في مسامع جميع الناس. الآن يوجد بينكم شابّ عتيد أن يصير فخر رهبنة مار فرنسيس ونور الكنيسة ويُحكَم بكونه قدّيساً قبلي. وهذا كان مار برنردينُس السيانيّ. وحدث ذلك كما قال مار منصور لأنّ هذا الصبيّ برز القضاء بقداستهِ قبلهُ* وقال مرّة أخرى للحاضرين أنّ بينكم واحداً عتيداً أن يصير بابا ويحكم بقداستي. قال هذا وأخذ صبيّاً بيدهِ من بين الناس وقال لهم قبّلوا رجل هذا الذي سيصير بابا. وصار كما قال* وتنبّأَ أيضاً عن زمان الكنيسة الأخير أي أنّهُ سيظهر أناس كالرسل ممتلئون من الغيرة والقداسة ولا سيّما في رهبنة مار عبد الأحد* وكان في وعظهِ يمعن نظرهُ في الخلق ويعرف الأشخاص الذين لم يرَهم قبل وكان يكرز على رذائلهم فرداً فرداً فيتوبون*

وقد وشّحهُ الله وبجّلهُ بموهبة عمل الكرامات فكانت كراماتهُ غير

منقطعة تارةً للاحياء وتارةً للأموات. وكان لهُ قدرة على البرّ والبحر وعلى المياه وعلى الرياح وعلى جميع الخلائق* وكان يعمل العجائب بنعمة الله وموهبتهِ بسهولة كما نحن نتنفَّس وخصوصاً في العشرين سنة التي قبل وفاتهِ حتّى كان يعمل العجائب عند مشيهِ وفي حجرتهِ وربّما بوكالة غيرهِ. وأكبر الآيات التي صنعها كان أنّهُ لا يعمل أعجوبة حتّى يثبّت أنّ العجائب التي كان يصنعها هي من الله لا من نفسهِ* وفي بعض الأحيان كان يقول للناس: اذهبوا اليوم لا أعمل أعجوبة ثمّ يمشي قليلاً فيقول لهم وهو باكٍ: الله جازى ايمانكم فأعطاني من جديد القدرة وكان يشفيهم* ويسوغ لنا أن نقول انّهُ لم يظهر في الدنيا قدّيس صنع عجائب كمار منصور ولذلك لقّبوهُ بأبي العجائب* وعندما كان يكرز إنّما كان ذلك في اللغة الاسبانيّة ولكن كان جميع الناس يفهمون كلامهُ. وعندما كان يتكلّم معهم أو يستعرفهم كان يفهم كلامهم في أيّ لغة تكلّموا كما كان يفهم الرسل* وكان جمٌّ غفير من المرضى يأتون ليستشفوا. فربّما كان يقول لأحد الرهبان أنا تعبان جدّاً اليوم اذهب أنت عوضي واصنع عجائب لأنّ الربّ الذي يصنع بواسطتي يصنع بواسطتك أيضاً. فكان الراهب يشفي جميع المرضى باسم مار منصور* وطلب يوماً رئيس الدير منهُ أن يذهب ويشفي امرأةً ما كانت قد أعطت صدقة لذلك الدير. فقال لهُ مار منصور لماذا أنت ما تصنع هذه الكرامة. فأجابهُ الرئيس أنا ما أقدر. فقال لهُ مار منصور أنا أعطيك قدرتي لشفاء هذه المريضة وجميع الذين

تصادفهم في الطريق. فذهب الرئيس لكي يشفي تلك المرأة المحسنة إلى الدير فرأى في طريقهِ خمسة رجال مرضى فشفاهم باسم مار منصور وشفى المرأة أيضاً* وقيل انّ مار منصور أقام أكثر من ثلاثين ميتاً. ولكثرة العجائب التي كان يصنعها كان جموع كثيرة من الناس يأتون ويقلقون الدير. فنهاهُ الرئيس عن عمل العجائب* فيوماً ما فيما هو مجتاز في الطريق إذا بنّاء قد سقط من حائط عالٍ جدّاً. فصرخ في حال سقوطهِ إلى مار منصور لكي ينجّيهُ من الخطر. فقال لهُ القدّيس قف مكانك في الجوّ إلى أن أذهب وآخذ أذناً من رئيسي. فوقف البنّاء في الفضا فذهب مار منصور إلى الرئيس وأخبرهُ بهذا الأمر. فقال لهُ الرئيس أين هو البنّاء. فأجابهُ هو في الفضا واقف. فقال لهُ قد عملت الأعجوبة فماذا تطلب. اذهب. فجاء مار منصور وقال للبنّاء انزل الآن فنزل البناء سالماً شاكراً لله تعالى* وعندما كان يعمل العجائب كان يصلّي هذه الصلوة وهي: يضعون الأيادي على المرضى فيشفون. يسوع بن مريم مخلّص وربّ العالم الذي دعاك إلى الايمان الكاثُليكيّ يحفظك فيهِ ويجعلك سعيداً. وبجاه مريم الطوباويّة وعيد الأحد أبينا الطوباوي وجميع القدّيسين ليتفضَّل عليك بتخليصك من هذا الوجع آمين* وكان لهُ صلوات متنوّعة لكلّ وجع* ويوماً ما إذ كان يكرز جاءَت امرأة جميلة الوجه ومزيّنة وجلست في مكان حيث تجلب نظر جميع الناس إلى رؤْيتها الذميمة. فشرع القدّيس يكرز عن هذه الخطيّة الممقوتة. وطلب إلى الله في كرزهِ أن يغيّر

قلوبهم بحادث مشهور. وكان يقول أقوالاً ناريّة تدخل في قلوب الناس وفي قلب تلك المرأة. وفي الحال أخذت تبكي على خطاياها. فازداد القدّيس في وعظهِ زجراً للنساء المتبهرجات اللواتي كالأصنام يؤثرونَ أن تسجد الرجال لهنّ ويسرقنَ من الله سجود القلوب. وفي الحال سقطت تلك المرأة على الأرض وماتت* فصرخ القدّيس بصوت عظيم قائلاً: لا تخافوا على خلاص هذه المرأة لأنّ توبتها الحقيقيّة خلّصتها. ولكن خافوا بالأحرى على خلاص أولئك النساء الجاهلات الكسالى آلات الشيطان اللواتي يقتلنَ النفوس بسيريهن الفاسدة وما يردن أن يتبنَ عن خطاياهنّ فابكوا إذاً عليهنّ. فتاب عند ذلك جميع نساء تلك المدينة اللواتي كنّ خاطئات*

وذات يوم كان ماشياً في الطريق فسمع صياحات وبكاء وحلفانات ولعنات في بيت ما. فدخلهُ فرأى امرأةً يضربها زوجها فسأَلها قائلاً: لِمَ يضربكِ. فأجابتهُ كلّ يوم يضربني هكذا. فقال لها ولماذا. فأجابتهُ لسبب أنّي قبيحة الوجه. فقال لها: العلّهُ من أجل هذا كلّ يوم يجدّف على الله ويضربكِ. قالت نعم يا أبانا لا يوجد سبب آخر. فرفع القدّيس يدهُ اليمنى أمام وجه المرأة قائلاً: لا تكوني قبيحة المنظر وكريهة الصورة فيما بعد ولا تنسي خدمة الله بل كوني قدّيسة لأجل خيركِ وخلاص زوجكِ. ففي الحال تغيَّر وجهها وصارت جميلة أجمل من جميع نساء مدينة والَنْسا. وحصلت الراحة لذلك البيت وأصبحت هذه الأعجوبة مشتهرة في أسبانيا إلى يومنا هذا: وصارت مثلاً

عند أهل اسبانيا بحيث انَّهم إذا رأَوا امرأة بشعة قبيحة المنظر يقولون أنّ هذه المرأة تحتاج إلى يد مار منصور*

ويوماً ما دخل مار منصور بإلهام الاهي في كنيسة اليهود والصليب بيدهِ فشرع اليهود يتقمقمون فقال لهم: اسمعوني أولاً ثمّ اصنعوا بي ما أردتم. وكان يكرز أمامهم عن يسوع المسيح. فصار في الحال على جميع أثواب اليهود صورة الصليب وشعروا في صميم قلوبهم بدعوة الله لهم. فركعوا كلّهم وطلبوا المعموذيَّة. وللوقت تغيّرت تلك الكنيسة اليهوديّة إلى كنيسة نصرانيّة* وكان يكرز دائماً على الرهبان وعلى العلمانيّين بالدينونة الأخيرة قائلاً: خانوا الربّ وأعطوهُ المجد لأن قد جاءَت ساعة دينونتهِ* وكان يقول أنا ملاك الدينونة. ولكي يثبّت هذا الكلام اتَّفق أنَّهُ ماتت امرأة. فقال القدّيس منصور ائتوني بها. فلمّا أتوهُ بها أقامها وقال لها مَن انا. فقالت لهُ أنت منصور ملاك الدينونة. فخاف الناس جدّاً*

وكان مار منصور يعيش بحيوة خفيّة. وكان رفيقهُ يعلم أنَّهُ عندما يصلّي في الحجرة يغيب عن عقلهِ فاخبر الملك بذلك فجاء الملك مع الرفيق حتّى يرى هذه الأعجوبة. وبعدما أفاق منصور ورأَى رفيقهُ قال لهُ. مسكتك الحمّى سبع سنين قصاصاً لكي تتعلّم أن تحفظ سرّ الربّ. وبعد سبع سنين شفاهُ*

وقضى مار منصور خمسين سنة هكذا مرتقياً من كمال إلى كمال واعظاً بكلمة الله وزارعاً زرع السماء في بلاد وممالك مختلفة ومعزّياً

للحزانى وشافياً للمرضى ومثبّتاً في الايمان لجميع الناس ومصلحاً للرذائل وصانعاً عمل يسوع المسيح بحرارة ثابتة ومقدّماً ذاتهُ لخلاص الخطاة وناسباً كلّ الخيرات والبركات والمجد لله. وهو في كلّ وقت نصوح مع الله ذو سيرة قدسيَّة متواضع ودائماً مستاسر نفسهُ لخدمة النفوس* ولمّا بلغ السنة التاسعة والستّين من عمرهِ كان في فرنسا في مدينة ونّة. وقال لأخوتهِ تأمرني إرادة الله بأن أقضي أيّامي هنا. ها هوذا راحتي إلى الأبد. فاستولت عليهِ حمَّى محرقة مرافقة بوجع شديد. وحكم الأطبّاء عليهِ أن ينزع عنهُ المسح. أما هو فلم يكن يتشكّى من الوجع بل كان مع ذلك لا يزال يكرز دائماً* وقبل موتهِ بعشرة أيّام أتوهُ بالأسرار المقدّسة فكان يحرّك نفسهُ على الندامة كخاطئ عظيم. ويوم موتهِ وكان اليوم الخامس من شهر نيسان سنة ١٤١٩ أمر أن يقرأُوا لهُ قصَّة آلام المسيح. فأخذ الصليب وضمّهُ إلى صدرهِ. ثمّ شرعوا يصلّون لهُ صلاة توديع النفس وهو يجاوب. وعند ذلك انجلى وجههُ واستقرّ نور إلهيّ على جبهتهِ وكان ينظر إلى السماء ويرى أمامهُ يسوع ملك المجد ومريم سلطانة الملائكة وطبقات أصفياء الله الطوباويّين وحينئذٍ رفع يديهِ وطبقهما وقبَّل الصليب قائلاً: في يديك يا رب اسلّم روحي. فطارت روحهُ إلى السماء وفي الحال عاد جميلاً مثل شابّ أبيض كالثلج. والذين كانوا ينظرونهُ كانوا يفرحون. وفي أماكن كثيرة من العالم حدث عجائب تخبر عن موتهِ. وأكثر من أربعماية رجل من المرضى شُفوا عند لمسهم فراشهُ. واحتفلوا دفنتهُ برهج وزياح عظيم* وفي

الاجمال نقول انّ مار منصور صنع عجائب قبل ولادتهِ وفي التسع والستّين سنة التي عاشها وأيضاً بعد موتهِ بلا انقطاع وإلى يومنا هذا عجائبهُ شائعة في العالم كلّهِ*

فيها أيُّها القدّيس العظيم منصور أبو العجائب لو كنّا تريد أن نحكي المناقب التي صنعتها في مدّة حياتك وبعد موتك لما كفى عمرنا لذلك لأنّ الله قد ملأً أيَّامك من البركات الغزيرة وحياتك مثل الزرع المبارك المذكور في الإنجيل الذي يُثمر ماية بواحد. فصلِّ لأجلنا أيّها القدّيس المعظّم صلِّ خصوصاً على أخوتك الذين من رهبنتك لكي يلهب الله قلوبهم بنعمة روح القدس ويعطيهم أقوالاً ناريّة فعّالة ويزيد الفضيلة في نفوس الذين يكرزون كلمة الله مثلك في جميع الأمم لأجل مجد يسوع وخلاص النفوس آمين*

* اليوم السادس *

جهاد الشهداء الماية والعشرين في بلاد فارس

انَّ هولاء الشهداء قُبِض عليهم بقرب مدينة سلوق (ويقال لها المدائن) بأمر شابور ملك الفُرس وذلك في السنة الخامسة من الاضطهاد العظيم. وكان من جملتهم تسع عذارى قد نذرنَ ذواتهنَّ لله وعدَّةٌ من الكهنة. فحُبسوا قاطبةً في سجن مظلم قذر وعالتهم هناك

امرأَة تقيَّة حبّاً لله مدَّة ستّة أشهر. وكانوا يعذّبونهم بعذابات مختلفة لأنَّهم لم يريدوا أن يسجدوا للشمس الاه شابور. وفي ليلة استشهادهم أعدَّت لهم تلك المرأَة التقيَّة المحسنة إليهم عشاءً نفيساً وخدمتهم هي بنفسها. ثمَّ أعطت لكلٍّ منهم ثوباً أبيض وتوسَّلت إليهم أن لا ينسوها إذا ما حضروا أمام الربّ. ولمّا أخذوهم إلى ميدان الاستشهاد انطرحت أمامهم وصارت تقبّل مرّةً أخيرة أياديهم المقدّسة. وبعد ما ضُربت أعناقهم دفنتهم خمسةً خمسةً في مكانٍ بعيد من تلك المدينة وبلا شكّ انَّها اليوم مقترنة بهم في السماء*

* اليوم السابع *

مار افراطُس السائح

انَّ هذا القدّيس كان في عهد الملك والَنْس وحامى الايمان الكاثُليكيّ من الهراطقة الآريوسيّين بقوَّة كراماتهِ وإذ كان من نسل شريف من الفُرس وأراد أن يتعبَّد لله انطلق إلى بلاد سوريَّة واستمرَّ ينسك في مكان مجاور لانطاكية. ولمّا جاء الملك وَالَنس إلى انطاكية ليضطهد الكاثُليكيّين خرج افراطُس من قلاّيتهِ وشمَّر لمساعدتهم. فلمّا رآهُ الملك سأَل عنهُ قائلاً: من هو هذا الشيخ. فقيل لهُ انَّهُ راهب ناسك يدعى افراطس. فصاح عليهِ الملك قائلاً: لماذا خرجت من

قلاّيتك يا افراطس. فأجابهُ طولما كانت غنم الراعي الالهيّ في الراحة كنتُ أعبد الله في قلاَّيتي وامَّا الآن فإذ أحاق بهم الخطر لا أقدر أن أبقى في قلاَّيتي. لأنَّهُ هل يمكن الجارية التي تشتعل النار في بيت أبيها أن تبقى جالسة تنتظر اللهبات حتَّى تفني مال أبيها. فلذلك خرجتُ من قلاَّيتي حتَّى اطفئ النار التي أُلقيتها في بيت أبي. فزجرهُ أحد حشم الملك على جوابهِ هذا ولكنّ الله عاقبهُ حالاً بالموت فلم يجسر الملك أن يضطهدهُ وقضى حياتهُ في الأعمال النسكيَّة إلى أن تنيَّح في قلاَّيتهِ*

* اليوم الثامن *

جهاد الشهيد باديما

انَّ هذا الشهيد كان فارسيّاً جنساً قد وُلد في مدينة بيثلافاط وكان أبواهُ غنيّين شريفَي الأصل. ولمّا ارتشد إلى السبل المستقيمة عزم أن يتعبَّد لله فوزَّع كلّ مقتناهُ على الفقراء وبنى لهُ ديراً خارجاً عن المدينة واستمرَّ يعبد الله فيهِ مع عدَّة من الرهبان تتلمذوا لهُ*

وبعد ذلك حدث انَّهُ في عهد شابور ملك الفُرس اشتدَّ الاضطهاد على النصارى فقُبض على مار باديما مع سبعة من تلامذتهِ وطُرِحوا في السجن واستقاموا أربعة أشهر يُجلَدون ويُعذَّبون بتعاذيب قاسية مختلفة وهم ثابتون* وكان ثَمَّ رجل شريف رئيس مدينة ارنون

اسمهُ نرسي قد طُرح في السجن لأنَّهُ ما أراد أن يضحّي للشمس الاه شابور بل اعترف بايمان المسيح فهذا عُذّب أوَّلاً عذاباً شديداً ولم يكفر ولكنَّهُ أخيراً غُلب وانقلب ثباتهُ إلى ضعف وشجاعتهُ إلى خوف فكفر بالايمان وسجد للشمس وذبح للأوثان. فأراد الملك أن يغلب باديما كما غلب نرسي فاحضرهُ مصفّداً أمامهُ وجعل أوَّلاً يلاطفهُ ويتملّقهُ بمواعيدهِ لكي يقتدي بنرسي فيردّ عليهِ حرّيتهُ ويطلقهُ مكرّماً. ولكنَّ ذلك لم يجدهِ نفعاً لأنَّ هذا الشهيد كان ثابت الجنان مضطرماً بمحبَّة الله. فقال شابور الملك لنرسي ان قدرت أن تستميل باديما إلى السجود للآلهة رددتُ عليك أموالك أيضاً. لأنَّ أموالهُ كانت قد نُهبت لمّا كان في السجن* فهذا الرجل الذي آثر حبّ العالم والأموال على حبّ الله والاستشهاد استلّ سيفهُ وتحلّق على مار باديما ليقتلهُ. ولكنّ الله أراد أن ينبّههُ على هذا عملهِ القبيح قبلما يفعلهُ فارعب قلبهُ بغتةً بخوف عظيم وأوقفهُ يابساً والسيف بيدهِ بقرب مار باديما* فقال لهُ حينئذٍ القدّيس. أيُّها الشقيّ نرسي إلى أيّ حدّ بلغت وقاحتك. أما اكتفيت بخيانتك لله خالقك الذي جحدتهُ وتريد أيضاً ان تؤْذي خدَّامهُ وتنزع حياتهم. ماذا سيكون جوابك في ذلك اليوم الرهيب الذي فيهِ تقف أمام منبر الديَّان عندما يحاسبك على هذه جسارتك. أمَّا أنا فانّي مستعدّ لأن أسفك دمي في حبّ يسوع المسيح وذلك يكون لي تعزية إذا كان على يد غيرك ممَّن لا يعرفون إلهي. وامَّا إذا كان على يدك فانَّهُ يكون صعباً عليَّ من حيث انَّك تعرف جيداً الاله الحقيقيّ*

فهذه الأقوال صارت كسهم نفذ في قلب نرسي فاقلقهُ ضميرهُ ولكنّ عمى نفسهِ كان عظيماً وقساوة قلبهِ كان شديدة جدّاً حتَّى انَّهُ رفع يدهُ وضرب مار باديما بالسيف عدَّة ضربات حتَّى هشَّم جسدهُ وهكذا تكلّل هذا القدّيس بالاستشهاد في اليوم الثامن من شهر نيسان سنة ٣٤٣

أمَّا تلاميذ مار باديما السبعة فمكثوا في السجن مدَّة أربع سنين إلى وفاة شابور وحينئذٍ رُدَّت إليهم حرّيّتهم وأُطلِقوا*

* اليوم التاسع *

القدّيسة كاسِلده البتول

انّ الله لعجيب في كلّ أعمالهِ ولا سيَّما في الوسائط التي يستعملها لخلاص النفوس ولمجازاة أعمالنا الصالحة ولو كانت صغيرة كما فعل مع القدّيسة كاسِلده التي كانت ابنة ملك المغاربة وثنيَّةً ديناً وكان أبوها عدوّاً قاسياً للمسيحيّين وكان يخرّب بلادهم ويهدم بيوتهم ويقيّدهم بالحديد ويتركهم إلى أن يموتوا جوعاً في السجون المظلمة. أمّا ابنتهُ كاسِلده فكان لها رأفة على أولئك المساكين الذين كان أبوها يضطهدهم ويهلكهم فكانت هي بنفسها تحمل إليهم سرّاً في السجن خبزاً وشيئاً آخر من الطعام تسند بهِ ضعفهم. ولكن لم تلبث زماناً على هذه الحالة أن انكشف عملها. فكظم أبوها غيظهُ عليها وأراد أن يراها بعينيهِ تفعل

ذلك. فشرع يرصدها إلى أن شاهدها يوماً حاملةً حملها ومنطلقةً إلى السجن فسألها قائلاً: ماذا تحملين يا كاسِلده. فأجابتهُ يا أبت ورداً وزهراً. فقال لها اريني ذلك. ففتحت الكيس أمام أبيها وإذا بالخبز والطعام قد استحالا إلى ورد وزهر ففرحت عند ذلك فرحاً عظيماً. فهكذا الربّ أراد أن يجازيها على جودتها الطبيعيّة ويقودها إلى نور الايمان بهذه الطريق لأنّهُ علّمها بتلك الكرامة لاهوت ابنهِ يسوع المسيح الذي تعبدهُ النصارى. فمن ثمّ صارت تشتاق إلى العماذ. ولكنّها لم تقدر أن تكشف أفكارها إلى أحد خوفا من أبيها. غير أن الله الذي شاء أن يقطف هذه الوردة من بين الأشواك سهّل مانعها وذلك انّهُ سمح بأن يعتريها نزيف دم يأس الأطبّاء من برءِهِ. واعلمها الله في رؤْيا سمويّة بأنَّها لا تشفى الاّ بعد أن تستحمّ في بحيرة مار منصور الكائنة في مكان يقال لهُ برغُس. فلمّا حكت اباها وطلبت إليهِ أن يأذن لها بالانطلاق إلى تلك البحيرة اغتمّ من ذلك لأنّ المكان كان بملك المسيحيّين. فمنعها أوّلاً عن ذلك ولكنّها غلبتهُ بتوسّلها فأذن لها وبعث معها شرذمة من عبيدهِ. فلمَّا وصلت إلى تلك البحيرة واستحمَّت فيها شُفيت في الحال. فتعمَّذت هناك وبنت لها في ذلك المكان معبدةً وقضت فيها بقيّة أيام حياتها في الانفراد والصلوة إلى أن ماتت ميتة مقدّسة. وشرّفها الله بالكرامات التي عملها بشفاعتها. وكان موتها في سنة ١٤٠٧*

* اليوم العاشر *

مار مكاريوس بطريرك انطاكية

انّ هذا القدّيس كان أرمنيّاً جنساً من أصل شريف. وكان والداهُ مسيحيّين. ولمّأ تعمّذ صار اشبينهُ مكاريوس الكبير الذي كان من عشيرتهِ وصار بطريركاً على انطاكية وكان ذا قداسة عظيمة. فلمّا نشأ مكاريوس وصار قابلاً لدرس العلوم أخذهُ اشبينهُ مار مكاريوس وصار يهتمّ بتربيتهِ في سبُل العلم والتقوى فنجح جيّداً. ولمّا شاهد مار مكاريوس الشيخ البطريرك نشاطهُ وانصبابهُ على الدرس وعلى الفضائل عزم أن يجعلهُ خليفةً لهُ في الكرسيّ الانطاكيّ. وحينما شعر بقرب قضائهِ جمع اقليرسهُ واظهر لهم تمنّيهُ أن يكون مكاريوس خليفتهُ في سياسة كنيسة انطاكية. وبعد موتهِ انتُخِب مكاريوس مكانهُ راعياً على كرسيّ انطاكية. وكان هذا القدّيس مع انّهُ صغير السنّ يقضي فرائض وظيفتهِ بالكمال* وكان رحوماً على الفقراء والمحتاجين فكان في بيتهِ دائماً جمٌّ منهم يستعطونهُ وكان هو يعطيهم ما يحتاجون إليهِ بكلّ سخاء* وكان يرشد الشعب إلى اقتناء الفضائل. واستاصل منهم رذائل كثيرة. وكان يمدح ثمرة الصدقة ويبجّل العفّة ويرفع التواضع جاعلاً ايَّاهُ أساساً لسائر الفضائل. وكانت نفسهُ مضطرمة بمحبّة الله والنفوس. وشاع صيتهُ إلى أقاليم بعيدة* وبعد ما رعي كنيستهُ بقداسةٍ مدّة زمان طويل

خاف أن يهدم تواضعهُ هذا الصيت العالي لأنّ العظماء والشرفاء كانوا من جميع البلاد يقصدونهُ ليزوروهُ. فعزم أن يفرّ من هذه الأسباب فوزّع جميع أموالهِ على الفقراء وقلّد رعاية كنيستهِ إلى رجل قدّيس يدعى الوثاريوس وخلّفهُ في مكانهِ وأخذ معهُ أربعة من أخصّ أصدقائهِ وخرج من مدينة انطاكية. وتوجّه أوّلاً إلى أرض فلّسطين وزار الأماكن المقدّسة في أورشليم. وكان يجادل اليهود وينذرهم بالايمان. امّا هم فشرعوا يضطهدونهُ وأخيراً القوهُ في السجن ثمّ مدّدوهُ على الأرض وأوثقوهُ بالحبال بشكل صليب وطفقوا يضربونهُ. ثمّ وضعوا على صدرهِ حجراً كبيراً محميّاً بالنار مريدين بذلك أن ينزعوا حياتهُ. ولكنّ الله جعل كلّ تعاذيبهم كالدخان لم تضرّ بالقدّيس. وأخرجه من السجن بأعجوبة بيّنة ونجّاهُ من بين أيدي أعدائهِ سالماً. فلمّا شاهد مضطهدوهُ هذه الأعجوبة استغفروهُ واهتدوا إلى الايمان*

واشتهر صيتهُ في أورشليم وفي جميع تخومها. وكانت الناس تتقاطر إليهِ أفواجاً أفواجاً ليزوروهُ ويسمعوا أقوالهُ المفيدة. وشفى هناك رجلاً أُحضر إليهِ وكان أصمّ وأخرس. فزاد اعتبارهُ* وبعد ذلك توجّه إلى بلاد المغرب مع رفاقهِ الأربعة. وفي كلّ مدينة كان يجتاز بها كان يعمل كرامات بعصاهُ إذ يرسم بها علامة الصليب على السقام فيشفَون. وانبع ماءً في مدينة من المدن كانت محتاجة إليهِ* وبعدما طاف مدناً كثيرة في أوروبا استقرَّ في مدينة غند من أعمال بلجِكا وحلّ في أحد الأديرة* وبعد مدَّة من الزمان صار وبأ في تلك المدينة مات

منهُ خلق كثير. فكان القدّيس مكاريوس يصلّي إلى الله في أن يرفع هذه الضربة عن ذلك القوم وأخيراً قال لأهل المدينة انَّ الوبأ سيكفّ عنكم ولكنّي أنا سأَموت الأخير فيهِ. فصحَّت نبوَّتهُ لأنَّهُ في اليوم العاشر من شهر نيسان سنة ١٠١٢ مات مطعوناً بالوبأ ولم يمُت أحد بعدهُ فيهِ. وهكذا صار كفَّارةً عن كلّ الجماعة إذ رفع عنهم الوبأ بموتهِ* وجرت كرامات عظيمة بعد موتهِ بشفاعتهِ أيَّدت قداستهُ*

* اليوم الحادي عشر *

مار لاون الكبير البابا ومعلّم الكنيسة

انَّ هذا القدّيس المعظّم وُلد في رومية ولمّا كبر رُسم شمَّاساً ونُصِب كردِنالاً في الكنيسة الرومانيَّة* وانطلق إلى بلاد فرنسا لقضاء حاجة. ولمّا كان هناك مات البابا كسيستس الثالث فانتُخِب لاون وهو غائب خليفةً لهُ وذلك لما كان فيهِ من قداسة السيرة وسمو العلم وبلاغة الكلام فارسلوا إليهِ يستدعونهُ. فلمَّا رجع إلى رومية قُبِل باحترام عظيم وأُجلِس على كرسيّ رومية خليفةً للبابا المتوفّي* وبعد ما استقرّ على كرسيّهِ شرع يستأصل العوائد الرديَّة من أهل المدينة ويقلع الزّوان الذي كانت تزرعهُ الهراطقة في حقل الكنيسة المقدَّسة وشمّر لمحاربة أصناف الهراطقة المانيّين والدونانطيّين والآريوسيّين والنساطرة

والاوطاخيّين والديوسقوريّين الذين كانوا يحاولون أن يفسدوا بأضاليلهم الايمان الصحيح. ولكي يبيد هذا الحبر العظيم تلك الهرطقات المسمّة أمر بالتئام المجمع الخلقيدوني. وحضر فيهِ ستّماية وثلاثون أسقفاً وحرم فيهِ أوطاخي وديوسقورس. وثبّت الاقرار بطبيعتين في المسيح الهيّة وانسانيّة موجودتَين في اقنوم واحد الهيّ* وأيَّد الله معتقد الكاثُليكيّين بكرامة مشتهرة: وذلك انّ الكاثُليكيّين كتبوا قانون ايمانهم في ورقة وكتب الهراطقة أيضاً قانون ايمانهم في ورقة ووضعوا الورقتين بالاتّفاق على جسد القدّيسة اوفاميا في الكنيسة التي التأم فيها المجمع. وبعدما قضى الفريقان ثلاثة أيام في الصلوة أتوا أجمعون إلى الكنيسة فوجدوا ورقة الهراطقة مطروحة تحت رجلَي القدّيسة وامّا ورقة الكاثُليكيّين فكانت في يديها* ولأنّ هذا القدّيس كان يحارب دائماً أضاليل الهراطقة صار هولاء يبغضونهُ لأنّهم لم يكونوا يقدرون أن يقوموا معهُ في ميدان الجدال وكان هو دائماً يفحمهم ويفنّد أضاليلهم بصحَّة براهينهِ الساطعة*

وكان هذا الحبر العظيم يؤَدّي اكراماً عظيماً لهامة الرسل مار بطرس. وكثيراً ما كان يمضي إلى ضريحهِ ويصلّي هناك. واستمرّ مرّةً مصلّياً على ضريح مار بطرس الرسول مدّة أربعين يوماً طالباً إليهِ أن يستمدّ لهُ غفران خطاياهُ. وبعد نهاية هذه المدّة ظهر لهُ الرسول المجيد وقال لهُ: لقد صلّيتُ من أجلك فغُفِرت خطاياك*

وفي ذلك الزمان هجم أحد الملوك اسمهُ عتّيلا على بلاد إِيطاليا وغزاها وافتتح منها عدّة مدن وبعضها احرقها بالنار وبعضها هدمها

وقتل أهلها. وعزم أن يهجم على روميّة ليهدمها ويتسلّط على إِطاليا كلّها. فإذ علم الحبر العظيم لاون بذلك خرج من روميّة إلى لقاء الملك عتّيلا لابساً حلّتهُ الحبريّة. فلمّا وصل إليهِ شرع يكلّمهُ بفطنة وفصاحة حتى اقنعهُ أن يرجع* ولمّا سُئل الملك عن سبب رجوعهِ عن روميّة من دون أن يهجم عليها أقرّ معترفاً بانّهُ حينما كان البابا لاون يكلّمهُ رأى شَيخَين مُهابَين الواحد عن يمين هذا الحبر والآخر عن شمالهِ وفي يد كلٍّ منهما سيف مجرّد وكانا يتهدّدانهِ بالقتل ان كان لا يطيع لاون البابا. وقيل انّ هذين الشيخين كانا مار بطرس ومار بولس الرسولين المعظَّمَين محاميَي روميّة*

وبعد زمان استولى ملك آخر على بلاد افريقيا وجاء إلى إِطاليا بجيش عرمرم قاصداً أن يستولي عليها أيضاً وحاول الهجوم على رومية. فلمّا علم الحبر القدّيس لاون بذلك خاف جدّاً من هذا الملك لأَنَّهُ كان آريوسيًّا وعدوّاً للكاثُليكيّين وقد اضطهد الأَساقفة في افريقا. فعزم أن يبذل نفسهُ عن قطيعهِ وينطلق إلى لقائهِ لكي يستعطفهُ ويرضيهُ بثروات روميّة ويقنعهُ أن لا يهدمها ولا يعبث بالكنائس والأشياء المقدّسة المخصَّصة لعبادة الله* فلمّا انطلق أمام الملك وخاطبهُ في هذا الشأن لم يلتفت إليهِ بل دخل روميّة وسلب كلّ ما كان فيها ونهب الكنائس. وبعدما استمرّ فيها أربعة وعشرين يوماً استأسر منها جمّاً غفيراً وخرج وترك تلك المدينة العظيمة في حالة بئس الحال. وقيل انّهُ بصلوات البابا لاون لم يحرق ذلك الملك شيئاً من عمارات

المدينة ولا قتل أحداً*

وبعد خروج هذا الملك الهرطوقيّ الجافي من رومية شرع مار لاون كالراعي الصالح يفدي الأسرى ويعزّي الحزانى وينذر الشعب بالتوبة عن خطاياهم مفهّماً ايّاهم انّ تلك المصيبة كانت عقاباً لهم من الربّ. ثمّ اصلح الكنائس وزيّنها بزينات فاخرة عوض التي سُلبت* وبعدما قضى حياتهُ في الأعمال الصالحة وفي محاماة الكنيسة الكاثُليكيّة من الهراطقة وأغنى العالم بتصانيفهِ توفّي في رومية بشيخوخة صالحة في اليوم الحادي والعشرين من شهر نيسان سنة ٤٦١. وكانت سنة حبريّتهِ نحو إحدى وعشرين سنة* وناحت روميَّة بل الكنيسة كلّها على فقدها هذا الراعي الغيور الهمام الذي دعاهُ المجمع الخلقيدوني ثلاث مرّات لاون القدّيس الرجل الرسليّ والاب العامّ* ودُفِن جسدهُ في كنيسة مار بطرس راس الرسل* وكتب مار لاون البابا رسائل شتَّى في حياتهِ. إلى كنائس مختلفة أودع فيها حقائق الايمان الكاثُليكيّ وصنَّف كتباً كثيرة لتثبيت الايمان فاستحقّ لذلك أن يسمَّى معلّم الكنيسة*

* اليوم الثاني عشر *

مار زينون اسقف مدينة وارونة

انّ هذا القدّيس كان من إيطاليا وُلد في مدينة وارونة. ومنذ

صغرهِ انصبّ على أعمال البرّ وكلّ ما يناسب خدمة الله حتّى انَّهُ لبس الثياب الرهبانيَّة وهو صغيرٌ بعد في السنّ. وكان يرتقي من فضيلة إلى فضيلة حتى صار قدوة لجميع الرهبان. وكان لهُ شوق إلى الوعظ فكان دائماً يطلب إلى الله أن ينعم عليهِ أن يكرز بكلامهِ تعالى على الشعب*

وكان دير مار زينون قريباً من نهر اديجة. فذات يوم إذ كان هذا القدّيس على ساحل ذلك النهر إذا برجل راكب عربة يقودها ثوران قد اعترتهما أرواح شرّيرة فكانا يجرّانهِ بشراسةٍ في الجبال والأودية وكان الرجل خائفاً أن يهبط بهِ الثوران في هوّةٍ فيترضَّض أو أن يقعا بهِ في النهر فيغرق. ولم يكن يقدر أن يوقّفهما. فلمّا رآهُ مار زينون ورأَى الخطر قد أحاق بهِ أخذتهُ الشفقة عليهِ وعلم انّ ذينك الثورين كانا ممسوكين من الشيطان. فقام مسرعاً ووقف أمامهما ورسم عليهما علامة الصليب فللوقت وقفا ونجا الرجل من ذلك الخطر*

وبعد زمان قليل اشتهرت أعمالهُ وفضائلهُ وقداسة سيرتهِ فأضحى مكرَّماً عند جميع الناس حتّى انَّهم انتخبوهُ أسقفاً على مدينة وارونة. وفي مدّة رعايتهِ أراد الله أن يظهر القدرة التي يمنحها لخدّامهِ الحقيقيّين. وذلك انّ الملك غاليانس لمّا أثار اضطهاداً على النصارى كان لهُ ابنةٌ قد اعتراها الشيطان بإذن الله وكان يعذّبها بشدّة ولم يكن يُرجى لها شِفاءٌ* أمّا الله الذي احكامهُ لا تُدرَك فأراد بذلك أن يزداد مجدهُ وتُهدَم مملكة الشيطان على يد عبدهِ مار زينون. فحرّك الشيطان

أن يشهد بنفسهِ بفم تلك الأميرة المستجنَّة أمام جميع الناس قائلاً: انّهُ لا يقدر أحد أن يخرجني من بدن ابنة الملك الاّ زينون أسقف وارونة. فلمّا سمع الملك هذه الكلمات تعجّب. ولأنّهُ كان عدوّاً ومضطهداً للنصارى لم يسرّهُ ذلك ولم يكن يشاء أن يستدعي زينون الأسقف ليشفي ابنتهُ لأنّهُ كان يبغضهُ جدّاً. ولكنّ الحبّ الأبويّ الذي كان لهُ لابنتهِ الجأهُ إلى استنجاد هذا الأسقف المسيحيّ. فأرسل حينئذٍ إليهِ يستدعيهِ إلى رومية ليفكّ ابنتهُ من الشيطان. فلمّا وصل المرسَلون إلى مار زينون وبلّغوهُ رسالة الملك قام وتبعهم إلى روميّة فدخل على الملك وأمر باحضار ابنتهِ المستجنّة. فلمّا أُحضرت أمامهُ صاح الشيطان بصوت عالٍ الآن اضطررتُ إلى الخروج من هذا البدن. وأَوّلما امرهُ القدّيس بالخروج خرج من جسد تلك الصبيَّة ولم يعد يعذّبها* فعند ذلك عرف الملك عظمة الفضل الذي صار بهِ مديوناً لمار زينون من أجل نجاة ابنتهِ من تلك الشدّة. ومجازاةً لهُ خلع تاجهُ وأعطاهُ إياهُ. أمّا هذا القدّيس الذي لم يكن محبّاً للأموال الأرضيّة فأخذ ذلك التاج الثمين ووزّعهُ على الفقراء. ونال حظّاً سعيداً عند الملك. وأباح لهُ هذا العالم أن يعمّر كنيسةً في أبرشيّتهِ في وارونة*

وبعد ذلك رجع إلى وارونة مدينة كرسيّهِ وفرح بهِ أولادهُ الذين كانوا حزانى بسبب غيبتهِ عنهم* وإذ كانت نار الاضطهاد لا تنطفئ عن النصارى كان مار زينون لا ينفكّ ينادي بيسوع المسيح

ويدّك الأوثان ويعمّر كنائس لله. وهدى كثيراً من الوثنيّين إلى الايمان المسيحيّ بعظاتهِ وبقداسة سيرتهِ. وصنَّف كتباً كثيرة لتفنيد أضاليل الوثنيّين ولتثبيت الايمان الصحيح*

وبعد زمان قليل وُشي بهِ أمام الملك بانّهُ لا يريد أن يسجد للأوثان. أمّا الملك فلنسيانهِ الاحسان الذي عملهُ معهُ مار زينون أرسل استدعاهُ ليستميلهُ إلى عبادة الآلهة الباطلة. فلمّا لم يمكنهُ أن يزعزعهُ عن ايمانهِ عذّبهُ بعذابات أليمة مختلفة ثمّ قتلهُ. ووشّحهُ الله ببواهر الكرامات التي أجراها بشفاعتهِ وبذلك تأيّدات قداستهُ*

* اليوم الثالث عشر *

مار هَرْمَنَجِلْدس ابن ملك اسبانيا الشهيد

انّ الشهيد المعظّم هَرْمَنَجِلْدُس كان ابن لاويجلدُس الآريوسيّ ملك اسبانيا. وكان لهذا الملك ابنان هرمَنَجِلدُس وريكَرادُس. وكان هرمنجلدس بكرهُ ووريثهُ في المُلك وكلاهما رضعا حليب الهرطقة الآريوسيّة لأنّ أهلهما كانا من شيعتها. فلمّا كبر هرمنجلدس هداهُ نور الله إلى الايمان على يدي القديس لآندرس اسقف سَوِلاّ فترك هرطقتهُ ورجع إلى حضن الكنيسة الكاثُليكيّة وفرح بهِ الكاثُليكيّون الذين كانوا كثيري العدد في اسبانيا لأنّهُ صار محاميهم. فلمّا علم بذلك أبوهُ غضب

عليهِ وعزم أن يحاربهُ. وكان قد تبع هرمنجلدس جانب كبير من المملكة. فكتب هرمنجلدس رسالة إلى أبيهِ يقول لهُ فيها: لا تتعب يا أبي فانّهُ ليس شيءٌ أعزّ لديّ من ديني وأنا مستعدّ لأن أسفك دمي من أجل الحقّ. فلم يقنع أبوهُ بذلك بل سرّح عليهِ عساكرهُ. فقابلهُ هرمنجلدس أيضاً بعساكرهِ ولكنّ الدائرة وقعت عليهِ لأنّ جنودهُ خذولهُ. فقبض عليهِ جنود أبيه وأتوا بهِ أمام الملك أبيهِ. فصفّدهُ بالسلاسل وحبسهُ في برج في مدينة سَوِلاّ* وفي عيد الفصح أراد الملك أبوهُ أن يحتال عليهِ ليرجعهُ إلى مذهبهِ الآريوسيّ فارسل إليهِ في السجن أسقفاً آريوسيًّا لكي يناولهُ من قربان الآريوسيّين. ولكنّ هذا الأمير الذي لم يقدر الأسر أن يضعّف شجاعتهُ أبى تناول ذلك القربان ووبَّخ الأسقف توبيخاً شديداً فرجع الأسقف واعلم اباهُ. فغضب هذا الاب القاسي على ابنهِ وأرسل إليهِ جنودهُ ليقتلوهُ فضربوهُ بالفاس وفجّوا رأسهُ وهكذا استبدل تاج المُلك الأرضيّ الزائل بتاج الاستشهاد الباقي* واظهر الله مجد شهيدهِ هرمنجلدس بآيةٍ بيّنة وذلك انهُ في هدوءِ الليل سمع الناس نغمات ملائكيّة عند جسدهِ. فلمّا أتوا لينظروا ذلك شاهدوا في حبسهِ مصابيح مضيّة كانت تزحزح تلك الظلمات الكثيفة. وإذ شاهد أبوهُ هذه الكرامة شرع يندم على ما فعل حيث لم تنفعهُ الندامة. وأكّد بذلك حقيقة الايمان الكاثُليكيّ ولكنّهُ لم يجسر أن يعترف بهِ خوفاً من قومهِ ولمّا دنا أجَلهُ استدعى القدّيس لآندرس الأسقف الذي طالما اضطهدهُ واستودع إليهِ ابنهُ الصغير ريكَرادس الذي صار وارث

ملكهِ وسأَلهُ أن يرشدهُ إلى الايمان الصحيح* وكان استشهاد القدّيس هَرْمَنَجِلدس في اليوم الثالث عشر من شهر نيسان سنة ٥٨٤*

* اليوم الرابع عشر *

الطوباويَّة لِدوينا البتول

من حيث انّ هذه الحيوة البشريّة ممتلئة من الشدائد وليس دواء لاحتمالها سوى الصبر استحسنّا أن نورد سيرة الطوباويّة لِدوينا التي أمست مثالاً لنا في احتمالها سياق الموت الطويل الذي قاستهُ بالصبر والخضوع وتسليم الإرادة لله*

انّ هذه العذراء وُلدت في مدينة صيدام من أعمال هُلانده من أبوين فقيرين وفضيلين وخليلين لله وكان اسم أبيها بطرس واسم أمّها بطرُنِلّة. وقد رزقهما الله بالتتابع ثمانية غلمة وفي الآخر اعطاهما لِدوينا التي أضحت التاسعة في أولادهما. ومنذ ولادتها لاحت عليها سمة القداسة وكانت تبان انّها مختارة من الله ومحبوبة لديهِ. وكانت ذات جمال رائق* ولمّا صار عمرها اثنتي عشرة سنة أراد أبوها أن يزوّجها. أمّا هي فأَبت قائلةً لهُ: ان خلّيت سبيلي والاَّ طلبتُ إلى ربّنا يسوع المسيح أن يجعلني قبيحة الوجه وكريهة المنظر. فتركها أبوها ونذرت عند ذلك بتوليّتها لله* ولمّا بلغت الخمس عشرة سنة من العمر أراد الله أن يجعلها

مثالاً كاملاً للعالم في الصبر على احتمال الأوجاع والثبات في محبّتهِ. فشرع إذ ذاك يرميها في كور التجارب ويعلّمها الصبر. وأوّل ذلك انّهُ ذات يوم اشتدّ البرد وكان لِدوينا ورفيقاتها يركضنَ على الجليد حسب عادة تلك البلاد فسمح الله بأنّ واحدةً منهنّ جاءَت ووقعت عليها وأسقطتها سقطة ثقيلة فانكسر ضلع من أضلاعها وسبّب لها الماً شديداً. ومن ثمّ أخذت الأوجاع تتكاثر عليها حتّى صار الناس يتعجّبون من جسم نحيف هكذا لا يموت ما بين تلك الأوجاع الشديدة* وكانت يد ربّنا يسوع المسيح تحفظها حتّى انّها في مدّة ثلاثين سنة لم تأكل من الخبز مقدار ما يأكل إنسان متعافٍ في ثلاثة أيّام. ولم تنم في طول هذه المدّة مقدار ما ينام إنسان صحيح الجسم في ثلاثة أيّام أيضاً* وكانت كلّما أكثروا من مداواتها تزداد أوجاعها. وصار لها قرحة في حشاها بلغت إلى أنّ كان يخرج منها دود كريه فلم يعد أحد يقدر أن ينظر إليها الاَّ مستنكفاً أو مشفقاً. وكانت ذراعها اليمنى حتّى كتفها مقرّحة ومخلوعة من جسدها. وكان لها وجع عظيم في رأسها وعينيها وأسنانها وحلقها. وكان الدم يتدفق من فمها وأنفها وأذنيها. وكانت رئتها يابسة وكبدها فاسدة. ومع كلّ هذه الأسقام المختلفة الغير المحتملة كانت معتراة بحمّى مداومة حتّى انّها لم يكن فيها عضو لا يتحرّك ألماً وكانت صابرة على كلّ ذلك* وفي هذا النوع من الحيوة لا بل من الموت الطويل قضت هذه الطوباويّة مدّة ثماني وثلاثين سنة وهي فقيرة ووحيدة ومُهمَلة من الجميع ليس لها من تنظر إليهِ الاّ ربّنا يسوع المسيح

الذي كان يحزنها والذي وحدهُ فقط كان يقدر أن يسلّيها* وأرسل الله إليها كاهناً بارّاً اسمهُ يوحنّا فاتّخذتهُ لها معلّم اعتراف. وأوضح لها بأنّها لا تقدر أن تحصل على تسلية في هذه الحيوة الاّ بتأمّلها في آلام ابن الله التي احتملها على الصليب من أجل خطايانا والافتكار في عذابات الشهداء التي احتملوها في حبّ يسوع المسيح* وبعد ذلك أتاها بالقربان المقدّس وقال لها حين كان يناولها ايّاهُ: إلى الآن حضّضتكِ على التأمّل بالفكر في آلام يسوع المسيح وها انّهُ الآن يزوركِ بشخصهِ ويملأُكِ من التسلية* فلمّا سمعت هذه الطوباويّة تلك الكلمات بكت بحرارة حتّى انّ دموعها استمرّت تنهمل مدّة خمسة عشر يوماً. فتشجّع قلبها ولم تعد تطلب منذ ذلك إلى الله سوى أن يزيد أوجاعها* وفي زمن الطاعون الذي حدث في تلك البلدة شرعت تتوسّل إلى ربّنا يسوع المسيح أن يكفّ ضرباتهِ عن الناس ولو كانوا خطاة وان يضربها هي بدلهم. فضربها يسوع المسيح بضربتين الواحدة في عقنها والأخرى تحت قلبها. ثمّ تمنّت ضربة أخرى تكميلا للثلاث اكراماً للثالوث الأقدس. فطُعِنت بغتةً بثالثة تحت جفن عينها. أمّا الضربتان الأوليان فشُفيتا ولكنّ الأخيرة استمرّت حتّى موتها* وأراها الله أوجاع الأنفس المطهريّة وسمح بأن تظهر لها هذه النفوس المسكينة طالبة منها المعونة فتراءفت عليهنّ. فمن يقدر أن يصف كم قدّمت لله من أوجاعها عنهنّ وكم من مرّة جعلها الله كذبيحة عوض الأنفس المطهريّة بضربهِ ايّاها بأسقام مختلفة* ومجازاةً لها أعطاها ربّنا يسوع المسيح أن

ترى ملاكها الحارس وتخاطبهُ فكانت بذلك تنسى أوجاعها وتتعزَّى* وظهر لها يوماً يسوع المسيح وطبع فيها جروحهُ المقدّسة* ووهب لها آلاء سامية منها روح النبوّة وعمل الكرامات وروح المشورة وغير ذلك. وكانت تحثّ جميع الناس من كلّ صنف على تأدية الفرائض الدينيَّة*

وطلب إليها يوماً راهب ان تصلّي لله من أجلهِ لكي يرفع عنهُ ما يكرههُ أكثر من كلّ شيء ويعيق خلاصهُ. وكان ذلك الراهب ذا صوت رخيم حلو إلى الغاية يفتخر بهِ كلّما غنّى. فحالما صلّت لِدوينا من أجلهِ انبحّ صوتهُ فلم يعُد يقدر أن يغنّي* أما الراهب الذي لم يكن يفتكر في ذلك فأراد أن يعالج صوتهُ ولكنّ الطبيب لمّا علم ما جرى بينهُ وبين لِدوينا صرّح قائلاً: ان كان الأمر هكذا فلا يستطيع لا ابُقراط ولا غيرهُ من أيّمة الأطبّاء أنّ يعالجوهُ*

وبعد ذلك أُوحي إلى هذه الطوباويّة بساعة موتها. ولكي تحسن الاستعداد للموت تسامحت مع جميع من كان معها* وفي ليلة عيد الفصح ظهر لها ربّنا يسوع المسيح في حجرتها ومعهُ امّهُ وزمرة رسلهِ وعزّاها ودهن جسدها بمرهم سمويّ ذي رائحة ذكيّة. وبعد العيد الكبير طلبت أن يتركوها وحدها مع ابن أخيها الصغير وشرعت تصلّي. وفي مدّة صلاتها أسلمت روحها إلى الله. فلمّا جاؤُوا إليها وجدوها راقدة بالربّ وجسدها الذي كان مصاباً كلّهُ بالقروح عاد صحيحاً جميلاً بعد موتها. وحينما أرادوا أن يدفنوها وجدوا متمنطقة بمنطقة من شعر الخيل فنزعوها

وصاروا يطردون بها الشياطين من أبدان المجانين. ودُفنت باحتفال وجرت كرامات عظيمة بشفاعتها أيّدت قداستها. وكان موتها في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان سنة ١٤٣٣*

* اليوم الخامس عشر *

مار سوتارس الأوّل البابا الشهيد

انَّ هذا القدّيس وُلد في مدينة فندي من مملكة نابُلي وتخلّف في كرسيّ مار بطرس بعد البابا مار انيقاطُس واستمرَّ فيهِ تسع سنين وستّة أشهر وواحداً وعشرين يوماً. وكانت حبريَّتهُ في عهد الملكَين مرقس اوراليوس ولوقيوس وارُس أخيهِ* ورسم في الكنيسة بعض رسومات نافعة من ذلك انَّهُ حدَّد على جميع المومنين أن يتناولوا في خميس الفصح سرّ الاوخرستيًّا. وأوضح بأنّهُ لا يجوز لأحد أن يفعل شيئاً محرّماً ولو حلف على عملهِ. وأخيراً ختم حياتهُ بسفك دمهِ لأجل يسوع المسيح ونال اكليل الاستشهاد في اليوم الثاني والعشرين من شهر نيسان سنة ١٧٩*

* اليوم السادس عشر *

المعظّم مبارك يوسف لابْرَهْ ـ أُنُسيما البارَّة

المعظّم مبارك يوسف لابْرَهْ

انّهُ في رومية يوجد كنيسة مخصَّصة لمريم العذراء باسم سيّدة الجبال. وكان يُرى من سنين مكتوباً على لوح من بلاطها اسم رجل فرنساويّ متسوّل اختياريّاً قد اتّخذهُ الله برحمتهِ آلةً لانذار أهل القرن الثامن عشر بالعقاب الذي سيحلّ بهم من قِبَل عدلهِ الإلهيّ على كفرهم وإفكهم* ففي ذلك الزمان عينهِ الذي فيهِ احتُقِرت الديانة الحقّ في أوروبا اختار الله هذا الرجل القدّيس واظهر مجدهُ ببواهر الكرامات التي فعلها على يديهِ. لأَنَّهُ على قبر هذا الفقير أخي يسوع المسيح رُدّ البصر للعميان والسمع للصمّ والنطق للخرس والشفاء للمرضى. وكان كثير يأتون إلى رومية من سائر أقطار أوروبا لزيارة قبر هذا الفقير طالبين من الله بشفاعتهِ ما يحتاجون إليهِ أو شاكرين الله الذي منحهم بشفاعتهِ ما كانوا يحتاجون إليهِ* ولقد أراد أن يهب للعالم في هذا الزمان هذا القدّيس الفقير لكي يخزي كفر المنافقين الذين لا يلتمسون سوى أن يعدموا الديانة الكاثُليكيَّة التي فيها وحدها كنيسة المسيح الحقيقيَّة أمّ القدّيسين وذلك بقداسة عبيدهِ الأمناء وبالكرامات التي يجريها

على أيديهم*

انَّ المعظّم مبارك يوسف لابْرَهْ الذي بهِ أشرق يسوع المسيح على هذا القرن الشقيّ أواخر أشعّة مجدهِ وُلد في ابرشيَّة بُلونيا القديمة في قرية تُدعى امَتّهْ في اليوم السادس والعشرين من شهر آذار سنة ١٧٤٨ في أيّام حبريَّة البابا بندكتُس الرابع عشر. ورزق الله أبويهِ خمسة عشر ولداً وكان مبارك البكر فيهم. وقد اختار الله البكر في هذه العيلة التقيَّة العديدة ليجعلهُ قدّيساً*

وكان عمّهُ وخالهُ قسّيسَين. فامَّا عمُّهُ فربّاهُ بالتقوى وعلّمهُ اللغة اللاتينية. وكان مبارك منذ صغرهِ منعكفاً على الأعمال التقويَّة غير مخالطٍ للصبيان أندادهِ محبّاً للانفراد والصلوة منعكفاً على قراءَة الكتب الروحيَّة واستماع المواعظ. وكان رحوماً على الفقراء مع كونهِ أفقر منهم وكان يقسم خبزهُ معهم. وفي ذلك الزمان دخل في قلبهِ هجران العالم وحبّ الترهّب فاختار لهُ ديراً ذا قوانين صعبة يُدعى دير ترابَهْ وعزم على الدخول فيهِ. ولمّا انطلق إليهِ لم يُقبَل فيهِ لأَنَّهُ كان ابن ثماني عشرة سنة لا يستطيع التمسُّك بقوانينهِ لشدّتها. فاغتمّ مبارك لذلك والتزم أن يرجع ويواصل دروسهُ عند خالهِ لأنّ عمّهُ كان قد تُوفّي* وفي تلك الأثناء جاءَ مرسلون لكي يركزوا في تلك البلدة وتكلّموا معهُ في شان الدخول في رهبنة الكرتوسيّين في دير مُنْتْرَيْل الصعب القوانين أيضاً. فاحسّ في قلبهِ باتّباع هذه الدعوة. فانطلق إلى ذلك الدير ولمّا طلب الدخول فيهِ قال لهُ الرئيس: يا حبيبي متى ما تعلّمت

علم الفلسفة والموسيقى قبلتك بفرح امَّا الآن فلا أستطيع أن أجيب إلى طلبتك* فانطلق إلى ديرٍ آخر للكرتوسيّين ذي قوانين أقلّ صعوبة من ذاك فقُبل فيهِ ولكنّهُ لم يستمرّ فيهِ ازيد من ستّة أسابيع لأنّ العناية الإلهيّة كانت قد أعدَّتهُ لسيرة قشفة جدّاً في العالم. فتركهُ ورجع إلى أبيهِ وشرع يستعمل التقشُّفات المقدّسة في بيتهِ. وكانت امّهُ تتعجّب لرؤيتها ابنها نائماً في الليل على لوح من خشب ومتقشّفاً بتقشّفات أخرى وتأكّدت بأنّهُ يكون أصل شرف عشيرتهِ*

ولمّا بلغ مبارك لابرهْ العشرين من العمر انطلق عند أحد المعلّمين وقرأ عليهِ علم الفلسفة وتعلّم الموسيقى فقدر حينئذٍ أن يمثل أمام دير مُنْتَرَيْل فقُبِل فيهِ وأخذ يسير بموجب قوانينهِ الصعبة. ولم يقدر أن يمكث فيهِ أيضاً أكثر من ستّة أسابيع. فظُنّ فيهِ انّهُ ليس لهُ دعوة في شيءٍ. ثمّ انطلق مرّةً ثانية إلى دير ترابَهْ فلم يقبلوهُ أيضاً. فذهب إلى دير يدعى العيون السبع ودخل فيهِ. وكان ذلك في اليوم الثامن والعشرين من شهر تشرين الأوّل سنة ١٧٦٩ ولبس ثياب المبتدئين ودُعي باسم اريانس. وكانت قوانينهُ شديدة وكان الصوم والسهر والصلوة المداومة تسرّ نفس هذا الطوباوي العطشى إلى التقشّف* وفي تلك الأثناء اعتراهُ سقم بلغ بهِ على آخر درجة فاخرجوهُ لذلك من الدير في اليوم الثاني من شهر تموز سنة ١٧٧٠ وقد بلغ مبارك حينئذٍ من العمر اثنتين وعشرين سنة. وهكذا خرج حزيناً مطروداً من جميع الناس. فلم يعد يقدر أن يرجع إلى أبيهِ فانطلق إلى رومية

وكانت يد الله تعضدهُ. ودعتهُ إلى سيرة عجيبة إلى الغاية* ولمّا كان في غويار في اقليم بيدمُنْت كتب رسالة إلى أهلهِ وذلك في اليوم الحادي والثلاثون من شهر آب سنة ١٧٧٠ وفيها يخبرهم بالأوجاع التي كانت قد اعترتهُ وبخروجهِ من دير العيون السبع وبسائر أحوالهِ* وكان مبارك لابرهْ إلى ذلك الحين لا يعرف دعوتهُ. فكان يظنّ أنّ الله يدعوهُ إلى الرهبنة. ولكنّهُ تعالى قد جعلهُ أن يترهّب مدّةً لكي يتعلّم السيرة الرهبانيّة التي كان قد أعدّهُ لها في العالم*

وفي تلك الأثناء عزم مبارك لابرهْ أن يحجّ إلى الأماكن المقدّسة الموجودة في تلك النواحي التي كان من جملتها محجّ لورتّهْ وهو بيت مريم العذراء الذي كان في الناصرة وفيهِ حلّ كلمة الله في حشا أمّهِ الطوباوية وكان الله بقدرتهِ الإلهيّة قد نقلهُ إلى مكان غير بعيد من رومية في نحو أواخر الجيل الثالث عشر. فأضحى المعظّم لابره متعبّداً لذلك البيت المقدّس الذي فيهِ عمل فدائنا أخذ مبدأهُ* ولمحبّتهِ الكثيرة للفقر دخل في أخويّة لمار فرنسيس* وبعدما طاف في زيارة جميع الأماكن المقدّسة الموجودة في مملكة نابُلي عزم أن يرجع ويسكن في رومية فأخذ يتوادع مع تلك الأماكن المقدّسة. وفي الخريف سنة ١٧٧٦ رجع إلى رومية ولم يخرج منها مدّة سبع سنين الاّ انّهُ في كلّ سنة كان يحجّ إلى البيت المقدّس في لورتّهْ* وقضى السنين الثلاث الأولى من سكناهُ في رومية في مكان مظلم منفرد لم يكن أحد يعرف بهِ سوى معلّم اعترافهِ. وكان يقضي النهار في الكنائس والليل في خربة

قديمة مصلّياً هناك بحرارةٍ عظيمة ومحتملاً البرد والجوع. فهذه التقشّفات والمداومة على الركوع سبّبت لهُ ورماً في نصف جسمهِ* وفي غضون ذلك اتّفق انّ أحد الشرفاء الرحومين اسمهُ منقيني صادفهُ. ولمّا رأى أسقامهُ تحنَّن عليهِ وأَخذهُ عندهُ وأَواهُ في دار كان قد جعلها مأْوى الفقراء وكان يأْتوي فيها اثنا عشر فقيراً. فاستعاد مبارك هناك صحَّتهُ* وأراد الله أن يكشف للعالم سيرة هذا القدّيس بما حكاهُ ذلك الرجل الشريف منقيني عن أعمالهِ التي كان معتاداً عليها كلّ يوم قائلاً: انّهُ حينما كان الفقراء يأتون مساءً ويقفون عند باب المارستان ويتكلّمون بعضهم مع بعض منتظرين فتح الباب كان مبارك لابرَهْ جاثياً على ركبتيهِ وراء عمود من أعمدة قصر سانتَرلّلي وهو يصلّي وينتظر فتح باب المارستان بالسكوت. وبعد الصلوة العامة كان يستمرّ زماناً طويلاً وهو جاثٍ على ركبتيهِ مع انّ الفقراء رفقاءَهُ كانوا قد غرقوا في النوم. وكان في نصف الليل يقوم للصلوة. ولمّا كان الفقراء رفاقهُ يستيقظون صباحاً كانوا يجدونهُ قد استيقظ قبلهم وهو راكع يصلّي. وبعد صلاة الصبح كان لهُ عادة أن يذهب إلى كنيسة مريم العذراء سيّدة الجبال ويجثو على لوح من بلاطها (وهو الذي تحتهُ دُفِن بعد موتهِ) ويستمرّ هناك إلى الظهر مصلّياً ومستمعاً القداديس وتالياً صلاة الفرض الإلهيّ* وكان يقوم عند الظهر وينطلق إلى باب أحد الأديرة ويستعطي هناك قليلاً من الخبز والطبيخ. وقبلما يتناول هذا الطعام كان يرفع الاناء الموضوع فيهِ إلى السماء شاكراً يسوع المسيح بحرارة*

وبعد

غدائهِ كان يذهب إلى الكنيسة التي يكون فيها سجود الأربعين ساعة ويقضي فيها بقيّة نهارهِ بالصلوة أو بقراءَة بعض الكتب الروحيّة. وعند المساء كان يأخذ بركة القربان المقدّس ويرجع إلى مارستانهِ* فهذهِ كانت سيرتهُ مدّة سنيهِ الثلاث الأخيرة* وكان يتكلّم قليلاً جدّاً ولا ينظر إلى أحد ويعيش بالانفراد مع الله فقط. وكان لباسهُ يحاكي فقرهُ* وروى معلّم اعترافهِ مرقوني قائلاً: انّهُ في شهر حزيران سنة ١٧٨٢ بعدما قدّستُ يوماً الذبيحة الإلهية في كنيسة مار اغناطيوس التي في المدرسة الرومانية شاهدتُ رجلاً ذا منظر كريه يُستنكَف منهُ عريان الساقين إلى النصف وممنطق الحقوَين بحبل دنيّ وغير منهدم الراس وملتفّاً بعباءَة عتيقة مخزّقة. فأخذني العجب لأنّي لم أرَ بعد فقراً رثيثاً نظير هذا. وكان هذا الفقير مبارك يوسف لابرَهْ*

ولم يكن أحد يعرف بهذا القدّيس في رومية سوى معلم اعترافهِ مرقوني وذلك الرجل الشريف منقيني ورجل تاجر اسمهُ زكّارلّي كان خليلاً لهُ فكانت كلّ رومية تجهل هذا الكنز الثمين المحتوي فيها* وكان جميع الناس ينظرون إلى لابرَهْ كانّهُ أشقى الخلق. وأعطاهُ ذات يوم رجل نحو عشرة فلوس صدقة فأخذها لابرَهْ ووهبها لفقير آخر. فغضب الرجل وهجم عليهِ وجعل يضربهُ ضرباً قويّاً بسوط كان في يدهِ ظانّاً انّ لابرَهْ الفقير استخفّ بصدقتهِ فوهبها لفقير آخر* فلمّا مات لابرَهْ واستعلنت قداستهُ جاء ذلك الرجل وانطرح على قبرهِ مستغفراً ورمى عليهِ ذلك السوط الذي بهِ أفرغ غضبهُ عليهِ

بقساوة واحتملهُ لابرَهْ بصبر وبلا شكوى*

ويوماً آخر إذ كان ماشياً رُمي بحجر في ساقهِ وسال دمهُ على الأرض فلم يلتفت ليرى من ضربهُ* وإذ كان يوماً في الكنيسة المدعوَّة قُلُوسيوم شاهد صبياناً يلعبون ولم يكونوا يؤَدّون الاحترام الواجب لله في ذلك المكان المقدّس فشرع يوبّخهم. امّا هم فلمّا رأَوهُ على تلك الحالة الفقريّة أخذوا يجرون وراءَهُ ويرمونهُ بالحجارة. فصادفهم رجل وجعل يكفّهم عنهُ. فالتفت مبارك إلى الرجل قائلاً: دعم لأَنّك لو عرفتني لفعلتَ مثلهم وأكثر*

وكان لهُ أَلَمٌ عظيم يمزّق قلبهُ وهو الذي كان عتيداً أن يعجّل على نهايتهِ. وذلك انّ هذا الرجل المغرم بحبّ الله القليل الاحساس بالمصائب التي كانت تحلّ بجسدهِ عندما رأَى الاهانات التي كان أهل القرن الثامن عشر يلحقونها بالاههِ وانّهُ لم يوجد نظير الشرّ الذي عملوهُ أمام الله صار قلبهُ يتفطَّر. ولا سيّما عندما كان يشاهد النفاق والكفر والتجاديف لا تزال تعظم وتتزايد. وانّ الخطاة يدوسون بآثامهم على دم فاديهم. وقبائحهم قد ملأَت افق هذا القرن الشقيّ وانّ الله جزم أن ينزل بهم غضبهُ الإلهيّ. فلم يكن لهُ سبيل سوى أن يصلّي من أجلهم. وكم من مرّة قال لمعلّم اعترافهِ مرقوني: آه يا أبي انّ هذا الألم يقتلني*

وفي الصوم الأربعينيّ من سنة ١٧٨٣ في يوم جمعة الأوجاع أي الأسبوع الذي قبل السعانين إذ لم يكن يقدر أن يسند نفسهُ

توكّأً على عكّازة ومضى ليعترف مرّة أخيرة قال بعد ذلك معلّم اعترافهِ مرقوني انّي لمّا رأَيتهُ آتياً إليَّ وهو على تلك الحالة قلتُ انّ رومية عمّا قليل ستعترف بفضل هذا الرجل الذي هو ذبيحة التوبة* وتناول في ذلك اليوم القربان المقدّس واستمرّ زماناً طويلاً مصلّياً أمام مذبح مريم العذراء*

وفي ذلك الأسبوع المقدّس كان يُنتظَر في لورتَّهْ حيث كانت عادتهُ أن يحجّ في كلّ سنة في ذلك الأسبوع إلى البيت المقدّس. وكان ينزل عند رجل بارّ اسمهُ سوري. وكان يعرفهُ هناك كاهنان ملازمان لذلك البيت كانا قد تحقّقا برارتهُ منذ السنين الأولى التي كان يأتي فيها إلى لورتَّهْ ويستمرّ هناك زماناً بالعبادة فحفظا لهُ حبّاً ووداداً في قلبهما* وفي زيارتهِ الأولى حين كان يذهب إلى لورتَّهْ كان يبيت في خربة عتيقة بعيدة قليلاً من هناك. ولمّا تعارف معهُ ذانك الكاهنان جعلاهُ أن يقيم في مدّة وجودهِ هناك عند ذلك الرجل التقيّ سوري* وأخيراً في ذلك الأسبوع كان الكاهنان وسوري ينتظرون قدومهُ. فقال سوري لامرأتهِ لا يبطئ مبارك أن يأتي. أمّا ابنهما ولم يكن عمرهُ سوى خمس سنين فأجابهما حالاً: لا يأيت مبارك مبارك قد مات* وفي يوم خميس الفصح قال سوري أيضاً انّما اليوم يأتي لابرَهْ. فأجاب أيضاً الصبيّ قائلاً: لا يأتي مبارك مبارك رحل إلى الفردوس*

وحقّاً انّ مبارك توفّي ليلة الخميس ورومية كلّها كانت تهذّ إذ ذاك بقداسة سيرتهِ* وموتتهُ هكذا كانت. انّهُ في يوم أربعاء الحاش

انطلق حسب مألوف عادتهِ صباحاً إلى كنيسة مريم العذراء سيّدة الجبال وتناول فيها القربان المقدّس. ولمّا خرج وقع على درج الكنيسة فاسرعوا إليهِ فطلب قدح ماء. فلمّا أتوهُ بهِ قدّمهُ لله. وبعدما شربهُ رفع عينيهِ إلى السماء وشرع يصلّي وحينئذٍ تاقت الدموع من عيون جميع الحاضرين* ثمّ أرادوا أن ينقلوهُ إلى المارستان فأَبى. وكان ثمّ واقفاً رجل تاجر اسمهُ زكّارلّي وكان يحبّهُ فهذا تقدّم إليهِ وقال لهُ. يا مبارك انّي أرى أنّ مرضك يشتدّ ويجب مداراتك. أتريد أن تأتي عندي. فقال مبارك نعم آتي عندك. فأخذهُ إلى بيتهِ واضجعوهُ على سرير وقدّموا لهُ طعاماً. وكانت قواهُ تنحلّ شيئاً فشيئاً فدعوا القسّيس ومشحهُ المشحة الأخيرة. وعند المساء شرعوا يقولون ليتانيّة مريم العذراء عند رأسهِ. وحينما صاروا يقولون أيَّتها القدّيسة مريم صلّي لأجلهِ سلّم مبارك عبد مريم الأمين روحهُ إلى الله بهدوّ وسكون من دون سياق. وكان ذلك في أربعاء الحاش في اليوم السادس عشر من شهر نيسان سنة ١٧٨٣ عند مدخل ليلة الخميس* وكان عمرهُ حينئذٍ خمساً وثلاثين سنة وواحداً وعشرين يوماً* وحين وفاتهِ كانت جميع نواقيس رومية تُقرع وذلك تنبيهاً للمومنين أن يقولوا السلام عليكِ يا ملكة الرحمة الخ. التماساً إلى مريم العذراء لتهدّئ بشفاعتها المقبولة غضب الله المستعدّ أن يحلّ على العالم. وفي تلك البرهة شرع جميع الصبيان يركضون في الطرق وهم يصيحون مات القدّيس مات القدّيس*

وفي الغد صباحاً تكرَّرت تلك الصباحات في المكان الذي

كان فيهِ وفي الطرق القريبة من كنيسة سيّدة الجبال. فلم تكن الأحاديث في رومية الاَّ عنهُ. فكنت ترى واحداً يقول مات اليوم قدّيس. وآخر يقول أين مكان القدّيس الذي مات* واجتمع جمٌّ غفير أمام بيت زكَّارلّي مزدحمين بعضهم بعضاً مريدين الدخول. وأراد أهل محلّة الجبال أن يحفظوا اسمالهُ عندهم كذخائر* وكان مبارك قد طلب أن يُدفَن في الكنيسة التي كان يحبّها بالأكثر وهي كنيسة مريم العذراء سيّدة الجبال. وتكلف زكَّارلّي بواجبات الدفنة. وشيَّعتهُ رومية كلّها وهكذا أُتي بذلك الجسد الثمين إلى تلك الكنيسة كأَنَّهُ بظفر عظيم بين صفّين من الجنود. وكان يمشي وراء نعشهِ سادات رومية والعامَّة والدموع تهطل من عيون جميعهم* وبالاجمال نقول انَّهُ لم تُحتَفَل دفنةٌ لملِك كما احتُفِلت لمبارك لابرَهْ الفقير المتسوّل* وكانت إذ ذاك الكرامات التي كان الله يفعلها اجلالاً لهُ تزيد مجدهُ. وبقي جسدهُ موضوعاً في الكنيسة من يوم الخميس إلى يوم أحد القيامة. وفي يوم الخميس ويوم السبت المقدَّسَين كدَّهُ عرقٌ غزير. وهكذا بقي نحو أربعة أيّام من دون أن يظهر فيهِ علامة فساد بل كان يبان كانَّهُ نائِم* وفي يوم أحد القيامة مساءً دُفن تحت تلك البلاطة التي كانت عادتهُ أن يجثو عليها مصلّياً. وفي الغد أي يوم الاثنين تسارع إلى قبرهِ جميع المرضى من كلّ صنف ومن سائر حارات رومية وكانوا يرجعون مشفيّين. وكانت الخطاة عند نظرهم تلك الكرامات يرجعون إلى الله بالتوبة وهكذا كان الغير المومنين أيضاً يهتدون إلى الايمان* ولم يكن

يُسمع في تلك الكنيسة سوى زفرات النحيب وصراخات الفرح*

وطنَّ اسمهُ في أوروبا كلّها وظهرت قدرتهُ في كلّ مكان لأنَّ الله أراد أن يشهرها ببواهر الكرامات التي كان يجريها بشفاعتهِ وذلك لكي يأخذ الثار بالاحسان من عدم ايمان البشر وخيانتهم* وكان يبان انّ هذا الفقير مباركاً جلب المراحم الالهيّة على العالم. ولكن آه انْ هذا العالم الخائن لم يرد أن يستفيد من آلائهِ تعالى. فانّ فلاسفة العصر الجهَّال العميان همُّوا أن يبيدوا الفقراء من الأرض قائلين ماذا تنفع الفقراء. وجزموا أن يمحوا الفقر ولكنّ الله أخزى طلبتهم بواسطة هذا الفقير الذي جعلهُ فقيراً بطرق لا يعرفها الاَّ هو جلّ شأنهُ لكي يظهر للعالم كم يحبّ الفقراء أخلّة يسوع المسيح الفقير وكم يرتضي بالفقر المقدَّس ويشرّف الذين يسلكون في سبلهِ كما صنع بالطوباويّ مبارك لابرَهْ الذي أراهُ فيما بعد للعالم موشحاً بالمجد. لأنّهُ ان امحى الفقر من العالم فلا شكّ انَّ أبواب السماء تُغلَق لأنّ الفقر المسيحيّ هو الطريق المودّية إلى القداسة*

انسيما البارّة

انَّ هذه القدّيسة كانت ابنة وحيدة لملك مسيحيّ. وبما أنَّ اباها لم يكن لهُ غيرها فكانت هي وريثتهُ في المُلك. وكانت ذات مزايا حميدة وفضائل سامية. وكان في قلبها حربٌ بين أفكارها فانَّها تارةً كانت

تستعدّ للجلوس على تخت السلطنة بعد موت أبيها وتارةً تتوق إلى خدمة الله مجرّداً. واستمرَّت على هذه الحال مدَّة ليست بيسيرة. وأخيراً غلبت خدمة الله في قلبها خدمة البشر بالملكيَّة فشرعت تواظب على قراءَة الكتب الروحيَّة والهذيذ في الإنجيل المقدَّس* فلمّا مات أبوها عزمت أرباب الدولة أن تقيمها ملكة مكانهُ. أمَّا هي فهجرت العالم وأخذت انجيلها معها وهربت من دون أن يشعر بها أحد مخترقةً البراري والقفار حتَّى بلغت غاباً كثيفةً أشجارهُ وأقامت تنسك فيهِ مدَّة أربعين سنة مقتاتة من أثمار تلك الأرض. وكانت الوحوش تانس إليها وتسمع لها حين تقرأ في إنجيلها* ثمَّ بعد ذلك الهمها الله بأن تسكن ديراً وتتظاهر فيهِ بالجنون لازدياد كمالها. فقامت عند ذلك وانطلقت إلى دير راهبات على شطّ نهر النيل يُدعى دير الصفوف وكان فيهِ ثلثماية راهبة وسكنت فيهِ. وكان جميع الراهبات يحتسبنَها معتوهة فاقدة العقل ولذلك كنَّ يزدرينَ بها ويلطمنَها ويحتقرنَها كانَّها كلبة بينهنَّ. امّا هي فكانت تصبر على كلّ تلك الحقارات صامتة وكانت تخدم جميعهنَّ باتّضاع عجيب وتتعاطى جميع الأعمال الدنيَّة والصعبة والمتعبة. وكانت تمشي حافية دائماً صيفاً وشتاءً وتكتسي بثياب رثّة وتغطّي رأسها بخرقة وسخة بالية. واستمرَّت في تلك الحالة نحو أربعين سنة حتَّى ادهشت الملائكة والناس بنسكها واحتمالها. فسمح الله حينئذٍ أن يظهر سموّ قداسة سيرتها لأحد الآباء النسَّاك بملاك ظهر لهُ وقال لهُ انَّهُ ليس لك أن تسرّ بحال سلوكك هذا وان كنت حقّاً متمسّكاً بسيرة

مقدّسة منذ سنين كثيرة فانَّهُ في دير الصفوف يوجد راهبة اسمى قداسةً منك. فقم واذهب إلى الدير المذكور فتجد هناك فتاةً على رأسها تاج تُلطَم نهارها كلّهُ وتُحتقَر وتُهان بلا انقطاع وهي مع ذلك لا تضطرب ولا تقلق البتة ولا تزال ذاكرة الله ومباركة لهُ. أمَّا أنت فمع كونك متوحّداً تدع أفكارك تجول في العالم. قال لهُ الملاك هذا وتوارى عنهُ* فنهض حينئذٍ ذلك الاب وانطلق إلى الدير المعيَّن وطلب أن يكلّم الراهبات كلّهنَّ. فأتت الراهبات كافَّةً ليشاهدنَ الرجل القدّيس المشهور بالفضل والقداسة. فشرع ينظر إليهنّ ليرى تلك الراهبة المشار إليها فلم يجد العلامة على راس واحدة منهنَّ فقال لهنَّ: أأَنتنَّ كلّكنَّ راهبات الدير ولم يتبقَّ منكنَّ واحدة. فاجبنَهُ. نعم يا أبانا ها انّنا كلّنا أمامك. فقال لهنّ هذا لا يمكن لأنّي لست واجداً فيكنَّ الراهبة التي أخبرني عنها الملاك. قلنَ انّما بقيت واحدة لم تحضر أمامك لأنَّها معتوهة وفاقدة العقل وهي تخدم في المطبخ فقال لهنَّ: إئتينَني بها حالاً. فلمّا انطلقنَ ليأتينَهُ بها أبت وامتنعت فسحبنَها إليهِ قهراً واحضرنَها أمامهُ. فلمّا رآها عرفها من تلك الخرقة البالية الوسخة التي كانت على راسها التي سمّاها الملاك تاجاً. فحينئذٍ انطرح ذلك الاب على قدميها قائلاً: اسألكِ أيّتها الأمّ المباركة أن تباركني وتصلّي لأجلي. فاندهشت الراهبات من ذلك وقلنَ لهُ انَّك لضالّ يا أبانا لأنّ هذه الراهبة ساهية وقليلة العقل. فقال لهنّ الشيخ: انّكنَّ أنتنَّ الجاهلات القليلات العقل. لأنّ هذه الراهبة التي تحتسبنَها مجنونة هي

اغزر حكمة منكنَّ جميعاً وليتني أنال في يوم الدينونة حظّاً نظير حظّها. واخبرهنَّ بأمرها وبقصَّتها كما اعلمهُ روح القدس. فحينئذٍ شرعنَ ينحنَ ويندبنَ الحقارات التي ألحقنَها بها. وبادرنَ إليها طالبات منها الغفران. فعند ذلك فرّت أُنُسيما من الدير. وقضت ما بقي من حياتها بالانفراد وخدمة الله حتّى سلّمت نفسها إليهِ تعالى*

* اليوم السابع عشر *

جهاد مار شمعون برصبّاعي اسقف فارس ورفقائهِ الشهداء

انّ شابور بن هرمز ملك الفرس الملقّب بالحيوة الطويلة أو بصاحب الأكتاف (لأنّهُ كان إذا قهر ملكاً يأمر بخلع أكتافهِ) لم يفتر حتّى موتهِ من اضطهاد تلاميذ يسوع المسيح. وأثار في مدّة ملكهِ ثلاثة اضطهادات قاسية الأوّل في السنة الثامنة عشرة من ملكهِ. والثاني في السنة الثلاثين. والثالث في السنة الحادية والثلاثين. وكان هذا الأخير الأطول والأقسى ويدعوهُ أهل التواريخ الاضطهاد العظيم* وكان من جملة المسيحيّين الأبطال جنود يسوع المسيح الذين استشهدوا فيهِ مار شمعون برصبّاعي ورفقاؤهُ*

انّ مار شمعون الملقّب برصبّاعي كان تلميذاً لمار فاقا أسقف سلوق وَقْطِسفون الذي أقامهُ نائباً لهُ سنة ٣١٤. وقيل انّ سني

حبريّتهِ دامت ستّاً وعشرين سنة وبضع أشهر مع الزمان الذي استمرّ مع سالفهِ مار فاقا* وفي مدّة حبريّتهِ جعل المجمع النيقاويّ كرسيّ سلوق وَقْطِسفون أن يكون كرسيّ اسقفيَّة فارس أيضاً. وحضر مار شمعون في هذا المجمع بشخص أحد قسوسهِ اسمهُ شَهدُسْت وهو الذي تخلّف بعدهُ في الكرسيّ* هذا ما يُعرَف منهُ إلى حين استشهادهِ. وامّا اخبار ظفرهِ فقد حكاها مار ماروثا في اللغة السريانيّة وهاك ملخّصها*

إِنَّهُ في سنة ٣٤٠ للمسيح التي هي سنة ١١٧ لمملكة فارس وسنة ٣١ لمُلك شابور ملك الملوك ثار اضطهاد عظيم على الكنيسة وذلك انّ الملك أبرز أمراً بأن لا يدخل أحد في حضن الديانة النصرانيّة والأَفيُوسَر. وأمر أيضاً بأن تُثقَّل النصارى بالجزية وتادية سائر المادّات. فمن أجل ذلك كتب لهُ مار شمعون رسالةً وخاطبهُ فيها بقوّة وشجاعة وروح رسليّة واجابهُ هكذا على التهديدات التي تهدّدهُ بها مع قومهِ قائلاً: انّ يسوع المسيح قد قدّم نفسهُ بإرادتهِ إلى الموت من أجل خلاص العالم وافتداهُ بسفك دمهِ. فهل أقدر أنا بعد ذلك أن أخاف من أن أبذل نفسي عن طائفة قد قُلّدتُ الاهتمام بخلاصها. لأنّ السيّد المسيح قد ابتاعها بدمهِ وخلّصها من عبوديّة البشر لتتعبّد لهُ وحدهُ ولا تتعبَّد للمتعدّين على شريعتهِ. وامّا أنا فلستُ بجبان حتّى أخاف أن أسلك في آثار مخلّصي لا بل أشعر بنعمتهِ بأنّي مقوًّى على مشاركتهِ في الذبيحة. وأمّا قومي فانّهم يودّون أن يموتوا عن ديانة تنوّلهم الخلاص*

فلمّا قُرِئت هذه الرسالة على الملك تقلّى على جمرات الغضب

وأمر حالاً بأن تُقتَّل القسوس والشمامسة وتُهدَم الكنائس وأن ينجَّس جميع ما هو مخصَّص لعبادة الاله النصارى* ثمّ قال الملك وامَّا شمعون شيخ هذه الأمَّة الملعونة الذي يزدري بجلال مُلكي ويحتقر الاهي فاريد أن يُؤتَى بهِ إليَّ لتُرفَع دعواهُ أمامي* ثمّ انّهُ أرسل أعوانهُ إلى مار شمعون فقبضوا عليهِ وصفّدوهُ بالحديد هو واثنين من قسوس كنيستهِ الاثني عشر اسمهما عبد هيكلا وحنانيا وأخذوهم إلى الملك. فلما وصلوا إلى مدينة السوس مولد مار شمعون طلب هذا القدّيس أن لا يجعلوهُ يجتاز بكنيسة مسيحيّة كان قد قلبها المجوس إلى كنيسة يهوديَّة حتَّى لا يشاهد ذلك الاثم. ثمّ أسرع بهِ حرّاسهُ إلى مدينة ليدن عاصمة بلاد الأهواز. وإذ أُخْبِر شابور بقدومهِ أمر باحضارهِ إليهِ. فلمّا مثُل مار شمعون أمامهُ لم يسجد لهُ كما كان يفعل قبل ذلك حينما كان يمثل أمامهُ. فسألهُ الملك لماذا لم تؤَدِّ لي هذا الاكرام كما كنت تفعل سابقاً. فقال مار شمعون: لأنّي لم أمثل قطّ امامك وأنا مصفَّد بقيود الحديد ومُجبَر على جحود الالاه الحقّ* فقال حينئذٍ المجوس للملك: انّ شمعون قد كاد مكيدة على المملكة ولذلك فانّهُ يستحقّ الموت. فأجابهم مار شمعون يا أيّها الكفّار أما يكفيكم انكم اخربتم هذه المملكة بل تريدون أيضاً ان تجعلوني شريكاً لكم في هذا الذنب* فللوقت هدأ عنهُ غضب الملك وقال لهُ: ثق بقولي يا شمعون فانّي أريد لك الخير. اسجد للشمس الاله العظيم فذلك راجع إلى خيرك وخير أمَّتك. فقال مار شمعون كيف أسجد للشمس أنا الذي لم أرد أن أسجد لك أنت

الذي هو ارفع خلقةً من الشمس. واعلم أيُّها الملك انَّنا نحن النصارى لا نعرف الاّ ربّاً واحداً وهو يسوع المصلوب* فقال لهُ الملك: لو سجدت لالاه حيّ لعذرتُ جنونك ولكنّك تقدّم السجود الواجب للاله لإنسان مائت على خشبة دنيَّة. فحتَّى مَ هذا الجنون. احكَم واسجد للشمس التي يُقدَّم لالهيّتها الاكرام من الجميع. وان اطعتني وعدتك باكرام عظيم وأموال جزيلة ورفعتك إلى الدرجة العليا في مملكتي* قال القدّيس: انّك لا تعرف يسوع المسيح فانّهُ خالق الناس والاه الشمس بنفسها وقد انكسفت يوم موتهِ حزناً عليهِ وبعد ذلك قام ممجَّداً من القبر وصعد إلى السماء بقدرتهِ المطلقة. أمّا المواعيد التي تعدني بها فهي لا تخدعني لأنّ الاهي يعدّ لي أعظم منها جدّاً خيرات لا تعرفها أنت* فقال لهُ الملك: أما تخاف على حياتك وحيوة أناس كثيرين سيهلكون معك أن ثبتّ مصرّاً على عنادك* قال مار شمعون: ان ارتكبت هذا الاثم الشنيع وقتلتنا فسوف تشعر بعظمة عقابهِ في ذلك اليوم العظيم المخوف الذي فيهِ يطلب منك الديّان العادل الحساب على أعمالك. امّا أنا فليس صعباً عليَّ ترك ما بقي من حياتي هذه الشقيّة ومثلي امّتي* فلمّا رأَى الملك ثباتهُ ايس منهُ وطرحهُ في سجن ضيّق إلى الغد* وكان على باب القصر خصيّ مُسِنّ اسمهُ كوهستَزْد وهو الذي كان قد ربَّى شابور. وكان معتبراً جدّاً في قصر الملك وكان أوّل شريف في بلاد فارس. فهذا اعترف أوّلاً بالايمان المسيحي ولكنّهُ فيما بعد سجد للشمس وذلك لكي لا يخسر حظّهُ عند مولاهُ الملك.

فلمّا رأَى مار شمعون مسوقاً إلى الحبس ركَع أمامهُ وحيّاهُ. ولكنّ مار شمعون حوّل عنهُ وجههُ وذلك لكي يعرّفهُ عظمة الضلالة والورطة التي وقع فيها بكفرانهِ وجحودهِ. فتحرّك قلب ذلك الخصيّ من هذا التوبيخ السرّيّ وجعل يفتكر في سقطتهِ وفي بغض اثمهِ. وقال والدموع تسحّ من عينيهِ: الويل لي أنا الشقيّ لأنّ ما أبداهُ معي شمعون من تحويل وجههِ عنّي صار صعباً عليَّ فكيف أقدر أن أحتمل ما يظهرهُ لي الالاه العادل الحقّ على نكراني ايَّاهُ. وللوقت اسرع إلى بيتهِ وخلع الثياب الفاخرة التي كان مزيَّناً بها واكتسى بثياب سود كعادة الفُرس في زمن الحزن ورجع إلى باب القصر* فلمّا أُخبِر الملك بما صار سأَل الخصيّ عن سبب تغيير ثيابهِ قائلاً: يا كوهستزد أَهَل اعتراك روح شرّير. قال الخصيّ أيّها الملك ليس فيَّ شيءٌ مما تظنّ ولكنّي جدير بي أن ألبس ثياب الحِدَاد على انّي أخطأتُ إلى إلهي بسجودي للشمس* فلما سمع شابور منهُ هذا الجواب تغيَّر وجههُ واحمرَّت عيناهُ وظهرت عليهِ امارات الغضب وقال: أهذا يحزنك. أنا أعلم كيف احكّمك يا سخيف يا مجنون ان كنت لا تترك هذه أفكارك. فقال كوهستزد انّي أُشهِد على نفسي السماء والأرض بانّي لن أطيعك بعد ولا أرتكب ذلك الذنب الذي أنا نادم عليهِ الآن بكلّ مرارة قلبي. أنا مسيحيّ* فقال لهُ الملك. أنا اشفق على شيخوختك وأتأَسَّف على انّك ستخسر حظّك السعيد بخدمتك لي. فاطلب إليك أن لا تتمسّك بالاعتقاد الباطل الذي تعتقدهُ هذه الأمّة الشرّيرة لأنّك تجبرني على أن أنزّلك معها إلى الهلاك. قال اعلم

أيّها الملك انّي لستُ أريد أن أترك الالاه الحقّ واسجد لخليقة حقيرة. قال الملك أأَسجد أنا لخليقة. قال كوهستَزْد نعم أيّها الملك وما هو أقبح من ذلك انّك تسجد أيضاً لخليقة لا حيوة ولا معرفة لها وهي التي خُلقت لخدمة البشر. فحينئذٍ أمر الملك بقتلهِ*

ولمّا أخذوهُ إلى المقتل أرسل يطلب إلى الملك بأن يمنّ عليهِ بطلبة واحدة وهي أن يرسل منادياً ينادي بانّ كوهستزد لم يُقتَل لذنب ارتكبهُ بل لسبب انّهُ ما أراد أن يكفر بدين المسيحيّين لا غير وكانت غاية الشهيد بهذه الطلبة أن يصلح الشكوك التي سبّبها بجحودهِ الديانة. فأجاب الملك إلى سؤَالهِ لغاية غير غاية الشهيد. وذلك انّهُ قال انّ موت واحد شريف من مملكتي بسبب النصرانيّة يفزع الفُرس ويصدّهم عن الدخول في تلك الديانة. وأخيراً قُطع راس كوهستزد يوم خميس الفصح المقدس*

وسمع مار شمعون وهو في السجن باستشهاد كوهستزد فشكر الله وزاد في قلبهِ الشوق إلى سفك دمهِ عن الايمان فصرخ قائلاً: يا أيُّها المسيح عظيم هو حبّك وممجّدة قوّتك يا يسوع ومبجَّل سلطانك يا مخلّصنا المحيي الأموات والمقيم الساقطين والمرجّع الخطاة يا مَن هو رجاء لمن لا رجاء لهُ لأنَّ هذا الرجل الذي كان بعيداً عن الحقّ والايمان صار قريباً إليهما والذي كان منفيّاً إلى الظلمة بكفرهِ دُعي إلى الوليمة السمويَّة باعترافهِ. وهذا الذي كنتُ أريد أن أسبقهُ سبقني ونقض أسوار الموت القويّ وانهج سبل الحيوة للمسيحيّين الخائفين. فعلاَمَ أبقى

بعد في هذه الحيوة. فالطوبى للساعة التي فيها يأتون ويأخذوني إلى القتل ويسرعون بي إلى الموت. فهب لي يا إلهي هذا الاكليل لأنّك تعلم انّي طلبتهُ وتقتُ إليهِ بشوق عظيم لأنَّ حبّك شغف نفسي وابهج فُوادي. فاعطِني أن أراك سريعاً وافرح بك وتريحني حتَّى لا أعود أحيا في هذا العالم وأرى شرّهُ يلحق بأمّتي فتُهدَم كنائسك وتُدَكّ مذابحك. ويحيد صغيروا القلوب عن الحقّ فيفطرون قلبي ولذلك أَحبّ إليّ أن أموت عن جماعتك وأكون لهم إِماماً بسفكي دمي أمامهم لكي أنال معهم الحيوة الأبديّة. وعندما كان القدّيس يقول هذه الصلوة كانت يداهُ مرفوعتين إلى السماء. والقسّيسان عبد هيكلا وحنانيا اللذان كانا معهُ في السجن ينظران بتعجّب إلى وجههِ الذي كانت تلوح عليهِ الحرارة والمحبّة السمويّة*

وفي يوم خميس الفصح المقدّس ليلة الجمعة العظيمة في الساعة المقدّسة التي كان فيها ربّنا يسوع المسيح يعرق دماً كان مار شمعون يصلّي قائلاً: يا يسوع إلهي اطلب إليك أن تؤَهّلني أنا غير المستحقّ لأَن أشرب هذه الكاس في هذا اليوم الذي تألّمتَ فيهِ وتلك الساعة التي متُّ فيها لكي تقول الأجيال من بعدي انَّ شمعون قُتِل يوم قُتل ربّهُ وافرح إذا ما علّمت الآباء أبناءَهم بأنَّ شمعون يُذبَح نظير الاههِ يوم الجمعة*

ولمّا أصبح الصباح ادخلوهُ أمام الملك فلم يمجد لهُ أيضاً. فقال لهُ شابور: يا شمعون ارغب أن يكون دخولك علينا بالمحبَّة لا بالعداوة.

قال شمعون: أيُّها الملك في أمر مثل هذا لا شكّ انَّ العداوة خير من المحبَّة. قال الملك ما كانت نتيجة أفكارك في هذه الليلة. العلّك استفدت من مواعيدي أم بقيت على عنادك وعلى هذا روح التشدّد الذي يجعلك أن تؤثر الموت على الحيوة. اسجد للشمس مرَّة واحدة فقط فتخلص من الموت* قال شمعون معاذ الله أن تُسمَع هذه الكلمة في المسكونة وان يُتكلّم بها عند البشر وان تفرح بها أعدائي ويهذّون بها مجّاناً قائلين أنّ شمعون ضلّ عن الاههِ وسجد للعدم خوفاً من القتل* قال الملك انّ ذكر صداقتنا القديمة جعلني أن أستعمل معك وسائل عديدة من الحلم ومن حيث انّك لم تستفِد منها فعليك وبالك. قال شمعون يكفيك ما تخدعني بتمليقاتك. ما الذي أبطأك عن قتلي. هوذا رقعة القضاء قد كُتِبت وأُعِدّت وأنا لا أنتظر سوى تلك البرهة السعيدة التي فيها اجلس على المائدة التي يدعوني إليها الربّ* فلما سمع الملك ذلك التفت إلى أهل مشورتهِ وقال انظروا جنون هذا الرجل الذي يوثر الموت على أن يترك أفكارهُ القبيحة. ثمّ أمر بأن يُقطَع رأسهُ. وكان في السجن ماية رجل من المسيحيّين محبوسين قد أُتِي بهم من جهات أخرى. وكان فيهم خمسة أساقفة وقسوس وشمامسة والباقون كانوا يخدمون في الكنيسة كالاقليرُس الصغار وفي تلك الساعة أُخرِجوا ليُقتَلوا. فعرض عليهم مقدَّم القضاة قول الملك شابور وهو: ان رضيتم أن تسجدوا للشمس الالاه العظيم تحيون وتنجون من الموت. فقالوا جميعاً بصوت عظيم: اننا مستعدُّون لأن نحمل كلّ نوع من العذابات ولا نهين الاهنا الحقّ

بجحودنا ايّاهُ بجبانة. فعمد الجلاّدون إلى السيوف ليمضوها بهم أمام مار شمعون لعلّهُ يخاف من الموت فيكفر. ولكنّ ذلك لم يفزّع قلب هذا الشيخ البطَل بل التفت إلى عسكر الشهداء وطفق يخاطبهم قائلاً: تقوَّوا يا أخوتنا بالربّ ولا تخافوا لأنّ الربّ مات عنكم فموتوا أنتم أيضاً في حبّهِ حتّى يقيمكم بالمجد. وكما قُتِل وحيي هكذا أنتم أيضاً موتوا فتحيوا معهُ. واذكروا الكلمة التي قالها لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وأمّا النفس فلا يستطيعون أن يقتلوها. وكلّ من يهلك نفسهُ من أجل اسمي يجدها في الحيوة الأبديّة. وبهذا يُعرَف الحقّ أن يبذل الإنسان نفسهُ عن حبيبهِ. فعلينا المحبّة وعليهِ المجازاة. وعلينا العمل وعليهِ الأجرة. وعلينا الالام والموت وعليهِ القيامة والحيوة يوم يمنح ويفرّح ويدعو ويبهج ويقول لنا بصوت حلو: هلمُّوا أيّها العبيد الأمناء ادخلوا إلى فرح سيّدكم لأنكم نِعم ما تاجرتم بوزناتهِ فخذوا إذاً عشر وزنات أُخر* ولمّا قُتِل أيضاً مار شمعون وقسّيساهُ عبد هيكلا وحنانيا. أما حنانيا ففزع قلبهُ عند نظرهِ كثرة الشهداء المتمرّغين بدمائهم أمامهُ. وكان واقفاً هناك رجل من رجال الدولة اسمهُ فاسيق فهذا اذرآهُ متغيّر اللون جزعاً قال لهُ: حنانيا حنانيا لا تخف اغمض عينيك فانّ ضربة السيف تميت سريعاً. ففعل هكذا واستشهد. ومن أجل هذه الكلمة قُبِض على فاسيق وأُتِي بهِ إلى الملك. فعاتبهُ الملك على خيانتهِ فاقرّ فاسيق أمامهُ بأنّهُ مسيحيّ. وبعدما حاول شابور أن يردعهُ عن فكرهِ ولم يتمكّن منهُ أمر بقطع لسانهِ وسلخ جلدهِ وقطع رأسهِ. واستشهدت في ذلك اليوم ابنتهُ أيضاً*

وكان تكليل مار شمعون برصبّاعي ورفاقهِ الشهداء يوم جمعة الحاش المقدّسة في اليوم السابع عشر من شهر نيسان سنة ٣٤١ للمسيح*

* اليوم الثامن عشر *

الطوباويَّة مريم عبدة التجسّد الراهبة الكرمليّة

إِنّ هذه الطوباويّة وُلدت في مدينة باريس قاعدة بلاد فرنسا في اليوم الأوّل من شهر شباط سنة ١٥٦٦ من أصل شريف وكان أبوها محاسب مجلس باريس. ولمّا رُزِق أبواها أولاداً كثيرين ولم يعيشوا نذروها حين ميلادها لمريم العذراء لعلّها تعيش. وثاني يوم ميلادها عمّذوها وسمّوها بربارة. وكانت في صغرها حَسَنة الخُلق لائحة عليها سمة القداسة* ولمّا صار عمرها إحدى عشرة سنة وضعها أهلها في دير يدعى الحقل الطويل فأقامت فيهِ ثلاث سنين وتعلّمت هناك جميع واجبات الديانة. ولقد آثرت أن تستمرّ في ذلك الدير طول حياتها ولكنّ أهلها منعوها أن تكون راهبة فأخذوها من ذلك الدير رجاءً أن يزوّجوها. امَّا هي فلم يكن لها رغبة في ذلك فكانت تمتنع من لبس الثياب الناعمة الفاخرة. ولهذا كان يصيبها من أمّها مشقاّت كثيرة. وفي الآخِر زوَّجوها كرهاً منها بشابّ شريف ذي وظيفة سامية في الدولة. وكان ذا فضائل رائقة خائفاً من الله. وكان كلّ يوم

يصلّي صلاة الفرض ويشارك الفقراء في مكسبهِ* وفي تلك الأثناء حرّكت الشيعة البروتستنتيَّة شغباً في المدينة وعزمت عصبة الكاثُليكيّين أن يتجنَّدوا لمحاربتها محاماةً لديانتهم. وبما أنّ زوج مريم كان من محبّي الديانة تحزَّب للكاثُليكيّين ودخل معهم في الحرب وفقد بذلك ثروتهُ ووظيفتهُ وصيتهُ العالي. فلمثل هذا الشابّ كانت هذه الطوباويّة زوجة* وكانت بينهما محبّة مسيحيّة محتشمة. وكانت مريم تطيعهُ وتعمل بمسرّتهِ. وبما أنّهُ كان يحبّ أن تتزيّن بالملابس الفاخرة كانت هي تفعل ذلك إرضاءً لهُ. غير انّها كانت أيضاً تزور المرضى وتعزّي الحزانى وتفتقد الفقراء وتجالسهم ولهذا كانت تسلك بالسيرة المسيحيّة التي يرضى بها الله. وكانت تهذّب صديقاتها وتعلّمهنّ فرائض السيرة المسيحيّة. فتتلمذ لها جمٌّ غفير منهنّ فكنّ يقتدينَ بها* وبعد انقضاء الحرب التزمنَ خدمة الجرحى فكنّ يدارينَهم ويأهبّنَهم للموت* وكانت مريم بعد زيارتها المارستانات تشتغل بالفقراء وتسدّ احتياجاتهم بأموالها أو بأموال صديقاتها. وكان الأَغنياء يرسلون لها دفعات وافرة من الدراهم لمساعدة المحتاجين. وجعلها الملك هنري الرابع موزّعة صدقاتهِ. وكانت حافظة في نفسها شفقة روحيّة على الخطاة الغارقين في بحر المآثم فكانت تعينهم على القيام من رذائلهم وتمهّد لهم السلوك في سُبُل الفضائل. ولم تُعِقها هذه معاطاتها الخارجة عن تأدية لوازم بيتها. فانَّها خدمت أباها الشيخ إلى حين موتهِ وانعشت في قلبهِ عند سياقهِ شعائر الديانة المسيحيّة التي تجعل الموت حلواً. وكان لها ستّة أولاد ثلاث بنين وثلاث بنات

فربّتهم بالتقوى وخوف الله وصارت تربيتهم تسليةً لها. ومنذ نعومة أظفارهم عوّدتهم على استعمال الأمور الدينيّة والعيشة القشفة الخالية من البهرجة كي لا تضعف نفوسهم برغد عيشة أجسادهم. وكانت توقظهم في الفجر الغميق وتعوّدهم على الشغل وتراقب دروسهم ولعبهم. وتلاحظهم دائماً ولا تفارقهم الاّ حينما تدعوها الضرورة إلى ذلك. وهكذا لمّا شبّ بنوها صاروا رجالاً لله فدخل الواحد في سلك الكهنوت والثاني في سلك الحكومة والثالث في سلك العسكريّة. وكان مار فرنسيس سالس يحبّهم ويكرّمهم. وأمّا بناتها فاقتفينَ أثرها إذ أنّ ثلاثهنّ دخلنَ في رهبنة الأخوات الكرمليّات* وبعدما قضت البكر فيهنّ أكثر من عشرين سنة في السيرة الرهبانيّة في الدير قالت انّي لم أتعلّم هنا أكثر ممّا كنتُ أعملهُ في البيت أمام عينَي امّي*

وكانت الطوباويّة مريم تعامل خدّامها بمحبّةٍ وتحثّهم دائماً على أعمال البرّ. وكان يبان أنَّهم ليسوا خدامها بل أولادها. وربحت بعضهم لله إذ صاروا بالحقيقة خدّاماً أمينين لهُ واتّبعوها في السيرة الرهبانيّة وواحد منهم حصل على درجة الكهنوت* وبما أن الفضيلة لا تكسّب القداسة أحياناً بدون تجارب أرسل الله عليها أنواعاً شتّى من الأحزان والمصائب. وذلك انّهُ بعد دخول الملك هنري الرابع إلى باريس نُفي زوجها وترك ديوناً كثيرة. فأخذ غرماؤهُ أموالهُ. وحينما كانت يوماً مريم على الغداء دخل نفر من خدم الدولة إلى بيتها وأخذوا أمام عينيها كلّ ما كان في بيتها من الأمتعة والأثاث وثيابها وحَلْيَها

ولم يتركوا لها شيئاً حتّى الكرسيّ الذي كانت تجلس عليهِ الاّ وأخذوهُ* فامست في حالة يُرثى لها من الفاقة والاقلال. ومع ذلك لم تكترث غير انّها كانت تقلق من جرى أولادها لانّها كانت تخاف من أن لا تقدر أن تكمّل تربيتهم لأنّهم كانوا بعدُ صغاراً. فالتزمت أن تستعين ببعض أقاربها. فهولاء أيضاً رفضوها ولم يؤَاسوها. وفضلاً عن ذلك انّها فقدت حسن السمعة بدعوى زوريّة صارت على زوجها وأمست حياتها في خطر* وبين كلّ تلك المصائب لم ينقص ايمانها ولا ضعف رجاؤها وصبرها. ولم تتغيّر أعمالها التقويّة. وكانت قانعة في حقّها محتسبةً نفسها سعيدة دائماً. وكانت تقول: انّ زمان المصائب هو أسعد أزمنة حياتي. ولكنّ الله الذي لا يُهمل إلى المنتهى من يضع رجاءَهُ فيهِ وفّقها على إصلاح أحوالها. فاسترجعت شرف طائفتها الأوّل ووضعت بنيها في المدارس وبناتها في دير الحقل الطويل. وكانت تذهب وتزور زوجها في موضع نفيهِ* وذات يوم إذ كانت راجعة وقعت عن الفرس وانكسر جنبها الأيمن. ولم يكن أحد يمدّ لها يد العون في ذلك الوقت فبقيت مطروحة نحو ساعتين إلى أن أتى فلاّحون ولفّوها وحملوها إلى باريس. فعالجها أَحد تلاميذ الجرّاحين وشدّ لها جنبها ولكنّهُ لم يحكم الشدّ فبعد زمان اضطرّ أن يحلّهُ ويشدّهُ من جديد. وكانت صابرة وصامتة في تلك الأوجاع. وأصابتها نكبات أخرى نظير هذه احتملتها بشجاعة وصبر*

ولم يهملها ربّنا يسوع المسيح في هذه الضيقات بل كان يعزّيها

بحضورهِ عندها روحيّاً وبالروى التي كان يُريها إيّاها* وألهمها أن تباشر تثبيت رهبنة الكرمليّين في فرنسا. وظهرت لها القدّيسة تريزة وانبأتها بانّها ستدخل في رهبنتها الكرمليَّة. وقبل مباشرتها هذا العمل استشارت في ما عزمت عليهِ ببعض أصدقائها كانوا كهنة وروساء أديرة مشهورين بفطنتهم فهؤُلاء ثبّتوا عزمها. وسخّر الله بعضاً من الأغنياء أن يمدّوها بنفقات كافية لمشترى بيت لتثبيت عملها فيهِ. واستمرّت تعمّر فيهِ مدّة سنتين. وفي مدّة ما كانت تشتغل بعمارة هذا الدير كانت تُعِدّ نفوساً للسكنى فيهِ. فكانت تجمع الفتيات الفرنساويّات وتعلّمهنّ السيرة الرهبانيّة* وبعد تعمير الدير أرسل روساء الرهبنة الكرمليّة إلى مريم ستّ راهبات اسبانيّات لاجل تثبيت الرهبنة هناك. وكانت رئيستهنّ حنّة الملقّبة بأَمَة يسوع التي كانت تلميذة للقدّيسة تريزة. فهؤُلاء الراهبات القدّيسات أتينَ معهنّ بحلّة موسّستهنّ القدّيسة تريزة. ولمّا بلغنَ إلى باريس قُبلنَ باكرام عظيم وحللنَ في الدير الجديد الذي عمّرتهُ الطوباويّة مريم* وهكذا تثبّتت في فرنسا رهبنة الكرمليّات المصلَحة سنة ١٦٠٤*

وقد ثبّت هذه الطوباوية أيضاً الرهبنة الكرمليّة في مدن أخرى منها أَمْيَانْس ورُوَان ودِيجون وتُرْس وغيرها. وحُسِبت الأديرة التي ثبّتتها إلى موتها اثني عشر ديراً* وبعدما كمّلت كلّ هذه الأعمال لم يبطئ الربّ من حلّ الوثاقات التي كانت تصلها مع الدنيا وذلك لكي يصلها معهُ بنوع أمكن. ففي اليوم السابع عشر من شهر ايلول سنة ١٦١٣ مات زوجها بشعائر الايمان والتقوى مباركاً أولادهُ وطالباً إلى امرأتهِ

الطوباويّة أن تغفر لهُ المشقَّات التي أصابتها بسببهِ* وبعد موتهِ هجرت العالم وانطلقت إلى الدير الذي عمّرتهُ في باريس فسكنت فيهِ. وكانت بناتها إذ ذاك قد لبسنَ النقاب الرهبانيّ وبنوها قد اختار كلّ منهم الوظيفة المناسبة لهُ* ثمّ انّهُ في يوم أربعاء الرماد سنة ١٦١٤ انطلقت إلى دير بُنتواز الذي عمَّرتهُ هي أيضاً وكانت تحبّهُ أكثر من الجميع وباتت فيهِ. وفي اليوم الثاني انطلقت إلى دير اميانْس الذي فيهِ أمرها رؤَساؤها أن تسكن. فلمّا دخلتهُ انطرحت على قدَمَي الامّ الرئيسة قائلةً لها: قد أتيتُ كفقيرة ملتمسة منكِ أن تسكّنيني مع الراهبات. وفي اليوم السابع من شهر حزيران لبست النقاب الرهبانيّ وشرعت تعيش عيشة قشفة جدّاً أكثر من الأوّل* وكانت ذات اتّضاع عجيب وكانت تقول في شأن ذلك انّ الدلو لا يمتلئ الاّ بعد أن ينزل إلى أسفل البير فهكذا نفسي لا تمتلئ من نعمة الله الاّ بالتواضع والخدمة والذلّ. وكانت من تواضعها تظهر على نفسها انّها قد شاخت في عمل الاثم ولم تعمل فضيلة أبداً*

وفي اليوم الثامن من شهر نيسان سنة ١٦١٥ نذرت النذور المرسومة وكانت سقيمة بأوجاع كثيرة مختلفة. وكانت هذه الأوجاع تبان لها طبيباً وهناءً لحياتها. وبعد ذلك انتخبتها الأخوات لتكون امًّا ورئيسة على ديرهنّ ولكنّها امتنعت. ثمّ أقيمت ابنتها رئيسةً على الدير. ولمَّا كان بمقتضى القانون يجب على الراهبات أن يؤَدّين للرئيسة الخضوع والطاعة. كانت الطوباويّة مريم مثل سائر الراهبات تنحني أمام ابنتها بتواضع

وتدعوها أمّها باكرام واحترام مع انّها كانت والدتها وهكذا كانت الدموع تهطل من عينَي الرئيسة ابنتها ومن عيون جميع الراهبات* وكانت أسقامها تزداد شيئاً فشيئاً. فارسلها روساؤها إلى دير بُنتواز لكي يعالجها أطبّاء باريس. فقبل أن تنطلق من ذلك الدير طلبت الغفران من واحدة واحدة من الراهبات على كلّ ما امكن أن تشكّكهنّ بهِ. وشكرتهنّ على الخدم على خدمنَها بها في أحوال أمراضها* وفي يوم الأربعاء الذي كان اليوم السابع من شهر كانون الأوّل سنة ١٦١٦ دخلت في دير بُنتواز وانطرحت أمام الأمّ الرئيسة قائلةً: يا أمّي ها انّني جئتُ لاثقّل عليكِ لأنّني حيثما ذهبتُ جلبتُ الثقل والنصَب* وبعدما سكنت في ذلك الدير سنتين ونيّفاً في اليوم السابع من شهر شباط سنة ١٦١٨ الذي كان يوم الأربعاء أيضاً وقعت مريضة. وكانت الأوجاع التي قاستها في هذه المرضة الأخيرة عظيمة جدّاً. وكلّما اشتدّت أوجاعها اشتدّت شجاعتها. وكانت أحياناً تصرخ إلى الله قائلةً ارحمني يا إلهي. ألطف بي يا ربّ واعطِني جزءاً من قوّتك لاحتمل هذه الأوجاع* وكان الشياطين يزيدون أوجاعها بظهورهم لها مرّات كثيرة بأشكال مختلفة لأنّهم كانوا يريدون أن ينتقموا منها عن نفوس كثيرات قد خلّصتهنّ من أيديهم. ولكنّ الربّ لم يترك أمتهُ في تلك الحرب الشديدة* وقالت لها مرّةً الرئيسة: ماذا تطلبين من الله لأجلنا حينما تكونين معهُ. قالت: ادعو أن تنقضي فيكنّ إرادة يسوع المسيح ابنهُ الوحيد. فقالت لها الأمّ الرئيسة: باركي إذاً أخواتكِ. فرفعت

عينيها إلى السماء وقالت: يا إلهي إليك الغفران على الأمثال الرديّة التي تقلّبتُ فيها أمام أخواتي. ثمّ باركتهنّ ووعدتهنّ بأنّها ستصلّي إلى الربّ من أجلهنّ بعد موتها*

وفي يوم الأربعاء من أسبوع الفصح اشتدّت أوجاعها جدّاً وخِيل أنّها داخلة في السياق. وبينما كان الكاهن يدرّبها إلى الموت بالمشحة الأخيرة عبرت من أتعاب هذه الحيوة الشقيّة إلى أفراح الخدر السمويّ وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من شهر نيسان سنة ١٦١٨ وهي السنة الخامسة من دخولها في الرهبنة. وكان لها من العمر حين ماتت ثلاث وخمسون سنة* وشاع خبر موتها بسرعة في كلّ المدينة فأسرع جميع الناس إلى الدير لينظروا تلك التي كانت تُدعى قدّيسة. وكان وجهها يضيء لامعاً بأنوار سماويّة وكانت جميلة جدّاً. ولم يغيّر الموت هيئتها بل كانت تبان كانَّها شابّة ابنة خمس وعشرين سنة. ثمّ دُفنت باحتفال عظيم* والكرامات التي جرت على قبرها بشفاعتها زادتها مجداً وفخراً وجعلت قبرها مشهوراً. وزارهُ مرّتين مار فرنسيس سالُس*

* اليوم التاسع عشر *

مار طيمون الرسول أحد الشمامسة السبعة الشهيد ـ مار يوحنا القصير

مار طيمون الرسول أحد الشمامسة السبعة الشهيد

انَّ هذا القدّيس الشهيد كان أحد الشمامسة السبعة الذين أقامهم الرسل الكرام خدَّاماً في بيعة الله. فكان أوَّلاً رسولاً إلى مدينة حلب على جانب انطاكية وبشَّر فيها بايمان المسيح. ثمَّ انتقل إلى مدينة قورنثُس لينذر هناك بكلمة الله. فقبض عليهِ الوثنيّون وقد حثَّهم على ذلك اليهود وعذَّبوهُ بأنواع شتَّى ثمَّ طرحوهُ في النار فلم تؤذهِ. وأخيراً تكلّل بالاستشهاد مصلوباً على صليب مثل سيّدهِ*

مار يوحنا القصير

انَّ هذا القدّيس كان مصريّاً من قرية في الصعيد وُلد من أبوين صدّيقين وترهَّب عند الانبا بمبو الذي قبلهُ بأمر من الله على يد أحد الملائكة. فكان يوحنَّا لا يفتر من السلوك في سُبل الفضائل. وصار أخيراً أباً لأولاد كثيرة. وبعد أن جاهد الجهاد الحسن انتقل

إلى الربّ برفقة الملائكة والقدّيسين وصنع كرامات كثيرة في حياتهِ وبعد موتهِ*

* اليوم العشرون *

القديسة اغنيسة البتول الدومِنِكيَّة التي من جبل بُلشيان ـ البارّ

نَشَائيل الناسك

القدّيسة اغنيسة البتول الدومِنِكيّة

إِنَّ القدّيسة اغنيسة وُلدت سنة ١٢٧٧ في قرية تسمّى غراشيان العتيق مجاورة لمدينة جبل بُلِشيان التي من أعمال تُسقانا في إِيطاليا من أبوين فقيرين عند أهل العالم الاَّ أنَّهما كانا غنيّين بالفضائل أمام الله. وفي أوَّل مبادئها انكشفت مقاصد الله فيها إذ انَّ ولادتها أظهرت القداسة العتيدة التي حصلت عليها هذه القدّيسة. وذلك انَّهُ بعدما وُلدت بقليل إذا بمصابيح سرّيَّة مضيئة كالشمس أنارت مهدها. فانبهرت جميع النساء اللواتي كنَّ مجتمعات عند امّها وهي في النفاس. وفي طفوليّتها إذ لم تكن تعرف بعد حينئذٍ سوى أبانا الذي والسلام لكِ كانت تختلي مع رفيقاتها وتحثّهنَّ على الصلوة لله معها*

ولمّا كان عمرها نحو تسع سنين إذ كانت منطلقة من قريتها

إلى جبل بُلِشيان لزيارة بيعة ما مع بعض من النساء الفتيات وصارت بقرب تلّ صغير عند أسوار المدينة حيث كان حينئذٍ هناك محلّ نساء عواهر انقضَّ عليها سرب من الغربان وهي تنعب وتريد أن تفقأ عينيها وتؤْذيها بمناقيرها وأجنحتها ومخاليبها. وقيل انَّ تلك الغربان كانت شياطين قد هجموا عليها بصورة غربان لكي ينتقموا منها سلفاً على ما حاربتهم بعد ذلك ولا سيّما في ذلك المحلّ الذي كان عتيداً أن يُصبِح مكاناً مقدَّساً على يديها. ولكنّ الله حماها منهم ولم يسمح أن يضرّوها*

وكان في جبل بُلِشيان دير راهبات ولمّا كانت اغنيسة في جبل بُلِشيان زارت الدير وإذ رأَت ما فيهِ من الهداوة وراحة الضمير لخدمة الله تاقت أن تصير راهبة فأخذت الأذن من أهلها ودخلت مترهّبةً في ذلك الدير ولم يكن عمرها إذ ذاك أكثر من تسع سنين. فشرعت عند ذلك تقضي زمانها بالصلوة والتأمّل والأفعال الروحيَّة وكانت توثر الطاعة والتواضع على سائر الفضائل. وكانت تستعمل أنواعاً كثيرة من التقشُّف كالسهر والأصوام وغير ذلك مع أنَّها كانت نحيفة القوام فلذلك كانت أمّ الراهبات وجميع رفيقاتها يحببنَها ويحترمنَها كانَّها ملاك من الفردوس*

فلمّا بلغت السنة الرابعة عشرة من عمرها وُلّيت على إدارة مصرف ديرها لكي تُمتحَن بذلك فضيلتها من حيث انَّ هذه الوظيفة كانت تنزع عنها لذَّة الصلوة ولكنَّها علمت أنَّ الصلوة ليست مقبولة

أمام الله متى ما دعتها الطاعة لوظائف أخرى فأطاعت بفرح ولم تستوجب التوبيخ أبداً. وكانت تتحفَّظ بذكاوة وفطنة على الراهبات من أن يعوزهنّ شيءٌ كيفما كان. وكانت دائماً ممتلئة من النعمة والمحبَّة عندما كانت تخدم أخواتها* وكان لها عبادة خصوصيَّة لسيّدتنا مريم العذراء ونالت منها تسليات عظيمة. فظهرت لها ذات يوم وأعطتها ثلاثة أحجار صغار جميلة إلى الغاية وقالت لها: اعلمي يا ابنتي بانّكِ ستعمّرين ديراً اكراماً لي. فخذي هذه الأحجار الثلاثة لتتذكّري أنّ عمارتكِ هي مؤسّسة على الايمان بالثالوث الأقدس. قالت لها ذلك وغابت عنها* ثمَّ انّ اغنيسة في حين صلواتها ظهرت مراراً كثيرة مرفوعة فوق الأرض أكثر من ذراع أمام جميع الراهبات. وكانت قداسة سيرتها مشهورة إلى الغاية في كلّ تلك البلاد. وعن قليل شوهد اثبات ذلك فانَّ سكَّان مدينة بروشينا كانوا قد عزموا أن يعمّروا ديراً لفتيانهم فاتوا إلى اغنيسة وطلبوا منها أن تكون هي الموسّسة وكان لها إذ ذاك من العمر خمس عشرة سنة. فلمّا ذكرت التسلّط ارتعبت خوفاً وادّعت انَّها صغيرة السنّ وغير قادرة ولكنّ نائب يسوع المسيح أمرها بسلطانهِ السامي أن تباشر التأسيس ففعلت ذلك* وكانت دائماً تحسب نفسها غير مستحقّة ولذلك كثّرت صلواتها وتقشّفاتها فكانت تقتات بالخبز والماء فقط وتنام على الأرض وتتوسَّد على حجر. وبعد ذلك حازت علانيةً نعماً سمويَّة. فكان المنّ السمويّ مراراً كثيرة يقع بشكل الصليب على ردائها إشارةً إلى الحلاوة المتضمّنة

في الصليب. وطالما شُوهد في المكان الذي كانت تركع فيهِ للصلوة ينبت أشهى الزهور كالبنفسج والزنبق والورد وغيرها*

وفي ليلة عيد انتقال مريم العذراء بينما كانت تصلّي ظهرت لها سيّدتنا مريم العذراء حاملة في حضنها عزيزها يسوع الطفل فاستانست القدّيسة وانسرّت جدّاً ولا سيّما حينما اعطتها هذه الأمّ المباركة يسوع الطفل الحلو في ذراعيها لكي تلاعبهُ حتّى انّ اغنيسة ما فارقت حبيبها الاّ بالدموع ولكنّ البتول أرادت أن تخلّف عندها رهناً للمحبّة يبقى عندها إلى حين موتها فاعطتها صليباً صغيراً كان معلّقاً بخيط في عنق يسوع الطفل. ورأت ذلك الصليب أوّل مرّة راهبة كانت خليلة لها وذلك حينما كانت اغنيسة غائبة عن حسّها. وقد حُفِظ هذا الصليب إلى الآن ويُعرَض على روية الناس باحترام عظيم مرّةً في السنة في اليوم الأوّل من شهر أيّار* وفي يوم من أيّام الأحد صباحاً إذ كانت القدّيسة اغنيسة منفردة في البستان للتأمّل شعرت بحلاوة عظيمة في نفسها فغابت عن حسّها ونسيت ساعة القدّاس. ولمّا أفاقت شرعت تبكي لأنّها ما قدرت أن تتناول حبيبها يسوع فحينئذٍ أتاها ملاك بالاوخرستيّا المقدّسة وناولها* وحدث يوماً انّ القدّيسة اغنيسة وُجدت برويا سرّيّة في بحر غامر وإذا هي بازاء ثلاث سُفن فاخرة وكان مار اوغسطينُس ومار فرنسيس الاسّيسي ومار عبد الأحد يقودون كلّ واحد منهم واحدة من السفن. وفي أثناء ذلك وقعت منازعة مقدّسة بينهم وكلّ واحد منهم كان يريد أن تكون اغنيسة عندهُ. فذكر مار

عبد الأحد قضاء الله الذي حتم أن تكون اغنيسة ابنةً لهُ فمدّ يدهُ إلى ابنتهِ وقادها إلى سفينتهِ. ولكنّ اغنيسة ما كانت تفهم ذلك ففي الحال أتاها ملاك وأوحى إليها وذكّرها بالأحجار الثلاثة التي أخذتها قبلاً من مريم العذراء القدّيسة حين أمرتها ببناء دير فيما بعد. وقال لها: انّ الزمان قد حضر وأنتِ ينبغي لكِ الآن أن تشيّدي بيتاً على جبل بُلِشيان في الموضع الذي فيهِ الشياطين تشكّلوا بشكل غربان وهجموا عليكِ وان تبني هذا الدير على اسم الثالوث الأقدس وعلى اسم مريم العذراء الفريدة والطوباويّ عبد الأحد المختصَّة أنتِ بهِ من الآن فصاعداً* وعند ذلك توجَّه أهل جبل بُلِشيان إلى مدينة بروشينا عند اغنيسة طالبين إليها أن ترجع إلى وطَنها فيعمّروا لها ديراً على هذه الصورة حيث جملة من بناتهم يتمسّكنَ بسيرة الرهبنة تحت تدبيرها* فعند ذلك لم تعد تقدر أن تقاوم صوت الله فرجعت إلى جبل بُلِشيان وهناك قبلوها باحتفال. وإذ كانت خائفة من أنّ هذه الأفراح تنزع شوق فضائلها الفائقة الطبيعة أخذت تعجّل في البنيان بلا بطالة. وأوّل ما أمكن اغلاق حوش الراهبات اكتست بثوب أخوات رهبنة مار عبد الأحد وحينئذٍ نذرت أن تعيش حسب قوانين تلك الرهبنة بحسب الوعد الذي كانت موعودة بهِ* وفي قليل من الزمان صارت رئيسة لجماعة عشرين راهبة كبنات يستحققنَ أن تكون هذه أمهنّ لأنّهنّ كنّ عائشات مثل ملائكة السماء* وجرّب الله هؤُلاء النفوس اللواتي كان يحبّهنّ ولكنّهُ لم يسمح بترك هذه الطائفة الجديدة إذ استمرّ الدير

بلا قوت مقدار ثلاثة أيّام. وأمّا اغنيسة فبصدقها وتواضعها شكت حاجتها إليهِ تعالى بانعطاف ولكنّ الله نفسهُ مدح سيرة هذه القدّيسة لمّا كلّم اختها الفاضلة القدّيسة كاترينة السيانية قائلاً: انّ هذه عزيزتي الفقيرة الصغيرة أعني بها اغنيسة امينتي سلّمت قلبها إلى حبّي قائلةً لي: يا ربّي وأبي الراوف. يا حبيبي وعريسي الأبدي ألست أنت قد أمرتني أن أجذب هولاء العذارى من اهاليهنّ. فهل جمعتهنّ في بيتك لكي تميتهنّ من الجوع. فيا أيُّها المعلّم الصالح اسدد حاجتهنّ. فاستجبتُ طلبتها والهمتُ رجلاً أن يذهب إليهنّ بخمسة أرغفة خبز صغيرة وأوحيتُ بذلك إليها. فلما قرب ذلك الرجل إلى الباب قالت اغنيسة لواحدة من بناتها: يا ابنتي انطلقي إلى خارج وائتي بالخبز الذي أرسلهُ الربّ من جودتهِ. فلما أتت بالأرغفة جلسنَ على المائدة وكانت حبيبتي تقسّم الأرغفة فجعلتُ في يديها قدرة عجيبة حتّى أنّ الخبز تكثّر وكفى بزيادة لاكلات غير قليلة*

وجاد الربّ عليها بموهبة الكرامات من ذلك أنّها نجَّت إنساناً قد داخلهُ الشيطان وفتّحت عينَي واحدة من أخواتها. وشفت صبيَّة صغيرة. وأحيت طفلاً صغيراً برسمها عليهِ علامة الصليب. وتوّبت جملةً من الشبّان ذوي أخلاق سيّئة كانوا قد عيّروها بأقوالهم. وأخرجت من صخرة قريبة ينبوع ماء عذب بهِ شُفي كثيرون وهو موجود إلى الآن ويسمّى ينبوع القدّيسة اغنيسة*

وفي تلك الأيّام قربت ساعة أوان عرسها السمويّ الذي

سبقتهُ أمراض وأوجاع. فرأَت رؤيا كأَنّ ملاكاً قادها تحت شجرة زيتون وهناك قدّم لها كأساً فيهِ مشروب مرّ إلى الغاية لتشربهُ قائلاً لها: يا عروسة يسوع المسيح العزيزة يجب عليكِ أن تشربي من هذهِ الكاس التي شربها أوّلاً عريسكِ لأجل محبّتكِ* ومن تلك الساعة أخذت أوجاعها تشتدّ فلزمت الفراش اغتصاباً. وكانت تحسّ في قلبها بأنّ الله كان يريد أن ينشلها من هذه أرض الفناء. فحينئذٍ استعدّت للموت بفرح وأخذت الأسرار الأخيرة وقلبها يخفق من المحبّة ووجهها يضيء من الفرح. وكانت راهباتها يبكينَ بحرارة وهي كانت تعزّيهنّ قائلةً: يا بناتي لو كنتنّ تحببنَني كما يجب لما بكيتنّ هكذا لأنّ الأصدقاء لا يحزنون على خير أصدقائهم بل يفرحون فانّ خيري الأعظم هو أن انطلق إلى عريسنا. فكنَّ أمينات مع هذا العريس الصالح واثبتنَ دائماً في الطاعة. واعدكنّ بانّي ان انطلقتُ إلى السماء فذلك انفع لكنَّ من أن أبقى معكنّ. وخصوصاً احببنَ بعضكنّ بعضاً واجعلنَ هذه المحبّة خير علامة لأحوالكنّ المستقبلة. ثمّ رفعت عينيها ويديها إلى السماء وقالت بتبسّم واندهاش: حبيبي لي وأنا لهُ امسكتهُ ولا أتركهُ إلى الأبد. فعند لفظها هذه الكلمات طارت نفسها إلى السماء في نصف الليل في اليوم العشرين من شهر نيسان سنة ١٣١٧* وفي حين وفاتها شرع جميع أطفال تلك البلدة الذين كانوا نياماً في أسرّتهم يصيحون قائلين: انَّ الأخت اغنيسة رئيسة الدير تُوُفّيت الآن وخرجت من هذا العالم إلى الآخرة*

وفي الغد أتى أناس من كلّ جانب إلى الدير لكي يكرموا جسد القدّيسة. وأُبقيت مكشوفة لنظر الخلق زمناً طويلاً وفاح منها عطر ذكيّ* وقد صنعت عجائب كثيرة. فمن ذلك انّهُ بعد موتها باثنتين وخمسين سنة أُوحي إلى القدّيسة كاترينة السيانيّة بأنّها ستصير في السماء رفيقة ومتساوية مع أختها اغنيسة التي سبقتها على الأرض. فجعل هذا الوحي شوقاً في نفس كاترنية إلى أن تزور ذخائر قدّيسة جبل بُلِشيان اغنيسة. فارتحلت مع معلّم اعترافها وبعض من رفيقاتها الصادقات. ولمّا فتحوا لها قبر القدّيسة اغنيسة المقدّس انحنت باتّضاع لكي تقبّل رجلها المقدّسة ولكن باعجوبة باهرة رفعت القديسة اغنيسة رجلها وقدّمتها بهدوءٍ عن القدّيسة كاترينة قدّام جميع الراهبات مظهرةً بذلك انّها ما تقدر أن تحتمل هذا التواضع الشديد* وبعد زمن قليل أرادت أيضاً كاترينة أن تزور أختها اغنيسة مرّة أخرى. فلكي تتجنَّب المجد الباطل الذي كانت تخاف من أن يحدث لها إذا صار شيء من الكرامات مثل المرّة الأولى جعلت تقبّل وجه القدّيسة لا قدميها. وفي ذلك الوقت شوهد مَنْ أشدّ بياضاً من الثلج ينزل عليهما حتى أنَّهما تغطّتا في الحال. وكان ذلك عبارة عن الصداقة الفائقة المقدّسة الموجودة بين قدّيسة الأرض وقدّيسة السماء*

وفي سنة ١٥١٠ في اليوم الأخير من شهر كانون الثاني في اليوم السابع والعشرين من شهر شباط رُؤِي دم يخرج بغزارة من فم ذلك الجسد المقّدس وأنفهِ وأذنيهِ مع أنّ القدّيسة كان لها أكثر من مايتي

سنة وهي مائتة. وشاهدت ذلك رئيسة الدير وجميع الراهبات اللواتي كنَّ يحفظنَ مفاتيح الصندوق الذي كان منضجعاً فيهِ ذلك الجسد المقدّس. ورأَى ذلك جملة من الرهبان القانونيّين وغيرهم لتحقيق الأعجوبة*

البارّ نثنائيل الناسك

انّ هذا القدّيس كان راهباً من جبل النطرون في صعيد مصر قد بنى لهُ قلاّية بقرب إحدى القرى وسكنها وجزم على ذاتهِ أن لا يخرج من بابها أصلاً. فأخذ الشيطان يحاربهُ ويحتال عليهِ ليخرجهُ من قلاّيتهِ فكان القدّيس يقهرهُ بقوّة صلاتهِ. وفي الآخر تراءَى لهُ ابليس بزيّ صبيّ ابن اثنتَي عشرة سنة يسوق حماراً حاملاً خبزاً وقد أدركهُ المساء وهو في وادٍ عميق بقرب قلاّية الناسك. فعثر الحمار وسقط تحت الحمل وما عاد يمكنهُ النهوض والصبيّ لصغرهِ ليس لهُ قوّة لانهاضهِ. فشرع يبكي وينادي القدّيس قائلاً: يا أبانا نَثَنائيل اطلب إليك أن تسرع لإغاثتي وتنهض الحمار معي فانّهُ قد وقع والمساء أدركني في هذا الوادي وأنا خائف أن تفترسني الوحوش ومعي خبز للرهبان وغداً يوم الأحد* فلمّا سمع نَثَنائيل ذلك ورأَى الصبيّ والحمار معهُ وقد وقع تحت الحمل في الوادي وقف متحيّراً أَينقض نذرهُ ويخرج من قلاّيتهِ أم لا يخرج فيتعدَّى وصيّة محبّة القريب. ولكنّ الله الذي لا يهمل

محبّبيهِ في ضيقاتهم الهمةُ بأن يخاطب الصبيّ قائلاً: اسمعني أيُّها الغلام. ان كنتَ حقّاً محتاجاً إلى المساعدة فلي رجاء بالله الذي أخدمهُ أن يبعث لك من يساعدك ويكفّ أذاء الوحوش عنك وعن حمارك. وان كنتَ شيطاناً أتيتَ لتجرّبني فليزجرك الربّ ويفضح خبثك. ثمّ اغلق باب قلاّيتهِ وجلس مطمئِنّاً. فتوارى ساعتئذٍ الغلام والحيوان* وبعدما قضى هذا القدّيس حياتهُ في أعمال النسك انتقل إلى الراحة الأبديّة ونال جزاء أتعابهِ*

* اليوم الحادي والعشرون *

مار انسلمُس مطران كَنتُربَري ومعلم الكنيسة

انّ مار انسلمُس وُلد في مدينة هُسْتَهْ التي هي من تخوم بيَدمُنت وسويس من أبوَين غنيَّين جداً وشريفَي الأصل. ومنذ أظفارهِ انعكف على درس العلوم. ولمّا بلغ من العمر خمس عشرة سنةً ورأى الأخطار الموجودة في جميع الأحوال العالميَّة عزم أن يهجر العالم ويتمسّك بالسيرة الرهبانيّة فانطلق إلى رئيس أحد الأديرة وطلب منهُ أن يقبلهُ في رهبنتهِ فامتنع الرئيس خوفاً من أبيهِ. فرجع انسلمُس إلى بيت والديهِ. وبعد ذلك ضعف الشوق الذي كان في قلبهِ إلى الرهبنة وبرد وخصوصاً بعد موت أمّهِ التي كان يحترمها ويطيعها جدّاً. فارخى

العنان لشهواتهِ وترك درس العلوم ودعوتهُ الأولى. فابغضهُ أبوهُ ولم يعد يقدر أن ينظر إليهِ الاّ بتحسّر. فلخجلهِ من أبيهِ انطلق مع رفيق لهُ إلى بلاد فرنسا وبرغونيا وهناك قضى ثلاث سنين منعكفاً على الدرس. وبعد ذلك ذهب إلى أحد أديرة مار مبارك حيث كان رجل معلّم فاضل مشهور في العلم والتقوى اسمهُ لَنْفْرَنْك. وكان يقصدهُ الشباب من كلّ جهة ليتعلّموا في مدرستهِ. فتوسّل إليهِ انسلمُس أن يقبلهُ ما بين تلامذة مدرستهِ وان يرشدهُ. فقبلهُ لَنْفرَنك وشرع انسلمُس ينصبّ باجتهاد على الدرس في الأسفار المقدّسة. فنجح جدّاً وأصبح محبّاً للتقوى والفضيلة وعزم أن يهجر العالم ويخصّص نفسهُ بحملتها لخدمة الله. ولكنّهُ احتار في أيّة طريق يسلك. فمن جهةٍ كان يشعر بشوق إلى العيشة في الخلوة والانفراد لكي يُحسِن استعمال التأمّل. ومن جهة أخرى كان يرى أنّ السكنى في الدير والسيرة تحت الطاعة هي الطريق الامن لهُ. وأخيراً عرض امرهُ على لَنْفرنك وطلب إليهِ أن يشير عليهِ في ذلك. فقال لهُ معلّمهُ: عليك بمشاورة موريل مطران روان الرئيس العامّ على أديرة مار مبارك في اقليم نُرماندِيَهْ فانّهُ رجل ذو ذكاء وفطنة. فانطلقا كلاهما عند هذا الرجل القدّيس وعرضا عليهِ أمر انسلمُس فأشار عليهِ أن يتمسّك بالسيرة الرهبانيّة. فامتثل مشورة المطران واحنى عنقهُ لنير ربّنا يسوع المسيح ولبس ثياب الرهبنة في الدير الذي كان فيهِ لَنْفرنك رئيساً. وكان عمر انسلمُس حينئذٍ سبعاً وعشرين سنةً. وشرع يفرغ جهدهُ في اقتدائهِ بفضائل الرهبان حتى انّهُ بعد ثلاث سنين صار

إماماً في السيرة الرهبانيّة* ولمّا نُصِب لَنْفْرَنك رئيساً على دير آخر أُقيم انسلمُس مكانهُ رئيساً على ذلك الدير برضى جميع الرهبان. ولم تُعِقهُ صعوبة القيام بواجبات هذه الوظيفة الجديدة عن درس الكمال* وجاد عليهِ ربّنا يسوع المسيح بموهبة تمييز الأرواح ومعرفة خفايا القلوب. وكان سامي الفضائل مزيّناً بمحبّة عجيبة وصبر جميل وحلم عظيم في سياسة الرهبان ولا سيّما أولئك الذين ليسوا من الكاملين في الطاعة والذين يغارون منهُ على أنّهُ لمّا كانوا هم رهباناً ناذرين كان هو بعدُ مبتدئاً ومع ذلك غلبهم وتراءَس عليهم فكان هذا القدّيس يليّن صلابة قلوبهم بحلمهِ ووداعتهِ* وكان دائماً يقول انّ السياسة الحسنة لا تنجح الاّ بالحلم والوداعة ولا بالقساوة والفظاظة لأنّ المأمور يتحقّق في ذلك محبّة رئيسهِ فيطيعهُ اختياريّاً. لأنّ الرئيس يجب عليهِ أن يكون أباً حنوناً لا جلاّداً قاسياً وان يداوي الجروح بخمر المحبّة وزيت الحلم*

وشاعت شهرة مناقب مار انسلمُس في كلّ بلاد نُرْماندِيَهْ وفرنسا وفلاندرَهْ وانكلترّه حتى انّ جمّاً غفيراً من الشباب العلماء والتقاة كانوا ياتون إلى الدير الذي كان فيهِ مار انسلمُس رئيساً ويأخذون من يديهِ الثياب الرهبانيّة ويسيرون تحت لواء قانونهِ* وبعد ذلك انطلق إلى بلاد انكلترّه لقضاء حاجة فقُبِل هناك باكرام عظيم. واكرمهُ جدّاً الملك غليوم الذي كان قد افتتح انكلترّه بالسيف. ثمّ رجع القدّيس إلى ديرهِ* وبعد ذلك مات الملك غليوم وخلفهُ ابنهُ وكان اسمهُ غليوم أيضاً. وكان هذا ملكاً رديّ السيرة ذا ظلم وعتوّ وكان

يجوز على الاقليرُس وأهل الديانة لكي يضبط أموال الكنائس. فعند ذلك أرسل بعض وجوه المملكة إلى انسلمُس في أن يرجع إلى انكلترّة لكي يردع الملك بفطنتهِ عن أعمالهِ الممقوتة. فتوجَّه ثانيةً مار انسلمُس إلى هناك. ولمّا دخل على الملك قبلهُ باكرام عظيم وسمع لهُ في كلّ ما كان يخاطبهُ بهِ* وفي تلك الأثناء أمست كنيسة كَنتُرْبَري بلا راعٍ لسبب موت راعيها لَنْفرنك المطران معلّم مار انسلمُس. فنصب الملك مار انسلمُس خليفةً لمعلّمهِ واجتمع الأساقفة وساموهُ مطراناً في اليوم الرابع من شهر كانون الأوّل سنة ١٠٩٣*

وفي أوّل الأمر أظهر الملك حسن ودادهِ لمار انسلمُس طمعاً أن يحصّل منهُ بعض هدايا جميلة لأنَّهُ كان محبّ المال. ولكنّهُ عندما تحقَّق انّ هذا القدّيس كان بعيداً جدّاً من أن يزيد ثروتهُ بأموال الفقراء شرع يمقتهُ ومن ثمّ أخذ هو وأصحابهُ يضطهدون القدّيس والاقليرُس ويدنّسون الكنائس. فلمّا رأَى مار انسلمُس وقاحاتهم وانّهُ لا يقدر أن يردّهم عن ذلك عزم أن يرتحل من هناك ويأتي إلى روميّة. ولمّا وصل إليها قُبِل باكرام عظيم ونال مدحاً جزيلاً من البابا بحضور الكردِنالات والسادات الرومانيّين حتى انّ انسلمُس استحيا من ذلك جدّاً ولم يقدر أن يرفع عينيهِ مفتكراً انّهُ غير مستحقّ لهذا الثناء* وبعد ذلك سكن مدّة أيّام بأمر البابا في ديرٍ لمار مبارك قريب من مدينة كابْوَهْ. وهناك بصلواتهِ انبع عيناً من صخرة وسُمِّيت عين مطران كَنتُرْبَري. وكان يشفي سائر الأسقام* وحضر هذا القدّيس بأمر البابا

في مجمع باري. وأظهر فيهِ سموّ تعليمهِ وفطنتهِ ولا سيّما باقناع اليونانيّين بأنّ روح القدس هو منبثق من الآب والابن. وحضر أيضاً في مجمع آخر التُئِم في رومية لابراز بعض رسومات مهمَّة* ثمّ انهُ بعد ذلك انطلق بأمر البابا إلى مدينة ليون لقضاء حاجة. وبقي هناك مدّة. وفي تلك الاثنا بلغهُ خبر بانّ غليوم ملك انكلترّه الذي كان قد اضطهدهُ بينما كان في الصيد رُمي بسهم نفذ قلبهُ فمات. فلمّا سمع القدّيس بذلك جعل يبكي بمرارة على شقاوة آخرة هذا الملك* وتخلّف بعد غليوم في سرير انكلترّة هنري الأوّل أخوهُ. فهذا أصلح الاضرار التي أبداها أبوهُ وأخوهُ في المملكة وجلب مار انسلمُس إلى كنيستهِ وأبرشيّتهِ في مملكتهِ. وبقي هذا القدّيس هناك بسلامة وسكون إلى آخر عمرهِ. ولمّا حان وقت رحيلهِ من الدنيا أخذ الزوادة الأخيرة وبارك جميع الحاضرين وطلب من الله أن يرسل بركتهُ على الملك والملكة وذرّيّتهما ثمّ اضّجع على المسح والرماد وسلّم نفسهُ إلى الله وذلك في اليوم الحادي والعشرين من شهر نيسان سنة ١١٠٩ التي كانت السنة الثالثة عشرة من اسقفيّتهِ والسنة السادسة والستّين من عمرهِ. ودُفن باحتفال عظيم وبكى عليهِ أهل ابرشيّتهِ وكلّ مملكة انكلترّة.

وقد زيَّن ربّنا يسوع المسيح حبرهُ انسلمُس بكرامات باهرة في مدّة حياتهِ وبعد موتهِ. من ذلك انهُ شفى أحد الرهبان من سقم اعتراهُ بانضاحهِ ايّاهُ بقليل من الماء المبارك* واطفَأَ بعلامة الصليب حريقة ملتهبة* ورجل ابرص شُفي بشربهِ من الماء الذي كان يغسل بهِ

يديهِ بعد القدّاس* وصنَّف كتباً كثيرة نافعة تركها في خزانة الكنيسة المقدّسة حاوية موادَّ لاهوتيّة* ومدحهُ كثيرون من القدّيسين والعلماء قائلين عنهُ انّهُ كان فريد عصرهِ بالخبرة في الكتب المقدّسة وسائر العلوم ولذلك استحقّ ان يُحسَب ما بين معلّمي الكنيسة المقدّسة*

* اليوم الثاني والعشرون *

مار ثاودورُس السيخاوي اسقف أَنَسْطاسيوبُليس

انَّ هذا القدّيس كان من بلدة من أعمال غلاطية تدعى سيخاوة وكان من صغرهِ يحبّ الصلوة ويقضي أغلب أوقاتهِ في الكنائس. وكان منعكفاً على قراءَة الكتب الروحيَّة. وعمَّر لهُ قلاّية في بيت أبويهِ وكان ينسك فيها. وبعد ذلك انطلق وسكن في المغاير المنفردة والجبال المقفرة قاضياً نهارهُ وليلهُ في الصلوة والتامُّل* ولمّا علم بقداسة سيرتهِ أسقف أَنَسْطاسيوبُليس رفعهُ إلى درجة الكهنوت* وبعدما زارَ ثاودورُس جميع الأماكن المقدَّسة في أورشليم وأشهر أديرة فلسطين رجع إلى بلدتهِ وشرع يسير سيرتهُ الأولى* وجاءَهُ تلاميذ من جهات مختلفة. فعمَّر لهم ديراً واسكنهم فيهِ وكان يرشدهم إلى السبل الخلاصيَّة* وبعد ذلك انطلق إلى أورشليم ليحج مرَّة ثانية. وكانت تلك النواحي حينئذٍ مصابة من المَحْل وقلّة المطر. فلمّا صلّى مار ثاودورُس مستعطفاً

الرحمان على الفقراء الذين كانوا يهلكون جوعاً نزلت أمطار غزيرة أروت تلك الأراضي العطشانة* ثمَّ رجع إلى سيخاوة وبنى فيها ديراً واسعاً وكان يعلّم فيهِ تلاميذهُ أصول الكمال* وذات يوم إذ كان الأمير موريقيوس قائد جيوش الملك طيباريوس راجعاً من بلاد الفُرس مظفَّراً زار مار ثاودورُس فانبأَهُ هذا القدّيس بانَّهُ سيصير ملكاً. ولمّا صحَّت نبوَّتهُ وجلس على العرش الملكيّ سنة ٥٨٢ كتب إليهِ رسالةً بها يستودع نفسهُ إلى صلواتهِ* وبعد موت طيمُثاوس أسقف انَسطاسيوبُليس انتُخِب ثاودورُس اسقفاً في مكانهِ. فساس ابرشيّتهُ حسناً مدَّة ستّ سنين. ثمَّ تنزَّل عنها وقلّدها لمطران مدينة أنقرَهْ* وبعد ذلك اضطرَّ مار ثاودورُس أن ينطلق إلى مدينة قسطنطينيَّة ليبارك الملك وعيلتهُ وسائر أكابر الدولة. فلمّا وصل إليها قُبل باكرام واحترام وشفى ابن الملك من البرص ورجع إلى سيخاوة وقضى تمام حياتهِ بالراحة والسكون وتوفّي في دير سيخاوة سنة ٦١٣ في اليوم الثاني والعشرين من شهر نيسان. وزيَّنهُ الله بموهبة عمل الكرامات في حياتهِ وبعد موتهِ. ولكثرة العجائب التي صنعها لُقّب بالعجائبيّ*

* اليوم الثالث والعشرون *

مار جرجس الشهيد المعظّم ـ الطوباويّ اجيديوس أحد

تلاميذ مار فرنسيس الاسّيسيّ الاوّلين

مار جرجس الشهيد المعظّم

إنَّ مار جرجس وُلد في قَفَدوقيّة من أبَوَين شريفَي الحسَب والنَسَب وغنيَّين. ورُبّي منذ نعومة أظفارهِ في حضن الديانة المسيحيّة. وكان أبوهُ مقرَّباً عند الملك لحسن تدابيرهِ في الحروب. فلمّا قُتِل في إحدى الوقائع انتقل جرجس إلى بلاد فلّسطين مع امّهِ لأنّ اباهُ كان لهُ املاك* ولمّا بلغ إلى سنّ الشبوبيّة انطلق إلى مدينة روميّة رجاءً أن ينال وظيفة أبيهِ عند الملك ديوكلتيانُس. فقبلهُ الملك واحبّهُ لفروسيّتهِ الشائع ذكرها وأقامهُ رئيساً على الفرسان. وكان مار جرجس فارساً بطلاً صنديداً يقهر ولا يُقهَر. فنال حظّاً سعيداً عند الملك وعند جميع أعيان الدولة الروميّة*

وفي ذلك الزمان أراد ديوكلتيانُس قيصر ان يثير اضطهاداً ويستاصل من العالم ان أمكنهُ ايمان المسيح لكي يثبّت في كلّ مكان عبادة الآلهة الباطلة. فعرض فكرهُ هذا على أهل مشورتهِ وعرّفهم بانّهُ مزمع أن يهلك جميع النصارى قاطبةً. فلمّا سمع وزراؤهُ وأكابر دولتهِ بذلك فرحوا ومدحوا الملك على عزمهِ هذا الوحشيّ وجعلوا يحثّونهُ

على قضائهِ عاجلاً* وكان مار جرجس حاضراً في ذلك المجلس وسامعاً أقوالهم. فتسلّح بقوّة روح القدس وطفق يقاوم مقاصد الملك ويدحض أقوال الذين كانوا يحرّكون قيصر على انفاذ هذا الأمر بقولهِ لهم: انّ هذا الأمر هو جور وظلم وخارج عن الإنسانيّة. ومن ثمّ شرع يبيّن لهم حقيقة دين النصارى ويظهر فضل المسيح ويفضح أوثانهم وضلالة عبادتهم. واعترف علانيةً بانّهُ مسيحيّ* فلمّا سمع الملك أقوالهُ واقرارهُ بايمانهِ اغتاظ منهُ. ومن أجل أنّهُ كان يحبّهُ ويكرّمهُ لمزاياهُ الحميدة ولشجاعتهِ وحذاقتهِ في الأمور الحربيّة شرع يتملّقهُ طالباً منهُ أن يترك دين المسيح ويعبد الآلهة وأخذ يذكّرهُ الاحسانات التي أنعم بها عليهِ والآلاء التي سيخوّلهُ ايّاها ان وافقَ فكر الملك في جحود ديانتهِ. ولكنّ هذا جنديّ يسوع المسيح الشجاع لم يَمِل قلبهُ إلى كلّ ذلك بل التفت إلى الملك وقال لهُ: أنت يا ديوكلتيانُس يجب عليك أن تعرف الإله الحقّ وتقرّب لهُ ذبيحة التسبيح. وبصنيعك ذلك يعطيك مملكة أشرف من المملكة التي تتمتّع بها الآن. لأنّ تلك أبديّة لا تزول وهذه سريعة الانقراض والفناء. امّا أنا فانّي راجٍ أن يمتّعني الاهي في مملكتهِ الأبديّة. فلا تتعب باقناعي أيُّها الملك فانّهُ لا يمكنّي أن أترك الالاه الحقّ واعبد الآلهة الباطلة. ولذلك لستُ أبالي بمواعيدك ولا بتهديداتك* فلمّا سمع الملك ذلك حنق عليهِ وأمر بحبسهِ. فصُفِّد بالحديد وطُرح في السجن ووُضِع على ظهرهِ حجر ثقيل. وفي الغد أُتِي بهِ أمام الملك. فحاول الملك أن يجتذبهُ إلى عبادة الأوثان فلم يتمكّن

منهُ. فأمر حينئذٍ بأن يُربَط على دولاب مملوّ سكاكين وحربات حادّة تقطّع جسدهُ ارباً ارباً عندما يدور عليهِ هذا الدولاب. ولكنّ يد القادر على كلّ شيءٍ حفظتهُ سالماً في هذا العذاب إذ جاءَهُ صوت من السماء قائلاً: لا تخف يا جرجس فانّي معك. ثمّ ظهر لهُ ملاك لابساً ثياباً بيضاً كالثلج ومدّ لهُ يدهُ وعانقهُ وحلّهُ من ذلك الدولاب واقامهُ حيّاً صحيحاً لا جرح فيهِ*

فلمّا عاين ذلك من حضر من الوثنيّين هتفوا قائلين: عظيم هو الاه النصارى. فآمنوا. وكان من جملتهم اثنان من أكابر الدولة اسم احدهما اناطوليوس والآخر بروطوليوس فهذان بعدما آمنا بالمسيح واقرّا بالايمان علانيةً قُطع راساهما وتكلّلا بالاستشهاد* ولمّا رأَت ذلك الملكة آمنت هي أيضاً. فاشتعل نار الغضب في قلب الملك فأَمر أن ينعلوا رجليهِ بخفٍّ من حديد محمّر في النار وفيهِ شوكات حديديَّة حادَّة. فلمّا فعلوا ذلك واستاقوهُ ليمشي بهِ شرع القدّيس يمشي بهِ سريعاً كانَّهُ لابس خفّاً ليّناً من جلد ولم يضرّهُ ذلك شيئاً. ثمَّ سقوهُ كاس سمّ ناقع فلم يُؤَثّر فيهِ. فعجز الملك منهُ وقال لهُ: يا جرجس ان كان دينك حقّاً فأَقم لنا ميتاً فنؤْمن بالهك. فأجابهُ القدّيس إلى ذلك. فانطلقوا إلى مقبرة الموتى ووقف مار جرجس وصلّى وطلب من الله أن يظهر قدرتهُ في ذلك. فاستجاب الله طلبتهُ وانهض ميتاً واحداً من القبر يقول لا الاه الاَّ الاه النصارى الذي ينذر بهِ جرجس* فلمَّا رأى الملك ذلك لم يتمالك ان قطع راس الميت المُقام وشرع يتلطّف بمار جرجس

ويقنعهُ بكلمات حلوة أن لا يستمرّ في عنادهِ فيخسر نعمهُ. امَّا هذا الشهيد المعظّم فاراد أن ينكيهُ ويظهر قدرة الاله الحقّ بنوع ابين من ذلك. فقال للملك: أن أعجبك أيُّها الملك فهلمَّ نذهب إلى الهيكل وننظر الآلهة التي تسجد لها. ففرح الملك بذلك وظنَّ انَّ جرجس قد تغيَّر قلبهُ ومال إلى السجود للآلهة. فجمع أكابر مجلسهِ وجمّاً غفيراً من الناس وساروا قاطبةً إلى الهيكل لكي يحضروا الذبيحة التي ظنُّوا انَّ مار جرجس يقدّمها للأوثان. فلمَّا دخلوا إلى بيت الأصنام شرعوا ينظرون ماذا يريد مار جرجس أن يصنع. فاقترب شهيد الله إلى صنم أَفُلّو الذي كان هناك وطلب إليهِ مشيراً بيدهِ قائلاً: أتريد أن أقدّم لك ذبيحةً كما أقدّم لالهي. ثمَّ رسم اشارة الصليب. فحينئذٍ أجاب الشيطان الذي كان داخل ذلك التمثال قائلاً: انّي لستُ الاهاً. فانَّهُ لا الاه الاَّ الاله الذي تنادي بهِ أنت. فقال لهُ القدّيس: فكيف انت تتجاسر وتقف قدَّامي أنا الذي اعترف بالالاه الحقّ واعبدهُ. فعند قولهِ هذه الكلمات سُمع عويل وصياحات مُرَّة خارجة من فم تلك الأصنام ووقعت كلّها وتكسَّرت قطعاً. فلمّا عاينت الملكة ذلك اعترفت علانيةً بايمان المسيح فقطعوا رأسها وتكلّلت بالاستشهاد* ولمّا رأَى كهَّان الأوثان ما حلّ بأصنامهم حضَّضوا العامَّة من الناس أن يلقوا الأيادي على مار جرجس. وقالوا للملك انَّهُ لساحر فيجب أن تسرع بقطع راسهِ لئلاَّ يسبّب لنا ضرراً أعظم. وللوقت قادوا الشهيد إلى ميدان الاستشهاد ليقطعوا رأسهُ. فلمَّا تقدَّم السيَّاف طلب منهُ مار جرجس أن يمهلهُ

ريثما يصلّي. فرفع عينيهِ وذراعيهِ إلى السماء وشرع يصلّي بحرارة قلبٍ قائلاً: أيُّها الربّ الاهي الكائن قبل كلّ الدهور الذي اخترتني لك منذ ولادتي. أنت هو الرجاء الوحيد الحقيقيّ للمسيحيّين وملجأ عِبادك الحصين وكنز لا يفنى للمتّكلين عليك. يا أيَّها المنعم على الذين يحبُّونهُ قبلما يفتحون فاهم للطلبة منهُ. اسمع لي يا ربّ من حيث أنَّ رحمتك ارتضيت أن تهب لي الصبر والقوَّة على احتمال العذاب والشجاعة على الاعتراف باسمك. فاقبل الآن نفسي وضعها ما بين مختاريك في المجد الأبدي. واغفر لهولاء الذين قاموا عليَّ ليقهروني واعطِهم النور الذي بهِ يقدرون أن يعرفوا حالهم. ومن حيث انّك تريد أن يخلص جميع الناس امدد يد عونك لجميع الذين يستغيثون بك ويلتمسون احسانك بخوف مقدّس ومحبّة مضطرمة لكي يكونوا فيما هم يحبّونك فوق كلّ شيءٍ يقتفون بآثار القدّيسين ويتمتَّعون معهم بك أنت الذي لك الملك والمجد والسعادة إلى أبد الآباد آمين*

ولمّا فرغ من صلاتهِ جثا على ركبتيهِ ومدّ عنقهُ إلى السيّاف فأخذ رأسهُ وبهِ تمَّت شهادتهُ. وكان ذلك سنة ٢٩٠ للمسيح يوم جمعة الآلام بعد نصف النهار بقليل* فشاع خبر استشهادهِ في جميع الكنائس في الشرق والغرب. وسمّاهُ اليونان استشهاد مار جرجس العظيم. وشُيِّد كنائس كثيرة على اسمهِ في سائر أقطار المسكونة. والآن رأسهُ محفوظ في رومية في كنيسة مبنيّة على اسمهِ* واتّخذهُ الملوك المسيحيُّون شفيعاً ومحامياً لهم في الحرب. وقد اعتادت الكنيسة الكاثُليكيَّة الرومانيَّة ان

تستعين بمار جرجس ومار سبطيانُس ومار موريقيوس على أعداء الايمان*

الطوباويّ اجيديوس

أحد تلاميذ مار فرنسيس الاسّيسي الأوّلين

انّ الاب المعظّم مار فرنسيس الاسّيسي بعدما هجر العالم ليخصّص نفسهُ لخدمة يسوع المسيح بسنتين جاء إليهِ رجل من أغنياء مدينة أسّيسيا اسمهُ برنردُس وكان قد باع جميع أموالهِ وفرّقها على الفقراء وأراد أن يتتلمذ لهُ. واقتدى بهِ رجل آخر يدعى بطرس الكتانيّ. وبعد ثمانية أيّام جاء الطوباويّ اجيديوس ودخل في هذه رهبنة مار فرنسيس الجديدة* وصورة دخولهِ هكذا كانت. إنّهُ في سنة ١٢٠٩ إذ دخل في كنيسة مار جرجس الشهيد يوم عيدهِ ليصلّي رأَى تلميذَي مار فرنسيس برنردُس وبطرس الكَتانيّ. فلمّا تأمّل فقرهما واحتشامهما تاق إلى رؤية معلّمهما مار فرنسيس فقير يسوع المسيح. فقام بعد ذلك وتوجَّه إلى مارستان البُرص الذي كان عندهُ الكوخ الذي كان يسكن فيهِ مار فرنسيس ورفيقاهُ. فلمّا انتهى إلى مسكن هولاء الأخوة صادف مار فرنسيس خارجاً من ذلك البيت منطلقاً حسب عادتهِ ليصلّي في غاب صغير كان هناك. فلمّا رآهُ مار فرنسيس آتياً إليهِ تلقّاهُ ببشاشة وقال لهُ: يا أخي ما سبب مجيئك. فانطرح اجيديوس على قدميهِ

وقال لهُ بتواضع: جئْتُ متوسّلاً إليك لتقبلني في صحبتك* فقال لهُ مار فرنسيس: يا أخي العزيز لقد أنعم الله عليك نعمةً عظيمة إذ أهّلك لخدمتهِ فافرح وكن ثابتاً* ثمّ أخذهُ بيدهِ وأقامهُ وأدخلهُ إلى الكوخ واحضرهُ أمام برنردُس تلميذهِ الأوّل قائلاً: هوذا أخ صالح قد أرسلهُ الله إلينا. فلنفرح بالربّ ولنتغذَّ سويّةً بالوصال والمحبّة*

فبعدما تناولوا قليلاً من الطعام قام مار فرنسيس وأخذ الطوباويّ اجيديوس ونزلا إلى مدينة اسّيسيا ليشتري لهُ ثوباً شبيهاً بالثوب الذي كان مكتسياً بهِ هو. ولمّا كانا في الطريق تقدّمت إليهما امرأَة فقيرة وسأَلتهما صدقةً. فنظر مار فرنسيس إلى الأخ اجيديوس بوجه ملاكيّ قائلاً: يا أخي العزيز أتشاء أن نعطي في حبّ الله عباءَتك لهذه الفقيرة. فخلعها اجيديوس بفرح ووضعها في يدَي فرنسيس فاعطاها للفقيرة. وبان لهُ بذلك انّ تلك الهبة قد ارتفعت إلى السماء*

وبعدما اشتريا الثياب من مدينة اسّيسيا رجعا إلى ذلك المحلّ الذي فيهِ كان الأَخوَان برنردُس وبطرس ينتظرانهما. وكانوا هناك كلّهم منعكفين على الصلوة والتامل والمفاوضات الروحيّة* وكان مار فرنسيس إذا انطلق أحياناً إلى بعض الأماكن لقضاء حاجة يأخذ معهُ اجيديوس. فيقول فرنسيس في الطريق لجميع من يصادفهم: احبُّوا الله وخافوهُ وتوبوا عن اثامكم* ويقول لهم اجيديوس: نعم اعملوا ما يعظكم بهِ أبي الروحيّ لأنّ الله هو الذي يكلّمكم بفمهِ* وفي أحد أسفارهِ قال لاجيديوس: يا ابني انّ رهبنتنا ستشبه فيما بعد صيّاد

السمك الذي يرمي شبكتهُ في المياه فيخرج سمكاً كثيراً فيمسك منها السمكات الكبار ولا يعبأ بالصغار ان افلتن* وكان لمار فرنسيس حينئذٍ ثلاثة تلاميذ فقط ولكنَّ الله أراهُ الأولاد الكثيرين الذين سيلدهم للسيرة الحقيقيّة منذ ذلك الحين وفي عبر الأجيال*

وزار الطوباويّ اجيديوس أماكن مقدّسة كثيرة. وفي إحدى سفراتهِ حلّ في بلدةٍ قد أضرّ بها الجوع والغلاء فالتزم أن يحتمل بصبر وفرح ذلك الجوع. وفي أثناء ذلك سأَلهُ فقير صدقةً وإذ لم يكن عندهُ شيءٌ يتصدّق بهِ عليهِ قسم قبّاعتهُ إلى نصفين واعطاهُ النصف الواحد ولبس النصف الآخر مدّة عشرين يوماً وهو مخزّق* وانطلق إلى أورشليم لزيارة القبر المقدّس وفي سفرهِ كان يستعطي قوتهُ* وسكن في رومية عدّة سنين مع رفيق لهُ. وأضافهما أحد الكردِنالات مدّةً في قصرهِ. فلمّا رأى الطوباوي اجيديوس انّهُ في عيش رغد كعيش أهل الدنيا وقد دنا صوم الخمسين طلب إلى الكردينال أن يأذن لهُ بالانصراف من عندهِ لأنّ نفسهُ محتاجة إلى الراحة في الخلوة والتقشُّف. فاذن لهُ الكردينال. فانطلق هو ورفيقهُ إلى جبل في تخوم روميّة فيهِ قصر عتيق وكنيسة متروكة وسكن هناك مع رفيقهِ. وكانا يعيشان بالصدقة وكثيراً ما عازهما الخبز فاحتملا الجوع. وكانا منعكفَين على الصلوة والتأمُّل* وذات يوم وقع ثلج كثير فغطَّى ذلك الجبل وتلك الكنيسة وسدّ الطرق. فبقيا ثلاثة أيّام من دون أن يتناولا طعاماً لأنّهما كانا مدفونَين في الثلج لا يقدران إلى يخرجا. فقال اجيديوس لرفيقهِ: يا

أخي: لا يقدر أحد أن ينشلنا من هذه الضيقة الاّ الله. فهلمّ نصلِّ ونطلب منهُ بحرارة أن يسوع إلى معونتنا* وفيما كانا يصلّيان إذا بواحد من سكّان قرية كانت في السهل ابصر عظمة الثلج على الجبل فقال ان كان أحد في تلك الكنيسة فلا شكّ انّهُ يموت جوعاً. فيجب أن انطلق لأَرى هل من أحد فيها. ثمّ أخذ معهُ خبزاً وخمراً وتوجَّه إلى الجبل. ووصل بمشقَّة عظيمة إلى تلك الكنيسة فوجد فيها ذَينك الأَخَوَين قد كادا يموتان وفيهما رمق يسير. فاسرع القرويّ وقدَّم لهما الطعام فاكلا وعادت عليهما روحهما* ومنذ ذلك اليوم لم يحتَجْ هذان الناسكان إلى القوت لأَنّ أهل القرية كانوا يأتونهما بهِ بالتناوب* وبعد انقضاء صوم الأربعين رجع اجيديوس إلى مدينة روميّة وكان قد تأسَّس حينئذٍ هناك دير لأخوة مار فرنسيس. فسكن فيهِ وشرع يسير سيرتهُ الرهبانيّة المقدّسة. وكان صباحاً يسمع القدّاس وبعد القدّاس ينطلق إلى غاب يبعد من هناك نحو ثلاثة أميال ويقصّ منهُ حطباً ويأتي بهِ على كتفيهِ فيبيعهُ ويبتاع بثمنهِ خبزاً* ويوماً ما أرادت امرأَة أن تدفع لهُ ثمن جرزة الحطب بازيد ممّا طلب. فأبى أن يأخذ أكثر ممّا شارطها قائلاً: علامَ الطمع* ومع انّهُ كان فقيراً بهذا المقدار فكثيراً ما كان يجد سبُلاً ووسائط لاعطاء الصدقة. وصادف يوماً رجلاً يلتمس فاعلاً لنكث الجوز في بستانهِ فعرض اجيديوس نفسهُ قائلاً: أنا أشتغل عندك. فأخذهُ الرجل إلى بستانهِ وبعدما اشتغل وأراد الانصراف ملأَ صاحب البستان رداءَهُ جوزاً.

فرجع بهِ اجيديوس فَرِحاً ووزّعهُ على فقرائهِ* وكان في زمان الحصاد ينطلق فيلقط وراء الحصّادين. كلّ ذلك للفقراء* وذات يوم تجاسر رجل أن يفتري على الطوباويّ اجيديوس ويشتمهُ وكان الرجل غضبان لحادثٍ كدّرهُ. فاسرع اجيديوس إلى الدير وأخذ قدح ماءٍ وقدّمهُ للرجل قائلاً: خذ يا صديقي اشرب ماءً ولا تغضب*

وبلغ هذا تلميذ مار فرنسيس إلى سلامة القلب الطفليّة التي يحبّها يسوع المسيح جدّاً. فكان مع كونهِ كاملاً في السنّ حاوياً أخلاق الصبيان الصغار* وكان الله يحبّهُ ويسبغ عليهِ نعمهُ ومواهبهُ. وهكذا كانت أخلاق جميع تلاميذ مار فرنسيس الأوّلين لأنَّهم أخذوها عن أبيهم الذي كان يربح البرّ بسلامة القلب والفكر وبذلك نجحت رهبنتهُ كلّ النجاح. ولم تكن هذه سلامة قلب اجيديوس من ضعف نفسهِ بل من جودة قلبهِ. لأنّها قد أثمرت أقوالاً وتعاليم معتبرة تشير جليّاً إلى سموّ نفسهِ. ويسوغ لنا أن نذكر شيئاً منها في هذه قصّتهِ المختصرة*

كان راهب يصلّي يوماً في قلاّيتهِ. فدخل عليهِ الرئيس وأمرهُ باسم الطاعة المقدّسة أن يذهب ويسأل صدقةً. فقام الراهب حالاً وانطلق إلى الأخ اجيديوس وقال لهُ: يا أبي كنتُ أصلّي وإذا بالرئيس أتى إليَّ وأراد أن يرسلني لاتسوّل. فيبان لي أنّ الأحسن هو أن أداوم على صلاتي* فأجابهُ اجيديوس يا ابني إلى الآن لم تعلم ما هي الصلوة. فاعلم أنّ الصلوة الحقيقيّة هي العمل بإرادة الرئيس. ومَن يريد أن يتبع إرادتهُ الخصوصيّة ليفرّ من نير الطاعة فلا شكّ انّهُ يظهر بذلك

الكبرياء المسلّطة عليهِ. أي نعم انّ ذلك الإنسان لضالّ ولو أنّ إرادتهُ تبان لهُ أصوب في بعض الأشياء من إرادة الرئيس* انّ الراهب الكامل في الطاعة يشبه فارساً راكباً حصاناً قويّاً سريع المشي ولا شيء يقدر أن يوقفهُ عند الجري. وبعكس ذلك الراهب الغير المطيع فانّهُ يشبه رجلاً راكباً حصاناً ضعيفاً سقيماً ومن أدنى شيء يكدي أو يسلّم نفسهُ والراكب عليهِ إلى العدوّ. فالآن أيُّها الأخ الحبيب أقول لك انّك ولو ارتفعت إلى أقصى درجة من درجات الكمال وأُعطِيتَ ان تتفاوض مع الملائكة فيجب أن تترك تلك المفاوضة السماويّة وتطيع حالاً إذا دعاك رئيسك*

ويوماً آخر قال لهُ راهب آخر: يا أبي اجيديوس لي تجربة تعذّبني أحياناً كثيرة. وطالما صلّيتُ إلى الله ليرفعها عنّي ولم تُستَجَب صلواتي. فقل لي يا أبي ما الذي يجب عليَّ عملهُ* فأجابهُ الطوباويّ قائلاً: يا أخي كلّما حَسُنت وراقت الأسلحة التي يعطيها الملك لقوّاد جيوشهِ زاد حقّهُ أن يأمل منهم حسن المدافعة والظفر في الحرب*

وسأَلهُ راهب ما قائلاً: يا أبي ماذا يجب أن أعمل لكي آتي الصلوة من كلّ إرادتي وبحرارة. فانّي إلى الآن أشعر في نفسي بأنّي يابس وفاتر وقليل العبادة* فقال لهُ اجيديوس: كان لأحد الملوك خادمان أحدهما كان مقلّداً بالأسلحة من رأسهِ إلى كعبهِ. والآخر كان عارياً منها. وكانا كلاهما مضطرّين إلى الوقوف في الكفاح والمحاربة عن الملك مولاهما. أمّا المسلَّح فتقدّم إلى القتال بلا خوف واثقاً بأسلحتهِ

القويّة. وأمّا الآخر فتقدّم إلى سيدهِ الملك وقال لهُ: يا مولاي أنت ترى جيّداً باني اعزل بلا أسلحة ولكنّي لكي اوكّد لك حبّي أقف في هذه الحرب وأكافح على قدر استطاعتي بمقدار ما تساعدني حالتي هذه* فلمّا رأى الملك حبّ خادمهِ الأمين لهُ قال لوزرائهِ: انطلقوا مع هذا الخادم الغيور واعطوهُ كلّ ما يحتاج إليهِ من الأسلحة لكي يتقدّم في حومة الحرب بلا خوف. وأريد أن يُعتَبر كاحد عظمائي الأبطال ولذلك أريد أن يُطبَع ختمي الملكي على أسلحتهِ* فهذا الذي نحسّ بهِ يا أخي عندما ندخل في الصلوة أعني أنّنا نشعر بأنّنا عراة من كلّ شيءٍ وقليلوا العبادة ويابسون وفاترون. ولكن من أجل خاطر يسوع المسيح يجب علينا أن ندخل في حرب الصلوة في أيّ حال كنّا. وحينئذٍ ملكنا الجزيل احسانهُ إذا ما رأَى شجاعة خدّامهِ يعطيهم على أيدي الملائكة وزرائهِ الحرارة والإرادة الصالحة*

وسأَلهُ أيضاً يوماً راهب آخر قائلاً: يا ابت كيف تحارَب النفس في وقت الصلوة أكثر وأشدّ ممّا في وقت آخر ولماذا ذلك. فقال إذا كان لنا دعوى ونريد أن نترافع فيها أمام القاضي ننطلق أوّلاً ونعرض إليهِ حججنا ونستفتيه ونسأَلهُ أن يساعدنا. فإذا رآنا خصمنا على ذلك يأتي هو أيضاً لكي يقاومنا وينقض ما ندّعي بهِ. فهكذا يكون أمرنا حينما نكون في الصلوة. لأنّنا فيها نطلب من الله أن يعيننا. ففي هذا الوقت يأتي الشيطان الذي هو خصمنا لكي يصادمنا بتجاريبهِ. ويستعمل كلّ حيلهِ وقواهُ في أن يصدّنا عن الصلوة ويجتهد في أن

يجعل صلاتنا باردة غير مرضيّة لله. وإذا رآنا نتعاطى بالأمور الدنيويّة لم تخطر محاربتنا على بالهِ ولكن إذا دخلنا في الصلوة يهجم علينا بكلّ ما عندهُ من التجارب*

واستشارهُ يوماً علمانيّ قائلاً: أيُّها الاب اجيديوس ماذا يجب عليَّ ان أصنع. أأَأن أَدخل في الرهبنة أم أن استمرّ في العالم واعمل فيهِ أعمالاً صالحة. فقال لهُ: يا أخي لو علم رجل في وقت حاجتهِ أنّ في الحقل كنزاً خفيّاً اما يسرع باخراجهِ وأخذهِ إلى بيتهِ. فكم يجب علينا إذاً نحن أن نسعى في طلب الكنز السماويّ الموجود في الرهبنة المقدّسة والمفاوضات التقويّة* فعند هذا الجواب مضى الرجل وفرّق جميع أموالهِ على المساكين ودخل في الرهبنة المقدّسة*

وكان الطوباويّ اجيديوس يقول أحياناً: ان أردتم أن تحبّوا جيّداً. فابغضوا ذواتكم* ان أردتم أن تعيشوا جيّداً. فاميتوا ذواتكم* ان أردتم أن تكونوا أغنياء. فصيروا فقراء* ان أردتم أن تُمدَحوا وتُكرَموا. فاتّضعوا* ان أردتم أن تُعتَبروا. فاحتقروا ذواتكم واكرموا من يوسعكم ذمّاً واحتقاراً* ان أردتم أن يكون الخير نصيبكم دائماً. فاحتملوا الشرّ* ان أردتم أن تكونوا مباركين. فتمنَّوا أن تُلعَنوا ويُقال عليكم شرّ الأقوال* ان أردتم أن تملكوا الراحة الحقيقيّة الأبديّة. فارغبوا أن تحتملوا جميع شدائد هذه الحيوة الزمنية* فيا ما احكم من يسير في هذه الطريق مقتدياً بهذه المشورات لأنّ فيها أسمى الفضائل. ومن تعلّمها جيّداً فلا يحتاج ان يذهب إلى روميّة أو إلى باريس ليتعلّم علم لاهوت

آخر* فهذا هو التعليم السماويّ الذي كان يُتَعَلّم في مدرسة مار فرنسيس. ولذلك كان الأوّلون من تلاميذ هذا الاب السرافيّ رجالاً موعَبين حبّاً لله وللقريب وبغضةً لذواتهم. لأنّهم كانوا يضعون كلّ فخرهم في احتمالهم الاهانات من الناس والشدائد والتجارب التي كان الله يمتحنهم بها*

وقضى الاخ اجيديوس سني حياتهِ الأخيرة في دير بَرُوجيَهْ وهناك زارهُ مار لويس ملك فرنسا وكان مختصّاً برهبنة مار فرنسيس الثالثة. فهذا الملك إذ كان يجول في زيارة الأماكن المقدّسة سمع بقداسة سيرة الأخ اجيديوس فعزم أن ينطلق إلى بَرُوجيَهْ حيث كان الطوباويّ. فلمّا وصل إلى باب الدير وهو متنكّر أرسل البوّاب ليطلب لهُ الاذن من اجيديوس ليدخل عليهِ ويكلّمهُ. فدخل البوّاب وقال لهُ انّ رجلاً غريباً يطلب أن يكلّمك. فأُوحي إلى اجيديوس بانّ هذا السائح الغريب هو ملك فرنسا. فقام من قلاّيتهِ وخرج للقائهِ. فلمّا نظرا بعضهما بعضاً في هذه المرّة الأولى ركعا كلاهما على الأرض وتصافحا واستمرّا برهة في تلك المعانقة الحبّيّة من دون أن يقدر أحدها أن يلفظ كلمةً واحدة. ثمّ قاما وانطلق الملك في سبيلهِ ودخل اجيديوس قلاّيتهُ. وهكذا انقضت تلك الزيارة اللذيذة بالسكوت*

وبعدما انطلق الملك سأَل بعض الرهبان رفيقاً لهُ قائلاً: من هو هذا الغريب الذي استمرّ معانقاً الاخ اجيديوس كلّ هذا الزمان. فقال لهُ ذلك انّهُ كان لويس ملك فرنسا جاءَ ليزورهُ. فشاع هذا

الخبر بين جميع الاخوة. ولمّا علموا بأنّ الأخ اجيديوس لم يكلّم الملك بأدنى كلمة غضبوا عليهِ ووبَّخوهُ قائلين: أيُّها الأخ اجيديوس إلى هذا الحدّ بلغتَ من التوحُّش حتَّى انّك لم تنطق بكلمة أمام ملك قدّيس قد أتى من فرنسا قاصداً زيارتك* فقال يا أخوتي الأعزاء لا تنذهلوا من أن لم يقدر أن يكلّم أحدنا الآخر لأنّنا في حال ما تعانقنا إذا بنور الحكمة الإلهية قد أوحى لقلبي بكلّ ما كان في قلبهِ وأوحى لقلبهِ بكلّ ما كان في قلبي. وهكذا كنّا نتفاوض بالقلب بحلاوة أكثر ممَّا لو كنّا نتفاوض باللسان. وطاب قلبنا بتعزية أحلى ممَّا لو تفاوضنا بلساننا. لأنّ اللسان لا يقدر أن يعبّر عن أسرار الله الخفيَّة. فاعلموا إذاً انّ الملك قد انصرف من عندي مكتفياً وموعباً قلبهُ من التعزية*

وبعدما قضى الطوباويّ اجيديوس في الرهبنة اثنتين وخمسين سنة دعاهُ الله إلى التمتُّع في مجدهِ السمويّ الذي استحقّهُ. وكما كان دخولهُ في الرهبنة يوم عيد مار جرجس هكذا أيضاً أراد الله أن يكون دخولهُ في المجد في مثل ذلك اليوم عينهِ* وفي حين موتهِ إذ كان أحد عباد الله يصلّي رأَى روحهُ خارجةً من المطهر وجاذبةً وراءَها أرواحاً اخر كثيرات فدخلنَ مع روح الطوباوي اجيديوس إلى الفردوس السماويّ برفقة يسوع والملائكة بظفر عظيم*

وفي يوم موتهِ مات أيضاً راهب من رهبنة مار عبد الأحد. وقبل موتهِ كان قد وعد راهباً من اخوتهِ بأن يعلمهُ بحظّهِ بعد موتهِ. فسمح الله أن يظهر لهُ وينجز وعدهُ. فلمّا ظهر لهُ قال لهُ الراهب

رفيقهُ. ما جرى بك يا أخي. فأجابهُ انّي لسعيدٌ لانّي متُّ يوم مات اخ من اخوة مار فرنسيس اسمهُ اجيديوس. والربّ مجازاةً لقداستهِ العظمى وهب لهُ اطلاق جميع الأرواح التي كانت في المطهر حينئذٍ. وأنا كنتُ من جملة تلك الأرواح المتعذّبة وفاءً عن نقائصها. فالآن نجوتُ بجاه ذلك الاخ القدّيس*

ودُفن الطوباويّ اجيديوس في دير بَرُوجيَهْ. وزيَّن الله قبرهُ بالكرامات الباهرة التي أجراها بشفاعتهِ* وكان مار بوناونتورا المعلّم السرافيّ يثق بشفاعتهِ ويقول انّ الله يمنح نعماً خصوصيّة لمن يستشفع اجيديوس للحصول على خلاص نفسهِ*

* اليوم الرابع والعشرون *

مار فِدالِس أو امين السغمارنجي الشهيد

انَّ القدّيس فيدالِس أو امين وُلد في مدينة سغمارنجا من أعمال بروسيا سنة ١٥٧٧ من أبوَين شريفَين في الأصل وساميَين في الفضل. وفي عماذهِ دُعي اسمهُ مرقس. ومنذ نعومة أظفارهِ ملكت الحكمة الإلهيّة قلبهُ. وكانت التقوى تنشو فيهِ من عمرهِ فكان حرّ النفس حليم الطبع هادئاً جدّاً. وكلّما زاد في العمر ازدادت صفاتهُ جمالاً وحُسنت اخلاقهُ فكان محبوباً عند الجميع* ولمّا بلغ السنّ الكافي للتعلّم وضعهُ أهلهُ في

المدرسة فشرع يدرس بشوق عظيم وحاز قصبات السبق على أقرانهِ. والاهتمام الذي أبداهُ بالدرس كان يشير جليّاً إلى ما صار منهُ فيما بعد* ثمَّ أرسلهُ أهلهُ إلى مدرسة فريبُرغ في بلاد سويس ليدرس هناك الفلسفة. ففاق جميع التلاميذ بحكمتهِ وبحسن سيرتهِ المرتَّبة حتَّى انَّهم لقّبوهُ بالفيلسوف المسيحيّ* وكان ثاقب العقل جوَّاد القريحة جدّاً حتَّى انَّ جميع المعلّمين والتلاميذ كانوا يعتبرونهُ ويحبونهُ ويكرمونهُ. ولمّا نجح في العلوم جيّداً أقاموهُ معلّماً في الفلسفة* وكان صيتهُ ينتشر يوماً فيوماً. وكان ضابطاً حواسّهُ لا يبدو منهُ كلام غير نافع بل كانت أقوالهُ دائماً مفيدة تسبّب لهُ المحبَّة والوداد والاكرام من الناس. وكان على جانب عظيم من الاحتشام ولم يكن يشرب خمراً أبداً. وكان يلبس المسح على جسمهِ ويعمل أعمالاً أخرى قشفيَّة. وهكذا قدر أن يقهر أوَّل حركات الشبوبيَّة وينال حظّاً سعيداً أمام الله والناس*

وشاعت مناقبهُ وفضائلهُ السامية فاتاهُ ثلاثة من الشبَّان الشرفاء طالبين أن يصحبهم في سفرٍ عزموا عليهِ ليزوروا ممالك أوروبا واحدة واحدة وليتكلّموا في العلوم والاطّلاع على أحكام الناس وعوائدهم المختلفة. فرضي القدّيس بدعوتهم واجابهم إلى ذلك بشرط أن يقبلوهُ بصفة ابٍ وصديقٍ لهم لا بصفة مدبّر. فرضوا بذلك بفرح وخرجوا سويَّةً من مدينة فريبُرْغ. وكان يتفاوض معهم في الطريق بمفاوضات روحيَّة نافعة لخلاص النفوس ويحثّهم على احتقار الأباطيل الزائلة والزينات الغير المرتَّبة. ويقول لهم انَّ الشاب الذي يحذو حذ النساء بالتجمل بلبسهِ

وزينتهِ الغير المحتشمة ليس بأهل للمجد لأنَّ المجد لا يحقّ الاَّ لأولئك الذين يحتملون الشدائد ويدوسون اللذَّات الزائلة تحت أرجلهم* وأحياناً كان يكرّه في أعينهم حبّ العيش الرخي قائلاً: الويل للإنسان الذي يسمح للرخاوة والشراهة والرفاهية المفرطة في العيش أن تدخل في قلبهِ فانّ الموت أهون من اللذَّات التي تستملك القلب وتعرّيهِ من الفضائل* وكان يعلّمهم أحياناً كيف يجب أن يسيروا مع الناس الضعفاء الذين تحت يدهم قائلاً لهم. تذكَّروا انَّهم بشر مثلكم وانّكم قابلون الضعف والشقاء والفقر مثلهم. فليكن لكم رغبة في اسعافهم واحبُّوهم. وتعلّموا بانّكم لا تستطيعون أن تحكموا عليهم ان لم تقدروا أن تقهروا شهواتكم*

فاجابهُ أحد هولاء السادات قائلاً: ليس الإنسان بملزوم أن يحسن إلى الخائنين الذين يستعملون احساناتهِ لضررهِ. فقال لهُ مرقس يجب على الإنسان أن يعمل الخير مع جميع الناس وان كانوا خائنين وذلك لخاطر الله أكثر ممَّا لخاطر الناس. فانَّ الخير لا يضيع وان نسيهُ الناس فانَّ الله يتذكّرهُ ويجازي عوضهُ*

وفي طول ذلك السفر الذي كانت مدَّتهُ ستّ سنين كان مرقس في أيَّة بلدة دخلوا يترك فيها آثار فضائلهِ وسيرتهِ الصالحة. وكان يداري المرضى في المارستانات ويزور الكنائس ويمكث فيها ساعات منحنياً أمام القربان المقدَّس. وكان يتصدَّق على الفقراء حتَّى انَّهُ كان يعطيهم من ثيابهِ*

وجلبت لهُ مناقبهُ وملاحة طباعهِ حبّ رفاقهِ السادات الثلاثة

حتَّى انَّهم لمّا رجعوا من السفر وأراد مرقس أن يتركهم استصعبوا انفصالهُ منهم فشرعوا يتوسَّلون إليهِ أن يمكث معهم دائماً. فأبى وأخذ يرشدهم إرشاداً أخيراً وقال لهم: انَّ الشرف يتوقّف على الفضائل فان أردتم أن تكونوا بالحقيقة من أولي الشرف فخافوا الله واستحضروهُ دائماً واحفظوا شريعتهُ بصدق فهي تحاميكم في كلّ مكان. ثمَّ عزَّاهم وودَّعهم وانصرف عنهم وجاء إلى مدينة وِلِّنْغا التي نُقِلت إليها مدرسة فريبُرْغ بأمر الملك واستمرَّ هناك مدَّةً حتَّى تكمَّل في علم الفقه. ثمَّ رجع إلى مدينة كُلمار في مقاطعة الزاس من أعمال فرنسا وانتُخِب هناك ليكون واحداً من محامي الشريعة في ديوان القضاة* ولمّا كان في سفرهِ قد تعلّم لغاتٍ شتَّى مختلفة وثق بهِ الغرباء فكانوا يتّخذونهُ محامياً لهم في دعاويهم* وبعد زمان قليل شاع صيتهُ في تلك الأماكن. وبما انَّ الديانة كانت ترتّب أعمالهُ وتقوّمها فكان يعامل الغنيّ والفقير والقويّ والضعيف على حدٍّ سوى لأنَّهُ لم يكن يحامي سوى الحقّ. وكان ينصف للأرملة واليتيم المظلومين*

وبعد زمان عزم أن يهجر الدنيا ويعطي نفسهُ بجملتها لخدمة الله فآثر الدخول في رهبنة مار فرنسيس. وقبل دخولهِ تاق إلى أخذ الدرجات الكنيسيَّة المقدَّسة لكي يقدر أن يقدّم إلى الآب الأزلي في كلّ يوم ذبيحة ابنهِ الحبيب مقترنة بذبيحة نفسهِ التي قرّبها لهُ تعالى من كلّ إرادتهِ. فكشف أفكارهُ لرئيس الكبّوشيّين في مدينة فريبُرْغ. ففرح هذا الرجل الحكيم بمقاصدهِ وتركهُ على إرادتهِ. فكتب مرقس رسالةً إلى رومية بها طلب الاذن بأن يأخذ الدرجات الكنيسيّة بدون

الفترات الشرعيَّة. ولمّا سيم قسّيساً دخل في دير الكبّوشيّين وكان ذلك في اليوم الرابع من شهر تشرين الأوَّل الذي هو عيد الاب المعظّم مار فرنسيس سنة ١٦١٢*

وامتلأَت الكنيسة من الناس الذين أتوا ليسمعوا قدَّاسهُ الأوَّل. وبعد انقضاء القدَّاس جثا أمام المذبح ولبس ثياب المبتدئين من يد الرئيس ودُعي حينئذٍ باسم فِدالِس أو امين. وحرَّضهُ الرئيس بعظةٍ خطبهُ بها على القيام بالواجبات التي فُرِضت عليهِ وبان يكون أميناً فيها. وكانت هذه آية عظتهِ: كن أميناً إلى الموت فاعطيك اكليل الحيوة (رو صـ ٢ عـ ١٠) وكانت هذه الكلمات بنويَّة على هذا القدّيس لأنَّها صحَّت فيهِ يوماً إذ مكث أميناً لالههِ حتَّى إلى سفك دمهِ حبّاً لهُ*

ومنذ دخولهِ في الرهبنة أظهر أنّهُ راهب حقيقيّ في عمل التواضع والتقشّف وسائر الفضائل. ولم يكن شيءٌ يقدر أن يبرّد فيهِ حرارة العبادة. وكان أصعب القوانين بيان سهلاً عليهِ. وجعلتهُ طاعتهُ العمياء أن يعمل كلّ ما كان يُؤمَر بهِ. وهكذا كان أمين يتقدّم في الكمال يوماً فيوماً*

ولمّا رأَى الشيطان عدوّ الخلاص أمانة أمين شرع يجرّبهُ فكان يذكّرهُ الخيرات التي لو كان في العالم لعملها مع قريبهِ وانّهُ لو كان في العالم لكان دائماً محامياً غيوراً للشرائع ومنصفاً لليتيم والأرملة ومثمراً أكثر ممّا هو في الرهبنة. لأنّ مناقبهُ وفصاحتهُ وعلومهُ وشهرتهُ والمنافع التي كان يفعلها كلّ ذلك بقي خفيّاً تحت ثوبهِ الرهبانيّ* فعند تذكّرهِ

ذلك كان يميل قلبهُ تارةً إلى الدنيا وتارةً إلى الرهبنة* ولمّا قويت عليهِ التجربة انطلق إلى رئيس المبتدئين واعلمهُ بحالتهِ فاقنعهُ هذا الرئيس بانّ هذه الظنون والوساوس ليست الاّ من ملك الظلمات وانهُ يجب عليهِ أن يصلّي إلى الربّ طالباً منهُ أن يعرّفهُ إرادتهُ* فبعد أن صلّى بحرارة ودموع أزال الربّ عنهُ هذه التجربة فتشجّع قلبهُ وتجدّدت حرارتهُ في الأعمال الروحيَّة وعزم أن يقطع العقال الذي كان يوصلهُ بعد بالدنيا. فاوكل وكيلاً على أموالهِ وكلّفهُ أن يعمّر بها مدرسة لتدريس المرتقين إلى الكهنوت. وبعد تعمير تلك المدرسة أوقف لها خزانة كتبهِ أيضاً. وهكذا إذ تجرّد من الدنيا بالكلّية تهيَّأ ليستمرّ إلى الأبد أميناً وثابتاً في الرهبنة وعائشاً بفقر أولاد مار فرنسيس المقدّس* وبعد ذلك نذر نذورهُ الاحتفاليّة وكان يقول: تبادلتُ مع الله تبادلاً ذا ربح عظيم لأنّي أعطيتُهُ أموال الأرض ويعطيني عوضها ملكوت السموات. أَفما أنا غنيٌّ*

وكانت حياتهُ مقضيَّةً في الصلوة والمخاطبة مع الله. وكان يبان كانهُ ملاك لابسٌ جسداً. وكان محترساً في حفظ القوانين ويخاف من الفتور جدّاً حتَّى انّ أصغر الهفوات كانت تبان لديهِ ذنباً عظيماً* وكان على جانب عظيم من التواضع حتى انّهُ كان يحتسب نفسهُ الأخير في أخوتهِ ويعمل أدنى الأعمال وأشقّها في الدير. وإذا منعهُ الرهبان عن ذلك يجيبهم قائلاً. لا تمنعوني من اصلاح زلاّتي الماضية فانّ بينكم وبيني فرقاً عظيماً لأنكم دخلتم الرهبنة في حالة زكيَّة. وامّا

انا فلمّا دخلتُها كانت حالتي دنيويَّة بجملتها. وهكذا كان يرى ارذل الأعمال وأدناها شرفاً لهُ*

وكان يعتبر العبادة لمريم العذراء كاجلّ الوسائط للتقدّم في الفضائل. وكان متعبّداً أميناً لها* وكانت عفّتهُ تظهر باحتشامهِ حتَّى انّهُ كان حينما يمشي يطرق بعينيهِ إلى الأرض. ولمّا قيل لهُ يوماً في ذلك أجاب قائلاً: من كان حاملاً الاههُ في قلبهِ فلا يجب أن ينظر إلى الخليقة* وبعد ذلك نُصِب رئيساً على أحد الأديرة. فازدادت غيرتهُ على خلاص النفوس وشرع يكرز بكلام الله على الناس. وكان يطوف في المدن والقرى منذراً فيها بالتوبة. وما كان يخطب الاّ بعد أن يكون قد قضى نحو ساعة في التأمّل أمام القربان المقدّس. وكانت أقوالهُ فصيحة ومحرّكة للقلوب. وأغلب موضوعات عظاتهِ كانت على عواقب الإنسان الأربع فكان الخطاة يخافون من دينونة الله والعذابات الجهنمّيّة فيتوبون ويأتون إليهِ معترفين بخطاياهم. فكان يقبلهم بمحبّة ويساعدهم بمشوراتهِ ونصائحهِ على القيام من سقطاتهم. وكان يأبي قبول ما يقدّمهُ إليهِ بعض الناس من الهدايا إكراماً لاستعرافهِ ايّاهم* وكانت تظهر غيرتهُ بحلم مع أولئك الخطاة الذين يخدعون خدّام الله بهداياهم ليحلّوهم من خطاياهم التي لم يكفّروا عنها كما يجب. وهكذا لم يكن يفلت من يديهِ مريض الاّ بعد أن يكون قد شفاهُ وقطع أصول أدوائهِ* وكان مع اهتمامهِ بخلاص النفوس لا يفتر من تأدية فرائض رهبانيَّتهِ وسياسة الرهبان الذين تحت يدهِ. فكان يفيدهم بتواضعهِ وحلمهِ واحتشامهِ

وحبّهِ للسكوت والانفراد وتقشّفهِ. ولم يكن يبان انّهُ رئيسهم بل خادمهم أجمعين. فلذلك كانوا يحبّونهُ ويحترمونهُ كابيهم*

وفي ذلك الزمان حدث طاعون في البلدة التي كان فيها. فشرع يطوف المدينة ويستعرف الناس ويزور البيوت المطعونة ويداري المرضى ويعزّي الحزانى غير مبالٍ بالخطر الذي كان ممكناً أن يحيق بهِ من جرى مخالطة أولئك المطعونين. وكان يمضي إلى السجون ويفتقد المحبوسين. وحينما كان يرى مسجوناً فقيراً قد أشرف على الهلاك من قِبَل الفاقة فكان يمضي ويستعطي لهُ من الأغنياء ما يسدّ عوزهُ* ومجازاةً لمحبّتهِ وهبهُ الله نعماً غزيرة. من ذلك انّهُ إذ زار يوماً امرأة شريفة كانت مريضة وقد يئس الأطبّاء من شفائها أنبأها بأَنّها عمّا قليل ستقوم سالمةً وتستعيد صحتها. وبعد أن صلّى عليها وطلب من الله شفاءَها قامت ولبست ثيابها. وثبت عندها رجوع صحّتها بصلاة هذا خادم الله الامين*

ويوماً آخر إذ كان ماشياً في الطريق رأَى جنديّاً راكباً حصاناً ولم يكن رآهُ قبل ذلك قطّ فقال لهُ: يا أخي أرغب إليك أن تصغَ إلى تنبيهي الخلاصيّ. انّك لك عادة أن تجدّف دائماً على اسم المقدّس غير ناصتٍ إلى المواعظ والتنبيهات. وهذه المرّة الأخيرة التي ينبّهك فيها الله بفمي. فان اصطلحت والاّ فسيحلّ بك عمّا قليل ضربة سيف تميتك عاجلاً وتخسر حياة جسدك ونفسك. فجعل الجنديّ يهزأُ بهِ ويضحك على أقوالهِ غير مفتكر بانّ نبوّة القدّيس ستصحّ فيهِ يوماً. فبعد أيّام

ارتكب جنايةً فأُخِذَ وضُرِب رأسهُ بالسيف ومات من دون أن يحصل لهُ وقت فيهِ يعرف نفسهُ*

وكانت هرطقة البروتستنت قد شاعت في ذلك الزمان في بلاد سويس وأوشكت أن تفسدها. فهمَّت روساء الكنيسة الكاثُليكيّة أن يوقّفوا مساعيها. فطلبوا من رئيس الكبّوشيّين في تلك البلاد رسلاً غيورين يقدرون أن يشدّدوا الكاثُليكيّين الذين هناك بالايمان. ولمّا كانت شهرة الاب امين شائعة لغيرتهِ وشهامتهِ على خلاص النفوس اقاموهُ رئيساً على هذه الرسالة. فقبل هذا الحمل الثقيل المخطر بمحبّة ورضى راجياً أن يربح بهِ اكليل الاستشهاد لأنّ الله أوحى إليهِ بذلك. فانّهُ حينما كان يتوادع مع أهل المدينة قال لهم: انّكم لن تروني فيما بعد لأنّ الله يدعوني لأعطي حياتي ليسوع المسيح وأنا ذاهب طاعةً لله* وقال أيضاً لوالي المدينة الذي كان صديقهُ. ها انّني أتيتُ إليك مرّةً أخرى لأنّ موتي قد دنا. فاترك بين يديك وديعة الايمان فعليك بحفظها. وأناشدك بيسوع المسيح أن تفرغ كلّ جهدك بمحاماة ديانة آبائك من الهراطقة وان تقاوم وتقهر الأضاليل التي قد دخلت بعض البيوت في هذه المدينة. وكن محامياً للفضيلة ومحارباً لروح الرذيلة وثبّت السلامة بين المسيحيّين وانصف للأرامل والأيتام وكن لهم أباً فتحفظ بذلك فخر مدينتك*

ثمّ بارك جميع الرهبان والدموع منسكبة من عيون الحاضرين وودّعهم وأخذ المرسَلين معهُ وانطلق. وكان أيّة مدينة أو قرية

دخلوها يكرز امين بحقيقة الايمان للكاثُليكيّين وللبروتستَنت. وأوّل من اهتدى على يديهِ رجل من الأشراف قد نشأَ في المذهب البروتستَنتيّ يدعى أَدُلْف وكان من أمهر العلماء وأقوى المحامين لشيعة البروتستنت. فهذا لمّا سمعهُ يكرز ووعى أقاويلهُ أحسّ على الضلالة التي كان فيها فجاء إليهِ وسأَلهُ أن يزيل عنهُ بعض شكوك كانت توسوسهُ وتمنعهُ من الرجوع إلى الديانة الكاثُليكيَّة. فازالها عنهُ القديس واقنعهُ فآمن تماماً بكلّ ما تومن بهِ وتعلمهُ الكنيسة الكاثُليكيَّة. فعانقهُ الاب امين واستعرفهُ ثمّ أشركهُ في مائدة الربّ. فعند ذلك اجتمع إليهِ جمع غفير من البروتستنت طالبين إليهِ أن يفهّمهم أضاليلهم. ففرح القدّيس بذلك وشرع يعظهم. فبعد أن أقنعهم كمل فرحهُ إذ رآهم يدخلون في حضن الكنيسة الكاثُليكيّة الرومانيّة*

وجاء إليهِ يوماً رجل من أكابر البروتستنت وطلب إليهِ أن يحضر في مكان مشتهر للجدال مع علماء البروتستنت. فأجابهُ القدّيس إلى ذلك. فلمّا أفحمهم وفنّد أضاليلهم في ميدان الجدال اقتنع الرجل واهتدى إلى حضن الكنيسة. ولكنّ هذه الأعمال الناجحة ما قدرت أن تصدّهُ عن شوقهِ إلى الاستشهاد* وقال يوماً لأحد رفاقهِ إذ كانوا في الطريق: اني اطلب إلى الله أن يمنحني نعمتين عظيمتين. الأولى أن أقضي حياتي كلّها بدون أن يسمح أن اهينهُ في شيءٍ ما. والثانية ان اسفك دمي إلى آخر نقطة دون ايماننا المقدّس حبّاً لهُ* وكلّ يوم عندما أقدّم الذبيحة الالهيّة أشعر في نفسي بانّي مشتعلٌ بهذا الشوق.

وأرجو انّهُ تعالى يمنحني ذلك بشفاعة مريم العذراء القدّيسة التي أتوسّل إليها أيضاً دائماً أن تستمدّ لي مُنْيَتي بجاهها* وكان متأكّداً بأنّ الله يبلغهُ طلبتهُ فانّهُ قال يوماً لأمير من أصدقائهِ اسمهُ لويس: ها أنا مستعدٌّ للموت ولا أزال أنتظرهُ لأنّي اعلم انّ الله قد هيَّأَ لي اكليل الاستشهاد ولو انّي غير أهل لهُ*

وفي ابتداء سنة ١٦٢٢ دخل في بلدةٍ من أعمال سويس كانت مملكة أوستريا قد ضبطتها. وفي يوم عيد الدنح صعد المنبر وشرع يخطب الناس بالحقّ. فكان السامعون يتعجّبون من سمة القداسة اللائحة على وجههِ والفصاحة السمويّة التي كان يتكلّم بها والغيرة والحلم والاحتشام الظاهرة في عينيهِ وشدّة صوتهِ وسموّ أقاويلهِ* وكان الناس يتقاطرون أفواجاً أفواجاً من الأماكن المجاورة لتلك البلدة إلى استماع خطباتهِ وارشاداتهِ المقدّسة. فكان الكاثُليكيّون يفرحون بتثبيت ايمانهم ولكنّ البروتستنت كانوا يغتاظون إذ كان يدحض اضاليلهم. وجزم شيوخهم على قتلهِ ولكنّهم كانوا يخافون من الملك فانّهُ كان محامياً للديانة الكاثُليكيَّة الرومانيَّة. فاجمعوا على أن يثيروا فتنةً وشغباً في المدينة لعلّهم بذلك يقدرون أن يمنعوا المرسَلين من الوعظ بما يضادّ معتقدهم ويلقوا عنهم نير مملكة اوستريا. فشرعوا في عمل ما عزموا عليهِ* أمّا القدّيس أمين الغيور فكان منعكفاً على أعمال الوعظ. وحينما كان يختم خطبتهُ كان ينبئ السامعين عن موضوع العظة التي يخطبهم بها في الغد. وكان كلّ يوم يلد أولاداً جديدين للكنيسة المقدّسة حتى

من شيوخ البروتستنت نفسهم*

وهذا النجاح العظيم لا يُنسَب إلى تعاليمهِ فقط بل إلى قداسة سيرتهِ أيضاً: فانّهُ كان دائماً يمشي حافياً ويطوف من مكان إلى مكان معلّماً الصبيان الصغار التعليم المسيحيّ. ولم يكن يبالي بمشقّة الأسفار وخوض الأخطار ولا بالجليد والثلج والأمطار. حتى انّ شيوخ البروتستنت كانوا يتعجّبون من أعمالهِ ولا يقدرون أن ينكروا عليهِ الثناء ولكنَّهم كانوا مع ذلك مصرّين على أضاليلهم. وكان القدّيس أمين يقضي جزْءاً كبيراً من الليل رافعاً يديهِ إلى السماء طالباً من الله بدموع غزيرة ان ينعم عليهم بالرجوع. ومع كلّ هذه الأعمال التي كان يتعاطاها كان كلّ يوم يصلّي صلاة الفرض ويتلو مسبحة ورديّة مريم العذراء الطوباويّة* وجعلت قداسة سيرتهِ وشهرتهُ أن تثق بهِ الأمم فكانوا يحترمونهُ ويحبُّونهُ. وشاع اسمهُ في كلّ مكان فكانت رسائل الثناء تتوارد إليهِ من البابا والأساقفة ومن الملك أيضاً. وكانوا يشكرون الله الذي نجّح تلك الرسالة على يد عبدهِ امين*

امّا أعداؤهُ الذين كانوا قد جزموا على قتلهِ فكانوا ينتهزون الفرصة لينبذوا عنهم نير ملك اوستريا. فلتوقيف عصيانهم وضع الملك طائفةً من جنودهِ مسلّحين في أماكن مختلفة*

وأُوحي إلى القدّيس امين بما عزموا عليهِ. فانطلق إلى أحد قُوّاد الجيوش وقال لهُ: انّ هولاء الأقوام عمّا قليل يعصون ويثيرون شغباً عظيماً في هذه البلاد ويسبّبون أضراراً جسيمة. فصحّ كلامهُ إذ

انَّهم بعد زمان يسير قاموا جميعاً وقهروا الجنود وقتلوهم وضبطوا الحصون ونجَّسوا الكنائس وكدّروا راحة المومنين وآذوا الكهنة وعملوا كلّ ما الهمتهم بهِ هرطقتهم*

وفي مدّة هذه الايّام المحزنة لم يكن القدّيس امين يفعل شيئاً سوى أن يتأَهّب للموت. فكان يقضي لياليهُ منحنياً أمام القربان المقدّس أو يسوع المصلوب مصلّياً على أولئك الذين كانوا عتيدين ان يقتلوهُ عمّا قليل. وكان يتوسَّل إلى مريم العذراء ان لا تهملهُ بل أن تستمدّ لهُ نعمة الثبات في الجهاد الذي كان قدّامهُ*

ولمّا حان يوم ظفرهِ وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر آب سنة ١٦٢٢ دخل قرية تدعى كروش وكان العصاة متحصّنين فيها من جنود الملك فاعترف امين لرفيقهِ بتوجّع عظيم على ما سلف منهُ من النقائص وقدَّس القدّاس. ثمّ صعد المنبر وجعل يخطب بشجاعة وبلاغة مثبّتاً للناس الحقائق الكاثُليكيّة. فتعجَّب السامعون منهُ واعترفوا بانَّهم لم يسمعوا قطّ عظة نظير تلك. ولمّا ختم عظتهُ اصفرّ وجههُ وانقطع صوتهُ وجمد جسدهُ وكانت عيناهُ شاخصتين إلى السماء فظنُّوهُ قد مات غير انّهُ كان قد غاب عن صوابهِ برهةً واعلمهُ الله بانّهُ في ذلك اليوم ينال اكليل الشهادة. فلمّا رجع إلى صوابهِ احترّت غيرتهُ وجاد صوتهُ وتشجّعت قواهُ. وبعدما نزل من المنبر أمر رفيقهُ ان يبقى في تلك القرية ليسمع اعترافات المؤمنين. ثمّ عانقهُ وقال لهُ: ها انّني منطلق لاكرز في قرية ساوس وهناك ينتظرني الكاثُليكيُّون كما

تعلم ولو انّني عالم بما سيحلّ بي في هذا اليوم فاستودعتُك الله. صلِّ لأجلي. ثمّ انطلق للوقت. وفي طريقهِ صادفهُ كاثُليكيٌّ فلمّا رآهُ مسرعاً في المشي قال لهُ: اين تنطلق هكذا سريعاً وان هجم عليك الهراطقة فما تصنع. فقال رجل الله: اصنع مثلما يصنع الشهداء. واقبل الموت بفرح مثلهم لأجل حبّ يسوع المسيح واعتبر ذلك نعمة عظيمة لي إذ أتشرّف بالموت كجنديّ شجيع ليسوع المسيح ماسكاً سيف انجيلهِ بيدي*

ولمّا وصل إلى قرية ساوِس قُرِعت النواقيس فاجتمع الكاثُليكيُّون إليهِ فصعد المنبر وشرع يخطبهم محرّضاً ايّاهم ان لا يتَّخذوا الاّ ربّاً واحداً وايماناً واحداً ومعموذيّة واحدة. وان يستمرّوا امينين في الايمان وأن يصلّوا من أجلهِ. وعند نهاية العِظَة صارت ضجّة عظيمة وعمد الجميع إلى السلاح. وذلك انّ عساكر الملك هجمت على العصاة لتقاتلهم وتخرجهم من الحصون التي كانوا قد ضبطوها. فظنّ الهراطقة انّ الاب امين هو الذي حرّك تلك العساكر عليهم. فانتهزوا الفرصة للانتقام. ودخل أحدهم إلى الكنيسة واطلق عليهِ بارودتهُ فلم تصبهُ. ففهم عند ذلك شهيد اله أن قد بدأَ جهادهُ. فخرج من الكنيسة واختلط بين الجنود وخرج من تلك القرية قاصداً قرية كروش التي ترك فيها رفيقهُ. وفيما هو في الطريق نظر فإذا بعشرين من جنود الهراطقة آتين إليهِ مسرعين وكان مقدّمهم أحد شيوخ البروتستنت. فلمّا دنوا منهُ صاح عليهِ أحدهم: أأَنت هو أيُّها الشقيّ زارع الفتن الذي يريد أن يُدعَى نبيّاً. قل انّك كذبت والاّ تعدم حياتك على يدي. فقال امين. انّي لم

انذركم الاّ بالحق الأبديّ الذي هو ايمان آبائكم وأنا مستعدّ أن أبذل حياتي لكي تعلموا هذا الحقّ. فقال أحدهم: لسنا هنا للمجادلة أتريد أن تصير من مذهبنا ام لا* فقال لهُ أمين: أنا أُرسِلتُ بينكم لكي اكشف عنكم الظلام لا لكي اتمسّك باضاليلكم* فعند ذلك ضربهُ أحدهم ففجَّ رأسهُ وطرحهُ على الأرض مجندلاً. فقام بشجاعة وجثا على ركبتيهِ ورفع يديهِ وعينيهِ إلى السماء وقال بصوت منقطع كما قال معلّمهُ وهو على الصليب: اغفر يا إلهي اغفر لأعدائي الذين اعمتهم شهوتهم وجعلتهم ان لا يدروا ما يفعلون. ارحمني يا يسوع وأنتِ يا مريم امّي احضري عندي في هذه الساعة. وعند ذلك تكاثرت عليهِ ضربات السيوف حتى فتحت جمجمتهُ فوقع على الأرض متمرّغاً بدمهِ. ولم يكفّوا سيوفهم عنهُ حتى مزّقوهُ وقطعوا رجلهُ اليسرى قصاصاً لهُ على كلّ الأسفار التي تعاطاها لهدايتهم*

وهكذا مات هذا الشهيد الأمين المعظّم في اليوم الرابع والعشرين من شهر آب سنة ١٦٢٢ التي هي السنة الخامسة والأربعون من عمرهِ والسنة العاشرة لدخولهِ في الرهبنة* وكان ذلك اليوم كلّهُ مجندلاً في الأرض ومائتاً وعرضةً لحقارات الهراطقة الذين كانوا يمرّون من تلك الطريق ويشاهدونهُ وترتقص قلوبهم القاسية فرحاً بموتهِ* امّا رفيقهُ الذي تركهُ في قرية كروش فاصابهُ من الهراطقة ضربات سيوف كثيرة ولكنَّ جروحهُ شُفيت فكان يتأسَّف على عدم استحقاقهِ للاستشهاد كمعلّمهِ* وكانت عصاوة اولئك الهراطقة تزداد ويكثر خرابهم فالتزم

لويس قائد جيوش الملك أن يقابلهم بعساكرهِ فطلب من الله بشفاعة شهيدهِ امين ان ينصرهُ عليهم. ولمّا اقتتل الجيشان وقعت الدائرة على العصاة فكرّوا القهقرى ولحقتهم جنود الملك وفتكوا بهم فمنهم قُتِلوا ومنهم تبدّدوا ومنهم أُسِروا. وبعد أيّام قليلة هدأَت زوابع الشغب والفتن وخضعت البلاد* امّا شيخ البروتستنت الذي كان حاضراً في استشهاد مار امين فاهتدى إلى الديانة الكاثُليكيَّة واقتدى بهِ جمٌّ غفير من طائفتهِ. وأثمر رجل الله بموتهِ أكثر ممّا أثمرهُ في حياتهِ. لأنّهُ في جميع الأجيال صار دم الشهداء زرعاً للحيوة حسبما قال ربّنا ومعلّمنا الالهي: الحقّ الحقّ أقول لكم انّ حبّة الحنطة ان لم تقع في الأرض وتَمُتْ بقيت وحدها. وان هي ماتت أتت بثمر كثير.

ولمّا حصل الامان والسلامة الكاملة في البلاد جاءَ الكبوشيّون إلى قرية ساوس طالبين جسد امين رئيسهم. وكان قد دفنهُ رجل شريف في كنيسة تلك القرية في ثاني يوم من استشهادهِ. فلمّا فتحوا قبرهُ وجدوا جسدهُ سالماً من الفساد وقد كان لهُ منذ دُفن ستَّة أشهر فنقلوهُ إلى مدينة كوار ودفنوهُ في الكنيسة الاسقفيَّة. وجرت كرامات باهرة على يديهِ بعد موتهِ جعلت أن يكتب اسمهُ في سفر القدّيسين*

* اليوم الخامس والعشرون *

مار مرقس الإنجيليّ الشهيد

انَّ مار مرقس الإنجيليّ كان عبرانيّاً جنساً من سبط لاوي قد هداهُ مار بطرس رئيس الرسل بعد صعود يسوع المسيح إلى السماء. ولذلك سمَّاهُ في رسالتهِ الأولى ابنهُ الروحيّ. وكان يحبّهُ جدّاً لأَنَّهُ كان تلميذهُ وترجمانهُ وكان فصيحاً حاذقاً جدّاً* وقد اختلف بهِ المعلّمون فبعضهم قالوا انّهُ هو الذي ذكرهُ لوقا الإنجيليّ في سفر قصص الرسل باسم يوحنَّا المدعوّ مرقس بن مريم بن عمّ برنابا الرسول الذي تبع برنابا وبولس في أحد الأسفار وبسببهِ افترقا في انطاكية وأخذهُ برنابا معهُ إلى قبرص وبولس توجَّه إلى سوريَّة وقيليقيَّة. ولكنَّ الراي الأصحّ هو أَنَّهما مرقسان أحدهما يوحنَّا مرقس بن عمّ برنابا الرسول الذي ذكرهُ لوقا الإنجيليّ كما قلنا وكان من جملة الاثنين والسبعين رسولاً ورفيقاً لبرنابا وبولس. والآخر هو مرقس الإنجيليّ تلميذ مار بطرس الرسول وارفقهُ إلى روميّة وصار ترجمانهُ*

وإذ كان مار مرقس الإنجيليّ مع مار بطرس في روميَّة طلب إليهِ المسيحيّون المهتدون على يد مار بطرس الرسول أن يكتب لهم سيرة يسوع المسيح وأعمالهُ. فكتب لهم إنجيلهُ حسبما تلقّنهُ من فم مار بطرس الرسول. وكتبهُ في اللغة اليونانيَّة على الراي الأصحّ في السنة

العاشرة لصعود ربّنا يسوع المسيح. وثبَّت رئيس الرسل هذا الإنجيل بسلطانهِ وأمر أن يُقرأ في الكنيسة*

وبعدما مكث مار مرقس في روميَّة مدَّة من السنين أرسلهُ مار بطرس أبوهُ ومعلّمهُ إلى اسكندريَّة مصر ليبشّر هناك بإنجيل يسوع المسيح ويضيء لأولئك الأقوام العميان العامهين في أضاليل الديانة الوثنيّة. وكانت الاسكندريَّة إذ ذاك من أشهر مدن العالم. فكان مار مرقس يكرز بالإنجيل فيها وفي سائر أقاليم مصر. فاهتدى بهِ إلى الايمان جمٌّ غفير من اليهود والوثنيّين لما رأوا فيهِ من قداسة السيرة وحقيقة التعليم وبواهر الكرامات التي كان الله يجريها على يديهِ. وهكذا انتشر انجيلهُ في أرض مصر كلّها. وكثير من هياكل الأصنام دُكّت وتشيَّدت كنائس ليسوع المسيح منها كنيسة في الاسكندريَّة عمَّرها مار مرقس على اسم مار بطرس معلّمهِ الذي كان بعد حيّاً. وتثبَّت في تلك الكنيسة كرسيّ بطريركيّ صار الأوَّل بين كراسيّ بطاركة الشرق والثاني بعد كرسيّ رومية وبعدهُ كرسيّ انطاكية*

وبواسطة مشوراتهِ الصالحة وأمثالهِ هجر الدنيا كثير من الناس وانطلقوا وسكنوا في الجبال وفي أقفار مصر وعاشوا هناك بالقداسة وكانوا يبانون كانّهم ملائكة مجسّمة. وكانوا يعيشون بالوصال والسلامة بعض مع بعضهم. ولم يكن فيهم فقير ولا غنيّ لأنَّ الأغنياء كانوا يمدّون الفقراء بجميع احتياجاتهم ويعولونهم. وهكذا كانوا متساوين في العيشة* وكانوا على جانب عظيم من الفضائل متمسّكين بالتواضع

والاحتشام والسكوت ومنعكفين على قراءَة الكتب المقدَّسة والتامُّل المداوم في الله حتَّى انّهم ربّما قضوا النهار من الصباح إلى المساء من دون أن يتناولوا طعاماً الاَّ عند غروب الشمس فكانوا يأكلون قليلاً من الخبز والملح. وبعضهم كانوا يستمرّون ثلاثة أيَّام غير ذائقين طعاماً لأنَّ أنفسهم كانت شبعى ولكنّها جائعة دائماً إلى الخبز الروحيّ. وكانت ثيابهم حقيرة دنيَّة. وبالاجمال انَّ سيرة أولئك النسَّاك تلاميذ مار مرقس كانت مرآة سمويّة ومطابقة لتعاليم الرسل القدّيسين في أوائل الكنيسة. وداموا زماناً طويلاً جيلاً بعد جيل في تلك السيرة. ولذلك دُعي مرقس البشير مؤَسّس النسّاك ورئيسهم الأوَّل* وليس الرجال فقط كانوا سائرين في تلك السيرة بل أيضاً كثير من النساء والأبكار اللواتي قمعنَ طبيعتهنَّ الضعيفة وعشنَ في العفّة الكاملة*

أمَّا العميان من الوثنيّين الذين لم يقدروا أن ينظروا إلى النور الساطع الذي أشرق في بلادهم فلمّا شاهدوا أنَّ ديانتهم فُضِحت اضاليلها وانَّ عبادة الآلهة انحطّت جزموا أن يهلكوا ذلك الذي صار سبباً لهذا التغيير والذي بهِ دُكَّت هياكلهم. فلمَّا علم بذلك مار مرقس. أخذ يهيّئ تدبيراً لرعيّتهِ حتّى إذا فقدتهُ لا تبقى بلا راعٍ فرسم أَنْيَان أسقفاً واعدَّهُ خليفةً لهُ في الكرسيّ الاسكندريّ. وسام كهنة وشمامسة في الاسكندريَّة. وطاف في بعض أقاليم مصر ورسم للمسيحيّين أيضاً أساقفة وكهنة. ورجع إلى الاسكندريَّة فرأَى عدد المسيحيّين قد تكاثر ونما ففرح فرحاً عظيماً لنجاح أعمالهِ الرسليَّة*

فلمَّا سمع أعداؤُهُ بقدومهِ أرادوا أن ينجزوا بهِ ما عزموا عليهِ. ففي اليوم الرابع والعشرين من شهر نيسان الذي كان يوم الأحد عند المسيحيّين ويوم عيد سرافيس الاه المصريّين هجم الوثنيّون على مار مرقس في الكنيسة وكان هو حينئذٍ يقدّس. فامسكوهُ ووضعوا حبلاً في عنقهِ وطفقوا يجرّونهُ وأخرجوهُ من الكنيسة ساحبين إيّاهُ في الطرق بشراسةٍ حتَّى ترضَّض جسمهُ وتهشَّم بالصخور والحجارة وتخضَّب بدمهِ* وكان هذا الاب الإنجيليّ المغبوط يشكر ربّنا يسوع المسيح على انَّهُ أهَّلهُ ان يتعذَّب من سببهِ* ثمَّ انَّ المضطهدين طرحوهُ في السجن. فلمَّا انتصف الليل وكان الحرَّاس نائمين على باب السجن وهو مقفول إذا بزلزلة حدثت ونزل ملاك الربّ إلى مار مرقس وقال لهُ: يا مرقس عبد الله تعزَّ فانَّ اسمك مكتوب في سفر الحيوة وأنت حُسِبت من جملة الرسل وسيتخلّد ذكرك إلى الدهر وستقبل الملائكة روحك في السماء وذخائر جسدك ستُكرَم على الأرض* فرفع القدّيس يديهِ إلى السماء وشكر الربّ على هذا الاحسان وتوسَّل إليهِ بتواضع أن يقبل روحهُ بهدوّ وسكون. فأراد فادينا العزيز أن يظهر انَّهُ استجاب طلبتهُ. فظهر لهُ بالزيّ الذي كان فيهِ على الأرض وسلّم عليهِ بحلم قائلاً: يا مرقس نذيري السلام لك. فقال مرقس لك السلام يا ربّي يسوع المسيح. ثمَّ عزَّاهُ الربّ وغاب عنهُ*

وفي الغد صباحاً أتوا إليهِ في السجن وأخرجوهُ وجعلوا يجرّونهُ بالحبال كما فعلوا في الليلة السابقة في الأماكن الوعرة المملوَّة حجارة

وصخوراً إلى أن تنيَّح* وبعد موتهِ أراد جنود ابليس أن يحرقوا جسدهُ المقدّس ولكنَّهم لم يتمكّنوا من ذلك لأنّ الفلك تعكّر وحدث زوابع وبروق ورعود ورياح وأمطار مخلوطة بحجارة آذت كثيرين. فاتى المسيحيُّون وأخذوا جثّتهُ ووضعوها في مكان مقدّس وهم يرتّلون المزامير وشيّدوا كنيسة على قبرهِ. وكان استشهادهُ في اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ٦٤ للمسيح التي هي السنة الثامنة لنيرون قيصر*

* اليوم السادس والعشرون *

جهاد الشهيد باسيليوس اسقف مدينة اماصيا

انّ هذا الشهيد كان في أيّام الملك لِكينيوس مشهوراً بالعلم والعمل. فلمّا سمع بهِ الملك أرسل وقبض عليهِ وأحضرهُ أمامهُ وحاول أن يخدعهُ ليكفر فلم يستطع فألقاهُ في السجن. وكان اثنان من تلاميذهِ يأتيان إليهِ ويصلّيان معهُ. وفيما هم قائمون في الصلوة إذ غاب باسيليوس عن حسّهِ. وظهر لهُ يسوع المسيح وأكّد لهُ اكليل الشهادة العتيد أن ينالهُ بموتهِ حبّاً لهُ* ثمّ بعد أيام أحضرهُ الملك أمامهُ وطفق يتلطّف بهِ ليخدعهُ لعلّهُ يسجد للأوثان. فامّا هذا الشهم الغيور على عبادة الاهِ فلم يشأ أن يطيع الملك بل ازدرى بهِ وبآلهتهِ. فأمر الملك الظالم بجلدهِ وبقطع راسهِ* وبعد ما تنيّح الشهيد طرح المضطهد

جسدهُ في البحر. وفي اليوم السادس والعشرين لاستشهادهِ وجد المسيحيُّون رأسهُ ملتصقاً بجثّتهِ على ساحل البحر فأخذوهُ ودفنوهُ باكرام عظيم. وكان ذلك سنة ٣٢٦ للمسيح*

* اليوم السابع والعشرون *

القدّيسة زِيتا العذراء

انّ القدّيسة زِيتا وُلدت في سنة ١٢١٨ في قرية قريبة من مدينة لُكّا من أعمال إِيطاليا من أبوين فقيرين. بحسب العالم وغنيَّين بالله* فلمّا صار عمرها اثنتي عشرة سنة ورأَت الفاقة الحاصل عليها أهلها توسَّلت إلى أبيها أن يضعها خادمة في بيت أحد أشراف مدينة لُكّا. فأخذها أبوها إلى المدينة وسهَّل الله أمرها إذ صارت زِيتا خادمة في بيت أحد الأغنياء. وجلبت على ذلك البيت بركات الله وما خرجت منهُ حتى موتها*

ولأنّ بيت سيّدها كان قريباً من الكنيسة كانت زيتا كلّ يوم صباحاً تبكّر إلى الكنيسة لتسمع القدّاس وتصلّي طالبةً من الله القوّة لكي تشتغل جيّداً في ذلك النهار* وكانت حليمة الطبع هادئة متواضعة صبورة. وكانت تساعد الخوادم الأخريات وتحتمل منهنّ بصبر كلّ اهانة يُهِنَّها بها. وإذا وُبِّخت على شيء تجيب موبّخها بتواضع

قائلة: اغفر لي هذهِ الزلّة لكي يغفر لك الله ولكن لا تغضب هكذا لأنّك ربّما بهذا تهين الله. وكانت رفيقاتها يحسدنَها على فضيلتها فعذّبنَها كثيراً*

وألهمها الله أن تخصّص نفسها لهُ فعزمت أن تقدّم بتوليّتها ليسوع المسيح وتتّخذهُ عريساً لها. ومنذ ذلك شرعت تقمع جسدها بالرياضات وتذلّهُ تحت العبوديّة بالصوم والتقشُّف. وحاول الشيطان أن يدخل في نفسها ولكنّهُ لم يتمكّن من ذلك لأنَّها كانت تقهرهُ دائماً بمعونة الله* فذات يوم حرّك قلب أحد خدّام البيت عليها بالشرّ. حتى انّ هذا الخادم وثب عليها يوماً بشدّة مراوداً إياها عن نفسهِ. ولكنّ الله أعطاها قوّةً فدفعتهُ عنها بشجاعة* وكانت محبّتها ليسوع المسيح عظيمة ولا سيّما حينما كانت تتناول القربان المقدّس. وكان لها رافة على الفقراء حتى انّها مع فقرها كانت تجد لها وسائط تساعدهم بها. فكانت ربَّما تصوم لتطعمهم* وجزاها الله على جودة قلبها بكرامات أجراها على يديها. فذات يوم جمعت كسراً من الخبز وفتاتاً قد فضلت في بيت مولاها فوضعتها في ذيلها وأرادت أن تحملها إلى بعض فقرائها. فنظرها سيّدها. فقال لها: ماذا في ذيلكِ يا زيتا. فخافت أن تقول لهُ خبز. فالهمها الله فقالت لهُ في ذيلي زهر. فقال لها اريني ايّاهُ. ففتحت لهُ ذيلها فلم يرَ فيهِ سوى زهر*

ويوماً آخر إذ كانت تستقي ماءً من البئر أتى إليها رجل سائح تعبان من الطريق واستسقاها. فلمَّا رأَتهُ شيخاً وانّ تعب الطريق قد

اذهب قواهُ واضناهُ صلّت إلى الله لأجلهِ وأعطتهُ ماءً. ليشرب فتحوّل ذلك الماء خمراً. ولمّا شربهُ رجعت إليهِ قوتهُ واستراح*

وفي تلك الأثناء صارت مجاعة في المدينة وكثرت الفقراء في الشوارع والطرق وهلك جمٌّ غفير منهم جوعاً. فلمّا رأَت القدّيسة زّيتا تلك الأحوال أخذتها الشفقة عليهم. وكان سيّدها قد سلّمها ما في بيتهِ لثقتهِ بها لأنّهُ رأَى انّها منذ دخلت بيتهُ أمطر الله عليهِ بركاتهِ. فإذ لم تقدر القدّيسة زيتا أن تحتمل حزن قلبها على أولئك الفقراء المساكين الذين يموتون جوعاً شرعت تلتمس الحيلة في أن تأتي إلى عونهم* وكان في بيت مولاها صناديق كثيرة ممتلئة فولاً. فعمدت إلى الصناديق وجعلت تقسّم منها على الفقراء من دون علم مولاها. فلمّا نقصت جدّاً انتبهت على نفسها وقالت: الويل لي ان علم بي سيّدي فسيصيبني منهُ أذيّات عظيمة. ولكنّ ذلك أهون عليَّ من أن أرى هولاء الفقراء يهلكون من الجوع* وفي غضون ذلك جاء رجل إلى سيّدها وسأَلهُ ان يبيعهُ الفول الذي عندهُ. فساومهُ في ذلك واتّفقا على البيع والشراء. فجاءَ مولاها إليها وقال لها: يا زيتا قومي افتحي صناديق الفول وزنيها للرجل* فلمّا سمعت ذلك خافت جدّاً من أن يستحسّ بها انَّها وزَّعت منها كثيراً وسأَلت المعونة من الله. فدخلوا إلى المخزن وفتحوا الصناديق فوجدوها ممتلئة لم ينقص منها شيء. فشكرت الله على انّهُ اخفى بجودتهِ عن سيّدها ما فعلت*

وهذه الخادمة كانت في أعين العالم صغيرة ولكنَّها كانت في

عينيَ الربّ عظيمة. وكان الله يملأُها من نعمهِ. وطالما أظهر قداستها بنور عجيب يسطع في حجرتها حينما كانت تصلّي* وذات يوم انطلقت إلى الكنيسة لتسمع القدّاس فغاصت في التأمّل ولم تفق الاّ والشمس قد ارتفعت كثيراً. فخطر في بالها أنَّها في ذلك اليوم يجب أن تصنع خبزاً للبيت. فقامت من الكنيسة مسرعة لأنّ الوقت قد فات وجعلت تفتكر في الأذى الذي سيحلّ بها من جرى ابطائها واهمالها الخبز. غير انّها بينما كانت تصلّي في الكنيسة جاءَت الملائكة وعجنت الخبز بدلها. فلمّا جاءَت ودخلت المطبخ ورأت الخبز معجوناً ومُعَدّاً للتنُّور ظنَّت انّ مولاتها أو رفيقاتها عملنَهُ بدلها. فدخلت عندهنّ لتستغفرهنّ وتشكرهنّ. فلم يفهمنَ سبب استغفارها وشكرانها لأنهنّ لم يشعرنَ بغيابها. ولكن لمّا ذاق أهل المنزل ذلك الخبز النفيس واستنشقوا تلك الرائحة الذكيّة المعبَّق بها فهموا انّ الأيادي السماويّة عجنتهُ*

وفي ليلة عيد الميلاد إذ كانت منطلقة إلى الكنيسة لتحضر في الصلوات الليليَّة صادفها مولاها. ولما رآها لابسة ثياباً خفيفة مع انّ البرد كان مشتدّاً أعطاها عباءَتهُ وقال لها البسيها لتستدفئي ولكن لا تعطيها لأحد. لأنَّهُ كان كلّما أعطاها شيئاً من الثياب وهبتهُ للفقراء. فاجابتهُ القدّيسة زيتا بالسمع والطاعة. وانطلقت شاكرةً الربّ على جودة سيّدها* فلمّا دخلت باب الكنيسة صادفت شيخاً فقيراً عرياناً يرجف من البرد فقالت لهُ: يا أخي العزيز ما لَكَ. فلم يجبها الشيخ بشيءٍ. ولكنّ نظرتهُ وحركاتهِ كانت تشير جليّاً على انّهُ كان يطلب

العباءَة. فلم يقتضِ أكثر من تلك الإشارة لزيتا لتفهم معناهُ فقالت لهُ: أنا في الكنيسة طول مدّة الصلوات والقدّاس. فخذ هذه العباءَة واستدفئْ بها وإذا خرجتُ فردّها إليَّ ثمّ ألبستهُ ايَّاها ودخلت فارحةً باحتمالها شدّة البرد مع عريسها الذي في مثل تلك الليلة وُلد في اسطبل بيت لحم ووُضع في المذود. وغاصت في التأمُّل في ميلاد المسيح ولم تستفق الاّ وقد طلع النهار. فقامت وخرجت من الكنيسة وأجالت بعينيها لتنظر الفقير الذي استودعت عندهُ العباءَة فلم تَرَهُ لأنَّهُ كان قد أَبَق بها* فعند ذلك جعلت القدّيسة زيتا توبّخ نفسها على انّها لم تحفظ الطاعة لمولاها. ولم تنسب الذنب إلى الفقير بل إلى نفسها قائلةً اني اعييتُ صبرهُ بابطائي فالتزم أن يذهب بها*

فلمّا دخلت البيت ونظرها مولاها مجرّدة من العباءَة غضب عليها وطفق يونّبها على قلّة طاعتها. فتذلّلت بين يديهِ مستغفرةً. وفي تلك الأثناء دخل رجل غريب ورمى العباءَة أمام سيّدها. وفي حال خروجهِ شوهد محفوفاً بالنور. فعرف الحاضرون انّهُ كان ملاكاً*

وكان لها عادة في كلّ يوم جمعة أن تنطلق لزيارة كنيسة من الكنائس تبعد عن مدينة لُكّا نحو ميلين. فذات يوم أشغلتها خدمة البيت وجاوزت وقتها. فانطلقت متوكّلة على الله وقد أدركها الليل. فصادفها في الطريق فارس فقال لها: إلى أين منطلقة في مثل هذه الساعة. أما تخافين أخطار الطريق والمهالك التي أمامكِ. ثمّ خلّفها وذهب كالبرق مع سرعة جري حصانهِ. فلمّا وصل إلى الكنيسة رأَى

القدّيسة جاثيةً أمام الباب. فانذهل من ذلك لأنّهُ كان قد خلّفها وراءَهُ وسبقها. فقال لها: كيف بلغتِ إلى ههنا قبلي. فقالت هكذا شاء الله وهكذا صار*

ولم تفتر القدّيسة زيتا في سيرتها أبداً بل كانت دائماً متقدّمةً في الفضائل* ولمّا حان الزمان الذي فيهِ أراد ربّنا يسوع المسيح أن يكمّل عرسهُ معها في الملكوت السماويّ سمح بأن تعتريها حمّىً شديدة طرحتها في الفراش فعلمت انّ ساعتها قد دنت. فتهيَّأَت للرحيل وأخذت أسرار البيعة المقدّسة. وفي اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٢٧٨ سلّمت نفسها إلى الله* وفي حين موتها ظهر نجم مشعشع فوق البيت لم تقدر أشعَّة الشمس أن تستر أشعّتهُ. وكان الصبيان في الطرق يصيحون: ماتت القديسة. ماتت القدّيسة* وتقاطر جمّ غفير إلى بيت مولاها ليكرموا هذه الخادمة الفقيرة. وكانوا يتنازعون على ثيابها وامتعتها للتبرّك* فيا لمجد خدام الله الذي يختفي أمامهُ مجد العالم. ثمّ جَنّزوها ودفنوها باحتفال عظيم. وشيَّعها أكابر المدينة والجميع يباركون الله وجرت كرامات كثيرة على قبرها من ذلك انّها ردّت البصر للعميان والنطق للصمّ والصحَّة للسقماء. وشاع خبرها في تلك الأمصار كلّها فكان الناس يتقاطرون إلى قبرها أفواجاً أفواجاً مستشفين بشفاعتها* وفي سنة ١٤٤٦ وفي سنة ١٥٨١ وفي سنة ١٦٥٢ فتحوا قبرها فوجدوا جسدها سالماً من الفساد كانّها بعد في الحيوة. ووُجدت كذلك أيضاً في سنة ١٨٤١*

* اليوم الثامن والعشرون *

جهاد وِيطال الشهيد ـ جهاد ثاودورة البتول وديديمُس الشهيدين

جهاد ويطال الشهيد

انَّهُ من جملة الشهداء الذين سفكوا دماءَهم لأجل يسوع المسيح في عهد نيرون كان الشهيد ويطال الذي كان من أشجع الفوارس في مدينة راونَّه. وكان زوج القدّيسة والريا وابا القدّيسَين جرواس وبروطاس الذين استشهدوا جميعاً للايمان. وامَّا استشهاد القدّيس ويطال فهكذا كان*

انَّ الوثنيّين المضطهدين لديانة يسوع المسيح كانوا قد قبضوا في مدينة راونّه على رجل مسيحيّ اسمهُ أُرسِكينُس وكان طبيباً. وأذاقوهُ تعاذيب متنوّعة واحتملها بصبر وشجاعة لأنَّ معونة الربّ كانت معهُ وأخيراً انفذوا عليهِ القضاء بالموت. ولمّا أخذوهُ إلى ميدان الشهادة ليقطعوا راسهُ ضعفت شجاعتهُ ولا سيّما عند رؤيتهِ السيّاف والسيف بيدهِ فارتعدت فرائصهُ وكاد يُغلب ويسجد للآلهة الكذبة. وكان ويطال حاضراً. فلمّا راهُ تحنّن قلبهُ عليهِ وقال لهُ: ما لكَ يا أَرسِكينُس. ماذا يشكّكك أو ماذا يخوّفك أنت الطبيب الذي شفيت كثيرين وتعجز الآن عن شفاء نفسك. وقد أصابك كثير من العذابات القاسية وتريد أن تخسر في هذه البرهة الوجيزة كلّ ما ربحتهُ. تذكّر انّك بهذا الموت

الذي ينقضي في هنيهة وجيزة من الزمان تشتري حيوةً أبديَّة لا نهاية لها* فاثّرت أقوال ويطال في قلب ذلك الرجل وشجّعتهُ وجعلتهُ ان يمدّ عنقهُ بشجاعة إلى الجلاّد فقطع رأسهُ. وعند ذلك أخذ ويطال جسدهُ ودفنهُ باكرام عظيم* فلمّا سمع القاضي أقوال ويطال واعمالهُ وعلم انّهُ مسيحيّ قال لهُ: اترك خرافات النصارى وتمسّك بديانة الروم القديمة والاّ فيحلّ بك الوبال* فضحك ويطال عليهِ وقال لهُ: لستُ أشاء أن أجحد خالق السماء والأرض واسجد لآلهة باطلة* فأمر القاضي بتعذيبهِ. فاحتملها ويطال بشجاعة وتجلّد. ثمّ خلّعوا أعضاءَهُ وهو لم يتزعزع* فلمّا رأَى القاضي ثباتهُ أمر أن يأخذوهُ إلى المكان الذي قُتِل فيهِ أُرسِكينُس ويحفروا لهُ فيهِ حفرة ويدفنوهُ فيها حيّاً فيختنق. فأخذهُ الجنود وعملوا بهِ أمر القاضي. فمات مختفياً ونال اكليل الشهادة* وكان كاهن لافلّون الاه الرومانيّين قد حرّك القاضي على قتلهِ. فلمّا استشهد ويطال اعترى روح شرّير هذا الكاهن الوثنيّ وعذَّبهُ جدّاً فشرع يصيح قائلاً: أنت تحرقني يا ويطال. أنت تعذّبني يا ويطال. أنت تزجّني بجملتي في النار يا ويطال* وبعد أن تعذّب هكذا سبعة أيّام طرح نفسهُ في نُهَير وغرق. وهكذا عاقبهُ الله على المشورة الرديّة التي أعطاها على خادمهِ القدّيس الذي بعكسهِ استحقّ أن يموت شهيداً لأجل المشورة الصالحة التي أعطاها لأُرسِكينُس*

جهاد ثاودورة البتول وديديمس

الشهيدَين

قال القدّيس امبروسيوس المعظّم معلّم الكنيسة كان في مدينة انطاكية جارية صالحة ذات جمال رائق وكانت تبغض المعاشرات العالميَّة وتخفي نفسها عن العالم. ومع ذلك فكان كثيرون مضطرمة قلوبهم لهواها لما كانوا يسمعون عن جمالها. فلمّا لم يقدروا أن يميّلوها إلى ما يرغبون إليهِ شرعوا يشتكون عليها بانّها مسيحيّة. فأُتي بها أمام القاضي فاراد ذلك القاضي الخبيث المنافق أن يكفّرها أولاً ثمّ ينزع منها بكارتها* فلمّا رآها القاضي ثابتةً لا تتزعزع وانها تؤثر الف موتة على أن تكفر قال لها: ان ذبحتِ للآلهة والاّ أرسلتكِ إلى بيت المفضوحات* فلمّا سمعت القدّيسة هذا القضاء قالت في نفسها: أنا اليوم داخلة في حرب يريد العدوّ أن يهلكني فيها إذ انّهُ يحاول أن يخطف منّي إمّا اكليل العذارى وإِمَّا اكليل الشهداء. ولكن بمعونة الله لا يقدر أن ينزع عني اكليل الشهداء لأنّني أموت حبّاً لله. ولا اكليل العذارى أيضاً لأنّهُ تعالى يحفظني بكرامة يمينهِ. وان كان جسدي سيصيبهُ حقارات فانّ إرادتي بعون الله ستبقى عديمة الرضى بذلك. ولي رجاء بالاهي انّي لا أخسر بتوليَّتي*

ثمّ انّ القاضي إذ رأَى ثباتها حكم عليها بان تُؤْخذ إلى بيت المفضوحات. فأخذ ذئاب الشيطان هذه نعجة يسوع المسيح الزكيّة ووضعوها في حجرة وصاروا يهجمون عليها لكي يخزّقوها. امّا هي فرفعت عينيها

ويديها إلى السماء واستودعت نفسها إلى الله وتوسَّلت إليهِ أن يصونها من هذا الخطر كما صان دانيال من فم الأسود الضارية وحفظ سوسنّة من أولئك الشيوخ الارديا‌ء* ولمّا فرغت من صلاتها إذا بجنديّ مهيب مدجَّج بالأسلحة دخل عليها وكان اسمهُ ديديمُس. فلمّا رأَتهُ ارتاعت منهُ وجعلت ترجف. فلمّا رآها الجنديّ وما حلّ بها من الخوف قال لها: هدّئي روعكِ ولا تضطربي يا أختي فانّي لستُ آتيكِ كعدوّ بل كاخ ولا بنيّة ان اهلككِ بل بنيَّة أن أخلّصكِ واحفظ نفسكِ. وأنا أسأَل الله أن أكون كما دخلتُ عليكِ بهيئة فاجر اخرج شهيداً. فخذي الآن ثيابي وتوشّحي بسلاحي والبسي درعي وخودتي واخرجي بسلام فلا يعرفكِ أحد واعطيني ثيابكِ فانّها جديرة بي. وهكذا ثيابي تحفظ بتوليّتكِ وثيابكِ تجعلني جنديّاً حقيقيّاً ليسوع المسيح. قال هذا وخلع ثيابهُ العسكريّة وناولها ايّاها. فيا للقوّة العجيبة التي في الديانة المسيحيّة ويا لقدرة نعمة روح يسوع المسيح. فهذه الفتاة القدّيسة إذ رأَت انّ ذلك آتٍ من الله بدَّلت ثيابها مع ديديمُس وخرجت عذراء من ذلك المكان النجس كما دخلت فيهِ من دون أن يعرفها أولئك الذين كانوا يحرسونها على الباب*

ولمّا انطلقت دخل أحد الشباب الأنجاس في تلك الحجرة لكي يقضي فيها وطرهُ قهراً. فلمّا اقترب رأَى رجلاً لابساً ثياب نساءٍ. فراعهُ ذلك وظنَّ انّ الجارية تحوّلت رجلاً. فخرج حالاً ومضى إلى رفاقهِ وأَخبرهم. فخانوا جدّاً من يسوع المسيح الذين طالما شاهدوا كراماتهِ على

أيدي خدّامهِ. وأخيراً أقرّ ديديمُس بما فعل وانّهُ بدّل ثيابهُ مع تلك الجارية لكي ينجّي بتوليّتها من الغرق ويموت عنها مسيحيّاً. فأخذوهُ إلى القاضي فأمر بقطع رأسهِ*

ولمّا سمعت ثاودورة بالقضاء الذي أُنفِذ على ديديمُس بسببها لم تؤْثر البقاء هي أيضاً لأنّ محبَّة الله قد شعلت قلبها. فأسرعت حالاً إلى ميدان الشهادة فرأَت جنود ابليس قد ازمعوا أن يضربوا عنق محاميها. فحينئذٍ صرخت إليهِ قائلةً: يا خادم الله انّك تفعل أكثر ممّا كنتُ أريد. لأنّي اخترتك محامياً لبتوليَّتي لا لكي تموت عنّي. فالآن قد حضرتُ لاوفيك على احسانك معي. انّي لم أهرب خوفاً من الاستشهاد بل خوفاً على بكارتي. ولم أبدل معك ثيابي لكي استر تحتها ديانتي كلاّ ثمّ كلاّ. فالآن ان أردت أن تموت عنّي فاعلم انّك تسبّب لي خجلاً أكثر ممّا تسبّب لي فرحاً* فقال ديديمُس. يا عروس يسوع المسيح انّما أنا المقضيّ عليَّ بالموت ولا أنتِ. علامَ نعطي حياتين عوض واحدة فانّ القاضي إذ قضى عليَّ بالموت قد تغاضى عنكِ*

واخيراً قُطع راساهما وتكلّلا كلاهما بالاستشهاد وكان ذلك سنة ٣٠٤*

* اليوم التاسع والعشرون *

مار بطرس الدومِنِكيّ الشهيد ـ ياسون وسوسيبطرس الرسولين

مار بطرس الدومِنِكيّ الشهيد

انّ مار بطرس الشهيد مرآة القداسة وفخر رهبنة الأخوة الواعظين وُلد في مدينة وارونة من أعمال لمبردية في سنة ١٢٠٥ من أبوَين هرطوقيَّين منغمسَين في الضلالة. ولقد شاء الله الذي يُخرج الورد من الشوك والماء من الصخرة والنار من الحجر أن يُخرج الورد من الشوك والماء من الصخرة والنار من الحجر أن يُخرج أيضاً هذا القدّيس الشهيد بطرس من أبوَين اعميَين لكي يجعلهُ نوراً لكثيرين وسراجاً يضيء بقداسة سيرتهِ وتعاليمهِ لأولئك الهراطقة الجالسين في الظلمة وظلال الموت*

ولمّا بلغ من العمر سبع سنين أرسلهُ أبواهُ إلى المدرسة. وكان معلّم تلك المدرسة كاثُليكيّاً. فحدث ذات يوم انّهُ لمّا رجع من المدرسة سأَلهُ أحد أعمامهِ قائلاً: ماذا تعلّمتَ في المدرسة. قال الصبيّ: اني قد تعلّمتُ قانون الرسل وهو: نومن بالاهٍ واحد خالق السماء والأرض والباقي. وقرأَهُ على ظهر قلبهِ أمام عمّهِ. فزجرهُ عمّهُ على انّهُ تعلّم ذلك. فشرع الصبيّ يجادلهُ بحرارة. فجاءَ عمّهُ إلى أخيهِ أبي بطرس وأشار عليهِ أن يخرجهُ من تلك المدرسة. فقال أبوهُ انّهُ صغير بعد ومتى ما كبر نعلّمهُ

الحقّ* ولمّا صار عمرهُ أربع عشرة سنة أرسلوهُ إلى امّ مدارس بُلونيا* وبين شبّان تلك المدينة المفسدين حفظ طهارتهُ البتوليّة وسائر فضائلهِ بمعونة الله القادر الذي حفظهُ من الهرطقة ومن سائر الشرور* وفي ذلك الزمان عينيهِ جاءَ مار عبد منشيء رهبنة الواعظين ليكرز في مدينة بُلونيا. فاحسّ هذا الصبي بشوق عظيم إلى اتّباع هذا القدّيس الجليل. فقصد مار عبد الأحد ووقف أمامهُ وخاطبهُ* وبعد ما اختبر مار عبد الأحد دعوتهُ قبلهُ في جملة تلاميذهِ. والبسهُ بيديهِ ثوب الأخوة الواعظين* وبعد أيّام قليلة مات مار عبد الأحد مباركاً هذا الراهب الجديد المبتدئ الذي كان يحبّهُ*

وكان مار بطرس مواظباً على الصلوة بلا انقطاع. وكان ذا غيرة عظيمة كابيهِ السعيد مار عبد الأحد. وكان يصنع تقشّفات عظيمة شديدة حتى وقع مريضاً وقارب الموت ولكنّ الله شفاهُ باعجوبة. فامرهُ روساؤهُ بان يقلّل تقشّفاتهِ فأخذت صحّتهُ تتراجع قليلاً فقليلاً* وكان الناس يتعجّبون من تواضعهِ واحتشامهِ وسكوتهِ. وكان يقول انّ الكسل سمّ يقتل النفوس. وكان يعيّن لكلّ ساعة أشغالاً خصوصيَّة* وكانت كلّ ساعاتهِ مقسَّمة بالصلوة والدرس وقراءَة الكتب المقدّسة وخدمة المرضى والخدَم الدنيّة في الدير كالكنس وما أشبه ذلك* ولكثرة ولعهِ في الدرس برع في العلم إلى الغاية. ولافراط محبّتهِ لله والنفوس الخاطئة صار خطيباً بليغاً*

ولمّا بلغ من العمر أربعاً وعشرين سنة رسموهُ كاهناً. ولكي يظهر

شكرانَهُ لله الذي منحهُ هذه النعمة وهي انّهُ خلّصهُ من الهرطقات وفساد الدنيا. نذر لهُ نفسهُ في ترجيع الهراطقة إلى الايمان* وكان كلّما قدّس القربان الإلهيّ يقول في وقت الكلام الجوهريّ وهو رافع بيديهِ يسوع المسيح: يا يسوع امنحني أن أموت لأجلك ولأجل الخطاة* وكان في صلاتهِ يطلب من الله هذه النعمة وهي أن يكون كاهناً طاهراً قدّيساً وأهلاً لخدمة يسوع المسيح*

ثمّ بعد ذلك أرسلتهُ روساؤهُ ليكرز في جميع مدن إِيطاليا ونجح جدّاً في وعظهِ ورجّع إلى الايمان جمّاً غفيراً من الهراطقة في بلاد رومانية وتُسقانا وبُلونيا وفي مدينة مديولان* وأراد الله أن يجرّب عبدهُ هذا بنوائب لكي يعدّهُ لأخذ اكليل الشهداء. وأوّل ما جُرِّب بهِ كان من جرى أخوتهِ الرهبان. ولسبب هذه الضيقات التي كان يقاسيها منهم كان يسوع المسيح ومريم العذراء والقدّيسون كثيراً ما يأتون ليزوروهُ في قلاّيتهِ وهو كان يستر ذلك من تواضعهِ* وبينما كان يصلّي ذات ليلة إذا بالقدّيسة كيكيليا والقدّيسة اغنيسة جاءَتا عندهُ وشرعتا تتكلّمان معهُ بصوت عظيم وترتّلان تسابيح الله بكلام يُسمَع من بعيد. فسمع الرهبان ذلك وجاءُوا إلى باب قلاّية القدّيس ودخلوا فرأَوا عندهُ امرأَتين. فانصرفوا متشكّكين. وحكوا ذلك للرئيس. فجاء الرئيس إلى بطرس وقال لهُ: يا مغضوباً عليهِ من أعطاك اذناً أن تُدخِل نسواناً إلى الدير. انّ ذلك لحرام. فأبى القدّيس من تواضعهِ ان يبرّي نفسهُ. فغضب الرئيس عليهِ وعقد مجلساً من الأخوة فحُكِم عليهِ بالسجن*

وبقي محبوساً في الدير نحو سنة ونصف. ولم يكونوا يعطونهُ سوى ماءٍ وخبز فقط. وكان يحتمل ذلك بصبر وتواضع راجياً الحماية والتبرير من السماء* فلمّا رأَى انّ الربّ ابطأَ في تزكيتهِ وانقاذهِ. شرع يقلق من الحزن ويبكي بكاءً شديداً. وإذ كان في الكنيسة جاثياً أمام المصلوب جعل يتشكّى كما يتشكّى الابن الصالح إلى أبيهِ الرحوم قائلاً: ما هذا يا يسوع الستَ عالماً ببرارتي. أَعدلٌ هو من أجل نوالي احساناتك أن أكون محبوساً ومحتقراً ومطروداً وعاراً أمام الناس وحزيناً ومبليّاً في هذه الحال الشقيّة. أو لعلّك لأنّي اسكت لا تتكلّم أنت. وبعد عبور كلّ هذه الأيّام لا تقوم لمحاماتي. لماذا ترضى بان أتألّم كلّ هذا الزمان باحتمال العار مع انّي بريّ* فعند هذه الكلمات المحنّنة أجابهُ يسوع من الصليب قائلاً: يا بطرس وأنا ماذا صنعتُ حتى أكون على الصليب وجارياً الدم من جسمي وأنا مائت بيد الخطاة العاصين. تعلّم منّي الصبر على المصائب حتى تنال الاشتراك معي في المجد* فأخذ بطرس الصليب وجعل يقبّلهُ قائلاً: يا يسوع زد أوجاعي ولكن زد صبري* وأخيراً لم يشأ أبو المراحم أن يترك عبدهُ في تلك الحالة أكثر من ذلك الزمان فاعلن برارتهُ وقداسة سيرتهِ لرهبان ديرهِ. فاستدعاهُ روساؤهُ باكرام وصار معتبراً عند جميع أخوة رهبنتهِ*

ثمّ أرسلوهُ من جديد ليكرز بغيرة جديدة ونجاح عظيم. وكانت أعمالهُ الرسليّة مصحوبة في كلّ مكان بالنعم والبركات. ولا يقدر أحد أن يحصى عدد الخطاة الذين رجَّعهم إلى التوبة والهراطقة إلى الايمان

وكان يؤَيّد وعظهُ بكرامات كثيرة مشهورة وأكثر من ذلك بحسن سيرتهِ* وعندما كان يمشي جهراً كان جمٌّ غفير من الناس يأتون إليهِ وهو يكون بينهم محصوراً من شدّة ازدحام الجمع. فكان بعضهم يطلبون بركتهُ وبعضهم يقصدونهُ بمرضى ليشفيهم وبعضهم يستشيرونهُ* وكثيراً ما حينما كان يدنو من المدينة التي كان يريد أن يكرز فيها كان سكّانها يخرجون للقائهِ حاملين الصليب واللواء ومزمّرين بالصافور والطبول. وربّما كان الجند يحملونهُ في الكرسيّ على أكتافهم لئلاّ يكون مداساً للزحام*

وكانت خطباتهُ ذات تأثير عظيم. ولذلك عزم الشيطان أن يحاربهُ. فذات يوم إذ كان يكرز والناس يسمعونهُ باصغاء تزيّا الشيطان بزيّ حصان أسود هائج وجعل يثب أمام الجماعة مريداً أن يدخل بينهم ويدوسهم فاضطربوا اجمعون. فلمّا رأَى القدّيس ذلك علم انّها مكيدة من الشيطان. فرسم علامة الصليب فاضمحلّ ذلك الخيال الجهنّميّ*

وفي سنة ١٢٣٤ نصبهُ البابا غريغوريوس التاسع رئيس المفتّشين عن الايمان لكي يدافع في كلّ إِيطاليا الهرطقات التي كان غرضها ابادة الايمان وحسن الاعمال. ولذلك كان الهراطقة يلحقونهُ ويرصدونهُ في مكامنهم ويعادونهُ. وكانوا يلتمسون وقتاً مناسباً ليقتلوهُ* وإذ كان يوماً يكرز في شارع المدينة لأنّ الكنيسة لم تكن تكفي للناس الذين كانوا يأتون ليسمعوا وعظهُ. كان رجل هرطوقيّ حاضراً هناك. فقام في

وسط الجمع وقال لهُ. أريد أن أسأَلك سؤَالاً صعباً فان اجبتني صرتُ كاثُليكيّاً. ولكنَّ القدّيس علم انَّ هذا الإنسان كان محرّكاً من الشيطان وانَّ السؤَال الذي كان يريد أن يسأَلهُ انَّما آخرتهُ تشكيك الناس الذين يسمعونهُ. فطلب القدّيس من الجمع مهلةً وذهب وصلّى في الكنيسة. ولمّا رجع صعد المنبر الذي كان معدّاً لهُ. وبصوت عالٍ قال لذلك الرجل: سَلْني سؤَالك. وكانت الجماعة كلّها تنظر إلى ذلك الرجل وهو ساكت* فأَمرهُ القدّيس ثانيةً ان يعرض سؤَالهُ. فأشار ذلك الرجل اشارةً انَّهُ لا يقدر أن يتكلّم* فقال بطرس للناس: انَّ الله سمع صلاتي. وانّما هذا الرجل الهرطوقي اخرسّ لكي يظهر لكم حقيقة الايمان الذي انذر أنا بهِ* وكثير من الهراطقة الذين شاهدوا هذه الأعجوبة رجعوا إلى حضن الكنيسة المقدّسة*

وكان ايمانهُ عظيماً جدّاً حتّى انّهُ كان كثيراً ما يقول للهراطقة: القوني في النار لكي اثبّت لكم الايمان الكاثُليكيّ. وبقدر ما كان يكرز كان الله يضاعف غيرتهُ وكراماتهِ* ووهب لهُ الربّ روح النبوّة. وكثيراً ما كان يتنبأ على موتهِ من يد الهراطقة ويؤَكّد للجمع أنَّهُ لا يدفَن الاَّ في مدينة مديولان* فحدث في عيد السعانين الذي وقع في اليوم الرابع والعشرين من شهر آذار سنة ١٢٥٢ انَّهُ حينما كان يكرز في مدينة مديولان لمسامع نحو عشرة آلاف نفس قال بصوت عالٍ: يا أخوتي أنا اعلم متيقّناً بانّ الهراطقة تشاوروا على موتي ووعدوا أن يعطوا فضَّة لمن يقتلني. ولكن يا أخوتي ليعملوا ما شاءُوا لانّي ساحاربهم بعد موتي

بمعجزات أكثر من التي حاربتهم بها في حياتي*

وبعد أيّام قليلة ذهب إلى كوما حيث كان رئيساً هناك ولمّا كان ماشياً في الطريق طلع عليهِ رجلان قد أعطاهما الهراطقة أربعين ديناراً لكي يقتلاهُ. فهجما عليهِ وفتكا بهِ. واقبل احدهما وكان اسمهُ كارينُس فضرب هذا رجل الله على رأسهِ بالفاس وفتح جمجمتهُ بجرح ثخين عميق* وكان برفقة القدّيس راهب اسمهُ عبد الأحد. فهذا أيضاً جُرح أربع جرحات وبعد زمان مات* وأمّا القدّيس بطرس فوقع على الأرض وبهِ رمق. فضرباهُ ثانيةً في جنبهِ بخنجر ومات. فحملوا جسدهُ إلى دير القدّيس سِمبلكْيانس وكان قريباً من مديولان. ودُفِن في الغد كما تنبّأ في مدينة مديولان في كنيسة الأخوة الواعظين* وامّا قاتلهُ كارينس فالتجأ في دير الأخوة الواعظين الكائن في مدينة فرلّي ودخل في رهبنة مار عبد الأحد وشرع يكفّر عن اثمهِ بالتوبة إلى آخر حياتهِ. وفي الآخر مات قدّيساً*

انّ القدّيسة كاترينة السيانية كتبت في الفصل المائة والثامن والأربعين من كتاب المحاورات انّ ربّنا يسوع المسيح أوحى إليها بصفة موت القدّيس بطرس قائلاً لها: انظري في بطرس بانّهُ بتول وشهيد. وهو الذي حارب الأضاليل بدمهِ وكان يبغضها بغضاً شديداً حتّى انّهُ قصد أن يسفك دمهُ لكي يبيدها* ولم يصرف حياتهُ الاّ في الصلوة والوعظ والمجادلة مع الهراطقة واستماع المعترفين بخطاياهم والتبشير بالحقّ ونشر الايمان بلا خوف من شيءٍ البتّة. واقرّ واعترف

بالايمان إلى نَفَسهِ الأخير* وعندما سلّم روحهُ لله لم يكن لهُ صوت ولا حبر ولا قلم ليكتب قانون ايمانهِ. فغمس اصبعهُ في جرح راسهِ وصبغها بدمهِ. وإذ لم يكن لهُ قرطاسٌ انحنى إلى الأرض وكتب عليها اعترافهُ بالايمان أي نؤْمن بالله* وكان قلبهُ مضطرماً بمحبّتي. حتى انّهُ لم يجعل رأسهُ يلتفت إلى خلف* وعلم انّهُ يموت لأنّني أنا بنفسي أخبرتهُ بذلك. وكان كجنديّ الايمان لا يعرف الخوف. وكان يتقدّم بشجاعة إلى ميدان الحرب* وكان هو أحد الفَعَلة الذين أرسلهم سيّدهم إلى كرمهِ لكي يفلحوهُ ويستاصلوا منهُ شوك الرذائل ويزرعوا فيهِ زرع الفضائل. انتهى*

ولمّا مات مار بطرس الشهيد كان عمرهُ ستّاً وأربعين سنةً وأيّاماً* والكرامات التي جرت بعد موتهِ بشفاعتهِ صارت أكثر من التي فعلها في حياتهِ وهي التي جعلت أن يُكتَب اسمهُ في سفر القدّيسين*

ياسون وسوسيبطرس الرسولين

انّ ياسون كان من مدينة طرسوس وهو أوّل من آمن بالربّ في تلك المدينة. وامّا سوسيبطرس فكان من اخائيّة. وكلاهما آمنا على يد بولس الرسول وتتلمذا لهُ. فأقام بولس ياسون معلّماً في طرسوس مدينتهِ وسلّم لسوسيبطرس رعاية كنيسة ايقونية. ففلحا جيّداً في كرم

الربّ. وهديا إلى الايمان جمّاً غفيراً من الكفرة. ثمّ ذهبا إلى جزيرة كركوريا وجلبا هناك خلقاً كثيراً إلى الايمان. فقبض عليهما والي تلك الجزيرة وحبسهما. فشرعا ينذران السجّان واللصوص المحبوسين بالايمان وأخيراً عمّذاهم* ولمّا علم الوالي بذلك قتل السجّان واللصوص المعتمذين واخرج الرسولّين ياسون وسوسيبطرس واسلمهما إلى قائدهِ ليعذّبهما أو يكفرا. فاحتملا تعاذيب مختلفة شديدة وهما صابران يسبّحان الله* فلمّا رأَت ابنة الوالي ثباتهما آمنت بالمسيح فقتلهما أبوها. وفي تلك الأثناء مات الوالي غريقاً في البحر فنجا الرسولان من السجن وشرعا يطوفان ويبشّران بالايمان حتى تُوُفِّيا بشيخوخة صالحة*

* اليوم الثلاثون *

القدّيسة كاترينة السيانيّة البتول الدومِنِكيَّة

انَّ القدّيسة كاترينة السيانيَّة العروس الحبيبة ليسوع المسيح التي كانت في رهبنة مار عبد الأحد مرآةً لجميع الراهبات اللواتي تلألأْنَ تحت لوائهِ كانت تعيش في العالم بين أهلها. واختِيرت من بين جميع النساء لتتداخل في أمور الكنيسة المبتلاة في عصرها بشدائد عظيمة. ووكَّلها الله لترجّع إلى رومية البابا المهزوم إلى اوِنيون مدَّة سبعين سنة لسبب اضطرابات أهل إِيطاليا* والعالم رأَى فتعجَّب من فتاة عذراء

مخلّصةً للكنيسة بمحبّتها وصبرها وحسن سيرتها ومشوراتها وجاذبةً للخطاة ومصلحةً للعوائد ومدبّرةً لمدن كثيرة في إِيطاليا وكاسرةً للفتن الأخويَّة ومهدّئةً للحروب وباذلةً حياتها للحبر العظيم. وواعظةً بالايمان ومقاومةً للمنشقّين بقوَّة رجليّة*

انَّ القدّيسة كاترينة السيانيّة وُلدت سنة **١٣٤٧** في مدينة سيانّة من أعمال تُسقانا في ايطاليا. وكان أبواها متوسّطَي الحال بحسب العالم ولكنّهما كانا غنيَّين بالفضائل. وكان اسم أبيها يعقوب وكان صبَّاغاً حرفةً واسم امّها لافا. واعطاهما الله خمسة وعشرين ولداً وكلّهم كانوا خائفي الله. وبينهم أَضاءَت قدّيستنا كالشمس التي بشعاعها تحجب ضوء النجوم في الفلك*

وكانت هذه القدّيسة منذ صغرها لائحة عليها سمة القداسة فكانت محبوبة عند الجميع* ولمّا كان لها من العمر ستّ سنين بعثتها امّها مع أخيها الصغير لكي تزور اختاً لها. فرفعت عينيها نحو كنيسة مار عبد الأحد فرأَت فوق جناح الهيكل يسوع المسيح ظاهراً لها على عرش ممجَّد مغطًّى بحلل كهنوتيَّة ولامعاً راسهُ بنور سماويّ ومعهُ مار بطرس ومار بولس ومار يوحنّا الحبيب. فرفع يسوع يدهُ وباركها. وفي الحال شعرت في قلبها بفرح ملاكيّ بهِ غابت عن حسّها. وبقيت على الأرض غير متحرّكة* فلمَّا رأَى أخوها الصغير انَّها انطرحت على الأرض أخذ يسحبها بقوّة. فلمّا افاقت قالت لهُ: آه يا أخي لو رأيت الأشياء الجميلة التي رأَيتُها لما منعتني عن رؤْيتها*

وتعلّمت بوحي الاهيّ سيرة الرهبان آباء البرّيَّة ولا سيَّما سيرة القدّيس عبد الأحد الذي عزمت أن تقتدي بهِ على قدر امكانها* وكانت كثيرة الصلوة قليلة التكلّم. وعلّمت صبايا صغيرات مثلها تعليم الفضائل*

وبعد ذلك أرادت أن تنذر بتوليّتها لله فتوسَّلت بانعطاف إلى مريم سلطانة العذارى قائلةً: يا أمّي اعطيني ابنكِ المبارك يسوع حبيبي ليكون عريسي لأنّني لستُ أريد الاَّ ايَّاهُ على الأرض وفي السماء* وبالهام روح القدس نذرت نذر البتوليّة إلى الأبد* وشرعت تعمّر في قلبها مغارة باطنة لكي تعيش بها مقترنة مع عريسها يسوع في الصلوة والتأمُّل والتقشُّف والشغل*

ولمّا بلغت السنة الثانية عشرة من العمر أراد أهلها أن يزوّجوها ولم يكونوا يعلمون بنذرها. وإذ كان للقدّيسة احترام لهم لم تكن تقاومهم بل كانت تصلّي إلى الله عسى أن لا يشاء تكميل ذلك. ولخوفها من امّها سلّمت نفسها وتركت أن يلبّسوها شيئاً من الحلي الدنيويَّة بدون أن تفتكر في الدنيا وبدون أن تنسى نذر البتوليّة* وأرادت أمّها أن تجعلها منظراً لأهل الدنيا فقادتها إلى عيون كبريتيّة سخينة المياه لتختلط في اجتماعات أهل المدينة. ولكنَّ كاترينة لم تنسَ عريسها يسوع في كلّ ذلك لا بل اتّخذت المياه الحارّة وسيلةً لكي تعذّب جسدها. وكانت تسبح في اسخن الأماكن وكان جلدها يشيط من سخونة المياه* ولمّا رجعت إلى المدينة أراد أهلها أن يعقدوا خطبتها على أحد الشباب. واذ بلغها

ذلك قصّت شعرها بمشورة معلّم اعترافها وحملت نقاباً كالرهبان*

فلمّا رأَت ذلك امّها شتمتها ولعنتها هي وأبوها وسائر أقربائها بقولهم لها: يا رذيلة يا لئيمة يا حمقاء يا سخيفة. إذا كان عقلكِ قد ذهب فيمكن أن يعود مع شعركِ ونزوّجكِ وما ندعكِ أن تذهبي لتستشيري بالرهبان الدومِنِكيّين. انتِ عنيدة ومالكِ رحمة على أهل بيتكِ فلنصيّرنّكِ خادمة في البيت ونعلّمكِ طريق العدل يا جاهلة يا عار بيتنا. اذهبي إلى المطبخ فهناك مكانكِ* فامّا القدّيسة فقاست كثيراً من نوع هذه الاهانات من أبويها في حبّ عريسها يسوع المصلوب وذلك إلى أن دخلت في عمر الأربع عشرة سنةً. وكانت عندما تخدم أو تطبخ تحسب أنّها تخدم أباها بشخص يسوع المسيح وأمّها بشخص مريم العذراء. وأخوتها وجميع كبار بيتها بأشخاص الرسل وتلاميذ الربّ. فكانت تبدل أحزانها بالأفراح ومشقاتها بالمسرّات. فانسرّ الله بصبرها والهم أبويها أن يروما قداستها. فلمّا كانت ذات يوم تصلّي في حجرة رأَى أبوها على رأسها حمامة ذات بياض نقيّ. ففهم من ذلك أنّ ابنتهُ لم تكن للدنيا بل للآخرة. ومن ذلك اليوم تركوها أن تشتغل في البيت من دون أن يحثّوها على الزيجة* وذات يوم ظهر لها مار عبد الأحد وفي يدهِ زنبقة وقال لها: تشجَّعي يا ابنتي المحبوبة بين الجميع. لا تضجري من التعب. لأنّكِ تصيرين في الحقيقة لابسة ثوبي بحسب اشتياقكِ. قال هذا والبسها ثوب اخوات التوبة من الدرجة الثالثة من رهبنتهِ*

ومنذ ذلك اليوم شرعت تعيش بالتقشّف ولم تكن تأكل الاّ حاجتها أي ما يمنعها من أن تموت. وتنام على لوح من خشب وتجلد نفسها كلّ ليلة ثلاث مرّات بسلسلة حديديّة حتى يسيل دمها إلى الأرض. وكانت تتحزَّم بسلسلة حديديّة* وكانت عائشة دائماً مع عريسها في خلوة المغارة التي عمّرتها داخل قلبها* وكانت تحبّ بالخصوص رهبنة مار عبد الأحد. ولذلك كانت إذا رأَت راهباً من هذه الجماعة مجتازاً تعيّن مكان قدميهِ على الأرض وتقبّل ذلك المكان من شدّة الاكرام الذي بهِ كانت تكرم تلك الرهبنة* ولم تكن تشتهي على الأرض الاَّ شيئاً واحداً فقط وهو أن تلبس هذا الثوب المقدّس الأبيض والأسود الذي منحتهُ القدّيسة مريم العذراء لمار عبد الأحد كعلامة الطهارة وقهر النفس والموت عن الدنيا والحيوة في الله*

وفي غضون ذلك أصاب هذه القدّيسة مرض الجدري وبلغ بها إلى الموت. فقالت لأمّها: أتريدين أن أبرأَ اذهبي واطلبي إلى أخوات التوبة اللواتي من الدرجة الثالثة من رهبنة مار عبد الأحد أن يقبلنَني في أخويّتهنّ. فذهبت امّها لتلتمس منهنّ. فسأَلتها الأخوات كم عمرها. قالت: خمس عشرة سنة. فقلنَ: نحن ما نقدر أن نلبّسها لأنّ قانوننا يأمرنا أن لا نلبّس إلاّ الأرامل والنساء المسنّات. وبناءً على ذلك لا تُقبَل في هذه الرهبنة الصبايا الصغيرات في العمر* فرجعت امّ القدّيسة إلى البيت وأخبرت كاترينة بذلك. فقالت لها كاترينة: يا أمّي العزيزة انّ الله يريد إمّا أن أموت وإمّا أن ألبَس ثوب مار عبد الأحد. وعند

قولها ذلك صارت كانّها في سياق الموت. فخافت أمّها عليها وأسرعت إلى الراهبات. فاستشارت الراهبات بمعلّمهنّ في قبول هذه الفتاة المباركة. فاذن لهنّ. فذهبنَ كلّهنّ إلى بيت كاترينة ليبشّرنّها بهذا الخبر الطيّب. وصار ذلك سبباً لشفائها* فلبست ثوب مار عبد الأحد في يوم كان يوم الأحد سنة ١٣٦٢. وصارت هي أول عذراء لبست الثوب لأنّ الأرامل فقط كنّ يلبسنَهُ في بدء الرهبنة لسبب السجس الذي كانت فيهِ البيعة المقدّسة حينئذٍ وخبث طباع أهل العصر. فانعم الله على قدّيستنا أن تفتح باب الأخويّة للعذارى المدعوّات من الله ليكنّ خادماتٍ لهُ تحت قانون مار عبد الأحد الجليل* ثمّ انّ الذين هم من الدرجة الثالثة ليسوا بملزومين أن ينذروا النذور الثلاثة الاحتفاليّة أي الفقر والعفّة والطاعة ولكنّ كاترينة تمسّكت بها في بيت أبيها بكمال أحقّ من الرهبان الذين في الدرجة الأولى في أديرتهم* وبعد أن لبست ثوب مار عبد الأحد وضعت بينهما وبين الدنيا حدّاً لا يُجاوَز بانفصالها عنها وبحفظها السكوت المداوَم والتأمّلات الطويلة والشغل* وحينما كان الرهبان الواعظون ينامون في الليل كانت هي تسهر مصلّيةً من أجلهم لأنّها كانت تدعوهم أخوتها. وعندما كان الناقوس يُقرَع في نصف الليل لايقاظ الرهبان كانت هي تقول لعريسها يسوع: يا سيّدي حرستُ أخوتي النائمين لكي تنقذهم من الشرّ. ها هوذا هم قائمون لكي يسبّحوك فاحفظهم مدّة ما أنا ذاهبة لأنام قليلاً*

وفي سنة ١٣٦٢ في الأيام السابقة للصوم الكبير حيث تلتهي أهل الدنيا بالملاهي والمطاعم والمشارب كانت القدّيسة كاترينة مختلية في قلاّيتها ومشتغلة بالصلوة وإذا بيسوع ظهر لها قائلاً: يا حبيبتي انّكِ لأجلي قد احتقرتِ كلّ أباطيل الدنيا ومقتِّ كلّ الشهوات الجسديّة ووضعتِ فيَّ وحدي كل أشواق قلبكِ. ولهذا في هذه المدّة التي فيها الناس ينعكفون على ملذّات الدنيا فها أنا يسوع أريد أن أعقد زيجة نفسكِ باحتفال واجعلكِ عروسي بالايمان. وللوقت ظهر مع يسوع في ذلك المكان مريم العذراء ويوحنا الرسول حبيبهُ والرسولان بطرس وبولس والاب المعظم مار عبد الأحد وداود الملك والنبيّ حاملاً قيثارهُ ليزمّر عرس العروس الجديدة. فمسكت مريم العذراء يد كاترينة اليسرى وقدّمتها لابنها الإلهيّ قائلةً لهُ: يا ابني الحبيب ارتضي أن تقتبل عروساً لك هذه البتول النقيّة الموشّحة بنعمك التي اخترتها لك من بين ألوف* فانحنى يسوع نحو والدتهِ المباركة. وفي الحال وضع في يد كاترينة خاتماً مرصّعاً فيهِ أربع لآلئ وقطعة من الماس قائلاً لها: أنا يسوع خالقكِ ومخلّصكِ اجعلكِ عروسي بالايمان الذي تحفظينهُ على الدوام إلى أن نجدّد عرسنا الأبديّ في الفردوس السماويّ. فانطلقي بالسلام يا عروسي ومن الآن اقضي بلا ارتياب العمل الذي تدلّكِ عليهِ العناية الإلهيّة. واعطيكِ سلاحاً لتشجيعكِ في الايمان وبهِ تغلبين أعداءَكِ* قال هذا وغاب عنها. والخاتم لم يزل في يدها تراهُ بعينيها ولا تراهُ أعين الناس لكي تتذكّر دائماً وصالها مع مخلّصها* ويوماً آخر قال لها يسوع المسيح:

يا ابنتي اتعرفين مَن أنا ومَن أنتِ. فان تعلّمتِ هذين الشيئين فطوبى لكِ وهاكِ ذلك: أنا هو الكائن وأنتِ هي الغير الكائنة. أي أنا هو كلّ شيء وأنتِ لا شيء وعدم. وبدوني أنتِ لستِ تقدرين أن تصنعي شيئاً*

ومرّةً أخرى قال لها يسوع: يا ابنتي افتكري فيَّ وأنا أفتكر فيكِ. وان كنتِ تريدين أن تصيري قويَّة على أعداء الخلاص فخذي صليبي كترس منيع وانظري وذوقي الأشياء المرّة كالأشياء الحلوة والأشياء الحلوة كالأشياء المرَّة. وهكذا تصيرين قويَّة دائماً* فلمَّا سلّحها الربّ بهذه الأسلحة سمح للشياطين أن يحاربوها لإظهار فضيلتها. فكانوا يجرّبونها بتخيّلات قبيحة غير أنَّها كانت دائماً غالبةً بالصلوة والتقشُّف. وكانت تعذّب جسمها بالسياط حتَّى تطرد تلك الأفكار* وذات يوم عرضوا لها وشرعوا يحاربونها بقساوة. وانتهت الحرب بالغلبة لها عليهم. وفي الحال ظهر لها يسوع المسيح مصلوباً وجارياً دمهُ وقال لها: أَوَ ما تتألّمين عن مَن تألّم عنكِ. فقالت كاترينة: يا عريسي العزيز اين كنت لمّا حاربتني الشياطين بهذه القساوة. فقال لها الربّ انّي كنتُ في صميم قلبكِ* فقالت لهُ كيف أنت القدّوس ارتضيت أن تحلّ في قلب مكدَّر نجس هكذا. فقال لها يسوع: هل رضيتِ بالأفكار. قالت لا بل أبغضتها هي ومبدعيها. قال لها يسوع: لأنّي كنتُ في صميم قلبكِ أنتِ أبغضتِها وغلبتِ جميع الشياطين بقوّتي التي سكبتُها في قلبكِ*

ثمَّ انَّ كاترينة كانت تهتمّ بالفقراء كانّها أمّهم فكانت تخدمهم وتساعدهم بقدر مكنتها. وذات يوم استعطاها فقير. فقالت لهُ ما عندي

شيء. فقال لها: أعطيني نقابكِ. فاعطتهُ ايّاهُ: فلمّا رآها معلّم اعترافها قال لها: كيف تمشين بلا ثوب رهبنتكِ. فقالت: لأن يراني الناس بلا ثوب خير لي من أن أكون بلا رحمة للفقراء*

ومرّة أخرى كان أحد الرجال في الحبس وكان خاطئاً شرّيراً. فحكموا عليهِ بالموت. ولم يكن قطّ قد اعترف بخطاياهُ في عمرهِ كلّهِ. فعلمت بهِ القدّيسة كاترينة فصلّت من أجلهِ وذهبت عندهُ إلى السجن وكلّمتهُ في أمر الاعتراف. وفي الآخر ليَّنت قلبهُ بكلامها فرضي أن يعترف. فدعت لهُ قسّيساً فاعترف بجميع خطاياهُ بندامة* ثمّ تناول القربان المقدّس وكان ذلك أوّل مرّة في مدّة حياتهِ. ثمّ علّمتهُ أن يسلّم إرادتهُ إلى إرادة الله بكمال. وشارطتهُ أن ترافقهُ إلى المكان الذي فيهِ يقطعون رأسهُ. فلمّا بلغ الوقت الذي يُقتَل فيهِ رافقتهُ إلى مكان القتل* والآن نورد الكلمات التي كتبتها هي في شان ذلك. قالت: أنا الفقيرة اذهب مع نيقُلاوس إلى المكان الذي يُقتَل فيهِ المحكوم عليهم بالموت واصلّي كثيراً من أجل خلاص نفسهِ المسكينة. فكان يشبه خروفاً يتبسَّم لي ويطلب منّي أن أرسم علامة الصليب عليهِ. فادّيتُ ذلك وقلتُ لهُ اذهب إلى العرس الأبدي وتربح الحيوة التي لا تنتهي* فمدّ رأسهُ على الخشبة وأنا بيدي أمسكتُ رأسهُ وركعتُ قائلةً لهُ: لا تنسَ حمل الله الغافر خطايا العالم. فقال بصوت حلو: يا يسوع يا كاترينة. وبعد ما قال هذا قطع السيّاف راسهُ بالسيف فمكث الراس بيدي. ورأَيتُ برويا أنّ دم حمل الله اختلط بدم نيقُلاوس وطهّرهُ

من جميع خطاياهُ وجعلهُ أن يدخل السماء ولم أحسّ في نفسي الاّ بالتسلية. وبدون أن أخاف من الدم فرحتُ فرحاً عظيماً. انتهى*

ويوماً آخر طلب منها فقير صدقةً لهُ ولغيرهِ فاعطتْهُ. فاستزادها. فاعطتهُ. فطلب أيضاً. فقالت لهُ: ما عندي سوى ثوبي واتمنّى أن أعطيك ايّاهُ ولكنّي لا أقدر على ذلك من الحياء والاحتشام. فذهب الفقير* وفي الليل ظهر لها يسوع قائلاً: أنتِ أعطيتِني كثيراً وأردتِ أن تعطيني ثوبكِ من المحبّة. وأنا اليوم أريد أن أجازيكِ باعطائي ايّاكِ ثوباً لا يتخزَّق ويصلح جدّاً في جميع الأوقات. قال هذا وفتح صدرهُ وقال لها: اشربي من دم جرح قلبي لأنّي البّسكِ ثوب دمي كعربون المجد الذي ستفوزين بهِ في السماء* ثمّ غاب عنها فاحست في نفسها وجسمها بفعل هذا الثوب الإلهيّ*

وكان في مدينة سيانّة امرأَة برصاء منتنة جدّاً حتى انّ جميع الناس كانوا ينفرون منها هاربين عند رؤيتها. ولمّا سمعت بها القدّيسة كاترينة ذهبت لتزورها. فقبّلتها وتولّت خدمتها. وكانت كلّ صباح ومساء تذهب لتعودها وتنظّفها وتخدمها. ولكنّ المراة البرصاء لم تكن تشكر فضلها بل كانت تشتمها وتهينها. فكانت القدّيسة تطلب منها الغفران بكلام لطيف على هفوات لم تكن تصنعها. وبقيت على هذا الحال زمناً طويلاً* وامّا امّ القدّيسة فكانت تمنعها عن الذهاب عند المرأَة طويلاً* وامّا امّ القدّيسة فكانت تمنعها عن الذهاب عند المرأَة البرصاء لئلاّ يعدي البَرَص إليها. ولكنّها كانت تتوسّل إلى أمّها لتأذن لها في ذلك* ولشدّة اهتمامها بالمريضة أعدى البرص إليها

في يدها. ومع ذلك فلم تزل تخدمها إلى أن ماتت المريضة. وكانت موتتها صالحةً لسبب صلوات القدّيسة من أجلها* وامّا القديسة كاترينة فمع كلّ تلك الرائحة النتنة التي كانت تنبعث من جثّة الميّتة غسّلتها وكفّنتها ودفنتها هي بنفسها. وفي الحال شفى الله برص كاترينة وصارت يداها بيضاوَين كالثلج*

ثمّ انّ أباها كان قد أذن لها أن تعطي من البيت بعض أشياء صدقةً للفقراء فكانت تعطيهم خمراً من اناءٍ واحد زماناً طويلاً والخمر لم ينقص إلى زمان عصر الخمر. وفي ذلك الزمان كلّ أواعي الخمر فرغت. ولكنّ القدّيسة كانت تعطي الفقراء خمراً دائماً من ذلك الاناء. فأراد أهلها أن يفحصوا عن ذلك. فنزلوا إلى السرداب الموجود فيهِ الخمر فرأَوا ذلك الاناء الذي كانت تأخذ منهُ القدّيسة ناشفاً من زمن طويل. وهي كانت مع ذلك تأخذ منهُ خمراً. فتعجّبوا كلّهم لأنّها في الأمس كانت قد أخذت خمراً كثيراً من ذلك الاناء واعطتهُ للفقراء. ولم يكن يظهر فيهِ أثر خمر ولا ندوة. فعلموا انّ تلك الآية كانت خفيّة إلى ذلك اليوم*

وأراد يسوع المسيح أن يقوّيها لتقضي الأعمال العظيمة التي عيَّنها لها. فإذ كانت يوماً ما تصلّي طالبةً إلى عريسها الإلهيّ أن يعطيها قلباً نقيّاً وإرادة مستقيمة. فاحسّت بانّ يسوع فتح لها جنبها الشماليّ وأخذ قلبها* وبعد أيّام قليلة بينما كانت تصلّي في كنيسة الأخوة الواعظين إذ أحاط بها نور سماويّ. ويسوع المسيح دنا منها وفتح ثانيةً

جنبها الشمالي. وأراها قلباً أحمر ومنوّراً وقال لها: يا ابنتي المحبوبة ذلك اليوم اخذتُ قلبكِ واليوم أعطيكِ قلبي. ثمَّ وضع قلبهُ مكان قلب كاترينة وانسدَّ جنبها الشماليّ المفتوح. ولعلامة الأعجوبة طُبع أثر الجرح في صدرها* ومرّات كثيرة رأَت رفيقاتها هذا الأثر في أوقات مرضها. وعندما كانت تصلّي كانت تقول: يا يسوع أنا أحبّك من كلّ قلبك أو يا ربّي أنا أسلّمك قلبك. ومنذ ذلك الوقت نالت من الله نعماً غزيرة* وذات يوم ظهر لها يسوع المسيح وطبع في يديها ورجليها وجنبها جروحهُ. ومن ذلك اليوم كانت تحسّ بأوجاع عريسها* ويوماً آخر قدّم لها ربّنا يسوع المسيح اكليلين أحدهما من ورد والآخر من شوك وقال لها: اختاري واحداً منهما. فقالت كاترينة: اعطِني أنت كما تحبّ. فاعطاها يسوع اكليل الشوك. فرفعت بحرارة روح القدس يدها وادخلت الاكليل بعنف في رأسها. ومكثت في رأسها أوجاع الاكليل*

ثمَّ انَّ الله منحها روح النبوَّة ومعرفة أفكار الناس وسرائر قلوبهم فكانت تشتمّ رائحة خطاياهم من بُعد. فمن ذلك أنَّهُ كان أمير متقدّم في السنّ لم يكن قد اعترف بخطاياهُ طول حياتهِ. فهذا جاءَ إليها ووعدها بأن يعترف بجميع خطاياهُ. ثمَّ رجع إليها بعد زمان قائلاً: قد اعترفتُ. فقالت لهُ القدّيسة: ما أحسن ما صنعت. ولكن أَفحصتَ ضميرك جيّداً. قال نعم. فاخذتهُ القدّيسة إلى خلوة وذكّرتهُ خطيَّة كان قد صنعها ولم يعترف بها. فذهب الأمير للوقت واعترف

بجميع خطاياهُ. وكان يجول في المدينة ويقول انَّ كاترينة تعرف خطاياي أحسن منّي*

وكانت تحبّ القربان المقدَّس بحرارة أشدّ من النار ولذلك كانت تكثر من تناولهِ. فذات يوم إذ كانت في السفر ودخلت مدينة أَوِنيون قبل الظهر قالت لمعلّم اعترافها: يا أبي أنا جائعة. ففهم معنى ذلك وقال أنا صائِم ولكنّي تعبان جدّاً وما أَقدر أن أقدّس لكي أنا ولكِ. فسكتت ثمّ بعد قليل قالت مرَّة أخرى أنا جائعة. فخالج قلب معلّم اعترافها اشتياق إلى أن يقدّس. وكان البابا قد أذن لها أن يكون معها مذبح تحملهُ للقدّاس في كلّ مكان كعادة المرسلين. ثمَّ اعترفت وقدّس الكاهن وجميع من معها استمعوا القدَّاس. وفي وقت التناول حينما كان الكاهن يعطي البركة رأَى وجه كاترينة كالشمس. فقال في قلبهِ: يا يسوع هذه هي عروسك الأمينة فاذهب إذاً إليها. فجاءَ للوقت القربان من ذاتهِ نحو الكاهن ريمندُس وناولها ايَّاهُ*

ومرَّة أخرى كانت مريضة ومطروحة في الكنيسة لا تقدر أن تتحرَّك وكان ذلك في وقت القدَّاس. ولما حان وقت التناول قالت صلاة التناول الروحيّ. فجاءَ القربان من ذاتهِ ودخل فاها من دون معرفة الكاهن. فجعل الكاهن يفتش على الجوهرة المقدّسة فلم يجدها. وبعد القدَّاس كان مهموماً. فلمّا علم أنَّ القدّيسة كاترينة هي في الكنيسة سأَلها عن القربان. فقالت أنا أعلم أين هو موجود فلا تفتّش عليهِ لأنّ يسوع قد أتاني بهِ*

وكانت محبّتها للكنيسة المقدّسة عظيمة شائعة في سيرتها وكانت متلألئة بين جميع فضائلها. وهذه المحبّة كانت كنفس حياتها وجرثومة أعمالها العظيمة. ومثل حريقة أفنت حياتها في نصف أيّامها* فلأجل خلاص البيعة هجرت بيت أبويها وذهبت إلى فرنسا لكي ترجّع البابا إلى رومية وبلا خوف انسانيّ كانت توبّخ الكردِنالات والأساقفة والمطارين والكهنة والرهبان على خطاياهم. ورأى العالم متعجّباً صبيّةً فقيرة مختفية زماناً طويلاً في بيت صبّاغ مقبولة كمعلّمة العلماء. وحكيمة الحكماء. وممتلئة من النور السماويّ. وآمرةً البابا من جهة الله أن يرجع إلى روميّة. فلمّا سألها الحبر الأعظم باسم الطاعة هل ذلك بالحقيقة إرادة الله. قالت: أيّها الاب الأقدس من يعرف إرادة الله أحسن من قداستك لأنّك نذرت في قلبك لله أن ترجع إلى رومية* فتعجّب البابا من ذلك وقال في قلبهِ ليس أحد في الدنيا يعرف نذري. فإذاً الله وحدهُ اعلمها بسريرة قلبي. ثمّ قصد أن يترك فرنسا ويرجع إلى رومية*

ومن يقدر أن يصف نشاطها في الأعمال التي كانت تعملها لله بخصوص الكنيسة المقدّسة. لأنّها قد كاتبت السلاطين والأمراء وروساء المدن والأساقفة والكردِنالات والبابا شيئاً كثيراً* وكم من سفر سافرت لكي تصالح الأقوام المعتادين والعاصين للكرسيّ الرسوليّ. وكم من تعليم علّمت لجماعات الرهبان العظيمة. ولم تكن تانف من جميع هذه الأعمال الصعبة المخطرة* ويوماً ما أرسلها البابا غريغوريوس الحادي عشر من رومية إلى فلورنسا لكي تدعو أهلها إلى الصلح والطاعة. فأصابها

هناك اضطهادات كثيرة حتَّى انّهم أرادوا أن يقتلوها. وجاءَ إليها قوم من الناس بسيوفهم. فسلَّمت حياتها بيد يسوع عريسها وتقدّمت أمامهم قائلة (مثل يسوع في بستان الزيتون) من تطلبون. فقالوا كاترينة. فقالت لهم أنا هي. فرجعوا إلى ورائهم وفرّوا خائفين من الضوء الذي لمع من وجهها. واقبل الناس يزورونها ويهنّئونها بانّها تخلّصت من الموت. فامّا هي فكانت تبكي وتنوح قائلةً لنفسها: يا لي من شقيّة. يا لي من خاطئة. انّني غير مستحقَّة ان أموت شهيدة واخلط دمي مع دم عريسي من أجل خلاص الخطاة وانتصار البيعة المقدّسة*

وبعد ذلك استقرّت في رومية مدينة الحبر الأعظم الذي كانت تسمّيهِ المسيح على الأرض. وكانت ليلاً ونهاراً تصلّي وتشتغل في تثبيت السلام في الكنيسة. وحصلت على سرور عظيم إذ رأَت قبل موتها بسنة انَّ الأمم خضعت لراس الكنيسة* ولما حانت الساعة السعيدة التي أراد عريسها أن ينقلها إليهِ استعدّت للموت وكانت اسقامها قد انهكتها وطلبت أسرار البيعة المقدّسة ثمّ وقعت في السياق ومحاربة الشيطان. فكانت تارةً تسكت وتارةً تجاوب مضطرمة وطوراً كانت تبتسَّم نحو السماء. فصرخت فجأَةً كانّها مجاوبة لمحاكمة ما: كلاّ كلاّ بل عملتُ كلّ شيء لمجد الله الحقيقيّ واكرامهِ. وأخيراً اتّجهت نحو السماء: قائلةً يا ربّ في يديك استودع روحي. وللوقت طارت نفسها إلى السماء لكي تفرح في العرس الأبديّ الذي كان عريسها قد أعدّه لها وكان ذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٣٨٠*

وكان عمرها ثلاثاً وثلاثين سنة كعريسها المصلوب* وفي وقت موتها ظهرت لمعلّم اعترافها ريمندُس وكان في السفر إلى جَنَوَا وقالت لهُ: لا تخف لأنّني أنا أحامي عنك واحفظك فكن مطمئنّاً ولا تخف أنا هنا معك*

وحدث في وقت موتها أيضاً انّ سيّدة ما رومانية أرملة لها ولدان وكانت صديقة القدّيسة كاترينة واليفتها كانت نائمة فرأَت في الحلم اكليلاً بهيّاً وُضع على راس كاترينة في السماء وسمعت صوت رهج وتسابيح طيّبة جليلة من الملائكة. فقالت من هي هذه. فتقدّمت القدّيسة كاترينة إليها قائلةً: أنا كاترينة انظريني اما تعرفيني. وفي ساعتها رأَت القدّيسة كاترينة بصحبة مريم العذراء عند عرش يسوع وكلّ أبكار السماء كنّ يأتينَ ويسلّمنَ عليها. ثمّ استيقظت من نومها. ولم تكن تعرف من مدّة يومين حال كاترينة فرأَت الوقت قد عبر ولم يبقَ قدّاس. فقالت انّ الشيطان أراني هذا الحلم لكي يمنعني عن استماع القدّاس. ولم يبقَ لي وقت لاهيّئَ غداءً لأولادي. وعند ذلك قُرِع ناقوس لقدّاس متأَخّر. فاعدَّت في الحال جميع ما يلزم لغداء أولادها ووضعت الطبخان على النار وانطلقت إلى الكنيسة وهي تقول في نفسها كيف حال المطبخ والطبخان فانّ اللحم سيحترق وأولادي يغضبون. وكان قدّاس ذلك الكاهن طويلاً. ولمّا انتهى القدّاس رجعت إلى البيت قلقةً خائفة فرأَت الطبخان قد طُبِخت جيّداً والنار لم تنطفئ. فلمَّا ذاق أولادهما رأَوا ذلك طيّباً إلى الغاية حتى انّهم اخذوا يلحسون شفاههم وأصابعهم* وبعد الغداء سمعت ضجّة عظيمة

في المدينة وصوت قرع النواقيس عالياً* فسالت ما هذا. فقالوا لها انّ كاترينة ماتت. ففهمت حالاً معنى حلمها وانّ آية الطبخان كانت من كاترينة. فانطلقت إلى الكنيسة وحكت جميع الناس كلّ ما رأَت*

ولمّا أتوا بجسد كاترينة إلى الكنيسة كان معهُ غفير من الجنود والرهبان والعظماء والروساء* وأيَّد الله قداستها بكرامات غير محصاة* وفي أيّامنا عينها سيّدنا البابا بيوس التاسع الحبر الأعظم أقامها محامية رومية بعد مار بطرس ومار بولس لكي ينجّي الله القدير بشفاعتها القويّة الكنيسة المقدسة من أعدائها المنظورين والغير المنظورين ويمنحنا الرحمة والمعونة والغلبة بكرامة يمينهِ القادرة على كلّ شيء*

* انتهى شهر نيسان *

* شهر أيَّار *

* اليوم الأول *

مار يعقوب الصغير الرسول اخي الربّ ـ مار فيلبّس الرسول ارميا النبي

مار يعقوب الصغير الرسول أخي الربّ

انّ مار يعقوب الرسول اخا الربّ كان من قانا الجليل. ولُقّب بأخي الربّ لا لأَنَّهُ وُلد من مريم العذراء امّ يسوع المسيح ولا لأَنَّهُ كان ابن مار يوسف من امرأَة أخرى كما زعم قوم بل لأَنَّهُ كان من قرابة مريم العذراء* وقال بعض المعلّمين بل لأَنّهُ كان ابن قليوفا الملقَّب أيضاً حلفَى أخي مار يوسف. وبما أَنَّ الربّ يسوع كان محسوباً ابن يوسف كان قليوفا محسوباً عمّهُ. ولأَنَّ يعقوب كان ابن قليوفا حُسِب ابن عمّهِ. وبحسب عادة اليهود في ذلك الزمان كان أولاد العمّ والقريبوا النسب يُسمَّون أخوة* ولذلك سُمِّي مار يعقوب أخا الربّ*

وسُمّي أيضاً مار يعقوب الصغير أخا الربّ لأَنّهُ كان يشبه يسوع المسيح بخلقتهِ وصورتهِ حتَّى انَّهُ بعد صعود ربّنا إلى السماء كان كثير من

المسيحيّين ينطلقون إلى أورشليم ليروا مار يعقوب لأنّهُ كان يشبه يسوع المسيح محتسبين برؤيتهم إيَّاهُ انَّهم قد رأَوا الربّ في صورة مار يعقوب* وكتب مار اغناطيوس بخصوص ذلك رسالةً إلى مار يوحنَّا الانجيليّ يقول لهُ فيها بانَّهُ عازم على الانطلاق إلى أورشليم ليرى مار يعقوب لأنَّهُ يشبه يسوع المسيح*

ولُقّب مار يعقوب أيضاً بالصغير لتمييزهِ من مار يعقوب الآخر أخي يوحنَّا الإنجيليّ ابن زبدى المدعوّ الكبير وذلك لا لأنَّهُ أصغر منهُ وظيفةً أو قداسةً بل لأنَّهُ دُعي إلى الرسالة بعد مار يعقوب أخي مار يوحنَّا الذي لُقِّب بالكبير لهذا السبب أيضاً*

وقد مدح آباء الكنيسة مار يعقوب أخا الربّ. فقال بعضهم انّهُ تقدّس في بطن امّهِ. وقال مار ابيفانيوس انَّهُ كان بتولاً أبداً. وقال عنهُ مار هيرونُمِس واوسابيوس ومَتَفْرسطُس وغيرهم من مؤَرّخي الكنيسة انَّهُ كان ذا تقشُّف عظيم سائراً سيرةً قدسيَّة إلى الغاية حتّى انّهُ كان يبان انَّهُ رجل سماويّ. ولم يكن يأكل لحماً ولا يشرب مسكراً. وكان منصبّاً على الصلوة ليلاً ونهاراً كانَّ الصلوة فقط كانت طعامهُ. وكان يمشي حافياً دائماً. ولم يقصّ شعرهُ ولم يكن يستحمّ أبداً أو يدهن جسمهُ كعادة ذلك الزمان* وكان اليهود يعتبرون قداستهُ جدّاً حتَّى انَّهم كانوا يقبّلون ثوبهُ ويلمسونهُ للتبرّك. وكان وحدهُ يدخل إلى قدس الأقداس في الهيكل*

ولمّا نال التلاميذ روح القدس بعد صعود معلّمهم يسوع إلى

السماء وخرجوا ليكرزوا بالمسيح علانيةً نصب مار بطرس مار يعقوب أسقفاً على أورشليم. فكان هذا الرسول المعظّم في أورشليم منعكفاً على الانذار بالمسيح. وهدى من اليهود جمّاً غفيراً إلى الايمان* ولمّا رأَى ذلك عظماء الكهنة ومشايخ اليهود جزموا على قتلهِ. فاصعدوهُ ذات يوم على جناح الهيكل وقالوا لهُ: ما تقول في يسوع المسيح ابن الإنسان. فقال: انّي أشهد بأَنَّهُ جالس عن يمين الله الآب وانَّهُ سيأتي ليدين الاحياء والأموات. فهجم عليهِ كهنة اليهود كالأسود ورموهُ من فوق إلى أسفل فتهشّم. ثمَّ ركع وقال: أتوسّل إليك أيُّها الربّ أن تغفر لهم لأَنَّهم ما يدرون ما يفعلون. فحينئذٍ طفقوا يُنزلون عليهِ الضربات. وضربهُ أحدهم بعصاً على رأسهِ ففجّهُ وفتح جمجمتهُ. فاسلم روحهُ إلى الله وكان ذلك سنة ٦٣ للمسيح بعد أن ساس كرسيّهُ مدّة ثلاثين سنة. ودُفن جسدهُ إلى جانب الهيكل في المكان الذي استشهد فيهِ*

وكتب مار يعقوب رسالتهُ القاثُليقيَّة المقبولة في الكنيسة التي أودع فيها تعاليم عجيبة مشهورة يعلّمنا بها الخير العظيم الذي يحصل عليهِ من يحتمل الشدائد بصبر. ويحضّنا أن نفرح عندما يجرّبنا الربّ بضيقات وأحزان مختلفة. وانَّ الايمان وحدهُ لا يبرّر الإنسان وانَّهُ يقتضي أن يقترن الايمان بالأعمال ليخلص الإنسان* وكتب أيضاً رتبة القدَّاس التي صارت دائماً معتبرة في الكنيسة*

مار فيلبّس الرسول

انّ مار فيلبّس الرسول المعظّم كان جليليّاً جنساً وُلِد في بيت صيدا. ولمّا شبّ وكبر انصبّ على درس العلوم المقدّسة ولا سيَّما أسفار موسى. ولمّا دعاهُ ربّنا يسوع المسيح إلى تلمذتهِ آمن بهِ حالاً لخبرتهِ في الكتب المقدّسة التي تحدّث عن المسيح جليّاً. فتبعهُ واطاعهُ وأُحصي ما بين زمرة الرسل الاثنَي عشر*

ولمّا عرف مار فيلبس يسوع المسيح شرع يعمل بالوظيفة الرسليّة فكان يجلب الناس إلى معرفة الله ومحبّتهِ لأنّهُ دعا ناثَنائيل إلى يسوع المسيح الذي قال عنهُ الربّ انَّهُ اسرائيليّ حقّاً لا غشّ فيهِ*

وبعد ما صعد الربّ إلى السماء وحلّ روح القدس على التلاميذ وخرجوا ليكرزوا بالإنجيل بقوّة عظيمة واقتسموا المسكونة وقعت قسمتهُ في اسيا الكبرى. فانطلق إليها وكان يبشّر هناك بملكوت الله وينذر أولئك الأقوام بايمان يسوع المسيح. وبقداسة سيرتهِ وكراماتهِ الباهرة هداهم إلى الايمان ودكّ الأوثان وعمَّر كنائس ليسوع المسيح وسام قسوساً وعلّم أولئك الأقوام أن يسيروا بسيرة مسيحيّة مقدّسة*

ثمّ انطلق إلى شيطيا واستمرّ فيها نحو عشرين سنة منذراً بيسوع المسيح. وأثمر هناك أثماراً غزيرة وبعدهُ جاءَ إلى مدينة هياروبُليس التي من أعمال فروجيا لكي ينذر هناك أيضاً* قال سمعان متَفَراسطس: انّ مار فيلبّس وجد يوماً في أحد هياكل هذه المدينة تنّيناً عظيماً كان الشعب يسجد لهُ ويقدّم لهُ الذبائح كما لالاه. فغار القدّيس غيرة

مقدّسة على ذلك الاكرام الذي لا يجوز تقديمهُ الاّ لله فقط. فانحنى وشرع يصلّي إلى ربّنا يسوع المسيح بدموع وحرارة أن يفتح عيون ذلك القوم الجاهل وان يعتقهُ من افك الشيطان لأنّ تلك الحيَّة كانت تبتلع كثيراً من أولئك البشر وكانوا يقدّمون لها ذبائح بشريَّة أيضاً. فسمع الربّ صلوات خادمهِ إذ انّ ذلك التنّين سقط ميتاً وانعتق منهُ ذلك الشعب المسكين وقبل من مار فيلبّس النور السماويّ الذي كان ينذر بهِ* فلمّا رأَى ذلك الكهَّان والقضاة عزموا أن يهلكوا هذا الرسول. فقبضوا عليهِ وألقوهُ في السجن. وبعدما جلدوهُ صلبوهُ ورجموهُ بالحجارة وكان هو يشكر الربّ على انّهُ أهّلهُ لأن يموت مصلوباً مثلهُ* ولمّا كان القتَّالون الكفرة يستهزئون بهِ أرسل الله بغتةً نقمتهُ عليهم وذلك انّهُ حدث زلزلة عظيمة قلبت هياكلهم وهدمت بيوتهم وابتلعت صالبي الرسول وهم احياء. فهذا الأمر اذهل الوثنيّين العصاة وثبَّت المهتدين فسبّحوا الربّ الذي صنع تلك الأعاجيب بواسطة خادمهِ*

وهكذا مات مار فيلبُس شهيداً على الصليب سنة ٥٤ للمسيح وأخذ المسيحيُّون جسدهُ ودفنوهُ باكرام عظيم. وبعد ذلك نُقِلت ذخائرهُ إلى روميّة وهي الآن هناك مع ذخائر مار يعقوب الصغير الرسول في كنيسة الاثني عشر رسولاً*

ارميا النبي

انّ هذا النبيّ كان ابن حلقيا الكاهن من سبط لاوي وُلد في قرية عناثوث في أرض بنيامين وتنبَّأَ في أيّام يوشيّا ويهوياقيم وصدقياً ملوك يهوذا. وقدّسهُ الله في بطن امّهِ. وتنبَّأَ على سبطَي يهوذا وبنيامين. وتنبَّأَ في أرض وطنهِ من السنة الثالثة عشرة ليوشيا ملك يهوذا سنة ٦٢٨ قبل المسيح إلى تمام السنة الحادية عشرة لصدقيا ابنهِ وخراب أورشليم سنة ٥٨٨ قبل المسيح. ثمّ تنبَّأَ مدّةً بعد ذلك في أرض مصر* وكان هذا النبيّ ملازماً النبوّة بكلّ جدّ. وجعلتهُ غيرتهُ على عبادة الله عرضةً لمشقّات كثيرة واضطهادات جسيمة لأنّهُ عاش في جيل شرّير* وقلّدهُ الله أن يوبّخ الروساء الأشرار وشعب يهوذا على خطاياهم وينذرهم بعقابهِ تعالى العتيد أن يحلّ بهم. فأثار جميعهم عليهِ اضطهادات شديدة لا سيَّما أهل بلدتهِ. وكان من جملة مضطهديهِ الملوك الأشرار. غير أنّ يوشيّا بما انّهُ كان صالحاً لا بدّ من أنّهُ ساعدهُ كثيراً في إصلاح الشعب. ولكنّ يهوياقيم بن يوشيّا اضطهدهُ وطلب أن ينزع حياتهُ. وامّا صدقيّا بن يوشيّا فمع انّهُ كان يستشيرهُ ويطلب منهُ أن يصلّي من أجلهِ ويسمع منهُ التهديد بالضيقات المزمعة أن تحلّ على شعبهِ العقوق وعن سبيهم سبعين سنة لم يستفد شيئاً من ذلك* ولمّا تغلّب نبوخذنصّر على أورشليم كان ارميا النبيّ في السجن. فاطلقهُ نبوزرادان رئيس الشُرَط بأمر الملك وعرض عليهِ السكنى في بابل فلم يرضَ بذلك بل آثر أن يبقى في أرض يهوذا مع البقيّة من اليهود

الذين لم يُسبَوا مع أخوتهم. ثمّ نقلهُ هولاء العصاة عنوةً إلى مصر بعد وقتٍ وجيز*

انّ ظروف حياة ارميا النبيّ والخدمة التي باشرها بأمر أي انباءَهُ بخراب بلادهِ وقضاء الله الهائل على شعبهِ وتتابع الاضطهادات المؤلمة التي اكتنفتهُ من أمّتهِ جعلتهُ بحالة خصوصيّة من جهة القهر والحزن والنوح والبكاء. فلأجل ذلك ولكون ما كتبهُ شجيّاً مؤَثّراً دُعي النبيّ البكّاء. وكان يتنهّد نائحاً وباكياً على خراب اورشليم والهيكل ويرثيهما بمراثيهِ المشهورة في الكتاب المقدّس. ومع انّهُ كان حليم الطبع وديعاً حسّاساً لم يقصّر عن الجهاد في سبيل الله وانفاذ أوامرهِ تعالى ولا انثنى عزمهُ ممّا صادفهُ من الخطوب والبلايا من قومهِ. فالتهديدات المريعة لم تُصمتهُ عن الكلام. والاهانات السمجة لم تطرحهُ في هوّة اليأس ولا عاقتهُ عن السعي في العمل بوظيفتهِ. ومع انّهُ شعر بالالم الشديد من ضيقاتهِ وكلّ ما قُذِفَ بهِ من الخزي والعار تجلّد عن بلاياهُ. ورغماً عن كلّ ما أصابهُ واعتراهُ ثبت بشجاعة وحزم أمام جميع المخاطر كهَدَف متين يتحمّل من أبناء وطنهِ كلّ ما يرشقونهُ بهِ بكلّ حنوّ وشفقة عليهم ويكابد كلّ ما يصيبهُ منهم بالصبر الجميل. وأخيراً اشترك معهم بالمصائب التي لم يستطع أن يحرّكهم على الفرار منها. وصار بذلك نموذجاً حسناً للمصابين من بني جنسهم* وما زال هذا النبيّ متمسّكاً بكمالهِ أميناً لله وغيوراً على شعبهِ يلومهم على آثامهم ولا سيّما على انصبابهم إلى عبادة الأوثان وينصحهم أن يرجعوا إلى الله حتّى مات* وقيل انّهُ

ختم صدق خدمتهِ بدم الشهادة إذ رجمتهُ اليهود في مصر وكان ذلك سنة ٣٤١٨ للخليقة وسنة ٥٨٦ قبل المسيح*

* اليوم الثاني *

مار اثَناسيوس بطريرك الاسكندريَّة ومعلّم الكنيسة

انَّ هذا القدّيس الشهير كان من مدينة الاسكندريَّة مولوداً من أبوين شريفَي الأصل. ومنذ نعومة أظفارهِ كان مواظباً على خدمة الكنيسة. فذات يوم إذ كان يلعب مع رفاقهِ على ساحل البحر شرع يقلّد الأساقفة في ما يعملونهُ في الكنيسة. فعمَّذ بعضاً من الصبيان الذين لم يكونوا سوى موعوظين فقط. وكان مار الكسندر بطريرك الاسكندريَّة يراهُ من شبّاكهِ ويعاين ما كان يفعل. فارسل استدعى اثَناسيوس ورفاقهُ وسأَلهم ما كنتم تصنعون. فلمّا علم أنَّ اثَناسيوس عمّذهم وقال عليهم كلمات الكنيسة السرّيّة بنيّة أن يفعل كما تفعل الكنيسة في هذا السرّ صرَّح انَّ معموذيّتهم صحيحة وما عادوا يحتاجون إلى العماذ غير انّهُ يجب أن تُصنَع الاحتفالات الواجبة للسرّ. فمن ذلك وغيرهِ علم هذا الاب انَّ اثَناسيوس كان عتيداً أن يكون سفينة منتخَبة لمحاماة الكنيسة. فحرَّض والديهِ أن يهتما بتربيتهِ وبتعليمهِ العلوم. وبعدما تعلّم هذا الصبيّ القدّيس العلوم الدنياويّة انصبّ على العلوم الإلهيّة. وبعد

ذلك سامهُ مار الكسندر البطريرك شمَّاساً*

وفي ذلك الزمان التأم المجمع النيقاويّ على آريوس الملحد وحضر فيهِ مار اثَناسيوس الشمّاس مع معلّمهِ البطريرك مار الكسندر. وبعلمهِ وببراهينهِ حارب آريوس وفند أضاليلهُ. فاشتهر صيتهُ ولقّبوهُ بالمحامي عن الايمان*

وبعد انقضاء المجمع النيقاويّ بخمسة أشهر مات مار الكسندر بطريرك الاسكندريّة فانتخُب مار اثَناسيوس بطريركاً على كرسيّهِ برضى جميع أهل المدينة. ومار الكسندر أيضاً كان قد عيّنهُ حين موتهِ خليفتهُ* ولمّا صعد على الكرسيّ الاسكندريّ فرح بهِ الكاثُليكيُّون ولكنّ الآريوسيّين حزنوا لأنّهم أيقنوا بانّهُ سيحاربهم ويفنّد أضاليلهم. فلذلك تآمروا عليهِ فيما بينهم وشرعوا ينصبون لهُ مكايدهم لعلّهم إذا نالت يدهم ينفونهُ من كرسيّهِ بل من الاسكندريّة أيضاً. فكانوا يقرّفونهُ زوراً. وهيّجوا عليهِ أربعة ملوك وهم قسطنطين الكبير وقسطَنْط ابنهُ ويُليانس الكافر ووالَنْس وصار هولاء يضطهدونهُ. فلمّا استدعاهُ الملك قسطنطين إليهِ وبان لديهِ صدقهُ وزورهم ارجعهُ إلى كرسيّهِ برسالةٍ مدحهُ فيها ووبّخ الذين نمّوا بهِ عندهُ* فلمّا رأَى ذلك أعداؤُهُ جدّوا بتقديم اشتكاآت أخرى عليهِ عند الملك وطلبوا إليهِ أن يسمح لهم بان يجمعوا عليهِ مجمعاً من الأساقفة وينظروا في دعواهُ. فأجابهم الملك إلى ذلك وجمع مجمعاً من الأساقفة في صور وكان أغلب أولئك الأساقفة آريوسيّين وأعداء لمار اثَناسيوس. وأوّل شكاية قدموها عليهِ هي انّ

امرأَة فاحشة دخلت المجمع وشرعت تقول انّ اثَناسيوس كان نازلاً يوماً في بيتي وراودني عن نفسهِ. وكانت هذه المرأَة متلقّنة ذلك من الهراطقة الذين أعطوها فضّةً على تقديمها تلك الشكاية مع انّها لم تكن تعرف اثَناسيوس. ولكنّ الله أظهر حالاً خبثهم إذ انّ أحد القسوس الكاثُليكيّين وكان يدعى طيمثُاوس قال لها: يا امرأَة أأَنا هو الذي نزل في بيتكِ واغتصبكِ ونزع بكارتكِ. قالت أي نعم أنت يا اثَناسيوس. وشرعت تحلف بأنّ ما تقولهُ وتدّعي بهِ حقّ. وطلبت إلى الأساقفة الحاضرين أن يحكموا لدعواها. فلمّا اتّضح الزور طُردت المرأَة واضمحلّت النميمة كالدخان* ونقول بالاجمال انّ هذا القدّيس أصابهُ في ذلك المجمع من الآريوسيّين اضطهادات شديدة وتقريفات لا عدد لها. وأخيراً حكموا عليهِ ظلماً بالنفي من كرسيّهِ ومن الاسكندريّة فأُخذ إلى مدينة القسطنطينيّة. ولمّا تواجه مع الملك قسطنطين طلب إليهِ أن يجمع بينهُ وبين الذين حكموا عليهِ لتُستأنَف دعواهُ أمام حضرتهِ. فأرسل الملك استدعاهم إلى القسطنطينيّة. فحضروا مسلّحين بألف نوع من البهتان والكذب واقنعوا الملك بانّهم حكموا عليهِ بالعدل لأنّهُ رجل خدّاع عدوّ للملكة. وهيّجوا عليهِ الملك من جديد فحكم عليهِ بالنفي إلى فرنسا. فلمّا سمع مار اثَناسيوس بالقضاء النافذ من فم الملك عليهِ. قال لهُ: ليكن الله قاضياً بيني وبينك أيُّها الملك لأنّك انخدعت بتمليقات أعدائي وصدّقت كلّ ما قالوا عليّ من الشرّ*

فعند ذلك أُخذ اثَناسيوس مع عدّة من الأساقفة المحامين

للحقّ وأُرسِلوا إلى موضع نفيهِ. وحزن الكاثُليكيّون من جرى ذلك* ولمّا سمع مار انطونيوس الكبير بنفي مار اثَناسيوس كتب رسالةً إلى الملك بها يلومهُ على انّهُ حكم بنفي رجل قدّيس ظلماً. ولكنّ ذلك لم يُفد الملك شيئاً لأنّ الأَساقفة الاريوسيّين كانوا قد حمّلوهُ على رجل الله البريّ* ومع ذلك لم يهمد الشغب في الاسكندريّة لأنّ الآريوسيّين أرادوا أن يرجّعوا آريوس ويقيموهُ مكان اثَناسيوس على الكرسيّ الاسكندريّ ولكنّ الكاثُليكيِّين الذين كانوا يبغضونهُ لهرطقتهِ ولا يريدون الاّ ارجاع اثَناسيوس الحبر القدّيس خاصموهم على ذلك وحدث شقاق وخلف بين الفريقين* ثمّ انّ آريوس انطلق إلى مدينة القسطنطينيَّة وهناك كتب صورة ايمانهِ وحلف كذباً بانّهُ هكذا يؤْمن لا غير. وكانت صورة الايمان التي كتبها مطابقة لصورة ايمان الكنيسة. فقال لهُ الملك: ان كنت تؤمن في قلبك كما اقررت بلسانك فقسَمُك صادق ولكن ان كنت تقرّ بنوع وتؤْمن بخلاف ما تقرّ وتحنث بقَسَمك فعاقبك الله على حلفانك الباطل. وهكذا خدع آريوس الملك* وكان آريوس يلجّ ويحتال على الكسندر بطريرك القسطنطينيّة أن يدخلهُ في شركة الايمان الكاثُليكيّ. واعانهُ الملك على ذلك. ولكنّ الكسندر الذي كان يعلم جيّداً بخبثهِ آثر أن يموت ألف موتة على أن يقبلهُ في شركة الكنيسة. ولذلك ترك الكتب والبراهين وسائر الوسائط على حدة والتجأَ إلى الله ليحامي كنيستهُ من هذا الخبيث. فدخل الكنيسة واستمرّ فيها أيّاماً وليالي منحنياً أمام الله مصلّياً إليهِ بدموع غزيرة قائلاً: يا ربّي امنحني

هذه النعمة وهي. إِن كان الايمان الذي أُومن بهِ مع بيعتك المقدّسة هو حقّ فعاقب آريوس على وقاحتهِ وخبثهِ. فاستجاب الله صلاتهُ وصلاة الشعب الكاثُليكيّ. وذلك انّ آريوس أراد يوماً أن يدخل الكنيسة رغماً عن الكاثُليكيّين فانزل الله عقابهُ عليهِ بأَلم شديد في جوفهِ حتَّى انّ أمعاءَهُ خرجت مثل يهوذا ومات ميتةً شقيّة. وبذلك اختزى تبّاعهُ وتعزَّى الكاثُليكيُّون وتقوَّوا بايمانهم*

وبعد زمان يسير مات الملك قسطنطين. وكان قد أوشك أن يرجّع مار اثَناسيوس على كرسيّهِ. وبعدما استمرّ هذا القدّيس في النفي مدة سنتين وأربعة أشهر أُرجع إلى كرسيهِ وارسل معهُ قسطنطين الصغير الذي كان مستولياً على فرنسا حينئذٍ رسائل يأمر فيها باكرامهِ*

ولمّا رجع القدّيس إلى كرسيّهِ أخذ أعداؤُهُ يقاومونهُ من جديد. وكتبوا إلى البابا يوليوس رسائل بها يشتكون عليهِ. فأمر البابا بالتئام مجمع في رومية ودعا مار اثَناسيوس ليفحص دعواهُ. فحضر اثَناسيوس في المجمع وكان فيهِ خمسون أسقفاً. وغب أن فحصوا الدعوى استعلنت برارتهُ. فمدحهُ البابا على انّهُ كان محامياً للايمان الكاثُليكيّ وأخزى أعداءَهُ*

ولمّا كان مار اثَناسيوس في رومية كتب قانون الايمان المقبول في الكنيسة والمعروف باسمهِ إلى اليوم. ثمَّ رجع إلى كرسيّهِ بأمر البابا. ولكنّهُ لم يلبث فيهِ أن ثارت زوبعة الاضطهاد عليهِ من أعدائهِ الهراطقة وكان يعضدهم الملك قسطَنْط. فجمعوا عليهِ مجمعاً في انطاكية

وحضر فيهِ الملك بشخصهِ وقرّفوهُ بأشياء جديدة. منها انهّم اشتكوا عليهِ بانّهُ رجع إلى كرسيّهِ من دون استئذان الأساقفة الذين شجبوهُ في مجمع صور. ثمَّ عزلوهُ ظلماً من كرسيّهِ وأقاموا مكانهُ غريغوريوس القفادوقيّ وكان رجلاً جسوراً شرّيراً. فخرّبوا المدينة وعملوا فيها كلّ نوع من الشرور* فلمَّا رأَى اثَناسيوس ما جرى بهِ عزم على الهرب من المدينة سرّاً. فكتب إلى الكاثُليكيّين رسالة بها يعزّيهم ويحرّضهم أن يحملوا هذا الاضطهاد لأجل مجد الله وان يثبتوا في الايمان الكاثُليكيّ غير متزعزعين وأن يقبلوا أن يموتوا ألف موتة دون أن يشاركوا الهراطقة* ثمَّ انّهُ خرج من المدينة وانطلق مرّة ثانية إلى رومية. فقبلهُ البابا يوليوس باكرام عظيم. ولمّا علم منهُ ما جرى في مدينة الاسكندريّة جمع مجمعاً جديداً في روميّة وتثبّتت فيهِ برارتهُ* وبعد ذلك التأم مجمع آخر عامّ بأمر البابا في مدينة سرديق في اسبانيا وحضر فيهِ ثلثماية من الأساقفة الذين كانوا من جميع أقطار الكنيسة الغربيّة وثلاثة وسبعون من أساقفة الكنيسة الشرقيّة. واستأنفوا دعوى اثَناسيوس. وبعد الفحص الكامل صرّح الأساقفة بأنّ ايمانهُ كان محضاً وكاثُليكيّاً حقيقيّاً وايمان أعدائهِ كان فاسداً. فشجبوا غريغوريوس القفادوقيّ المستولي على الكرسيّ الاسكندريّ وكتبوا إلى كنيسة الاسكندريّة ان لا يطيعوهُ في شيء بل أن يقبلوا باكرام راعيهم القديم اثَناسيوس* فرجع حينئذٍ إلى كرسيّهِ والتزم الملك قسطَنط طاعةً لأخيهِ الملك قسطنطيوس أن يساعدهُ ويقبلهُ باكرام ووعدهُ بانّهُ سيحاميهِ فيما بعد من أعدائهِ لأَنَّهُ

كان يخاف سطوة أخيهِ الذي كان يحامي مار اثناسيوس. فلما دخل مار اثَناسيوس إلى الاسكندريّة قبلهُ أهل المدينة كانّهُ نزل إليهم من السماء. وكان قبل ذلك غريغوريوس قد طُرِد من الكرسيّ. فجلس مار اثَناسيوس على كرسيّهِ* وإذ رأَى الآريوسيُّون انَّهم خُذِلوا أَيضاً كتموا غيظهم إلى وقتٍ. وبعد زمان قُتِل محاميهِ الملك قُسطَنطيوس. فانتهز الهراطقة الفرصة وقالوا للملك قسطَنْط: انفِ مار اثَناسيوس من جديد لأنّ أخاك قسطنطيوس مات فلماذا بعد تهاب سطوتهُ. فشرع هذا الملك يجدّد اضطهادهُ لرجل الله البريّ. وجمع عليهِ في مدينة مديولان مجمعاً من الأساقفة وأراد منهم أن يشجبوهُ في ذلك المجمع فلم يرضَوا. ولذلك أخذ يضطهدهم هم أيضاً ونفى بعضهم. وبالاجمال انّهُ كان يضطهد الكنيسة كلّها والايمان الكاثُليكيّ باسم اثَناسيوس. وأرسل على هذا القدّيس جنوداً وقوَّاداً ليمسكوهُ وكان هو يصلّي في الكنيسة. فدخلوا عليهِ ليمسكوهُ ولكنّ الله حجبهُ عن نظرهم فخرج مع بعض من كهنتهِ وعبر من وسطهم سالماً وذهب إلى البرّيّة واختفى في جبّ عتيق. واستمرّ مخفيّاً فيهِ ستّ سنين ولم يعلم بهِ أحد سوى واحد من اقليرُسهِ الذي كان يأتيهِ بالطعام لحفظ حياتهِ* وكان الملك قُسطَنْط يفرغ كلّ جهدهِ في اكتشافهِ ولم يقدر. واجلس على الكرسيّ الاسكندريّ مكان مار اثَناسيوس اسقفاً آريوسيًّا اسمهُ جرجس وأخيراً مات الملك قسطَنْط وتملّك مكانهُ يُليانس الكافر ابن عمّهِ الذي كان في الخارج يبيّن نفسهُ مسيحيّاً ولكنّهُ في الباطن كان عدوّاً ليسوع المسيح.

فلمّا استقرّ على عرش المملكة شرع يظهر الوداد والحلم للمسيحيّين ولا سيَّما للكاثُليكيّين وذلك لكي يظهر نفسهُ ملكاً حليماً محبّاً لرعيّتهِ. فأمر أن يُعاد كلّ أسقف نفاهُ قسطَنْط إلى كرسيّهِ. وصار دخول مار اثَناسيوس إلى الاسكندريّة محتفلاً جدّاً إذ أنّ جميع أهل المدينة خرجوا أمامهُ واركبوهُ على حصان وادخلوهُ برهج عظيم مسبّحين لمراحم الربّ. وحاكى دخولهُ إلى المدينة دخول ربّنا يسوع المسيح إلى أورشليم يوم خرجت الناس للقائهِ يسعف النخل واغصان الزيتون ففرح بهِ شعبهُ* وامّا جرجس الأسقف الذي كان قسطَنْط قد أجلسهُ مكان مار اثَناسيوس فأُنزِل عن الكرسيّ لأنّ جميع أهالي الاسكندريّة كانوا يبغضونهُ لقبائحهِ حتَّى انّ الوثنيّين بأنفسهم لم يقدروا أن يحتملوهُ فانّهم أخذوهُ وقتلوهُ وحملوهُ على جمل وطافوا بهِ المدينة. وبعد ذلك حرقوا جثَّتهُ وألقوا رمادها في البحر*

وجلس مار اثَناسيوس من جديد على كرسيّهِ وشرع يستأصل زِوان الهرطقة الآريوسيَّة الذي زرعهُ جرجس الهرطوقيّ في كنيستهِ. ونجح جدّاً في هذه المرّة* ولمّا شاهد يُليانس أعمال اثَناسيوس اغتاظ من ذلك لأنَّهُ كان يودّ أن يعدم اسم النصرانيّة من الأرض ويؤَيّد عبادة الآلهة الكاذبة في مملكتهِ. ولمّا علم الاريوسيُّون بأفكار يُليانس اتّفقوا مع الوثنيّين الذين كانوا يبغضون مار اثَناسيوس لأنَّهُ جلب منهم جمّاً غفيراً إلى الايمان المسيحيّ وكتبوا رسالة إلى الملك يُليانس يقولون لهُ فيها: انّ اثَناسيوس هو سمّ يقتل ديانة الآلهة. وان لم يُطرَد

سريعاً من الاسكندريّة فسيخرّبها كلّها* فلمّا قرأ الملك رسالتهم زاد حنقهُ على مار اثَناسيوس. فكتب رسالة إلى والي الاسكندريّة بها يأمرهُ باخراجهِ من الاسكندريّة بل من ديار مصر كلّها. فالتزم مار اثَناسيوس أن يترك كرسيَّهُ مرّة ثالثة ويهرب* ولمّا رأَى الحزن العظيم الذي استولى من جديد على شعبهِ أخذ يعزّيهم وقال لهم لا تقلقوا فانّ هذه السحابة ستمرّ سريعاً. ولم يكتفِ يُليانُس بانّهُ نفى اثَناسيوس من الاسكندريّة ومن مصر بل أمر سرّاً بأن يُقتَل. ولمّا علم القدّيس بذلك ركب البحر وسار. فذهب جند يُليانُس في أثرهِ. وإذ رأَى انّهم أدركوهُ أشار إلى السفّان أن يرجع بهِ في السفينة إلى الاسكندريّة. فرجع ولم يعلم بهِ طلاّبهُ ودخل المدينة متنكّراً. واستمرّ فيها خفيّاً عند الكاثُليكيّين إلى موت يُليانُس الكافر. وهكذا عبرت تلك السحابة كما قال القدّيس* ولمّا جلس على سرير المملكة يوبنيانُس أزال عجاج تلك الزوبعة لأنّهُ كان رجلاً تقيّاً وكاثُليكيّاً حقيقيّاً. وأمر أن يرجع جميع الأَساقفة الذين نفاهم الملك يُليانُس إلى كراسيّهم ولا سيّما اثَناسيوس لأنهُ كان يعتبرهُ قدّيساً ويكرمهُ ويطيعهُ. فعند ذلك أظهر اثَناسيوس نفسهُ وصار يعيش في الراحة. ودامت راحتهُ مدّة مُلك يوبنيانُس الذي لم يدم سوى ثمانية أشهر ومدّة مُلك والنتنيانُس الذي تخلّف لهُ أيضاً رغماً عن الآريوسيّين والوثنيّين أعدائهِ الذين كانوا ينبحونهُ دائماً* وقضى ما بقي من حياتهِ برعاية قطيعهِ بالسلام إلى أن رقد بالرب*

وحكى مار غريغوريوس النازينزي عن موتتهِ قائلاً: انّ اثناسيوس

ختم أيّامهُ بشيخوخة مقدّسة وانطلق لينضمّ إلى آبائهِ الأحبار والأنبياء والرسل والشهداء الذين كافحوا مثلهُ أعداء الحقّ. وخرج من هذه الحيوة بمجد أكثر من يوم دخولهِ إلى الاسكندريّة لأنّ الأبرار بكوا موتهُ الذي طبع في قلوبهم مجد اسمهِ المخلّد* وكان موت مار اثناسيوس في اليوم الثاني من شهر أيّار سنة ٣٧٢ بعدما رعى كنيسة الاسكندريّة ستّاً وأربعين سنة بين الاضطهادات والأتعاب والضيقات والمحاربات*

وروى مار هيرونُمِس عنهُ قائلاً أنّهُ صنَّف كتابَين ضدّ الوثنيّين وكتاباً آخر في شرف البتوليَّة وكتباً اخر كثيرة تحوي موادّ عظيمة فاستحقّ بذلك أن يسمَّى معلّم الكنيسة*

* اليوم الثالث *

وجدان صليب ربّنا يسوع المسيح ـ جهاد الشهداء اسكندر البابا والقسّيسين اوَنْس وثاودولس

وجدان صليب ربنا يسوع المسيح

انّهُ في اليوم الثالث من شهر أيّار نذكر الكنيسة وجدان صليب مخلّصنا يسوع المسيح الذي روى عنهُ مار امبروسيوس ومار بَولينس وروفينُس وغيرهم من المؤَرّخين الكنائسيّين*

انّ قسطنطين الملك شاهد ذات يوم في السماء من على جبل ماريوس صليباً مكتوباً حولهُ: الا يا قسطنطين انّك ستغلب بهذه العلامة. وحاز الغلبة حقّاً بهِ على مكسنتيوس الظالم. فنشأ في قلب الملك قسطنطين عبادة لعلامة الصليب. ومن ثمَّ جزم أن يبثّ هذه العبادة لاكرام الصليب في كلّ مملكتهِ. واستبدل العلامة المرسومة على الويتهِ التي كانت نسراً بصليب ونقشهُ أيضاً على الدراهم التي كان يسكّها*

وكانت القدّيسة هيلانه امّ الملك قسطنطين متعبّدة بأشدّ عبادة لهذا الصليب المقدّس وعزمت أن تنطلق بنفسها إلى أورشليم لتزور الأماكن المقدّسة وتفتّش على صليب فادينا* ولمّا بلغت إلى أورشليم شرعت تبحث عنهُ باجتهاد عظيم ووجدتهُ في حفرة قريبة من قبر المخلّص مطموراً تحت التراب والحجارة لأنّ اليهود كانوا قد دفنوهُ هناك مع صليبَي اللصَّين والعنوان المكتوب الذي كان موضوعاً على صليب المخلّص والمسامير. ففرحت الملكة بذلك فرحاً عظيماً غير انَّها حزنت على أنَّها لم تكن تعلم أيٌّ من الصلبان الثلاثة هو صليب المخلّص. وكان حاضراً ثَمَّ مار مكاريوس بطريرك أورشليم فعزَّاها وشرع يصلي معها ومع سائر الجماعة إلى الله عسى أن يظهر لهم صليب فادينا بأعجوبة. ثمَّ أتى بامراة مريضة قد قربت من الموت ويئس الأطبّاء من شفائها فادنى الصليب الأوّل منها ولّمسهُ بها فلم يفعل بها شيئاً وكذلك الثاني ولكنّهُ لمّا قرّب إليها الصليب الثالث وثبت المريضة على قدميها

صحيحة متعافية وهكذا أعلنت هذه الكرامة خشبة صليب ربّنا يسوع المسيح لهُ السجود والتسبيح هذا ما رواهُ روفينس والقديس بَوْلينُس* وقال غيرهما انَّ صليب المخلّص أحيا في ذلك اليوم ميتاً ولكنَّ راي نكافورُس هو الأصحّ على انَّ الله صنع بالصليب هتين الكرامتين كلتيهما أي إقامة الميت وشفاء المريضة* فاكتمل حينئذٍ فرح الملكة هيلانة وشكرت الله على هذه النعمة. وشيّدت كنيسة فاخرة في المكان الذي كان الصليب مطموراً فيهِ وتركت فيها قطعة من الصليب وزيّنتها بزينات ثمينة. وأرسلت الباقي والمسامير إلى ابنها الملك قسطنطين فأخذ الملك هذا الكنز الثمين ووضعهُ في الكنيسة التي ابتناها في روميّة وسُمّيت منذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا كنيسة الصليب* ثمّ انّ الملك نهى عن التعذيب والموت بالصليب لأولئك الأشرار المستحقّين الموت وذلك اكراماً لرّبنا يسوع المسيح الذي مات عنّا في الصليب لكي يصير الصليب الذي كان إلى حينئذٍ أكثر عاراً وأشدّ هواناً من جميع التعاذيب فخر الملوك وتاجهم والترس المنيع الذي بهِ تحارب الكنيسة أعداءَها وتنتصر بهِ عليهم*

فهذا هو عيد وجدان الصليب الذي تذكرهُ الكنيسة في هذا اليوم لكي تعلّمنا الاكرام والعبادة الواجب علينا تاديتها إلى الصليب المقدّس لأنهُ بهِ صار الخلاص والحرّيّة والنعمة والحكمة والبرّ وتقديس الجنس البشريّ وبالاجمال انّهُ صار الدواء العامّ الشافي لجميع الشرور في الأجيال الماضية والحاضرة والمستقبلة*

وكان حدوث وجدان الصليب على يد الملكة هيلانه في سنة ٣٢٦ للمسيح بعد المجمع النيقاويّ بسنة في زمان حبرية خليفة مار بطرس البابا سلوستر*

جهاد الشهداء اسكندر البابا والقسّيسَين أَوَنْس وثاودولس

انّ البابا اسكندر وُلد في رومية وتخلّف في الكرسيّ الرومانيّ للبابا اوارسطُس وكان عجيباً في قداسة سيرتهِ وايمانهِ وتجلّدهِ في الاستشهاد. ولمّا جلس على الكرسيّ البطرسيّ لم يكن عمرهُ سوى ثلاثين سنة. وهدى بتعليمهِ وانذارهِ جمّاً من السادات الشرفاء في رومية إلى الايمان بالمسيح الذين من جملتهم كان الرئيس هرمس مع عشيرتهِ كلّها التي كانت من نحو ألف ومايتين وخمسين نفساً. فصار ذلك سبباً لأن يمسك الوالي اورليانُس هذا البابا القدّيس ويلقيهُ في السجن. وأجرى الله فيهِ كراماتٍ باهرة وهو في السجن منها انّهُ ذات ليلةٍ ظهر لهُ صبيّ وفي يدهِ سراج مضيء وقال لهُ: اتبعني يا اسكندر. وبعد أن صلّى مار اسكندر عرف انّ ذلك الصبيّ كان ملاكاً. فقام وتبعهُ. فخرجا من السجن من دون مانع وأتى بهِ الملاك إلى بيت قرينُس مختار الجماعة الذي فيهِ كان محبوساً هرمس الذي كان يشتهي أن يرى البابا اسكندر. وكان هرمس قد أكَّد لقرينُس بانّ البابا سيأتي في بيتهِ رغماً عن سجنهِ وأصفادهِ. فتعانق هذان الشهيدان وبكَيا

من الفرح وشرع يحرّض أحدهما الآخر أن يحتملا بتجلّد كلّ نوع من العذاب حبّاً ليسوع المسيح* فلمّا عاين ذلك قرينُس وعلم انّ البابا اسكندر هدى هرمس وانّ كليهما طُرِحا في السجن لأجل المسيح ورأَى من جهة أخرى الكرامة التي فعلها الله في مار اسكندر باتيانهِ إلى بيتهِ وعاين أيضاً الكرامة الأخرى التي صنعها هذا القدّيس في بيتهِ بشفاء ابنتهِ بالْبِينَه التي كانت مريضة جدّاً اهتدى إلى الايمان هو وابنتهُ وجميع المحبوسين في بيتهِ. فعند ذلك أمر البابا اسكندر القسَّين أَوَنْس وثاودولُس اللذين كانا قد أتيا من بلاد الشرق إلى رومية أنّ يعمّذا هولاء المهتَدِين* فلمّا علم ذلك أَورَليانُس الوالي غضب غضباً عظيماً وعذّب قرينُس وقتلهُ وقطع راس هرمس ورمى في البحر جميع الذين اعتمذوا في السجن مع القدّيسة بَلْبِينه البتول ابنة قرينُس. ثمّ أحضر مار اسكندر والقسَّين أَوَنْس وثاودولُس وشرع يخاطبهم في شان الكفران بايمانهم. ولمّا رآهم ثابتين أمر الجلاّدين أن يعرُّوا اسكندر البابا ويجلدوهُ باظفار حديديَّة ويحرقوا جانبيهِ باللهبات. فاحتمل القدّيس هذا العذاب بصمت. فقال لهُ اورَليانُس: لماذا أنت صامت لا تشكو من شيءٍ. فقال اسكندر: انّ المسيحيّ حينما يصلّي يتكلّم مع الله* وذاق هذا العذاب أيضاً اوَنْس وثاودولُس وكان عمر اوَنْس ما ينيف على ثمانين سنة وكان قد تعمَّذ ولهُ من العمر إحدى عشرة سنة وأخذ الدرجات الكهنوتيّة في السنة العشرين من عمرهِ. وكان الشهداء كلّما ازدادت عذاباتهم يزداد ايمانهم وتضطرم محبّتهم كالنار. وأخيراً أمر المضطهد اورَليانُس

بايقاد اتّون ويُطرح فيهِ اسكندر واوَنْس ويُوضَع ثاودولُس في بابهِ لعلّهُ إذا رأَى رفيقَيهِ يحترقان يفزع قلبهُ فيكفر. ولكنّ هذا الجندي الغير المتزعزع طرح نفسهُ في النار معهما. فبرّد الله حرارة النار عنهم كما برّدها يوماً عن شدراخ وميشاخ وعبدناغو. وخرجوا منها يلمعون كما يخرج الذهب من الكور* ومع هذا كلّهِ لم يلن قلب الظالم فأمر بقطع رووسهم وفيهِ تمّت شهادتهم. وكان ذلك في اليوم الثالث من شهر أيار سنة ١٣٢ للمسيح*

وإذ كان اورَليانس فرحان بانّهُ قتل هولاء الشهداء سمع صوتاً يقول لهُ: يا اورَليانس لقد فُتِح باب السماء للّذين أهلكتهم وامّا أنت فقد فُتِح لك باب الجحيم* فافزعهُ هذا الصوت حتى انّهُ وقع على الأرض ومات عاضّاً لسانهُ وانطلق ليصلَى نار جهنَّم الأبديّة*

وامَّا أجساد الشهداء البابا اسكندر ورفيقيهِ فدفنت خارج المدينة. ثمَّ بعد ذلك نُقِلت إلى كنيسة القدّيسة سَبينة التي هي الآن دير لرهبان مار عبد الأحد*

وكانت مدّة جلوس مار اسكندر في الكرسيّ الرومانيّ نحو عشر سنين ونصف. وكان هذا البابا رجلاً غيوراً على عبادة الله. ورسم رسومات مفيدة في بيعة الله منها انّهُ أمر أن يُمزَج قليل من الماء مع الخمر في ذبيحة القدّاس اشارة لوصال يسوع المسيح مع كنيستهِ وللدم والماء اللذَين خرجا من حنبهِ على الصليب. ونهى أن لا يقدّس كاهن أكثر من قدّاس في يوم واحد. وأن يكون خبز القدّاس فطيراً دلالة

على طهارة سرّ القربان واقتداءً بيسوع المسيح الذي رسم سرّ جسدهِ على خبز فطير في عشائهِ الأخير* ورسم هذا الحبر أيضاً أن يبارَك الماء والملح ويوضَع في الكنائس والبيوت ويكون ضدّاً لتجارب وفخاخ الشياطين الذين يضطهدونا دائماً. واستمرّت هذه العادة في الكنيسة من ذلك اليوم إلى يومنا هذا* وأجرى الله كرامات عديدة مختلفة بالماء المبارك منها شفاء المرضى وهدوء الزوابع في البحر وسكون الزلازل والصواعق في الجوّ وتخليص النفوس والأجساد المعتراة من الشيطان* وبلا شكّ انَّ هذا الماء المبارَك هو سلاح قويّ يُغلَب بهِ الشيطان فمن ثمَّ يجب علينا أن نستعملهُ بعبادة وثقة بيسوع المسيح ربّنا*

* اليوم الرابع *

القدّيسة مونِكا الأرملة امّ مار اوغسطينس

من حيث انَّ القدّيسة مونِكا هي من جملة الانام الذين أبدوا خِدَماً عظيمة في العالم واحسنوا إليهِ بحسن سيرتهم لأنّها بصلواتها ودموعها ولدت في الدنيا أحد علماء الكنيسة المشاهير مار اوغسطينُس وقضت بامانة وظيفة زوجة ووظيفة امّ مسيحيّة استحسنّا أن نورد هنا سيرتها لتكون شفيعةً للزوجات والأمّهات المسيحيّات إذا ما اقتدينَ بها في التصرّف بأمور العيشة مع الزوج ومع الأولاد*

انَّ القدّيسة مونِكا وُلدت في افريقا سنة **٣٢٢** من ابوَين شريفَي الأَصل ومسيحيّين. ومنذ صغرها ربّاها أبواها في الفضيلة فأصبحت حميدة الشيَم ذات مكارم سامية وانصباب إلى التقوى وخوف الله. وكانت كلّما كبرت في العمر ازدادت فضيلتها. وكانت تبغض اباطيل هذه الدنيا. وعزمت أن تنذر بتوليّتها لله ولكنَّ أبويها جبراها على الزيجة فزوّجاها من رجل يُدعى بطريقيوس وذلك بالهام الهيّ لأنَّ الله كان يريد أن يُخرج منها ثمرة ثمينة نافعة للعالم وهي مار اوغسطينُس المعظّم معلّم الكنيسة* امّا بطريقيوس فكان شريف الأَصل ولكنّهُ كان وثنيّاً وفظّاً ولذلك كانت مُونِكا تتألّم من جراهُ وتتأسّف على كونهِ وثنيّاً. وكانت حليمة الطبع تؤَدّي لزوجها الطاعة المفروضة وتصلّي من أجلهِ إلى الله بحرارة. وأخيراً اجتذبتهُ إلى يسوع المسيح وجعلتهُ أن يتنصّر فاصبح إذ ذاك موافقاً لإرادة امرأَتهِ مونِكا وصار يحبّها ويكرمها ويلتمس ارضاءَها لأَنّهُ عرف قداسة سيرتها والالآء التي خوّلهُ الله ايّاها بواسطتها*

انّ الوسائط التي استعملتها القدّيسة مونِكا لاجتذاب زوجها (كما قال ابنها مار اوغسطينُس) هي انّها كانت تخدمهُ كمولاها وتحتمل بصبر وسكوت كلّ ما كان يصيبها منهُ من الاذيّات والشتايم من دون أن تغضب عليهِ أو تتكدّر منهُ. وإذا غضب عليها لم تقاومهُ لا بقول ولا بفعل غير انّها عند سكون غضبهِ كانت تحتجّ إليهِ عن نفسها بحلم وتبيّن لهُ براءَتها بتذلّل وتواضع* ولم تُرَ أبداً تشكو إلى النساءِ من جاراتها ومعارفها ما كان يصيبها من فظاظة زوجها ومعاملتهِ ايّاها

بالسوء أو تتكلّم عنهُ بالشرّ كما تصنع النساء القليلات الصبر والفطنة* وربّما كانت جاراتها ياتينَ شاكيات إليها ما يصيبهنَّ من معاملة أزواجهنَّ بالضرب أو بالشتم أو بغير ذلك ومتعجّبات من بطريقيوس زوجها المشهور بفظاظتهِ وشراسة أخلاقهِ كيف انَّهُ لا يضربها أبداً وكيف لم يحدث بينهما نزاع أو خِلف. فكانت القدّيسة مونِكا تعلّمهنَّ تصرّفها مع زوجها والوسائط التي تستعملها لارضائهِ وتشير عليهنّ أن يعملنَ مثلها مع أزواجهنّ* وقال أيضاً مار اوغسطينُس: انّها بوداعتها وصبرها وحسن سيرتها هدت إلى الايمان حماتها*

ورزق الله القدّيسة مونِكا من بطريقيوس زوجها اوغسطينُس المعظّم. فعملت كلّ جهدها في أن تحسن تربيتهُ. وكان اوغسطينُس في حداثتهِ جوّاد القريحة نشيطاً وسمة الشرف لائحة فيهِ غير أنّهُ كان منغمساً في الفواحش والرذائل ومتوحّلاً في هرطقة المانيّين. فكانت امّهُ كلّما رأتهُ مبتعداً عن شريعة الله تموت حزناً وتسكب سيولاً من الدموع على شقائهِ وتصرخ ليلاً ونهاراً إلى الربّ طالبةً إليهِ أن ينشلهُ من تلك الحمأَة المتمرّغ فيها. وكانت تتوسّل إلى الناس الأتقياء والمعلّمين أن يتكلّموا مع ابنها ويرشدوهُ إلى الحقّ ويضيئُوا لهُ بنور التعليم الكاثُليكيّ* وذات يوم توسّلت في ذلك بدموع إلى أحد الأساقفة. فقال لها الأسقف: لا تقلقي لأنّهُ من المستحيل أن يهلك ابن مفتدىً بهذا المقدار من الدموع مثل ابنكِ. فتعزّت قليلاً بهذا الجواب*

ويوماً آخر أراها ربّنا يسوع المسيح بحلم انّ ابنها لا يهلك. وذلك

انَّها شاهدت نفسها حزينة جدّاً وإذا إلى جانبها لوح من خشب وعليهِ قائِم شابٌ بهيّ المنظر ذو وجه متبسّم. فقال لها الشابّ: علامَ حزنكِ. قالت: على هلاك ابني. فقال الشَّاب: لا تخافي ولا تحزني فانّ ابنكِ يكون معكِ. فالتفتت فرأَت ابنها اوغسطينُس وافقاً بجانبها على ذلك اللوح. فتيقّنت انّ ربّنا يسوع المسيح أراد أن يريها أنّ ابنها سيهجر أضاليلهُ ورذائلهُ ويرجع إلى الله بالايمان والتوبة* فلمّا اخبرت اوغسطينُس بذلك حاول أن يعكس الرويا فقال لها: انّكِ لم تفهمي كلام الشابّ لأنّهُ قال لكِ: انّك تكونين مع ابنكِ أي تصيرين مثلي من تبّاع ماني. فقالت لهُ امّهُ: كلاّ يا ابني لم يقل لي هكذا بل قال لي انّ ابنكِ يكون معكِ*

وبعد ذلك عزم اوغسطينُس أن يترك مدينة قرطاجنة التي كان يقرأُ فيها علم المعاني والبيان وينطلق إلى رومية أملاً أن يحصل على إحدى المراتب. فافرغت امّهُ كلّ جهدها في أن تردّهُ عن عزمهِ ولكنّهُ خدعها وانطلق* ولمّا كان في روميّة وقع مريضاً بمرض عضال دنا بهِ إلى العطب ولكنّ ربّنا يسوع المسيح خلّصهُ منهُ بصلوات امّه القدّيسة مُونِكا*

ثمّ انّ القدّيسة مونِكا قصدت أرض إِيطاليا لترجّع ابنها فوجدتهُ في مدينة مديولان وكان قد أُرسل من رومية إلى هناك ليدرّس في علم البيان. وكان حينئذٍ مار امبروسيوس أسقفاً على مديولان. وكانت خطباتهُ وتعاليمهُ السامية ومناقبهُ شائعة في بلاد

ايطاليا. فواصلتهُ القدّيسة مونِكا وابنها اوغسطينُس. فكان مار امبروسيوس يحبّ القدّيسة مونِكا جدّاً لفضائلها وقداسة سيرتها ويحبّ أيضاً اوغسطينُس لأنَّهُ ابن لامّ قدّيسة مثل هذه* وأخيراً أنعم الله على اوغسطينُس بشفاعة امّهِ وبواسطة مار امبروسيوس فاهتدى إلى الايمان وتعمّذ في مديولان في السنة الرابعة والثلاثين من عمرهِ. وأصبح قدّيساً عظيماً في الكنيسة ومن أقوى أعمدتها ومن أشجع المحامين لها ومن أمهر معلّميها. وفرحت بهِ امّهُ وشكرت الله على انّهُ لم يخيّب رجاءَها* ثمّ انّها أخذتهُ ورجعت بهِ إلى بلاد افريقا. ولمّا وصلت إلى مدينة أُستيَه التي تبعد عن رومية نحو أربعة أميال توفّاها الربّ هناك. وكان ذلك في اليوم الرابع من شهر أيار سنة ٣٨٧* وقبل موتها تخاطبت مع ابنها اوغسطينس عن احتقار الأشياء الأرضيّة وعن محبَّة الأشياء السماويّة. وقالت لهُ: يا ابني العزيز لا حاجة لي إلى الحيوة لأنّ الله أنعم عليّ أن أراك مسيحيّاً حقيقيّاً وخادماً لهُ تعالى فها انّني مائتة هنا. وأوصتهُ أن يدفن جسدها حيث شاءَ. وطلبت منهُ شيئاً واحداً وهو أن يقدّم لله قداديس عن روحها بعد موتها وأن يذكر نفسها على المذبح حين تقديم الذبيحة الإلهيّة* وكان عمرها حين ماتت خمساً وستين سنة. ودفن مار اوغسطينُس جسد أمهِ القدّيسة مونِكا في كنيسة مار أورآء في مدينة أُستيه. وبعد ذلك نُقِلت ذخائرها إلى رومية ووضعت في كنيسة مار اوغسطينُس*

قال مار اوغسطينس عن امّهِ القدّيسة مونِكا انّها كانت أَمَة

عبيد الله بحيث كلّ من كان يعرفها كان يمدحها على ملاحة خصالها وتقواها والأثمار التي أثمرتها. وانّها أَدّت الواجبات لوالديها ولزوجها ودبّرت بيتها بتقوى عظيمة وبأعمال صالحة. وربّت أولادها في خوف الله وصارت مثالاً للأمّهات المسيحيّات في السيرة المقدّسة مع الزوج ومع الأولاد ومع سائر أهل المنزل* وقضت حياتها بالدموع والصلوة فاستحقّت الجزاء من الله والاكرام من البيعة المقدّسة*

* اليوم الخامس *

مار بيوس الخامس البابا الذي من رهبنة مار عبد الأحد

انّ الحبر العظيم مار بيوس الخامس وُلد في قرية تدعى بسكو في لمبردية من أعمال إِيطاليا في سنة ١٥٠٤. وكان أبواهُ فقيرين من خيرات الأرض. ولمّا عمذوهُ سمّوه ميخائيل باسم رئيس الملائكة الذي انتصر على الشيطان. لأنّهُ كان عتيداً ان ينتصر على أعداء يسوع المسيح* ومنذ حداثتهِ سلك في سبل الهدى. ولمّا صار ابن اربع عشرة سنة سمع انّ راهبين من رهبنة مار عبد الأحد يكرزان في تلك القرية فذهب ليكمّلها. فلمّا رأَياهُ تعجَّبا من حذاقتهِ وقالا لهُ. أَتريد أن تأتي معنا إلى الدير لكي تدرس هناك وتصير فيما بعد واحداً من الأخوة الواعظين. فرضي الصبيّ بذلك فارحاً مسروراً ومضى واستأذن أبويهِ

وذهب مع ذينِك الراهبين إلى دير فوغيرا. وبقي هناك زماناً يخدم القدّاس صباحا ويقرأ النحو على الأخوة الواعظين* ولمّا صار عمرهُ خمس عشرة سنةً دخل في رهبنتهم. وشرع ينمو في الفضائل* وبعد ذلك الزمان انتقل من ذلك الدير إلى دير آخر يدعى وجوان وهناك أَدّى جميع واجبات المبتدئين باهتمام عظيم ثمّ نذر نذورهُ* وفي سنة ١٥٢٨ رسموهُ كاهناً ونصبوهُ معلماً في الفلسفة واللاهوت. وكان ينشو كلّ يوم في العلم والقداسة محبوباً لدى الله ومكرَّماً عند كلّ أخوتهِ* وكانت لهُ فضائلهُ وعلمهُ اكليلاً يميّزهُ من بين سائر أخوتهِ. ونصبوهُ حيناً بعد حين رئيساً على أديرة كثيرة. ثمّ أقاموهُ شارعاً في أمور الديانة* وكان يقهر جسدهُ بالتقشّف ويكنس الدير ويقوم بأدنى الوظائف وأرذلها ويقضي ليلهُ بالسهر في الصلوة والتأمّل. ولشرح خاطرهِ واستراحتهِ فكان يذهب ويخدم المرضى ويعزّي الحزانى ويهذّب الجهّال ويشجّع الضعفاء ويخدم كلّ من يأتي إلى الدير* وكان في طباعهِ يلوح على الخصوص عدل غير متزعزع وثبات غير متقلقل. ولم يكن لهُ الاّ شوق واحد وهو محبّة الكنيسة المقدّسة الكاثُليكيّة وصحّة ايمانها وكان يصيبهُ من جرى ذلك تجارب وضيقات وشدائد لأنّ تلك البلاد كانت في ذلك الزمان مضطربة بالهرطقات والشقاقات. فكان هذا القدّيس يطوف من مدينة إلى مدينة ليقوم بوظيفتهِ في محاربة أعداء الايمان وترجيع الخطاة إلى التوبة*

وفي ذلك الزمان أقامهُ البابا بولس الرابع أسقفاً على مدينة

نابي وسوتري وذلك في اليوم الخامس عشر من شهر آذار سنة ١٥٥٧ ثمّ نصبهُ كردِنالاً ومع ذلك فحفظ ثوب رهبنة مار عبد الأحد وتقشّفاتهِ الاعتياديّة* وحضر بعد ذلك في موت البابا بيوس الرابع وبعد موت هذا البابا الذي كان خليفة بولس الرابع أقام مجمع الكردِنالات قدّيسنا هذا حبراً عظيماً على كرسيّ مار بطرس باسم بيوس الخامس وذلك في سنة ١٥٦٦. وصار منذ ذلك الوقت كمنجّي المسكونة المسيحيّة. وكان حكمهُ يجري بالصلوة أكثر ممّا بالأمر. ولا نقدر أن نصف كلّ الخيرات والصالحات التي صنعها. فكم من قدّيسين ظهروا في مدّة حبريّتهِ. وكم من أعمال عظيمة قضاها لمحاربة المذهب البروتستنتيّ ولدفع قوّة الغير المومنين ولاصلاح أحوال الكردِنالات والمطارين والكهنة والرهبان وسائر الاقليرُس والعامّة* وكان دائماً يصوم وما ينام الاّ على التبن وكان ينهض في نصف الليل ويصلّي من أجل البيعة المقدّسة*

وفي سنة ١٥٧١ في اليوم السابع من شهر تشرين الأول بينما كان العسكر المسيحيّ يقاتل الغير المومنين أمر بأن تصلَّى الورديّة في جميع كنائس روميّة. وجرت في ذلك اليوم حرب بحريّة في موضع يدعى لَبَنْتَه وكان البابا القدّيس المذكور يكتب في حجرتهِ مع كاتبهِ. فقام بغتةً وفتح الشبّاك ووقع مغشياً عليهِ وصاح الشكر لله الشكر لله لأنّنا غلبنا. ثمَّ ركع أمام المصلوب لكي يشكر الله. وناهيك انّهُ في تلك الساعة عينها كسر عسكر المسيحيّين شوكة الغير المومنين بقدرة شفاعة

الورديّة المقدّسة. ولذلك أمر هذا البابا بيوس الخامس بأن يُزاد على ليتنيَّة القدّيسة مريم العذراء هذه الاستغاثة وهي: يا معونة النصارى صلّي لأجلنا. وهذا الانتصار صار آخر ملكهِ لأنّهُ منذ زمان مديد كان يتألَّم في بطنهِ بوجع الحصوة. وكان يكرّر هذا الكلام في صلواتهِ بلا انقطاع وهو يا ربّ زد آلامي ولكن زد صبري. وكان يقضي مصالح الكنيسة إلى آخر ساعة من حياتهِ*

ولمّا قربت ساعتهُ ليهجر الدنيا سلّم لله روحهُ التي كانت ملازمة الصلوة. فجاء الملائكة وأخذوا هذه النفس المباركة العفيفة ليلبسوها حلل المجد الأبديّ بين الدموع الجارية من عيون جميع المومنين وذلك في أوّل يوم من شهر أيار سنة **١٥٧٢** بعد أن ملك ستّ سنين وثلاثة أشهر وأيّاماً. وكان عمرهُ ستّاً وثمانين سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً. ولاح على قبرهِ معجزات كثيرة أيّدت قداستهُ وجعلتهُ فخراً للكنيسة المقدّسة وشرفاً لرهبنة الأخوة الواعظين*

* اليوم السادس *

مار يوحنا الانجيلي أَمام الباب اللاتيني ـ مار يوحنا الدمشقي

مار يوحنا الانجيلي أمام الباب اللاتيني

انّهُ في عهد دمطيانُس قيصر شبّ اضطهاد قويّ على النصارى وكان حينئذٍ مار يوحنا الانجيليّ المجيد في مدينة افسُس ومن هناك كان يسوس جميع كنائس اسيا وينير المسيحيين بتعاليمهِ المفيدة وبقداسة سيرتهِ. فقبض عليهِ الوثنيّون واتوا بهِ إلى مدينة رومية وأمروهُ أن يسجد للآلهة الباطلة. فلمّا أبى حكموا عليهِ أن يُطرَح في خلقين ممتلئ زيتاً مغليّاً ويموت في هذا العذاب. وعيّنوا اليوم السادس من شهر أيار الذي كان في سنة ٩٥ لانجاز هذا القضاء. واختاروا مكان الاستشهاد خارجاً من باب المدينة المدعوّ الباب اللاتيني إلى اليوم. فلمّا حان الوقت المعيَّن أخذوهُ إلى هناك وكان ثَمَّ الأمراء والسادات والأعيان وجمّ غفير من الناس ينظرون هذا المشهد. وبعدما جلدوا هذا الشيخ الرسول بالسياط عرّوهُ من ثيابهِ وطرحوهُ في الخلقين المغليّ. ولكن حالما دخل فيهِ هذا الانجيليّ القدّيس بردت حرارة النار واستحال ذلك الزيت المغليّ إلى طلٍّ سماويّ. ولكي تستبين قدرة الله بنوع أوضح من ذلك رشقت النار في أولئك الذين كانوا يطعمونها حطباً واحرقت

نفراً منهم. امّا الرسول القدّيس فخرج من الخلقين صحيحاً سالماً كما يخرج الذهب من الكور. فكان ذلك سبب خزي وخوف للوثنيّين وسبب ثبات وتعزية للمسيحيّين*

فلمّا بلغ الملك ما كان غضب غضباً شديداً ونفى مار يوحنا إلى جزيرة بطمس. وكان هذا الرسول في تلك الجزيرة إلى حين وفاة دومطيانُس قيصر. وهناك رأَى الرؤْيا وكتبها. وهدى الأقوام المتوحّشين أهل تلك الجزيرة إلى الايمان المسيحيّ. وأوحى لهُ الربّ أن يرجع إلى أرض اسيّا. فلما رجع فرح بهِ المسيحيّون وقبلوهُ كانّهُ نازل من السماء* وكانوا يكرمونهُ ويحترمونهُ كرسول ونبيّ وشهيد لله لأنَّهُ تألّم وأراد أن يموت من أجلهِ ولكنّهُ تعالى لم يمنحهُ ذلك بل استبقاهُ ليكتب سفر روياهُ وانجيلهُ ويطير مثل نسر إلى أعلى السماء ويرى الأسرار الالهيّة الغامضة*

مار يوحنا الدمشقي

انّ هذا القدّيس كان من مدينة دمشق كما يبيّنهُ اسمهُ. وكان أبواهُ غنيّين في الفضيلة والمال. واحسنا تربيتهُ في خوف الله وسائر الفضائل. وفي صبائهِ حاصر قوم السراكسة وهم العرب مدينة دمشق وافتتحوها واستأسروا من النصارى الذين كانوا فيها جمّاً غفيراً غير انّ الله سمح بأن يُعفى من ذلك أبو مار يوحنّا لأنَّهُ كان معتبراً إلى

الغاية لاحتشامهِ واستقامتهِ وفطنتهِ بحيث انّ رئيس السراكسة الذين افتتحوا المدينة نصبهُ والياً عليها. فقضى هذه الولاية جيّداً حتى انّهُ نال حظّاً عند أولئك القوم. وافتدى كثيراً من المسيحيّين الماسورين عندهم* ومن جملتهم كان رجل من ايطاليا اسمهُ قزما وكان حكيماً عالماً متكلّماً بلغات شتّى وقارئاً علوماً كثيرة. فتوسَّل إليهِ أبو يوحنا أن يرضى أن يكون معلّماً ومهذّباً لابنهِ يوحنا. فأجابهُ إلى ذلك. وبعدما علّمهُ قزما المعلّم كلّ ما كان يعرفهُ وفاق التلميذ معلّمهُ استأذن قزما أبا يوحنا بالانصراف إلى أحد الأديرة لكي يعبد الله هناك متزهّداً عن أباطيل العالم وانطلق إلى دير مار سابا في البرّيّة وهناك خصّص نفسهُ لله*

وبعد زمان مات أبو يوحنا فاختِير يوحنا خليفةً لهُ فساس دمشق بالعدل والاستقامة. فجعلهُ سلطان العرب أحد مشيري الدولة* وفيما كان يوحنا الدمشقيّ عائشاً بالطمانينة ما بين أولئك القوم شرع ابليس يقلقهُ بحرب حرّكها على الكنيسة الكاثُليكيّة. وكان في ذلك الزمان ملك الروم في المشرق رجل كافر منافق جسور اسمهُ لاون. فحرّك الشيطان هذا الملك أن يضطهد الكنيسة ويمحو منها تكريم صور يسوع وامّهِ مريم العذراء والقدّيسين فلذلك أبرز أمراً في أن تُرفَع الصوَر من جميع الكنائس والمذابح والمعابد. واحرق منها شيئاً كثيراً. ولمّا عارضهُ في ذلك بعض العلماء الغيورين غضب عليهم وعذّبهم. وصار هذا الاضطهاد عظيماً ومخطراً بحيث انهُ لم يكن أحد يجسر ان

يقاوم هذا الأسد الغضوب المتسلّح بالكبرياء والجبَروت فمن أجل ذلك كان كثير من المسيحيّين يهربون من بلادهم ويسكنون المغابر والأقفار خوفاً على أنفسهم وأجسادهم. وغيرهم كانوا يطيعون أوامر الملك خوفاً على أجسادهم وأموالهم فيفقدون ايمانهم. غير انّ الذين كانوا يعرضون حياتهم للموت حبّاً للايمان كانوا قليلين*

فلمّا رأَى الحبر الأعظم راعي قطيع يسوع المسيح تلك الحالة الشقيّة الحاصلة فيها اغنامهُ بسبب شرور هذا الملك أقام يوحنا الدمشقيّ ليكون مثل داود آخر محامياً لشعب الله. فتجنّد هذا رجل الله الغيور وباشر المحاربة عن الكنيسة بشجاعة عظيمة. فأوّل شيءٍ صنعهُ هو انهُ أخذ قلمهُ وكتب عدّة رسائل أودع فيها أقوالاً سامية محاماةً للديانة وتفنيداً لأوامر الملك الكفريّة وبثّها في كلّ مكان على أيدي العامّة بحيث انّ كلّ من قرأَها تأكّد أنّ أوامر الملك كانت غير عادلة* فتشجَّع الناس من تلك الرسائل وصاروا لا يبالون بتهديدات الملك* فلمّا بلغ الملك ما صنع يوحنا الدمشقيّ من المقاومة لهُ كتم غيظهُ عليهِ لأنهُ رأَى انهُ ليس لهُ قدرة أن يميلهُ إليهِ بقوّة السلاح من حيث انّ يوحنا كان والياً على دمشق من قِبَل العرب ولم يكن تحت سلطتهِ ولا من مملكتهِ. فعوّل على الحيلة في إدراك ثارهِ وأخذ يفتّش على بعض رسائل مخطوطة بيد يوحنا. ولمّا وجدها أعطاها لواحدٍ من أمهر كتّابهِ وأمرهُ أن يتعلّم شكل ذلك الخطّ جيّداً. فاتقنهُ الكاتب وأتى بمثلهِ بحيث انّ خطّهُ لم يَعُد يتميّز من خطّ يوحنا الدمشقي.

فعند ذلك لقّنهُ الملك رسالة كاذبةً اخترعها عن لسان يوحنا الدمشقي مرسلةً إلى الملك لاون فيها يتعاهد معهُ على أخذ دمشق سرّاً من يد العرب. وبعدما فرغ الملك من تلفيق تلك الرسالة بعث بها إلى ملك السراكسة في دمشق. وكتب إليهِ رسالة أخرى من لسانهِ يقول لهُ فيها: انّي لقد أردتُ محاربتك لأنّ يوحنا والي دمشق الذي تحت يدك هيَّأَ لي الفرصة إذ كتب لي هذه الرسالة. غير انّني امتنعتُ عن ذلك لسبب العهد الذي جرى بيننا سابقاً ولستُ أريد أن أخونهُ. واني لمتأَسّف على انّ عُمّالك لا يحفظون لك الأمانة بل يريدون أن يخونوك فيأخذوا ملكك. هكذا رأَيتُ في رسالة يوحنّا الذي وثقت منهُ بالخلوص مع انّهُ خائن. انتهى* وكتب لهُ أشياء أخر كثيرة يحمّلهُ بها على يوحنّا*

فلمّا أخذ ملك دمشق هاتين الرسالتين وقرأَهما استدعى يوحنا وأراهُ ايّاهما وسأَلهُ هل هو كاتب احداهما. فقال يوحنا حقّاً انّ خطّ هذه الرسالة يشبه خطّي ولكنّي لستُ أنا الذي كتبها. فغضب عليهِ الملك وقطع يدهُ اليمنى وسمّرهُ على عمودٍ نصبهُ في شارع المدينة. فعرف يوحنا من أين أتتهُ هذه النميمة وتأكّد انّ الأسد الذي لم يقدر أن يمسكهُ بمخاليبهِ ليمزّقهُ تردّى بجلد الثعلب لكي يمسكهُ بالمكر*

ثمّ انّ يوحنا بعد أن سكن عنهُ غضب ملكهِ وانزلهُ عن العمود توسَّل إليهِ أن يعطيهُ يدهُ المقطوعة. فلمّا دُفِعَت لهُ أخذها ليلاً إلى معبدهِ. وجثا أمام صورة مريم العذراء القدّيسة. وقرّب يدهُ

المقطوعة إلى ذراعهِ متوسّلاً إلى العذراء المجيدة بدموع حارَّة أن توصُلها بها. لأنّها قُطعت بسبب انّهُ كان بكتاباتهِ يحارب بها عن الايمان وعن اكرام صورها وصور ابنها. وأوعدها بانهُ لن يزال يخدمها ويخدم ابنها ويبثّ اكرامهما ويوطّد عبادتهما عند المسيحيّين. وبعدما صلّى هذه الصلوة نام فظهرت لهُ مريم العذراء الطوباوية في الحلم قائلةً: ها انّك قد شفيت. فباشر تصنيف مدائح وأناشيد اكراماً لابني ولي وانجز ما وعدت* فلمّا استيقظ وجد يدهُ صحيحة متّصلة بذراعهِ. فشرع يبارك هذه السيّدة التي تستجيب وتعزّي الذين يرجون بها ويمدح مكارمها بصوت عالٍ حتّى سمع جيرانهُ الذين كانوا من الغير المومنين. فدخلوا عندهُ ليروا ما سبب تسبيحهِ. فرأَوا يدهُ صحيحة فمضوا في الغد إلى الملك وقالوا لهُ انّ الذين امرتهم أن يقطعوا يد يوحنا لم يجروا امرك بهِ ولكنّهم قطعوا يد أحد عبيدهِ. وها انّ يد يوحنا صحيحة* فاستدعى الملك يوحنا ليستعلمهُ عن حقيقة ذلك فكشف لهُ يوحنا ذراعهُ. فرأَى الملك أثر القطع معلَّماً في يدهِ. (وقد جعل الربّ ذلك لتأكيد اجراء أمر الملك ولخزي أولئك الغير المومنين) فقال لهُ الملك كيف تصحّحت يدك ومن صحّحها. قال يوحنا انّ يسوع المسيح هو الذي أحسن إليَّ بذلك لكونهِ الاهي الضابط الكلّ ويعلم براءَتي. فتعجّب الملك غاية العجب وصدّق مقالتهُ واستغفرهُ وسألهُ ان يعود إلى وظيفتهِ الأولى ووعدهُ أن يجعلهُ الأوّل بعدهُ في مملكتهِ. ولكنّ يوحنا تاق أن يخصّص نفسهُ بجملتها

لخدمة الله ومريم العذراء انجازاً لوعدهِ فتوسّل إليهِ أن يعفيهُ من ذلك ويأذن لهُ بالانصراف ليعبد الله في الخلوة*

فبعدما انعتق من أمور الحكومة ووزّع أموالهُ على المحتاجين وعتق عبيدهُ واطلقهم ورتّب كلّ شيءٍ لهُ أخذ بالسفر في سبيل الله. وبلغ إلى الأرض المقدّسة وزارها. ومن هناك توجّه إلى الدير الذي كان قاطناً فيهِ قزما معلّمهُ لكي يلبس الثوب الرهبانيّ ويخصّص نفسهُ بجملتها لعبادة الله* فلمّا دخل الدير توسّل إلى الرئيس أن يقبلهُ كنعجة ضالّة ملتمسة راعيها يسوع المسيح في ذلك الدير. فقبلهُ الرئيس برضاهُ وبرضى جميع الأخوة وشكروا الله الذي بعث لهم رجلاً عالماً فضيلاً بهذا المقدار. ثمّ اودعوهُ عند راهب شيخ لكي يرشدهُ في السيرة الرهبانيّة. وكان مار يوحنا يطيع مرشدهُ في كلّ ما كان يقول لهُ. فمن جملة الوصايا التي أرشدهُ بها هذا الراهب الشيخ كانت: أن لا يعمل أدنى شيءٍ بمجرّد إرادتهِ. ويقدّم إلى الله أعمالهُ وصلواتهِ. ويجتهد في أن يكفّر عن زلاّت حياتهِ الماضية بالدموع التي يرتضي بها الربّ أكثر من البخور العطريّة. ولا يترك فكرهُ يجول في تصوّرات غريبة. ويسعى في الفرار من جميع الأباطيل الدنيويّة الغاشّة. ولا يفتخر بعلمهِ متعجرفاً. ولا يتمنّى نوال وحي. ولا يثق بنفسهِ ولا بكلّ علم بشريّ. ويفحص جيّداً ضميرهُ. ويستشير بغيرهِ في الأشياء الصعبة المهمَّة. وأن تكون كلّ مشتهياتهِ في الله. وأن يتوسّل إليهِ بلا انقطاع أن يقدّس نفسهُ وجسدهُ. انتهى* فقبل يوحنّا هذه الارشادات كانّها من ملاك ونوى أن يحفظها

بالتدقيق. وزاد عليها فرائض أُخر فرضها هو على نفسهِ وهي ان لا يعارض أحداً في شيءٍ وان لا يتقمقم أبداً من شيءٍ. وان لا يفتكر أبداً في انّ ما يأمرهُ بهِ رئيسهُ ليس صوابيّاً* فذات يوم أراد رئيسهُ أن يمتحن فضيلتهُ فأمرهُ أن ينطلق إلى دمشق حيث كان والياً قبلما دخل الدير لكي يبيع هناك سلالاً كانت الرهبان تنسجها من سعف النخل. وحدَّد عليهِ أن يبيعها بثمن مضاعف عمّا تسوى وتُباع. فأطاع بسرعة أمر رئيسهِ وحمل السلال وقصد دمشق. فلمّا دخلها وضع سلالهُ في ذلك المكان الذي كان يحكم فيهِ برهج عظيم وعرضها على البيع. فكان جميع المارّين يهزأُون بهِ ويشتمونهُ كفاقد العقل. فاتّفق أن مرّ بهِ أحد خدّامهِ وعرفهُ فاشترى منهُ جميع تلك السلال بالثمن الذي حدّدهُ عليهِ رئيسهُ. فأخذ الفضة ورجع بها إلى الدير فارحاً بطاعتهِ لرئيسهِ واحتمالهِ تلك الاهانات تكفيراً لذلك المجد الباطل الذي كان لهُ في ذلك المكان* وكان مار يوحنَّا يقضي أدنى الأعمال في الدير كخدمة الرهبان وغسل آنية الطعام وكنس النفايات وغير ذلك* وأوحى الله إلى الراهب الشيخ مرشد مار يوحنا وأمرهُ أن يأذن لتلميذهِ يوحنا ان يصنّف كتباً في موادّ دينيّة لكي تشترك الأخوة في علمهِ. فاطاع يوحنا وشرع يصنّف كتباً في الشعر والنثر حاوية أسراراً إلهيّة عجيبة. وصارت تصانيفهُ معتبرة جدّاً عند آباء الكنيسة الشرقيّة وفي الكنيسة الكاثُليكية كلّها* وشاع صيت قداستهِ وتعليمهِ في كلّ مكان. ولمّا سمع بهِ بطريرك اورشليم وكان قد رسم قزما معلّم مار يوحنّا

الأوّل أسقفاً استدعى يوحنا إلى أورشليم وسامهُ قسّيساً لكي يخدم الله بنوع أكمل في حال الكهنوت* ورجع مار يوحنّا الدمشقي إلى ديرهِ. وكان يقضي زمانهُ في التأمل في الله والدرس في الأَسفار المقدّسة وتصنيف الكتب لارشاد الكاثُليكيّين وخزي الهراطقة لا سيَّما أولئك الذين كانوا يحاربون ايقونات يسوع المسيح ومريم العذراء والقدّيسين ويبدون شقاقاً في الكنيسة وكان يعضدهم على ذلك الملك لاون وابنهُ* وأراد هذا الملك المنافق أن يثبّت أضاليلهُ في الكنيسة وينزع منها الصور المقدّسة فجمع طائفة من المتحزّبين لهُ وطرد جرمانُس بطريرك القسطنطينيَّة من كرسيّهِ لأنّهُ لم يكن يشاء أن يطيعهُ في ذلك وأقام مكانهُ انسطاسيوس الذي كان هرطوقيّاً من حزبهِ واحرق الصور ومحاها من الكنائس وعرَّى الهياكل والمذابح المقدّسة من الزينات* ولقد حاول مرّات كثيرة أن يطرد من رومية الحبر الأعظم القدّيس مار غريغوريوس وان ينزع حياتهُ. ولكنّ ربّنا يسوع المسيح لم يبطئ عليهِ بالعقاب إذ انّ البابا القدّيس بعدما نبَّههُ مرّات كثيرة على شرورهِ ولم ينتصح أطلق عليهِ سيف الحرم وصار مرذولاً عند أكثر أقاليم مملكتهِ. وحدث بسببهِ شغب عظيم في المملكة وأنزل الله بسببهِ العقاب على تلك البلاد إذ حدث فيها غلاء ووباء وزلازل وهلك خلق كثير. وأخيراً مات لاون الملك الشرّير ميتةً شقيَّة* أمّا مار يوحنا الدمشقيّ فبعدما عاش زماناً طويلاً في ديرهِ وأغنى الكنيسة بمولّفاتهِ المعتبرة تُوُفّي سنة ٧٨٠ ونال جزاء أعمالهِ في الراحة الأبديّة*

* اليوم السابع *

مار ستانسلاس الأسقف الشهيد

انّ الأسقف الشهيد ستانسلاس وُلد في مدينة قرقوفيا قاعدة مملكة بُلونيا. وكان أبواهُ شريفَي الأصل غنيّين. وكانا قد استمرَّا في رباط الزيجة ثلاثين سنة ولم يُرزَقا ولداً. وأخيراً نالا من الله بدموعهما وصلواتهما هذا الابن. ومنذ نعومة أظفارهِ لاح عليهِ ما كان عتيداً أن يصير منهُ لأنّهُ كان ثاقب العقل جوّاد القريحة في العلوم وممتلئاً من الحياء والاحتشام والأدب* وانطلق إلى مدينة باريس وتعلّم هناك العلوم وبرع في علم الالهيّات. وبعد ذلك رجع إلى بلدتهِ فوجد أبويهِ قد تُوُفّيا. فصبا قلبهُ إلى هجران العالم طمعاً في خدمة الله. ولذلك وزَّع جميع أموالهِ على الفقراء. وشاء الربّ أن يدعوهُ إلى الكهنوت ليكرز بكلمتهِ الإلهيّة. وبعد ذلك انتخبوهُ أسقفاً على كنيسة قرقوفيا* وجعلتهُ قداسة سيرتهِ وفطنتهُ وشجاعتهُ ومناقبهُ العجيبة مكرَّماً لدى الجميع. وكان رحوماً على الفقراء وحليماً وبشوشاً مع الضعفاء وصارماً مع العصاة وحنوناً على البائسين والحزانى وصبوراً على الشدائد ومتّضعاً وغيوراً على عبادة الله*

وكان ملك بُلونيا حينئذٍ رجلاً شرّيراً فاجراً ظالماً سافك دماء فاراد مار ستانسلاس أن يردعهُ عن هذه الشرور مفتكراً انّ خطايا

الملوك هي أعظم من خطايا العامّة لسبب جزيل احسان الله إليهم والمرتبة العظمى التي تقلّدوها لسياسة البشر وعمارتهم. لأنهُ ربّما أخرب المملكة فساد ملكها* فانطلق القدّيس على هذا الرجاء إلى الملك ونبّههُ على أفعالهِ القبيحة وانذرهُ بعقاب الله ان لم ينتصح. ولكنّ الملك العاتي الذي لم يكن يشاء أن ينثني عن سيرتهِ الاثميَّة احتسب مار ستانسلاس جسوراً لأنهُ وبَّخهُ فاخذ من ثمّ يضطهدهُ. وأقام عليهِ دعوى كاذبة وذلك انّ هذا الأسقف القدّيس كان قد اشترى أرضاً مُلكاً لكنيستهِ من رجل شريف يدعى بطرس ودفع لهُ ثمنها. وكان هذا الرجل قد تُوُفّي منذ ثلاث سنين. ولمّا رأَى وارثوهُ انّ الملك جزم على معاداة ستانسلاس الأسقف انتهزوا الفرصة ليدّعوا بتلك الأرض. فعرضوا أمرها على الملك وادّعوا بها على القدّيس. فاتّفق الملك معهم وعقد مجلساً واحضر مار ستانسلاس وخصمهُ للمرافعة. فادَّعى الخصم انّ الاسقف ستانسلاس ظلمهم واختلس منهم الأرض التي كانت تصيبهم بالوراثة واتوا بشهود زور لتثبيت مدَّعاهم. فحكم عند ذلك الملك بانّ تلك الأرض ليست لهُ بل اختلسها ومن ثمّ فيلتزم بترجيعها* فلمّا رأَى القدّيس ذلك وانّ الشهود الذين كانوا يعلمون حقيقة الأمر شهدوا زوراً ولم يجسروا أن يقرّوا بالحقّ خوفاً من الملك وانّ أولئك الأشرار لم يعدلوا بل قضوا عليهِ بالزور. قال امهلوني ثلاثة أيّام وانا أحضر لكم بطرس بشخصهِ الذي باعني هذه الأرض ومات من ثلاث سنين فهو يبيّن لكم الأمر. فأجابوه إلى ذلك مستهزئين* فانطلق مار

ستانسلاس إلى الكنيسة وجعل يصوم ويصلي بلجاجة إلى ربّنا يسوع المسيح ليحامي دعواهُ ويظهر الحقّ ويخزي الزور* فلمّا انقضت الأيَّام الثلاثة وقرّب الذبيحة الإلهيّة بعبادة انطلق إلى القبر الذي كان مدفوناً فيهِ بطرس وأمر أن يدحرجوا عنهُ الحجر ويحفروهُ. فلمّا فعلوا لمس الميت بقضيبهِ الاسقفيّ قائلاً: قم يا بطرس باسم الربّ. فنهض الميت وقام وتبعهُ إلى ديوان الملك حيث كان الأعيان مجتمعين. فقال لهم ستانسلاس: ها هوذا بطرس الذي باعني الأرض قد قام وجاء أمامكم فاسأَلوهُ اما دفعتُ لهُ تماماً ثمن ما باعنيهِ للكنيسة فهو رجل معروف وقبرهُ مفتوح يشير إلى انّ الله أقامهُ لتثبيت الحقّ ويجب أن تكون كلمتهُ أكيدة ومصدَّقة أكثر من جميع الشهادات* فانذهل أرباب الدولة واختزى الخصم باقرار بطرس وتوبيخهِ لهم وتنبيههِ ايّاهم أن يستغفروا عن ما أدّوهُ من الافتراء بحقّ ستانسلاس* ثمّ سأَل مار ستانسلاس بطرس هل تشاء أن تبقى في الحيوة أيضاً فاطلب لك ذلك من الله. فلم يؤْثر القائِم من الموت ذلك بل احبّ أن يرجع إلى قبرهِ وراحتهِ أكثر من أن يعيش عيشةً مملوّة من الأخطار والشدائد. وقال للقدّيس انَّهُ بعد في المطهر وعمَّا قليل سيوفي تكفير نقائص حياتهِ. وتوسَّل إليهِ أن يصلّي إلى الله من أجلهِ ويقرّب عن نفسهِ الذبيحة الالهية لكي ينطلق بأقرب زمان إلى السماء* ثمَّ انَّ بطرس رجع إلى قبرهِ ومعهُ ستانسلاس وجمٌّ غفير من الناس واضَّجع فيهِ ومات مرّة ثانيةً لكي يحيا إلى الأبد*

فمن يقدر أن ينظر آيةً بيّنةً مثل هذه ولا يتوب. وأيّ قلب حديديّ لا يلين عند نظرهِ رجلاً قائماً من الموت ومحبّاً ان يبقى في قبرهِ أكثر من أن يعيش بين البشر. ولكنَّ قلب الملك لم يرعوِ بل استمرَّ متعلّقاً ومشتبكاً في الرذائل حتَّى انَّهُ صار كوحش ضارٍ يغتسل في دماء رعيّتهِ الزكيَّة وكحيوان قذر يتمرَّغ في وحل آثامهِ النجسة* وأخيراً لمّا رأَى مار ستانسلاس الأسقف القدّيس انّ كلّ ما يبديهِ من النصائح والمناقب لم تفد هذا الشرّير شيئاً حرمهُ من شركة المومنين لعلّهُ إذا رأَى نفسهُ مقطوعاً من اغصان الكنيسة يندم ويرتجع. ولكنّهُ مع ذلك استمرَّ كفرعون ثانٍ مقسَّى القلب وابطن أخذ الثار والانتقام من القدّيس* فذات يوم إذ كان هذا الحبر الجليل يقرّب الذبيحة الالهيّة على المذبح ارسل الملك جنودهُ الذين كانوا شركاءَهُ في الاثم ليقتلوهُ. فلمَّا دخلوا الكنيسة وأرادوا أن يلفوا أيديهم عليهِ إذا بنور سماويّ ارعبهم واسقطهم على الأرض. فرجعوا إلى ملكهم من دون أن يقدروا أن يجروا أمرهُ الظلميّ. فارسل إليهِ بعد ذلك مرّتين أو ثلاثاً جنوداً آخرين فجرى بهم ما جرى بالأوَّلين ورجعوا إليهِ أيضاً خائبين. فوبّخهم على جبانتهم وأخذ غيرهم وجاءَ معهم بنفسهِ إلى الكنيسة لكي ينتقم من هذا رجل الله البارّ. ولكنّهُ لمّا رأَى جنودهُ لا يجسرون أن يقتربوا إليهِ استلّ سيفهُ وهجم على مار ستانسلاس حين كان يقدّس فضربهُ بهِ ضربةً على رأسهِ فجّت جمجمتهُ وأطارت مخّهُ إلى الحائط. ثمَّ أسرع الجنود وانزلوا بهِ سيوفهم وهو عند المذبح حتَّى قطّعوهُ ارباً وحملوهُ وطرحوهُ

في الحقل ليكون ماكلاً لطيور السماء ومأدبةً لوحوش الأرض. ولكنَّ ربّنا يسوع المسيح بعث أربعة انسُر عظيمة تحوم حول جسدهِ لتحاميهُ. وفي الليل كان ينزل على جسدهِ أنوار سماويَّة* ثمَّ انَّ بعضاً من القسوس ومن الرجال الأتقياء لمّا شاهدوا تلك الكرامات مضوا ليحملوا أعضاءَ الشهيد المتفاصلة لكي يدفنوها. فلمّا جمعوها إذا بها قد اتّصلت وتصحّحت باعجوبة الاهيَّة وصارت كما كانت قبل أن تُقَطّع من دون أن يظهر فيها أدنى أثر جرح. ثمَّ انَّهم حملوا هذا الجسد المقدَّس وأتوا بهِ ودفنوهُ في الكنيسة التي قُتِل فيها* فيا لاثم الملك الفظيع الذي مقتتهُ جميع المسكونة المسيحيَّة. فانَّ البابا غريغوريوس السابع لم يتمالك أن يترك هذا الجرم بلا عقاب لأنَّهُ الحق بالكنيسة اهانةً كبيرة فحرم الملك واعدمهُ ملكهُ وحدّد على الأساقفة أن لا يمسحوا ويقيموا ملكاً من دون سماحهِ. ومنع من جميع الوظائف كلّ من صار لهُ يد في قتل الأسقف الشهيد ستانسلاس هم ونسلهم إلى أربعة أجيال. أما الملك الذي أمسى ممقوتاً لدى الجميع ومعذَّباً من نخر ضميرهِ هرب من بلاد بُلونيا أي بلاد اللاه إلى بلاد هُنْغريا وهناك إذ لم يقدر أن يحتمل نفسهُ قتلها*

وكان استشهاد مار ستانسلاس الأسقف في اليوم الحادي عشر من شهر نيسان سنة ١٠٧٩. وبجّلهُ الله بالكرامات التي صنعها بعد موتهِ بشفاعتهِ*

* اليوم الثامن *

ظهور جبرائيل الملاك على جبل غرغان ـ مار وِكتور الشهيد

ظهور جبرائيل الملاك على جبل غرغان

انّ الجودة الإلهية قد جعلت جبرائيل الملاك محامياً للكنيسة المقدّسة كما كانت قد جعلتهُ سابقاً محامياً للكنيسة اليهوديّة. ولقد شاءَت ان تعمل على يديهِ أعظم الأعاجيب في الرسالات التي قضاها من قِبَل الله في ظروف مختلفة من أزمنة وأماكن لكي يفهم المسيحيُّون انَّهم تحت حمايتهِ. ومن ثمّ فيلتزمون بتأدية العبادة لهُ والاستغاثة بعونهِ عند حاجتهم*

انّنا نقرأ في تواريخ الكنيسة عن ظهور جبرائيل الملاك مرّات عديدة. وانّ كثيراً من الكنائس قد تشيَّدت لربّنا يسوع المسيح على اسمهِ في الشرق والغرب* ومن أشهر هذه المرّات ظهورهُ العجيب على جبل غرغان المسمَّى الآن جبل الملاك الموجود في اقليم بُوليا من أعمال نابُلي قريباً من مدينة سيبُنتو*

انهُ في عهد البابا جلاسيوس الأول سنة ٤٩٢ كان رجل غنيّ يدعى غرغان وكان لهُ مواشٍ كثيرة. فذات يوم ضلّ لهُ ثور ففتَّشوا عليهِ أيّاماً وأخيراً وجدوهُ في مغارة. فرماهُ أحد الرعاة بسهم فرجع

السهم على راميهِ وجرحهُ. فتعجّب الرعاة من ذلك وقالوا لا بدّ من إشارة غامضة هنا. ثمّ انطلقوا إلى أسقف مدينة سيبُنتو وحكوهُ الأمر. فأمر الأسقف بصوم ثلاثة أيّام وبصلوة متواترة لربّنا يسوع المسيح* وبعدها ظهر لهُ جبرائيل الملاك وقال: انّ هذا المكان الذي كان فيهِ الثور ضالاًّ هو تحت حمايتي. ويريد الله أن يُبنَى فيهِ كنيسة اكراماً لي ولجميع الملائكة. فعند ذلك مضى الأسقف والاقليرُس والشعب إلى تلك المغارة فوجدوها جديرة أن يُشيَّد فيها كنيسة. فعمَّروا تلك الكنيسة على اسم مار جبرائيل. وعمل الربّ بشفاعتهِ كرامات عظيمة وافرة مبيّناً انّهُ يريد تكريم هذا الملاك والالتجاء إليهِ*

مار وِكتور الشهيد

انّ هذا الشهيد كان من بلاد المغرب مسيحيا من صبائهِ ومن جملة جنود الملك. فوُشي بهِ أمام مكسميانُس الملك انّهُ مسيحيّ. فاحضرهُ وعرض عليهِ السجود للأوثان. فلمّا أبى ذلك ضربوهُ بالعصيّ ولكنّ الله حفظهُ منها فلم يحسّ بأدنى ألم. ورش عليهِ الوثنيّون رصاصاً مذوَّباً بالنار فلم يُؤذِه أيضاً. وأخيراً تمَّت شهادتهُ بقطع رأسهِ* وطرحوا جسدهُ للوحوش الضارية مدّة ستَّة أيّام فلم تدنُ منهُ. ثمّ أخذهُ أسقف مديولان ودفنهُ باكرام عظيم وكان استشهادهُ سنة ٣٠٣*

* اليوم التاسع *

مار غريغوريوس النازِيَنزي الاسقف ومعلم الكنيسة

انّ مار غريغوريوس النازِيَنزي الملقَّب باللاهوتيّ كان من مدينة نازِيَنز من أعمال قَفَدوقيّة من أبوين شريفَي الحسب والنسب. وكان أبوهُ يدعى غريغوريوس أيضاً وصار أسقفاً على مدينتهِ. وامُّهُ كانت امرأَة قدّيسة تدعى نُنّه وعيدها في اليوم الخامس من شهر آب* ولم يكن مار غريغوريوس ولداً وحيداً لابويهِ بل كان لهُ اخ قدّيس يدعى مار قيصاريوس واخت قدّيسة أيضاً. فالابوان والأولاد صاروا كلهّم قديسين ولا سيَّما مار غريغوريوس الذي طلبتهُ امّهُ من الله بدموع حارّة لتخصّصهُ لخدمتهِ. وقبلما رُزِقتهُ رأَت في رُؤيا الولد الذي ستلدهُ وأُمِرَت أن تسمّيهُ غريغوريوس*

ومنذ صغرهِ أحسن أبواهُ تربيتهُ في العلوم وفي الآداب. وكان جوّاد القريحة ذا ميل إلى الدرس* ولمّا بلغ السنّ الكافي للتعلّم أرسلهُ أهلهُ ليقرأَ العلوم على أمهر المعلّمين في مدينة آثيناس قاعدة بلاد اليونان التي كانت حينئذٍ سرير العلوم ولا سيَّما البيان والفلسفة* فركب البحر وسافر قاصداً آثيناس. وقبلما وصل إلى جزيرة قبرص هاج البحر وتلاطمت أمواجهُ جدّاً وكادت تغرّق السفينة فايقن الركّاب بالهلاك. فخاف غريغوريوس على نفسهِ من الموت لأنَّهُ لم

يكن بعد قد تعمَّذ. فرفع يديهِ إلى السماء طالباً من الله أن يخلّصهُ من ذلك الخطر ولا يسمح أن يموت من دون عماذ. ووعدهُ بانّهُ ان نجّاهُ يخصّص نفسهُ بجملتها لخدمتهِ* فاستجاب الله طلبتهُ وهدأَ البحر وسكنت الرياح. فلمّا رأَى ركّاب السفينة وعلموا انّ الله خلّصهم من الغرق من أجل غريغوريوس اهتدوا إلى الايمان المسيحيّ* وبعدما وصل مار غريغوريوس إلى آثيناس دخل في المدرسة وشرع يظهر همّتهُ وانصبابهُ على الدرس. واحبّهُ الجميع لسبب فضائلهِ السامية لأَنّهُ كان ذا احتشام عظيم وعقل ثاقب وقريحة جوّادة* وبعد زمان قليل جاءَ مار باسيليوس الكبير من قيصاريّة إلى آثيناس لكي يقرأَ العلوم أيضاً مثل غريغوريوس. ولمّا كان هذان القدّيسان متساويَين في الفضيلة والعلم ارتبطا بعقال صداقة قلبيَّة فاصبحا كانّهما جسدان حيَّان بروح واحدة. وكانا يعيشان سويَّةً بالتعفّف والاحتشام والقناعة متجنّبين شبّان تلك المدرسة الذين كانوا منغمسين في اللذّات التي يسوقهم إليها الشباب. وملازمين الصمت والصلوة والدرس. ولم يكونا يعرفان في آثيناس سوى طريقَين وهما الطريق التي تودّيهما إلى المدرسة والطريق التي تودّيهما إلى الكنيسة* وفاق هذان القدّيسان جميع رفاقهما وذلك بحذاقتهما ومواظبتهما على درس العلوم في الشعر والبيان والفلسفة وغير ذلك* واستمرَّا على هذه الحالة المقدّسة سنين حتى ختما مسعاهما فرجع مار باسيليوس إلى بلدهِ قيصريّة. واما مار غريغوريوس فبقي في آثيناس لأَنّ أصدقاءَهُ هناك طلبوا إليهِ أن يكون معلّم البيان في تلك المدرسة

التي تعلّم فيها وكمّل دروسهُ* وفي الزمان الذي كان فيهِ مار غريغوريوس يعلّم البيان جاء يُليانُس الكافر إلى آثيناس ليقرأَ العلوم. وكان شابّاً مظهراً شعائر الديانة المسيحيّة وذا عقل ثاقب. ولكنّ مار غريغوريوس عرف ماذا كان عتيداً أن يصير منهُ إذا ارتقى على العرش الملكيّ وذلك لسبب معاشراتهِ الرديّة وسائر أعمالهِ الغير المناسبة التي كان يتعاطاها سرّاً. فهذا الذي جعل القدّيس أن ينفصل من صحبتهِ ويأبى مواصلتهُ حينما جلس على تخت المملكة وحاول أن يجتذبهُ إليهِ. ومنع أيضاً أخاهُ قيصاريوس من مصاحبتهِ* وبعدما علّم مار غريغوريوس العلوم في آثيناس سنين عزم أن يرجع إلى بلدهِ لكي لا يحرم شيخوخة أبيهِ من رويتهِ. فقبلما خرج من آثيناس أَخذ سرّ العماذ قاصداً أن يوفي لله وعدهُ بتخصيص نفسهِ لخدمتهِ تعالى. ثمّ رجع إلى مدينتهِ واقترن بأهلهِ. وكان منعكفاً على القراءَة والتمعّن في علم الالهيّات حتّى انّهُ لم يكن يفتكر الاّ في ذلك* وكان أحياناً ربّنا يسوع المسيح يظهر لهُ في الليالي ويفرّحهُ بحضورهِ* وفي صبائهِ رأَى يوماً في رويا عذراوين جميلتين لابستين ثياب الاحتشام آتيتين إليهِ. وكانت أعينهما منخفضة ووجههما أحمر لائحة عليهِ سمة الحياء البتوليّ. أما هو فإذ لم يعرفهما زجرهما ومنعهما من الدنوّ منهُ قائلاً: مَن أنتما وماذا تطلبان. فاجابتاهُ. لا تغضب يا غريغوريوس عند اقترابنا إليك فانّ الواحدة منّا هي الحكمة والأخرى هي العفّة وقد أرسلنا الله إليك لنكون رفيقتَيك مدة حياتك كلّها. وبعدما قالتا هذا طارتا إلى السماء* وبالحقيقة انّ مار غريغوريوس استمرّ دائماً

بتولاً عفيفاً ومزيّناً بحكمة سامية حتّى انّهُ لُقِّب باللاهوتيّ. وهذا الاسم لم يعطِهِ الآباء الأوَّلون الاّ لمار يوحنا الإنجيليّ ولقدّيسنا مار غريغوريوس النازِيَنزي. ولهذا كانت تعاليمهُ مقبولة جدّاً في الكنيسة حتّى انّ كلّ من كان يضاددها كان يُعتَبر هرطوقيّاً. ولذلك مار هيرونِمُس معلّم الكنيسة العظيم يفتخر بانَّهُ كان تلميذاً لمار غريغوريوس*

وكان أبو مار غريغوريوس يتمنّى أن يستمرّ ابنهُ في بيتهِ ليكون عصا شيخوختهِ. ولذلك سامهُ قسّيسا مومّلاً بذلك أن يلزمهُ ليمكث في مدينتهِ. ولكنّ القدّيس الذي كان يتوق إلى كمالهِ لمّا علم انّ صديقهُ باسيليوس قد هجر الدنيا وانفرد في البرّيّة عزم أن يتبعهُ. فترك كلّ شيءٍ من دون مانع وهرب وجاء إليهِ واستمرّ في صحبتهِ عدّة سنين. وكانا كلاهما سائرَين في البرّيّة سيرةً ملائكيّة*

وحكى مار غريغوريوس كيف قضى زمان شبابهِ قائلاً: انّي باشغالي المداومة قد قمعتُ جسدي الذي كان يتمرّد في عنفوان شبوبيّتي. وغلبتُ شراهة بطني بالتقشّف. واستعملتُ البكاء وهربتُ من الفرح. جعلتُ كلّ شيءٍ لي في يسوع المسيح. وكانت الأرض مرقدي. والمسيح لباسي. والسهر نومي. والدموع طعامي. وفي النهار كنتُ أُخضعِ منكبيَّ إلى الشغل وفي الليل كنتُ كصنم غير متحرّك اصنّف أناشيد تقويّة. هذه كانت سيرتي في شبابي مع المحاربة التي كان يحاربني بها جسدي لكي يمنعني من الارتقاء إلى السماء. وتركتُ الغنى والثروات لكي انطلق بأكثر سهولة إلى الله. انتهى*

وكان القدّيسان غريغوريوس وباسيليوس في البرّيّة يكتبان قوانين كاملة وخلاصيّة للرهبان ويعلّمانهم الطرائق التي تجعلهم رهباناً كاملين اسماً وفعلاً* وفي غضون ذلك أرسل الشيخ أبو مار غريغوريوس يستدعيهِ إليهِ لكي يراهُ ويتعزَّى بهِ قبلما يموت لأنّ أخاهُ قيصاريوس كان قد تُوُفِّي. فأجاب هذا القدّيس إلى طلبة أبيهِ طاعةً واحتراماً لهُ وترك منفردهُ وباسيليوس صديقهُ ورجع إلى نازِيَنز لإِعانة أبيهِ* وحقاً انّ رجعتهُ كانت ضروريةً لخلاص نفس أبيهِ. وذلك انّ الهراطقة الآريوسيّين كانوا يضطهدون الكنيسة. وكان يعضدهم على ذلك والَنْس الملك. وكانوا يقنّعون المتغفّلين من الأساقفة ببراهينهم الوهميّة أن يتمسّكوا ببعض أضاليلهم. وبما انّ الأسقف الشيخ أبا مار غريغوريوس كان قصير الباع لا يعرف شيئاً من العلوم تورّط معهم. فلمّا جاءَ ابنهُ غريغوريوس ورأَى ورطتهُ شرع يصلّي إلى الله من أجلهِ وينصحهُ ويبيّن لهُ زور معتقد الآريوسيّين وصدق معتقد الكاثُليكيّين ببراهين سديدة ساطعة إلى أن نشلهُ من ورطتهِ وعرّفهُ سقطتهُ في الايمان*

ولمّا رأَى مار غريغوريوس الخراب الذي كان الآريوسيُّون يوتونهُ للكنيسة جزم على محاربتهم. فأرسل إلى صديقهِ مار باسيليوس يقول لهُ ان ائتِ إلى مساعدتي فانّ لي أعداء كثيرين أقوياء ومن ثمّ يجب أن تقترن معي في محاربتهم من أجل محاماة الايمان الكاثُليكيّ* فأجابهُ مار باسيليوس إلى ذلك وحضر إليهِ* وبعد زمان قليل مات اوسابيوس اسقف قيصريّة. فافتكر مار غريغوريوس انّهُ لا يوجد رجل يكون أهلاً لأن

يُقام خليفة لهُ أكثر من باسيليوس خليلهِ. فأخذ يسعى بانتخابهِ ويقنع مار باسيليوس أن يرتضي بهذه الوظيفة من أجل مجد الله وخلاص النفوس. وأخيراً كملت مساعيهِ بصيرورة مار باسيليوس اسقفاً* امّا اسقف نازِيَنز ابو مار غريغوريوس فاذ لم يعد يقدر لشيخوختهِ أن يسوس شعبهُ قلّد تدبير الكنيسة لابنهِ. ولمّا تُوُفِّي أراد الشعب أن يقيموا ابنهُ خليفةً لابيهِ في الكرسيّ فأبى. فعملوا كلّ جهدهم في ذلك ولم يقدروا أن يستميلوهُ. فالتزموا أخيراً أن ينتخبوا اولاليوس عوضهُ* وحاول أيضاً مار باسيليوس أن يجعلهُ أسقفاً على سازيما فلم يقدر أن يستميلهِ لأنّهُ آثر الانفراد والخلوة على الشرف الأسقفيّ* وبعد موت أبيهِ وامّهِ القدّيسة نُنّه انطلق إلى دير القدّيسة ثقلة في سلوق واستمرّ ينسك هناك خمس سنين* وبعد ذلك دعاهُ الله إلى العمل لمحاماة الديانة الكاثُليكيّة من الهراطقة الذين من جملتهم كان الآريوسيّون الذين كانوا ينكرون مساواة الابن الأزليّ يسوع المسيح للآب. ومقدونيوس الذي خرج من جهنّم مجدّفاً على الروح القدس بزعمهِ انّهُ ليس الاهاً. وابوليناريوس الملحد الذي اخترع أضاليل شنيعة في شأن تجسُّد ابن الله. فهولاء الهراطقة هم الذين جزم مار غريغوريوس على محاربتهم. فلذلك انطلق إلى القسطنطينيَّة التي فيها كان هذا الطاعون يُؤَثّر بالأكثر وشرع يبثّ تعاليمهُ الخلاصيّة ويفنّد أضاليل اولئك المبتدعين. فنجّحهُ الله في ذلك حتّى انّهُ في زمان قليل اطفأ نار ذلك الطاعون من تلك المدينة ورجَّع الضالّين إلى الحقّ* امّا العصاة الذين

لم يكونوا يشاءُون أن يتركوا أضاليلهم ويسمعوا لهُ. فلمّا عاينوا المجد الذي حصل لمار غريغوريوس لم يقدروا أن يحتملوا ذلك خلوّاً من حسد فهجموا عليهِ وطفقوا يرمونهُ بالحجارة. ولو لم يحفظهُ الربّ برحمتهِ لكانوا قتلوهُ* ولم يكتفوا بذلك فانَّهم اشتكوا عليهِ بانّهُ رجل فتَّان يسجّس المدينة. ولكنّ الله صانهُ لكي يقضي العمل الذي قد أعدّهُ لهُ فاعلن برارتهُ فأُطلِق*

وبلغ خبر أعمالهِ ومناقبهِ إلى بطرس بطريرك مدينة الاسكندريّة الذي تخلّف لاثَناسيوس. فلمّا علم هذا الحبر بالاثمار التي ربحها غريغوريوس في القسطنطينيّة بواسطة خطباتهِ وتصانيفهِ ومحاوراتهِ وانّ الايمان الكاثُليكيّ نما هناك والأضاليل كادت تمّحي أراد أن يرسمهُ أسقفاً لكي تكون أعمالهُ ذات فوائد أعظم. فاقنعهُ وسامهُ اسقفاً على القسطنطينيَّة لكي يحارب الهراطقة بقوّة أكثر وشجاعة أشدّ من ذي قبل*

وحدث انّ رجلاً فيلسوفاً مصريّاً اسمهُ مكسيمُس واصل مار غريغوريوس واظهر نفسهُ خروفاً ليسوع المسيح غير انّهُ في الباطن كان ذئباً خاطفاً. فعمّذهُ هذا الحبر القدّيس وجعلهُ من أعضاء الكنيسة وغمّرهُ باحساناتهِ. فكان يجلسهُ على مائدتهِ ويستشيرهُ في أمورهِ. ولكنّ هذا الخائن حاول أن يغدر بمولاهُ ويطردهُ من كرسيّهِ لكي يستولي عليهِ مكانهُ. فانطلق إلى بطرس بطريرك الاسكندريّة وخدعهُ ونال منهُ حمايةً في ذلك ورجع إلى القسطنطينيّة ليجلس بطريركاً عليها مكان مار غريغوريوس. ولكنَّ الشعب طردهُ من المدينة ولم يقبلهُ*

وفي ذلك الزمان جاء إلى القسطنطينيّة ثاودوسيوس الكبير الملك المتملّك في المشرق وأدّى اكراماً عظيماً لمار غريغوريوس إذ اعتبرهُ كابيهِ ونوراً للكنيسة الكاثُليكيّة ومحامياً للايمان الصحيح. وكان الآريوسيّون قد ضبطوا من الكاثُليكيّين كنيسةً فاعادها هذا الملك عليهم وقهر الآريوسيّين. فهولاء غضبوا وعزموا أن يثيروا فتنةً ونووا على قتل مار غريغوريوس. فالتزم الملك المذكور أن يضع حرّاسهُ في المدينة وفي الكنيسة لئلاّ يثير هذا القوم شغباً في المدينة* ثمّ انّ الهراطقة أرسلوا رجلاً منهم إلى مار غريغوريوس ليقتلهُ ولكنّهُ لمّا دخل حجرتهُ ودنا منهُ تغيَّر حالاً عن عزمهِ فوقع أمام قدَمَي الحبر القدّيس مستغفراً. فقال لهُ مار غريغوريوس ماذا تريد. فطفق الشاب يتنهَّد ويبكي بدموع حارّة ولم يقدر ان ينطق بشيءٍ. فقال بعض الحاضرين. يا أبانا اعلم انّ هذا الشابّ هو رسول الهراطقة قد جاء إليك ليقتلك ولو لم يحفظك يسوع المسيح لكان نزع حياتك بهذا السيف. ولكنّهُ الآن نادم وباكٍ على خطاياهُ ويستغفرك عنها* فحينئذٍ التفت مار غريغوريوس إلى الشابّ واحتضنهُ وقبّلهُ وقال لهُ بحلم: غفر الله لك يا ولدي وحفظك كما حفظني. فاسألك الآن ان تترك هرطقتك وتصير كاثُليكيّاً وتعبد ربّنا يسوع المسيح بنوع محض وكامل. فخجل الشاب من جواب هذا الرجل القدّيس المملوّ حنوّاً أبويّاً. وشكر الكاثُليكيّون الله الذي وهب لهم راعياً قدّيساً كما كان مار غريغوريوس.

ثمّ انّ الملك ثاودوسيوس الكبير أراد أن يجمع مجمعاً في

القسطنطينيّة لكي يثبّت بنوع امكن ايمان المجمع النيقاويّ الذي التأَم ضدّ الآريوسيّين ولكي تُشَجب بعض الهرطقات التي ابتُدِعت حينئذٍ. فاجتمع في ذلك المجمع مايةٌ وخمسون أسقفاً من الشرق غير انّ اساقفة مصر وطيمُثاوس بطريرك الاسكندريّة واساقفة الغرب لم يحضروا. وفي هذا المجمع توطّد الايمان الكاثُليكيّ وشُجِب الآريوسيّون والمقدونيّون والابوليناريّون. وثبّت البابا مار دَماسُس هذا المجمع الذي صار جامعاً. وتثبَّت في ذلك المجمع أيضاً بطريركيّة مار غريغوريوس على القسطنطينيّة* وبعد ذلك جاءَت أساقفة مصر وبطريركهم وادَّعوا انّ ذلك المجمع بطّال. وانّ تثبيت بطريركيّة مار غريغوريوس على القسطنطينيّة ليس بصحيح لأنّ المجمع لم ينتظر حضورهم وانَّهم ليس لهم إرادة في إقامة مار غريغوريوس بطريركاً على القسطنطينيّة. فصار لذلك شغب عظيم وانقسام في الأساقفة. وكانت طائفة منهم يريدون مار غريغوريوس ان يكون بطريركاً على القسطنطينيّة والآخرون كانوا يابون ذلك* فحينئذٍ هذا القدّيس محبّ السلم فتح فاهُ في المجمع وقال: يا آبائي ورعاة قطيع ربّنا يسوع المسيح الذين اجتمعتم هاهنا لتصنعوا سلاماً في الكنيسة. أرغب إليكم أن تعلموا انهُ ليس بلائق لشانكم أن يكون خِلف بينكم. فان كنتُ أنا سبب ذلك. فاعملوا بي مثل يونان النبيّ. اطرحوني في البحر وبذلك تهدأ هذا الزوبعة. وان أردتم أن تقلّدوا وظيفة البطريركيّة لآخر غيري فاصنعوا. لانّي لستُ مشتاقاً إليها وقد قبلتُها كرهاً منّي. وان حكمتم ان اخرج من المدينة فلستُ أبتغي شيئاً

اوفق لي من أن أعود إلى منفَرَدي* ثمّ انّهُ انطلق إلى الملك وسأَلهُ أن يوليهُ احساناً عظيماً وهو ان يأذن لهُ بالتخلّي عن وظيفتهِ لكي ينطلق ويقضي بقيّة أيّامهِ في الخلوة لأنّ شيخوختهُ واسقامهُ كانت تسرع بهِ إلى الموت. ولجّ عليهِ بان لا يرفض طلبتهُ. فاغتمّ الملك جدّاً ولم يعد يقدر أن يمنعهُ عن ذلك. فتوادع القدّيس معهُ ومع الاقليرُس والرهبان وأهل القسطنطينيّة والكنائس والمارستانات والقصور الملكيّة. وخطب مرّة أخيرة في كنيسة القدّيسة صوفيّا التي فيها كان الكرسيّ البطريركيّ وأبدى في تلك الخطبة كلّ فصاحتهِ حتى أذهل السامعين وختمها بالوداع وخرج من القسطنطينيّة تاركاً هذه المدينة حزينة على فقد هذا الراعي الغيور وقصد قَفَدوقيّة. ومرّ في طريقهِ على قيصاريه وأدّى هناك اكراماً لذكر باسيليوس صديقهِ الذي توُفِّي قبل سنين قليلة* ولمّا وصل إلى نازِيَنز مدينتهِ انفرد في خلوة لهُ تسمى ازْيَنْز وعزم ان لا يخرج منها حتى يموت. فاستمرّ هناك منعكفاً على الصلوة والتأمّل وتصانيف كتبهِ في النثر والشعر التي تذهل من يقراها لفصاحتها وقضاياها السامية*

وروى عنهُ مار هيرونِمس قائلاً انّهُ انشد اكثر من ثلاثين ألف شعر. واغلبها كانت ثمرة خلوتهِ الأخيرة. ومن هذه الأشعار ما يتضمَّن موادّ دينيّة. ومنها يحكي فيها سيرتهُ ونوائبهُ وتجاريبهُ ويشتكي من ضعفهِ. ومنها تحوي صلواتهِ وتعاليمهُ. ومنها أودع فيها تفسير الأسرار وغير ذلك. واجلّ مصنّفاتهِ هي خطباتهُ الفصيحة التي تبلغ إلى نحو

خمس وخمسين خطبة التي أودع فيها حقائق الدين وأمور الآداب وهي ككتاب لاهوت كامل عجيب. ومن جملة مكتوباتهِ مايتان واثنتان وثلاثون رسالة وكلّها ذات فوائد للنفوس. انتهى*

وكان مار غريغوريوس في منفردهِ يقشّف نفسهُ وجسدهُ مع انهُ كان شيخاً كبيراً. فكان يصوم ويأكل الرماد أحياناً عوض الخبز ويلبس المسح ويبكي بدموع غزيرة على نقائص حياتهِ. واستمرّ مرّةً أربعين يوماً صامتاً. ومن أقوالهِ وتصانيفهِ يبان تواضعهُ وعفّتهُ وحكمتهُ وعلمهُ وفصاحتهُ وسائر فضائلهِ*

وأخيراً بعدما أغنى مار غريغوريوس المعلّم العلاّمة بيعة الله بتعاليمهِ ومصنّفاتهِ وبلغ إلى شيخوخة كبيرة ترك هذه الأرض الشقيّة وانطلق بوجه مُسفِر إلى السماء لينال جزاء أتعابهِ الطويلة وأعمالهِ التي قضاها لأجل محمد الله وخلاص النفوس. وكانت وفاتهُ في اليوم التاسع من شهر أيّار سنة ٣٨٩ وهي السنة الحادية عشرة لمُلك ثاودوسيوس. ودُفن باكرام عظيم في نازِيَنز*

انّ جميع آباء الكنيسة الأقدمين مدحوا هذا القدّيس المعظّم فكنّاهُ مار باسيليوس الكبير خليلهُ بالبئر العميقة وبفم يسوع المسيح. ودعاهُ كاسُيودورُس نور العلم والتعليم* وبعد موتهِ صُنِعت صورتهُ ووُضِعت في الكنيسة واكرمها المسيحيُّون. وصنع الله بها كرامات عظيمة من جملتها رجوع النطق لقسطنطيوس بن لاون الملك الارمنيّ الذي كان قد اخرسّ* وفي سنة ٩٥٠ نُقِل جسدهُ إلى القسطنطينية ووُضِع

في كنيسة الرسل. ثمّ بعد ذلك نُقِل إلى رومية ووُضِع تحت مذبح جميل في كنيسة مار بطرس*

* اليوم العاشر *

مار انطونينس مطران فلورنسا الدومِنِكيّ ـ مار إسيدورُس الحرَّاث

مار انطونينُس مطران فلورنسا الدومِنِكيّ

انَّ الحبر القدّيس انطونينُس فخر رهبنة مار عبد الأحد وُلد في مدينة فلورنسا سنة ١٣٨٩ من أبوَين معتبرَين. ومنذ نعومة أظفارهِ ابان ما كان عتيداً أن يكون منهُ يوماً. لأنَّهُ لم يكن يميل إلى شيءٍ من اللذَّات وملاهي الصبيان أندادهِ بل كان ينصبّ على الأمور التقويَّة بالصلوة والسكوت والاحتشام والطاعة للإرشادات القدسيَّة. وكان يُدمن على زيارة الكنائس واستماع المواعظ. وكان ينحني أمام صورة المصلوب التي كان جميع الناس يزورونها في كنيسة مار ميخائيل طالباً إلى ربّنا يسوع المسيح أن ينعم بحفظ طهارة نفسهِ وبتوليّتهِ من دون دنس*

ولمّا صار عمرهُ ثلاث عشرة سنةً شرع يفتكر في أحوال العيشة التي كان مزمعاً أن يختارها لكي يصرف زمانهُ فيها بأكثر اجتهاد على

خلاصهِ ويكون نافعاً للقريب. فالهمهُ الربّ أن يلبس اسكيم رهبنة الاب المعظّم مار عبد الأحد ويعيش تحت لواء قانونها المقدَّس. فانطلق لذلك إلى دير فيازُلي القريب من مدينة فلورنسا. وعرض طلبتهُ باتّضاع واحتشام على الرهبان. وكان إذ ذاك رئيس الدير يوحنَّا عبد الأحد الذي صار فيما بعد لسموّ فضائلهِ أسقفاً وكردِنالاً للبيعة المقدّسة. فلمّا رأَى قدَّ انطونينُس الصغير وضعف تركيبهِ خِيل لهُ بانَّهُ لا يقدر أن يحمل نير الرهبنة الثقيل. فأشار عليهِ أن ينتظر أيضاً بعض سنين. وكما انَّ الصبيّ لجّ في طلب الدخول في الرهبنة سأَلهُ الطوباويّ المذكور بأيّ عل تقرأ. قال الصبيّ: انّني كنتُ أقرأ في كتب فقه غراتيانُس الفقيه. فقال لهُ: متى ما حفظت هذه الكتب كلّها على قلبك فأنا أقبلك في الرهبنة (قال لهُ ذلك بنيّة ان يصرفهُ من الدخول في الرهبنة بلا تكدير خاطرهِ) فامّا الله الذي هو عجيب في قدّيسيهِ فوهب لهذا الصبيّ بالاّ حافظاً عجيباً إلى الغاية حتّى انّهُ بعد سنة واحدة امتثل ثانيةً بين يدي الطوباويّ يوحنا بعد الأحد قائلاً لهُ: افحصني فقد عملتُ ما امرتَ. واطلب الدخول في الرهبنة* ففتح يوحنا الكتب وسأَلهُ أن يتلو ذلك على قلبهِ فتلاهُ بسرعة. ثمَّ سأَلهُ سؤَالات شتَّى في تلك الكتب وكان انطونينُس يجاوب بلا غلط. فتعجّب الطوباويّ من حذاقتهِ ووساعة عقلهِ والبسهُ ثوب مار عبد الأحد شاكراً لله الذي يمنح نعمتهُ للأطفال والمتواضعين وانقياء القلوب*

وانَّ انطونينُس بقضائهِ جميع واجبات المبتدئين محى عن عقل

الروساء ظنَّهم فيهِ انّهُ لا يقدر أن يحتمل مشقَّات الرهبنة بتناولهِ قوَّةً من حرارة همّتهِ* وبعد قليل من الزمان سَهُل لهُ طرق شتَّى من الكمال لأَنَّهُ كلّ يوم كان ينال نعمة جديدة من الله لسبب أمانتهِ. وكان يبان في كلّ شيءٍ متواضعاً طائعاً محتشماً لا بل مضبوطاً بعمل الرهبنة. ومن أجل ذلك فكان معتبراً بين أخوتهِ كقدوة جميع الفضائل* وكان قنوعاً جدّاً في الأكل. فلم يكن يتناول من الطعام الاَّ الضروريّ. واشتهر في السهر ومحبَّى الفقر والادمان على الصلوة. وكان عدوّاً للكسل* ولمّا انقضى زمان ابتدائهِ قرَّب لله حرّيّتهُ قرباناً مؤَبَّداً بالنذر الرهبانيّ. ورُسِم كاهناً. ومن ثمَّ كان ينمو بالتقوى وكان روح القدس فيهِ. ولم يصعد أبداً إلى المذبح لتقريب الذبيحة الإلهيّة الاَّ وتهطل الدموع من عينيهِ لشدَّة محبّتهِ ليسوع المسيح الموجود في القربان المقدَّس. ولم تكن سيرتهُ الاَّ أفعال توبة دائمة. لأنهُ كان يلبس المسح ويتمنطق بسلسلة حديديّة ولا ينام الاَّ على شيءٍ صلب ان في حال العافية وان في حال المرض. وحين كان يدرس أو يكتب بعد الصلوة الليليَّة ويأخذهُ النعاس ولم يكن يقدر أن يردّهُ فكان يتكي رأسهُ على الحائط وينام بعض دقائق ثمَّ يستيقظ ويقبل على شغلهِ ويبدأ بصلواتهِ من جديد. وبهذا كان يستعيد جسمهُ لروحهِ لكي يجعلهُ يؤَدّي جميع ما كان يجلبهُ إلى القداسة السامية. وبخصوص ذلك كان الناس يقولون: انَّ هذا الرجل هو بالحقيقة كملاك لأَنَّهُ يبان لا جسد لهُ*

وفي ذلك الزمان نُصِب مرشدهُ ورئيسهُ الطوباويّ يوحنا عبد

الأحد مطراناً وكردِنالاً. والبابا غريغوريوس الثاني عشر وضع في مكانهِ مار انطونينُس الذي اقتبس منهُ كلّ الفضائل الرهبانيّة لكي يثبّت ويحفظ القوانين في أديرة كثيرة قد كادت تضحملّ فيها ويتمّم جميع الأعمال بترجيعهِ ضبط القوانين الأولى في جميع الأديرة* وفضيلتهُ فاقت على عمرهِ مع انَّهُ كان صغير العمر. ولأجل ذلك انتُخب ليكون رئيساً على دير يدعى مِنَرْوا في رومية* وكان يظهر في هذا المنصب حكمتهُ وفطنتهُ وحلمهُ جدّاً حتّى انّهُ نُصِب رئيساً على نابُلي وغَئِيتا وكُرتونا وسبانيا وفيازُلي وفلورنسا. ورجّع في كلّ الأديرة القوانين وثبّتها وصانها. وجدّد عند الرهبان روح التقوى والقنوت والصلوة والدرس والغيرة لاجراء الوظيفة الرسليّة* وكان مع كونهِ مشغولاً بمهمَّات السياسة لم يمنعهُ شيءٌ عن القيام بالوظيفة الرسليّة. فكان يكرز دائماً وكرازاتهُ كانت ذات ثمر جزيل لأنّ قداسة سيرتهِ كانت تزيد قوّة في كلامهِ* وكان الجميعِ يسمعونهُ من جهّال وعلماء بكلّ اصغاء لأنُهُ كان يعرف ان يرضي القبيلَين. وذلك انّهُ كان يستعمل حركات كثيرة بها يجلب الجهّال الغافلين ويوعب كلامهُ بعلميّات غويصة لكي يجذب بذلك العلماء إلى يسوع المسيح. هذا ما كان يصنعهُ في النهار. وامّا في سهر الليل فكان يصنّف كتباً لتثبيت الايمان واصلاح العوائد* وكانت هذه الأعمال تزيد صيتهُ فكان اللاهوتيُّون والعلماء يقصدونهُ من كلّ ناحية ليستشيروهُ. وكان جميع الناس يمتثلون مشوراتهِ بثقة حتى انهُ دُعي لأجل ذلك أبا المشورات* ولاقتدائهِ بمار عبد الأحد

وايّمة الرهبنة كان يسوس اخوتهُ بقدوتهِ أكثر ممّا بسموّ تدبيرهِ وبحكمة أوامرهِ* وكان جميع أخوتهِ يعملون بالقوانين بكلّ ضبط لأنَّهم كانوا يرونهُ مع كونهِ رئيساً يقضي الحاجات الدنيّة في الدير. وانّما تميّز عن جميع الآخرين بولعهِ الزائد في تأدية كلّ فرائض رهبانيّتهِ وبأعمالهِ الرسليّة التي كان يقضيها لمجد الله وخلاص النفوس* وكان في أسفارهِ التي كان يسافرها راجلاً مع صعوبة الفصول وضعف جسدهِ يلازم الأصوام المفروضة في الرهبنة. وكلّ هذه الأتعاب والمشقّات اجتمعت عليهِ وعبثت بصحّتهِ. وطالما اعترتهُ أمراض دنت بهِ إلى الموت* غير انّ نفسهُ القويّة الثابتة بنعمة يسوع المسيح وبتامّلهِ في صليبهِ كانت تجعلهُ كبولس الرسول شجيعاً في ضعفهِ. وكان يستعمل من الأشياء ما يتعب جسدهُ لكي يطهّر روحهُ ويزداد في الامانة* ولسبب هذه مناقبهِ السامية نصبهُ البابا اوجانيوس الرابع مطراناً على فلورنسا مدينتهِ* فصار من سنة ١٤٤٦ إلى سنة ١٤٥٩ مطران فلورنسا التي كانت إذ ذاك زاهيةً بالمجد والجلال* وحضر القدّيس انطونينُس عند البابا اوجانيوس الرابع عندما كان في سياق الموت. وكان البابا نيقُلاوس الخامس الذي تخلّف بعد اوجانيوس يحبّهُ غاية ما يكون ويثق بهِ جدّاً. وكان يقول عنهُ لا أشكّ في انهُ مستحقّ ان احكم بكونهِ قدّيساً وهو في قيد الحيوة. واحبّ أيضاً ان يبقيهُ في رومية ولكنّ القدّيس التمس بركتهُ ورجع إلى فلورنسا* وكان هذا الراعي غيوراً على حماية قطيعهِ ومؤَدّياً جميع واجبات وظيفتهِ. وكان رأُوفاً على الفقراء حتَّى

انّهُ كثيراً ما كان يتعرّى لكي يكسوهم* وحدث في ذلك الزمان في مدينة فلورنسا وباء قتّال أهلك كثيراً من الناس. واعتقبهُ غلاء عظيم أهلك خلقاً كثيراً من الجوع وافقر كثيراً أيضاً. فشرع هذا الحبر الجليل يسعى بكلّ الوسائل الممكنة في سدّ عازة الفقراء. وبامثالهِ وأقوالهِ فتح أكياس أشخاص كثيرين من الأغنياء وحصل من رومية على اسعافات وافرة. وأقام في فلورنسا أخويّةً تجتهد بمساعدة الفقراء ولا سيّما أولئك الذين يمنعهم حياؤهم من الاستعطاء* وبلغهُ يوماً انّ فقيرين اعميَين جمع احدهما مايتَي دينار والآخر ثلاثماية فأخذ منهما هذه الدراهم لكي يسدّ بها عازة المحتاجين ولكنّهُ قام بقوتهما ومعاشهما إلى منتهى حياتهما*

ويوماً آخر اهدى لهُ رجل سلّة فواكه راجياً ان ينال منهُ هديّة جزيلة لما يعهد من جودتهِ وحبّهِ للفقراء. فأخذها القدّيس ولم يواسِهِ بل قال لهُ فقط: انّها لفواكه طيّبة فليجازِك الله عوضها. فمضى الرجل حزيناً آيساً ونادماً على انهُ خسر تعبهُ وفواكههُ وشرع يتقمقم على القدّيس. فلمّا بلغ ذلك مار انطونينُس استدعاهُ وأخذ ورقةً وكتب فيها هذه الكلمات الثلاث وهي: ليجازِك الله عوضها. ووضعها في كفّة ميزان ووضع سلّة الفواكه في الكفّة الأخرى فرجحت الكفّة التي كانت فيها الورقة على الأخرى. فعند ذلك التفت القدّيس إلى الرجل قائلاً: ممَّ عدتَ تشكو. انظر أَما اعطيتُك أكثر ممّا أخذتُ منك*

وكان على جانب عظيم من الفطنة والحكمة ولهذا كان يشير على الأساقفة أن لا يسرعوا بحرم مجرم الاّ عندما يلجئهم الأمر إلى ذلك

لأنّ بعضهم كانوا يتشكّون من انهُ لا يحرم أشخاصاً من رعيّتهِ لسبب ذنوب ارتكبوها. فامّا هو فقال عليَّ بخبز أبيض. فلمّا اتوهُ بهِ لفظ عليهِ الكلمات التي تُلفَظ عند الحرم. فاستحال ذلك الخبز الأبيض إلى فحم أسود أمام جميع الحاضرين. ثمّ انهُ بعد ذلك قال عليهِ كلمات الحلّ فرجع إلى حالتهِ الأولى. وأراد بذلك أن يبيّن لهم قوّة الحرم في النفس وانهُ لا يجب أن يُستعمَل الاّ عند الضرورة*

وامّا تواضعهُ فكان يغطّي أغلب أفعالهِ الصالحة. وبتواضعهِ كان يستر قدر فضائلهِ. ولم يكن يرى الاّ نقصاناً في أعمالهِ التي كان يتعجَّب منها غيرهُ* ولم يكن يسمع الناس تمدحهُ على فضلهِ الاّ يخجل* وحرّض كثيرين على الاقتداء بفضائلهِ السنيَّة. ومن جملتهم رجل من الصنّاع عديم الصيت كان يعيش عيشة توبيّة. ولم يكن راغباً الاّ في الخيرات السمويّة. وكان يقضي أيَّام الأحد والأعياد في الكنيسة. وكان يقسّم كلّ ما كان يربح من أتعابهِ على الفقراء ما خلا الأشياء الضروريّة لمعيشتهِ. والتزم معاش رجل فقير أبرص وخَدَمهُ بلطف. وكان هو بنفسهِ يضمّد قروحهُ. وكان يحتمل بفرح التوبيخات والتعزيرات التي بها كان هذا الشقيّ يهينهُ. وبلغت القباحة الأبرص إلى انهُ اشتكى على المحسن إليهِ عند المطران مار انطونينُس. فلمّا اطّلع هذا الحبر القدّيس على حقيقة الأمر بفحص مدقَّق ووجد كنزاً ثميناً من القداسة عند ذلك الرجل عزّر الأبرص لرداوتهِ وعدم وفائهِ*

ومن أعمال تواضعهِ انّ الناس اجمعوا أن يرسلوهُ سفيراً إلى

بلاد النمسا لدى السلطان فريدريك الرابع. ولكنّهم لم يقدروا على إرضائهِ بتلك الوظيفة التي غيرهُ لم يكن كفواً للقيام بها* وكان يبتعد عن الكرامات ويحبّ رعيّتهُ بانعطاف ولذلك كان يصعب عليهِ أن يتركهم*

ولمّا بلغ من العمر سبعين سنة قضى منها أربعين في الدير وثلاث عشرة في أسقفيّة فلورنسا وقع مريضاً بحمًّى ثقيلة. فكان يقول مع المرتّل انّ أيّام حياتنا هي سبعون سنة ووزّع القليل الذي كان يملكهُ على الفقراء وبعد موتهِ لم يوجد في بيتهِ ما يساوي أربعة دنانير* وبعدما تناول الأسرار المقدّسة صاح قائلاً: انّ خدمة الله هي سلطنة. ثمّ قبّل المصلوب وسلّم روحهُ إلى الله وكان ذلك في اليوم الثاني من شهر أيّار سنة ١٤٥٩. ودُفن في بيعة مار لوقا عند الدومِنِكيّين حسبما كان قد طلب. والبابا بيوس الثاني الذي كان حينئذٍ في فلورنسا حضر جنازتهُ. وزيّنهُ الله ببواهر الكرامات التي أجراها على يديهِ في حياتهِ وبعد موتهِ التي من جملتها ان جثّتهُ بقيت إلى الآن بلا فساد*

مار إِسيدورُس الحرَّاث

انَّ الطوباويّ مار إِسيدورُس وُلد في مدينة مدريد عاصمة مملكة اسبانيا. وكان أبواهُ فقيرين ولكنّهما كانا فضيلين وخايفَي الله.

واحسنا تربيتهُ في سبل التقوى وخوف الله* ولمّا كبر صار حرَّاثاً عند أحد أشراف مَدريد. وتزوَّج بامرأَةٍ من أحسن عابدات الله في تلك المدينة. ورُزق منها ولداً لم يعش سوى زمان وجيز. ومن ذلك الحين عاشا بالتعفّف إلى آخر حياتهما. وصارت امرأَتهُ بعد موتهِ معتبرة كقدّيسة في كلّ بلاد اسبانيا لسبب الكرامات التي كانت تصنعها بقدرة الله*

وكان ايمان مار إِسيدورُس وطيداً بالله. ولقد شاءَ الربّ أن يظهر ايمانهُ بآية مشتهرة. وذلك انَّ سيّدهُ ذات يوم إذ كان في الحقل عطش وكان الحرّ إذ ذاك شديداً. فضرب مار إِسيدورُس الأرض بعصاهُ فانبع منها ماءً أروى بهِ مولاهُ*

ولمّا رأَى رفاقهُ مناقبهُ حسدوهُ فكانوا دائماً يشتكون عليهِ عند سيّدهم بانَّهُ كسلان. فيوماً ما وبّخهُ سيّدهُ على ذلك. فقال القدّيس انّي أوثر خدمة الله على خدمتك ولا أقدر أن أتركها لا بل لا أريد ذلك* ويوماً آخر إذ رآهُ سيّدهُ منطلقاً إلى الحقل وقد أبطأَ مضى وراءَهُ ولمّا وصل الحقل رأَى ملاكين يسوقان الأرض معهُ بثورين ابيضين. فتحقَّق من ذلك قداستهُ وعرف زور شكوى رفاقهِ الحسودين*

وبلغ بصلواتهِ وتامّلاتهِ المداومة وسائر فضائلهِ إلى قمّة الكمال. وكانت محبّتهُ للقريب عظيمة حتَّى انّهُ كان يساعد بقدر مكنتهِ كلّ من كان يستعين بهِ* وعلى هذا الأسلوب قضى حياتهُ. ولمّا دنا أجَلهُ تناول الأسرار المقدّسة وعبر من هذه الحيوة الدنيا إلى الآخرة لينال جزاء أتعابهِ. وكان ذلك في سنة ١١٧٠ ودُفن جسدهُ في مقبرة مار

اندراوس في مدينة مدريد*

وبعد موتهِ بأربعين سنة ظهر في الحلم لامرأَة من ذوات التقوى وطلب منها أن تنقل جسدهُ وتدفنهُ في مكان أكثر اعتباراً. فلمّا حكت ذلك للاقليرُس والشعب حفروا قبرهُ فوجدوا جسدهُ سالماً من الفساد. فأخذوهُ ووضعوهُ في مصلّى الأسقف وهناك هو موجود إلى الآن. والكرامات التي صُنعت بشفاعتهِ أيَّدت قداستهُ*

* اليوم الحادي عشر *

مار جنغولا الشهيد

انّ هذا القدّيس كان من أصل شريف في فرنسا. ومنذ صغر سنّهِ تربّى في حضن الديانة المسيحيّة. وكان منعكفاً على الدرس في التقوى وفي العوائد الصالحة. وبقدر نموّهِ في العمر كان يزداد تقدّماً في سُبل الكمال* وكان على جانب عظيم من الاحتشام والحياء وكان تعفّفهُ يظهر في عينيهِ. وبشاشتهُ في مخاطباتهِ. وحكمتهُ وفطنتهُ في سائر أعمالهِ* وكان يهرب من الملاهي الباطلة ومعاشرة الشبّان الخفيفين ويسدّ أذنيهِ عن سماع الكلمات الرديّة التي تفسد الضمائر السليمة*

ولما مات أبواهُ وتركا لهُ جميع ثروتهما وراثةً شرع يستعملها في سبيل الله. فكان هذا السيّد الفتى الجوّاد بصراً للعميان ورِجلاً للمقعدين

وسنداً للضعفاء وفداءَ للأسرى وعصاً للشيوخ وقوتاً للأيتام والأرامل وتعزيةً وعوناً لجميع المتضايقين. وكان بابهُ مفتوحاً لجميع الغرباء والضيوف* ولمّا بلغ العمر الرجُليّ تزوّج بامراة من بنات الأشراف غير انّ أخلاقها وطباعها لم تكن توافق ملاحة خصالهِ. وقد سمح بذلك ربّنا يسوع المسيح ليمتحن صبرهُ ويظهر طهارة نفسهِ وسموّ فضائلهِ*

وحدث في ذلك الزمان ان كلّفهُ والي فرنسا محاربة أعداء الوطن. فتجنّد للحرب وقهر الأعداء ونال حظّاً سعيداً في عيون أهل المملكة. فنصبوهُ من أكبر قوّاد الجيوش. وأقام في هذه الوظيفة مدّة من الزمان ثمّ استعفى*

وأراد ربّنا يسوع المسيح أن يمتحن عبدهُ بالتجارب والأحزان فحدث بسماحهِ انّهُ بمقدار ما كان هو ينمو بالقداسة كانت امراتهُ تزداد شراسةً ووقاحةً حتى افضت جسارتها إلى خيانة زوجها ونقض عهود الزيجة إذ سلّمت نفسها إلى أحد الشباب. فشاع خبر قباحتها وبلغ زوجها مار جنغولا ذلك. فحزن متعجّباً من هذا الحادث الغريب ولم يعد يعلم ماذا يفعل فسلّم أمرهُ إلى الله. وإذ كان يوماً يتنزّه مع امراتهِ في الحقل عند عين ماء قال لها: بلغني عنكِ كَيت وكيت. فانكرت وجعلت تحلف انّها بريئة وانّها قُرّفت زوراً. فقال لها انّ العناية الإلهيّة التي لا يخفاها شيءٌ تظهر ذلك الآن. ها هوذا ماء العين طيّب لا حارّ ولا بارد فغطّسي يدكِ فيهِ واخرجي لي حجراً من القاع. فان كنتِ بريئة فلا يلحقكِ أذىً والاّ فسيظهر ذنبكِ. امّا هي

فقالت في نفسها انهُ لكلام جاهل. ولمّا غطّست يدها في الماء لتخرج لهُ حجراً انسلقت ذراعها في الحال. فجرّتها وإذا الجلد قد وقع حتى أظفارها. فخجلت عند ذلك ولم تعد تنتظر سوى الموت* فقال لها الآن ظهر جرمكِ فاستودعكِ إلى عدل الله. فان عملتِ أثمار توبة حقيقيَّة حصلتِ على الغفران من الله والاّ احترقتِ مع الشياطين في النيران الجهنمّيّة. امّا أنا فلستُ أريد من الآن أن أعيش معكِ فاترك لكِ قطعةً من أرضي وجزءاً من أموالي لتعيشي بها. فعيشي إذاً حسبما يلهمكِ الله* ثمّ انهُ أعطاها ما أقرّ بهِ لها وأخذ أموالهُ وسافر من تلك المدينة وانطلق فسكن في مكان بعيد. وكان هناك مواظباً على أعمال البرّ والقداسة* امّا امراتهُ فبعد خروج زوجها تحوّلت إلى المكان الذي عيّنهُ لها. ولمّا رأَت نفسها معتوقة الحرّية شرعت تفعل أكثر من الأوّل من القباحات مع ذلك الشابّ مفسدها. ولمّا توغَّلا في النجاسة خافا أن يعلم زوجها بذلك ولعلّهُ لا يعود يتمالك أن يصير كالأوّل ويسلّمها إلى أرباب الحكم. فاتّفقا على قتلهِ ليرتاحا من القلق الذي استحوذ عليهما* فركب الشابّ حصانهُ ومضى ليقتلهُ. ولمّا وصل إليهِ دخل خفيةً إلى بيتهِ فوجدهُ نائماً. فانتهز الفرصة ليضربهُ بالسيف غير انهُ لمّا رفع يدهُ استيقظ القدّيس. فلمّا رأَى الشابّ القتّال انّ أمرهُ قد انكشف ضربهُ بالسيف وفرّ هارباً خوفاً أن يمسكوهُ. فانجرح مار جنغولا في فخذهِ جرحاً عميقاً عاش بعدهُ زماناً قليلاً ثمّ مات بعد أن تناول الاسرار المقدّسة. وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر

أيار سنة ٧٦٠* ودُفن جسدهُ في كنيسة كان قد عمَّرها من أموالهِ على اسم مار بطرس رئيس الرسل. ولقد اعطتهُ الكنيسة الكاثُليكيّة اسم شهيد لأَنّهُ قُتِل من أجل محاماة العدل والعفّة* وأراد الربّ أن يظهر قداسة خادمهِ فزيّنهُ بكرامات باهرة فعلها بشفاعتهِ* ولم يبطئ أن انزل عقابهُ على مَن صار سبب موتهِ. فالشابّ القتّال إذ كان منطلقاً يوماً لقضاء حاجة خرجت امعاؤهُ فمات ميتة شقيَّة فجائيّة. والمرأَة العاهرة ابتُليت بسقم مهول استمرّ فيها إلى حين موتها*

* اليوم الثاني عشر *

مار ابيفانيوس اسقف سلامينة ـ مار فنقراس الشهيد

مار ابيفانيوس اسقف سلامينة

انَّ مار ابيفانيوس وُلد في فونيقيّة من أبوَين يهوديّين فقيرَي الحال يعيشان بعمل أيديهما. وكان أبوهُ يقضي نهارهُ بفلاحة الأرض وامّهُ بغزل الكتّان* ورزقهما الله ابناً دُعي ابيفانيوس وابنةً سُمّيت كالنِروبَه. ولمّا صار عمر ابيفانيوس عشر سنين مات أبوهُ وترك الامّ حزينة على قلّة ما عندها لتربية أولادها. ولكنَّ الله الذي اصطفى ابيفانيوس ليجعلهُ نوراً لكنيستهِ حرَّك رجلاً يهوديّاً غنيّاً عالماً في ناموسهِ

والهمهُ ان يأتي إلى امّهِ ويسأَلها أن تعطيهُ ابيفانيوس ليربّيهُ ثمَّ يزوّجهُ بابنةٍ وحيدة كانت لهُ. فاعطتهُ ايَّاهُ. فاخذهُ وشرع يربّيهِ وعلّمهُ كلّ ما كان يعرفهُ من اللغة العبرانيَّة ومن العلوم. وبعد زمان ماتت ابنتهُ فاقامهُ وارثاً عامّاً على جميع أموالهِ*

وبعد ذلك اهتدى ابيفانيوس إلى الايمان المسيحيّ هو واختهُ كالنِروبه على يد راهب قدّيس يدعى لُقيانُس واعتمذا. وحدث انّ ابيفانيوس لمّا دنا إلى حوض المعموذيّة انخلع حذاؤُهُ من ذاتهِ. فمنذ ذلك اليوم لم يعد يحذي رجليهِ ومشى حافياً طول حياتهِ* ولما صار عمرهُ ستّ عشرة سنة الهمهُ الله أن يهجر أباطيل الدنيا ويخصّص نفسهُ لخدمتهِ تعالى. فترك اختهُ عند خالة تقيّة لهُ كانت رئيسة دير واعطاها جزءاً من أموالهِ لمعيشتها ووزّع الباقي من ثروتهِ على الفقراء وانطلق فترهّب عند لُقيانُس الذي هداهُ إلى الايمان. وكان عند لُقيانُس حينئذٍ عشرة رهبان ومن جملتهم كان كاهن بارّ يُدعى هيلاريون فهذا تقلّد ارشاد ابيفانيوس في السيرة الرهبانيّة. وصار هذا الراهب الجديد قدوة لجميع الرهبان في الفضائل* وعمل الله كرامات على يديهِ أذاعت اسمهُ. ولكي يتجنّب المجد الباطل التمس بركة رئيسهِ وتوادع مع الرهبان وانصرف إلى البرّيّة. ثمّ انطلق إلى أورشليم وزار الأماكن المقدّسة. وبعد ذلك قصد أرض مصر لكي يرتشد من الاباء القدّيسين القاطنين هناك حتى يتقدّم يوماً فيوما في طريق الكمال. وحينما كان هناك وقع بين الهراطقة إذ أرادوا أن يخدعوهُ باضاليلهم فلم يتمكّنوا

منهُ لانّهُ صنّف ضدّهم كتاباً يتضمّن دحض ثمانين هرطقة*

ثمّ بعد ذلك انتُخِب اسقفاً على سَلامينه قاعدة جزيرة قبرص. وحالما استقرّ على كرسيّهِ شرع يضيء لجميع المومنين كسراج موضوع على منارة. فكان يقيت قطيعهُ بالتعليم السماويّ. وكان معزّياً للحزانى ومساعداً للمحتاجين ومرشداً للجهّال. ومؤَدّباً للأشرار. ومشجّعاً للمؤْمنين. ومخزياً للهراطقة وهادياً لليهود. وكان يؤَدّي جميع واجباتهِ بتدقيق سائراً سيرة مقدّسة مزيّنة بأعاجيب كان الله يعملها على يديهِ. وكان محبوباً عند كلّ أهل جزيرة قبرص. واشتهر صيتهُ عند جميع قبائل الأرض. ومع ذلك لم يخلُ من ضدٍّ. لأنّ الحسد يولد دائماً من سموّ الفضيلة وذلك بسماح الله لأجل امتحان عبيدهِ ولتنقيتهم كالذهب في الكور. فانّ مار ابيفانيوس كان قد فكّ رجلاً شريفاً رومانيّاً من الأسر بدراهم الكنيسة لأنّهُ لم يقدر أن ينال ذلك من مكان آخر. فلمّا علم بذلك أحد شمامستهِ اسمهُ كارينُس وكان رجلاً غنيّاً سفيهاً حريصاً حمّل كلّ الشعب على القدّيس إذ دعاهُ مبذّر أموال الكنيسة وعاملهُ باحتقار* وبعد زمان حصل مار ابيفانيوس على فضّة عوّض بها عن الدراهم التي أخذها لفداء الأسير* ويوماً ما إذ كان هذا الأسقف وشمّاسهُ يتغدّيان سويّةً: إذا بغراب أتى ونعب أمامهما ثلاث نعبات. فقال كارينُس لمار ابيفانيوس ان فسّرت لي ما أراد الغراب بنعباتهِ اعطيتك كلّ أموالي. فقال ابيفانيوس اعلم انّ الغراب يقول بلغتهِ انّك لن تكون فيما بعد شمّاساً. فلما سمع ذلك كارينُس اصفرّ وجههُ

واخرسّ ووقع مغشيّاً عليهِ. فحملوهُ إلى بيتهِ. وفي الغد مات وكلّ أموالهِ رجعت على الكنيسة. فاتّعظ بذلك الاقليرُس الاخر وتعلّموا أن يكرموا ويحترموا حبرهم القدّيس*

وبعد ذلك حدث انّ مار ابيفانيوس أراد أن ينطلق إلى رومية في عهد البابا مار دامَسوس لقضاء حاجات مهمَّة من قِبَل الكنيسة الشرقيَّة. فرافقهُ مار بولينُس أسقف انطاكية ومار هيرونِمُس خليلهُ. واستمرّ في روميّة نحو ثلاث سنين. ثمّ رجع إلى كرسيّهِ* وبعد سنين انطلق إلى أورشليم حيث كان مار هيرونِمُس مع أخيهِ بولنيانُس الذي سامهُ مار ابيفانيوس قسّاً. وكان إذ ذاك بطريركاً على اورشليم رجل يدعى يوحنّا. وكان خليلاً لاوريجانُس الذي كان يزرع تعاليمهُ الوهميّة في الكنيسة. فمار ابيفانيوس ومار هيرونِمُس أخذا يجتهدان في استيصالها. ولأجل ذلك اضطهدهما يوحنّا البطريرك واهانهما ولكنّهُ أخيراً عرف ضلالتهُ*

وبعد زمان رجع مار ابيفانيوس إلى جزيرة قبرص وبقي في كرسيّهِ إلى حين موتهِ وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر أيار سنة ٤٠٣ وكان عمرهُ حين مات نحوماية وخمس عشرة سنة*

وكان مار ابيفانيوس معتبراً عند آباء الكنيسة الأوّلين ومشهوراً بقداسة سيرتهِ وبتعاليمهِ وبمؤَلّفاتهِ وبشيخوختهِ وبكراماتهِ. وكان من أعظم المحاربين للهراطقة الآريوسيّين فهّموا أن يذيقوهُ اضطهاداتهم ولم يتمكّنوا منهُ* ودعا مار هيرونِمُس هذا الحبر الجليل مار ابيفانيوس ابا الأساقفة.

ومدحهُ ثاوفيلُس بطريرك الاسكندريّة قائلاً عنهُ: انّهُ قائد شجيع لا يملّ من المحاربة عن يسوع المسيح* وعمل الربّ على يديهِ كرامات باهرة في حياتهِ وبعد موتهِ فانهُ اخرج شياطين كثيرة من أبدان المجانين وفتَّح العميان وردّ الصحّة للمفلوجين والحيوة للموتى والموت للاحياء* من ذلك انّ رجلين اتَّفقا يوماً على أن يغشّا مار ابيفانيوس ويطلبا منهُ صدقةً. فجاءَا إلى الطريق التي كانت عادة القدّيس ان يجتاز بها فانطرح أحدهما على الحضيض وتماوت ووقف صاحبهُ عند رأسهِ يبكي. فلمّا مرّ بهما مار ابيفانيوس قال للباكي: ما بِكَ. فقال يا سيّدي انّ رفيقي قد مات وليس لي ما اكفّنهُ بهِ فارغب إليك أن تعطيني فضّة لأشتري لهُ بها كفناً. فقال لهُ القدّيس: ليس لي فضّة وانّما اعطيك عباءَتي خذها وكفّنهُ بها. ثمّ انهُ ناولهُ ايّاها وانصرف. فَلَكَز رفيقهُ قائلاً: قم يا صديقي لقد أصبنا. فلم يقُم الآخر لأنهُ كان قد مات حقّاً. فهكذا يعاقب الله مَن يخدع أولياءَهُ ويهزأ بهم*

مار فنقراس الشهيد

انّ هذا القدّيس الشهيد كان من بلاد فروجية ابن رجل شريف من الوثنيّين يدعى قلادونيوس. ولمّا دنا موت هذا الاب استدعى اخاً لهُ اسمهُ ديونوسيوس وقلّدهُ تربية ابنهِ الوحيد اليتيم فنقراس وجعلهُ وصيّاً على أموالهِ الكثيرة. وبعد موتهِ أخذ ديونوسيوس فنقراس

ابن أخيهِ وجعلهُ ابنهُ وكان يحسن تربيتهُ ويُعِزّهُ ولم يكدّر خاطرهُ في شيءٍ* وبعد ثلاث سنين انطلق إلى روميّة فاخذهُ معهُ وسكنا في المحلّة التي كان مختفياً فيها مار مرقلّينُس البابا من الاضطهاد الذي كان ثائراً حينئذٍ على النصارى من قِبَل القياصرة* وكان صيت هذا البابا شائعاً في كلّ مكان من أجل قداسة سيرتهِ والكرامات التي كان يفعلها. فأراد ديونوسيوس وفنقراس ان يزوراهُ ويرتشدا منهُ. فلمّا انطلقا إليهِ أرشدهما إلى الايمان المسيحيّ وعمّذهما* وبعد أيام قليلة مات ديونوسيوس وامّا الصبيّ فنقراس فقُبِض عليهِ وأُتي بهِ أمام الملك ديوكلتيانس لأنّهُ أقرّ علانيةً بانهُ مسيحيّ. فشرع هذا المضطهد يلاطفهُ ويتملّقهُ ليكفر بالمسيح ويسجد للآلهة الكذبة. ولكنّ فنقراس أجابهُ قائلاً: أيُّها الملك انّي لمتعجّب من انك تتَّخذ خلائق دنيَّة آلهةً وتسجد لها أنت وتجبر الناس أن يسجدوا لها هم أيضاً. لأنهُ كان ينبغي لك إذا رأَيت أحداً من عبيدك يفعل هكذا أن تعاقبهُ عقاباً صارماً* فاغتاظ الملك من هذا الجواب وأمر بقطع رأسهِ وفيهِ تمّت شهادتهُ وذلك في اليوم الثاني عشر من شهر أيّار سنة ٣٠٣* ولمّا كان الليل جاءَت امرأة تقيَّة وأخذت جسدهُ وطيّبتهُ ودفنتهُ باكرام في قبر جديد. وجرت أعاجيب باهرة على قبرهِ* وقيل انَّ الله كان يعمل أعجوبة مداومة بواسطة شهيدهِ فنقراس. وذلك انّ كلّ من كان يحلف يميناً علناً في كنيستهِ فان كان صادقاً والاّ فيموت بغتةً أمام جميع الحاضرين أو تعتريهِ الشياطين فتعذّبهُ أمام جميع الناس*

* اليوم الثالث عشر *

مار سراوس اسقف تُنغرس ـ مار يوحنّا الصامت الأسقف

مار سرواس اسقف تُنغرس

قيل انَّ هذا القدّيس نشأً في فانسطيَّة وهي أرض للعبرانيّين. ولمّا بلغ إلى سنّ التمييز انتقل إلى أورشليم وسكن هناك وكان سائراً سيرة ممدوحة. ثمَّ ارتفع إلى درجة الكهنوت* وبعد زمن ظهر لهُ ملاك الربّ وأمرهُ أن يتوجّه إلى تُنغرس مدينة في فرنسا لكي يسوس هناك المسيحيّين الذين لم يكن لهم راعٍ حينئذٍ. فأطاع أمر الملاك وصار اسقفاً على تلك المدينة برضى جميع الشعب* وكان مثالاً صالحاً لجميع الناس بفضائلهِ وحسن تدبيرهِ. وإذ لم يكن يحسن التكلّم بلغة تلك البلاد وهب لهُ الروح القدسّ ان يفهم كلامهم ولهم أن يفهموا كلامهُ. وذلك في الأمور التي تخصّ الديانة كالوعظ والقدَّاس وما أشبه ذلك. وامّا في الأمور الأخرى فلم يكن يقدر أن يتخاطب معهم الاَّ بواسطة ترجمان* وكانت قناعتهُ تتلألأُ في سائر فضائلهِ لأنَّهُ لم يكن يغتذي الاَّ من جسد الربّ في ذبيحة القدَّاس التي كان يقدّسها كلّ يوم. وحينما كان أصحابهُ يلجّون بهِ أن يأكل كان يتناول قليلاً من الطعام. وكانت فضلات مائدتهِ تشفي البُرص وتطرد الشياطين من أبدان المجانين عند

أكلهم ايّاها. فجميع المرضى الذين كانوا يلمسون يديهِ أو قدميهِ كانوا يشفون حتّى انَّ الماء الذي يغسّل بهِ يديهِ كان لهُ قدرة أن يشفيهم*

ولقداسة سيرتهِ وعلمهِ وحسن مشوراتهِ كانت الكنيسة تدعوهُ ليحضر في كلّ المجامع التي صارت في عصرهِ ولا سيَّما ضدّ الهراطقة الآريوسيّين. وكان رأيهُ دائماً مقبولاً في المجامع. وكان يحامي عن الحقّ بشجاعة. وحامى أيضاً عن مار اثَناسيوس أسقف الاسكندريّة من الهراطقة الآريوسيّين الذين كانوا يضطهدونهُ. ولمّا نفى الآريوسيّون مار اثَناسيوس إلى فرنسا كان قدّيسنا مار سرواس يزورهُ دائماً ويؤَدّي لهُ الاكرام والمحبّة*

وفي ذلك الزمان أُرسل مار سرواس ومار مكسِمينُس اسقف ترافس سفيرَين إلى قسطَنْطيوس ملك الروم بالمشرق في شان أمر مار اثَناسيوس مع الآريوسيّين مضطهديهِ. ولمّا وصلا إلى الاسكندريّة زارا هناك مار اثَناسيوس وكان قد تثبّت في كرسيّهِ من زمان وجيز. فهذا القدّيس لكي يكافيهما على المعروف الذي صنعاهُ معهُ في بلاد فرنسا حيث كان منفيّاً قبِلهما باكرام عظيم وأضافهما عندهُ وأدَّى ما وجب عليهِ لهما*

وبعد أن قضى مار سرواس زماناً طويلاً في الأسفار والحضور في المجامع لتفنيد آراء الآريوسيّين رجع إلى تُنغرس إلى شعبهِ. وكان هناك إلى أَن علم بالهام الاهيّ انَّ قوماً يُسَمّون بالهونيّين سيهجمون على فرنسا ويخرّبونها ويكون الدمار خصوصاً في مدينة تُنغرس حيث كان

قاطناً. فحينئذٍ حرَّض شعبهُ على التوبة والصلوة وانطلق إلى رومية. وكان هناك يقضي النهار والليل في الصلوة عند ضريحَي بطرس وبولس الرسولين القدّيسين* وقيل انَّ الرومانيّين كانوا يشاهدون كوكباً منيراً يظهر في الطريق الذي فيهِ كان يمشي* وبعد أيّام ظهر لهُ مار بطرس رئيس الرسل وقال لهُ: انَّك لن ترى حدوث هذا الخراب الذي يريد الله أن يضرب بهِ تلك البلاد على يد الهونيّين. فقم وارجع دبّر شعبك ثمَّ اذهب إلى مدينة أُتركته في مملكة هُلانده فانَّ هذه المدينة سيحفظها الربّ اجلالاً لك. واستعدّ هناك للرحيل من هذه الدنيا. ثمّ أعطاهُ صليباً من فضَّة وقال لهُ: خذ هذا الصليب فيكون لك بهِ قدرة ان تفتح مثلي أبواب السماء وتغلقها. (وقد حُفظ هذا الصليب إلى اليوم ويراهُ المؤْمنين)* فأطاع مار سرواس قول مار بطرس وانقلب راجعاً إلى فرنسا. وإذ خرج من تخوم رومية هجم عليهِ وقم متوحّشون قساة كانوا يطوفون البلاد ويخرّبون المملكة الرومانيَّة وقبضوا عليهِ وحبسوهُ مقيّداً. فاظهر الله حمايتهُ لهُ بآيات بيّنات صنعها من أجلهِ. من ذلك انَّهُ في نصف الليل سطع نور عظيم في الحبس أبهر الحرَّاس. وظهر لهُ في السجن أشخاص ذوو هيبة ووقار وكانوا يعزّونهُ* فعند الصباح أخرجوهُ من السجن وسأَلوهُ عن هذه الآية ماذا عساها أن تكون. وكان وجههُ حينئذٍ مضيئاً كالشمس. وأخيراً ازدروا بهِ وأهانوهُ واودعوهُ إلى أحد الجند وأمروهُ أن يحتفظ بهِ* فبينما كان هولاء المتوحّشون يأكلون إذا برسولٍ آتٍ من عند الجنديّ حارس مار سرواس يخبرهم انَّ هذا

القدّيس إذ كان نائماً في وسط المعسكر إذا بنسر كبير جثم وراءَهُ وظلّلهُ بجناحهِ الواحد من حرّ الشمس وبجناحهِ الآخر كان يروّحهُ مبرّداً لهُ النسيم. فاذهل هذا الخبر هؤُلاء القوم فجاؤُوا كلّهم لينظروا هذه الأعجوبة. وبعد برهة من الزمان طار النسر واستيقظ القدّيس من جرى ضوضاء الناس المجتمعين حولهُ. فسأَلوهُ قائلين: من أيّ امّةٍ أنت وما هي ديانتك. فقال لهم: أنا مسيحيّ واعبد يسوع المسيح. فعند ذلك طلب المتوحّشون بركتهُ وصرخوا بصوت عظيم قائلين: حقّاً انّ يسوع المسيح هو الاه الآلهة لأنهُ هكذا يشرّف عبيدهُ. ثمّ انّهم خلّوا سبيل القدّيس بعدما استغفروهُ عمّا أهانوهُ بهِ*

وبعدما تخلّص مار سرواس من أيدي المتوحّشين اجتاز في ايطاليا. وفي طريقهِ عطش. وإذ لم يكن ماءٌ ليشرب عمل علامة الصليب على الأرض متوسّلاً إلى الله أن ينبع لهُ ماءً من تلك الأرض. فنبع الماء وشرب منهُ. وجميع المرضى الذين شربوا منهُ برئُوا من اسقامهم* ولمّا وصل إلى تُنغرس مدينة كرسيّهِ جمع شعبهُ وانذرهم بالعقاب الذي سيحلّ عليهم من جرى خطاياهم وحثّهم على التوبة واعلمهم بانّهُ منطلق من عندهم ليموت في مدينة أُتركته في هُلانده كما قال لهُ مار بطرس رئيس الرسل. فلمّا سمعوا ذلك شملهم حزن عظيم على فقدهم راعياً صالحاً كما كان راعيهم. واجتمع إليهِ جميع الفقراء والمرضى والبرص باكين فتحنّن على بلواهم وشفاهم* وبعد أن زار جميع شعبهِ وتوادع معهم خرج من المدينة وكلّ الشعب يشيعهُ بأصوات المراثي

المليّنة لكلّ قلبٍ قاسٍ. وبعدما مشوا معهُ مسافةً ليست بقليلة أمرهم أن يرجعوا إلى مدينتهم. وتوجّه هو إلى مدينة اتركته. ولمّا وصل إليها شرع يُهَيّئ لوازم دفنتهِ* وبعد زمان قليل اعترتهُ حمًّى. وبعد ثلاثة أيام إذ كان يقدّس ظهر لهُ ملاك عن يمين المذبح واعلمهُ بساعة وفاتهِ. ففرح بهذه البشرى السماويّة وأخذ أسرار البيعة المقدّسة وأكّد للناس بأنّهُ يموت في الساعة التاسعة. ومات كما قال في اليوم الثالث عشر من شهر أيّار سنة ٣٨٣* وتشرّف موتهُ ببواهر الكرامات التي أجراها الله اجلالاً لهُ لأنّهُ سُمِع حينئذٍ نغمات ملائكيّة وظهر ملاكٌ منظور آتياً من السماء بغطاء جميل من حرير غطّى بهِ جسد القدّيس* وجميع المرضى شُفوا باستغاثتهم بهِ*

وبعد موتهِ بقليل هجم قوم الهونيّين على بلاد فرنسا حسبما كان مار سرواس قد تنبَّأَ. وأوّل شيءٍ صنعوهُ هو انّهم قتلوا أهالي البلاد وأخذوا أبكارهم واعطوهنّ زوجات لجنود مكسيمُس الظالم. فبعض منهنّ آثرنَ الموت على البقاء في خسران بكارتهنّ. ثمّ حاصر هولاء الأعداء مدينة تُنغرس وافتتحوها وفتكوا بسكّانها وقتلوهم بحدّ السيف ونهبوا أموالهم وتركوا مدينتهم خراباً. وهكذا صحّت نبوّة مار سرواس عليهم. أمّا مدينة أُتركته فلم يصبها شيءٌ من مضرّات الهونيّين لأنّ الله صانها اكراماً لمار سرواس المدفون فيها*

مار يوحنّا الصامت الاسقف

انّ هذا القدّيس وُلد في مدينة نِقوبُليس في بلاد الأرمن في عهد الملك مرقيانُس من أبوين شريفَي الأصل وساميَي الفضل. ومنذ نعومة أظفارهِ كان لهُ مَيل إلى الأمور الروحيّة. ولمّا كبُر مات أبواهُ وأضحى مستولياً على جميع أموالهما. فأَخذ ينفقها في عمارة كنيسة اكراماً لمريم العذراء* وبنى ديراً وسكن فيهِ مع عشرة من الأشخاص الأتقياء وكان يخدم جميعهم. وساسهم مدّة عشرين سنة من دون أن يتَّصف بصفة مؤَسّس رهبنة ورئيس* وكان قدوة لجميعهم في السيرة الرهبانيّة. وكان يصوم ويقضي النهار في القراءَة الروحيّة والشغل. والليل في الصلوة والتأَمّل. وكان ضابطاً حواسّهُ ولا سيّما لسانهُ فانهُ لم يكن ينطق بهِ الاّ حينما يسبّح الله ويرشد أخوتهُ*

وفي ذلك الزمان مات أسقف مدينة كُلونة من أعمال ارمنيّة فالقى الاقليرُس والشعب عيونهم على الراهب يوحنّا الذي فضائلهُ كانت قد شاعت في كلّ مكان. فطلبوهُ من مطران سبسطيّة. فهذا الحبر العارف بكثرة تواضع يوحنا وبحبّهِ للانفراد استدعاهُ إليهِ وسامهُ أسقفاً جبراً وأرسلهُ إلى الابرشيّة التي تعيّن عليها* واستمرّ في هذه المرتبة عشر سنين من دون أن يغيّر شيئاً من استعمالات سيرتهِ الأولى المنفردة. ولم يكن يبان انّهُ اسقفٌ الاّ من خارج فقط لأنّهُ في الباطن كان راهباً قاسياً على ذاتهِ* وكانت محبّتهِ للعفّة عظيمة ورحمتهُ على الفقراء غزيرة حتَّى انهُ كان يحرم نفسهُ من الأشياء الضروريّة لحياتهِ لكي

يساعد الفقراء. وكان كلٌّ من اقليرُسهِ ينظر واجباتهِ فيهِ كما في مرآة نقيّة. وحرّك بفضائلهِ أخاهُ وابن أخيهِ اللذَين كانا عاملين لزينون الملك على هجران العالم والسيرة المنفردة*

وبعد ذلك الزمان زاد اضطرم حبّ الخلوة في قلب مار يوحنّا الأسقف فعزم أن يترك ابرشيّتهُ ويرجع إلى سيرتهِ الأولى. فأخذ يصلّي في ذلك إلى الله. فأراهُ تعالى كوكباً منيراً بشكل صليب خارجاً منهُ صوتٌ يقول: ان أردت أن تخلص فاتبع هذا النور. فقام وتبعهُ فقادهُ هذا الدليل السماويّ إلى دير مار سابا. فلمّا رآهُ مار سابا رحَّب بهِ وقبلهُ بمحبّة ولم يعرفهُ انّهُ اسقف. واعطاهُ وظيفة وكيل الدير. فكان مار يوحنا يعمل بها بمحبّة. وكان يخدم جميع الرهبان ويقضي الأعمال الدنيّة في الدير باتّضاع زائد* فلمّا اطّلع مار سابا على فضائلهِ أعطاهُ قلاّيةً ليعيش فيها بالخلوة والسكوت مثل سائر الرهبان. فكان ذلك تعزية وفرح لمار يوحنّا. واستمرّ على تلك الحالة ثلاث سنين. وكان يختلي في قلاّيتهِ خمسة أيّام في الأسبوع من دون أن يرى إنساناً وفي مساء يوم السبت يخرج وينطلق إلى المصلّى كعادة الرهبان ويقضي هناك يوم الأحد كلّهُ ثمّ يرجع إلى قلاّيتهِ* وبعد انقضاء السنين الثلاث أخذهُ رئيسهُ مار سابا إلى بطريرك اورشليم لكي يرسمهُ كاهناً. فعند ذلك التزم مار يوحنا ان يكشف درجتهُ للبطريرك قائلاً لهُ: يا بي انني كنتُ قد رُسِمتُ أسقفاً ولكنّ كثرة خطاياي جعلتني ان آتي إلى البرّيّة لكي أكفّر عنها. فارغب إليك أن لا تُعلِم

رئيسي سابا بذلك. فتعجّب البطريرك من هذا الأمر ودعا مار سابا وقال لهُ: اطلب إليك أن تعفيني من رسامة هذا الرجل لأنّ عندهُ مانعاً خصوصيّاً قد كشفهُ لي. فحزن مار سابا وانصرف طالباً من الله أن يوحي إليهِ بهذا السرّ لأنّهُ ظنّ بيوحنّا سوءاً. فارسل الله إليهِ ملاكاً أخبرهُ بانّ يوحنا هو أسقف ولأجل ذلك لا يمكن أن يُرسَم قسّيساً* فعند ذلك قام مار سابا وجاءَ إلى تلميذهِ واستغفرهُ عن الظنّ الرديء الذي صار لهُ بهِ. وأخبرهُ بالوحي الذي أتاهُ من الله* فلمّا رأَى مار يوحنا انّهُ عُلِم بهِ استأذن أن ينصرف من ذلك الدير ولكنّ مار سابا لمّا وعدهُ انهُ لا يفشي سرّهُ إلى الموت اقتنع وبقي هناك. وبعد ذلك حبس مار يوحنا نفسهُ في قلاّيةٍ مدّة عشر سنين ملازماً الصمت. ولم يتكلّم في كلّ تلك المدّة الاّ مرّة واحدة مع بطريرك اورشليم الذي كان قد أَتى ليكرّس كنيسة الدير* وبعدما عاش عمراً طويلاً بعمل الفضائل توفّاهُ الربّ وفاةً مقدّسة سنة ٥٨٥ وكان عمرهُ مائة وأربع سنين. وعمل كرامات عظيمة وأعظمها كان صمتهُ المداوم الذي جعلهُ أن يُلقَّب بيوحنا الصامت*

* اليوم الرابع عشر *

مار بُنيفاقيوس الشهيد

انّهُ في عهد الملكَين ديوكلتيانُس ومكسميانُس هرقل كان في مدينة رومية سيّدة اسمها اغلايَة وكانت غنيّة حسينة ومن أشرف أهالي المدينة. وبما أنّها كانت صبيّة مغرورة بأموال الدنيا كانت تتعاطى أموراً غير حميدة. وكان لها خدّام من أهل مدينتها من جملتهم بُنيفاقيوس وكانت جميع أموالها وأعمالها في يديهِ. فاذ وجدتهُ اغلاية حسين الخلقة والخُلق احبّتهُ جدّاً. ولمّا كان الحبّ غالباً يتولّد بالقلّة وينتهي بالكثرة لم يزل ينمو رويداً رويداً حتى انّ اغلاية انفضحت بتسبيبها شكوكاً للناس* امّا بُنيفاقيوس فلأجل الاحسانات التي كان ينالها من سيّدتهِ زاد في عمل الرذائل. ولكنّهُ ولو كان قد تولّع في اللذّات فمع ذلك لم يكن مجرّداً من بعض أعمال صالحة. فانّهُ كان سخيّاً محسناً إلى الفقراء بقدر مكنتهِ. وكان يرقّ للحزانى ويجتهد في اغاثتهم* وبعد سنين قليلة تراءَف ربّنا يسوع المسيح على اغلاية المرأَة المغرورة وعلى بُنيفاقيوس الرجل الشقيّ فعاملها برحمة غير متناهية من أجل بعض الاحسانات التي كانا يصنعانها مع المحتاجين. فانار عقلهما وأراهما لحجج الشقاء التي كانا غارقَين فيها. فبعد ان اطّلعا على حالتهما الشقيَّة عزما أن يرجعا إلى الله بالتوبة. وشرعا يلتمسان لهما شفعاء يقدران ان

ينالا بشفاعتهم من الله ما لا يقدران أن يرجواهُ بقوّتهما*

وكان الاضطهاد المهول الذي أثارهُ ديوكلتيانُس ومكسيميانُس الملكان على الكنيسة لا يزال يعظم لا سيّما في بلاد الشرق حيث كان يملك غالريوس مكسيميانس الرجل القاسي الوحشيّ عدوّ النصارى* فاغلاية وبُنيفاقيوس عزما ان يذهبا إلى بلاد الشرق في طلب أجساد الشهداء القدّيسين ليؤَدّيا لهم الاكرام ويستشفعاهم لعلّهما ينالان من الله غفران خطاياهما* فسمعا انهُ في قيليقيّة يوجد والٍ ظالم يدعى سَمْبلكيانُس وكان قاسياً جدّاً يهريق دم الشهداء مثل الغنم في المسلخ. ويبيع أجسادهم للنصارى بثمن غالٍ. فاتّفقا على أن يذهب بُنيفاقيوس إلى هناك ملتمساً بلا خوف ما كانا يطلبانهِ. فاعطتهُ اغلاية مبلغاً وافراً من الفضّة لينفقهُ في مهمّات سفرهِ والتوزيع على الفقراء وفي اشتراء ذخائر الشهداء القدّيسين من ذلك الظالم البخيل. فتجهَّز بُنيفاقيوس بكلّ ما كان يحتاج إليهِ لقضاء ذلك العمل من خدّام ودوابّ واطباب لجثث الشهداء. وعندما توادع مع سيّدتهِ اغلاية قال لها ضاحكاً: ما تقولين ان كنتُ لا اتيكِ بأجساد القدّيسين بل انّ الآخرين يأتونكِ بجسدي. هل تقبلينهُ كذخيرة. قالت ليس هذا وقت المزاح. اذكر يا بُنيفاقيوس اننا لسنا بمستحقّين ان نلمس ذخائر الشهداء القدّيسين ولا أن ننظر إليها. فاذهب واعمل جهدك وأتِنا بما تشتهي. ثمّ انّ بُنيفاقيوس خرج من رومية. وفتح ربّنا يسوع المسيح عينيهِ واراهُ انهُ لا يستحقّ أن يقضي هذا العمل ان لم يستعدّ لهُ بالصوم

والصلوة والصدقة. فشرع يوزّع أموالاً غزيرة على الفقراء ويصوم ويقضي أعمال التوبة بقدر مكنتهِ* ولمّا وصل إلى طرسوس قاعدة قيليقية حيث كان الوالي سَمْبِلكيانُس جاءَ رأساً بشجاعة إلى المكان الذي فيهِ كانت تُقتَّل الشهداء فرأَى عشرين شهيداً يُعذَّبون بعذابات مختلفة. وإذ عاين صبرهم وتجلّدهم زاد غرامهُ بيسوع المسيح واضطرم في قلبهِ حبّ الاستشهاد فارتمى على أقدامهم وصار يغسلها بدموعهِ ويقبّل جروحهم. وقال لهم بصوت عالٍ: أيُّها الشهداء الطوباويون. يا أصدقاء الله تشجَّعوا واحتملوا هذه الأوجاع القصيرة التي تورثكم أفراحاً أبديّة* فلمّا رآهُ الوالي الظالم سَمبِلكيانُس قبض عليهِ وسأَلهُ عن ديانتهِ. وإذ علم أنّهُ مسيحيّ اسلمهُ إلى العذاب فكانوا يحكّون جسمهُ باظفار من حديد إلى أن بانت عظامهُ. ثمّ سكبوا رصاصاً مذوَّباً في فيهِ. فتوسّل بُنيفاقيوس إلى الله أن يشجّعهُ على احتمال هذه العذابات التي استحقّها من جرى خطاياهُ. وطلب إلى الشهداء العشرين أن يصلّوا من أجلهِ* وبعدما طلب بُنفاقيوس من الله ان لا ينظر إلى خطاياهُ بل أن يحصيهُ مع الشهداء القدّيسين. قُطِع راسهُ فطارت روحهُ إلى السماء* وفي ذلك الوقت اهتدى ماية وخمسون رجلاً من الوثنيّين إلى ايمان المسيح. اما الخدام الذين جاءُوا مع بُنيفاقيوس فإذ لم يعلموا باستشهادهِ جعلوا يفتّشون عليهِ. فقيل لهم انهُ قُتِل مع الشهداء. فاسرعوا إلى مكان الاستشهاد فوجدوهُ مطروحاً على الأرض ومقطوعاً رأسهُ. وبعد ان بكوا عليهِ اشتروا راسهُ وجسدهُ بخمسماية درهم وأتوا بهِ إلى روميَّة إلى

سيّدتهم اغلاية وكانت قد علمت بوحي الهيّ بما جرى لأنّ ملاكاً ظهر لها وأمرها أن تقبل بُنيفاقيوس لا مثل خادم بل مثل سيّد لأنَّهُ استشهد ليسوع المسيح وان الله سيمنحها نعماً غزيرة بشفاعتهِ. فقبلتهُ باكرام عظيم وبنت لهُ كنيسة ووضعتهُ فيها. وأجرى الله بشفاعتهِ كرامات باهرة*

امّا اغلاية فامست قدّيسةً لانّها هجرت جميع الأشياء الدنيويّة ووزّعت كلّ ثرواتها على الفقراء واعتقت عبيدها وانطلقت إلى أحد الأديرة وصرفت فيهِ حياتها بالصلوة والصوم والتقشّف. وبعد أن قضت في هذه السيرة خمس عشرة سنة تُوُفِّيت بالقداسة ودُفنت إلى جانب مار بُنيفاقيوس* وكان استشهاد مار بُنيفاقيوس في اليوم الرابع عشر من شهر أيّار سنة ٣٠٥*

* اليوم الخامس عشر *

مار بُخوميوس رئيس دير تابنّه

انَّ كمال السيرة الانفراديَّة يُنسب إلى مار انطونيوس ولكنَّ انشاءَها منسوب إلى مار بُخوميوس لأنَّهُ ثبَّت أديرةً كثيرة وجعلها خاضعة لرئيس واحد عامّ وهكذا أُنشِئَت الاجتماعات الرهبانيّة الأولى*

انَّ مار بُخوميوس وُلد في الصعيد من بلاد مصر سنة ٢٩٢ من أبوين وثنيين ورضع حليب آرائهم الفاسدة ولكنّهُ منذ صغرهِ أظهر

بغضةً خصوصيّة لعبادة الأصنام* ولمّا صار عمرهُ عشرين سنة دخل في خدمة عسكر مكسيمينُس الملك. وكان حينئذٍ هذا الملك يستعدّ لمحاربة قسطنطين وليكِنيوس الملكين. فأُرسل بُخوميوس مع الجنود في المركب إلى المكان المعيّن للحرب. ولما وصلوا مساءً إلى مدينة ثيبس ورآهم أهلها تحنّنوا عليهم لأنّهم شاهدوهم منطلقين إلى الحرب وراكضين إلى الموت. وقدَّموا لهم كلّ ما كانوا يحتاجون إليهِ* فجودة أهل هذه المدينة جعلت بُخوميوس ان يسأَل عن هولاء الناس الرحماء من هم. فقيل لهُ انّهم نصارى. فسأَل ما معنى هذا الاسم وايّ الهٍ يعبدون. فقيل لهُ انَّهم لا يعترفون الاَّ بذلك الذي خلق السماء والأرض وبابنهِ الوحيد يسوع المسيح. وانَّهم يعملون كلّ نوعٍ من الخير في هذه الحيوة راجين أن ينالوا الجزاء في الآخرة. فتحرَّك قلب بُخوميوس بهذه الكلمات وتنحَّى منفرداً ورفع يديهِ إلى السماء ووعد هذا الاله الذي يُلهم أفكاراً سامية أن يعبدهُ ان حصل على معرفتهِ*

ثمَّ انَّ بخُوميوس واصل سفرهُ إلى الحرب. ولمّا صارت الحرب قهر ليكِنيوس مكسِمينُس ومات هذا المقهور بعد ذلك بزمن قليل* امّا بخُوميوس فرجع إلى تيبائيدة ودخل في كنيسة وقُبل ما بين المتنصّرين الجدد الموعوظين* وبعد زمن يسير عُمِّذ. وانطلق إلى البرّيّة عند رجل شيخ يعبد الله هناك اسمهُ فَلامون. وطلب إليهِ أن يقبلهُ تلميذاً لهُ في السيرة المنفردة. فأجابهُ الشيخ: لا تظنّ يا ابني انَّ السيرة الانفراديّة هي شيءٌ سهل. فانَّ كثيرين قد دخلوها ولكنّ قليلين هم الذين ثبتوا إلى

المنتهى. ثمَّ اعلمهُ بانّهُ لا يقدر أن يمكث في ديرهِ ما لم يكن قد قضى زماناً في دير آخر. وقال لهُ يا ابني اعلم انّي لستُ آكل سوى خبز وملح. وانّ استعمال الزيت والخمر غير معروف عندي. واسهر الليل نصفهُ في التسبيح بالمزامير والتامّل في أقوال الكتاب المقدّس وربّما قضيتُ الليل كلّهُ من دون نوم* فارعب هذا الكلام قلب بخُوميوس ولكنّهُ ما قدر أن ينقّص شجاعتهُ. فقال لهُ يا ابي اني جازم على نفسي أن أقضي كلّ ذلك بنعمة الله. فعند ذلك قبلهُ فَلامون واعطاهُ قلاّيةً في ديرهِ* واستمرّ بخُوميوس زماناً مع فَلامون منعكفاً على الصلوة والشغل*

ففي أحد الأيّام ابتعد بخُوميوس مسافةً طويلة عن منسكهِ فوقف في مكان يدعى تابنَّة وأراد أن يصلّي. فسمع صوتاً يقول لهُ: امكث هنا يا بخُوميوس وابنِ ديراً فانّ كثيراً سيأتون إليك وأنت تهديهم إلى الخلاص متّبعين القانون الذي أعطيك ايّاهُ. وعند هذه الكلمات ظهر لهُ ملاك وناولهُ لوحاً مكتوباً فيهِ قانون الرهبانيّة* فاعلم بخُوميوس فَلامون بهذه الرؤيا. فجاءَا كلاهما إلى تابنّة وبنيا هناك قلاّيةً وكان ذلك سنة ٣٢٥ ومكثا في تلك القلاّية زماناً. وقبل أن يفترقا تواعدا أن يزور أحدهما الآخر مرّة في السنة*

وكان لبُخوميوس أخٌ بكر يُدعى يوحنا وكان قد تنصَّر أيضاً فهذا جاءَ إلى أخيهِ في تابنّة وصار أوّل تلميذ لهُ. وبعد سنين مات ميتة مقدّسة* وبقي بخُوميوس وحدهُ يشتغل في تعمير الدير ووسّعهُ

لكي يكون كافياً لتلاميذ كثيرين. وبعد انتهائهِ ذهب إلى جزيرة في نهر النيل بقرب تابنّة وهناك شرع يصلّي طالباً من الله أن يظهر لهُ إرادتهُ. فظهر لهُ ملاكٌ وقال لهُ انّ إرادة هي أن تساعد البشر على المصالحة معهُ تعالى وغاب عنهُ* ومنذ ذلك الوقت كان بخُوميوس يقتبل في ديرهِ كلّ من يأتي طالباً السيرة بموجب قانونهِ. وكان عدد تلاميذهِ لا يزال يكثر. وكان يعلّمهم حفظ القوانين بأمثالهِ وأقوالهِ ويخدم فيهم الشيوخ والمرضى*

وبنى بخُوميوس كنيسة عدا كنيسة الدير في قرية تابنّة بمشورة سَرابيون أسقف طنطورة لرعاة المواشي ليجتمعوا فيها يومَي السبت والأحد لاستماع كلام الله. وكان مار بخُوميوس يقرأ لهم الكتاب المقدّس* وكثير من الذين سمعوا قراءَتهُ حرّكتهم فضائلهُ فهجروا ديانتهم الوثنيّة وتعمّذوا. واستمرّ في هذا العمل إلى أن سام الأسقف قسّيساً لتلك الكنيسة*

وحينما كان مار اثَناسيوس يزور كنائس الصعيد سنة ٣٣٣ ركب النيل وجاءَ إلى تابنّة ليزور مار بخُوميوس وكان مكرّماً لديهِ. فخرج مار بخُوميوس مع رهبانهِ لملاقاتهِ وقبلهُ باحترام ومحبّة*

وبعد زمان قليل أضحى دير تابنّة صغيراً لا يسع الجمّ الغفير من التلاميذ الذين كان الله يرسلهم إلى مار بخُوميوس. فبنى ديراً ثانياً في قريةٍ مهجورة تدعى برو في أبرشيّة ديوسفُليس وجعل فيهِ مقرّهُ الاعتياديّ. وكان يسكن فيهِ أيضاً وكيل الأديرة العامّ. وكان جميع

الرهبان يجتمعون في هذا الدير كلّ سنة في عيد الفصح لكي يحتفلوهُ مع القدّيس. وأسَّس مار بخُوميوس أديرةً اخر كثيرة*

وسمعت أخت بخُوميوس بفضائلهِ الشائعة وبقداسة سيرتهِ فوافت إليهِ في الدير لكي تراهُ. وقالت للبوَّاب امضِ قُل لبخُوميوس انّ اختك أتت لتزورك. فلمّا دخل البوّاب وأخبرهُ بقدوم أختهِ قال لهُ اذهب وقل لها عن لساني: يا أختي لا يخفاكِ انّني في الحيوة وفي الصحّة فاذهبي بسلام ولا تحزني على انّي لن أراكِ أبداً بعينَي الجسد. ولكنّكِ ان أردتِ أن تقتدي بسيرتي افتكري جيّداً في ذلك. وان تأكّدتُ ثبوت عزمكِ بنيتُ لكِ ديراً. ولا أشكّ في أنَّ الله يُرسل إليكِ بواسطة النظر إلى سيرتكِ رفيقات كثيرات* فقالت اني أريد ذلك من كلّ قلبي. فعمّر لها مار بخُوميوس ديراً على جانب النيل الآخر. وبعد زمانٍ قليل جاءَت أبكارٌ كثيرات وسكنَّ معها في ذلك الدير*

انَّ جماعة تابنّة كانت في حياة مار بخُوميوس مؤَلّفة من عشرة أديرة تسعة منها للرجال وواحد للفتيات. وكلّ هذه الأديرة كانت واقعة في أرض الصعيد. وكان مار بخُوميوس يزورها بالتناوب* وفي سنة ٣٤٠ وقع مار بخُوميوس مريضاً في دير تابنّة. وإذ خاف تلاميذهُ أن يموت اجتمعوا إليهِ لكي ينتخبوا لهم رئيساً فالزموا مار ثاودورُس ان يرتضي بهذا المنصب. وبعد أن أبى زماناً طويلاً قبلها بطلبة مار بخُوميوس* غير انَّ مار بخُوميوس شُفي من مرضتهِ. وزيّنهُ الله بموهبة الكرامات والنبوَّة. وقيل انَّ مار مكاريوس الاسكندريّ إذ علم حينئذٍ

بقداسة سيرة رهبان تابنَّة قصد مار بخُوميوس من مسير خمسة عشر يوماً لكي يتتلمذ لهُ*

وفي ذلك الزمان حدث وباء عظيم خرَّب تلك الأديرة ومات فيهِ جمٌّ غفير من الرهبان وأصاب أيضاً مار بخُوميوس نفسهُ. واستمرَّ أربعين يوماً يقاسي أوجاعاً شديدة وهو صابر عليها. وقبل موتهِ جمع رهبانهُ وجعل يحثّهم على حفظ القوانين لا سيّما الطاعة. ثمَّ انّهُ أخذ صليباً وضمّهُ إلى حضنهِ وسلّم نفسهُ إلى الله. وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر أيّار سنة ٣٤٨ وعمرهُ سبع وخمسون سنة بعدما استمرَّ سبعاً وثلاثين سنة في الرهبنة. ودُفن جسدهُ في جبل قريب من ديرهِ. وتخلّف لهُ في الرياسة ثاودورُس تلميذهُ* ودامت رهبنتهُ في بلاد الشرق إلى القرن الحادي عشر* وروى انسلمُس اسقف هارلبُرْغ انّهُ رأَى في القسطنطينيَّة ديراً يحوي خمسماية راهب سالكين تحت قانون مار بخُوميوس* وفي حياة هذا القدّيس بلغ عدد رهبانهِ إلى تسعة آلاف راهب*

* اليوم السادس عشر *

مار يوحنا النابُموكاني الشهيد لسرّ الاعتراف ـ الطوباوي اندراوس بُبُولا الشهيد ـ الطوباوي سمعان صطوق

مار يوحنا النابُموكاني الشهيد لسرّ الاعتراف

انَّ ربَّنا يسوع المسيح بموتهِ على الصليب من أجل خلاص العالم صار لتلاميذهِ إِماماً في الاستشهاد. ولكي يؤَيّد انتصار هذه الديانة الالهيّة ويجعلها منتشرة في العالم كلّهِ جعل دماء تلاميذهِ تجري في حقلها ويكون كحبّة القمح التي تموت في الأرض فتعطي أثماراً غزيرة*

انّ مار يوحنّا وُلِد سنة ١٣٣٠ في مدينة صغيرة تدعى نابُموك من أعمال بوهميا. وكان عند ولادتهِ يبان نحيفاً سقيماً حتى انّ أهلهُ يئسوا من حياتهِ. فالتجأَت أمّهُ إلى مريم العذراء معزّية الحزانى ووضعتهُ تحت حمايتها. فاستجابت لها مريم العذراء وشفت الطفل. فلكي يظهر أبواهُ الشكران لتلك التي شفت ولدهما نذراهُ لها وعزما أن يحسنا تربيتهُ ليكون موافقاً لهذا النذر* وكلّما انتشأ يوحنا في العمر نمت فيهِ الفضائل. وتعلّم في بيت أبويهِ واجبات الصبيان. ثمّ وضعهُ أهلهُ في عدّة مدارس وقرأَ فيها على أمهر المعلّمين علوم المنطق والفلسفة واللاهوت وغير ذلك* وكان لهُ ميل إلى السيرة الاقليريقيّة. ولشهرة فضائلهِ رُسم

قسّيساً في مدينة براغَهْ فكان يخطب هناك بكلام الله بلسان فصيح جالباً أناساً كثيرين إلى استماع وعظهِ. وكان وَنْشِسلاس الرابع ملك بوهميا ابن كارلُس الرابع يحبّ أن يستمع وعظهُ. ونصبهُ هذا الملك واعظ قصرهِ وكان يثق بهِ. وأراد أن يجعلهُ أسقفاً ولكنّ القدّيس أبى وامتنع وصار معلّم اعتراف الملكة وبارشادهِ كانت متقدّمة في سبل الفضائل حتى انّها بنفسها كانت تخدم الفقراء وتقشف جسدها بالأصوام وتقضي جزءاً كبيراً من الليل في الصلوة*

امّا الملك وَنْشِسلاس فكان رجلاً شرّيراً عاتياً ظالماً قد أرخى لنفسهِ عنان الشهوات. وكانت رذائلهُ تعظم وتكثر شيئاً فشيئاً حتى صار ممقوتاً عند جميع أهل مملكتهِ. ولمّا كانت زوجتهُ على جانب عظيم من التقوى والفضيلة كان هو يبغضها ويهينها. وجعلهُ عدوّ الخير أن يظنّ فيها سوءاً. فكان يلتمس الحيلة في أن يعيبها. ولمّا لم يجد فيها شيئاً معيباً الهمهُ الشيطان أن يجزم على عمل نفاقيّ وهو انّهُ إذ كان يعرف انّ مار يوحنّا هو مستعرف الملكة امراتهِ استدعاهُ إليهِ وخلا بهِ وسأَلهُ أن يبوح إليهِ بكل ما تعترف بهِ لديهِ امراتهُ. فابى القدّيس ذلك وقال لهُ انّ هذا لحرام. فحاول الملك أن يخدعهُ بهدايا عظيمة لكي يجيب إلى سؤَالهِ ولكنّهُ لم يستفِدْ ولكنّهُ لم يستفِدْ شيئاً* وبعد زمان قليل إذ كان الملك يتغدَّى وعلى مائدتهِ لحم مشويّ استقذر ذلك اللحم وغضب وامر أن يُشوَى الطبّاخ عقاباً لهُ على انهُ لم يشوِ اللحم جيّداً. وكان حينئذٍ مار يوحنا في قصر الملك. فلمّا سمع بهذا القضاء الوحشيّ دخل على

الملك ووبَّخهُ كما وبَّخ يوماً سميُّهُ يوحنّا المعمذان هيردوِس الملك. فحنق عليهِ وَنْشِسلان وطرحهُ في السجن وتركهُ أيّاماً من دون أن يأذن لهُ بأن يذوق شيئاً من الطعام راجياً بذلك أن ينال منهُ إذا جاع الشيء الذي لم يقدر أن ينالهُ بخديعتهِ. أمّا القدّيس فكان يحتمل الجوع بالسكوت* وبعد أيّام هدأَ غضب الملك فاستدعى واحداً من أهل مشورتهِ وأرسلهُ إلى مار يوحنّا في السجن يقول لهُ: انّ الملك يستغفرك عمّا فعل معك فانسَ الاهانة التي ألحقها بك وكلّ ما تعدى بهِ عليك وهلمّ غداً إلى مائدتهِ فانّهُ ينتظرك ليظهر لك علامات التأَسّف على ما فرط منهُ* فأطاع رجل الله وأجاب إلى دعوة الملك وخرج من السجن. وفي الغد انطلق إلى الملك فرحّب بهِ وأدناهُ منهُ واجلسهُ على مائدتهِ باكرام عظيم. فيا لخبث القلب البشريّ انّ هذه كانت مكيدة كادها الملك المنافق لهذا الكاهن القدّيس. فانّهُ حالما رُفِعت المائدة أخذهُ الملك وانفرد بهِ واعلمهُ بسبب دعوتهِ لهُ قائلاً: اعلم اني قلِق جدّاً. واقضي الليل والنهار بالاضطراب. ولا أحد يقدر أن ينفي همّي وغمّي سواك. فارغب إليك أن تشرح لي بالتفصيل كلّ ما علمتهُ في اعترافات زوجتي ولا تكتم عنّي شيئاً. وان بُحْتَ إليَّ بذلك جازيتُك بمجازاة وافرة ووهبتُ لك كلّ ما تسأَلني إيّاهُ. ولكنّك ان استمرّيتَ ممتنعاً فستختبر عقابي المهول. فاستَفِد من وعدي ولا تحمّلني على إطلاق الوعد عليك* فقال الشهيد لستُ أرضى أبداً أيّها الملك أن أبوح إليك في ذلك لأنّ معرفة ضمائر الناس هي واجبة لله. مُرْني بكلّ

شيء. أُطِعْكَ وامّا في أمر مثل هذا فانّي أقول لك كما قال يوماً مار بطرس رئيس الرسل لعظيم الكهنة. الله ينبغي أن يطاع أكثر من الناس. فغضب الملك ودعا الجلاّد وسلّم إليهِ مار يوحنّا ليعذّبهُ في السجن أو يفشي سرّ الاعتراف. فلبث الشهيد يحتمل عذابات مختلفة ولا يبدو منهُ لفظة سوى اسمَي يسوع ومريم المجيدَين* ثمّ انّ الملك خاف من الشعب فاخرج مار يوحنا من السجن وخلّى سبيلهُ* وكان هذا القدّيس يعلم انّ غضب الملك لم يسكن عنهُ لأنّ الله أوحى إليهِ بانهُ سيموت تحت عقابهِ. فلذلك كان يستعدّ للاستشهاد بالصلوة والأعمال الصالحة*

ولمّا حانت الساعة التي فيها كان عتيداً أن يسفك دمهُ من أجل شريعة الكنيسة صعد المنبر وشرع يخطب الجماعة وقال لهم: قليلاً وترونني وقليلاً ولا ترونني فانّي منطلق لاموت من أجل شرائع يسوع المسيح وكنيستهِ في هذه مملكة بوهميا عينها التي عمّا قليل ستُحتَقر فيها الديانة. لأنّ الذئاب سيدخلون في صيرة يسوع المسيح ويبدّدون الخراف. والويل لمن يقع في أيدي هولاء الأنبياء الكذَبة* وصحّت نبوّتهُ لأنهُ بعد ذلك بثلاثين سنة ثار الوثنيّون والهراطقة وفتكوا بالمؤمنين وهدموا الهياكل وبثّوا في كلّ مكان سمّ تعاليمهم الفاسدة. وبعد زمان قليل اضحى مُعظم أهالي تلك البلاد غارقين في لجّة هرطقة لوثار* وبعدما ختم مار يوحنا خطبتهُ توادع مع الجماعة وتسامح معهم عن الزلاّت التي كان يحتسب سيرتهُ مدنّسة بها. ثمّ جثا أمام مذبح مريم العذراءِ طالباً منها أن تحاميهُ في

سياقهِ وتساعدهُ في ساعتهِ الأخيرة كما حامتهُ في حياتهِ وتتشفّع فيهِ لدى ابنها يسوع أن لا يسمح أن تضحي نفسهُ فريسةً لاعدائهِ*

وفي مساء ذلك اليوم إذ كان مار يوحنّا مجتازاً من تحت حائط قصر وَنْشِسلاس الملك ابصرهُ هذا الملك من الشبّاك. فاشتعلت فيهِ نار الغضب فارسل قبض عليهِ. فلمّا مَثُل الشهيد أمامهُ. قال لهُ الملك: اسمع يا قسّ. الآن لا ينفعك الصمت. إمّا تنطق أو تموت. ان بُحْتَ إليَّ بما تعلمهُ من خطايا الملكة والاّ حيٌّ هو الله لأَشرّبنّك ماء نهر براغَه* فنظر الشهيد إلى الملك بوجهٍ ثقيل صارم ولم يُجِبْهُ بكلمة. وعندما رأَى الملك سكوتهُ حبسهُ في حجرةٍ في قصرهِ. ولمّا جنّ الليل أمر الجلاّدين أن يأخذوهُ مصفَّداً بالحديد ويطرحوهُ في النهر. وكان أمرهُ مفعولاً. فنال مار يوحنا اكليل الاستشهاد في اليوم السادس عشر من شهر أيّار ليلة عيد صعود ربّنا يسوع المسيح سنة ١٣٨٣* وفي وقت موتهِ تراءَت نيران متّقدة في النهر وظهر كثير من النجوم متلالئةً بين أمواج النهر. فعاين ذلك أهل المدينة وأسرعوا إلى النهر ولم يعلموا السبب. وإذ علم بذلك الملك وَنْشِسلاس صار كانّهُ مضروباً بصاعقة. ولم يعد أحد يقدر أن يدخل عليهِ أو يكلّمهُ مدّة ثلاثة أيّام لأنهُ كان يتصوّر أمامهُ فريستهُ ملتحفةً بالمجد*

ولم يترك الله جرم هذا الملك بلا عقاب. فبعد سنين اعتلن الغضب الالهيّ عليهِ فخُلع من المُلك وأُخِذ منهُ التاج. امّا الملكة فكانت قد تُوُفِّيت بعدما بكت زماناً على موت معلّم اعترافها ومحاميها

مار يوحنا الشهيد*

ولم يكن جديراً بجسد القدّيس الشهيد أن يبقى في الماء فقذفتهُ الأمواج إلى الشاطئ وأخذهُ المؤمنون باكرام عظيم ودفنوهُ في الكنيسة*

وفي سنة ١٧١٩ فتحوا قبرهُ فوجدوهُ سالماً من الفساد وكان لسانهُ طريّاً كانّهُ لسان رجل حيّ. وهكذا أراد روح القدس أن يحفظ مدّة ثلثماية وستّ وثلاثين سنة ذلك اللسان الذي لم يشأ أن يتعدَّى الشريعة بافشائهِ سرّ الاعتراف وذلك الجسد الذي كان هيكلهُ المقدّس* والكرامات العظيمة التي جرت على يديهِ في حياتهِ وبعد موتهِ صارت لهُ كلآلئ مضيئة مرصَّعة في اكليل استشهادهِ*

الطوباوي اندراوس بُبُولا الشهيد

انَّهُ في سنة ١٥٩٢ في تخوم صندُمير من أعمال بُلونيا أي بلاد اللاه وُلِد الطوباويّ اندراوس بُبُولا. وكانت عشيرتهُ من أشهر أهالي المملكة. وربّاهُ أبواهُ في التقوى ووضعاهُ في مدرسة اليسوعيّين في صندُمير ففاق في العلم والفضيلة* وأراد أن يخصّص نفسهُ لخدمة الله فدخل برضى أبويهِ في جماعة اليسوعيّين في مدينة وِلنَهْ وكان ذلك في اليوم الحادي والثلاثين من شهر تموز يوم عيد مار اغناطيوس سنة ١٦١١* ولمّا أُحصِي بين المبتدئين شرع يقتدي بالأعمال الروحيّة التي سار بها أبوه مار اغناطيوس* وقرأ علم الفلسفة مدّة ثلاث

سنين على الاب مرقار المعلّم المشهور. ثمّ أُرسِل إلى بَرَوْنْسبرَغ في بروسيا لكي يعلّم هناك مبادئْ اللغة اللاتينيّة. وبعد ذلك رجع إلى وِلنة وقرأ علم اللاهوت على معلّمهِ الاب مرقار*

وفي سنة ١٦٢١ رُسِم شمّاساً رسائليّاً فانجيليّاً. وفي اليوم الثاني عشر من شهر آذار سنة ١٦٢٢ رُسِم كاهناً وكان عمرهُ حينئذٍ ثلاثين سنة. وفي ذلك اليوم عينهِ كُتِب اسم مار اغناطيوس واسم مار فرنسيس كسافاريوس في سفر القدّيسين*

ولمّا صار لهُ من العمر اثنتان وثلاثون سنة ابتدأَ بالوعظ في كنيسة مار كاسيمير في مدينة وِلنة. وكان زمانهُ ينقضي هناك في الوعظ والاستعراف وزيارة المرضى والأعمال التقويّة. فاشتهر صيتهُ في تلك النواحي. وكان الناس يحبّونهُ ويحترمونهُ كقدّيس* وكان يحبّ أن يعلّم الأطفال التعليم المسيحيّ ويحثّهم على محبّة يسوع المسيح ومريم العذراء* وفي اليوم الثاني من شهر حزيران سنة ١٦٣٠ نذر نذروهُ الاحتفاليّة. وفي السنة التابعة نُصِب رئيساً في أحد الأديرة واستمرّ في هذا المنصب خمس سنين يدبّر رهبانهُ بالمحبّة والتواضع*

وفي سنة ١٦٣٦ استعفى من هذه المرتبة وتكلّف العمل في الرسالات. وقضى في ذلك إحدى وعشرين سنة. وهدى إلى الحقّ جمّاً غفيراً من الضالّين. وكان يقوّي المؤْمنين الضعفاء في الايمان ويعلّم الصبيان التعليم المسيحيّ ويسلّي المرضى ويساعد الفقراء. وكان يحارب الهراطقة ويفحمهم في حومة الجدال ورجّع منهم جمّاً غفيراً* فلمّا رأَى المتعصّبون فيهم

نجاح أعمال مار اندراوس وانّ عددهم يقلّ وشيعتهم تضمحلّ ابطنوا لهُ البغضاء وصاروا كلّما رأَوهُ مجتازاً في الطريق يهجمون عليهِ ويهينونهُ بكلماتٍ فَظّة ويستهزئون بهِ ويرمونهُ بالحجارة. وكان القدّيس يحتمل منهم ذلك بصبر ويظهر كانهُ لم يكن يشعر بذلك* ولمّا كانت بغضاء أعداء الحقّ للقدّيس تزداد بمقدار ما كان يزداد نجاحهُ جزموا على قتلهِ. فوجَّهوا إليهِ يوماً رجلين شرّيرين ليقتلاهُ. وكان مار اندراوس قد قرّب الذبيحة الإلهيّة وهو جاثٍ امام المذبح يشكر الله. فاحسّ الكاثُليكيّون بذلك فجاءُوا إليهِ باكين وقالوا لهُ: يا أبانا قُمْ اهرب من هنا فانّ أعداءَك قد أتوا ليقتلوك* امّا هو فأبى أوّلاً استماع قولهم لأنّهُ كان يتوق إلى الاستشهاد ولكنّ دموع الجماعة غلبتهُ وجعلتهُ أن يرتضي بالهرب لأنهُ خاف عليهم من الوبال. فانزلوهُ في عرَبة وبعثوا معهُ دليلاً يهديهِ حيث أراد* فشعر أعداؤُهُ بهربهِ فلحقوا بأثرهِ واحتاطوهُ واوقفوا عرَبتهُ. فعند ذلك نزل الطوباويّ إلى الأرض وجثا على ركبتيهِ ورفع عينيهِ إلى السماء قائلاً: لتكن مشيئتك يا الهي. لتكن مشيئتك يا الهي. وعندما قال هذه الكلمات نزل على ذراعيهِ ضربتان بالسيف. ثمّ انّهم ربطوهُ في شجرة وعرّوهُ من ثيابهِ وضربوهُ بكلّ قواهم. وكان الشهيد لا يبدو منهُ حسّ بل كان يقول فقط: يا يسوع يا مريم* ولمّا ملّ القاتلون من ضربهِ حلّوهُ من الشجرة وجسمهُ مصبوغ بدمهِ ووضعوا حبلاً في عنقهِ وجعلوا يسحبونهُ وراء الخيل ويطعنونهُ بالرماح. وأتوا بهِ إلى الهراطقة فقال لهُ رئيسهم. من أنت وما تصنع في هذه البلاد. فقال

الشهيد الطوباويّ: أنا قسّيس رومانيّ وراهب يسوعيّ وقد جئتُ على ها هنا لاصون الايمان وارجّع إلى الكنيسة الحقّ أولئك الذين قد ضلّوا عنها. فقال لهُ مضطهدهُ: ان جحدت الآن الكنيسة الرومانيّة والاّ نزعتُ ايمانك وقلبك من صدرك. قال الشهيد: أنا كاثُليكيّ وكاهن ومستعدٌّ لأن أحتمل الموت بدل ما أترك إلهي واجحد الحقّ. أمّا أنت وتبّاعك فيجب عليكم أن تهجروا أضاليلكم وترجعوا إلى الكنيسة الرومانيّة الكاثُليكيّة لئلاّ تهلكوا إلى الأبد*

فعند هذه الكلمات حنق الظالم عليهِ وضربهُ بالسيف ضربةً قويّةً شدخت راسهُ فوقع الشهيد مجندلاً على الأرض. وضربهُ أحد المضطهدين بالسيف على رجلهِ. وأَحد الجنود قلع عينهُ بشوكة خنجرهِ. وكانوا فيما بين هذه العذابات يقولون لهُ: اهجر كنيستك الكاثُليكيّة الرومانيّة والاّ فتهلك على أيدينا. وكان الشهيد يقول: انّما أنتم يجب عليكم أن تهجروا أضاليلكم وترجعوا إلى هذه الكنيسة الحقيقيّة. وان بقيتم عصاة تهلكون لا محالة* فقالوا بما انّك قسّيس ينبغي لك حلّة كهنوتيّة. فسلخوا جلدهُ والبسوهُ ايّاهُ كحلّة وصاروا يسخرون بهِ. ثمّ قال بعضهم لبعض: انّ هذا الوحش ليس لهُ مخاليب فيجب أن نعمل لهُ ذلك. فاتوا بقصَب أخضر وصنعوهُ كالمخاليب ودخّلوهُ تحت أظفارهِ. ثمّ انّهم جدعوا انفهُ وقطعوا شفتيهِ* ولمّا شبعوا من تعذيبهِ اخرجوهُ إلى الزقاق وطرحوهُ في الوحل ليموت. واجتاز بهِ أحدهم بعد ذلك فرآهُ وفيهِ رمق يسير فاستلّ سيفهُ وضربهُ ففتح حاضرتهُ

وتمّ اكليل استشهادهِ في اليوم السادس عشر من شهر أيّار سنة **١٦٥٧**. وبقي جسدهُ مطروحاً في الزقاق أربعة أيّام لأنّ الكاثُليكيّين لم يجسروا أن يأخذوهُ خوفاً من الهراطقة. وأخيراً حملوهُ ودفنوهُ باكرام عظيم* واشتهر خبر استشهادهِ في بُلونيا كلّها بالكرامات التي فعلها الله بشفاعتهِ. وبعد زمان فتحوا قبرهُ فوجدوا جسدهُ سالماً من الفساد وآثار الدم بعدُ ظاهرة في جروحهِ*

الطوباوي سمعان صطوق

منشئ أخويّة ثوب سيّدتنا مريم العذراء سلطانة الكرمل

انّ هذا الطوباويّ كان من مدينة كَنْت في انكلترّه. ومنذ كان عمرهُ اثنتي عشرة سنة انفرد في جوف بلّوطة وعاش فيها بالصلوة والتقشّف* ولمّا أُدخِلت رهبنة الكرمليّين في انكلترّة وشاهد سمعان حسن سيرة أولئك الرهبان وقداستهم دخل في هذه الرهبنة وصار نائباً عامّاً. وثبَّت القانون الذي أعطاهُ البرتُس الطوباويّ للكرمليّين بامر الباباوَين هنوريوس الثالث في سنة **١٢٢٦** وغريغوريوس التاسع في سنة **١٢٢٩** وأخيراً صار مار سمعان رئيساً عامّاً على الرهبنة ونال من الباب إِنكُّنتيوس الرابع أن يثبّت هذا القانون في سنة **١٢٤٥***

وبعد زمان يسير في اليوم السادس عشر من شهر تموز ظهرت لهُ مريم العذراء الطوباويّة وأعطتهُ الثوب ووعدتهُ بخيرات عظيمة ينالها

في هذه الحيوة وفي الحيوة الأخرى من يلبس هذا الثوب المقدَّس* فبعد هذه الرؤْيا شرع هذا الطوباويّ يسعى في تثبيت أخويّة الثوب. وثبّتها باباوات كثيرون* فيجب من ثمَّ على المشتركين في اخويّة ثوب سيّدتنا مريم العذراء سلطانة الكرمل أن يلبسوا هذا الثوب تحت ثيابهم ويتلوا فرض الكنيسة. وامّا الذين لا يحسنون القراءَة فعليهم أن يصلّوا عوض ذلك سبع مرَّات أبانا الذي والسلام لكِ والمجد للآب. وان أرادوا أن يتخلّصوا من عذابات المطهر في يوم السبت الأوَّل بعد موتهم فعليهم أن يستعملوا الصوم في أيّام الأربعاء والجمعة والسبت. وإذا لم يمكنهم ذلك فيقدرون أن يتلوا في هذه الأيّام المذكورة سبع مرَّات أبانا الذي والسلام لكِ والمجد للآب* ثمَّ انَّ الطوباويّ سمعان شفى مرضى كثيرين باعطائهِ ايّاهم هذا الثوب المقدَّس. وعمل بهِ كرامات اخر كثيرة. وكان لهُ هبة النبوَّة في درجة فائقة. وأخيراً تُوُفّي في مدينة بُرْدُو من اعمال فرنسا في اليوم السادس عشر من شهر تموز سنة ١٢٦٥ ولهُ من العمر ماية سنة*

* اليوم السابع عشر *

مار فَسقال بَيلون

انَّ مار فَسقال بَيلون وُلد في سنة ١٥٤٠ في قرية من مملكة

ارّغون من أبوين فقيرين يشتغلان بفلاحة الأرض. ولمّا نشأً لاحت عليهِ سمة التقوى. ولأنَّ أبويهِ لم يكن يمكنهما حالهما أن يضعاهُ في المدرسة جعلاهُ راعي غنم فكان الصبيّ التقيّ يحمل كتابهُ وينطلق إلى الحقول ويرعى الغنم. وكان يطلب ممّن كان يصادفهُ في الطريق ان يعلّمهُ أوائل القراءة. وبعد زمان قليل كملت رغبتهُ إذ تعلّم جيّداً القراءة والكتابة. ولم يكن ينعكف الاَّ على قراءَة الكتب التي كانت تذكّرهُ أعمال سيّدهِ ومعلّمهِ يسوع المسيح. وأعمال الذين امتثلوا بهِ* ولمّا شبّ وكمل عقلهُ صار يقرأ في كتاب الطبيعة الكبير الذي هو خلائق الله متأَمّلاً في أعمال الله العظيمة وقلبهُ مرفوع إليهِ تعالى. وكان الله يباركهُ في جميع أعمالهِ*

ولمّا رأَى مولاهُ وكان تقيّاً فضائل اجيرهِ فسقال عزم أن يتّخذهُ ابناً ووريثاً لهُ. ولكنَّ فسقال لم يكن لهُ ميل الاَّ إلى الخيرات السماويَّة لأنّهُ كان يخاف أن تحرمهُ أموال هذه الدنيا السعادة الأبديّة فابى قبول هذا الاحسان الذي قدّمهُ لهُ سيّدهُ* وكان يُشاهَد غالباً راكعاً على ركبتيهِ تحت شجرة مصلّياً بالانفراد بينما كانت غنمهُ يُشاهَد غالباً راكعاً على ركبتيهِ تحت شجرة مصلّياً بالانفراد بينما كانت غنمهُ ترتع في الجبال وبهذه المخاطبات السرّيّة مع الله بالتواضع كان يتقدّم شيئاً فشيئاً في سبل الكمال. وربّما كان يغيب عن عقلهِ في وقت صلاتهِ* وكان الطوباويّ فسقال يُسَرّ بالفقر ويودّ الفقراء وكان يقسّم عليهم كلّ ما كان يُقدَّم لهُ من الهدايا من الحقول*

وفي ذلك الزمان عزم فسقال أن يهجر قطيع غنمهِ ليرعى قطيعاً

آخر اشرَف. فاستأذن سيّدهُ في ذلك وقبل كلّ شيءٍ شرع يكثر من الصوم والصلوة طالباً في قلبهِ من الله أن يظهر لهُ إرادتهُ. وبعد زمان يسير شعر في قلبهِ بانّهُ مدعوّ إلى الرهبنة. فاستشار بعضاً من ذوي التقوى والفضيلة في دعوتهِ هذه فدلّوهُ على بعض الأديرة*

وإذ بلغ من العمر عشرين سنة ترك وطنهُ وانطلق إلى اقليم والَنسا حيث كان دير للفرنسيسيّين الحافين ودخل فيهِ. فقلّدوهُ في الأوَّل رعاية الغنم. وجعلتهُ هذه سيرتهُ القدسيّة المنفردة أن يشتهر في كلّ ذلك البلد حتَّى انَّهم كانوا يسمّونهُ الراعي القدّيس* ثمَّ انّهُ عزم ان يقطع كلّ ما كان يصلهُ بالدنيا فطلب من الرهبان الفرنسيسيّين أن يقبلوهُ كأخٍ تائب. فمُنح لهُ ذلك في سنة ١٥٦٤. وكان ينمو يوماً فيوماً في الأعمال الرهبانيّة وجعلهُ ادمانهُ على التقشُّف أن يصبح مدقّقاً في حفظ القانون* وكان يحبّ الفقراء ويقول في شأن ذلك: انّي وُلدتُ في الفقر وعزمتُ أن أعيش في الفقر وأموت في الفقر أيضاً. ولم يكن لهُ سوى ثوب واحد عتيق مخزَّق. وكان يمشي حافياً في الثلج وفي الطرق الوعرة. وكان بشوش الوجه حليم الطبع. وإذ كان ذات يومٍ منطلقاً إلى باريس لقضاءِ حاجةٍ صادفهُ بعض الهراطقة فاخذوا حجارة ورموهُ بها وضربوهُ بالعصيّ وجرحوا كتفهُ. فاحتمل كلّ ذلك بصبر وسكوت من أجل يسوع المسيح* وكان لهُ عبادة سامية للقربان المقدّس ولآلام المخلّص ولسيّدتنا مريم العذراء. وهكذا قضى حياتهُ في هذه السيرة المرضيّة لله* ولمّا حان رحيلهُ من هذه الدنيا توفّاهُ ربُّهُ

وفاةً مقدّسة في مدينة وِلاّرَآلّهْ بقرب والنسا في اليوم السابع عشر من شهر أيّار سنة ١٥٩٣ وعمرهُ اثنتان وخمسون وسنة. وايّد الله قداستهُ بكرامات باهرة*

* اليوم الثامن عشر *

مار ونان الشهيد

انّ الشهيد المعظّم مار ونان وُلد في مدينة قَمَرينو من أعمال ايطاليا من أبوين وثنيّين. ولمّا صار عمرهُ خمس عشرة سنة ألهمتهُ نعمة الله أن يكفر بالأصنام فآمن بالمسيح. ومن ثمّ اختبر صدق كلمات مخلّص العالم وهي نيري طيّب وحملي خفيف. وبعدما وُلِد ميلاداً ثانياً بمياه المعموذيّة الخلاصيّة عزم أن يقتدي بربّنا يسوع المسيح والرسل الأطهار واعظاً بالإنجيل المقدّس لكي ينال بهذه الواسطة تاج الشهداء المفخّم الذي كان يرغبهُ بشوق عظيم. وهدى بسموّ مناقبهِ وغيرتهِ إلى الايمان الكاثُليكيّ المقدّس أناساً كثيرين من الأشراف* فلمّا رأَى عدوّ الخير نجاح هذا الرجل القدّيس حرّك عليهِ انطيوخُس حاكم المدينة الذي كان تحت ولاية داقيوس الظالم مضطهد المسيحيّين. فشرع هذا الحاكم يطلب قتل مار ونان. فعلم هذا القدّيس ذلك بوحي الاهيّ فانطلق إلى باب المدينة حيث كان انطيوخُس. فاستقبلهُ أوّلاً هذا الحاكم بوجهٍ

بشوش ووعدهُ أن يحسن إليهِ ان كفر بدينهِ. فامتلأً مار ونان من نعمة روح القدس وشرع يفهّمهُ صدق المعتقد المسيحيّ وزور عبادة الأوثان. وقال لهُ انّ الديانة المتمسكّين بها أنتم يا معشر الوثنيّين ليست الاّ خرافات لا أصل لها وقد ورّطكم فيها الشيطان. فشتّان ما بين آلهتكم والاهي. لأنّ آلهتكم منها أناس قد قضوا حياتهم في الأعمال المنكرة والجرائِم العظيمة وماتوا وأنتم الّهتموهم وعبدتموهم. ومنها أجسام جامدة صمّاء بكماء. فكيف يمكن أن يتَّخذ ذو عقلٍ آلهةً مثل هذه ويعبدها. امّا إلهي فهو الذي فطر السماء والأرض وجميع الكائنات من العدم وخلق البشر وأرسل ابنهُ الوحيد يسوع المسيح الاله والإنسان معاً متجسّداً في حشا العذراء الطوباويّة مريم ليكون هُدىً للعالمين. واحتمل الآلام والموت لكي يصالحنا مع أبيهِ ويحرّرنا من عبوديّة الشيطان الذي كان قد استاسرنا من جرى خطيّة آدم ابينا الأوّل* فلمّا سمع الحاكم هذه الأقوال تقلّى على جمرات الغضب واسلم مار ونان إلى العذاب. فأخذتهُ الجنود وربطوهُ وهو صامت كالخروف أمام الجازّة وعلّقوهُ على خشبة ومرّغوا أياديهم وأسلحتهم بدمهِ* فبإِذن الله تعالى نزل ملاك من السماء وقطع رباطاتهِ وطرد عنهُ الجلاّدين الذين كانوا يضربونهُ بقساوةٍ. فتعجّب كلّ من عاين هذه الكرامة الباهرة* امّا الجلاَّدون الغليظوا الرقاب والقساة القلوب فبعد أن استراحوا قليلاً أتوا ثانيةً إلى الشهيد وربطوهُ وعلّقوهُ على الخشبة منكّس الراس مرفوع الرجلين وشرعوا يشيطون جسمهُ بمشاعل ملتهبة. فلمّا رأَى بعض الحاضرين

تجلّدهُ وشجاعتهُ في احتمال هذا العذاب اهتدوا إلى الايمان الصحيح. وكان من جملتهم رجل يقال لهُ انسطاسيوس كرنيقُلا. فهذا رأَى ملاكاً لابساً ثوباً أبيض مثل الثلج يشجّع مار ونان ويخفّف عذاباتهِ وحلّهُ مرّةً ثانية من الخشبة. فتعمّذ انسطاسيوس هو وأهل بيتهِ واستشهد بعد ذلك مع قدّيسنا مار ونان*

فلمّا علم قاضي المدينة بما جرى وانّ مار ونان قد انحلّ باعجوبة أرسل استدعاهُ وجعل يتملّقهُ بمواعيدهِ ليقنعهُ أن يكفر بالمسيح. ولكنّ هذا جندي يسوع المسيح الشجاع رفض كلّ هذه المواعيد ووبَّخ المضطهد ولذلك أُلقي في السجن* وبعد زمان يسير أرسل القاضي إلى مار ونان رجلاً مكّاراً ليستميلهُ بحيلهِ إلى عبادة الآلهة. فلمّا خاطبهُ في هذا الشان زجرهُ الشهيد الأمين وطردهُ. فأتى وأخبر القاضي انّ ونان ثابت في ايمانهِ ولا يشاء أن يسجد للآلهة. فاحضرهُ القاضي أمامهُ وكسّر أسنانهُ وطرحهُ في بالوعة منتنة. فاخرجهُ منها ملاك الله فجاءَ أمام القاضي وقال لهُ هأَنذا انظرني وتأكّد صحّة ايماني. فلمّا رآهُ صاح بصوت عظيم قائلاً. حقّاً انَّ الاه ونان هو الالاه الحقّ ولهُ وحدهُ يجب السجود والاكرام ومع قولهِ هذا سقط من على منبرهِ ومات*

فوصل خبر ذلك إلى انطيوخُس الحاكم فأمر أن يُلقى مار ونان حالاً أمام الاسُود. فحينما رأَتهُ هذه الوحوش الضارية دنت منهُ بعلامات الخضوع وانست إليهِ وجعلت تلحس قدميهِ. وكان القدّيس ينذر بشجاعة ذلك القوم الحاضر بايمان المسيح. فلمّا رأَى الجلاّدون أن

الوحوش لم تضرّهُ أخذوهُ وطرحوهُ في السجن* وأمر انطيوخُس أن يربطوا مار ونان ويعرّوهُ من ثيابهِ ويجرّوهُ على الشوك حتى يموت وكان أمرهُ مفعولاً الاّ انّ الله صان عبدهُ أيضاً في هذا العذاب. فيا للغضب الذي اشتعل في نفس انطيوخُس لرؤيتهِ انّ تعذيباتهِ كلّها لم تضرّ بالقدّيس. فامر الجلاّدين أن يسحبوهُ مربوطاً على حجارة وصخور إلى أن يترضَّض جسمهُ ويموت. فأخذهُ الجلاّدون وأجروا بهِ هذا العذاب حتى ملّوا وخارت قواهم من التعب وكادوا يموتون من العطش. فتحنَّن الشهيد عليهم واراد أن يجازي شرّهم بخيرهِ. فركع على صخرة ورسم عليهم علامة الصليب واتبع لهم منها ماءً أَروَوا بهِ عطشهم. وإلى الآن تُرَى آثار ركبتيهِ مطبوعة في الصخرة* وبهذه الكرامةُ آمن بعض الجلاّدين وبعد ذلك تعمّذوا واستشهدوا*

وأخيراً طلب مار ونان من الله أن لا يعوّق عليهِ الاكليل المعدّ لهُ فاستجاب الله طلبتهُ وتوفّاهُ ما بين تلك العذابات القاسية واحصاهُ مع شهدائهِ الممجّدين* وفي حين موتهِ حدثت زلزلة عظيمة دلالة على شرف الشهيد* وعاقب الله بعد زمن يسير انطيوخُس بميتة هائلة*

وأخذ المسيحيّون جسد مار ونان ودفنوهُ في الكنيسة باحتفال عظيم*

* اليوم التاسع عشر *

مار بطرس كَلَستينُس البابا منشئ رهبنة الكَلَستينيّين ـ مار دُنْستان مطران مدينة كَنْتُرْبَرِي

مار بطرس كَلَستينُس البابا منشئ رهبنة الكَلَستينيّين

انّ هذا القدّيس وُلِدَ في بلاد بُولية من أعمال نابُلي في سنة ١٢٢١ وكان أبواهُ مشهورين بفضيلتهما وبمحبّتهما للفقراء. ولمّا كان بعدُ طفلاً مات أبوهُ فاحسنت أمّهُ تربيتهُ هو وأخوتهُ وكانوا اثنَي عشر. ولمّا كَبُرَ بطرس وتمعَّن جيّداً في زوال فخر الدنيا ولذّاتها عزم أن يترك كلّ شيء ويسير سيرةً انفراديّة. فانطلق إلى جبل مقفر وكان عمرهُ حينئذٍ عشرين سنة وعمل لهُ هناك قلاّية صغيرة في صخرة واستمرّ ينسك فيها مدّة ثلاث سنين ملازماً أعمال التوبة والتقشّف والصلوة. وجرّبهُ الله بتجاريب كثيرة تطهّر بها قلبهُ من آثار محبّة الأرضيّات* ومع انهُ كان يجتهد في أن يخفي نفسهُ عن عيون العالم فمع ذلك عُرِفَ بهِ. فلم يَعُد يقدر أن يمنع الناس من زيارتهم ايّاهُ. والزموهُ أن يدخل في الدرجة الاكليريكيَّة وأرسلوهُ إلى رومية وهناك رُسم قسّيساً* وفي سنة ١٢٤٦ انطلق إلى ابرُشّا وهي بلد في إيطاليا. وسكن هناك خمس سنين في مغارة موجودة في جبل يُدعى مُرّوني بقرب مدينة سُلمونا ونال هناك

من الله بارتقاء نفسهِ إليهِ في الصلوة والتأمّل آلاء غزيرة. غير انهُ ابتُلِي بأفكار وهميّة كدّرت راحة نفسهِ وجعلتهُ قريباً من السقوط في لجّة اليأس. وكان لا يجسر أن يقرّب الذبيحة الإلهيّة. وعزم أن يترك منفَرَدهُ ولكنَّ مرشدهُ شجّعهُ وعزّاهُ وقال لهُ انّ كلّ ما تشعر بهِ هو فخّ شيطانيّ. فان حاربتهُ وازدريتَ بهِ فلا يلحق بك ضُرّاً البتّة* ولمّا كانت التجربة لم تَزُل عنهُ بالكليّة نوى أن ينطلق إلى مدينة رومية ليعرض حالتهُ على البابا. وفيما كان في الطريق رأَى رؤيا أزالت عنهُ هذه التجربة. وذلك انهُ رأَى راهباً كان قد تُوُفّي ظهر لهُ وأعطاهُ مشورات مطابقة لما أشار بهِ عليهِ معلّم اعترافهِ. والزمهُ أن لا ينطلق إلى رومية بل أن يرجع إلى قلاّيتهِ ويقدّس كلّ يوم الذبيحة الإلهية. فعند ذلك هدأَت أفكارهُ ورجع* ثمّ انّهُ بعد ذلك هجر قلاّيتهُ وانطلق إلى جبل آخر مع رجلين كانا قد تتلمذا لهُ. وهناك عملوا لهم صوامع وكانوا يعبدون الله فيها. وكان مار بطرس يشتغل في النهار بأعمال يديهِ ويقضي جزءاً كبيراً من الليل في الصلوة. ولم يكن يأكل لحماً أبداً. وكان يصوم كلّ يوم الاّ يوم الأحد فقط. وكان طعامهُ خبزاً وماءً لا غير. وأحياناً كان يأكل مع الخبز ورق الكُرُنْب. وكان يلبس مسحاً منسوجاً من شعر الدوابّ ويتمنطق بسلسلة من حديد على حقويهِ وينام على الحضيض أو على لوح من خشب ويتوسّد بحجر* وكان زائروهُ يكثرون يوماً فيوماً. ووتتلمذ لهُ كثيرون فالتزم أن يجمعهم في دير. وجعلهم أن يسيروا بموجب قوانين مار مبارك* وفي سنة ١٢٧٤ نال من البابا غريغوريوس

العاشر تثبيت رهبانيّتهِ. وانتشرت هذه الرهبنة بعد ذلك في أوروبا حتى انّ منشئها رأَى قبلما يموت ان قد بلغت أديرتهُ إلى ستّة وثلاثين ديراً. وبلغ عدد رهبانهِ من الرجال والنساء إلى ستّماية راهب*

ولمّا مات البابا نِقُلاوس سنة ١٢٩٢ أمسى الكرسيّ البابويّ خالياً من جالس. فاجتمع الكردِنالات في مدينة باروزا وانتخبوا كلّهم بصوت واحد مار بطرس ليكون بابا. وفرح بهذا الانتخاب كلّ من سمع بهِ الاّ مار بطرس المنتخَب فانهُ حزن وأبى قبول هذه المرتبة مدّعياً انّهُ غير قادر على القيام بها* ولمّا رأَى انّ اعتذاراتهِ لم تُقبَل أخذ رفيقاً لهُ يدعى روبرتُس وهرب. فلمّا عُلِمَ بهِ أُرسِل في أثرهِ من أوقفهُ فاضطرّ بطرس أن يقبل هذه المرتبة. وطلب إلى رفيقهِ روبرتُس ان يتبعهُ. ولكنّ هذا التلميذ أبى ذلك لتواضعهِ قائلاً: أي نعم أنا رفيقك في الدناءَة ولكنّي لست ذلك في المعالي. فتركهُ مار بطرس ليبقى في منفرَدِه. امّا هو فاخضع عنقهُ لهذا النير وجلس على كرسيّ مار بطرس الرومانيّ ودُعي باسم كَلَستينُس الخامس*

وفي هذه الوظيفة العالية لم يهمل شيئاً من أعمال سيرتهِ الأولى. وجعل أن يُعمَل لهُ في قصرهِ قلاَّية. فكان يختلي فيها متفاوضاً مع الله* واستمرَّ هذا البابا القدّيس في الكرسيّ أربعة أشهر وكان يستصعب هذا المنصب ويستثقل حملهُ يوماً فيوماً. وخوفاً من انّهُ لا يقدر أن يقوم بهِ كما يجب نوى أن يتنزَّل عنهُ. فكشف نيّتهُ لبعض من ذوي النهى. وجمع مجمعاً من الكردِنالات ومن الأعيان وحضر فيهِ الملك وقرأَ

البابا أمامهم صورة تنزّلهِ عن وظيفتهِ. ثمَّ خلع الثياب البابويّة ولبس ثيابهُ الأولى الرهبانيّة وانطرح على أرجل أولئك المجتمعين واستغفرهم عمّا صدر منهُ من التقصيرات في تدبير الكرسيّ. وتوسّل إليهم أن يصلحوها بانتخابهم واحداً يقدر أن يقوم جيّداً بوظيفة الرياسة العامّة. وحينئذٍ تاقت الدموع من عيون جميع الحاضرين لرؤْيتهم تواضع هذا البابا*

ثمَّ انَّ الكردِنالات انتخبوا الكردِنال مبارك كاياتان وأقاموهُ بابا مكان كَلَستينُس باسم بُنيفاقيوس الثامن* أمّا مار بطرس كَلَستينُس فقضى بقيّة حياتهِ في الانفراد ملازماً التأمُّل والصلوة* ولمّا حانت ساعة رحالهِ من هذه الدنيا نقلهُ الله إلى الآخرة في اليوم التاسع عشر من شهر أيار سنة ١٢٩٦ وعمرهُ خمس وسبعون سنة. وتأَيّدت قداستهُ بمعجزات كثيرة أجراها الله بشفاعتهِ في حياتهِ وبعد موتهِ*

مار دُنْستان مطران مدينة كَنْتُربَري

انَّ هذا القدّيس كان انكليزيّاً نشأَ في طائفة شريفة الأصل. ولمّا بلغ سنّ التمييز أرسلهُ أبواهُ إلى المدرسة فانعكف على الدرس في الفضيلة وفي العلم. ولشدَّة عملهِ فيهما وقع مريضاً ودنا إلى الموت. وفي إحدى الليالي إذ كان في السياق نهض من فراشهِ صحيحاً متعافياً وذهب إلى الكنيسة ليشكر الله على إعادة صحّتهِ. وفيما كان في الطريق عرضت لهُ الشياطين بزيّ كلاب سود كَلِبة وكانت تنبحهُ وتكشّر لهُ أنيابها

مريدةً أن تعضّهُ وتمنعهُ من الانطلاق إلى الكنيسة ولكنّهُ رسم عليها علامة الصليب وذبّها عنهُ بعصاً كانت في يدهِ*

وكانت ملاحة خصال دُنستان وحكمتهُ وتقواهُ تزداد كلّما نما في العمر. وكان ملازماً التأمّل والصلوة وقراءَة الأسفار المقدّسة. وكان عدوّاً للكسل. وتعلّم الكتابة وصناعة التصوير والنقش واتقن أيضاً صناعة الصياغة في الذهب والفضّة*

وكان مار أَثَلْمُس مطران كَنْتُرْبَري عمّهُ فأَخذهُ عندهُ. ثمَّ صار مار دُنستان واحداً من العمّال لملك انكلترّة. وبعد ذلك التزم أن يهجر هذه الوظيفة بسبب حسّادهِ وأصابَهُ منهم أذيّات كثيرة. وأخيراً انطلق عند مار الفاج اسقف مدينة وَنْشستر الذي كان ابن عمّهِ فسامهُ هذا الأسقف قسّيساً. وبعد رسامتهِ دخل في ديرٍ وعمل لهُ فيهِ قلاّية طولها أربعة أقدام وعرضها أربعة أقدام ونصف وعلوّها علوّ قامة إنسان وسكن فيها عابداً الله بالصلوة والتقشّف والشغل. فنال منهُ تعالى نعماً غزيرة. وسما في حفظ طهارة نفسهِ وجسدهِ حتى انهُ كان يبان كملاك متجسّد* وصار لهُ جاه عظيم عند ملك انكلترّة. وبمساعدة هذا الملك بنى ديراً وجمع فيهِ رهباناً كثيرين. وكان يرشدهم إلى سُبل الخلاص*

وبعد ذلك مات هذا الملك وقام غيرهُ من عشيرتهِ في سرير انكلترّة. وكان هذا الملك الجديد رديء السيرة منعكفاً على اللذّات والقبائح حتى انهُ يوم كُلِّل بالتاج الملكيّ ترك المائدة والمجتمعين عندهُ

من الأساقفة والأشراف ومضى ليتغدَّى مع امرأَتين كان يحبّهما. فلمّا عاين ذلك مار دُنستان مضى إليهِ وفهَّمهُ انهُ قد أخطأ بتركهِ القوم والقائهِ شكّاً في قلوب جميع من كان في القصر وارجعهُ إلى مجلسهِ. فاغتاظت تانك المرأَتان الوقيحتان ممَّا عملهُ مار دُنستان وحمّلا عليهِ الملك فطردهُ من انكلترّة. فخرج هذا القدّيس مسروراً في نفسهِ على انهُ أصابهُ الجور من أجل العدل ومن أجل محبّة العفَّة وجاء إلى بلاد فلاندرة فقبلهُ باكرام عظيم والي مدينة غند*

وفي ذلك الزمان مات الملك عدوّ مار دُنْستان وتخلّف مكانهُ أخوهُ. فهذا أرسل استدعى مار دُنْستان واكرمهُ وجعلهُ من أهل مشورتهِ وسعى برسامتهِ أسقفاً على وَرْسستر. ثمّ صار أسقف لندن. وبعد ذلك انتُخِب مطراناً على مدينة كَنْتُرْبَري. فانطلق إلى رومية ملتمساً الطيلسان الأسقفيّ من الحبر الأعظم كعادة مطارين كنتربري. وبعد ما نال من قداستهِ كلّ ما طلب أخذ بركتهُ الرسوليّة وانقلب راجعاً إلى بلدهِ* وكان مار دُنْستان راعياً غيوراً هُماماً في حفظ قطيعهِ. فذات يوم بلغهُ أنّ أميراً ما تزوَّج ابنة أخيهِ. فوبَّخهُ توبيخاً شديداً وأمرهُ أن يتخلّى عنها. فلمّا رأَى أنّ الأمير لم يعبأ بأمرهِ حرمهُ وطردهُ من كنيستهِ. فلمّا رأَى الأمير نفسهُ محروماً ومطروداً وعاراً أمام قومهِ رجع إلى نفسهِ وعرف جرمهُ فتخلّى عن تلك المرأَة وجاء إلى مار دُنستان وكان جالساً في محفل عظيم وانطرح على قدميهِ وهو لابسٌ مسحاً وحاملٌ قضباناً فرماها أمام المطران قائلاً لهُ: يا أَبي أخطأتُ فاضربني بهذه القضبان

وحلّني من الحرم لكي أقدر أن أدخل في شركة أسرار الكنيسة المقدّسة. وبعدما أدّى هذا الأمير التائب القانون الذي فرضهُ عليهِ مار دُنْستان نال منهُ الحلّ*

وعمل هذا الحبر القدّيس أعظم من ذلك مع الملك فانّهُ اجترم جرماً عظيماً باخذهِ راهبةً من ديرها. فلمّا علم بذلك مار دُنْستان أتى إلى الملك ونبَّهُ على هذا الاثم وفرض عليهِ قانوناً ثقيلاً يؤَدّيهِ في سبع سنين. فقبل الملك هذا القانون. وبعد أن قضاهُ بتواضع واصلح الشكوك التي سبَّبها في المملكة حلّهُ مار دُنْستان*

وبانت غيرة هذا الراعي الشهم في حادثٍ آخر مشهور وهو أنّ اقليرس انكلترّة كانوا في ذلك الزمان فاترين في تأدية فرائضهم بل كانوا حجر عثرة للشعب بتصرّفاتهم الذميمة. فلمّا لم يقدر مار دُنْستان أن يصلحهم بالأدوية الباردة الحلوة عمد إلى الحديد والنار لكي يُزيل هذا العار من بيت الله. فطردهم قاطبةً من كنائسهم ووضع مكانهم رهباناً ذوي سيرة حميدة لكي يصلحوا المومنين بحسن سيرتهم ويمجّدوا ربّنا يسوع المسيح. وجرى ذلك في كنائس كثيرة بتثبيت الكرسيّ الرسوليّ ورضى الملك* واجتمع الاقليرُس إلى الملك وطلبوا إليهِ أن يجمع مجمعاً لفحص هذه الدعوى والنظر في حكم مار دُنْستان هل هو حقّ. فلمّا اجتمعوا وحضر هذا القدّيس أثبت عليهم بأنّهم مستحقّون ما أدّاهُ معهم. ثمّ أنَّهم توسَّلوا إلى الملك أن يحنّن قلب مار دُنْستان عليهم ليغفر لهم ويرجّعهم إلى وظائفهم الأُولى. فلمّا تخاطب الملك مع

القدّيس في هذا الشأن اطرق مار دُنْستان برهة مفكّراً في ما يجاوب بهِ الملك. وكان هناك صليب موضوع. فسُمِع بغتةً صوت من الصليب يقول: يا دُنْستان لا تغيّر قضاءَك فانّك قضيت بالعدل. فتعجّب الملك وجميع الحاضرين واستولى الخزي على قلوبهم. فرفع حينئذٍ مار دُنْستان صوتهُ وقال: يا أخوتي لقد سمعتم تثبيت قضائي من فم الله. فما الذي تريدون أن نصنع. فعند ذلك انبترت الدعوى ومضى الاقليرُس مغتمّين ولم يجسروا أن ينطقوا بكلمة واحدة لأنّ الرعبة دخلت في قلوبهم*

وبعد زمان حاول هؤُلاء الاقليرُس أن يسترجعوا ما انسلب منهم. فاستدعوا رجلاً وفوَّضوا إليهِ دعواهم وارسلوهُ إلى مار دُنْستان ليقنعهُ بترجيعهم. فلمّا مَثُل امامهُ هو وبعض أشخاص أُرسِلوا معهُ من عند الاقليرُس وتكلّموا معهُ في شان ذلك قال لهم القدّيس: أما تعلمون أنّ هذه الدعوى قد انبترت من زمان طويل من فم الله. وانّي لقد سعيتُ إلى الآن وافرغتُ كلّ قواي وقضيتُ عمري في تعمير ما هدمهُ هولاء الاقليرُس. والآن أريد أن أقضي ما تبقَّى لي من الحيوة في الهدوء والسكون لأنّي لم يبقَ لي طاقة للقيام في ميدان الدعاوي كما كنتُ في شبابي. ولأجل ذلك استودع الكنيسة إلى الله فهو يحاميها. ولمّا فرغ من كلامهِ هذا سقط سقف البيت فقتل الرجل المُرسَل من الاقليرُس ومن معهُ. وامّا القدّيس فلم يُصِبْهُ أدنى ضرر من ذلك. فاتَّضح من هذه الكرامة انّ كلّ ما عملهُ هذا الحبر الجليل كان

مؤَيَّداً من الله*

ومنح الربّ آلاء غزيرة لحبرهِ مار دُنْستان. من ذلك انهُ حينما كان يصلّي كان يُسمَع أحياناً نغمات ملائكيّة تزمّر معهُ* ويوماً ما إذ كان منطلقاً إلى الكنيسة ظهرت لهُ سيّدتنا مريم العذراء ومعها زمرة من العذارى وكنَّ يسبّحنَ لله ورافقنَهُ إلى الكنيسة* ووهب لهُ الله روح النبوّة وموهبة عمل الكرامات. من ذلك انّهُ فتّح ثلاثة عميان وشفى مخلّعاً وعمل معجزات اخر كثيرة* ولمّا حانت الساعة التي فيها أراد الله أن يجازيهُ على جميع أعمالهِ التي قضاها لمجدهِ تعالى ولخلاص النفوس توفّاهُ سنة ٩٨٨ وعمرهُ سبعون سنة. وكانت سنو حبريّتهِ ثلاثاً وثلاثين*

* اليوم العشرون *

مار برنردينُس السياني المعترف الذي من رهبنة مار فرنسيس ـ الطوباويّة

كَلُمبَة أي حمامة الرياتيَّة التي من رهبنة مار عبد الأحد

مار برنردينُس السياني المعترف الذي من رهبنة مار فرنسيس

انّ مار برنردينُس المعترف المجيد والواعظ الفصيح الذي من رهبنة مار فرنسيس وُلِد في مدينة سيانيا سنة ١٣٨٠ من أبوَين شريفَي

الأصل. وأعطاهما الله مار برنردينُس ليكون تعزيةً لهما وفخراً لعشيرتهما ورجل خيرٍ لإِيطاليا كلّها* ولمّا صار عمرهُ ثلاث سنين ماتت أمّهُ. ولمّا صار عمرهُ ستّ سنين مات أبوهُ أيضاً وبقي برنردينُس يتيماً. فأخذتهُ خالةٌ لهُ اسمها سيانَهْ وأحسنت تربيتهُ عندها. وكان هذا الصبيّ مليح الشمائل ذا رأفةٍ على الفقراء وميل إلى زيارة الكنائس وتزيين المذابح واستماع القداديس والمواعظ ومحاكاة الواعظين الذين كان يستمعهم. فكان يجمع رفاقهُ الصبيان ويَعِظ عليهم بصوت وبحركات تحاكي الواعظين الذين كان يستمعهم. وبذلك كان يشير إلى الصناعة السامية العتيد أن يعمل بها في المستقبل* ووُضِع في المدرسة ليتعلّم أوائل القراءَة والكتابة. ولمّا صار عمرهُ ثلاث عشرة سنة شرع يقرأُ العلوم على واحد من أمهر المعلّمين فنجح جيّداً. وكان يقول معلّمهُ إنّي لم يكن لي قَطّ تلميذ ذو قريحة جوّادة مثل برنردينُس* وكان هذا الصبيّ محتشماً ضابطاً لسانهُ من الأقاويل الباطلة الغير المفيدة ولا يسمح لأحد أن يتكلّم كلاماً بطّالاً أمامهُ. فان صدر ذلك سهواً من رفاقهِ احمرّ برنردينُس خجلاً كانّهُ هو الذي تكلّم. ولأجل هذا كان جميع الذين يجالسونهُ يحفظون لسانهم من المحادثات الغير اللائقة. وكانوا إذا تكلّموا بمثل ذلك مع بعضهم في غياب برنردينُس ورأَوهُ آتياً يقولون لنسكت الآن فها هوذا برنردينُس آتٍ* وإذ كان مار منصور الفراري يكرز يوماً قال للسامعين: انّ بينكم صبيّاً سيُحكَم بقداستهِ قبلي. وكان هذا الصبيّ قدّيسنا برنردينُس السيانيّ الذي صحَّت فيهِ نبوّة مار منصور

لأنهُ حقّاً حُكم بقداستهِ قبلهُ*

وذات يوم صار عيد محتفل في المدينة وامتلأَت الكنيسة من الناس بحيث لم تكن تسعهم وبقي كثيرون منهم برّاً. فلمّا رأَى برنردينُس ذلك امتلأً قلبهُ من محبَّة الله ومن حرارة روح القدس فصعد على كرسيّ كان هناك. وشرع يكرز عليهم وقلبهُ متّقد بالتقوى والعبادة والعلم. فتعجَّب جميع الحاضرين من نجابة هذا الصبيّ ومن سموّ أقوالهِ التي بيَّنت لهم ما صار منهُ بعد ذلك* وكان لهُ ابنة خالة راهبة من الرهبنة الثالثة لمار فرنسيس. فهذه كانت تزورهُ دائماً وترشدهُ بمشوراتها الصالحة. فذات يوم قال لها: اني مغرم بحبّ عذراء جميلة إلى الغاية. ولذلك كلّ يوم انطلق عندها وازورها. فتعجّبت ابنة خالتهِ من كلامهِ خائفةً أن يكون قد عَلِق قلبهُ بحبّ بعض الجواري. فشرعت تترقَّبهُ لتعلم إلى أين ينطلق كلّ يوم. وأخيراً علمت أنهُ يذهب كلّ يوم إلى محلّ فيهِ صورة جميلة لمريم العذراء وكان يجثو أمامها مصلّياً وانّ هذه العذراء الطاهرة كانت حبيبة برنردينُس* وكان لهذا القدّيس عبادة حارّة لحبيبتهِ مريم العذراء فكان يطلب إليها أن تحفظهُ من أخطار الدنيا التي تحيق خصوصاً بالشباب وان تصون عفَّتهُ من كلّ ما يمكن أن يثلمها. وقبل دخولهِ في السيرة الرهبانيّة كان يصوم كلّ يوم سبت اكراماً لمريم العذراء. ولمّا صار واعظاً كان يحبّ أن يكرز دائماً في أعياد مريم العذراء لكي يذيع عظائمها* وذات يوم قال في خطبتهِ: انّي وُلِدتُ يوم عيد ميلاد مريم العذراء. وفي هذا اليوم لبستُ ثياب

الرهبنة. وفيهِ تجدّدتُ في الرهبنة. وفيهِ نذرتُ نذري. وفيهِ قدّستُ أوّل مرّة أيضاً. وأرجو أن يقبل فيهِ ربّنا يسوع المسيح روحي في ملكوتهِ السمويّ*

ولمّا صار عمرهُ سبع عشرة سنة وتعلّم الفلسفة شرع يدرس في الأسفار الإلهية. وكان يقمع جسدهُ بالأصوام والتقشّف ولبس المسح والنوم على الحضيض وقلّة الأكل*

وفي سنة ١٤٠٠ أراد الله أن يعاقب أهالي إيطاليا فضربهم بوبأ قتّال أهلك منهم كثيراً. ودخل في مدينة سيانيا ومات فيهِ كثير من سكّانها. فبانت رحمة برنردينُس في هذه الشدّة بمداراة المهمَلين والفقراء. واستعان ببعض رفاقهِ في هذه الخدمة فأعانوهُ وكانوا يخدمون معهُ المصابين بالوبأ من الغرباء والمهملين والمحتاجين* وبعد ذلك وقع مريضاً بحمَّى حارّة جعلتهُ طريح الفراش مدّة أربعة أشهر. ونجّاهُ الله منها لأنَّهُ هيّأَ لهُ عملاً آخر خيريّاً وهو انّ برنردينُس كان لهُ خالة تقيّة اسمها برثُلماءَة وكانت أرملةً عجوزاً عمرها تسعون سنة. وكانت تحتاج إلى من يقوم بخدمتها. فشمَّر مار برنردينُس لخدمتها وداراها إلى حين موتها*

وكان لمار برنردينُس شوق عظيم إلى هجران العالم وتخصيص نفسهِ لله في إحدى الرهبنات لكي يصون نفسهُ بذلك من آفاتٍ كثيرة كانت محدقة بهِ من كلّ جانب وهو في العالم. وقبل أن يباشر هذا العمل العظيم اختلى في مكان منفرد وجعل يصوم ويصلّي طالباً من

الله أن يعلّمهُ الطريق التي يجب عليهِ أن يسلك فيها. فالهمهُ الله أن يدخل رهبنة مار فرنسيس ويحتمي تحت لواء هذا الاب القدّيس تلميذ يسوع المسيح المصلوب. فانطلق عند أحد رهبان مار فرنسيس وكشف لهُ أمرهُ. فأشار عليهِ أن يبيع جميع ما لهُ ويوزّعهُ على الفقراء ويدخل الرهبنة. فامتثل برنردينُس هذه المشورة. وبعد أن قسّم كلّ ما كان يملك على الفقراء دخل ديراً لمار فرنسيس في مدينة سيانيا ولبس الثياب الرهبانيّة وكان عمرهُ إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة. وكان ذلك اليوم عيد ميلاد سيّدتنا مريم العذراء الطوباويّة سنة ١٤٠٢* وقضى زمان ابتدائهِ في ديرٍ آخر يدعى كُلُمبَارة. ثمّ نذر نذورهُ الاحتفاليّة في يوم عيد ميلاد مريم العذراء أيضاً*

وبعد سنة رُسم كاهناً وقدّس قدّاسهُ الأوّل ووعظ أوّل مرّة وكان ذلك في يوم عيد ميلاد مريم العذراء أيضاً* وكان يكرز في سيانيا وفلورنسا وفي أماكن كثيرة من أعمال تُسقانا وفي لمبرديّة وفي إيطاليا كلّها. وكان بأمثالهِ الصالحة يثبّت ما يقولهُ في عظاتهِ* وشاع صيتهُ في كلّ تلك البلاد. فكان الناس يتقاطرون أفواجاً أفواجاً إلى استماع وعظهِ. وبما أنّ الكنائس لم تكن تسع الناس الذين كانوا يأتون لاستماع وعظهِ فكان يكرز في البرّيّة أو في الأماكن الواسعة المشتهرة. ورجَّع بوعظهِ كثيراً من الخطاة إلى التوبة. وأصبح كانّهُ رسول إيطاليا والواعظ الأوّل فيها بالإنجيل والبستانيّ الماهر الذي نقَّى منها جميع الأشواك وربّى نصباتها وسقاها بمياه الحيوة المسيحيّة* وكان يستشيرهُ

الاقليرُس والرهبان والعامّة في مهمّاتهم* وبنى أديرة شتّى للرهبان وخصّصها لاسمَي يسوع ومريم لأنهُ كان متعبّداً لهما تعبّداً خصوصيّاً. وازهرت في زمانهِ رهبنة مار فرنسيس الثالثة التي كانت منحطّة قبل ذلك الآن*

ولمّا رأَى الشيطان نجاح أعمال هذا القدّيس شرع في محاربتهِ بأنواع كثيرة مختلفة مريداً أن يتلف عفّتهُ. فذات يوم إذ كان مار برنردينُس حاملاً كيس المؤونة وذاهباً ليتصدّق صادف صبيَّة واقفة في باب حوشها فاستعطاها. وكانت هذه الشابّة غنيّة وجميلة وقد عَلِق قلبها بهذا الشابّ العفيف الراهب برنردينُس وعزمت على مراودتهِ. فقالت لهُ مرحباً ادخل فاجزل عليك العطاء. فدخل برنردينُس بيتها غير مفتكر في شيءٍ سوى نوال الصدقة. ولمّا صار في المقصورة وثبت عليهِ وكشفت لهُ ميلها إليهِ بالسوء وقالت لهُ ان رضيتَ بهذا الفعل حالاً والاّ صرختُ وبثّيتُ في كلّ مكان انّك تراودني* فيا للفخّ الشيطانيّ. ويا لها من امرأَة وقيحة. فلمّا رأَى القدّيس نفسهُ واقعاً في ضيق وايّ ضيق وانّهُ صار بين اللهبات وخطر فقدان كنز عفّتهِ الثمين استغاث بحبيبتهِ مريم عذراء العذارى. فمدّت لهُ يد العون والهمتهُ واسطةً قدر بها أن يغلب هذه التجربة. وهي انّهُ كان حاملاً سوطاً في يدهِ فشرع يضرب بهِ هذه المرأَة السفيهة ضرباً قويّاً ويوبّخها* فلمّا رأَت ما حلّ بها من العقاب أَخذت تستغفرهُ وهي خازية مرعوبة ووعدتهُ انّها تكفّر عن اثمها. فللوقت تركها وشكر أفضال

يسوع المسيح ومريم العذراء على نجدتهِ من هذه التجربة. وشرع حينئذٍ يضاعف تقشّفاتهِ وطلباتهِ إلى الله أن يصون عفّتهُ بلا دنس وينصرهُ دائماً على مكايد الشيطان*

وماذا أقول عن طاعة مار برنردينُس وتدقّقهِ في حفظ القوانين وحبّهِ للفقر وتواضعهِ الذي جعلهُ أن يأبى قبول الأسقفيَّة مرّات عديدة حتّى انّ البابا بنفسهِ وضع تاج الأسقفيّة يوماً في رأسهِ فخلعهُ متوسّلاً إلى قدسهِ أن لا يكلّفهُ درجةً عالية كالأسقفيّة لأنَّهُ أحبّ إليهِ أن يكون فقيراً ويكرز بكلام الله في كلّ مكان من أن يكون أسقفاً على كنيسة ما. فلمّا تأكّد البابا صحّة اعتذاراتهِ خلّى سبيلهُ* وامّا صبرهُ فكان جميلاً جدّاً لأنَّهُ احتمل شدائد واضطهادات كثيرة طول مدّة حياتهِ. وفي السنين الأولى التي قضاها في الرهبنة إذ كان ينطلق ليستعطي مع رفيق لهُ كانت الصبيان تجري وراءَهما وتهزأ بهما وترميهما بالحجارة في أرجلهما الحافية وتجرحها. فكان رفيقهُ أحياناً يغضب فيقول لهُ برنردينُس: يا أخي دعهم فانّهم يعلّموننا أن نستحقّ ملكوت الله بفضيلة الصبر*

وبعدما أضاءَ مار برنردينُس بأقوالهِ وأمثالهِ وأعمالهِ الصالحة لمعظم مدن إيطاليا وقراها وقد شاخ في السنّ عزم أن ينطلق أيضاً إلى مملكة نابُلي. ولكنّهُ وقع مريضاً في الطريق بقرب مدينة اكويلا. وهناك ظهر لهُ مار بطرس كَلَستينُس شفيع هذه المدينة واعلمهُ بانّهُ سيموت عمّا قليل. ففرح مار برنردينُس بهذه البشرى السماويّة وتأَهّب للموت بأخذهِ أسرار البيعة المقدّسة واضّجع على الأرض وسلّم نفسهُ إلى

الله خالقهِ. وكان ذلك ليلة عيد الصعود في اليوم العشرين من شهر أيّار سنة ١٤٤٤. ودُفِن جسدهُ في ديرٍ لمار فرنسيس*

انّ مار برنردينُس بلغ من الغمر ثلاثاً وستّين سنة وثمانية أشهر منها اثنتان وعشرون سنة قضاها في العالم والباقي في الرهبنة* ورفع الله قدرهُ بالمعجزات التي اجترحها في حياتهِ وبعد موتهِ. فانّهُ شفى كثيراً من السقماء وأقام موتى وفكّ كثيرين من مسك الشيطان*

الطوباويّة كَلُمبَة أي حمامة الرياتية العذراء التي من رهبنة

مار عبد الأحد الثالثة

انّ الطوباويّة كَلُمْبة أي حمامة وُلِدت في يوم عيد تطهير مريم العذراء سنة ١٤٧٧ في مدينة رياتي من أبوَين غنيَّين في الفضيلة والمال. وسُمّيت في عماذها أَنجَلَهْ أي ملاكَهْ لأنّ الملائكة ظهروا في وقت ميلادها ولكن من أجل أنّ حمامةً وقفت على رأسها في وقت عماذها سُمّيت حمامة. ومنذ حداثتها شرعت تسير سيرة قشفيّة. وكانت تلبس مسحاً وتنام على شيء صلب وتكثر من زيارة الكنائس. وتعلّمت القراءَة من الأخوات راهبات مار عبد الأحد اللواتي كُنَّ في تلك المدينة. وكانت تصلّي فرض السيّدة كلّ يوم وتحفظ الصيامات المفروضة من الكنيسة وتتمنطق بحبل معقّد. وكانت تقرأ سيرة القدّيسة كاترينة السيانيّة وتقتدي بها. وكانت أمُّها تفرح إذ تراها سالكة في طريق هذا الكمال المسيحيّ. وعلّمتها أن تشتغل للفقراء فكانت تأخذها معها

لمداراة المرضى والشيوخ وتُرسل لهم معها خبزاً ولحماً*

ولمّا بلغت حمامة من العمر اثنتي عشرة سنة اضطرم شوقها في نذر بتوليّتها لله. فليلةً من الليالي إذ كانت تصلّي في معبدها ظهر لها ربّنا يسوع المسيح جالساً على عرش فخيم وظهر عن جانبيهِ الرسولان القدّيسان بطرس وبولس ومار هيرونِمُس حاملاً كتابهُ ومار عبد الأحد. فلمّا رأَتهم امتلأَت من الفرح والتعجّب وصرخت قائلةً: يا ربّ باركني. فباركها يسوع المسيح. فتوسَّلت إليهِ أن يقبل نذر بتوليّتها المؤَبّدة الذي تنذرهُ بين يديهِ. فقبل الربّ هديّة أَمتهِ وناولها الكتاب الذي كان في يد مار هيرونِمُس وغاب يسوع المسيح ومن معهُ مخلّفاً في حجرتها رائحةً سماويّة* وكان للطوباويّة حمامة أخ صغير تُحِبُّهُ كثيراً وكان هذا الصبيّ يقول انّ أختي حمامة ستصير راهبة وأنا سأصير راهباً. وحقّاً كان كلامهُ لأنّهُ لمّا صار عمرهُ عشر سنين دخل عند رهبان مار عبد الأحد واختهُ قُبِلت في رهبنة مار عبد الأحد الثالثة. ونذرت أمام أخوات هذه الرهبنة نذورها* وبعد أيّام رأَت رويا وإذا هي في كنيسة القدّيسة اسخُلَسْتيقا وأخوها معها فابصرت ملاكين قد دنَوا منهما وناولاهما أمام مذبح مريم العذراء حزاماً أبيض لامعاً. وكان ذلك إشارة إلى الطهارة التي وعدا أن يحفظاها وإلى العون الذي يمدّهما بهِ الربّ على هجمات الشيطان. وبعد شهرين مات أخو الطوباويّة ميتة مقدّسة*

ولمّا كانت حمامة بديعة الجمال أراد أحد الشبّان الأشراف في

مدينة رياتي أن يتزوّج بها فخطبها من أبويها. ولمّا رأَى أبواها شرف هذه المصاهرة رضيا بذلك وعملا جهدهما في أن يستميلا ابنتهما إلى الدخول ما بين أهل الدنيا.واتفقا مع الشاب أن يُرسِل في الغد هدايا الخطبة. وفي الليل ظهر لها راهبان من رهبنة مار عبد الأحد وقالا لها: انطلقي عند الصباح مسرعةً إلى جبل مار مارون وهناك تجدين راهبةً تفهمّكِ الخطر الموجود قدّامكِ* ولمّا أصبحت طلبت إلى أمّها أن ترافقها إلى كنيسة مار مارون الموجودة على الجبل فانطلقتا سويّةً. فسبقت حمامة أمّها ببعض خطوات فابصرت راهبةً تقول لها: انّ أبويكِ قد أزمعا أن يزوّجاكِ واليوم تصير خطبتكِ. فان أردتِ أن تقيمي أمينةً لعريسكِ الأبدي تسلّحي بشجاعة وقصّي شعركِ. وبعد أن قالت هذه الكلمات توارت عنها* فدخلت الطوباويّة حمامة إلى الكنيسة واعترفت هناك واستشارت معلّم اعترافها بالتنبيه الذي قيل لها. ولمّا كان هذا الكاهن عالماً بدعوتها قال لها: انّ القدّيسة كاترينة السيانيّة لمّا أراد أبواها أن يزوّجاها كرهاً منها قصّت شعرها. فاعملي مثلها وداومي على الصلوة*

ولمّا صار المساء حضر الشاب إلى بيت أبيها ومعهُ حزامٌ ثمين لخطّيبتهِ. فسأَلت حمامة مهلةً لتفتكر في هذه الخطبة المعروضة عليها. وصعدت على سطح البيت وقصَّت شعرها ونزلت ورمتهُ أمام أبويها وخطّيبها والحاضرين قائلةً: لستُ أُريد عريساً غير يسوع المسيح. فيا للخجل الذي أصاب الشابّ حينئذٍ. ويا للغضب الذي أخذ أبويها

فاوسعوها ذمّاً وحقارةً* وفي تلك الليلة ظهر لها يسوع المسيح وعزّاها وظهرت معهُ القدّيسة كاترينة السيانيّة فقالت لها: لا تخافي فانّك تصيرين راهبةً في رهبنتي كما تتمنّين. وفي تلك الليلة عينها رأَى ذلك الشابّ خطّيبها رويا وهي انّهُ رأَى حمامة داخلةً في حجرتهِ مزيّنة ومكلّلة باكليل بهيّ. ولمّا دنت منهُ وقع اكليلها وبانت لديهِ كانّها ميّتة. ولمّا أصبح انطلق فحكى ذلك لأحد العلماء المشاهير. فقال لهُ: انّ هذه الصبيّة قد وعدت يسوع المسيح أن تكون عريستهُ وحدهُ ولذلك فهّمك يسوع المسيح بهذه الرويا بأنهُ لا يرضى بخطبتها لغيرهِ. وأراك أنّ حمامة إذا اخلفت في قولها تموت في الحال. فعند ذلك كفّ الشابّ عنها وبعد زمان مات*

أمّا أبوا الطوباويّة فخجلا أن يخاصماها على انّها أبت تلك الخطبة فاعطاها أبوها حجرة لتستعمل رياضاتها التقويّة على اختيارها. فشرعت تسير بموجب قوانين رهبنتها وكانت تتقشّف تقشّفات متنوّعة من ذلك انّها كانت تجلد نفسها كلّ ليلة ثلاث مرّات بسوط مؤَلّف من خمس حلقات حديديّة مقدِّمةً المرّة الأولى وفاءً عن خطاياها والمرّة الثانية من أجل رجوع الخطاة إلى التوبة والمرّة الثالثة من أجل أنفس المطهر. وكانت تتمنطق بحزام من حديد* وكانت الملائكة تزورها وتتفاوض معها. وكثيراً ما غابت في صلاتها عن صوابها ورأَت مناظر. من ذلك انها ذات يوم إذ كانت تصلّي أراها ربّنا يسوع المسيح جميع الأوجاع التي احتملها في آلامهِ. فرأَتهُ في بستان الزيتون وفي دار

حنان وقيافا وامام منبر بيلاطُس ومربوطاً أمام الجلاّدين. ولمّا سمعت حسّ ضربات السياط في الجلد وشاهدت دمهُ يجري تألّمت ألماً عظيماً مزَّق قلبها. فأخذت تجلد نفسها بقساوة لتشترك في آلام عريسها. وكانت أمّها راقدة في حجرة بجانب حجرتها فاستيقظت لسماعها تلك الضربات القويّة التي كانت تضرب بها نفسها. فجاءَت إلى باب حجرتها وصاحت عليها قائلةً: ما تصنعين يا ابنتي لماذا تهلكين ذاتكِ. ولكنّ الطوباويّة كانت غائبة عن حسّها فلم تسمع صوت أمّها ولا ردّت عليها*

ويوماً آخر إذ كانت تسمع القدَّاس رأَت فوق الكاس يسوع المسيح معلّقاً على الصليب مصفرّ الوجه ومهشَّم الراس والاعظاء ومفتوح الجنب ومكلّل الراس بالشوك. فمن شدَّة الرأفة التي أخذتها عليهِ وقعت على الأرض مغشياً عليها. فاخبروا معلّم اعترافها بذلك. فجاءَ إليها ونبّهها فقالت لهُ: يا أبي صلِّ عليَّ لكي لا أَرى هذا المنظر الأَليم فانّي إن رأيتهُ مرَّةً ثانية أموت بالحقيقة.

واستمرَّت مرَّةً خمسة أيّام غائبةً عن حسّها. وأراها ربّنا يسوع المسيح أورشليم وأراضي فلّسطين التي قدَّسها بحياتهِ وموتهِ* وكانت ترى في أيّام أعياد أسرار ربّنا يسوع المسيح جميع الأعمال التي تُذكَر في تلك الأعياد فرداً فرداً. من ذلك انَّها رأت ليلة عيد الميلاد يسوع الطفل مضجعاً في المذود بين حمار وثور. وشاهدت مريم ويوسف راكعين أمامهُ والملائكة تسبّح وتقول المجد لله في العلا* وفي ليلة عيد الدنح رأَت النجم الذي كان يهدي المجوس*

وفي يوم أحد الآلام السابق لعيد السعانين سنة ١٤٨٦ نالت الطوباويّة أذناً من أهلها للدخول في الرهبنة الثالثة لمار عبد الأحد. وفي يوم أحد السعانين لبست ثوب التوبة بفرح سماويّ. وحينئذٍ جعل الله يعظّمها ببواهر الكرامات. فذات يوم صادفت في الزقاق امرأَةً فقيرة تبكي على أنّها لم يكن عندها خبزٌ لتطعم الفعلة الذين كانوا يشتغلون في كرمها. فقالت لها الطوباويّة حمامة: ارجعي إلى بيتكِ والربّ يساعدكِ. ولمّا رجعت المرأَة إلى بيتها وجدت على مائدتها اثني عشر رغيف خبز قد أرسلها الله إليها بشفاعة أمتهِ حمامة* ومرّةً أخرى طردت شيطاناً من بدن امرأَة مستجنّة* وكان واحد من سكّان مدينة رياتي قد قتل رجلاً تاجراً غنيّاً بواسطة رجلَين قرويَّين قد أرشاهما على ذلك. فامسكوهُ وحكموا عليهِ بالموت. فجاءَت امرأَتهُ وامّهُ إلى الطوباويّة حمامة متوسّلتين إليها بدموع أن تصلّي من أجل نجاتهِ فتحنّنت القدّيسة عليهما وانطلقت إلى الرجل المشجوب وحرّضتهُ أن يتصالح مع الله. وبعد ما اعترف بخطاياهُ قالت لهُ تشجّع فانك لا تموت في هذا الحادث. وكانت رقعة قضائهِ قد أتت مع البريد في مساء ذلك اليوم وأمر القاضي باجرائها في الغد. فجاء أهل الرجل إليها. فقالت لهم لا تقلقوا لقد قلتُ لكم انّهُ لا يموت. وبعد ساعاتٍ قليلة أتى بريد آخر حامل اعلام العفو عنهُ*

وطالما تناولت هذهِ الطوباويّة القربان المقدّس من يد يسوع المسيح أو من أيدي ملائكتهِ. فذات يوم كان معلّم اعترافها يُقدِّس في

كنيسة وهي كانت تنتظرهُ في كنيسة أُخرى. فتوسّلت إلى سيّدتنا مريم العذراء أن تنوّلها مُنْيَتها بوصالها مع ابنها الإلهي بالتناول. فبعد بُرهةٍ من الزمان جاءَ إليها ملاك وفي يدهِ جسد يسوع المسيح المقدّس وناولها إيّاهُ. وفي ذلك الوقت فقد مستعرفها الجوهرة المقدّسة التي كانت أمامهُ على المذبح فحزن جدّاً. ولمّا ختم القدّاس حكى ذلك للطوباويّة. فقالت لهُ لا تحزن يا أبي فانّ الجوهرة المقدّسة قد أتاني بها ملاك وهي الآن في قلبي*

وكان مار عبد الأحد والقدّيسة كاترينة يظهران للطوباويّة حمامة ويخاطبانها* وانطلقت إلى مدينة باروزة فقبلها أهل المدينة بفرح عظيم. وفي سنة ١٤٩٤ حدث وبأ أهلك جمّاً غفيراً من الناس في تلك البلاد. وبمشورة هذه الطوباويَّة صنعوا دورةً عظيمة فانقطع الوبأ. واحيت هناك صبيّاً ميتاً* وفي ذلك الزمان حدث شغب عظيم في إيطاليا. فجاءَ البابا اسكندر السادس إلى مدينة باروزة. وأراد أن يرى الطوباويَّة حمامة. فلمَّا مثُلت أمامهُ تفاوض معها برهةً من الزمان وإذا بها غابت عن حسّها. ولمّا أفاقت أجابت إلى سؤَلاتهِ بسلامة قلبها واحتشامها وتواضعها وفطنتها الاعتياديَّة*

وسمح الله لامتحان أمتهِ وتنقيتها أن يصيبها مصائب وشدائد عظيمة. ولمّا أراد أن يجازيها على جميع الأعمال التي عملتها لأجل مجدهِ أرسل إليها مار عبد الأحد يبشّرها بهذه البشرى فقال لها: افرحي يا ابنتي فانَّ زمان تكليلكِ مع عريسكِ المحبوب قد دنا* وفي يوم عيد الدنح

غابت عن حواسّها فظنّوها قد ماتت. ولمّا أفاقت قالت يا ربّ ان رضيت عزّتك أن تجعل سفري من هذه الدنيا ليلة عيد الصعود فلتكن مشيئتك* وشرعت تستعدّ للرحيل. فتوادعت مع أخواتها الراهبات واستغفرتهنَّ على سوء سيرتها التي بها شكّكتهنَّ* وفي الصوم الأربعينيّ زادت تقشُّفاتها. وفي ليلة سبت الآلام المقدَّس اعترتها حمَّى شديدة ووجع راس قويّ. واستمرَّت طريحة الفراش ثلاثين يوماً. ولم يكن لها تعزية بشيء سوى نظرها إلى يسوع المصلوب. وكانت تقبّلهُ قائلةً: يا يسوع معلّمي الحلو يا ملجإِي الخلاصيّ يا عريسي المحبوب* وفي أوجاعها هذه رأَت مناظر كثيرة تعزَّت بها. وظهر لها ربّنا يسوع المسيح ومعهُ جيوش ملائكتهِ وقال لها: استعدّي يا حمامتي لأنّي أريد أن تأتي سريعاً لتسكني معي* وفي ليلة الصعود أخذت المشحة الأخيرة وصلّت صلوات توديع النفس ثمَّ قُرِئَ لها قصَّة آلام المسيح* وحاولت الشياطين أن تهجم عليها في ذلك الوقت ولكنَّها غلبتهم بالصليب وبقولها اومن بالله* وبعد هنيهة من الزمان صرخت وعيناها شاخصتان في السماء وقالت: يا سلطانة الملائكة. يا والدة الله الحلوة. يا أبي مار عبد الأحد. يا أمّي القدّيسة كاترينة استودعكم نفسي. استودعكم جميع المسيحيّين والكنيسة المقدّسة ورهبنتي وأخواتي وجميع المحسنين لهذا الدير* وفي نصف الليل صرخت حمامة قائلة: يا عريسي يا عريسي مرحباً بك. أي نعم قد حان الوقت فاقبل أمتك الذليلة. وفي قولها هذه الكلمات طارت نفسها وتبعت يسوع المسيح إلى السماء. وكان ذلك في

اليوم العشرين من شهر أيَّار سنة ١٥٠١ وكان عمرها ثلاثين سنة وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً. ودُفنت باحتفال عظيم في مدينة باروزة وجرت كرامات عظيمة بشفاعتها زادتها مجداً وشرفاً*

* اليوم الحادي والعشرون *

مار هُسفيقُس الراهب ـ مار فيلخس كنتاليس الكبوشي

مار هُسفيقُس الراهب

انّ القديس هُسفيقُس كان رجلاً فرنساويّاً ذا فضائل عجيبة ومناقب سامية. وإذ أراد أن يجعل نفسهُ بجملتها لعبادة الله انفرد في برج مجاور لدير رهبان كان بقرب مدينة نيقا وهناك انعكف على الصلوة والتقشّف. وكان يتمنطق بسلسلة من حديد ويلبس مسحاً بدل القميص. ولم يكن يأكل إلاّ قليلاً من الخبز مع قليل من التمر. وفي الصوم الأربعينيّ كان يقتات بعروق العشب فقط لا غير*

وغمّرهُ ربّنا يسوع المسيح باحسانات عظيمة من جملتها النطق بالغيب فاخبر عن حدوث أمور كثيرة مستقبلة. من ذلك انّهُ أنبأَ الناس بأنّ قوم اللُّمْبرديّين سيهجمون على بلاد غاليا (وهي فرنسا

القديمة) ويخرّبونها لأنّ الله يريد بعدلهِ الإلهيّ أن يعاقب أهالي تلك البلاد على الجرائِم التي كانوا يرتكبونها*

وبعد قليل صحّ صدق نبوّتهِ لأنّ قوم اللمبرديّين القساة هجموا على غاليا في سنة ٥٧٥ واخربوا جميع الأماكن التي كانوا يمرّون بها. وبلغوا إلى المكان الذي كان ينسك فيهِ هُسفيقُس. وحين سمع هذا القدّيس ضوضاء الأعداء جلس في طاقة منفَرَدهِ بلا خوف وأراهم نفسهُ. وكان جميع الرهبان المجاورين لهُ قد فرّوا هاربين. فاحتاط اللمبرديّون برج مار هُسفيقُس وهمّوا الدخول فيهِ. ولكنّهم لم يتمكّنوا من ذلك لعدم وجود باب في البرج لأنّ القدّيس كان قد سدّه وكان يأخذ ما يأتيهِ من الطعام من طاقتهِ. فالتزموا أن يتسلّقوا ويدخلوا عليهِ من السقف. فقال لهم مار هُسفيقُس: اواه لقد تورّطتم يا مساكين لأنّكم امّلتم أن تجدوا عندي غنيمة وها ليس سوى الفقر. فانذهل القوم لرؤْيتهم متوحّداً متمنطقاً بسلاسل من حديد ولابساً مسحاً خشناً. فقال بعضهم: انهُ مجرم شقيّ قد قتل أحداً ولهذا حُبِس هاهنا وصُفِّد بالحديد. فقالوا لهُ: أيّ ذنبٍ ارتكبت حتى انّك عوقبت بهذا العقاب الشديد. فقال لهم بسلامة قلب: انّي كنتُ شرّيراً قتّالاً وشرّ رجلٍ في الدنيا. فعند ذلك استلّ أحد الجنود سيفهُ وهوى بهِ عليهِ ليقطع راسهُ. ولكنّ الله الذي في يديهِ حياتنا وسلامنا أراد أن يريهم انّ خادمهُ كان على غير ما ظنّوا بهِ وانّهم هم الأشرار. فانّ الجندي حالما رفع يدهُ لينزل بها السيف على القدّيس وقفت يابسةً فوق رأسهِ. ووقع السيف على

الأرض* فلما رأَى رفاقهُ هذه العجيبة انذهلوا وتوسّلوا إلى مار هُسفيقُس أن يعلمهم ما الذي يعملون لشفاء رفيقهم. فقابل هذا القدّيس شرهم بخيرهِ وعمل علامة الصليب على يدهِ وشفاها. فتحرّك قلب الجنديّ لذلك فاهتدى إلى الله وهجر الدنيا وأباطيلها ولبس الثوب الرهبانيّ في ذلك المكان عينهِ*

وذات يوم أُتِي إلى مار هُسفيقُس برجل قد اعترتهُ حمَّى شديدة منذ زمان طويل وجعلتهُ أصمّ أطرش وطُلِب منهُ شفاءَهُ. فأخذ القدّيس زيتاً مقدَّساً ودهن بهِ فم المريض ورأسهُ قائلاً: باسم يسوع المسيح لتُفتَح هتان الأذنان. وبالقدرة التي طردت الشيطان من الرجل الأصمّ الأخرس ليُفتَح فوك. فحالما قال هذه الكلمات انطلق لسانهُ وانفتحت أذناهُ*

وكان رجل أعمى منذ ولادتهِ اسمهُ عبد الأحد قد بلغهُ خبر كرامة شفاءِ الأصمّ الأخرس فانطلق إلى مار هُسفيقُس وسأَلهُ البصر. وبعد ما قضى هذا القدّيس ثلاثة أشهر في الصوم والصلوة استدعى ذلك الأعمى المولود وسأَلهُ قائلاً: أتريد أن تنال البصر. فقال الأعمى: آه لستُ أدري ما هو البصر لأنّي منذ ولادتي لم يكن لي فيهِ نصيب. ولكنّي أعرف شيئاً واحداً وهو انّ جميع الناس يصفونهُ لي ويعظّمونهُ لديَّ ولأجل ذلك أتمنَّى أن أعلم ما هو وان أحصل عليهِ* فتراءَف خادم الله على شقائهِ وعمل إشارة الصليب على عينيهِ ودهنهما بالزيت المبارك قائلاً: باسم يسوع المسيح لتُفتَح عيناك. فانفتحتا للوقت. ولمّا أبصر هذا

الأعمى عجائب خلقة الله انذهل وفرح فرحاً عظيماً وشكر الله على هذه النعمة التي منحهُ إيّاها على يد عبدهِ هُسفيقُس*

وكانت امرأَة قد استولى عليها ثلاثة شياطين وكانوا يعذّبونها. فنجّاها منهم بلمسهِ ايّاها بيدهِ وبعملهِ إشارة الصليب على جبهتها وبدهنهِ إياها بالزيت المقدّس* وشفى أيضاً صبيّة أخرى قد أمسكها الشيطان بمباركتهِ إياها* وبعد أن قضى مار هُسفيقُس زماناً طويلاً بسيرة مقدّسة أُوحِي إليهِ بقرب رحيلهِ من هذه الدنيا. فدعا رئيس الدير وقال لهُ: انّني مائت عمّا قليل فهدّ باب منفردي المسدود واستدعِ اسقف مدينة نيقا لياتي ويدفنّي فانّي بعد ثلاثة أيّام أبارح هذه الحيوة الدنيا وانطلق لا تمتّع بالراحة التي وعدني بها سيّدي* ولمّا صار اليوم الثالث خلع سلاسلهُ وجثا على ركبتيهِ وبعد أن صلّى صلوة طويلة والدموع تهطل من عينيهِ شكر الله واضّجع فسلّم نفسهُ إلى الله. وكان ذلك في اليوم الحادي والعشرين من شهر أيار سنة سنة ٥٨٢. ودفنهُ باحتفال عظيم اسقف مدينة نيقا كما كان قد طلب. وجرت كرامات عظيمة بعد موتهِ تايَّدت بها قداستهُ*

مار فيلِخْس كَنْتاليس الكبّوشيّ

انّ القدّيس فيلِخْس وُلِد في مدينة كنتاليس الواقعة تحت جبل ابَنّين في ايطاليا. وكانت ولادتهُ في سنة ١٥١٥ من أبوَين فقيرَين.

الاّ انَّهما كانا تقيَّين. وكان اسم أبيهِ سَنتُو أي قدّيس واسم امّهِ سَنْتَه أي قدّيسة. ورزقهما الله خمسة أولاد. وكان قدّيسنا فيلِخْس الثالث فيهم. وربّاهُ أبواهُ في سرير التقوى وخوف الله حتى انّ الناس كانوا يقولون انّ فيلِخْس ابن القدّيس والقدّيسة حقّاً سيصير قدّيساً* ولمّا كبر أرسلهُ أبوهُ إلى الحقول ليرعى مواشيهُ. فكان هناك يصلّي بالانفراد تحت شجرة بلّوط ويتأَمّل في آلام المسيح* ولمّا صار عمرهُ اثنتي عشرة سنة وضعهُ أبوهُ في خدمة رجلٍ من أشراف المدينة فكان فيلِخْس يخدمهُ خدمةً نصوحاً ويعمل كلّ ما كان يأمرهُ بهِ سيّدهُ. وكان عدوّاً للكذب ويمقت التقمقم ويفرّ من المعاشرات المفسدة ويتكلّم قليلاً ويظهر نفسهُ مع الجميع متواضعاً صبوراً حليماً* وكان قنوعاً في المأكل ومتدقّقاً في حفظ الأصوام المأمور بها من الكنيسة. وكان لهُ عبادة واكرام وتقوى لسرّ القربان المقدّس. فكثيراً ما كان يترك مواشي سيّدهِ ترعى وحدها وينطلق إلى الكنيسة ليسمع القدّاس. فكان الله يرسل ملاكهُ ليحرسها مدّة غيابهِ* وكان متولّعاً في قراءَة الكتب الروحيّة. فذات يوم إذ كان يقرأُ سيرة الرهبان القدّيسين الذين كانوا متوحّدين في براري مصر شعر في قلبهِ بشوق عظيم إلى الترهّب. وعزم أن يدخل في رهبنة الكبوشيّين التي هي تحت لواء مار فرنسيس السرافيّ. فاستأذن سيّدهُ في ذلك وانطلق إلى دير الكبوشيّين ودخل في رهبنتهم ولبس ثوب رهبنة مار فرنسيس الاب السرافيّ. وشرع يحارب أهواءَهُ بشجاعة حتى قمعها وانتصر عليها. وكان يلازم الصلوة والتأَمّل وبذلك كانت نفسهُ

ترتقي إلى الله شيئاً فشيئاً* وفرض عليهِ روساؤُهُ أن يستعطي لأجل دير روميّة مدّة أربع سنين. فعمل ذلك بطاعة وتواضع مدّة أربعين سنة. وكان يحمل على ظهرهِ كيس المؤونة وهو فرحان ويمشي ومسجتهُ في يدهِ ونفسهُ مرتفعة إلى الله. ولم يكن يتكلّم بلا ضرورة*

وبين جميع المواهب التي وشّحهُ الله بها تلألأت شفقتهُ ورحمتَهُ على المرضى. فكان يزورهم في كلّ ليلة ويسلّيهم بأقوالهِ وبخدماتهِ لهم* وفي أيّام الاحاد والأعياد حينما لم يكن يذهب للاستعطاء كان يذهب إلى المارستانات ويخدم المرضى ويمدّهم بالمساعدات الروحيّة والجسديّة. وليس المرضى فقط كانوا يختبرون مساعدتهُ بل جميع الحزانى والمحتاجين فانّهُ كان يساعدهم بكلّ ما كان يمكنهُ* وكان يستعطي من أجل أولئك المحتاجين الذين يمنعهم حياؤُهم من الاستعطاء ويسدّ عوزهم سرّاً* وكان لهُ غيرة على محبّة الله حتّى انّهُ كان يوبّخ الخطاة بحلمٍ ويرجّعهم إلى التوبة*

وكان مار فيلِخْس خليلاً خصوصيّاً لمار فيلبّس نيري. فكلّما صادف أحدهما الآخر يركع أمامهُ ويطلب بركتهُ. ولكن لم يكن يشاء الواحد أن يبارك صاحبهُ لتواضعهِ فكانا يتعانقان وكان الواحد يسلّم على الآخر ويدعو لهُ قائلاً: آه يا صديقي ليتني أراك تُحرَق حبّاً ليسوع مخلّصنا. فكان الآخر يجيبهُ وهل أقدر أنا أن أشاهدك تُطحَن. وكان الواحد يقول متى تُقطَّع يداك. ويجيبهُ صاحبهُ وأنا متى أبصر رأسك مقطوعاً. وكان يدعو أحدهما لخليلهِ قائلاً: يا حبيبي ليمنحك

الربّ أن تُجلَد بالسياط وتُرجَم بالحجارة. وكان الآخر يجيبهُ وأنتَ لينعم الله عليك أن تُقطَّع ارباً ارباً وتُرمَى في البحر* وبالحقيقة انّ هذه العذابات كانت غاية أشواقهما حتى أنّ الواحد كان يتمنّاها للآخر ويدعو بها لهُ*

وفي ذلك الزمان كان أهل رومية في أيّام المرفع منعكفين على الأكل والشرب والسكر واللعب والانهماك في الولائِم ولذَّات هذه الدنيا الزائلة. فجاءَ راهبٌ تقيٌّ يُدعى الفُنسُس لوفُس إلى مار فيلِخْس وقال لهُ: أَتُريد أن تعمل معي مرفعاً في حبّ يسوع المسيح بدل العالم المنهمك في اللذَّات. فأجابهُ قدّيسنا إلى ذلك. واتّفقا في هذا العمل مع مار فيلبّس نيري وبعض من الرهبان التقاة أن يعملوا دورةً في المدينة اقتداءً بيسوع مخلّصنا الحامل صليبهُ في أزقّة اورشليم. وذلك لكي يُخزوا ذلك القوم الغائص في الأفراح المفرطة والغير المرتّبة. فحمل أحدهم صليباً كبيراً ومشى أمام الجميع. واثنان منهم امسكا شموعاً متقّدة ومشيا عن جانبَي حامل الصليب. وكانوا ثلاثتهم لابسين ممسوحاً. ثمَّ وضع مار فيلِخْس حبلاً في عنق الراهب الفُنْسُس لوفُس وكان يجرّهُ خلفهم. وباقي الرهبان حملوا في عنق الراهب الفُنْسُس لوفُس وكان يجرّهُ خلفهم. وباقي الرهبان حملوا جماجم وعظام موتى ومشوا وراءَهم. وهكذا كانوا يدورون في شوارع روميّة وهم صامتون حتَّى جاءُوا ووقفوا في أحد المراسح حيث كان جمٌّ غفير من الناس منعكفين على اللعب* فلمَّا رآهم الناس انذهلوا وكفّوا عن الرهج وأخذت الرعبة قلوبهم من هذا المنظر. وعند ذلك رفع الفُنْسُس لوفُس صوتهُ وشرع يعظ عليهم ويفهّمهم

الحقارة التي يُلحقونها بمخلّصهم المصلوب بافراط ملذّاتهم* فحرَّك قلوب جميع السامعين حتّى انَّهم كسروا الآت اللعب واوعية السكر وأخذوا يقرعون صدورهم وينوحون على خطاياهم ومشوا وراء هذه الدورة بشعائر الندامة والاشفاق على أوجاع يسوع المسيح. وهكذا بقي ذلك المرسح فارغاً*

ومن أجلّ فضائل مار فيلِخْس كانت طاعتهُ حتَّى انَّهُ كان يعتبر نفسهُ حمار الرهبنة لا راهباً. وكان يطيع روساءَهُ بكلّ ما كانوا يأمرونهُ بهِ من دون استفهام غايتهم. واخضع جميع أعمالهِ إلى الطاعة حتَّى انَّهُ لم يكن يخرج من الدير ولو لمساعدة المحتاجين من دون إذن روسائهِ. ولم يكن يصوم ويستعمل تقشّفاتهِ المتنوّعة من دون إجازتهم أيضاً* ولمّا تأكَّد روساؤهُ انَّ فيهِ روح القدّيسين مقترنة بالفطنة والتمييز أجازوا لهُ أن يدبّر نفسهُ بدون اذنهم بحسبما يلهمهُ الله* فأطاع وعمل ذلك بتسليم الإِرادة*

وكانت غيرتهُ على حفظ الفقر ليست قليلة. فانّهُ في مدَّة حياتهِ كلّها لم يكن يلبس سوى ثوب مرقّع اعتق من جميع ثياب الرهبان. ولم يكن عندهُ شيء من الأمتعة. وهكذا كان يعيش بالتجرُّد من الأشياء الأرضيّة*

وكان ضابطاً حواسّهُ من ذلك انّهُ لم يبدُ منهُ كلمة غير نافعة. ولذلك لم يكن أحد يجسر أن يتكلّم أمامهُ بكلمات بطّالة. وإذا اضطرَّ أن يتخاطب مع امرأَة يعمل ذلك بأقصر ما يمكنهُ وهو مطرق

بعينيهِ إلى الأرض احتشاماً منها*

وكان قاسياً على ذاتهِ ويقشّف جسدهُ بافراط. وكان يُكثر من الصوم والانقطاع على الخبز والماء فقط. وكان إذا جلس على المائدة يأكل الفتات الذي يفضل من قدّام الرهبان. وكان يقضي جزءاً كبيراً من الليل في الصلوة والتأمّل وجلد نفسهِ بالسياط وذلك في قلاّيتهِ أو في الكنيسة أو في مقبرة الرهبان التي كانت في دهليز تحت أرض الدير. ولم يكن ينام في الليل أكثر من ساعتين* وذات يوم أراد أحد الرهبان أن يرى ماذا يصنع في المقبرة فاختفى فيها وجعل يرصدهُ. وفيما كان مختفياً إذا بفيلِخْس نزل إلى المقبرة وخلع ثيابهُ ورمَى بنفسهِ على عظام الموتى والدموع تهطل من عينيهِ وهو يصرخ قائلاً للأَموات: يا أخوتي أنتم قد انقضت نوبتكم وبقيت نوبتي. ثمّ شرع يقول مزمور ارحمني يا الله ويجلد نفسهُ بالسياط* وليلةً أخرى أراد الراهب الفُنْسُس لوفُس أن يطَّلع على ما يصنع فيلِخْس في الكنيسة ليلاً. فرصدهُ فيها مختفياً. فرآهُ يخلع ثيابهُ ويضرب نفسهُ ضرباً قويّاً حتى انّ الراهب لم يتمالك ان صرخ إليهِ قائلاً: كفاك يا أخي فيلِخْس. كفاك يا صديقي* فقال القدّيس منذهلاً من أنتَ. فقال لهُ الراهب أنا صديقك الأخ الفُنْسُس. فقال لهُ القدّيس آه يا أبي ما تصنع هنا. اذهب ودعني أحارب عدوّي*

وابتلاهُ الله في آخر حياتهِ بأوجاع قاسية في جوفهِ. وكان يحتملها بصبرٍ. وكان يدعو الأوجاع ورد الفردوس وزهرهُ* وكان لهُ عبادة

خصوصيّة للطوباويّة مريم العذراء والدة الله. فكان اكراماً لها ينقطع على الخبز والماء في ليلة جميع أعيادها. ويكثر من صلاة ورديّتها بعبادة ومحبّة* وكان متعبّداً بأكثر من ذلك لابنها يسوع الطفل ويحترم اسمهُ المجيد فكان يلفظهُ عند مشيهِ وفي مخاطباتهِ وعند أكلهِ وفي كلّ زمان ومكان. وحينما كان يصادف صبياناً في المدينة كان يقول لهم: قولوا يا أولادي يا يسوع. قولوا كلّكم يا يسوع* وذات يوم توسّل إلى مريم العذراء أن تعطيهُ ابنها يسوع الطفل ليطفئَ برؤْيتهِ وحضورهِ الحرارة المفرطة التي كانت تشعل قلبهُ. فظهرت لهُ هذه العذراء الطوباويّة وسلّمتهُ بين يديهِ ابنها يسوع الطفل الذي كان يشتاق إليهِ. فأخذهُ وضمّهُ إلى صدرهِ وجعل يُقبّلهُ بقبلات المحبّة وأخيراً ردَّهُ إلى أمّهِ بالدموع*

ومع كلّ المواهب التي جاد بها الله عليهِ كان يهرب من المجد الباطل والشرف معتبراً نفسهُ غير مستحقّ أن يتخاطب مع الرهبان. ولم يكن يسمح لأحد من العامّة أن يقبّل يديهِ قائلاً: اني لستُ مستحقّاً ذلك* وإذا مدحهُ أحدٌ في حضورهِ يكره ذلك ويخرج حالاً*

وقضى في هذه السيرة سنين كثيرة. ولمّا صار عمرهُ اثنتين وسبعين سنة عَلِم أنّ رحيلهُ من هذه الدنيا قد اقترب. وفي اليوم الأخير من شهر نيسان سنة ١٥٨٧ وقع مريضاً. وكان يكتم أسقامهُ بسكوتهِ وبذهابهِ إلى الكنيسة* وفي يوم موتهِ ظهرت لهُ مريم العذراء والدة الله وعزّتهُ. وبعد زمان قليل سلّم نفسهُ إلى الله وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر أيّار سنة ١٥٨٧. وعمرهُ اثنتان وسبعون سنة* وشاع خبر موتهِ في

كلّ المدينة. فتقاطر الناس إلى الدير لينظروا القدّيس المتوفّي. وكان بعضهم يقصّون من ثوبهِ للتبرّك وبعضهم يُقبّلون يديهِ وقدميهِ. وأخيراً قبروهُ في مقبرة الرهبان. وتأَيّدت قداستهُ بكرامات عظيمة أجراها الله بشفاعتهِ*

* اليوم الثاني والعشرون *

مار إِيفُس القسّيس في برتانيا

انَّ مار إِيفُس كان من أصل شريف وُلد سنة **١٢٥٣** في برتانيا السفلى. وأحسن أبواهُ تربيتهُ في العلوم. ولمّا صار عمرهُ أربع عشرة سنة أرسلوهُ إلى مدينة باريس ليقرأ الفلسفة واللاهوت. فنجح في ذلك جيّداً لانصبابهِ على الدرس ومجانبتهِ معاشرة الأشرار من رفاقهِ* وكان يقضي زمانهُ في عملّين أي الدرس والصلوة. وكان يُكثر من استعمال التقشُّف كلبس المسح والسهر والانقطاع على الخبز والماء وغير ذلك* وأراد أهلهُ أن يزوّجوهُ ولكنَّهُ أَبى قائلاً لهم: انّي قد نذرتُ عفّتي لله وأُرِيد أن أدخل في الدرجات الكنسيّة* وبعد ذلك سامهُ اسقفهُ قسّيساً. وتقلد تدبير جميع المحتاجين الموجودين في تلك الابرشيَّة. فكان اليتامَى والأرامل والفقراء والمرضى يجدون لهم فيهِ ملجأً وحمايةً* وشاعت مناقبهُ إلى الاقطار البعيدة فكان الأساقفة يتخاصمون من سببهِ على انَّ كلاً

منهم كان يُريدهُ في ابرشيَّتهِ. وبعد ذلك صار رئيساً على كنيسة ما. فكان يخدمها بأمانةٍ وكان لهُ عبادة حارَّة لسرّ القربان المقدّس. فكان قبل القدَّاس يستعدّ زماناً طويلاً مُتأَمّلاً في دناءَتهِ وفي عزَّة الله*

وعمَّر بجانب الكنيسة مارستاناً للفقراء والمرضى وجمع فيهِ كثيراً منهم. وكان يداريهم بنفسهِ ويغسل أقدامهم ويضمدّ قروحهم ويخدمهم على المائدة. وربَّما أكل فضلات مائدتهم* وكان رجاؤهُ بالعناية الإلهيّة وطيداً لأنَّ جودة الله لم تكن تدعهُ معوزاً* وفي سنة ١٣٠٣ في الصوم الأربعينيّ أَحسّ بأنَّ قواهُ أخذت بالضعف وكان يهزل يوماً فيوماً إلى أن لزم الفراش. ولمّا علم بدنوّ ساعتهِ أخذ الزوَّادة الأخيرة وتُوُفّي في اليوم التاسع عشر من شهر أيّار سنة ١٣٠٣ وعمرهُ إذ ذاك خمسون سنة. وزيّنهُ الله بأعاجيب باهرة أجراها على يديهِ في حياتهِ وبعد موتهِ*

* اليوم الثالث والعشرون *

القديسة يوليا العذراء الشهيدة

انّ القدّيسة يوليا كانت من نسب شريف في مدينة قرطاجنة وبيعت أسيرةً لرجل سريانيّ وثنيّ يدعى اوسابيوس. واحتملت بصبر وتسليم جميع الأتعاب والشدائد اللاحقة بالخدمة في الأسر مفضّلةً إيّاها على كلّ شيءٍ حبّاً لمولاها يسوع المسيح* وكانت بعد أن تقضي واجبات خدمتها

تلازم الصلوة وقراءَة الكتب التقويّة. وكانت تصوم أيّام السبّة ما خلا يوم الأحد وتقشّف ذاتها بأنواع كثيرة مختلفة. وكان سيّدها يحبّها لسموّ فضائلها* ولمّا أراد أن يسافر يوماً إلى بلاد غاليا ليجلب بضائع ثمينة لتجارتهِ اركبها في السفينة وأخذها معهُ* ولمّا وصلت السفينة إلى جزيرة قرصة أُرسِيت هناك وطلع اوسابيوس مع يوليا وسائر الركّاب إلى الشاطئ. وكان حينئذٍ سكّان الجزيرة يعيّدون عيداً لآلهتهم. فأخذوا اوسابيوس الذي كان من أهل دينهم ليحضر معهم في تقديم ثور قرباناً لآلهتهم. أمّا القدّيسة يوليا فانفردت وحدها لكي لا تشترك في الاحتفال غير انّها لم تتمالك ان رثت بصوت عالٍ شجيّ جنون هذا القوم الضالّ*

ولمّا علم والي الجزيرة بما فعلت يوليا قال للتاجر سيّدها: مَن هي هذه المرأَة التي تجاسرت ان تتكلّم على الآلهة. فقال لهُ اوسابيوس انّها صبيّة مسيحيّة أسيرة عندي ولقد بذلتُ جهدي في أن استميلها إلى عبادة آلهتي ولم أتمكّن منها. ولأنّي رأيتها أمينة في خدمتي كرهتُ اجبارها أو طردها* فعرض الوالي على اوسابيوس أن يسلّمها إليهِ وقدّم لهُ بدلها أربعةً من أحسن أسراهُ. فقال لهُ اوسابيوس لو دفعت إليَّ كلّ ما عندك من العبيد والاماء والأموال لما وازى ذلك ثمنها وانّي أَحَبّ إليَّ أن أبذل كلّ ما عندي دونها* فلمّا رأَى الوالي انّهُ لم ينل بغيتهُ من اوسابيوس عمد إلى الحيلة. فدعاهُ إلى العشاء واجزل عليهِ الخمر حتى سكر ونام وحينئذٍ أرسل فاحضر يوليا أمامهُ وقال لها: ان قرّبتِ للآلهة تكلّفتُ ارجاع حرّيتكِ عليكِ. فرفضت القدّيسة

هذا العرض بغضب قائلةً اني حُرّة طولما أكون أسيرة ليسوع المسيح ومتى انعتقتُ من هذا الأسر فانا حينئذٍ أسيرة امَّا الآن فانّي حُرّة* فلمّا سمع الحاكم هذا الجواب اغتاظ جدّاً وأمر عبيدهُ أن يضربوها على وجهها ويقلعوا شعرها ويعلّقوها في مشنقة وفيهِ تمّت شهادتها. وجاء رهبان جزيرة غُرغونيا فأَخذوا جسدها ودفنوهُ*

وفي سنة ٧٦٣ نقلها ملك لُمبرديّة من هناك ودفنها في مدينة برشّيا* وكانت القدّيسة يوليا في حياتها ذات تقوى عظيمة. وكانت تسجد دائماً لأعمال العناية الإلهية. وعوض أن تتشكّى في الشدائد التي تصيبها كانت تفرح بها مقتبلة إياها كهدايا يرسلها الله إليها وبذلك كانت تتكمّل في الفضيلة أكثر فأكثر. وجازاها الربّ على أمانتها إذ جعلها عذراء وشهيدة*

* اليوم الرابع والعشرون *

القدّيسين دونَطيانُس وروغَطيانس الشهيدين في بلاد ننطُس

كان في بلاد ننطُس شابّ يدعي دونَطيانُس وكان شريف الأصل. فهذا بعدما تنصّر أخذ يسير سيرة حميدة جدّاً ويسعى في هداية الوثنيّين إلى الايمان. وكان لهُ أخ بكر اسمهُ روغَطيانُس فهذا تحرّك قلبهُ بالنظر إلى حسن سيرة أخيهِ الصالحة وأقوالهِ الصادقة. فاهتدى إلى

ايمان يسوع المسيح وطلب أسرار التجديد المسيحيّ. ولم يتيسَّر لهُ نوال طلبتهِ من أجل غيبة الأسقف الذي كان قد هرب خوفاً من الاضطهاد الثائر حينئذٍ. ولكنّ دمهُ الذي سفكهُ فيما بعد قام مقام المعموذيّة لأنّهُ تنصّر في وقتٍ كان الاسم المسيحيّ يُشتَرى بالحيوة* وفي أثناء ذلك جاءَ أمير قد أرسلهُ مكسِميانُس هرقل الملك إلى ننطُس ليجري فيها أوامرهُ المتضمّنة اضطهاداً وقتلاً على كلّ من يأبى من النصارى أن يسجد لافُلّون. فاشتُكِي أمامهُ على دونَطيانُس بانّهُ يعترف بالديانة المسيحيّة وانّهُ استمال أخاهُ روغَطيانُس وأشخاصاً اخر كثيرين إلى دينهِ. فارسل الأمير استدعاهُ إليهِ وسأَلهُ عن دينهِ. فأجابهُ علانيةً أنا مسيحيّ. فللوقت صفّدهُ بالحديد وأرسلهُ إلى السجن*

ثمّ أحضر أيضاً روغَطيانُس فاعترف مثل أخيهِ بايمان المسيح. وكان روغَطيانُس حزيناً كئيباً ليس من جرى حبسهِ واضطهادهِ بل من أجل انّهُ لم ينل المعموذيّة بعدُ. وكان أخوهُ دونَطيانُس يصلّي من أجلهِ طالباً إلى الله أن يجعل ايمانهُ ينوّلهُ فوائد سرّ المعموذيّة وسفك دمهِ فوائد سرّ التثبيت. وهكذا قضى هذان الأخوان كلّ ليلتهما في الصلوة. وفي الغد أوقفوهما أمام الأمير ولمّا أقرّا بايمانهما وابيا السجود لغير الله اسلموهما إلى العذاب ثمّ قطعوا راسيهما. وكان استشهادهما في سنة ٢٨٧*

* اليوم الخامس والعشرون *

مار أُربانُس البابا الشهيد

انّ البابا الشهيد أُربانس كان رجلاً رومانيّاً تخلّف لكلّسطُس على كرسيّ مار بطرس. وكان ذا غيرة في تأدية واجبات وظيفتهِ. وهدى بأمثالهِ وإنذارهِ إلى ايماننا المقدّس جمّاً غفيراً من أبناء وطنهِ. وكان من جملة المهتدين على يديهِ والريانُس عريس القدّيسة كيكيليا وطيبُرقُس أخوهُ الذي عمّذهُ وشجّعهُ أن يموت شهيداً ليسوع المسيح* وكتب هذا البابا رسالةً أودع فيها تعاليم سماويّة. وكان في ذلك الزمان عادة عند المؤْمنين أن يعطوا وراثاتهم وأملاكهم للكنيسة لتُنفَق في مهمّات بيت الله وفي معاش الكهنة والفقراء. فنهى مار أُربانُس انفاق شيءٍ من هذه الأموال في شيءٍ آخر وحكم بشجب عظيم على من يتجاسر ويختلس شيئاً منها. ورسم أيضاً أن يأخذ المسيحيّون سرّ التثبيت بعد المعموذيّة من يد الأسقف* وكان مار أُربانُس أوّل من استعمل خدمة الأسرار المقدّسة في أواني من فضّة أو من ذهب ابريز مرصّع بالجواهر الكريمة*

وبعد ما قضى مار أُربانُس البابا في كرسيّ مار بطرس ستّ سنين وسبعة أشهر وأربعة أيام بالعمل في حقل بالعمل في حقل الكنيسة المقدّسة قبض عليهِ أعداء الايمان وأذاقوهُ عذابات فظيعة ثمّ قطعوا رأسهُ وطرحوا

جثّتهُ أمام الوحوش الضارية ولكنّ امرأَة شريفة أخذتها ودفنتها باكرام عظيم* وكان استشهادهُ في اليوم الخامس والعشرين من شهر أيّار سنة ١٣٣ وهي السنة الثانية لمُلك اسكندر سوارُس* ورسم مار اربانُس البابا في حياتهِ خمسة شمامسة وتسعة قسوس وثمانية أساقفة*

* اليوم السادس والعشرون *

مار فيلبس نيري منشئ أخويّة كهنة المصلّى ـ الطوباويّة

مريم حنّة العذراء عبدة يسوع

مار فيلبس نيري منشئ اخويَّة كهنة المصلّى

انّ القدّيس فيلبّس نيري وُلد في مدينة فلورنسا سنة ١٥١٥ من أبوين شريفَي الأصل. ومنذ نعومة أظفاره لاحت فيهِ سِمَة الفضائل فكان ذا احترام وطاعة لروسائِه وكان متواضعاً حليماً بشوشاً مدمناً على زيارة الكنائس واستماع الأقوال الإلهية. وبذلك جلب حبّ جميع الناس لهُ حتى انّهم لقَّبوهُ بفيلبّس الصالح* ولمّا صار عمرهُ ثماني سنين أرسلهُ أبوهُ إلى عمّهِ لكي يعلّمهُ أمور التجارة. ثمّ بعد ذلك آثر خدمة الله بالفقر على امتلاك الأموال الأرضيّة فعزم ان يتّبع يسوع المسيح.

وفي سنة **١٥٣٣** انطلق إلى رومية وهناك واصل رجلاً تقيّاً مشهوراً بالصلاح وكان يقتدي بهِ. ثمّ انعكف على درس الفلسفة واللاهوت ونجح في ذلك جدّاً. ومع انعكافهِ على الدرس كان يلازم الصلوة والصوم وسائر الأعمال التقويّة* ولمّا بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة زاد غرامهُ لاتّباع يسوع المسيح في السيرة المنفردة فترك كلّ شيءٍ لهُ وتفرّغ للصلوة والتامّل والتقشّف منفرداً عن الناس*

وكان لهُ محبَّة عظيمة ورأفة على الفقراء والمرضى وجميع المحتاجين فكان يزورهم ويسلّيهم ويساعدهم بقدر مكنَتهِ* وكان يطلب من روح القدس أن يملأَهُ من مواهبهِ لكي يقهر أعداءَهُ وينتصر على التجارب التي كان الشيطان يجرّبهُ بها. فاستُجيبت طلبتهُ وصار كانّهُ إنسان مائت عن الدنيا وأهوائها*

وفي سنة **١٥٤٨** أراد أن يعمل عملاً خيريّاً لمساعدة المحتاجين والمرضى فانشأ أخويّة دعاها باسم اخويّة الثالوث الأقدس. وعمّر لها كنيسةً. والمشتركون في هذه الأخويّة خصّوا ذواتهم للشغل في هذا العمل الخيريّ مع مار فيلبّس*

ولمناقب هذا القدّيس كان الناس يلجّون بهِ ليرتسم قسّيساً ولكنّهُ كان يأبى ذلك محتسباً نفسهُ غير أهل لهذه الدرجة السامية* ولمّا صار عمرهُ ستّاً وثلاثين سنة اضطرَّ أن يقتبل درجة الكهنوت بأمر معلّم اعترافهِ. وبعد ارتسامهِ اتّفق مع كهنة كنيسة مار هيرونِمُس بالانضمام إليهم والسيرة معهم بالتأمّل والصلوة والتقشّف. وكان يقدّس

كلّ يوم القربان الإلهيّ بعبادة حارّة. ومن شدّة احترامهِ ليسوع المسيح كانت يداهُ ترجفان حينما يمسك الجوهرة المقدّسة وقت الرفعة أو التناول. وطالما اضطرّ أن يتوكّأَ على المذبح إذ لم يقدر أن يسند نفسهُ. ومن شدّة حبّهِ ليسوع المسيح كان حينما يشرب الكاس يعضّ عليهِ بشدّة حتى كانت تُرَى فيهِ آثار أسنانهِ. وكثيراً ما كان يغيب عن حواسّهِ* وكانت غيرتهُ على خلاص النفوس شديدة فكان يقضي أكثر أوقاتهِ باستماع اعترافات الناس. ومن يقدر أن يحصي عدد النفوس اللواتي انتشلهنّ من حمأَة الاثم وهداهنَّ إلى طريق الفضيلة. فالنجاح الذي حصل لهُ في منبر التوبة جعل صيتهُ سامياً حتى انّ جميع الناس كانوا يأتون إليهِ مستشيرين بهِ* وبما انّ ذا الاسم الجيّد لا يخلو من ضدّ فحسدهُ بعض الناس ونمّوا بهِ وسعوا بثلم صيتهِ. ولكنّ مار فيلبُس احتمل هذه التجربة بصبر لا بل بفرح محتسباً نفسهُ سعيداً بصيرورتهِ عرضةً للهزؤ والاحتقار. وأخيراً لمّا رأَى حاسدوهُ انّهُ غير متزعزع جاءُوا واستغفروهُ عن ما قرفوهُ بهِ فعانقهم وغفر لهم*

وتحرّك بالاقتداء بهِ جمٌّ غفير من الناس فكانوا يجتمعون عندهُ ويخاطبهم في الأمور الروحيّة ويضرم قلبهم بمحبّة الله ويكرّه في عيونهم المَيل إلى الأشياء الدنيويّة. فتتلمذ لهُ كثيرون وصاروا يقتدون بهِ ويسيرون بحسبما كان يرشدهم* ولم يكن يغلق باب حجرتهِ أبداً حتى يكون كلّ من يأتي إليهِ يجد بابهُ مفتوحاً ولا سبيل لهُ أن يقول انّ فيلبّس نائِم فلا ينبغي أن ندخل عليهِ الآن ونصدّعهُ* وانضمّ إليهِ

كثير من الكهنة فكانوا كتلاميذ لهُ يشتغلون معهُ في الأعمال الراجعة إلى مجد الله وخلاص النفوس وكانوا يسيرون بحسبما كان يرشدهم* ولمّا رأَى الشيطان انّ مار فيلبّس لا يزال متقدّماً في سُبل النجاح أكثر فأكثر وانّ أعمالهُ تثمر أثماراً غزيرة حمّل بعضاً من الناس الحاسدين إلى أن يقولوا للبابا بيوس الخامس انّ فيلبّس رجل مراءٍ ضالّ ومضلّ هو وكهنتهُ. فامّا البابا فاذ لم يكن بعدُ لم يكن بعدُ مطّلعاً جيّداً على أعمالهِ فحص الأمر فوجد قداسةً عظيمة في فيلبّس وفي كهنتهِ* ثمّ انّ هذه اخويّة مار فيلبّس نيري كانت تكبر والمنافع التي كان يؤَدّيها هو وكهنتهُ للقريب كانت تكثر. فعمّروا لهم كنيسة جديدة. وعمل مار فيلبّس قانوناً لهذه الأخويّة وأثبتهُ البابا غريغوريوس الثالث عشر. وسُمّيت جماعتهم أخوية كهنة المصلّى. وانتشرت في أماكن كثيرة ودُعي أصحابها باسم فيلبّيين نسبةً إلى مار فيلبّس منشئها* وأخيراً صار هذا القدّيس رئيساً عامّاً على هذه الأخويَّة ونال من الروح القدس مواهب كثيرة من ذلك المشورة والفطنة والنبوّة ومعرفة سرائر القلوب. فكان كثير من الأحبار والكردِنالات يأتون لزيارتهِ ويستشيرونهُ في أهمّ أمورهم* وكان البابابوات يحبّونهُ لا سيّما غريغوريوس الثالث عشر الذي منحهُ انعامات كثيرة هو وجماعتهُ. وكان هذا القديس كلّما ازداد تعظّماً عند الناس يحتقر نفسهُ ويعتبر ذاتهُ أكبر خطاة العالم* ولاتّضاعهِ تنازل عن مرتبة الرياسة العامّة معتذراً انّهُ قد صار شيخاً طاعناً في السنّ لا يقدر على القيام بها*

وفي سنة ١٥٩٤ في شهر أيّار اعترتهُ حمَّى شديدة الّمتهُ مدّة خمسة وعشرين يوماً. ولحقهُ عُقَيب هذه الحمّى أسقام كثيرة مختلفة جعلتهُ في حالة التَلَف وتأكّد الأطبّاء موتهُ ولكنّ مريم العذراء المجيدة ظهرت لهُ وشفتهُ من جميع أسقامهِ* وفي السنة التابعة اعترتهُ حمَّى محرقة مرافقة بقيء دمويّ. وبعدما يأس الأطبّاء من شفائهِ ظهر لهُ يسوع المسيح وشفاهُ باعجوبة* وكثيراً ما كان هذا القدّيس ينبئ أصدقاءَهُ بانهُ يموت ما بين اليوم الخامس والعشرين واليوم السادس والعشرين من شهر أيار* ولما دنت ساعتهُ طلب الزوّادة الأخيرة. وأُتي إليهِ بالقربان المقدّس فقال والدموع تهطل من عينيهِ: ها هوذا محبّتي. تعال تعال يا يسوع مبتَغى نفسي. وبعد ما تناول أوصى أن يقدّسوا عن نفسهِ قداديس كثيرة. ثمّ سلّم نفسهُ إلى الله بهدوءٍ وسكون. وكان ذلك كما قال فيما بين اليوم الخامس والعشرين والسادس والعشرين من شهر أيّار سنة ١٥٩٥* وبعد موتهِ شقّ الأطبّاء صدرهُ فوجدوا انّ حياتهُ كانت قائمة باعجوبة لأنّ أضلاعهُ كانت مكسّرة وشاهدوا الشريان المؤَدّي الدم إلى الرئتين مقطوعاً وقلبهُ وارماً جدّاً. وبالحقيقة انّ محبّتهُ المضطرمة لله هي التي سبّبت لهُ هذه الأسقام* وبعد أن بقي جسدهُ ثلاثة أيّام عرضةً لزيارات الناس واكراماتهم دُفن في الكنيسة باحتفال عظيم. وزيَّن الله عبدهُ فيلبّس بكرامات كثيرة* من ذلك انّ كثيراً من المرضى شُفُوا بلمسهم جسدهُ وباستشفاعهم اياهُ. وبعد زمان فتحوا قبرهُ فوجدوا لفائفهُ قد فَنيت وامّا جسدهُ فكان

سالماً من الفساد طريّاً جميلاً تفوح منهُ روائح طيّبة*

الطوباويّة مريم حنّه العذراء عبدة يسوع

انَّ هذه الطوباويَّة وُلدت في مدينة قيطو من أعمال مملكة بَرؤ في أميركا سنة ١٦١٨. وكان أبواها بارَّين خائفين الله. ومن كثرة ما كانا يصلّيان كان الناس يسمّون بيتهما بيت الصلوة. ورزقهما الله سبعة أولاد حتّى أعطاهما هذه الطوباويّة التي صارت فيما بعد شرف عشيرتها* وفي يوم ميلادها تراءَى على بيت أبويها نجمٌ متلألئٌ. وسُمّيت في عماذها مريم حنّه. وكان هذا الاسم اسم امّها أيضاً* واظهر الله غايتهُ فيها منذ طفوليّتها إذ علّمها الصوم فانَّها لم تكن ترضع سوى مرَّتين في اليوم مرَّةً عند الظهر ومرَّةً في نصف الليل. وفي أيّام الاثنين والأربعاء والجمعة كانت ترضع مرَّةً واحدة فقط. ولمّا رأَت ذلك امّها ظنّت انَّ حليبها لا يعجبها فسلّمتها إلى مرضّعة لترضّعها ولكنَّ الطفلة كانت متمسّكة بعادتها غير مجاوزة وقتها*

ثمَّ انَّ ابويها تُوُفّيا وهي بعد صغيرة في السنّ فتكلّفت تربيتها اختها* وكانت الطوباويّة في حداثتها ملازمة الصلوة والصوم والتقشّف. وكانت تكثر من عمل رياضة درب الصليب المقدَّس وكانت أختها تتعجّب من أعمالها الطفليَّة* ولمّا صار عمرها ثماني سنين تناولت التناول الأوّل. وكانت محبّتها ليسوع المسيح تزداد يوماً فيوماً حتَّى نذرت لهُ بتوليَّتها.

وكانت تدعو يسوع عريسها. ولذلك سُمّيت مريم حنّه عبدة يسوع* وكانت تقضي زمانها في الشغل وفي التأمّل في آلام المسيح في صلاة الورديَّة اكراماً لمريم العذراء. وكانت تلبس مسحاً على جسمها واكليلاً من شوك على رأسها وتجلد نفسها بسلسلة حديديّة حتّى يسيل دمها على الأرض وتنام على ألواح من خشب أو على الحضيض. وفي يوم الجمعة تنام على صليب مرصّع فيهِ أشواك حديديّة* وكان لها في حجرتها صليب معلّق في الحائط تصعد عليهِ في كلّ يوم جمعة وتعلّق نفسها فيهِ من شعر رأسها ومن يديها بحبال مربوطة فيهِ. وتمكث عليهِ ساعتين متأمّلةً في آلام عريسها يسوع المصلوب* وكانت أصوامها متواترة. ولم تأكل لحماً ولا سمكاً ولا بيضاً ولا حليباً فكان تكتفي فقط بخبز وثمر وقليل من البقل المسلوق متقويّةً في النفس والجسد بسرّ الاوخرستيّا الذي تتناولهُ كلّ يوم بالمحبّة* وكانت تعطّش نفسها اقتداءً بيسوع العطشان على الصليب* وكان لها رحمة عظيمة للفقراء وتساعدهم بقدر مكنتها* وكانت حينما تمرض ويفصدها الطبيب تنظر بفرح إلى الدم الذي يجري من جسمها متذكّرةً دم يسوع المسيح المسفوك من أجلنا على الصليب. ومن جرى الأسقام التي اعترتها فُصِدت في نحو سنتين أزيد من مايتين وخمسين مرَّة حتَّى انَّ الأطباء تعجّبوا من جسدٍ ضعيف يخرج منهُ دم غزير بهذا المقدار. وبالحقيقة انَّ الله كان يردّ لها ما تقدّمهُ إليهِ بجودة. وكانت خوادم البيت يلقينَ دمها في بالوعة في البستان. فبعد موت الطوباويَّة رُؤي زنبقة

جميلة قد نشأَت في البالوعة في دم القدّيسة الذي استمرَّ أحمر نقيّاً. ولسبب هذه العجيبة كنّاها أهل وطنها بزنبقة قيطو.

ومنحها الربّ هبة النطق بالمستقبلات فتنبّأَت على أشياء كثيرة صحَّت بعد ذلك. وبعد ما قضت حياتها في أعمال التقشُّف وصارت كذبيحة بدل خطايا الناس حان وقت مجازاتها. ففي سنة ١٦٤٥ حدث زلازل كثيرة أخربت مدينة قيطو. وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار كان الكاهن معلّم اعتراف الطوباويّة ينذر الناس بعقاب الله الحالّ عليهم ويحثّهم على عمل التوبة لكي يهدأ غضب الله عنهم وقال لهم ان لزم الأمر فأنا أقدّم ذاتي اختياريّاً ذبيحةً عنكم. وكانت الطوباويَّة تسمع كلامهُ فشعرت بحرارة من الروح القدس فقامت حالاً وقالت بصوت عالٍ: وحياةِ المسيح لاكوننَّ أنا ذبيحةً لله عن هذا القوم. فتقبّل الله تقدمتها وهدأَ غضبهُ. وفي ذلك اليوم عينهُ سكنت الزلازل ولكنَّ القدّيسة أُبتُلِيت بالأسقام منذ ذلك اليوم إلى يوم موتها وكان ذلك اليوم السادس والعشرين من شهر أيّار سنة ١٦٤٥ وعمرها حينئذٍ ستّ وعشرون سنة ونصف* وبعد يومين دُفنت والناس تندبها وتبكي فقدها* وأجرى الله على قبرها أعاجيب باهرة لتشريف هذه امتهِ الأمينة التي كانت حياتها أعجوبة التوبة والتقشُّف*

* اليوم السابع والعشرون *

القديسة مريم المجدليَّة البازّيَّة الراهبة الكرمليَّة ـ مار اوغسطينُس رسول انكلترّه ومطران كنتربري

القدّيسة مريم المجدليّة البازّيَّة الراهبة الكرمليَّة

انَّ مريم المجدليّة البازّيّة وُلدت في فلورنسا قاعدة بلاد تُسقانا من أبوَين شريفين أصلاً وساميين فضلاً وذلك في اليوم الثاني من شهر نيسان سنة ١٥٦٦. وسُمّيت في عماذها كاترينة. وكانت بنموّها في العمر تنمو في الفضيلة والانصباب على أعمال التقوى. فكانت تنفرد في البيت منحنيةً إلى الأرض وقاضيةً ساعاتٍ في الصلوة والتأمّل* وكانت تنفر من الأباطيل الدنيويَّة وتلتذّ بالمخاطبة مع الله في الصلوة وسائر الأمور الروحيّة. وكثيراً ما كانت تقوم في الليل من منامها لتنام على التبن وتجلد نفسها بالسياط. وعملت لها اكليلاً من شوك وكانت أحياناً تلبسهُ وتنام فتغوص أشواكهُ في رأسها* وكانت هذه الفتاة الصغيرة تتوق إلى تناول القربان المقدَّس. ولأنَّهُ لم يكن يُعطَى لها ذلك لصغر سنّها فكانت تبكي. وحينما كانت أمّها تتناول كانت هي تستمرّ طول ذلك النهار جالسة بجانبها لتستنشق فيها رائحة حبيبها يسوع المسيح الذكيّة* وهذه حرارة أشواقها ليسوع المسيح الزمت معلّم اعترافها ان يأذن لها بالتناول

وعمرها عشر سنين. فكانت تكثر من تناول سرّ الاوخرستيّا الأقدس وتقضي نهارها كلّهُ بالعبادة* ولمّا صار عمرها اثنتي عشرة سنةً وكانت محبّة يسوع المسيح تزداد في قلبها نذرت بتوليّتها لهذا الختن السماويّ ووعدتهُ بانّها تتّخذهُ عريسها الوحيد. وحقّاً انّها حفظت لهُ هذا النذر بالامانة*

ودعاها ربّنا يسوع المسيح إلى خدمتهِ في رهبنة سيدتنا مريم العذراء سلطانة الكرمل لأنّ جبل الكرمل كان ملجأً حصيناً لكثير من النفوس اللّواتي يرُمْنَ أن يحفظنَ طهارتهنَّ بلا دنس. وقبل شروعها في اتّباع دعوتها أراد أهلها أن يزوّجوها ولكنّها أبت ذلك واستأذنتهم ودخلت في هذه الرهبنة المقدّسة سنة ١٥٨٢ وكان عمرها حينئذٍ خمس عشرة سنة. وكانت هذه السنة عظيمة لديها لأنّهُ فيها كانت القديسة تريزة مصلحة هذه الرهبنة ونورها قد هجرت الأرض وانطلقت إلى السماء* وفيما كانوا يلبّسونها الثياب الرهبانيّة شعرت ببغضة كلّيّة للأشياء الأرضيّة وبوصال لا ينفكّ ليسوع المسيح. وجزمت أن لا تتّخذ لها عريساً غيرهُ. ودُعيت في الرهبنة باسم مريم المجدليّة لأنّها كانت عتيدة أن تقتدي بهذه القدّيسة في توبتها وتقشّفها. وقضت زمان ابتدائها بتقدّمها شيئاً فشيئاً في الفضائل. وبعد ذلك نذرت نذورها الاحتفاليّة* واراد الله أن يرفعها إلى قمّة الفضائل فأسّس في قلبها حبّاً عظيماً لاعمال التقشّف والتواضع والفقر. فشرعت تنقطع على الخبز والماء فقط. وتمشي حافيةً شتاءً وصيفاً. وتكتسي بثوب دنيّ. وصارت حياتها مثالاً في

الكرامات. فانّها بكلمة واحدة طردت شيطاناً من بدن ابنة معتوهة. وشفت راهبة من سقم عتيق برسمها عليها علامة الصليب ثلاث مرّات. ووهب لها الله روح النبوّة فتنبّأَت على الكردِنال الكسندر مطران فلورنسا بانهُ يصير يوماً بابا. وصار كما قالت حبراً عظيماً باسم لاون الحادي عشر سنة ١٦٠٥ ولكنّهُ لم يدُمْ على الكرسيّ سوى ستّة وعشرين يوماً*

وكانت مريم المجدليّة البازّيّة تغيب عن حواسّها مرّات كثيرة وترى مناظر. وفي غيابها كانت تصرخ صراخات عالية بأقوال سامية وتلهّفات حارّة. وفي سنة ١٥٨٥ في أسبوع الحاش إذ كانت تتأمَّل في آلام فادينا أحسّت بأوجاعهِ عينها. وفي الحال غابت عن حواسّها. فلمّا رأَتها الراهبات وهي على تلك الحالة حملنَها إلى حجرة. ولمّا أفاقت جثت على ركبتيها أمام صورة يسوع المسيح ومدّت يديها بشكل صليب وقالت خمس مرّات هذه الكلمات وهي: يا يسوع الجوّاد اخفِني في جروح ناسوتك المقدّس. وكان وجهها إذ ذاك يُضيء* وفي يوم خميس الحاش غابت أيضاً عن حسّها ولم تفِقْ الاّ بعد عشرين ساعة. وفي هذا الغياب أحسّت بأوجاع شديدة. وكانت تجول في أماكن الدير المختلفة وفي كلٍّ من هذه الأماكن تقف وتقول شيئاً من أسرار آلام فادينا يسوع المسيح. ولمّا بلغت في مراحلها إلى صلب يسوع المسيح انحنت إلى الأرض ومدّت يديها مماثلةً يسوع المسيح إذ كان يُربَط على الصليب. وكانت الراهبات يشاهدنَها. فيا للأعجوبة فانهنّ أبصرنَ

يديها نُجرَّان من ذاتهما حتَّى كادت عظامها تنفصل من لحمها. واستمرّت على هذه الحالة نحو نصف ساعة وهي تصرخ وتتنهَّد من جرى الأوجاع التي كانت تشعر بها حينئذٍ. ثمّ انّها قامت منتصبةً ويداها ممدودتان بشكل صليب وقالت هذه كلمات الإنجيل وهي: قد كمل وأمال رأسهُ وأسلم الروح وحين قولها هذه الكلمات وقعت على الأرض. فظنّتها الراهبات قد ماتت لانّهنَّ رأَينَ وجهها مصفرّاً وجسدها عديم الحركة. وبعد برهةٍ من الزمان افاقت وعاد لون وجهها ولاح عليهِ نور ساطع بهر الناظرين*

وكانت محبّتها لله عظيمة حتى انّها كانت تصرخ: أيّتها المحبّة. أيّتها المحبّة. يا اله المحبَّة. آه كم هي عظيمة محبّتك للبشر. ولكن كلاّ يا يسوع ليست عظيمة بالنسبة إلى عظمتك. غير انها حقّاً عظيمة على الخليقة التي ليست شيئاً. يا مخلّصي اعطِني أن أموت من شدّة المحبّة لكي أشبع من محبّتك التي هي غاية محبّتي* وكانت أحياناً تمسك صليباً في يدها وتركض في الدير صارخةً: يا محبّة يا محبّة يا محبّة يا اله المحبّة لستُ املّ من أن أدعوك محبّتي ورجائي وكلّ شيءٍ لي. ثمّ تلتفت إلى الراهبات قائلةً: اما تعلمنَ يا أخواتي العزيزات انّ يسوع ليس هو الاّ محبّة*

وسمح الله لازدياد فضيلتها ان تجرّبها الشياطين غير انَّها كانت تحاربهم مستنجدةً حماية يسوع ومريم العذراء. فذات يوم ظهرت لها مريم العذراء ووضعت على رأسها نقاباً وقالت لها: الا يا ابنتي ستنتصرين

على هذه التجارب وتستمرّ طهارتكِ مصونةً من كلّ دنس* ويوماً ما قويت عليها التجربة وقلقت أفكارها. فنهضت حالاً وخلعت ثيابها وألقت بنفسه على الشوك وكانت تتقلّب عليهِ ظهراً لبطنٍ كما فعل يوماً مار مبارك* وأخيراً بعد ما سمح ربّنا يسوع المسيح بتجريبها مدَّة خمسة سنين وانتصرت على جميع تجاريبها اطفأ عنها تلك النيران التي كانت تُؤْذيها جدّاً* وفي ليلة عيد العنصرة إذ كانت تصلّي صلاة الفرض مع الراهبات إذا بها غابت عن صوابها ورأَت جميع القدّيسين المتعبّدة لهم بنوع خصوصيّ واعطوها هدايا عظيمة. فملاكها الحارس وضع تاجاً في رأسها. وأحد القدّيسين ألبسها طوقاً من ذهب. والآخر ألبسها ثوباً أشدّ بياضاً من الثلج. وهكذا كلٌّ منهم كان يزيّنها بشيءٍ ثمين* ومع نوالها جميع هذه الآلاء من الله كانت تعتبر نفسها كلا شيء لا بل أكبر خاطئَةٍ في العالم غير مفتخرة في نفسها بما جاد بهِ الله عليها من موهبة النبوَّة ونعمة الكرامات والمناظر والمواحي. وكانت تحسب نفسها لا شيء وعدماً. وكانت متدقّقة في حفظ الطاعة لروسائها حتَّى انَّها لم تكن تعمل أدنى عمل من دون اذنهم* وكانت تكرّم أخواتها الراهبات وتتوسّل إليهنَّ بتواضع أن ينبّهنَها عن كلّ هفوة تزلّ بها أمامهنَّ. وكان لها بغضة عظيمة للخطيّة. ولهذا كانت ضابطة حواسّها كلّ الضبط. وكانت غيورة جدا على خلاص النفوس* ورأَت مرّة في رؤْيا روح أحد الخطاة يُقضَى عليها بالهلاك. فتاقت الدموع من عينيها وصرخت: يا أيّتها النفس التعيسة ها انّكِ قد صرتِ جذوةً في نار جهنّم. واللذّة

القليلة الزائلة قد صارت لكِ عقاباً شديداً أبديّاً*

وأخيراً بعدما قضت حياتها في سيرةٍ قدسيّة علمت ان قد حان خروجها من هذه الدنيا فشرعت تتأهّب للموت بفرح. وتكاثرت عليها الأسقام يوماً فيوماً حتى انَّ الأطبّاء حكموا بانّها لا تعيش أكثر من ثلاثة أيّام. وكانت إذ ذاك نفسها مرفوعة إلى الله وعيناها شاخصتين في الصليب الذي كانت ماسكتهُ في يدها وأذناها ناصتتين إلى صلاة الفرض الإلهيّ الذي كانت الراهبات يصلّينَهُ عند رأسها. ثمّ أخذت أسرار البيعة المقدّسة. ولمّا شعرت بدنوّ ساعة موتها دعت الأمّ الرئيسة وانبأَتها بأمور كثيرة تختصّ بتدبير الدير. وبعدما توادعت مع الراهبات أخواتها واوصتهنَّ أن يحببنَ يسوع المسيح سلّمت نفسها الجميلة في يدَي عريسها السماويّ. وكان ذلك في يوم الجمعة وهو اليوم الخامس والعشرون من شهر أيّار سنة ١٦٠٦ وعمرها إحدى وأربعون سنة*

وكما أنّ رائحة فضائل هذه القدّيسة كانت قد انتشرت في كلّ مكان هكذا أيضاً خبر موتها شاع حالاً في مدينة فلورنسا كلّها. فتقاطر الناس أفواجاً أفواجاً إلى الكنيسة مزدحمين لينظروا جسدها. وجرت حينئذٍ أعاجيب كثيرة تكرّمت بها القدّيسة. ثمّ دُفِنَت باحتفال عظيم* وبعد سنتين فتحوا قبرها فوجدوا جسدها سالماً من الفساد يفوح منهُ روائح طيّبة* ومن جملة الكرامات التي صنعها الله بشفاعتها بعد موتها هي انّهُ كانت راهبة في مدينة فلورنسا مصابة بقرحة منذ ثلاثين سنة. وكانت تلك القرحة قد انهكتها وجعلتها ضعيفة سقيمة طريحة الفراش.

فطلبت الراهبة شيئاً من ذخائر الطوباويّة مريم المجدليّة البازيّة وصلّت إلى الله بايمان وطيد أن يشفيها بشفاعة هذه أمتهِ الأمينة فاستجاب الله طلبتها إذ انفتحت فرحتها وشُفِيت*

وكانت صبيّة قد اعتراها روح شرير وعذّبها مدّة عشر سنين. فلما أتوها بقطعةٍ من ثوب القدّيسة مريم المجدليّة وقبّلتها بايمان تركها الشيطان وبرئت*

مار اوغسطينُس رسول انكلترّه ومطران كنتربري

انّ مار غريغوريوس الكبير البابا قبلما رُفع إلى الكرسيّ البطرسيّ الرومانيّ كان قد عزم أن ينطلق إلى أقوام انكلترّه الذين كانوا وثنيّين لكي يضيء لهم بنور الإنجيل ويهديهم إلى الايمان بالمسيح. ولكن أهل روميّة لم يتركوهُ أن يفارقهم. فلمّا حصل في مرتبة الرياسة العامّة على الكنيسة المقدّسة باشر هذا العمل السامي. فاختار راهباً من دير مار اندراوس اسمهُ اوغسطينُس وعمد ان يرسلهُ مع رهبان آخرين إلى بلاد الانكليز لينذروا بالإنجيل أولئك الأقوام الوثنيّين وينيروا لهم بأشعّة إيماننا المقدّس. فسلّحهم بغيرة وشجاعة وسرّحهم إلى محاربة ملك الظلمات عدوّ الجنس البشريّ. وكانوا فارحين بالرجاء الذي كان لهم في هداية أمّةٍ جديدة إلى يسوع المسيح ونوال اكليل الاستشهاد* وبعدما سار هولاء المرسلون مدّة أيّام ضعفت شجاعتهم فعيُوا الأمر

وأرادوا أن يرجعوا. فأرسلوا مقدّمهم اوغسطينُس إلى مار غريغوريوس البابا ليطلب الاذن لهم بالرجوع لأنّهم ليسوا بقادرين أن يتكلّفوا هذا العمل لعدم معرفتهم طباع أولئك الأقوام الوحشيّين ولصعوبة تعلّمهم لغتهم ولخوفهم انّ أتعابهم لا تجدي نفعاً. فامّا البابا فلم يرد أن يسمح لهم بالرجوع فكتب لهم رسالة وبعثها مع رئيسهم اوغسطينُس. فيها يحثهم على اتّباع رسالتهم ويشجّعهم بقوّة العناية الإلهية على مقاومة جميع الموانع التي كانوا يخافونها* فلمّا قرأ الرهبان المرسَلون تلك الرسالة أخذوا بالحزم وواصلوا سفرهم بشجاعة. فأوصلهم الله سالمين إلى جزيرة ثانت الواقعة في شرقي بلاد كَنْت وكان ذلك سنة ٥٩٦ وكان عددهم أربعين رجلاً مع المترجمين الذين أخذوهم معهم من بلاد فرنسا* ولمّا طلعوا على البرّ أرسل اوغسطينُس يقول لآثِلْبَرْت ملك بلاد كَنْتْ: انّنا جئنا من مدينة رومية جالبين إليك بشارة سعيدة من قِبَل الله بمملكة أبديّة* فبعث الملك خبراً إلى المرسلين أن يلبثوا في تلك الجزيرة وأمر أن يُقدَّم لهم كلّ لوازم العيشة إلى أن يأتي بنفسهِ إليهم* وبعد أيّام جاءَ هذا الملك إلى جزيرة ثانت وطلب أن يرى المرسلين. فاجتمع هولاء الرهبان وأتوا إلى الملك بزفاف محتفل حاملين أمامهم كَلِواء صليباً من فضّة ومترنّمين بأناشيد دينيّة. ولمّا مثُلوا أمام الملك أنذروهُ بكلمة الحيوة. فسمع لهم باصغاء وأباح لهم أن يكرزوا بين رعيّته. وعيّن له راتباً لقيام حياتهم الجسديّة. فشرعوا حينئذٍ بالانذار بانجيل يسوع المسيح. وكانوا منعكفين على الصوم والصلوة والسهر وسائر أعمال

التقشّف. وكانوا يجتمعون في كنيسة كان البرتانيّون قد بنوها على اسم مرتينُس وكانت قد تُركت. وهناك صاروا يقرّبون الذبيحة الإلهية ويخدمون الأسرار وينذرون بكلمة الله. فنجحت رسالتهم واهتدى الملك آثِلْبَرْت وجمّ غفير من أهل مملكتهِ إلى الايمان واعتمذوا* ولمّا رأَى اوغسطينُس تلك المبادئ الناجحة انطلق إلى بلاد غاليا ورُسِم هناك أسقفاً. ثمّ رجع إلى برتانيا وثبّت كرسيّ اسقفيّتهِ في مدينة كنتربَري فصار مار اوغسطينُس أول مطارين كنتربري* ثمّ انهُ أرسل اثنين من رفاقهِ إلى روميّة يخبران البابا غريغوريوس بنجاح أعمالهم ويطلبان منهُ فعلةً آخرين لأنّ الحصاد كان كثيراً والفعلة قليلين لا يكفون لهُ* فلمّا سمع البابا ذلك فرح فرحاً عظيماً وأرسل مع الرسولين رجالاً غيورين للانذار مع اوغسطينُس ورفاقهِ. وبعث معهم كلّ ما كان لازماً لزينة الكنائس ولخدمة الأسرار كالآنية المقدّسة والثياب الكهنوتيّة. وأمرهم أن لا يدكّوا هياكل الأوثان بل أن يطهّروها بالماء المبارك ويجعلوها كنائس للاله الحقّ* وكانت أعمالهم هناك لا تزال متقدّمة في سبل النجاح حتى انّ أصنام بلاد الانكليز دُكَّت بأجمعها وانتشرت ديانة يسوع المسيح بمعجزات باهرة. فكتب البابا غريغوريوس رسالةً إلى مار اوغسطينُس رئيس المنذرين فيها يهنّئهُ هو ورفاقهُ على النجاح الذي خوّلهم إيّاهُ الله. وأَرسل لمار اوغسطينُس طيلساناً (وهو الحلّة الأسقفيّة التي ينعم بها الحبر الأعظم على الأساقفة ذوي الفضل) وأباح لهُ أن يرسم اثني عشر أسقفاً ويكون هو مطراناً رئيساً عليهم*

وعمل هذا القديس كرامات كثيرة مختلفة من ذلك انّهُ ردّ البصر لأعمى أمام جميع الناس. وقضى حياتهُ في هذه الأعمال الرسليّة إلى أن توفّاهُ ربّنا يسوع المسيح في اليوم السادس والعشرين من شهر أيّار سنة ٦٠٤*

* اليوم الثامن والعشرون *

مار جرمانس أسقف باريس

إِنَّ هذا القديس وُلِد في مدينة اوتن. ولمّا كَبُرَ واصل عمَّا لهُ كان بارّاً تقيّاً وكانا كلاهما يسيران سيرة مقدّسة بالصلوة والصوم والتقشّف* ولسموّ فضائلهِ سامهُ مار اغرفّينُس شمّاساً انجيليّاً ثمّ قسّيساً وعمرهُ ثمان عشرة سنة. وبعد ذلك صار رئيساً في أحد الأديرة. وكان قدوةً للرهبان في الأعمال التقويّة. وكان جميع الناس يعتبرونهُ ويحترمونهُ كقدّيس* وكان لهُ رأفة عظيمة على الفقراء فكان يساعدهم من مؤُونات الدير. ولذلك كان الرهبان يتقمقمون عليهِ* وذات يوم أعطى كلّ ما كان في الدير للفقراء. فغضب الرهبان وقالوا لهُ: بما انّك مسرف بهذا المقدار لا تصلح أن تكون علينا رئيساً. فقال لهم: يا أولادي ثقوا بالعناية الإلهية فانها لا تنسانا أبداً* ثمّ انّهُ دخل قلاّيتهُ وشرع يصلّي. وفي الغد أرسلت إحدى السيّدات الكريمات عَربتين محمّلتين مؤونة

للدير. فتعجَّب الرهبان وصار لهم ثقةٌ بهِ* وذات يوم اشتعلت النار في مخزن الدير. ولو لم يتداركها القديس لاحترق الدير كلّهُ. فانّهُ حالما أُخبِر بهذه المصيبة جاء إلى الحريقة ورشّ عليها ماءً مباركاً قائلاً هلّلويا. وفي الحال انطفأَت النار* ومنحهُ الربّ هبة النبوّة فكان يتنبّأُ على أمور كثيرة مستقبلة* ويوماً ما إذ كان نائماً رأَى رجلاً ذا هيئة وقورة أعطاهُ مفاتيح أبواب مدينة باريس. فسأَلهُ القدّيس ما معنى ذلك. فقال لهُ الرجل: اعلم انّك أُعطِيت مفاتيح باريس لكي تتقلّد خلاص أهل هذه المدينة* وكان ذلك تنبيهاً على انهُ سيصير أسقفاً. فصحّ ذلك بعد زمان. لأنّهُ بعد موت أسقف باريس أُنتُخِب مار جرمانُس أسقفاً مكانهُ. فكان يقضي ليلهُ في الكنيسة بالمفاوضة مع الله في الصلوة وفي النهار كان يجتمع إليهِ الفقراء والسقماء وكلّ صنفٍ من المحتاجين مستمدّين عونهُ. وكان يجلس الفقراء معهُ على مائدتهِ* وكانت خطباتهُ ذات تأثير في النفوس حتى انّهُ بعد قليل من الزمان غيَّر مدينة باريس كلّ التغيير إذ أزال منها الأباطيل الدنيويّة والولائِم الغير المحتشمة والرقص والشقاق وكلّ نوع من العوائد الرديّة مكانها الفضائل* وهدى يوماً رجلاً يهوديّاً إلى الايمان المسيحيّ. امّا امراة هذا الرجل فلم تكن تشاء ان تتبعهُ بل قاومتهُ على ذلك. فعاقبها الله واعتراها الشيطان. وحينئذٍ وضع مار جرمانُس يدهُ على رأسها وطرد الشيطان من جسدها ومن نفسها. فعند ذلك اهتدت وتعمّذت مع كثيرين ممّن رأَوا هذه الكرامة*

وكان ملك فرنسا يثق بمار جرمانُس ويكرّمهُ. وبمشورتهِ بنى أديرة كثيرة. وكان يرسل إليهِ مقادير وافرة من الفضّة لمساعدة الفقراء* وكانت كراماتهُ كثيرة حتى انّ أدنى شيءٍ لهُ كان دواءً لاسقام مختلفة* وبعد ما قضى ثمانين سنة في الأعمال الصالحة وربح ليسوع المسيح نفوساً لا تُحصى أُوحِي إليهِ بساعة موتهِ. فعمل وصيّتهُ الأخيرة وتأَهَّب للرحيل. وكانت أسقامهُ تشتدّ إلى أن سلّم نفسهُ لله. وكان ذلك في نحو منتصف القرن السادس للتاريخ المسيحيّ*

* اليوم التاسع والعشرون *

مار مكسمينُس أسقف تراوس

إنَّ مار مكسِمينُس كان أحد الرعاة الذين أقامهم الله في أزمنة الاضطرابات لمحاماة كنيستهِ. فوُلد في مدينة بواتيارا من أعمال فرنسا من عائلة شريفة. وفي حداثتهِ تهذَّب عند مار اغريق اسقف تراوس الذي كان ذا صيت عالٍ من أجل مناقبهِ. وبعد أن تعلّم عندهُ واجبات الدرجات الكنسيّة رسمهُ هذا الأسقف قسّيساً*

وفي سنة ٣٣٢ صار مكسِمينُس أسقفاً على كرسيّ تراوس. ولمّا نُفي مار اثَناسيوس إلى تراوس أكرمهُ مكسِمينُس واعتبرهُ كمعترف مجيد ليسوع المسيح. ولم يكن شيءٌ أسعد وأحبّ لمار مكسِمينُس من أن يعيش

في مصاحبة رجل قدّيس مشتهر كما كان مار اثَناسيوس* ومدح مار اثَناسيوس مار مكسِمينُس في تصانيفهِ واثنى على نباهتهِ وغيرتهِ وشجاعتهِ وسائر مناقبهِ والهبة التي أعطاهُ إيَّاها الله بعمل المعجزات*

ولمّا نُفي أيضاً مار بولس بطريرك مدينة القسطنطينيَّة بأمر الملك قُسْطَنطيوس وجد في مدينة تراوس ملجأً ومحامياً غيوراً في مار مكسِمينُس الأسقف* ومنع مار مكسِمينُس بمشوراتهِ قُسْطَنط الملك من أن ينغشّ بدسائس الآريوسيّين. وكان ينتهز الفرص في كشف حيل هولاء الهراطقة ويسعى في توقيف مساعي شيعتهم* وصار هذا القدّيس من أعظم المحامين لايمان نيقيَّة في المجمع الذي التأَم في سرديقا سنة ٣٤٧*

وقيل انَّ مار مكسِمينُس تُوفّي في سنة ٣٤٩ في بلاد بواتو في فرنسا. وكان قد انطلق إلى هناك ليرى عيلتهُ. ودُفن بقرب مدينة بواتيارا. وبعد ذلك نُقِل جسدهُ إلى تراوس*

* اليوم الثلاثون *

مار فردينَنْدُس الثالث ملك كستِليا في اسبانيا

إنَّ هذا القدّيس وُلد في اسبانيا في أواخر القرن الثاني عشر من نسل الملوك. وأحسنت أمّهُ تربيتهُ في الفضيلة. وكان لهُ عبادة خصوصيّة للصليب المقدَّس* وكان فردينندُس رأُوفاً جدّاً على الفقراء

حتَّى انَّهُ كثيراً ما كان يترك اللعب ورفاقهُ الصبيان ويذهب إلى شبابيك القصر ليرى هل من فقراء واقفون. وكان يعطيهم فضَّةً وخبزاً* ولمّا صار عمرهُ ثماني عشرة سنة صار ملكاً على كستِليا. وكانت الملكة أمّهُ تمهّد لهُ سبل التصرّف في المُلك. وكان هذا الملك محبّاً لرعيّتهِ ويحبّهُ الجميع*

وفي ذلك الزمان كان جزءٌ من اسبانيا خاضعاً لسلطة المغاربة (وهم أقوام شمالي افريقا) فباشر هذا الملك تخليص بلادهِ من نير هولاء الأقوام الغير المؤْمنين. فسرَّح عليهم عساكرهُ سنة ١٢٢٥ ولم يفلّ عن محاربتهم حتَّى انتهاء حياتهِ. ونال عليهم غلبات كثيرة* وحينما كان يتواقف معهم في حومة الحرب كان يقول: أيّها الربّ يسوع المسيح يا فاحص القلوب أنت تعلم جيّداً انّي لستُ أريد الاَّ مجدك ولا أريد مجدي. ولستُ مبتغياً أن أوسّع مملكتي بل انتشار اسمك* وكان عسكرهُ مؤَلّفاً من جنود أبطال محاربين حقّاً عن يسوع المسيح* واتّخذوا مريم العذراء شفيعة لهم. وكانوا يحملون صورتها بظفرٍ كعربون حمايتها لهم وكان الله يمدّ هذا الملك بالعون لأَنَّهُ كان يقول دائماً الربّ عوني* وكان يوزّع صدقات كثيرة ويلبس مسحاً تحت ثيابهِ الملكيَّة* وكان حينما ينتصر على أعداء الايمان يشكر الله ويقول لقوَّاد جيوشهِ: يا أحبائي لا ننسبنَّ النصر إلينا إلى الله الذي يعيننا على أعدائهِ* وكان مطران مدينة تُلادة مرافقاً معسكر الملك للمحافظة على الأعمال الدينيَّة فيهِ. وكان الملك قدوةً للجميع بصومهِ وصلاتهِ واستقامتهِ. ومع انَّهُ

كان يصرف نفقةً جزيلة في حربهِ المديدة لم يثقّل الجزية على رعيّتهِ. وإذ قيل لهُ في ذلك. قال معاذ الله أن أثقّل على رعيّتي لأنّ العناية الإلهيّة تعينني بوسائل أخرى. وانّي أخاف من لعنة امرأةٍ فقيرة أكثر ممَّا أخاف من عسكر المغاربة* وقضى سني ملكهِ كلّها في أعمال الحرب. وبينما كان يوماً مهيّئاً غزوةً على افريقا على أعداء بلادهِ انتهت مدّتهُ وحانت منيّتهُ فاستعدّ للرحيل من هذه الدنيا. ولمّا أُتي إليهِ بسرّ القربان المقدّس جثا على ركبتيهِ ووضع حبلاً في عنقهِ إشارةً لخضوعهِ لملك الملوك. وأمسك صليباً في يدهِ وتناول جسد الربّ وتُوفّي في اليوم الثلاثين من شهر أيّار سنة ١٢٥٢ وعمرهُ ثلاث وخمسون سنة. ودُفن في مدينة سوِلاّ*

* اليوم الحادي والثلاثون *

القديسة بطرُنِلّة العذراء ابنة مار بطرس الرسول ـ القديسة انجَلَه أو ملاكة الماريقيَّة منشئة جماعة الأخوات الأُرسُليَّات

القديسة بطرُنلّة العذراء ابنة مار بطرس الرسول

إنّ القدّيسة بطرُنِلّة العذراء كانت ابنة مار بطرس الرسول الذي كان قد تزوَّج قبل أن دعاهُ ربّنا يسوع المسيح إلى تلمذتهِ.

ويُري في الإنجيل أنّ يسوع المسيح شفى حماة مار بطرس التي كانت مصابة بحمَّى. وكانت امرأَة مار بطرس تدعى بربَتْوَهْ (أي عائشة مؤَبّدة)* قال اقليميس الاسكندري أن بربَتْوه امرأَة مار بطرس استشهدت. وانّ مار بطرس حينما رآها تُقاد إلى العذاب والقتل تعزّى بذلك إلى الغاية* وقبلما اتّبع مار بطرس يسوع المسيح رزقهُ الله ابنةً وكان اسمها بطرُنلّة. فلمّا دخل في تلمذية السيّد المسيح انفصل عن امراتهِ وعاش في عفّة موبّدة. وكانت بطرُنِلّة حسينة جدّاً. ولئلاّ يسبّب لها جمالها كبرياء وافتخاراً فتخسر ثمرة فضيلتها في عنفوان صباها أرسل لها ربّنا يسوع المسيح سقماً عظيماً استمرَّ فيها زماناً طويلاً* وكان الناس يقولون لابيها مار بطرس لماذا لا تشفيها مع أن ظلّك يشفي المرضى إذا خيّم عليهم. وكيف أتت الشفوق على الآخرين تصير قاسياً هكذا على ابنتك وتتركها مقعدة في بيتك. فكان مار بطرس يجيبهم: انّ الأنفع لابنتي هو أن تبقى سقيمة هكذا وذلك لأجل خير نفسها لأنّ اسقام الجسد دأبها أن تمنع أسقام النفس. فلا تنسبوا بقاءَها في الفراش إلى عدم استطاعتي على مساعدتها بل إلى جزيل حبّي لها وإيثاري أن تكون كاملة بالأكثر* ثمّ انّهُ لكي يبيّن لهم صدق مقالتهِ التفت إلى ابنتهِ وقال لها: قومي يا بطرُنِلّة. فللوقت قامت الصبيَّة القدّيسة صحيحة وجعلت تخدم على المائدة. وبعد أن تغدَّوا أمرها أبوها أن ترجع إلى فراشها فعاد سقمها ولزمت الفراش كالأوّل*

وبعد سنين لمّا لم يبقَ عليها خطر السقوط في النقائص التي

يسوقها إليها صباها شُفيت أسقامها وصحَّت عللها وأُعطِيت القوّة في نفسها وجسدها وكانت تعمل كرامات عظيمة. وكثيرون من المرضى حصلوا على الشفاء بشفاعتها* وسمع أحد الأمراء الأشراف المدعوّ فلاقُّس عن جمالها وملاحة طباعها فعلق قلبهُ وأراد أن يتزوَّجها. فجاءَ بجندهِ وخدَمهِ وحشمهِ إلى بيت بطرُنلّة وعرض عليها نيّتهُ. فقالت لهُ بطرُنلّة: يا فلاقُّس علامَ أتيت على هذه الصورة مرافقاً بجندك وخَدَمك وحَشَمك إلى فتاة ضعيفة وحيدة. هل قصدت بذلك أن تفزعني. فاعلم أنّ إرادة النساء لا تُنال بقوّة الأسلحة ولا بالتخويف ولكن بالطلبة والاحسانات. فان أردت أن أكون لك امرأَة فدعني أتهيَّأْ ثلاثة أيام وبعدها أرسل إليَّ جواري ونساء بمقدار ما يناسب شرفك لكي يأخذنَني إلى بيتك* فاعجب فلاقُّس هذا الجواب وأجابها إلى ذلك. ولكنّ القدّيسة التي كانت قد نذرت بتوليّتها ليسوع المسيح قضت هذه الأيّام الثلاثة في الصوم والصلوة مبتهلةً إلى سيّدنا يسوع المسيح أن يخلّصها وأن لا يسمح أن تخسر بتوليّتها المخصَّصة لهُ* ولمّا كان اليوم الثالث جاءَ إلى بيتها كاهن قدّيس يدعى نِقوماديوس وقدّس فيهِ وناولها سرّ القربان المقدّس. وبعد ما تناولت جسد الربّ اضّجعت في فراشها وسلّمت نفسها إلى الله* وأتى في ذلك اليوم الجواري والسيّدات اللّواتي أرسلهنّ فلاقُّس ليأخذنَ بطرُنِلّة إلى بيتهِ. فلمّا دخلنَ إلى بيتها وجدنَها مائتة. وهكذا عوض زفَّة العرس صار تشييع جنازتها باحتفال عظيم* وكان وفاتها في اليوم الأخير من

شهر أيّار* ودُفِن جسد القدّيسة بطرُنلّة. وبعد ذلك نُقِل إلى كنيسة أبيها مار بطرس رئيس الرسل*

القدّيسة انجَلَه أو ملاكة الماريقيّة العذراء منشئة الأخوات الأُرسُليَّات

انّ القدّيسة انجَلَه أو ملاكة العذراء وُلِدت سنة ١٤٧٤ في قرية دَسَّنزانو في ايطاليا. وأحسن أبوها تربيتها في خوف الله لأنَّهُ كان رجلاً محبّ التقوى ومجتهداً في تعليم أولادهِ الواجبات الدينيّة وكان يقرأ لهم سيرة القدّيسين مريداً بذلك أن يطبع أمثالهم العجيبة في قلوب أولادهِ منذ حداثتهم*

ولمّا صار عمر انجَله خمس سنين شرعت تقتدي بالقدّيسين الذين كانت تسمع قصص أعمالهم من أبيها. ولكي تتشبّه بهم كانت تحرم نفسها أحياناً من الطعام وتهرب من اللعب وتنفرد للصلوة مع أختها البكر في حجرةٍ في البيت. ولمّا صار عمرها خمس عشرة سنة مات أبوها* وبعد زمان قليل ماتت أختها البكر التي هدت أوّل خطواتها في سبيل الفضيلة فكانت انجَله تصلّي دائماً لأجل راحة نفس أبيها ونفس أختها. وذات يوم إذ كانت تصلّي لأجلهما رافعةً عينيها إلى السماء مستمدّة لهما الرحمة الإلهية شاهدت نوراً سماويّاً أسطع من نور الشمس وفيهِ كان ملائكة وقدّيسون كثيرون وامام الجميع كانت مريم العذراء

والدة الله الطوباويّة. فاحدقت انجَله فيهم فشاهدت اختها البكر في زمرة العذارى وسمعتها تقول لها: يا أُختي انجَله إذا استمرّيتِ ثابتةً في الأعمال الصالحة فستتمتَّعين في هذا المجد الذي ترينهُ فينا*

وحيث كانت القدّيسة انجَلة قد فقدت امّها أيضاً التزمت ان تنطلق إلى أحد أعمامها في مدينة سالو وبقيت عندهُ خمس سنين وكانت منعكفة على الأعمال التقويّة ولا سيّما الصوم* وفي ذلك الزمان اعلمها ربّنا يسوع المسيح برؤْيا الغاية التي كانت لهُ فيها فانّها شاهدت سلّماً نازلةً من السماء صاعدة عليها عذارى لابسات ثياباً بيضاً ومكلّلات الرؤُوس بتيجان جميلة ومعهنّ ملائكةٌ كثيرون مترنّمين بأناشيد لذيذة إلى الغاية. فانبهرت القديسة انجَله حتى انها غابت عن صوابها لِمَا عاينت من المجد ولِمَا سمعت من النغمات. وشاهدت القدّيسة أُرسُلة التي كانت أمام جميع العذارى تقول لها: اعلمي يا انجَلة بانّ الله يفهّمكِ بهذه الرؤْيا بانّكِ قبل أن تموتي يجب أن تنشئ في مدينة برشّيا جماعةَ من العذارى شبيهة بجماعتي هذه. وبعد أن قالت لها هذه الكلمات غابت هي ومن معها* امّا القديسة انجَلة فقبل أن تنطلق إلى مدينة برشّيا لمباشرة هذا العمل بقيت عشرين سنة في دَسَّنزانو صارفةً حياتها في الشغل والصلوة* ودخلت في الرهبنة الثالثة لمار فرنسيس. ولجزيل تقواها كان الناس يكرمونها ويحترمونها ويدعونها قدّيسة*

ولمّا صار عمرها خمسين سنة وكان ذلك سنة ١٥٢٤ نَوَت أن تحجّ إلى أورشليم فانطلقت مع بعض من أقاربها إلى الأرض المقدّسة

وزارتها بعبادة* وفي سنة ١٥٢٥ انطلقت إلى روميّة لتزور ضريحَي الرسولَين بطرس وبولس. وهناك تواجهت مع البابا اقليميس السابع وتفاوضت معهُ مفاوضات روحيّة. ثمّ رجعت إلى مدينة برشّيا وشرعت في مباشرة العمل الذي كلّمتها عنهُ القديسة أُرسُلة. فجمعت أوّلاً اثنتَي عشرة من الفتيات التقيَّات وكانت ترشدهنَّ إلى السبل الخلاصيَّة وكان ذلك سنة ١٥٣٢. غير انّها لم يكن لها شجاعة على تكميل هذا العمل. فظهرت لها القديسة أُرسُلة وشجّعتها وأمرتها أن تسرع بانشاء جماعة من الأخوات تشبه جماعتها وتسمّي الجماعة باسمها. وكان ذلك سنة ١٥٣٤ في الزمان الذي فيهِ كان مار اغناطيوس يؤَسّس جماعة اليسوعيّين. ومن ثمّ أخذت القديسة انجَلة تسعى في انشاء أخويتها* وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٥٣٥ كمل إنشاء أخويّة القديسة أُرسُلة. فجمعت القديسة انجَلة تلميذاتها الأوليات الاثنتَي عشرة ومعهنَّ خمس عشرة فتاة كنَّ قد انضممنَ إليهنَّ ورتَّبت معهنّ السيرة التي يجب أن يسرنَ بها. وصارت القدّيسة انجَلة رئيسةً عليهنّ* وكانت هذه الجماعة تزداد يوماً فيوماً. واثمرت أثماراً كثيرة فانّ الأخوات الأُرسُليّات كنَّ يتكلّفنَ تهذيب الصبايا ومداراة المرضى ومساعدة جميع المحتاجين*

وبعد ما كمّلت القديسة انجَلة هذا العمل وصار عمرها ستّاً وستّين سنة وذلك سنة ١٥٤٠ حان الزمان السعيد الذي فيهِ أراد الله أن يجازيها فوقعت مريضةً. وأوحى إليها ربّنا يسوع المسيح بقرب موتها فجمعت أخوات جماعتها وتوادعت معهنَّ وأوصتهنَّ بحفظ المحبّة وسائر

الفضائل. وفي اليوم السابع والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٥٤٠ سلّمت نفسها لله وعمرها ستّ وستون سنة* وفي حين موتها تراءَى نجم ساطع في البهاء على البيت الذي كان جسدها فيهِ ثمَّ دُفنت باحتفال عظيم وزيَّنها الله بكرامات باهرة في حياتها وبعد موتها*

* انتهى شهر أيّار *

* شهر حزيران *

* اليوم الأول *

مار يُستينُس الفيلسوف الشهيد ـ جهاد الشهداء مار فوثينُس الأسقف ومار سانكتُس ومار عطّال والقدّيسة بلَندينَهْ والشهداء الآخر في مدينة ليون

مار يُستينُس الفيلسوف الشهيد

قال مار هيرونِمُس إنّ مار يُستينُس وُلِد في نابُلس مدينة في فلّسطين. وفي صباهُ تولَّع في العلوم الدينويّة وتعلّم جيّداً الشعر والفلسفة والتواريخ. وكان يفتّش باجتهاد على الحقّ الإلهي. وكان يتعمَّق في درس الفلسفة راجياً بذلك أن يطّلع عليهِ. ولمّا لم ينل بغيتهُ في كتب فيثاغور وغيرهِ من الفلاسفة القدماء تركها وانصبّ على مطالعة كتب افلاطون الفيلسوف لأنّها بانت لهُ احكم من غيرها* وذات يوم إذ كان يُستينُس وغائصاً في التأَمّل في الأشياء الغير المنظورة والإلهية ظهر لهُ شيخ ذو هيبة ووقار وشرع يخاطبهُ في علم

الفلسفة. فقال لهُ يُستينُس: انّي ملازم علم الفلسفة راجياً بهِ معرفة الله الحقّ. واظنّ أنّ فلسفة افلاطون هي التي وحدها تقدر أن تهديني إلى ذلك* فقال الشيخ كلاّ ثمّ كلاّ. انّك لضالٌّ لأنّ فيثاغور وافلاطون المعتبرة فلسفتهما قد ضلاّهما نفسهما عن الحقّ لأنّهما لم يعرفا لا الطبيعة الإلهية ولا النفس الإنسانيّة. فكيف يقدران أن يعلِّما في كتبهما الشيء الذي هما جهلاهُ* فقال يُستينُس فمن يعلّمني إذاً الحقّ والطريق المستقيم. قال الشيخ قبلما وُجِد فلاسفتك بزمان مديد وُجِد في العالم أناس أبرار أخلّة لله ملّهمين من روحهِ وهم الذين يقال لهم أنبياء من أجل أنّهم نطقوا بأشياء مستقبلة وصحَّت حقيقتها بعد ذلك. وكتبهم هي عندنا وتتضمَّن إشارات في معرفة العلّة الأولى لجميع الكائنات والعلّة الأخيرة لها أيضاً فافهم جيّداً. فان أردت معرفة هذا الاله الحقّ فاطلب إليهِ بحرارة أن يفتح أمامك أبواب الحيوة. لأنّ الأشياء التي كلّمتُك عنها لا تقدر أن تفهمها ان لم يُعطِك الله الفهم. وبعد ما قال الشيخ هذه الكلمات توارى عن يُستينُس* فحرّكت أقوال الشيخ قلب يُستينُس الفيلسوف وشوّقتهُ إلى درس كتب الأنبياء. فشرع من ثمَّ يهذّ بها نهاراً وليلاً. فانارهُ الله وأرشدهُ إلى معرفتهِ. فتأكّد عند يُستينُس انّ ايمان النصارى حقّ لا يشوبهُ ريب. والذي زادهُ فيهِ تمكيناً هو انّهُ كان يرى المسيحيّين صبورين على احتمال كلّ نوع من التعاذيب لأجل دينهم ويحتقرون الأشياء الأرضيّة راجين الحيوة الأبديّة* وهاك ما قالهُ هو عن نفسهِ في ذلك: انّي إذ رأَيتُ العذابات الشديدة

المختلفة التي يحتملها المسيحيُّون وانّهم يجرون مسرعين إلى الموت لأجل دينهم استنتجتُ من ذلك انهُ لا يمكن انّ أناساً مثل هولاء يكونون متورّطين وجاهلين الحقّ. انتهى* وهكذا اهتدى هذا الفيلسوف الافلاطونيّ إلى يسوع المسيح وصار فيلسوفاً مسيحيّاً وتلميذاً للحقّ* وقيل انّ يُستينُس كان عمرهُ ثلاثين سنة حين تعمّذ* وبعد اهتدائهِ استمرّ لابساً طيلسان الفلاسفة (وهو حلّة الشرف التي يلبسها الفلاسفة الماهرون)* وكان مار يُستينُس سالكاً في سيرة مستقيمة. ثمّ انّهُ صنّف كتاباً يبرهن فيهِ للوثنيّين على حقيقة الأسباب التي اهتدى بها إلى الديانة النصرانيّة ويفنّد أضاليلهم* وانطلق إلى رومية وأقام فيها زماناً طويلاً يرشد كلّ من كان يسترشدهُ ويسعى في اقناع اليهود والوثنيّين أن يهتدوا إلى طريق الحقّ. ولم يكتفِ بذلك بل أخذ قلمهُ وشرع يحامي بهِ الديانة الكاثُليكيَّة من هرطقة مرقيُّون المبتدع* وفي عهد انطونينُس الملك خليفة ادريانُس ثار اضطهادٌ عظيم على النصارى من الوثنيّين. فصنَّف مار يُستينُس كتاباً عجيباً لمحاماة الديانة المسيحيّة وذلك في سنة ١٥٠. وقدّمهُ إلى انطونينُس الملك. وفيهِ يبرّر النصارى من جميع التهم التي كان الوثنيُّون واليهود يفترون بها عليهم. ويفهّمهُ انّ النصارى بطهارة سيرتهم وايمانهم يؤْثرون الموت على جحود ديانتهم لأنّهم موقنون انّ الله يقيمهم بيسوع المسيح. وهم مثل كرم غرستهُ يد الله ولا يزال يثمر ما بين الاضطهادات* فاقتنع انطونينُس الملك ببراهين يُستينُس وأبرز أمراً في آسيا بأن لا يُشتَكى على أحدٍ من النصارى من

أجل ديانتهِ. فهدأَ الاضطهاد* ولكن بعدما مات انطونينُس الذي كان حسن التدبير ورأُوفاً على المملكة وتخلّف بعدهُ مرقس اوراليوس ولوقيوس وارُس ثار اضطهاد جديد على النصارى. فالتزم مار يُستينُس أن يصنّف كتاباً آخر لمحاماة الديانة وتبرِيَة النصارى. وقدّمهُ إلى الملكَين المذكورَين وفيهِ يوضّح لهما القساوة التي كان الولاة يعاملون بها النصارى. ويقول في آخر كتابهِ: اني لمتيقّنٌ انّ هذا عملي سيكون ثمن حياتي فانّي من أجلهِ سأكون ذبيحةً للديانة التي تقلّدتُ محاماتها* فاغتاظ الوثنيُّون من محاماة يُستينُس الفيلسوف للنصارى وجزموا على قتلهِ. وبعد زمان قليل ادركوا ثارهم منهُ إذ أمسكوهُ مع بعض من المسيحيّين وأتوا بهم أمام رُسطيقُس والي رومية. فقال ليُستينُس اطِع الآلهة ولا تعصُ أوامر الملوك. فقال يُستينُس ليس لك أن تعذل أو تعاقب من يطيع أوامر يسوع المسيح مخلّصنا ان كنت عادلاً والاّ فأنت ظلوم. قال رُسطيقُس في أيّ علم أنت متولّع. قال يُستينُس لقد اختبرتُ كلّ العلوم ولم أَرَ الحقّ في واحد منها. وأخيراً تولّعتُ في فلسفة النصارى. قال رُسطيقُس أيّها الشقيّ أَتقرّ بتعليم النصارى. قال يُستينُس أي نعم أقرّ وذلك مجدٌ لي لأنّهُ يدلّني على طريق الهدى والفضيلة. قال رُسطيقُس وما هي عقائد الديانة النصرانيّة. فقال يُستينُس نحن المسيحيّين نؤْمن باله واحد خالق السماء والأرض وكلّ ما فيهما. ونعترف بربّنا يسوع المسيح ابن الله الذي أخبر عنهُ الأنبياء من قديم الزمان وهو مبدع الخلاص وديّان جميع البشر* قال رُسطيقُس أَوَانت مسيحيّ. قال يُستينُس أي نعم أنا

مسيحيّ* فالتفت برُسطيقُس إلى النصارى الذين كانوا مع يُستينُس وهم خَريطون وأَوِلبسطا وهيراخ وفآؤُن وليبَريانُس وامرأَة اسمها خَريطينة. وقال لهم: أَوَأنتم أيضاً مسيحيُّون. فقالوا جميعاً أي نعم نحن مسيحيُّون. فعند ذلك أمر بجلدهم وبقطع رؤُوسهم. وهكذا تمّ استشهاد يُستينُس ورفقاؤُهُ سنة ١٦٧. وخلّف الشهيد يُستينُس المعلّم الفيلسوف كتباً كثيرة في محاماة الديانة المسيحيّة ودحض أضاليل الوثنيّين واليهود والهراطقة. وهي معتبرة جدّاً في خزانة الكنيسة المقدّسة*

جهاد الشهداء مار فوثينُس الأسقف ومار سانْكتُس ومار عطّال والقدّيسة بلَنْدينة والشهداء الاخر في مدينة ليون

إنّ هولاء الشهداء كانوا من بلاد غاليا (وهي فرنسا القديمة) وإذ كانوا يعترفون بايمان المسيح قبض عليهم الوثنيّون وأذاقوهم عذابات شديدة متنوّعة. وكان من جملتهم فوثينُس أسقف ليون وكان شيخاً ضعيفاً سقيماً وذا شوق عظيم للاستشهاد من أجل يسوع المسيح. فأَتوا بهِ أمام القاضي ليستنطقهُ. فسأَلهُ القاضي من هو هذا إله النصارى. فقال فوثينُس أنت لستَ مستحقّاً أن تعرفهُ. فضربوهُ وأهانوهُ ثمَّ ألقوهُ في السجن. وبما انّهُ لم يبقَ لهُ سوى نسمة واحدة من الحيوة لشيخوختهِ وضعفهِ والقتلة التي أصابتهُ مات بعد يومين في الحبس*

وامّا مار سَانْكتُس فكان شمّاساً. وأصابهُ عذابات لا توصف

فاحتملها بصبر جميل. ولكلّ سؤَال كانوا يسأَلونهُ كان يجيبهم فقط أنا مسيحيّ. ولم يقدروا أن يسمعوا منهُ جواباً آخر. وأخيراً أحرقوا جوارحهُ بصفائح من نحاس محميّة بالنار ثمّ طرحوهُ في السجن*

وامّا مار عطّال فكان رجلاً شريفاً مشهوراً بقداسة سيرتهِ وبغيرتهِ على محاماة الايمان. فبعد أن عذّبوهُ مع الشهداء طرحوهُ أيضاً في السجن*

وامَّا القدّيسة بلَندينة فكانت نحيفة القوام. ولمّا دخلت في حومة الجهاد اظهرت شجاعةً عظيمة لأنَّ النعمة الإلهيّة قوَّتها على احتمال التعاذيب الشديدة التي كان الجلاَّدون يعذّبونها بها من الصباح إلى المساء. وكانت كلّما زاد تعذيبها اشتدّت قوَّتها. وكانت تصرخ بصوتٍ عالٍ أنا مسيحيَّة* وكان مع هولاء الشهداء شهداء آخر كثيرون يحتملون معهم بتجلّد كلّ نوع من العذابات القاسية. وكانت نعمة ربنا يسوع المسيح وصبر الشهداء الجميل وشجاعتهم تخزي المضطهدين وتغيظهم* ولمّا لم يقدر الوالي أن يستميل هولاء جنود يسوع المسيح الأبطال إلى عبادة الآلهة الباطلة قضى عليهم بالموت. وعيّن يوماً لاجراء أمرهِ فيهم* ولمّا حان ذلك اليوم اجتمع الوثنيّون ليتفرَّجوا على أنواع ميتتهم. فاخرج الجنود مار سانْكتُس ومار عطّال والقدّيسة بلَنْدينة من السجن وأتوا بهم إلى الميدان المعيّن لقتلهم. وكان الميدان ممتلئاً من المتفرّجين فدخل فيهِ الشهداء كجنود أبطال مزمعين أن ينالوا جزاء ظفرهم* فبعد ما جلدوهم عرضوهم أمام الوحوش الضارية لتفترسهم. وكان كلّ واحدٍ

من المتفرّجين يصيح على الجلاّدين قائلاً: لا تعذّبوهم هكذا بل هكذا. وهذا العذاب لا يسرّنا بل هذا* وأخيراً اتّفقوا على أن يجلسوهم على كرسيّ من حديد محمّر بالنار. فلمّا أذاقوهم هذا العذاب تصاعد دخان حريقهم في الميدان وفاحت رائحة أجسادهم الشائطة* وكان مار سانْكتُس لا يبرح صارخاً أنا مسيحيّ. فوثب عليهِ الجلاَّدون وذبحوهُ هو ورفيقاً لهُ يُدعى ماتُورُس. ثمَّ أتوا بالقدّيسة بلَندينة وربطوها في خشبة ووضعوها أمام الوحوش فلم تمسّها. ثمَّ حلّوها وارجعوها إلى الحبس وابقوها إلى يوم آخر*

وبعد ذلك أتوا بمار عطّال وطافوا بهِ في الميدان وأمامهُ رقعة مكتوب فيها: ها هوذا عطّال المسيحيّ. ولكن لمّا علم القاضي بانَّهُ كان روميّاً أرسلهُ إلى الحبس. وكتب رسالةً على الملك يطلب أوامرهُ عن مار عطّال ورفاقهِ المحبوسين*

وبعد زمان جاءَت أوامر الملك بالموت على مَن كان من المسيحيّين المحبوسين يستمرّ في ايمانهِ. فعمل القاضي عيداً محتفلاً ودعا جمّاً غفيراً من الوثنيّين أصحابهُ لينظروا عاقبة الشهداء. فأرسل وأتى بهم من السجن وأقامهم أمام منبرهِ وأخذ يمتحنهم. ولمّا رآهم غير متزعزعين أمر بقطع راس مَن كان روميّاً. وامَّا الباقون فعرضهم للوحوش. فقطعوا رأس مار عطّال مع بعض من رفاقهِ* وأمَّا القدّيسة بلَنْدينة فأخذوها إلى الميدان مع فتىً مسيحيّ اسمهُ فنطيقُس وعمرهُ خمس عشر سنة وكانا كلاهما قد عاينا جهاد الشهداء في العذاب والموت. وكان الواحد يشجّع الآخر.

وأخيراً مات فنطيقُس فيما بين تلك العذابات. وبقيت القدّيسة بلَندينة الأخيرة بين الشهداء في الحيوة. وكانت تنتظر ساعة وصالها مع رفاقها في المجد* وبعدما جُلدت ومزَّقت الوحوش جسمها اجلسوها على كرسيّ من حديد محمّر بالنار. ثمَّ لفّوها بشبكةٍ ووضعوها أمام بقرة متوحّشة هائجة. فكانت البقرة تأخذها بقرينها وترميها في الجوّ. وبعد أن تعذّبت زماناً طويلاً تمَّ استشهادها بذبحها* ولم يكتفِ أولئك الوثنيّون القساة بتعذيب الشهداء وقتلهم بل واصلوا لهم اضطهادهم أيضاً حتَّى بعد موتهم. فطرحوا منهم أجساد المائتين في الحبس للكلاب. وامَّا أجساد الشهداء الذين ماتوا في العذابات المختلفة فجمعوا أعضاءَها المتفاضلة وجعلوها في مكان معيّن عرضةً لحقارة المارّين. ووضعوا جنوداً يحرسونها لئلاَّ يأخذها المسيحيّون ويدفنوها. وكان المارّون يشتمونها ويقولون اين هو اله هولاء الأغبياء. ماذا نفعتهم ديانتهم التي آثروها على الحيوة. وبعدما بقيت هكذا ستّة أيّام أحرقوها بالنار والقوا رمادها في نهر رون* وكان عدد الشهداء الذين استشهدوا حينئذٍ في ليون لا يُحصى فانَّ مار اوخار الذي كان يسوس ليون في القرن الخامس دعاهم قوم الشهداء. وكان استشهادهم في سنة ١٧٧*

* اليوم الثاني *

الطوباويَّة بَبِتْستَه أو معمذانة الوارانيّة الراهبة من رهبنة القديسة كلارة ـ استشهاد صادوق ورفاقهِ الرهبان الدومنكيين في مدينة صندُمير

الطوباويَّة ببتستَهْ أو معمذانة الوارانية الراهبة من رهبنة القديسة كلاره

انّ امراء بيت واراني جدود الطوباويّة بَبِتْستَه أو معمذانة كانوا مستولين زماناً طويلاً على مدينة قَمَرينو من البلاد الرومانيّة. وفي سنة ١٤٣٣ صار شقاق عظيم وثارت فتنة في تلك البلاد وبسبب ذلك طُرِدوا من ولايتهم وبقوا عشر سنين في النفي. وأخيراً لم يسلَم من هذه العشيرة الشريفة سوى أخوين وهما رودُلف ويوليوس قيصر. اما رودُلف فارجعهُ ابناء وطنهِ إلى قصر آبائهِ واستعاد ولايتهُ. وامّا يوليوس قيصر فصار امير جيوش الكرسيّ الرسوليّ في عهد الباباوَين نيقُلاوس الخامس وسيكستُس الرابع. وكان رجلاً ذا بأس وقوّة وشجاعاً في الحرب* وبعد موت رودُلف ورث يوليوس قيصر أخوهُ ولايتهُ على مدينة قَمَرينو* وفي عهدهِ ازهرت المدينة لأنَّهُ عمَّر الكنائس وأحاط المدينة بالأسوار وحصّن القلاع. ثمّ تزوَّج بابنة من بنات أشراف مدينة ريمينى اسمها

حنّة مَلاتَستَه. ومن هذا الزواج وُلِدَت الطوباويّة بَبِنْستَه أو معمذانة الوارانيّة وذلك في اليوم التاسع من شهر نيسان سنة ١٤٥٨*

وفي عماذها سُمّيت كَمِلّة. واما اسم بَبتستَه أو معمذانة فدُعيت بهِ عند دخولها الرهبنة* ولمّا صار عمرها عشر سنين سمعت خطبةً في آلام ربّنا يسوع المسيح فاثَّرت في قلبها كلّ التأثير حتى انّها لم تنسَها أبداً. وحكت فيما بعد لذلك الواعظ الذي صار مرشد نفسها كيف كانت تشعرُ في وقت عظتهِ. قالت: يوم جمعة الحاش أتيتُ إلى الكنيسة لاستمع عظتك فتعجّبتُ من الأقوال السامية التي كنت تنطق بها. وكان يبان لي انّ القصَّة التي كنت تحكيها في آلام المسيح انّها تصير أمامي بالعيان. وحينما كنتَ ترينا يسوع أمام هيرودِس كان قلبي يرقّ برأفة عليهِ حتى انّي قلتُ لله: يا الهي اجعل يسوع ان يبرّي نفسهُ أمام هيرودِس لكي لا يحكم عليهِ بالموت* وحينما كنتُ اسمعك تقول عن سكوت فادينا. كنتُ اغتمّ وأقول في قلبي: علامَ يسكت. وبهذا كان يبان لي انّهُ يريد الموت اختياريّاً* وفي آخر عظتك يا أبي كنتَ تحرّكنا ان نبكي على يسوع ونطبع أوجاعهُ في قلوبنا قائلاً: يا أخوتي في كلّ جمعة تامّلوا تامّلاً وجيزاً في آلام مخلّصنا وقدّموا دموعكم لمحبّتهِ فانّ ذلك مُرْضٍ لله أكثر من سائر الأعمال الصالحة. وبالحقيقة يا أبي كنتُ موقنةً انّ الروح القدس هو الذي كان يُلهمك بهذه الأقوال لانّني مع صغر سنّي كان قلبي يشعر جيّداً بأوجاع يسوع وكانت تنطبع فيهِ بنوع لا يمَّحي. وبعد ذلك كانت أقوالك تتردَّد

في بالي واتامّل فيها بشوق عظيم. ومذ ذلك اليوم نذرتُ أن أصرف كلّ جمعة في التأمّل في آلام يسوع المسيح وأقدّم لهُ دموعي حسبما اوصيتنا. فهذه يا أبي كانت بداية سيرتي الروحيّة. انتهى*

وكانت هذه الطوباويَّة حافظةً هذا النذر في كلّ جمعة وتسكب دموعاً غزيرة على آلام فادينا. وكانت تتأَمّل فيها بشوق وكان غرامها في هذا التأمُّل الآلاميّ يزداد شيئاً فشيئاً حتَّى صارت تستعملهُ كلّ يوم* وكانت تنقطع على الخبز والماء ثلاث مرَّات في الأسبوع وتجلد نفسها اقتراناً مع يسوع المسيح وتقوم في الليل لتصلّي مسبحة الورديّة اكراماً لسيّدتنا مريم العذراء*

وكانت الطوباويَّة ببتستة في صباها بديعة الجمال ذات محاسن رائقة وشمائل فائقة. ولمّا صار عمرها تسع عشرة سنة ١٤٧٧ سمعت صوتاً يقول لها: ان أردتِ أن تخلصي فاهجري الدنيا وصيري راهبة. فاثَّر هذا الصوت في قلبها ولكنّها كانت تستصعب ترك قصر أبيها وأهلها ومعارفها وشرفها من أجل العيشة في الدير. ولذلك كانت تقاوم هذه الدعوة. وكان ربّنا يسوع المسيح يقول لها أحياناً أنا هو غاية أشواقكِ وأدعوكِ إليَّ وأنتِ تصرفين مسامعكِ عنّي وتقاومين محبّتي. أتريدين أن تبقَي في العالم اذهبي ولكنّي انبّهكِ انّكِ ستُحرَمين من غاية أشواقكِ* وكان في نفسها حرب متواثرة. لأنَّها تارةً كانت تميل إلى الرهبنة وتارةً إلى البقاء في الدنيا* وبعد سنة كاملة غلبت النعمة الإلهيَّة قلبها فعزمت أن تطيع الله وتسلّم نفسها إليهِ بدخولها الرهبنة.

فعرضت عزمها على أبيها فلم يسمح لها بذلك لأنَّهُ كان يحبّها ويريد أن يزوّجها. ومانعها بتمليقاتهِ ومواعيدهِ مدّة سنتين. ولم يقدر أن يغيّرها عن عزمها. وبسبب ذلك اعترتها أسقام كثيرة وبقيت طريحة الفراش مدّة ثلاث عشرة سنة واحتملتها بصبر اقتراناً مع أوجاع مخلّصها الإلهي. وكانت تقول لهُ: يا يسوع الحلو ارغب إليك أن تُظهر لي ذاتك لكي أراك فاتعزَّى لأنَّك وحدك حياتي ورجائي ومحبّتي. فاستجاب الربّ طلبتها وظهر لها وعزّاها* وبعد ذلك التزم أبوها أن يتركها على حرّيتها كرهاً منهُ وقال لها: يا ابنتي أنا مُجبَر أن أترككِ للربّ لأنّي أخاف من غضبهِ عليَّ ولولا ذلك لمّا رضيتُ أبداً بدخولكِ الرهبنة*

وفي شهر تشرين الثاني سنة ١٤٨١ انطلقت بَبِتْستَه إلى مدينة أُربينو وهناك في دير لبست ثياب رهبنة القدّيسة كلاره. وبعدما قضت سنتين في الابتداء نذرت نذورها الاحتفالية سنة ١٤٨٣ ثمّ رجعت إلى مدينة قَمَرينو في اليوم الرابع من شهر كانون الثاني سنة ١٤٨٤*

وفي ذلك الزمان أراد ربّنا يسوع المسيح أن يجازيها على الأحزان التي كابدتها من أجلهِ في أوجاعها. ففهّمها شدّة المرارة التي قاساها في آلامهِ. وأراها بحر أوجاعهِ التي كانت أمواجهُ تغرّق قلبهُ الحزين في بستان الزيتون. وأذاقها شيئاً من مرارة هذا البحر الأليم* وكتبت هي بنفسها إلى معلّم اعترافها عن ما حكاهُ لها معلّمها الإلهيّ عن آلامهِ. وقصّة ذلك عجيبةٌ وهي تبيّن لنا جزيل المحبّة الغير المتناهية التي يحبّنا

بها مخلّصنا العزيز. ولذلك استصوبنا أن نشرحها هنا.

قال ربّنا يسوع المسيح للطوباويّة بَبتسته: اعلمي يا ابنتي انّ الأوجاع التي كابدتُها في آلامي كانت عظيمة وكثيرة ولكن فيها كان وجع واحد أشدّ على قلبي من الجميع: وهو انّي كنتُ افتكر بانّي راس لجسد ذي أعضاء لا تحصى وهم المسيحيُّون الحاضرون والمستقبلون قاطبةً. وانّ هذه الأعضاء كلّها مؤَلّمة بالخطيّة المميتة الاّ القليل منها جدّاً وهي كلّها تؤَلِّمني. فمنها ما يُشفى بالأَدوية وهم الخطاة التائبون ومنها ما لا يُشفى أبداً. ولذلك يجب أن يُقطَع منّي ويبقى مفصولاً عنّي إلى الأبد وهم الخطاة المصرُّون على خطاياهم ويهلكوا في جهنَّم إلى الأبد. فهذا كان أعظم وجع يحصر قلبي ولا أحد في العالم يقدر أن يفهمهُ الاّ أنا فقط. وان أردتِ أن تفهمي شيئاً من ذلك فهاكِ مثلاً: لنفرضنَّ أنّ لكِ ألف عين وألف رجل وألف يد وهكذا يكون عدد أعضائكِ الأُخر وان يكون كلٌّ من هذه الأعضاء مبتلىً بسقم خصوصيّ بل كلّها مقرّحة وجائفة. فكم كنتِ تتألّمين من جراها سيَّما إذا جاءَ الجرّاح وعالجها وحكم بقطع التي لا تُشفَى منها. أفما كنتِ تموتين من أَلم عضو واحد منها. فهكذا كان وجع قلبي عندما أتأمّل أنّ أعضائي ليست ألفاً وألفين بل ألوفاً ألوفاً وربواتٍ ربواتٍ لا بل انها لا تحصى واغلبها هذه الحال حالها. وبالنتيجة بما انّهُ لا يوجد أحد يقدر ان يصف هذه الأوجاع هكذا أيضاً لا يوجد أحد يقدر أن يفهم كم أَلّمت قلبي*

وقال أيضاً فادينا الالهي لهذه الطوباويّة: اسمعي يا ابنتي وجعاً

آخر كان يعذّب قلبي في آلامي: اني كلّ مرّة كنتُ افتكر في الحزن الذي كان يصيب امّي الزكيّة الطاهرة مريم من جرى آلامي وموتي كان قلبي يتفتّت عليها لأنهُ لم يتوجَّع أحد عليَّ في آلامي مثلما توجَّعت هي عليَّ. ولم أحسّ بوجع في حياتي الآلاميّة الاّ واحسّت بهِ معي. وهكذا هي كانت تتوجَّع عليَّ وأنا كنتُ أتوجَّع عليها. فيحقّ لها أن تكون الآن ممجَّدة معي في السماء أكثر من جميع الخلائق العلويّة والسفليّة. لأنَّهُ كما لم يوجد في العالم من تألّم من أجلي بمقدار ما تألّمت أمّي هكذا لا يوجد من يساويها في مجدها إذ لا يعوزها شيءٌ سوى الالوهيّة التي لا يمكن أن يشترك فيها أحد من الخلائق لأنّها للآب ولي وللروح القدس فقط*

وتألّم قلبي أيضاً من جرى تلميذتي مريم المجدليَّة التي توجَّعت على آلامي أكثر من الجميع من بعد أمّي. فانّ تلاميذي أنفسهم تركوني واما هي فتبعتني في جميع أماكن آلامي. وكان قلبها يتفتَّت عليَّ حينما كانت واقفة تحت صليبي مع مريم أمّي. ولمّا رأتني أردّ نَفَسي الأخير ظنَّت انّها فقدت كلّ شيء ممَّا في السماء وعلى الأرض لأنَّهُ فيَّ وحدي كان رجاؤها ومحبّتها وسلامها وعزاؤها* وبعد موتي ما كانت تفارق قبري وكانت تبكي عليَّ وترثيني. وكان وجعها عظيماً جدّاً حتى انّي لو لم أحفظها بأعجوبة لكانت تموت. فهل كنتُ أقدر أن أنسى هذه الخليلة العزيزة ومحبّتها ولا أتوجّع مشفقاً عليها. ولاجل ذلك أردتُ أن أجازيها بظهوري لها من بعد قيامتي قبل الجميع*

وكان لي وجع آخر يؤَلّم قلبي حينئذٍ حينما كنتُ افتكر في ما

كان عتيداً أن يحلّ بتلاميذي ورسلي. فكنتُ أراهم هم العتيدين أن يكونوا أعمدة السماء وأساس الكنيسة متزعزعين ولا سيّما مار بطرس رئيس رسلي إذ ينكرني ثلاث مرّات بأقسام ويقول ما أعرفهُ. فكم كان ينحصر قلبي وقتئذٍ. وكنتُ أراهم كخراف مبدَّدين بلا راعٍ. وافتكر في ما سيصيبهم من الاضطهادات والعذابات وسفك الدم في استشهادهم من أجلي. فيجب أن تعلمي يا ابنتي انّ المحبّة التي كانت فيَّ لهم لا اب لهُ مثلها لاولادهِ ولا أخ لاخوتهِ ولا معلّم لتلاميذهِ*

يا ابنتي بَبِتْسته تامَّلي أيضاً في الوجع الذي أصابني حينما كنتُ افتكر في خيانة يهوذا الذي بعد أن كان من تلاميذي صار من قُتّالي. فهل يوجد خيانة أكبر وأعظم من خيانتهِ. كيف لا يتخزَّق قلبي أسفاً على أني بعد أن غفرتُ لهُ جميع خطاياهُ واصطفيتهُ من جملة تلاميذي ووهبتُ لهُ كلّ ما وهبتُ لهم وكان يأكل معي يعاملني بهذه المعاملة. وكنتُ عالماً بنيّتهِ السيّئة عليَّ. ولذلك في عشائي الأخير حينما غسلتُ أقدام تلاميذي وافضَت النوبة إليهِ انحنيتُ على قدميهِ وكنتُ أبكي بمرارة وابلّ قدميهِ بدموعي قائلاً لهُ بلسان حالي: يا يهوذا ماذا صنعتُ معك حتى انّك تعاملني بهذا النوع من الخيانة. أيّها التلميذ الشقيّ هوذا العلامة الأخيرة لمحبّتي التي أظهرها لك. يا ابن الهلاك الستُ اباك ومعلّمك. ان كنتَ تبتغي ثلاثين من الفضّة لِمَ لا تذهب إلى أمّي التي هي امّك لكي تبيع نفسها وتدفع لك ذلك وتمنع عنك هذا الاثم العظيم وتُبقي لي حياتي. يا يهوذا يا تلميذاً غاشّاً وعديم الوفاء. الآن

اغسل قدميك واقبّلهما بمحبَّة وأنت بعد ساعات ستقبّلني بخيانة وتسلّمني إلى أعدائي. وحين كنتُ أخاطبهُ هكذا في الباطن كانت دموعي تبلّ قدميهِ وهو غير مبالٍ بي. لأنّي كنتُ منحنيّاً أمامهُ وشعري الطويل المغطّي وجهي في انحنائي كان يحجب عنهُ دموعي. ولكنّ يوحنا تلميذي الحبيب الذي أودعتهُ أسرار آلامي كان يراقب أوجاعي حينئذٍ ويرى دموعي تنسكب على قدَمَي الخائن المزمع ان يغدر بي. وكان ينظر بنظرة النسر جميع أعمالي وبايّ جودة ومحبّة كنتُ أعامل عدوّي* ولمّا دنوتُ من يوحنّا حبيبي الذي كان جالساً لتواضعهِ بعد جميع تلاميذي ورآني انحني لغسل قدميهِ لم يتمالك أن أخذني في حضنهِ وعانقني باكياً بدموع دمويّة وقائلاً لي بلسان حالهِ: يا أبي يا معلّمي العزيز يا أخي الحبيب يا ربّي والهي: كيف قدرت أن تغسل وتقبّل بفمك المقدّس قدمَيْ هذا الخائن الملعون. يا يسوع حقّاً انّها لعلامة حبٍّ لا تدرَك. آه انّ تواضعك يقتلني. اني لستُ أقدر أن أراك تنحني على قدميَّ الحقيرتين وتقبّلهما بفمك القدّوس. يا إلهي كلّ علامة جديدة يظهرها حبّك لستُ احتملها الاّ بزيادة أوجاعي* وبعدما كان يخاطبني هكذا باطناً قدّم لي قدميهِ طاعةً ووجههُ محمرٌّ خجلاً. فيا ابنتي افهمتِ كم كان وجعي عظيماً حينئذٍ بسبب تلميذ خائن وبسبب تلميذ محبّ*

ثمّ انَّ بغضة قوم اليهود لي وكفرانهم باحساناتي وخيانتهم الفظيعة كانت شاقّة عليَّ وذلك لأنّي كنتُ قد اخترتهم شعباً لي من بين جميع

الامم. وفكّيتهم من أسر المصريين ومن يد فرعون. واهتمّيتُ بهم في البرّيّة. وأردتُ أن أُولَد من نسلهم وأعيش معهم ثلاثاً وثلاثين سنة لكي اعلّمهم جميع الفضائل. وشفيتُ مرضاهم وأحسنتُ إليهم باحسانات كثيرة. فكيف لا يتمزَّق قلبي عندما اسمعهم يصرخون بغضب: لسنا نريد هذا الإنسان. اصلبهُ اصلبهُ واطلق لنا بَرابا. وهكذا كانت أوجاعي تشتدّ عليَّ وتكتنفني من كلّ جهة*

وحين كان ربّنا يسوع المسيح يقصّ أعمال آلامهِ على أَمتهِ بَبِتْسته كانت هذه الطوباويّة تشعر بأوجاع يسوع نفسها. وصارت سيرتها من ذلك اليوم مقضيّةً في التأمُّل في آلام المسيح. وذات يوم توسَّلت بدموع إلى ربّنا يسوع المسيح أن يأخذها من هذه الدنيا. فظهر لها هذا الربّ العزيز ومسح بيدهِ الإلهية الدموع التي كانت تنهمل من عينيها وقال لها لا تبكي يا ابنتي. فقالت يا ربّي لستُ أقدر أن أمسك نفسي عن البكاء حينما أتأمّل آلامك*

وقلدّها البابا يوليوس الثاني أن تعمِّر ديراً لرهبنتها في مدينة فُرمو. وبعد ذلك صارت رئيسة في دير قَمَرينو. ولمّا حان سفرها من هذه الدنيا توفّاها ربّنا يسوع المسيح في اليوم الحادي والثلاثين من شهر أيّار سنة ١٥٢٧ وعمرها تسع وستُّون سنة. ودُفِنَت باحتفال عظيم. وأجرى الله على يديها كرامات كثيرة في حياتها وبعد موتها*

استشهاد صادوق ورفاقهِ الرهبان الدومنكيّين في مدينة صندُمير

كان في مدينة صندمُير في القرن الثالث عشر دير للرهبان الدومِنِكيّين رئيسهُ راهبٌ اسمهُ صادوق. وكان ذلك في عهد الطوباويّ مار عبد الأحد منشئ رهبنة الدومِنِكيّين* فذات يوم إذ كان راهبٌ يقرأ أمام الرهبان قصّة الشهداء رأَى مكتوباً في الكتاب الذي كان يقرأ فيهِ بحروف من ذهب هذه الكلمات وهي استشهاد أربعين راهباً من رهبنة الأخوة الواعظين في صندُمير. فانذهل الراهب وأخوتهُ من ذلك وفهموا انّ الله ينبّههم أن يستعدّوا للاستشهاد. فأخذوا كلّهم الأسرار المقدّسة وقضوا تلك الليلة كلّها في الصلوة. وفي الغد هجم أقوام التتر على مدينة صندُمير وضبطوها ولمّا جاءُوا إلى الدير وجدوا الرهبان يرتّلون السلام عليكِ يا ملكة الرحمة الخ. فغاروا عليهم وذبحوهم عن آخرهم مع رئيسهم الطوباويّ صادوق. وهكذا نالوا اكليل الشهادة*

* اليوم الثالث *

القديسة كُلتِلده ملكة فرنسا

انّ المملكة الفرنساويّة لا تزال مديونةً في نجاحها منذ عهد الملك قلوفِس للقديسة كُلتِلدة. فهذه الملكة كانت من نسل ملوك بُرغونيا.

وكان لجدّها أربعة أولاد وهم غُنْدَبَوْد وغُنْدَجِسيل وخِلْبَريك (أبو القدّيسة كُلتِلده) وغُثمار. فهولاء الأربعة قسموا مملكة بَرغُونيا إلى أربعة أقسام وأخذ كلٌّ منهم قسماً. ولكنّ غُنْدَبَوْد اتَّفق مع أخيهِ غُنْدَجِسيل على أخذ المملكة كلّها فقتل أخويهِ الآخَرين خِلبَريك وغُثمار. وغرَّق امرأَة خِلبَريك امّ القدّيسة كُلتِلدة وبنيها في نهر رون. ولم ينجُ من أولاد خِلبَريك سوى ابنتين. فهتان لجمالهما وجدتا رحمةً في عينَي عمّهما وهما سدَلِندة التي صارت راهبة وكُلتِلدة التي حُفِظَت في قصر عمّها غُنْدَبَوْد. وكانت هذه الصبيّة تنمو في الفضائل أكثر من نموّها في العمر. وأصبحت قدوةً لجميع سيّدات القصر الملكيّ فانّها كانت تقضي أوقاتها في الصلوة والتأمّل وزيارة الكنائس وتوزيع الصدقات على الفقراء. وكان عمّها الملك يحبّها ويثق بها. وسلّمها في يديها جميع خزائنهِ. وكانت حليمة الطبع حلوة النطق بشوشة الوجه بديعة الجمال. وكانت نفسها مزيّنة بفطنة عجيبة حتى انّ صيتها شاع في كلّ تلك البلاد* ولمّا سمع قُلوفِس ملك فرنسا عن الصيت العالي الذي كان لها وانّ السفراء الذين كان يرسلهم إلى بُرغونيا يعتبرون جدّاً كُلتِلدة علق قلبهُ بها واضطرم لهواها وعزم أن يتزوَّج بها. فأرسل إليها سفيراً اسمهُ اورليانُس وبعث لها معهُ هدايا ثمينة من الحجارة الكريمة. وقلّدهُ ان يبلّغها شوق الملك إليها* فلمّا دنا السفير من بُرغونيا افتكر انّ الملك غُندَبَود لعلّهُ لا يشاء قدومهُ في طلب ابنة أخيهِ. فتنكَّر ولبس هدوم الفقراء ودخل يرصد ذهاب كُلتِلده إلى الكنيسة لكي يقدر أن يدنو منها

ويخاطبها بدون مانع من حيث انّها لم تكن تحوّل وجهها عن الفقراء بل كانت تحبّهم وتتصدَّق عليهم* ولمّا كانت تقسّم على الفقراء صدقاتها دنا منها اورليانُس سفير قلوفِس بزيّ فقير واستعطاها. فلمّا أعطتهُ قبّل يدها باحترام. ولكنّ القدّيسة استصعبت ذلك. ولمّا رجعت إلى القصر أرسلَتْ أحضرتهُ وقالت لهُ: ما الذي دعاك إلى تقبيل يدي حينما أعطيتك صدقةً. فقال لها: يا سيّدتي انّ قلوفِس ملك فرنسا مولاي إذ أُخبر عن شرفكِ وجمالكِ ومزاياكِ الحميدة وسائر مناقبكِ ارسلني لابوح إليك بالحبّ الذي علّقهُ بكِ وبالغرام الذي لهُ في أن تكوني عروساً لهُ. وعربوناً لذلك أرسل إليكِ معي هذه الجواهر الثمينة* فقالت لهُ كُلتِلدة بفطنة: انّهُ غير مسموح لصبيَّة مسيحيَّة أن تعقد زيجةً مع رجل وثنيّ. ولكن ان كانت إرادة الله تشاء ذلك مُتَّخِذة إيّاي آلةً لهداية الملك إلى معرفتهِ تعالى فأنا لستُ أمتنع من ذلك فلتكن مسرّتهُ* فلمّا سمع اورليانُس هذا الجواب فرح وقال لها: انّ الملك قلوفِس سيؤَدّي كلّ شرط تقرضينهُ عليهِ إذا أجبتِ إلى طلبتهِ* فقالت لهُ: اكتُم هذا الكلام في قلبك لئلاّ يسمع بهِ عمّي واذهب أخبر بهِ الملك قلوفِس. ثمّ انّها أخذت الجواهر من السفير وأخفتها في حجرة عمّها* ورجع السفير اورليانُس إلى فرنسا فاخبر الملك بكلّ ما جرى بينهُ وبين كُلتِلدة. فجمع قُلوفِس كلّ أهل مشورتهِ واعلمهم بقصدهِ. ففرحوا جميعاً معهُ. ثمّ انّ الملك ارسل اورليانُس ثانيةً ليخطب كُلتِلدة من عمّها غُندَبَوْد. وان أبى اعطاءَها فينذرهُ بالحرب* ووصل السفير إلى غُندَبَوْد ملك بُرغونيا

فقبلهُ باكرام عظيم. ولمّا عرض عليهِ أمر خطبة كُلتِلدة لقلوفِس ملك فرنسا أجاب إلى ذلك. فأُحضِرت الخطّيبة وقالت: انّ المهر الذي اطلبهُ لزيجتي من قلوفِس هو أن يصير هذا الملك مسيحيّاً معترفاً بالله خالق السماء والأرض* وعلى هذا انعقدت خطبتها. ثمّ أُخِذَت بزفَّةٍ عظيمة إلى فرنسا. وكمل فرح قلوفِس بزيجتهِ بها. وهكذا صارت كُلتِلدة ملكة فرنسا* وأباح لها قلوفِس أن تستعمل جميع واجبات ديانتها بحرّيّة. فعملت لها معابد. وكان عندها قسوس يقدّسون الذبيحة الإلهية كعادة الكنيسة الكاثُليكيَّة* وكانت القدّيسة كُلتِلدة تسعى في هداية زوجها قلوفِس وأهل مملكتهِ إلى الايمان المسيحيّ. واهتدى على يدها إلى الايمان المسيحيّ جمٌّ غفير من أهالي فرنسا قبل الملك قلوفِس. وكانت القديسة كُلتِلدة تقول دائماً لزوجها قُلوفِس: اذكر أيّها الملك المهر الذي وعدتني بهِ بأن تصير مسيحيّاً وتجعل الديانة المسيحيّة تنتشر في كلّ مملكتك. وليكن عندك موكَّداً انك ان فعلت ذلك ينصرك الله على جميع أعدائك ويجعلك أوّل ملك في العالم. ولقد اختبر ذلك هذا الملك بعدما أدَّى لامرأَتهِ هذا الشرط*

وفي ذلك الزمان شبّت حربٌ بين قُلوفِس وبين أهل جرمانيا فاستغاث قلوفِس في النصرة بالاهةِ المشتري ولكنّهُ لمّا رأَى انهُ انخذل ذكر الوعد الذي وعد بهِ امرأَتهُ كُلتِلدة. فعند ذلك استغاث باله امراتهِ ووعدهُ بانّهُ ان نصرهُ على أعدائهِ يهتدي إليه ويؤْمن باسمهِ. ثمّ انّهُ قحم على عسكر الأعداء وقاتلهم بجنودهِ وظفر بهم وقتل منهم كثيراً.

وكانت هذه الغلَبة العجيبة سنة ٤٩٩ وهي السنة الخامسة عشرة لمُلك قلوفِس* وبعدما اخضع هذا الملك الجرمانيّين لطاعتهِ رجع إلى فرنسا مظفَّراً وشكر اله النصارى على انَّهُ أَمَدَّهُ بعونهِ وللوقت أَقَرّ لامرأتهِ أمام جميع أهل مشورتهِ بانهُ يريد من كلّ قلبهِ أن يتنصّر ويتعمّذ. ففرحت الملكة بذلك وأرسلت بسرعة إلى مار رميجيوس اسقف رَمس تخبرهُ بذلك وترغب إليهِ أن يسرع بالحضور إلى الملك. فلمّا جاءَ هذا القدّيس أرشد الملك في الايمان وعمّذهُ*

ومنذ تنصّر الملك قلوفِس كانت القدّيسة كُلتِلدة تعظهُ دائماً وترشدهُ إلى عمل الصلاح* وفي ذلك الزمان كان الآريوسيّون يجورون على الكاثُليكيّين ويضطهدونهم. فحاربهم الملك قلوفِس بمشورة امرأَتهِ القدّيسة كُلتِلدة وكسرهم بشفاعة القدّيسَين بطرس وبولس عمودَي الكنيسة اللذَين اتّخذهما محاميَين لهُ عن الايمان* وبعد زمان مات الملك قلوفِس في مدينة باريس واحتفلت القدّيسة كُلتِلدة دفنتهُ في كنيسة مار بطرس ومار بولس المدعوَّة اليوم باسم القدَّيسة جَنَوافا* ولمّا بقيت هذه القدّيسة أرملةً عزمت أن تقضي بقيَّة حياتها في القداسة. فقسمت المملكة بين أولادها وانطلقت إلى مدينة تور لكي تعيش وتموت هناك بجانب جسد مار مرتينُس اسقف هذه المدينة* وكانت هذه القدّيسة سخيَّة على الفقراء ومعزّية للحزانى ومفتقدة للمرضى ومكثرة من زيارة الكنائس والأماكن المدفون فيها أجساد القدّيسين ومنعكفة على سائر الأعمال التقويَّة. وكانت تدكّ هياكل الأوثان وتعمّر كنائس لاكرام الله*

وأصاب القدّيسة كُلتِلدة شدائد كثيرة أُمتُحن بها صبرها كما يُمتَحن الذهب بالكُور. ولمّا قرب موتها أرسل الله ملاكاً يبشّرها بانَّهُ تعالى يدعوها إليهِ بعد ثلاثين يوماً. فاستدعت أولادهما ملوك فرنسا واوصتهم بحفظ السلامة وبالامانة في خدمة الله وتأَهّبت للموت. وبعد ما أخذت أسرار البيعة المقدّسة وتوادعت مع أولادها ومعارفها وخدَّامها سلّمت نفسها لله في اليوم الثالث من شهر حزيران سنة **٥٣٣*** وفي حين موتها استنار جسدها بنور بهر الناظرين وفاح منهُ روائح عطريَّة* وبكى جميع أهل فرنسا على فقدها لأنَّها كانت امَّا لجميعهم. فحملوا جسدها من مدينة تور على مدينة باريس بتشييع الملوك أولادها وأعيان الملكة والأشراف والاقليرُس وكانوا يرتّلون بأناشيد الشكران. ودُفنت في كنيسة القدّيسَين الرسولَين بطرس وبولس بجانب زوجها الملك قلوفِس*

* اليوم الرابع *

مار قِرينُس الأسقف الشهيد ـ مار فرنسيس كاراجولو منشئ

رهبنة الاقليرُس القانونيين الصغار

مار قرينُس الأسقف الشهيد

انَّ مار قِرينُس كان أسقفاً قدّيساً في عهد الملكَين ديوكلتيانُس

ومكسيمانُس اللذَين أثارا اضطهاداً عظيماً على النصارى. وكان ذلك الاضطهاد الثاني. وكان مار قِرينُس اسقفاً على مدينة سقوطيا في اقليم سكْلافونيا. وفي ذلك الزمان جاءَ إلى تلك المدينة مكسِمينُس الذي تخلّف بعد ذلك لمكسِميانُس في المملكة الرومانيَّة ليضطهد النصارى من قِبل القياصرة. فامسك الأسقف مار قِرينُس واحضرهُ أمامهُ وسأَلهُ عن ديانتهِ فاعترف لهُ بشجاعة بانَّهُ مسيحيّ مؤْمن بيسوع المسيح خالق السماء والأرض الذي بموتهِ اقتدى العالم من أسر الشيطان. فأمر المضطهد بضربهِ بالعصيّ وبحبسهِ مصفَّداً بالقيود* ولمّا جنَّ الليل سطع نور عظيم من الحبس. وعاين ذلك السجّان فايقن بانَّها آية من اله قِرينُس. ففتح باب السجن وركع أمام قِرينُس مهتدياً إلى ايمان يسوع المسيح فعمّذهُ الأسقف القدّيس* وبعد ثلاثة أيَّام أرسل مكسِمينُس مار قِرينُس الأسقف أسيراً إلى مدينة أخرى ليُحاكَم هناك. فحاول والي المدينة أن يجتذبهُ إلى السجود للآلهة فلم يتمكَّن منهُ. وأخيراً غضب عليهِ وأمر أن يُطرَح في النهر مربوطاً في يدهِ حجر رحىً. فأخذهُ أعوانهُ وطرحوهُ من الجسر إلى النهر. فباذن الله طفت حجر الرحى على الماء وطفا عليها القدّيس. فتعجَّب جميع الناظرين. وكان مار قِرينُس يسبّح الله. وأخيراً تاق إلى اكليل الشهادة فتوسَّل إلى الله أن لا يعوّقهُ عليهِ. فاستجاب الله طلبتهُ إذ انحدر جسدهُ رويداً رويداً إلى أسفل الماء وطارت نفسهُ إلى السماء. وكان ذلك في اليوم الرابع من شهر حزيران سنة ٣٠٨* وبعد أيَّام قليلة وجد المسيحيُّون جسدهُ على ساحل النهر فأخذوهُ ودفنوهُ باكرام*

مار فرنسيس كَرَاجولو منشئ رهبنة الاقليرُس القانونيّين الصغار

انّ القرن السادس عشر أثمر كثيراً من الرهبان من أوائلهِ إلى أواخرهِ فانّهُ بعدما وهب للكنيسة رهبنات عبيد الله والكَبوشيّين والبرنابيّين واليسوعيّين وكهنة المصلّى والأُرسُليّات وأخوة مار يوحنا رجل الله وجماعة مار كَمِلُّس للّيس ومار بطرس القنطريّ وأخوات القدّيسة تريزة الكرمليّات اولد أيضاً في أواخرهِ الاقليرُس القانونيّين الصغار الذين هم جماعة مار فرنسيس كَرَاجولو الذين صاروا جنوداً أبطالاً لمحاربة أعداء ربّنا يسوع المسيح*

انّ قبيلة كَراجولو كانت من أشرف القبائل في مملكة نابُلي وفيها وُلِد قدّيسنا فرنسيس في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الأوّل سنة ١٥٦٣. ومنذ صغرهِ أظهر عبادة خصوصيّة لمريم العذراء. فكان كلّ يوم يتلوورديّتها ويصوم أيّام السبت اكراماً لها* وكان يلوح فيهِ رحمة ورافة قلب على الفقراء فكان يساعدهم بكلّ ما يمكنهُ* وفي صبائهِ كان يهرب من المعاشرات الرديّة ومن الكسل وذلك لكي يصون طهارة نفسهِ وجسدهِ ما بين أهواءِ هذه الدنيا المسمومة*

ولمّا بلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة اعتراهُ برص في جسمهِ وكدّرهُ جدّاً. فلمّا شاهد الحالة الكريهة التي أمسى فيها من جرى البرص فهم جيّداً أباطيل هذه الدنيا فعزم إذ ذاك أن يهجر الزائلات ويتمسَّك بالباقيات. ووعد الله بان ينذر لهُ نفسهُ بجملتها ان شفاهُ.

فاستجاب الربّ طلبتهُ وردّ لهُ صحّتهُ باعجوبة* وذكر فرنسيس وعدهُ لله فباع كلّ ما كان لهُ ووزَّع ثمنهُ على الفقراء وشرع يدرس علم الالهيات. ولمّا تعلّمهُ بعد سنتين رُسم قسّاً وانضمَّ إلى أخويّة ما كانت مخصَّصة لمساعدة المحتاجين* وبعد ذلك اتَّفق مع اثنين من عشيرتهِ في انشاء جماعةٍ جديدة. فانطلقوا إلى سوَّاح تُدعى رهبنتهم كمَلدُولة بقرب نابُلي واستمرُّوا هناك في الانفراد ملازمين الصلوة والصوم والتقشّف ومُهيئّين انشاء رهبانيّتهم الجديدة المؤَلّفة من كهنة قانونيّين يقضون أعمال السيرتين النظريّة والعمليّة. فعلى هذا الأساس جعلوا يكتبون قانونهم. ولكي تكون أعمال التوبة والتقشّف متلأَلئة فيهم كتبوا في القانون أن يُقلَّد كلّ يوم واحد من الأخوة في نوبتهِ عملاً من ذلك. فكان في كلّ يومٍ واحدٌ منهم ينقطع على الخبز والماء. والآخر يجلد نفسهُ بالسياط. والآخر يلبس مسحاً وهكذا كانوا يعملون بالتناوب. وكان كلّ راهب يجب عليهِ أن يستمرّ جاثياً للصلوة أمام القربان المقدَّس نحو ساعة في اليوم لكي يكون السجود لله مداوماً في الدير*

وبعد ذلك أثبت البابا هذا القانون وأباح لهم بانشاء هذه الرهبانيّة الجديدة. فاخذوا من ثمَّ يسعون في ذلك. وأرسل الله إليهم أشخاصاً كثيرين دخلوا في أخويّتهم. وصار مار فرنسيس كراجولو رئيساً عامّاً على هذه الرهبنة. وانتشرت رهبانيّتهم في مملكة اسبانيا وصار لهم أديرة كثيرة ولكنّهم عانَوا مشقّات كثيرة في ابتداء عملهم من حاسديهم غير انَّ مار فرنسيس كان يغلب جميع الموانِع بالصلوة إلى الله وباستمدادهِ

حماية مريم العذراء التي نذر لها رهبانيّتهُ* وزيّنهُ الله بموهبة عمل الكرامات فكان بعلامة الصليب يشفي المرضى ويُخرج الشياطين*

وفي سنة ١٦٠٧ إذ رأى انَّ جميع أعمال انشاء الرهبانيّة قد تمَّ طلب الاستعفاء من الرياسة العامّة لكي يقدر أن يعبد الله بنوع أكمل. فشرع من ثمَّ يقضي زمانهُ في الصلوة. وأوحى الله إليهِ بساعة موتهِ فأحسن التأَهّب لها* وفي اليوم الأوَّل من شهر حزيران اعترتهُ حمَّى وكانت تشتدّ عليهِ. وفي اليوم الثالث من شهر حزيران أخذ الأسرار المقدّسة بالتقوى. ثمّ أمسك صليباً في يدهِ الواحدة وصورة مريم العذراء في يدهِ الأخرى وحدق بهما بمحبّة. وفي الغد تُوُفّي وكان ذلك في اليوم الرابع من شهر حزيران سنة ١٦٠٨ وعمرهُ حينئذٍ أربع وأربعون سنة وتسعة أشهر ونيّف. وجرت كرامات كثيرة بعد موتهِ أيّدت قداستهُ*

* اليوم الخامس *

مار بُنيفاقيوس الأسقف رسول جرمانيا

انَّ هذا القدّيس كان من انكلترَّة. وكان رجلاً غيوراً على مجد الله وخلاص النفوس. وهدى جمّاً غفيراً من الوثنيّين إلى نور الإنجيل. وفي صبائهِ مكث في بعض الأديرة مدَّة سنين وقرأَ العلوم* وفي السنة الثلاثين من عمرهِ قسّاً. وبعد ذلك انطلق إلى روميَّة وحجّ إلى

ضريحَي الرسولَين بطرس وبولس* وقلّدهُ البابا غريغوريوس الثاني الانذار بالإنجيل بين الوثنيّين. فانطلق هذا القديس إلى بلاد جرمانيا وشرع يزرع هناك كلمات الإنجيل. ونجح جدّاً إذ ربح نفوساً كثيرة من الوثنيّين وهداها إلى حظيرة يسوع المسيح* وعمَّذ جمّاً غفيراً من الوثنيّين في اقليم هسّة. وبهمّتهِ دُكَّ كثيرٌ من هياكل الأوثان وعُمِّرت كنائس كثيرة للاله الحقّ* ولمّا بلغ الحبر الأعظم نجاح أعمالهِ الرسليّة استدعاهُ إلى روميّة ورسمهُ اسقفاً وأرسلهُ إلى جرمانيا بقدرة عظيمة. فصارت أعمالهُ متقدّمة دائماً في سبل النجاح حتى انّهُ هدى من الوثنيّين إلى الايمان المسيحيّ دائماً في سبل النجاح حتى انّهُ هدى من الوثنيّين إلى الايمان المسيحيّ أكثر من ماية ألف نفس. واستاصل من تلك البلاد كثيراً من العوائد الرديّة. وبعد ذلك جعلهُ البابا زكريّا مطراناً على مايَنسَة* وبعدما ساس ابرشيّتهُ مدّةً من الزمان أُوحِي إليهِ ببراحهِ من هذه الدنيا. فرتَّب كلّ أمورهِ وخلّف في مكانهِ تلميذاً لهُ بارّاً فطيناً وأخذ معهُ ثلاثة قسوس وثلاثة شمامسة وانطلق إلى بلاد فريزا. وهناك وطّد ايمان كثير من المسيحيّين. وأنار بإنذارهِ كثيراً من العميان وجعلهم أن يهتدوا إلى الايمان الحقّ. غير انّ الذين لم يكونوا يشاءُون أن يتركوا أضاليلهم أبغضوهُ وجزموا على قتلهِ. وذات يوم إذ كان القدّيس بُنيفاقيوس ورفاقهُ على شاطئ النهر يعمّذون المهتدين هجم عليهم أعداء الديانة وقتلوهم قاطبةً* ولمّا بلغ المسيحيّين خبر استشهاد رسولهم وراعيهم مار بُنيفاقيوس ورفاقهِ احترّوا بغيرة شهمة وأخذتهم الحميّة فحاربوا الوثنيّين وقتلوا قاتلي القديس* ودُفِن جسد بُنيفاقيوس ورفاقهُ

باحتفال عظيم. وأجرى الله كرامات على يَدي رسولهِ وشهيدهِ بُنيفاقيوس في حياتهِ وبعد موتهِ. وكان استشهادهُ سنة ٧٥٥*

* اليوم السادس *

مار نُربَرتُس مطران مَغْدَبُرْغ ومنشئ رهبنة البرامُنْتريّين ـ

مار فيلبّس الرسول أحد الشمامسة السبعة

مار نُربَرْتس مطران مَغدَبُرغ ومنشئ رهبنة البرامُنتريّين

انّ هذا القدّيس وُلِد سنة ١٠٨٠ في مدينة صغيرة صغيرة تُدعى سَنتن بقرب مدينة كُلونيا من أبوين غنيَّين. ولمّا كانت أُمُّهُ حبلى بهِ سمعت صوتاً يقول لها: تشجَّعي فانّ الولد الذي أَنتِ حاملتهُ سيصير مطراناً* ولمّا نشأَ نُرْبَرْتُس انصبَّ على درس العلوم. ثمّ رُسِم قسّاً وشرع يكرز على الناس ويحرّضهم على اكتساب الفضائل* وبعد ثلاث سنين انطلق إلى رومية وطلب إلى البابا أن يأذن لهُ بأن يكرز بالانجيل هو ومن يرافقهُ حيثما أرادوا. فاذِن لهُ بذلك. واتَّفق مع هذا القدّيس ثلاثة رجال أتقياء فكانوا يذهبون من مدينة إلى مدينة واعظين الأمم بكلام الله ومرجّعين الخطاة إلى التوبة* وكان لمار نُرْبَرتس قدرة خصوصيّة

على إِلقاء الصلح والسلام ما بين المتخاصمين. وعلى محو العداوة واجتلاب الصداقة. وعلى تليين القلوب القاسية. وكان كلّ من يعصوهُ يعاقبهُ الله في الحال. فذات يوم سعى في مصالحة اثنين من الأشراف كانا يختصمان فلمّا كلّم أحدهما اجتذبهُ إلى الصلح امّا الآخر فاستمرّ عنيداً لم يشأ الصلح. فالتفت مار نُرْبَرْتُس إلى رفيقهِ قائلاً: انّ هذا الرجل العاصي سيقع في أيدي أعدائهِ ويُؤذونهُ لأَنَّهُ لا يشاء الصلح. واتّضح صدق كلامهِ بعد ذلك*

وكان الله يزيد رفاق مار نُربَرتُس والهمهُ أن ينشئ رهبنةً جديدة. فاختار مكاناً منفرداً وعراً يُدعى برامُنْترهْ وعمَّر فيهِ ديرهُ الأَوّل وصارت فيهِ مبادئ رهبانيّتهِ وسُمِّيَت رهبنة برامُنْتَره نسبةً إلى ذلك المكان. وجعل قانونها قانون مار اوغسطينُس. وأصبح ذلك الدير ممتلئاً رهباناً اطهاراً* ووهب ربّنا يسوع المسيح لمار نُربَرتُس موهبة عمل الكرامات ولا سيَّما اخراج الشياطين. من ذلك انّهُ قُدِّم إليهِ صبيّة قد اعتراها روحُ نجس رديّ إلى الغاية فطردهُ من بدنها* وذات يوم كان القدّيس يُخرج شيطاناً من بدن مجنون قدَّام الشعب. فشرع هذا الروح الخبيث يكشف خطايا الحاضرين فرداً فرداً الاّ التي قد اعترفوا بها فما قدر أن يكشفها. فلمّا رأَى الناس ان قد انفضحت سرائرهم فرّوا هاربين ولم يبقَ سوى مار نُربَرتُس. وحينئذٍ صلّى وطرد الشيطان من بدن ذلك المجنون*

وانطلق مار نُربَرتُس إلى روميّة ونال من البابا تثبيت رهبنتهُ*

وبعد ذلك رُسِم أسقفاً على مَغْذَبْرْغ. وكان يقوت قطيعهُ بالتعليم السماويّ ويسعى باستئصال العوائد الرديّة بأعمالهِ وإرشاداتهِ* وبعدما رعى قطيعهُ مدّة ثمانٍ سنين وقع مريضاً مدّة أربعة اشهر. وفي اليوم السادس من شهر حزيران سنة ١١٣٤ تُوُفّي. ودُفن جسدهُ باحتفال عظيم في ديرٍ من أديرة رهبنتهِ بحسبما كان قد أوصى. وبعد موتهِ ظهر لبعض من رهبانهِ واخبرهم بمجدهِ في السماء*

مار فيلبّس الرسول أحد الشمامسة السبعة

إنّ هذا الرسول كان من قيصريّة فلّسطين قد انتدبهُ الرسل شمّاساً مع اسطِفانُس ورفقتهِ. وبشَّر هذا الرسول بالإنجيل في مدينة السامرة وهداها إلى الايمان بانذارهِ وبالأعاجيب التي كان يجترحها. فانّهُ أخرج أرواحاً نجسة من كثيرين وأبرأَ كثيراً من المخلّعين والمقعَدين وعمّذ سيمون الساحر الذي كان قبلاً في المدينة يسحر ويضلّ شعب السامرة إذ كان يقول عن نفسهِ أنّهُ شيءٌ كبير وكان جميعهم ينقادون إليهِ من صغيرهم إلى كبيرهم قائلين انّ هذا هو قوّة الله التي يقال لها عظيمة غير انّ سيمون كان غاشّاً وعدوّاً للكنيسة وصارت آخرتهُ شقيّة*

وظهر ملاك الربّ لفيلبّس وأرسلهُ إلى الطريق الذي يهبط من أورشليم إلى غزَّة. فلمّا انطلق وجد الخصيّ وزير قندامة ملكة الحبشة وكان قد جاءَ إلى أورشليم ليسجد. وكان راجعاً جالساً على مركبتهِ وهو يقرأ

في سفر اشعيا النبيّ. فتقدَّم إليهِ فيلبّس وسالهُ هل تفهم ما تقرأ. فقال كيف أقدر ان أفهم ان لم يرشدني أحد. وطلب إلى فيلبّس أن يصعد ويقعد معهُ. ففتح فيلبّس فاهُ وأخذ يفسِّر لهُ أقوال الكتاب وبشّرهُ بأمر يسوع. وبينما هما سائران في الطريق اقبلا على ماءٍ فقال الخصيّ ها هوذا ماءٌ فما المانع من أن اعتمذ. فقال فيلبّيس ان كنت تُؤمن من كلّ قلبك فيليق. فاجابهُ وقال انّي اومن انّ يسوع هو ابن الله. ثمّ أمر ان توقَف المركبة. فانحدرا كلاهما إلى الماء فيلبّس والخصيّ فعمّذهُ. ولمّا صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبّس ولم يعد الخصيّ يعاينهُ* ووُجِد فيلبُس في اشدود. وبينما هو مجتاز كان يبشّر في جميع المدن حتى جاءَ إلى قيصريّة*

وكان لهذا الرسول أربع بنات عذاري نبيَّات قد اجتذبنَ أبكاراً كثيرات إلى تخصيص بتوليّتهنَّ لله. وفي زمان مار هيرونِمُس كانت تُرَى قلاليهنَّ* وزارهنَّ مار بولس الرسول في سفرهِ إلى فلّسطين* وأقام مار فيلبّس قدّمتهُ إليهِ بناتهُ. وبعدما ختم سعي حياتهِ بالإنذار بالإنجيل رقد بسلام*

* اليوم السابع *

مار بولس بطريرك القسطنطينيَّة الشهيد

انّ مار بولس كان من ثسَّلونيقي وكان شمَّاساً لكنيسة القسطنطينيّة. وانتخبهُ الكسندر بطريرك هذه المدينة حين موتهِ خليفةً لهُ في الكرسيّ القسطنطينيّ. فبعد موت الكسندر جلس مار بولس هذا على كرسيّهِ وشرع يظهر غيرتهُ في محاماة الايمان الكاثُليكيّ من شيعة الاريوسيّين. وكان مقدونيوس المنافق يحسد بولس البطريرك لأنهُ كان يتمنَّى الحصول على مرتبتهِ. فلأجل ذلك جزم على هلاكهِ. وأعانهُ الهراطقة على ذلك غير انهُ لمّا رأَى دسائسهُ لم تجدهِ نفعاً عمد إلى الحيلة. فتظاهر بالتوبة وأخفى رياءَهُ تحت أعمال حسنة ظاهرة حتى انّ بولس البطريرك ظنَّ بهِ خيراً فسامهُ قسّاً* وكان رجلٌ من شيوخ الآريوسيّين اسمهُ اوسابيوس يتمنَّى أيضاً بطريركيَّة القسطنطينيّة. فقدَّم شكايات كثيرة زوريّة على بولس البطريرك. فاجتمع عليهِ مجمعٌ من الأساقفة الآريوسيّين وأنزلوهُ عن كرسيّهِ واجلسوا مكانهُ اوسابيوس* فانطلق مار بولس إلى الغرب حيث كان يملك قُسطَنْط بن قسطنطين الكبير فقبلهُ هذا الملك باكرام وحاماهُ. ثمّ انطلق إلى رومية وكان هناك حينئذٍ ماراثَناسيوس. وحضر في المجمع الذي عقدهُ البابا يوليوس سنة ٣٤١. ثمّ رجع بأمر هذا البابا إلى القسطنطينيّة ليثبَّت ثانيةً على كرسيّهِ سنة ٣٤٢ وذلك

بعد موت اوسابيوس. فحصل بذلك فرح عظيم للكاثُليكيّين وخزي جزيل للآريوسيّين* وانتخب هولاء الهراطقة مقدونيوس أسقفاً فصار شقاق عظيم وثارت فتنة أفضت إلى التزام الأسلحة وقُتِل في ذلك انفار. واقنع أعداء مار بولس قسطنطيوس ملك الشرق في القسطنطينية أخا قسطنط ملك الغرب بانّ بولس البطريرك هو سبب هذه الفتنة وحمَّلوهُ عليهِ حتى انهُ نفاهُ من مدينة القسطنطينية* ولمّا كان مار بولس في مدينة تراوس وجد ملجأً حصيناً ومحامياً غيوراً في مار مكسِمينُس أسقف تراوس* وفي سنة ٣٤٤ رجع إلى القسطنطينيّة ومعهُ رسالة من قسطنط محاميهِ إلى قسطنطيوس مضطهدهِ فقبلهُ قسطنطيوس خوفاً من أخيهِ قسطَنْط. ولكن بعد موت قسطَنط سنة ٣٥٠ اتَّفق قسطنطيوس مع الهراطقة لأنهُ لم يبقَ لهُ خوف من أخيهِ وجزم على اضطهاد الكاثُليكيّين. ونفى مار بولس بطريرك القسطنطينيّة إلى تسّلونيقي* ولم يكتفِ أعداء هذا الحبر القدّيس بذلك فانهم صفَّدوهُ بالحديد وأرسلوهُ إلى الجزيرة وهي التي يقال لها ما بين النهرين. ومن هناك إلى سوريّة. ثمّ إلى كوكوسا وهي مدينة صغيرة واقعة في براري جبل تورس على حدود قَفَدوقيّة وارمنية وحبسوهُ هناك في سجن ضيّق. ومنعوا عنهُ المطعم والمشرب* ولمّا رأَوهُ حيّاً بعد ستّة أيّام خنقوهُ في السجن وقالوا انّهُ مات من المرض. وهكذا تمّ استشهادهُ سنة ٣٥٠* وبقي الآريوسيُّون مستولين على الكرسيّ القسطنطينيّ إلى سنة ٣٧٩ التي فيها انتُخِب مار غريغوريوس النازيَنزي بطريركاً على هذا الكرسيّ*

* اليوم الثامن *

جهاد شهداء يابان

انّ يابان هي مملكة مؤَلّفة من جزائر كثيرة قد اكتشف عليها تجّار برتوغاليُّون في نحو سنة ١٥٤١ . وأهالي هذه المملكة هم وثنيّون. وأوّل من بشَّر هناك بالإنجيل مار فرنسيس كسافاريوس وهدى منهم جمّاً غفيراً إلى الايمان المسيحيّ* وكانت الديانة المسيحيَّة لا تزال تنتشر هناك على أيدي الرهبان المرسَلين اليسوعيّين إلى سنة ١٥٨٨ وحينئذٍ أُوقِفَت مساعيها. وذلك انّ ملك تلك البلاد المنافق الكافر طرد الرهبان اليسوعيّين من بلادهِ واضطهد المهتدين من أهل مملكتهِ. وصلب تسعة من المنذرين منهم ستّة رهبان فرنسيسيُّون وكان مقدّمهم الأَب بطرس المعمذان وكان من اسبانيا. والثلاثة الآخرون كانوا رهباناً يسوعيّين ومنهم بولس ميشي وكان من عشيرة معتبرة في يابان. واستشهد معهم بعض من المسيحيّين المهتدين فصار عدد الشهداء جميعاً ستة وعشرين شهيداً. وكان فيهم ثلاثة صبيان كانوا يخدمون القداس للكهنة*

وبعد ما عذَّب المضطهدون هولاء الشهداء بعذابات مختلفة ربطوهم بالحبال والسلاسل وعلّقوهم على صلبان ونصبوا الصلبان كلّ واحد أربعة أقدام عن الآخر. وعُيّن لكلّ شهيد جلاّد في يدهِ رمح

ليطعنهُ. ولمّا أشار القائد إلى الجلاّدين طعنوهم أجمعين بالرماح. وكانت دماؤهم تجري بغزارة على الأرض. وكان المسيحيُّون الحاضرون يبكون عليهم ويندبونهم ويصيحون: يا يسوع يا مريم* وبعدما غفر الشهداء لاعدائهم شرع بطرس المعمذان وهو معلّق على الصليب يشجّع رفاقهُ على احتمال هذا الموت المرّ بصبر. وكانت نفوسهم جميعاً مرتفعة إلى الله. فمنهم من كان يترنَّم بتسبحة مار امبروسيوس (وهي ايّاك اللهم نمدح الخ.) ومنهم من كان يرتّل المزامير. وبعضهم يصرخون بالكلمات التي قالها يسوع المسيح إذ كان على الصليب وهي يا ربّ في يديك استودع روحي. وبعضهم كانوا يرتّلون تسبحة زكريّا (وهي مباركٌ الربّ إله إسرائيل الخ) وبعضهم كانوا يصرخون قائلين: السماء السماء. وهكذا تنيَّحوا جميعاً ونالوا أكاليل الاستشهاد وذلك في سنة ١٥٩٧ في مدينة نَنْغَساكي. وأخذ المسيحيُّون ثيابهم للتبرّك. وجرت كرامات باهرة وآيات بيِّنة بهم وبصلبانهم وبذخائرهم* وفي سنة ١٨٦٢ قداسة سيّدنا البابا المالك سعيداً بيوس التاسع نائب يسوع المسيح وخليفة بطرس رئيس الرسل المعصوم كتب أسماءَهم في سفر الشهداء وخلّد ذكرهم في اليوم الثامن من شهر حزيران*

واستشهد في مملكة يابان شهداء آخرون لا يحصى عددهم في أزمنة وأماكن مختلفة وذلك في سنة ١٦٠٢ وفي سنة ١٦١٤ وفي سنة ١٦١٦ منهم من اليسوعيّين ومنهم من الفرنسيسيّين ومنهم من الدومِنِكيّين ومن غيرهم ومنهم عدد لا يحصى من أهل يابان المهتدين إلى النصرانيّة* وهكذا مملكة يابان ملأَت السماء من جمهور شهداء غير محدود*

* اليوم التاسع *

مار كَلُمبو ابي الرهبان في إِرلانده ـ مار يُليانُس الراهب

مار كَلُمبو ابي الرهبان في إِرلانده

إِنّ هذا القدّيس كان أحد آباء الرهبان العظام في إِرلانده وقد وُلد سنة ٥٢١ في مدينة كرتان في إِرلانده. ومنذ صغرهِ علم انهُ لا يوجد شيءٌ أحسن من خدمة الله ومحبّتهِ ولذلك كان يجتهد في الانفصال عن الأمور الدنيويَّة. وكان يدرس في الكتاب المقدّس وفي أصول السيرة الانفراديّة في مدرسة مار فِينانُس الأسقف* وفي سنة ٥٤٦ رُفع إلى درجة القسّوسة وأصبح قدوةً لجميع الناس في الفضائل. فتتلمذ لهُ كثيرون* وبعد أربع سنين عمّر ديراً كبيراً وحشر فيهِ رهبانهُ وعمل لهم قانوناً أخذهُ عن رهبان الشرق الأوّلين* ومن افراط غيرتهِ وبّخ الملك على رذائلهِ وبسبب ذلك هرب من إِرلانده إلى اسكوت أو اسكوسيا مع اثني عشر من رهبانهِ وهدى إلى الايمان المسيحيّ في تلك النواحي قوماً يدعون بالفِكتيّين فاعطوهُ جزيرة دُعِيَت باسمهِ إلى هذا اليوم. وهناك عمَّر ديراً* وكان مار كَلُمبو يسير سيرة قشفة فكان ينام دائماً على الحضيض متوسّداً بحجر ويصوم متواثراً. واشتهر بما وهبهُ الله من النبوّة والكرامات حتى انّ ملوك اسكوسيا لم يكونوا يعملون شيئاً من

دون مشورتهِ. ولمّا أحسّ بنهاية حياتهِ وكان يوم الأحد قال لأحد تلاميذهِ: انّ اليوم يُدعى سبت الربّ أي يوم الراحة وبالحقيقة هو لي كذلك لأنّ فيهِ تنتهي أعمالي فاستريح بالله. ثمّ انطلق إلى الكنيسة وأخذ الزوّادة الأخيرة وبارك أخوتهُ ورقد بسلام الربّ سنة **٥٩٧** وعمرهُ سبعٌ وسبعون سنة*

مار يُليانُس الراهب

انَّ هذا القدّيس هجر العالم وخصّص نفسهُ لخدمة الله وكان يحبّ الربّ الاههُ من كلّ قلبهِ ومن كلّ نفسهِ. وسما في جميع الفضائل* قال مار أفرام السرياني الذي كان يعرفهُ: انَّ قلاَّيتي كانت بجانب قلاَّيتهِ. وكنّا في أخويّة واحدة. وكنتُ أتعجَّب عند نظري معرفة أصول الديانة المسيحيّة والعمل بها في هذا الرجل الذي أصلهُ من نواحي الغرب. فقلتُ لهُ ذات يومٍ: من الذي محى في كتبك اسم الله واسم ربّنا يسوع المسيح لأنّي أرى هذين الاسمين المجيدَين ممحيّين في كلّ كتبك. فقال لي انَّ المرأَة الخاطيئة بلّت بدموعها قدَمَي المخلّص ومسحتها بشعرها. وأمَّا أنا فعندما أقرأ في كتبي وأرى اسم الله ابلّهُ بدموعي لكي يمنحني غفران خطاياي. انتهى* واستمرَّ هذا الراهب يعبد الله ما ينيف على خمس وعشرين سنة وأخيراً رقد بالربّ سنة **٣٧٠***

* اليوم العاشر*

القديسة مَرغريثة ملكة اسكوسيا

انَّ هذه القدّيسة وُلدت في مملكة هُنْغريا وكان أبوها يدعى ادوَرْد وكان ابن ادمُنْدُس ملك انكلترَّه. وكان اسم امّها اغاثا وكانت أخت ملكة هُنغريا* ولمّا قُتل ادمُندُس ملك انكلترَّه بعثَ كانون ملك دَنِمَرْك الذي استولى على انكلترَّه ادوَرْد بن ادمُندُس إلى ملك سويدن وطلب إليهِ أن يقتلهُ. ولكنّ هذا الملك لم يشأ أن يلطّخ يديهِ بدم هذا الفتى فأرسلهُ إلى هُنغريا وهناك صار لهُ مصاهرة* وكان للقدّيسة مرغريثة اختٌ راهبة تُدعى خرستينا واخ يُدعى ادغَردُس* وبعد ذلك رجع ادوَرْد إلى انكلترَّه ومات هناك ووقع التاج لابنهِ ادغَردُس. ولكنَّهُ إذ كان بعدُ صغيراً أُقيم مكانهُ أحد وزراء المملكة* وفي ذلك الزمان ثارت فتنة في تلك البلاد وشبَّت حرب قويّة فالتزمت القدّيسة مرغريثة أن تهجر وطن جدودها وتنطلق مع أخيها ادغَردُس إلى اسكوسيا. فاحتمى هذان المنفيّان عند ملكُلْم الثالث ملك اسكوسيا. وكان القدّيسة مرغريثة بديعة الجمال وذات مزايا حميدة فاحبَّها ملك اسكوسيا وتزوَّج بها سنة ١٠٧٠ وعمرها حينئذٍ أربع وعشرون سنة. وبسعيها ازهرت ديانة تلك البلاد. وعلّمت زوجها أن يكون أباً ورأوفاً على رعيّتهِ. وعمّرت في المملكة كنائس وأديرة كثيرة*

ورزقها الله ستّة بنين وابنتين فاحسنت تربيتهم في سُبل التقوى والفضيلة فاصبحوا قدوةً لقومهم* وكانت القدّيسة مرغريثة ملازمة الصوم والصلوة ومساعدة الفقراء وزيارة الكنائس. وما كانت تجلس على المائدة قبلما تكون قد أطعمت تسعةً من اليتامى وأربعة وعشرين من الفقراء* وكثيراً ما كانت تعمل ولائِم محتفلة للفقراء. فكان الملك زوجها يخدم مائدة الرجال وهي تخدم مائدة النساء* وكانت تزور المارستانات وتسعف المرضى وتنطلق إلى السجون وتعتق المحبوسين المديونين بوفائها عنهم. وحينما كانت تخرج من القصر كان يحتاطها جمّ غفير من الأرامل والأيتام والمحتاجين من كلّ صنف فكانت تسلّيهم وتساعدهم ثمَّ تصرفهم. وكان الملك زوجها يطابقها في هذه أعمالها البِرّيّة لأنّها كانت قد طبعت حبّ التقوى والفضيلة في نفسهِ*

وقضت حياتها في الأعمال الصالحة الراجعة لمجد الله وخير القريب. وعرفت بوحي الاهيّ ساعة موتها فتأَهَّبت للدخول في الآخرة. وبعدما أخذت الزوَّادة الأخيرة قالت: أيُّها الربّ يسوع المسيح الذي بموتهِ احيا العالم نجنّي من كلّ شرّ. وفي قولها هذه الكلمات طارت نفسها إلى السماء. وكان ذلك في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٠٩٣ وعمرها حينئذٍ سبع وأربعون سنة. والكرامات التي صُنعت على قبرها أيّدت قداستها*

* اليوم الحادي عشر *

مار برنابا الرسول

انَّ الرسول المجيد مار برنابا الذي يدعوهُ الكتاب المقدّس يوسف اللاوي كان عبرانيّاً جنساً من سبط لاوي وُلد في جزيرة قبرص من أبوَين غنيّين جدّاً. ولمّا كبُر أرسلهُ أبواهُ إلى أورشليم ليقرأ العلوم على غمَلائيل معلّم الناموس الماهر* وكان من أصحابهِ اسطِفانُس الذي صار أوَّل الشهداء وشاول الذي صار فيما بعد اناءً مختاراً ليسوع المسيح ولُقِّب ببولس الرسول* ودرس يوسف اللاوي جيّداً الأسفار المقدّسة حتّى تعلّمها على قلبهِ. واشتهر جدّاً بالفضيلة والعلم*

وفي ذلك الزمان جاءَ ربّنا يسوع المسيح إلى أورشليم يكرز ويعلّم كلام الحيوة ويؤَيّد تعليمهُ بالآيات البيّنة التي كان يجترحها بقدرتهِ الإلهية. فلمّا وعى يوسف اللاوي تعليم يسوع الإلهي وعاين آياتهِ العجيبة تأكَّد بانهُ هو هو المسيح المرموز عنهُ في الناموس. فجاء إليهِ وانطرح على قدميهِ طالباً بركتهُ. فقبلهُ مخلّصنا بحبّ عظيم وجعلهُ ما بين تلاميذهِ الاثنين والسبعين الذين كانوا يمشون وراءَهُ* وبحسبما هو مسطور في سفر أعمال الرسل انّ يوسف اللاوي قُلِب اسمهُ إلى اسم برنابا اعني ابن العزاء لأنهُ كان يعزّي المساكين بصدقاتهِ وأقوالهِ الحلوة* وكان غنيّاً كثير المال. ولمّا سمع ذات يوم ربّنا يسوع المسيح يكرز قائلاً:

بيعوا مقتناكم واعطوا صدقةً. اجعلوا لكم أكياساً لا تبلى وكنزاً في السموات لا يفنى حيث لا يصل إليهِ سارق ولا يفسدهُ سوس انطلق فباع كلّ مقتناهُ ووزَّع ثمنهُ على الفقراء ولم يستبقِ لهُ سوى بيت ثمين. ولكن بعد صعود ربّنا يسوع المسيح إلى السماء باع البيت أيضاً وأتى بثمنهِ فوضعهُ عند أرجل الرسل*

وكان برنابا غيوراً على مجد الله وخلاص النفوس وكان يبكّث شاول صديقهُ على عدم ايمانهِ بالمسيح وعلى مقاومتهِ للمومنين. ولكنّ شاول استمرّ مصرّاً على عنادهِ وعلى اضطهادهِ للمسيحيّين إلى أن ظهر لهُ ربّنا يسوع المسيح وهداهُ إلى نور الإنجيل. وبعد ما اهتدى شاول أخذهُ برنابا وجاء بهِ إلى الرسل وحدّثهم كيف ظهر لهُ الربّ وهداهُ فقبلوهُ في مصاحبتهم بفرح عظيم*

وأرسل الرسل برنابا إلى انطاكية فبشَّر هناك باسم يسوع. ولانهُ كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من روح القدس والايمان انضمّ إلى الربّ على يديهِ جمع غفير. وبعد ذلك خرج إلى طرسوس في طلب شاول. فلمّا وجدهُ جاءَ بهِ إلى انطاكية. وانّهما تردّدا معاً سنة كاملة في تلك الكنيسة وعلماً جمعاً غفيراً. ودُعي التلاميذ مسيحيّين في انطاكية أوّلاً* وبعد ذلك أُرسِل شاول وبرنابا من روح القدس ليبشّرا الأمم فانحدرا إلى سلوقيّة ومن هناك سارا في البحر إلى قبرس. وبشَّرا بكلمة الله في سلامينا وفي بافوس وفي برجة فمفولية ومن هناك رجعا إلى انطاكية. ثمّ انطلقا إلى أورشليم ليعرضا على الرسل مسأَلة الختان التي صار عليها

منازعة ومباحثة بين اليهود والأمم. لأنَّ اليهود كانوا يقولون انَّ الختان ضروريّ للخلاص. ولمّا عمل الرسل مجمعاً على ذلك كتبوا إلى أهل انطاكية انّهُ ليس ضروريّاً للخلاص حفظ الختان وناموس موسى بل الضروريّ هو ناموس المسيح الذي يُقتَبل بالمعموذيّة والأعمال الصالحة* وفي جميع هذه الأسفار كان الرسولان بولس وبرنابا يقاسيان الأتعاب والاضطهادات وهما لا يملاّن من زرع التعليم الإنجيليّ* وبعدما استمرّا زماناً ليس بيسير يبشّران سويّةً انفصلا بسبب يوحنا الذي يُدعى مرقس لأَنَّ برنابا أراد أن يأخذاهُ معهما وامّا بولس فلم يشأْ ذلك* وأخيراً أخذ برنابا معهُ مرقس وسار في البحر إلى قبرس وهناك هدى إلى الايمان امماً كثيرة. وانطلق إلى ايطاليا واجتاز بروميّة حيث كان مار بطرس قد ثبَّت كرسيّهُ* واستمرَّ مار برنابا في مدينة مديولان سبع سنين. وعمّر فيها كنيسة وصار أوَّل مطران على هذه المدينة. ثمّ خلّف مكانهُ في الكرسيّ أحد تلاميذهِ وهو انطلق وكان يزور كنائس برغامس وبرشّيا* ورجع إلى جزيرة قبرس ولمّا كان في سلامينا كان في كلّ سبت يجادل اليهود ويبرهن لهم من الكتاب المقدَّس انّ يسوع هو المسيح الموعود بهِ من الله* امّا العنيدون فيهم فكانوا يضطهدونهُ وجزموا على قتلهِ. وكانوا ينتهزون الفرصة ليهلكوهُ* ودخل برنابا يوماً إلى مجمع اليهود وشرع يجادلهم مثبّتاً لهم ببراهين قويّة انَّ يسوع هو هو المسيح الذي نطقت بهِ الأنبياء. فهولاء العميان إذ لم يقدروا أن يكتموا غظيهم القوا عليهِ الأيادي. وبعد أن عذّبوهُ رجموهُ بالحجارة. فجاء مرقس مع

بعض من المسيحيّين وأخذوا جسدهُ ودفنوهُ في مغارة خارج المدينة* وشبّ بعد ذلك اضطهاد عظيم على النصارى في جزيرة قبرس. ولذلك أُنِسي مع مرور الزمان مكان قبر برنابا الرسول. ففي سنة ٤٨٨ في عهد الملك زينون ظهر هذا الرسول الشهيد لانتيمُس اسقف قبرس ودلّهُ على المكان المدفون فيهِ جسدهُ. واعلمهُ بانّهُ يجد مع جسدهِ انجيلهُ الذي كان قد كتبهُ بخطّ يدهِ نقلاً عن متى الرسول. فسار انتيمُس مع اقليرُسهِ بزياح حافل إلى المكان الذي عيَّنهُ لهُ الرسول فحفروهُ فوجدوا جسدهُ الطاهر وعلى صدرهِ انجيل مار متى. وحينئذٍ عمل الله كرامات كثيرة في شفاء المرضى بوضع الإنجيل عليهم. وأُرسِل هذا الإنجيل إلى مدينة القسطنطينيّة إلى الملك زينون الذي كان يطلبهُ بلجاجة. وبنى هذا الملك في قبرس كنيسة فاخرة في المكان الذي وُجِدَ فيهِ جسد برنابا الرسول* وكان استشهاد مار برنابا في مدينة سلامينا سنة ٦٢ للمسيح*

* اليوم الثاني عشر *

مار اسقيلُس الأسقف الشهيد في سويدن ـ مار أُنُفريوس الحبيس

مار اسقيلُس الأسقف الشهيد في سويدن

انّ هذا القدّيس كان انكليزيّاً أصلاً ولمّا كَبُرَ باشر إصلاح أهل سويدن مع مار سيجفَريد أسقف يُرك الذي كان من عشيرتهِ فانطلقا إلى تلك البلاد وشرعا يظهران غيرة عظيمة على مجد الله وخلاص النفوس* وكان الملك وسائر أهالي المملكة يحبّون اسقيلُس ويكرمونهُ. فطلبوا إلى مار سيجفَريد أن يرسمهُ أسقفاً عليهم قبلما يرجع إلى انكلترّه. فأجاب إلى طلبتهم وسام مار اسقيلُس أسقفاً. فاصبح هذا الحبر الجديد راعياً هُماماً في سياسة قطيعهِ. وكان الملك يعضدهُ في جميع أعمالهِ*

وفي ذلك الزمان هجم الغير المومنين على تلك البلاد وقتلوا الملك واجلسوا مكانهُ ملكاً آخر ظالماً شرّيراً* وذات يوم إذ كان الغير المومنين يعيّدون عيداً في مدينة سترَنْجس أخذ مار اسقيلُس الأسقف اقليرُسهُ وبعضاً من المسيحيّين وانطلق إلى المكان الذي فيهِ كانوا مجتمعين وشرع يخاطبهم بشجاعة مفهّماً ايّاهم كفرهم ونفاق سيرتهم. ولمّا رآهم انّهم لا يلتفتون إليهِ طلب إلى الله أن يظهر لهم قدرتهُ بآية

بيّنة. وفي الحال حدث زوبعة عظيمة ونزل بَرَد كثير وهطلت أمطار غزيرة وأرعدت السماء وقلب الرعد مذبحهم وقربانهم* فلمّا رأَى الوثنيُّون هذه الآيَة نسبوها إلى السحر فامسكوا مار اسقيلُس الاسقف ورجموهُ بالحجارة بأمر الملك. ودُفِن جسدهُ في المكان الذي استشهد فيهِ. وبعد ذلك شُيِّد كنيسة على قبرهِ. وكان استشهادهُ في القرن السادس*

مار أُنُفْريوس الحبيس

أخبرنا بَفنوقيوس الراهب الذي رأَى بعينهِ البارّ أُنُفْريوس الحبيس وكتب سيرتهُ قائلاً: انّني أردتُ أن أرى هل يوجد في البرّيّة حبيس يعبد الله بسيرة أضيق من سيرتي. فقمتُ وشرعتُ اخترق البراري. وبعدما سرتُ أربعة أيّام وجدتُ شخصاً عرياناً مجلّلاً بشعرهِ ومتأَزّراً بقشر الشجر. فلمّا رآني اقبل إليَّ فارتعدت منهُ وهربتُ من أمامهِ إلى راس تلٍّ عالٍ كان هناك. فلحقني. ولمّا صار في أسفل التلّ ناداني قائلاً بصوتٍ عالٍ: انزل يا قدّيس الله ولا تخَفْ فاني رجل عائش في هذه البرّيّة. فلمّا سمعتُ نداءَهُ نزلتُ إليهِ وانطرحتُ على قدميهِ. فانهضني واجلسني بجانبهِ. فسالتُهُ عن اسمهِ. فقال انّ اسمي أُنُفْريوس وانا منذ ستّين سنة عائش في هذه البرّيّة ولم أرَ قطّ إنساناً سواك. وقد كنتُ في صبائي راهباً في دير مجاور مدينة ثيبس وكان فيهِ مِئة راهب وكلّهم يعبدون الله بالصوم والصلوة والتقشّف مرتبطين بعقال

الايمان والمحبّة. فيوماً من الأيّام جرت بينهم مفاوضة روحيّة في سيرة الانفراد التي كان يسير بها في البرّيّة ايليّا النبي ويوحنّا المعمذان. وقالوا انّ السيرة المنفردة هي السيرة الكُملَى لأنّ العابد بها يبتعد من الناس ويتّصل بالله* قال أُنُفْريوس فلمّا وعيتُ مقالتهم تقتُ إلى هذه السيرة ابتغاءً الكمال. فأخذتُ خبزاً كفاف خمسة أيّام وخرجتُ من ذلك الدير واخترقتُ البراري والاقفار وبينما أنا سائرٌ نظرتُ وإذا نور أمامي. فاضطربتُ منهُ لعدم معرفتي ما كان. فسمعتُ صوتاً يقول لي: لا تخَفْ يا أُنُفْريوس فاني ملاكك الحارس وظهرتُ لك لكي أنوّرك وأرشدك في ما عزمتَ عليهِ فتشجَّعتُ وشرعت أسير إلى أن أتيتُ على مغارة وأردتُ أن أدخلها. وللوقت خرج منها شيخ حبيس لابس اسمالاً تلوح عليهِ سمة الوقار* قال فلمّا رأَيتُهُ خررتُ على قدميهِ مظهراً لهُ احترامي ولكنّ الشيخ امسكني بيدي وأقامني قائلاً: أنتَ أُنُفْريوس ضيفي المؤْتَّم بي. فادخل يا ابني واثبت في ما بدأتَ بهِ والربّ يعينك* فدخلتُ مغارتهُ واستمرّيتُ معهُ عدّة أيّام. وكان يعلّمني أصول السيرة الانفراديّة* ولمّا تعلّمتُ ذلك جيّداً قال لي: يا ابني الآ يجب عليك أن تسير وحدك في الانفراد. فانّ إرادة الله تشاء ذلك* ثمّ أخذني وسار بي مسافة أربعة أيّام فاتينا على نخلة بقرب مغارة فقال لي: يا ابني انّ الله قد أعدّ لك هذا المكان فتبوّأْهُ وسِرْ فيهِ بالسيرة المنفردة التي هداك الله إليها. واني أُوثر أن نرى بعضنا بعضاً مرّة في السنة إلى أن أموت. وإذا متُّ أرغب إليك أن تدفن جسدي إلى جانب

مغارتي. وبعدما مكث معي ثلاثين يوماً ودّعني وانقلب راجعاً على منفردهِ* قال بَفنوقيوس: فلمّا سمعتُ أقوال أُنُفْريوس أخذني العجب. فسأَلتُهُ كيف كانت سيرتك في أوّل سكناك ههنا. فقال اني كنت في تعب شاقّ وضيق باهظ من سبب حرّ الصيف وبرد الشتاء والجوع المذيب. ولكن لمّا رأَى الربّ صبري وشوقي إلى التألّم من أجلهِ صار يرسل إليَّ ملاكي الحارس وياتيني كلّ يوم بخبز وماء لقيام حياتي. وهذه النخلة صارت تثمر لي في كلّ سنة اثنَي عشر عنقودٍ تمراً لكلّ شهر عنقود. واقتات أيضاً مع ذلك ببعض الحشائش* قال ثمّ انّ أُنُفْريوس أخذني إلى قلاّيتهِ فاطعمني وسقاني وصرفنا الليل كلّهُ في الصلوة. وعند الصباح وجدتُهُ متغيّر اللون فقال لي: لا تخَفْ يا أخي بَفنوقيوس فانّ الربّ الرحوم قد أرسلك إليّ لتدفن جسدي لأنّ اليوم هو الأخير من حياتي وأنا منطلق إلى محلّ الراحة. فإذا انطلقتَ إلى مصر فاخبر الرهبان بما حكيتهُ لك من النعم التي نلتُها من الله الذي لا يهمل من يثق بهِ. فعند ذلك انطرحتُ على قدمَي هذا الشيخ القدّيس وطلبتُ بركتهُ. فبعدما باركني جثا على ركبتيهِ والدموع تهطل من عينيهِ وهو يتنهّد إلى أن طارت روحهُ إلى السماء فوقع جسدهُ على الأرض. وحينئذٍ سمعتُ نغمات ملائكيّة تسبّح بعظائِم الله* ثمّ اني خلعتُ ثوبي وشقّيتهُ إلى نصفين وكفّنتُ بالنصف الواحد جسد أُنُفْريوس ودفنتُهُ في صخرة محفورة* ورجعتُ مخبراً بأمر هذا القدّيس البارّ* وكانت وفاة مار أُنُفْريوس الحبيس سنة ٣٩٠ للمسيح*

* اليوم الثالث عشر *

مار انطونيوس البادواني المعترف الذي من رهبنة مار فرنسيس

انّ هذا القدّيس المعظّم وُلد في مدينة لِسبونَة قاعدة مملكة برتوغال سنة ١١٩٥. وكان أبواهُ شريفين في الحسب والنسب وغنيَّين في المال. وسُمّي في عماذهِ فردينَنْدُس* ومنذ نعومة أظفارهِ كان كملاك في التقوى والطهارة والمحبَّة* ولمّا صار عمرهُ خمس عشرة سنةً أراد الله أن يحفظ طهارة صباهُ من أدناس الدنيا فالهمهُ أن يخصّص لهُ نفسهُ. وكان خارج أبواب مدينة لِسبونة ديرٌ لرهبان مار اوغسطينُس فدخل فيهِ تاركاً أهلهُ وعشيرتهُ ومعارفهُ. وقضى في ذلك الدير مع المبتدئين مدّة سنتين. ثمّ نذر نذورهُ* وأُرسل إلى دير آخر لكي يكون بعيداً عن وطنهِ وأهلهِ وقرأَ هناك علمَي الفلسفة واللاهوت على اثنين من أمهر المعلّمين. وكان منعكفاً على الدرس في الكتاب المقدّس وفي أقوال الآباء* ولمّا رأَى روساؤهُ نجاحهُ في الفضيلة والعلم رسموهُ كاهناً* وبعدما قضى في الدرس ثماني سنين ألهمهُ الله أن يدخل رهبنة مار فرنسيس ليدرس علم الفضائل كالفقر والتواضع والطاعة وما أشبه ذلك*

وفي سنة ١٢٢٠ دخل رهبنة مار فرنسيس في دير اوليوَرْس ودُعي باسم انطونيوس* وكانت غاية هذا القدّيس بدخولهِ هذه

الرهبنة موجَّهةً إلى الاستشهاد لأنّهُ كان يشاهد أخوة مار فرنسيس يسفكون دماءَهم في بلاد مَراكش في افريقا من أجل الإنذار بانجيل يسوع المسيح. ولمّا كان يتمنَّى أن ينال حظّاً كحظّهم طلب إلى روسائهِ أن يرسلوهُ منذراً في بلاد مَراكش لعلّهُ يسفك دمهُ هناك في حبّ يسوع المسيح. فمن أجل لجاجتهِ في هذه الطلبة تركوهُ يذهب إلى هناك. ولكنّ الله الذي كان قد أعدّهُ لعمل آخر سمح بانّ انطونيوس بعدما وصل إلى افريقا اعترتهُ حمَّى مدّة أربعة أشهر واضطرّتهُ أن يرجع إلى اوروبا. وفي رجوعهِ زار أباهُ مار فرنسيس الذي كان وقتئذٍ في مدينة اسّيسيا*

واجتمع ذات يوم الرهبان الفرنسيسيُّون للمفاوضة الروحيّة فيما بينهم. وكان كلٌّ منهم يخطب أمام أخوتهِ. فلما أفضت النوبة إلى مار انطونيوس قال لهم: يا أخوتي اني ما خطبتُ بعدُ جهراً ولستُ كفواً لذلك فارجوكم أن تعفوني. فقال لهُ الرئيس آمرك باسم الطاعة أن تكرز على الرهبان. وان أخطات في الكلام فلا بأس* فعند ذلك انتصب القدّيس وشرع يخطبهم بحرارة فائقة. فاندهشوا من أقوالهِ السامية وتأكّدوا انّ روح القدس كان ينطق في فيهِ* ولمّا علم مار فرنسيس بالكنز العظيم الحاوي العلم والقداسة المختفي في ابنهِ انطونيوس امرهُ أن يكون معلّم اللاهوت للرهبان. فللوقت وضع الله هذا السراج الذي كان مختفياً تحت المكيال إلى حينئذٍ على المنارة ليُضيءَ للكنيسة المقدّسة. فشرع مار انطونيوس يعلّم اللاهوت في بلاد مُنْتْفليار وفرنسا

وبُلونيا وبادْوَا في ايطاليا* فصار مار انطونيوس أوّل من علّم اللاهوت في هذه الرهبنة وأوّل راهب منها وعظ في فرنسا وإيطاليا. وهدى إلى الله جمّاً غفيراً من النفوس* وكانت أقوالهُ كالنار تضرم القلوب. وكان يجادل الهراطقة. واجتذب كثيراً منهم إلى حضن الكنيسة الكاثُليكيّة. وكان كلّما رآهم يصرفون مسامعهم عن إرشادهِ ينطلق إلى شاطئ البحر ويدعو السمك إلى سماع كلامهِ قائلاً: تعالي يا اسماك البحر فانّ الهراطقة لا يريدون أن يسمعوني. وحينئذٍ كان كثير من جميع أصناف الحيتان يُخرجنَ رؤُوسهنّ من الماء بترتيب عجيب وينصتنَ إلى أقوالهِ. فكان القدّيس يكرز عليهنَّ بالاحسانات التي جاد الله بها عليهنّ وبالشكران الواجب عليهنّ تأديتهُ لخالقهنّ. وعند نهاية خطبتهِ كانت الأسماك تُحني رؤُوسهنّ أمامهُ ثمّ يغطسنَ في البحر* وبهذا كان يسبّب خجلاً للهراطقة. فكانوا يأتون منطرحين على قدميهِ طالبين أن يعظهم بكلام الله ويعلّمهم الحقّ. وكان مُعظَمهم يهجرون أضاليلهم ويدخلون في حضن الكنيسة المقدّسة*

وفي ذات يوم دعاهُ الهراطقة ليتغدَّى عندهم. ولمّا كان القدّيس يحبّ مجالستهم رغبةً في اجتذابهم أجاب إلى دعوتهم. ولمّا جلسوا على المائدة علم بوحي إلهيّ أنّ الهراطقة وضعوا سمّاً في الطعام الذي أمامهُ مريدين أن يقتلوهُ. فلمّا وبّخهم على ذلك أقرُّوا بذنبهم معتذرين انّهم أرادوا بهِ أن يمتحنوهُ ليروا هل هو رجلٌ رسليٌّ وكلامهُ حقٌّ لأنّ المسيح قال لتلاميذهِ انَّهم ان شربوا السمّ فلا يضرّهم. وأخيراً وعدوهُ أن

يهتدوا إلى الايمان الذي يكرز بهِ ان هو أكل السمّ ولم يمت. فعند ذلك عمل القدّيس علامة الصليب وجعل يأكل من ذلك الطعام المسموم من دون خوف* فلمّا رأى الهراطقة انَّ السمّ لم يؤَثّر فيهِ تأكّدوا أنّهُ حقّاً رجل الله. فكفروا بأضاليلهم ودخلوا في حضن الكنيسة الكاثُليكيّة*

وكان ربّنا يسوع المسيح يعمل كرامات باهرة على يد عبدهِ انطونيوس في وعظهِ فانّهُ حينما كان يعظ كانت تتغيّر القلوب وترتجع النفوس إلى الله. وكان الرسل يفهم كلامهُ كلّ ذي لغة غريبة* ولكثرة الكرامات التي كانت تحدث في وعظهِ كان الناس يتقاطرون إليهِ أفواجاً أفواجاً. ولمّا كانت الكنائس لا تسع كثرة الزحام كان مار انطونيوس يأخذهم إلى البرّيّة وهناك يعظهم بكلمة الحيوة* ولم يكن عجيباً في وعظهِ فقط بل في استعرافهِ أيضاً. فذات يوم أتى إليهِ خاطئٌ عظيم ليعترف بخطاياهُ وكان هذا الخاطئ يبكي بمرارة متوجّعاً على آثامهِ حتى انّهُ لم يكن يقدر أن يلفظها. فلمّا رآهُ القديس قال لهُ: يا ابني بما انَّ بكاءَك يمنعك من الاقرار بها بفمك فاكتبها لي في ورقة. فلمّا كتبها التائب وقدّمها لهُ إذا بتلك الخطايا المكتوبة قد امّحت كلّها من الورقة علامةً للغفران* ويوماً آخر أتاهُ صبيّ معترفاً لديهِ بانهُ ضرب أمَّهُ برجلهِ. فوبَّخهُ القدّيس قائلاً: يا ابني اما تعلم انَّ الصبيَّ الذي يتجاسر ويضرب أمَّهُ برجلهِ يستحقّ أن تُقطع رجلهُ. فانطبعت كلمة القدّيس في قلب الصبيّ حتى انّهُ لمّا قام من الاعتراف

ورجع إلى البيت قطع رجلهُ. فأُخبِر مار انطونيوس بذلك فصلّى وقرن الرجل مع الساق فاتَّصلا وقام الصبيّ صحيحاً معافىً*

ولمّا رأَى الشيطان عدوّ الخير أعمال مار انطونيوس والنفوس الكثيرة التي خلّصهنَّ من يديهِ شمّر لمحاربتهِ. وكان القدّيس يقهرهُ دائماً بقوّة الله* فيوماً ما عرض لهُ الشيطان وأراد أن يخنقهُ. فاستغاث القديس بمريم العذراء محاميتهِ الخصوصيَّة وللوقت هرب ابليس* ويوماً آخر أراد الشيطان أن يقلق السامعين حينما كان مار انطونيوس يعظ. فتزيّا بزيّ رجل غريب مسافر ودخل الكنيسة وقال لامرأَةٍ من الشريفات انَّ ابنكِ قد مات في الغربة. فشاهدهُ القدّيس من على منبرهِ. فقال للمرأَة لا تصدّقي هذا الخبر. فانَّ الذي أتاكِ بهِ هو شيطان وأراد بهِ أن يقلقكِ ويقلق الجماعة. وفي الحال هرب اللعين*

وكان ربّنا يسوع المسيح يظهر لعبدهِ انطونيوس ويملأهُ عزاءً. من ذلك انهُ في إحدى الليالي إذ كان مار انطونيوس في حجرتهِ يصلي إذا بنور سماويّ سطع في الحجرة فرفع عينيهِ فشاهد طفلاً جميلاً إلى الغاية جالساً على كتابهِ وتقدَّم الطفل إليهِ وارتمى في حضنهِ. فتناولهُ القدّيس بارتقاش وشرع يقبّلهُ إلى أن شبع من حبيبهِ يسوع وحينئذٍ غاب الطفل عنهُ*

وكان مار انطونيوس متدقّقاً في حفظ قوانين رهبانيّتهِ فانَّهُ مع كلّ الأعمال التي كان يعملها كان يلازم الصوم والتقشُّف والفقر والطاعة وسائر فرائض الرهبنة. ووهب لهُ الله روح النبوَّة من ذلك

انَّهُ ذات يوم تنبّأَ لامرأةٍ على ابنها بانّهُ سيكون معتبراً في الكنيسة وراهباً في رهبنة مار فرنسيس ويكون شهيداً. وصحَّ كلامهُ فيما بعد* وتنبّأَ أيضاً على كاتبٍ بأنّهُ سيصير شهيداً. وصار كما قال*

وكان أبو مار انطونيوس عاملاً عند ملك برتوغال وكان رجلاً مغفَّلاً. فذات يومٍ سلّم مبلغاً من الدراهم لوكلاءِ الخزنة الملكيَّة ولم يأخذ منهم ورقة التسليم ثقةً بهم. فلمَّا تحاسبوا بعد ذلك انكروا عليهِ ذلك المبلغ ورفعوا الأمر إلى الملك. فشقَّ ذلك على أبي مار انطونيوس لأنَّهُ لم يكن لهُ عونٌ بشريٌّ* ولمّا عقد الملك مجلساً لينظر في هذه الدعوى إذا بمار انطونيوس دخل المجلس وقال لوكلاء الخزنة أدّوا الآن المبلغ الذي سلّمكم إيّاهُ هذا الرجل في اليوم الفلانيّ وفي الساعة الفلانيّة وفي المكان الفلانيّ بأكياسٍ كذا وبأجناسٍ كذا وأمام فلان وفلان والاَّ فيعاقبكم الله بغتةً. فلمَّا سمعوا هذه الكلمات احمرَّت وجوههم خجلاً فادَّوا المبلغ في الحال*

ويوماً آخر أُتهِم أبوهُ بانّهُ قتل رجلاً فقضوا عليهِ بالموت. وكان حينئذٍ مار انطونيوس في مدينة بادوَا. فعلم بالهامٍ إلهيّ المصيبة الواقع فيها أبوهُ. فبعد الغداء استأذن بوّاب الدير وخرج من المدينة. فحملهُ ملاك الربّ (مثل حبقوق النبيّ) من مدينة بادوَا إلى مدينة لِسبونة. فذهب عند القاضيّ وقال لهُ: لماذا قضيتم على هذا الرجل البريّ بالموت. خلّوا سبيلهُ. فلم يشأ القاضي أن يطلقهُ. فعند ذلك انطلق مار انطونيوس إلى قبر المقتول وأقامهُ بقدرة الله وأتى بهِ امام القاضي

وأهل المجلس وقال للقاضي: اسأَلهُ هل هذا الرجل هو الذي قتلهُ. فأجاب القتيل قائلاً انَّ هذا الرجل بريٌّ من دمي وانَّهُ ليس لهُ يدٌ في قتلي. وهكذا استعلنت براءَة أبي مار انطونيوس فأُطلِق ورجع القتيل إلى قبرهِ ورجع مار انطونيوس إلى مدينة بادوَا في الطريق الإلهيّ الذي أتى منهُ*

وكانت غيرة مار انطونيوس على مجد الله وخلاص النفوس لا توصَف حتَّى انَّهُ صرف حياتهُ في أعمال الوعظ واستماع الاعترافات واجتذب لله نفوساً لا تحصى* ولمّا حان الزمان الذي فيهِ أراد الله أن يجازيهُ على كلّ هذه الأعمال العظيمة التي عملها اعلمهُ بالسعادة التي اعدّها لهُ في السماء. فانفرد القدّيس في دير خارج مدينة بادوَا وهناك تأَهَّب للسفر من هذه الدنيا. واعتراهُ سقمٌ وكان يشتدّ يوماً فيوماً إلى ان دنا بهِ إلى الموت. فبعدما أخذ أسرار البيعة المقدّسة وقال سبعة مزامير التوبة مع اخوتهِ ونشيداً جميلاً لمريم العذراء ردّ نفسهُ لله. وكان ذلك في اليوم الثالث عشر من شهر حزيران سنة ١٢٣١ وعمرهُ ستّ وثلاثون سنة* وفي حين موتهِ كان صبيان مدينة بادوَا يركضون في الأزقَّة صارخين: مات القدّيس مات القدّيس. فاجتمع الناس إلى دفنتهِ وكانوا مزدحمين بعضهم بعضاً. ودُفن باحتفال عظيم* ورفع الله قدرهُ بالكرامات الكثيرة التي أجراها بشفاعتهِ حتَّى انَّ البابا غريغوريوس التاسع كتب اسمهُ في سفر القدّيسين سنة ١٢٣٢ وذلك بعد موتهِ بسنة*

وشاع صيت قداسة مار انطونيوس ومجدهِ وعجائبهِ في كلّ مكان فكان الناس يأتون من كلّ جهة لزيارة قبرهِ. وشيَّد أهل مدينة بادوَا كنيسة جميلة على اسمهِ* وبعد موتهِ باثنتين وثلاثين سنة نقلوا جسدهُ من ضريحهِ إلى الكنيسة حيث هو موجود الآن. وكان مار بوناونتورا الرئيس العامّ حينئذٍ على رهبنة مار فرنسيس حاضراً في نقل جسد مار انطونيوس فوجد لسان هذا القدّيس طريّاً كما لو كان فقبّلهُ باكرام عظيم* وقد اعتاد المسيحيّون أن يستغيثوا بهذا القدّيس في الأشياء المفقودة. وبالحقيقة انَّهم طالما اختبروا قدرتهُ في وجدانها وذلك لأنَّ مار انطونيوس في حياتهِ كان قد فقد كتاب المزامير الذي كان يصلّي فيهِ. وكان راهبٌ من المبتدئين قد انهزم من الدير وأَبق بهِ. فشرع القدّيس يصلّي إلى ربّنا يسوع المسيح أن يعيد عليهِ كتابهُ. فإذ كان سارقهُ يعبر نهراً عرض لهُ الشيطان وفي يدهِ سيف مجرَّد وقال لهُ ان رجّعت الكتاب على مار انطونيوس والاَّ قتلتُك بهذا السيف. فارتعد هذا الراهب الشقيّ وانقلب راجعاً إلى الدير ورمى الكتاب أمام القدّيس مستغفراً وطالباً الدخول من جديد في الرهبنة*

* اليوم الرابع عشر *

مار باسيليوس الكبير أسقف قيصريَّة ومعلّم الكنيسة ـ اليشع النبي

مار باسيليوس الكبير أسقف قيصريَّة ومعلّم الكنيسة

انَّ القدّيس المعظّم باسيليوس فخر الكنيسة الشرقيّة وُلد في مدينة قيصريّة كرسيّ مطرنة قَفَدُوقيّة في نحو سنة ٣٢٩. وكان أبواهُ شريفَين بالأصل وساميَين بالفضل وغنيَّين بالمال. وكان اسم أبيهِ باسيليوس واسم أمّهِ اميليه. ولقد بانت قداسة سيرة هذين الزوجين بقداسة أولادهما فانَّ الله بارك زيجتهما ورزقهما عشرة أولاد. وكان البكر منهم القديسة مكَرينة التي نذرت بتوليّتها لله وترهبت في أحد الأديرة. ومنهم أربعة غِلمة صاروا معتبَرَين في الكنيسة وهم قدّيسنا باسيليوس الكبير ومار غريغوريوس اسقف نوسس ومار بطرس اسقف سبسطيّة ونَوقراطُس الذي صار راهباً. وامَّا الباقون من الأولاد فلا تذكر لنا التواريخ عنهم شيئاً*

امَّا مار باسيليوس فاحسن أبواهُ تربيتهُ منذ حداثتهِ وأرسلاهُ عند جدّتهِ مكَرينة لكي تهدي أوَّل خطواتهِ في سُبُل الكمال المسيحي. وكان ذا عقل ثاقب جدّاً* وبعد موت أبيهِ الذي كان شرف بلاد البنطُس تعلّم باسيليوس العلوم الدنيويّة أوَّلاً في قيصريّة ثمَّ في

القسطنطينيّة وحاز قصبات السبق على جميع أقرانهِ. وبعد ذلك انطلق إلى مدينة اثيناس قاعدة بلاد اليونان ليتكمّل في العلوم. وكانت هذه المدينة حينئذٍ سرير العلوم ولا سيَّما البيان والفلسفة. ووجد هناك في المدرسة مار غريغوريوس النازِيَنزي الذي كان قد جاءَ قبلهُ ليقرأَ العلوم أيضاً. ولمّا كان هذان القدّيسان متساويَين في الفضيلة والعلم وموجّهَين غايتهما إلى جهة واحدة ارتبطا بعقال صداقة قلبيّة فاصبحا كأنّهما جسدان حيّان بروح واحدة. وكانا يعيشان سويّةً بالتعفّف والاحتشام والقناعة متجنّبين شبّان تلك المدرسة الذين كانوا منغمسين في اللذّات التي يسوقهم إليها الشباب. وملازمين الصمت والصلوة والدرس. ولم يكونا يعرفان في آثيناس سوى طريقين وهما الطريق التي تودّيهما إلى المدرسة والطريق التي تودّيهما إلى الكنيسة* وفاق هذان القدّيسان جميع رفاقهما وذلك بجودة قريحتهما ومواظبتهما على درس العلوم في الشعر والبيان والفلسفة وغير ذلك. واستمرّا على هذه الحالة المقدّسة سنين حتّى ختما مسعاهما* وحينئذٍ ترك مار باسيليوس خليلهُ مار غريغوريوس في آثيناس ورجع إلى بلدهِ قيصريَّة وعمل فيها مدرسة لطلبة علم البيان. ثمَّ انطلق إلى مصر وقرأَ هناك علم الالهيات على المعلّم برفيرُس الذي كان رئيس ديرٍ. ثمَّ رجع إلى آثيناس ليزور معلّمهُ في الفلسفة أَوْبولس وهداهُ إلى الايمان المسيحيّ وأخذهُ معهُ إلى أورشليم ليتعمّذا سويّةً في نهر الأردنّ. ولمّا صارا هناك عمّذهما مكسيمُس بطريرك اورشليم. وفي حين عماذ مار باسيليوس نزل من السماء كرة ناريّة وخرج منها

حمامة ضربت بجناحيها ماء الأردن ثمَّ طارت إلى السماء* وبعد ذلك رجع مار باسيليوس إلى انطاكية فسامهُ بطريركها شمّاساً. فشرع يكرز بالانجيل ويبثّ أشعَّة نور تعليمهِ السامي بغيرة رسليّة* ثمَّ سامهُ اسقف قيصريَّة قسّيساً*

ولمّا كان مار باسيليوس في مصر ورأَى حسن أعمال الرهبان المتوحّدين في البراري تاق إلى عبادة الله في الخلوة فانطلق إلى برّيّةٍ في البنطُس يقال لها ماتايا. وشرع يعبد الله هناك بالصوم والصلوة والتأمّل* ولمّا علم مار غريغوريوس النازِيَنزي انّ صديقهُ مار باسيليوس قد انفرد في البرّيَّة لعبادة الله ترك وطنهُ وجاء إليهِ واستمرّ في صحبتهِ عدّة سنين. وكانا كلاهما سائرَين في البرّيّة سيرةً ملاكيَّة* وتتلمذ لمار باسيليوس في البرّيّة كثيرون فكتب لهم قوانين رهبانيّة وأمرهم بحفظها*

وفي ذلك الزمان كان الهراطقة الآريوسيّون يبدون أضراراً كثيرة في قيصريّة قَفَدوقية وكان الملك والنّْس يعينهم على ذلك فلمّا رأَى مار باسيليوس هذا الخراب جزم على محاربتهم. فترك منفردهُ وشرع يناضلهم ويفنّد أضاليلهم* وفي غضون ذلك مات اوسابيوس أسقف قيصريّة فانتُخِب مار باسيليوس اسقفاً مكانهُ بسعي خليلهِ مار غريغوريوس النازِيَنزي. فلمّا استقرَّ على كرسيّهِ أخذ يسعى في إزالة أضاليل الآريوسيّين وتوطيد الإيمان الكاثُليكيّ* وحدث مجاعةٌ في تلك البلاد أهلكت خلقاً كثيراً. فباع مار باسيليوس كلَّ أموالهِ وأعال بها

الفقراء. وفتح أكياس كثيرين من الأغنياء. فكان القويّ يسند الضعيف* وعمّر مارستاناً لمداراة الفقراء المرضى* وكان يشفق على أولئك الذين قد أعمتهم الرذيلة والشقاق والهرطقة وزاغوا عن طريق الخلاص فكان يسعى في جذبهم إلى أن يرعووا. وبانت غيرتهُ في حادثٍ مشهور جرى بينهُ وبين الملك والَنْس الآريوسي وذلك انّ هذا الملك لمّا جاء إلى قيصريّة وعلم بأعمال مار باسيليوس في محاربة الآريوسيّين جزم على اضطهادهِ. فشرع أوّلاً يتملّقهُ بمواعيدهُ لعلّهُ يجتذبهُ إلى مذهبهِ. ولكنّ القدّيس قاومهُ على ذلك بشجاعة* ولمّا رأَى الملك انّهُ لم يتمكَّن منهُ سلّم أمرهُ إلى أحد أرباب مشورتهِ وكان اسمهُ مُدَسْتُس فاحضرهُ مُدَستُس أمامهُ وقال لهُ: من أين لك هذه الجسارة حتى تقاوم الشوكة الملكيّة. اتظنّ انّك قادرٌ على ذلك. قال مار باسيليوس لستُ أدري كيف تدعوني جسوراً مع انّي لم أعمل شيئاً يجعلني استحقّ هذا الاسم. قال مُدَستس: جميع الناس أطاعوا الملك الاّ انك أنت وحدك أقمت مصرّاً على المقاومة. قال القدّيس: أَوَ ليس بالصواب يجب عليَّ أن اوثر الطاعة لسلطان السماء على الطاعة لسلطان الأرض. فقال مُدَستس: أوَ لستَ تعرف انّ لنا قوّة على تعذيبك بجميع الأنواع وسلب أموالك ونفيك وقتلك. قال مار باسيليوس: اعلم يا مُدَستس انّ كلّ تهديداتك لا تقدر أن تزعزعني لأنّكم إذا عذّبتموني وقتلتموني فذاك أحبّ إليَّ من أن أبقى في هذه الحيوة الشقيّة لأني بهِ أشاهد يسوع المسيح في السماء. وأمّا قولك عن سلب أموالي فاعلم انّي ليس لي

شيء سوى ثيابي وكتُب قليلة فما الذي تسلبون منّي. وامّا تهديدك ايّاي بالنفي فاعلم انّ الأرض كلّها هي منفى لي فإلى أين تنفوني* فاغتاظ مُدَستس من كلام مار باسيليوس وقال لهُ: انّي لم أرَ قطّ أحداً غيرك تجاسر أن يتكلّم معي بمثل هذا الكلام. فقال القدّيس. لعلّك ما تكلّمت بعدُ مع أساقفة. فاعلم انّنا نحن الأساقفة ملزومون أن نكون متضّعين اذلاّء في كلّ شيء ولكن في مسألة الايمان والاحترام ليسوع المسيح يجب علينا أن نكون شجعاناً أقوياء لا نسمح أبداً بأن تُذَلّ العزّة الإلهيّة في شيءٍ من الأشياء* وبعد مباحثة طويلة جرت بين مُدَستس ومار باسيليوس قال لهُ مُدَستس: امهلك أيضاً هذه الليلة ولي امل انك غداً توجد موافقاً لإرادة الملك. فقال لهُ القديس: لا تخدع نفسك فانّك ستجدني بنعمة الله غداً وبعد غدٍ ودائماً كما وجدتني الآن* ثمّ انّ مُدَستس اطلقهُ ومضى فحكى الملك والَنْس كلّ ما جرى بينهُ وبين مار باسيليوس وقال لهُ انّهُ لمن المحال تغيير باسيليوس عن مذهبهِ. فعند ذلك خلَّى الملك سبيلهُ ونهى عن معارضتهِ* ولمّا كان عيد الدنح أتى الملك والَنس إلى الكنيسة. وكان مار باسيليوس مع زمرة اقليرُسهِ الكاثُليكيّ قائماً في الصلوة وخدمة الأسرار المقدّسة. فلمّا عاين الملك الترتيب العجيب الموجود عند الكاثُليكيّين وسمع انغام المزامير وشاهد تقوى الجماعة وصمتهم واحتشامهم في الكنيسة وجزيل احترامهم لحبرهم مار باسيليوس أخذهُ العجب والانذهال وزال من قلبهِ الحقد الذي كان فيهِ على الكاثُليكيّين* ولكنّهُ لم يلبث زماناً ان

حمّلهُ الهراطقة على مار باسيليوس وحثّوهُ على نفيهِ. فابرز أمراً في نفي مار باسيليوس. ولمّا كان هذا القدّيس في تلك الليلة يستعدّ للخروج من المدينة وكان الآريوسيُّون يرقصون من الفرح والكاثُليكيُّون حزانى وهم يبكون حول راعيهم إذا بربّنا يسوع المسيح أظهر علانيةً حمايتهُ لحبرهِ القدّيس وذلك انّ الصبيّ والنتنيانُس غلاطس وكان ابناً وحيداً للملك أصابهُ في تلك الليلة سقم هائل عجز الأطبّاء عن معرفتهِ ومعالجتهِ. فعند ذلك قالت الملكة لزوجها والَنْس لستُ أشكّ في انّ هذا عقاب من الله على نفي مار باسيليوس. فحينئذٍ اضطرّ الملك أن يستدعي إليهِ مار باسيليوس. فلمّا مثُل القدّيس أمامهُ قال لهُ: ان كان ايمانك حقّاً فاطلب من الله ان لا يموت ابني. فقال القدّيس أيُّها الملك ان آمنت كما اومن وخلّيت الكنيسة في الراحة عاش ابنك. واشير عليك أن تعمّذهُ عند الكاثُليكيّين. وللوقت برئَ الصبي* وإذ لم يشأ الملك أن ينسب شفاء ابنهِ إلى صلاة مار باسيليوس عمّذهُ عند الآريوسيّين ولأجل ذلك مات هذا الصبي بغتةً. فلو امتثل مشورة مار باسيليوس لعاش ابنهُ*

وأتى الآريوسيُّون إلى الملك وقالوا لهُ: انّ مذهبنا لا ينجح ما دام باسيليوس في قيصريّة فحمَّلوهُ عليهِ في هذه المرّة حتى انّهُ جزم ان ينيفهُ تماماً. ولمّا أخذ قلمهُ ليكتب القضاء على مار باسيليوس بالنفي انكسر القلم في يدهِ ثلاث مرّات وكانت يدهُ ترجف حتى انهُ لم يقدر أن يكتب حرفاً واحداً. فلمّا رأَى أنَّ يد الله كانت تحامي مار

باسيليوس خاف أن يعارضهُ فانجبر أن يتركهُ في كرسيِّهِ*

وكان مار باسيليوس راعياً هُماماً متيقّظاً في حراسة قطيعهِ ومهزّماً عنهُ الذئاب الخاطفة. وبلغ إلى قمّة الكمال بطريق التقشّف والصلوة فانّهُ كان يكتسي بثوب واحد ان في الصيف وان في الشتاء وكان ينام على الحضيض ويصوم دائماً ولم يشرب خمراً أبداً. ومن شدّة تقشّفهِ صار مهزولاً سقيماً ليس فيهِ سوى الجلد والعظم. وكان يقضي الليل في التأمَّل* ووهب لهُ ربّنا يسوع المسيح آلاءً غزيرة من ذلك انهُ رتَّب بالهام روح القدس نافورة القدّاس المشهورة باسمهِ. واوّلما قدَّس بهذه النافورة نزل عليهِ من السماء نور سماوي بهر الحاضرين واستمرّ حتى انتهاء الذبيحة الإلهيّة* ويوماً ما حضر يهودي متفكّراً في قدّاس مار باسيليوس. فلمّا كان هذا الحبر القدّيس يكسر الجوهرة المقدّسة شاهد ذلك اليهوديّ طفلاً جميلاً بين يديهِ. فاهتدى بذلك إلى معرفة الحقّ وأتى في الغد إلى مار باسيليوس فعمّذهُ هو وأهل بيتهِ*

واشتهر في ذلك الزمان في مدينة الرها مار افرام السرياني الذي كان ملفاناً منوَّراً من الله. فذات يوم إذ كان يصلّي تراءَى لهُ عمود من نار وسمع صوتاً يقول لهُ انّ هذا العمود هو مار باسيليوس الكبير. وأمرهُ أن ينطلق إليهِ ويسمع أقوالهُ. فانطلق مار افرام إلى قيصريّة. فلمّا دخل الكنيسة عرفهُ مار باسيليوس بوحي إلهي فعانقهُ بمحبَّةٍ جزيلة وأخذ يتفاوض معهُ في أشياء روحيَّة. وكان يبان لمار افرام انّ فم مار باسيليوس كان نازيّاً. ورأَى على كتفهِ الايمن حمامة تلقّنهُ ما كان

يقول. ولمّا كان مار افرام لا يفهم أقوال مار باسيليوس لأنّ لغتهُ هي السريانيّة ولغة مار باسيليوس اليونانيّة طلب إليهِ أن يصلّي إلى الله من أجلهِ ليحصل على معرفة اللغة اليونانيّة. فصلّى مار باسيليوس وفي الحال تعلّمها مار افرام. وكان يفهم أقوال مار باسيليوس ويتخاطب معهُ بها* ثمّ سامهُ مار باسيليوس شمّاساً انجيليّاً لبيعة الرها*

ومن جملة كرامات مار باسيليوس انهُ أبرأَ أبرص. ونال الغفران من الله بأعجوبة لارملة خاطئة. فهذه جاءَت إلى مار باسيليوس وقدّمت لهُ ورقةً مكتوباً فيها جميع خطاياها وتوسَّلت إليهِ أن يصلّي إلى الله من أجلها مستمدّاً لها الغفران. وعربوناً لذلك طلبت إليهِ لتأكيد نوال الغفران أن ترى تلك الورقة ممحيّة منها جميع خطاياها. فبعدما فرض عليها قانوناً وأدّتهُ وصلّى لأجلها وجدت خطاياها قد امّحت من تلك الورقة الاّ واحدة فقط وكانت العظمى. ولكن بعد موت مار باسيليوس وضعت تلك الورقة على جسدهِ وفي الحال امَّحت تلك الخطيَّة بجاه القديس وبدموع هذه التائبة وتوبتها*

ويوماً آخر ضبط الملك والَنْس الآريوسي كنيسةً من الكاثُليكيّين في مدينة نيقيّة وأعطاها للآريوسيّين. فاضطرّ مار باسيليوس أن ينطلق إلى مدينة القسطنطينيّة ويطلب من الملك رجوع تلك الكنيسة على الكاثُليكيّين. فلمّا لم يسمع لهُ الملك قال لهُ: يا سيّد لنضعنّ هذه الدعوى في يد الله وهو يقضيها. مُرْ ان تُغلَق الكنيسة وتبقى شيعتك مصلّية برّا. فان انفتحت أبواب الكنيسة من ذاتها فهي لكم وان لم

تنفتح واتينا نحن وصلّينا برّاً أيضاً وانفتحت من ذاتها فهي لنا. وان لم تنفتح لنا أيضاً فلتبقَ لكم. فرضي الملك بهذا الكلام وأجابهُ إلى ذلك. فلمّا أُغلِقت الكنيسة وصلّى الآريوسيّون برًّا زماناً طويلاً ولم تنفتح لهم أتى مار باسيليوس وحالما صلّى انفتحت الأبواب من ذاتها ففرح الكاثُليكيُّون وخزي الهراطقة وكثيرٌ منهم اهتدوا بهذه الأعجوبة. غير انّ الملك والَنْس أقام دائماً عاصياً ومقسًّى القلب. وبعد زمان قليل اختبر عقاب الله فانّهُ غُلِب في معركة. وكرّ القهقرى وانهزم فاستتر في كُوَيخ فلحقهُ أعداؤهُ واضرموا النار في المكان الذي احتمى فيهِ فاحترق حيّاً. وهكذا صارت آخرة الملك والَنْس الشقيَّة الذي لم يشأْ أن ينثني عن غيّهِ وعتوّهِ*

وكان لمار باسيليوس صديق يهودي وكان طبيباً ماهراً وطالما خاطبهُ القدّيس في شان اهتدائهِ إلى الايمان المسيحي ولم ينتفع من ذلك شيئاً. ولمّا وقع مار باسيليوس مريضاً ودنا من الموت أرسل استدعى صديقهُ اليهودي. فلمّا حضر إليهِ قال لهُ: ما رأيك الآن في صحّتي قال الطبيب اليهودي من بعد ما جسّ نبضهُ: يا صديقي أقول لك الحقّ انك مائت قبل غروب الشمس. فقال لهُ مار باسيليوس فما تقول ان رأَيتني غدا في الحيوة. قال الطبيب: انّ هذا لِمَن المحال ولكن ان رأيتك غداً حيّاً أعدُك بانّي اتنصَّر. فصلّى القدّيس وطلب إلى الله أن يطوّل حياتهُ الجسديّة لأجل هداية هذا اليهودي إلى الايمان ونوالهِ الحيوة الروحيّة. فاستجاب الله صلاتهُ وللوقت نهض

مار باسيليوس من فراشهِ وانطلق إلى الكنيسة وعمَّذ اليهودي وأهل بيتهِ. ثمّ رجع إلى فراشهِ وبعدما حثَّ الحاضرين على التمسّك بعبادة الله سلّم نفسهُ إلى خالقها وهو قائل: يا إلهي في يديك استودع روحي. وكانت وفاتهُ في اليوم الأوّل من شهر كانون الثاني سنة ٣٧٨ وكانت أيّام اسقفيّتهِ ثماني سنين وستّة أشهر وستّة عشر يوماً. ولأنّهُ يوم موتهِ تعيّد الكنيسة عيد ختانة ربّنا يسوع المسيح جعلت عيدهُ في اليوم الرابع عشر من شهر حزيران وهو يوم رسامتهِ أسقفاً*

وبكت مدينة قيصريّة على موت راعيها مار باسيليوس ودفنتهُ باحتفال عظيم*

واشتهر صيت مار باسيليوس أسقف قيصريّة في كلّ المسكونة الكاثُليكيّة لأنهُ ما عدا الأعمال العظيمة التي عملها صنَّف كتباً كثيرة عجيبة معتبرة في الكنيسة. ومدحهُ مار امبروسيوس الذي كان صديقاً لهُ وترجم بعض كتبهِ من اليونانيّة إلى اللاتينيّة* ومار غريغوريوس النازينزي عند تكلّمهِ عن تصانيف مار باسيليوس يقول انّهُ لم يوجد أحدٌ قبلهُ قد فسّر الكتاب المقدّس بنوع أوضح منهُ* ومار غريغوريوس النوسي أخوهُ قال عنهُ انهُ كان نبيّاً وصوت روح القدس وجنديّاً ليسوع المسيح وواعظاً للحقّ ومحامياً شجيعاً للكنيسة. ويشبّههُ في الغيرة بايليا النبيّ ويوحنا المعمذان* وقال عنهُ مار افرام السرياني انّهُ كان مرضيّاً لله مثل هابيل ومصوناً من مياه الطوفان مثل نوح وخليلاً لله مثل ابرهيم وذبيحة مثل اسحق ومنصوراً على الشدائد مثل

أيّوب ومختاراً مثل يوسف. وشبَّههُ أيضاً بموسى هرون ويشوع وأنبياء الله والرسل والإنجيليّين. وحثَّنا على الاقتداء بهِ* وسمعان مَتَفْرسطُس دعاهُ نور الكنيسة الكاثُليكيّة. وشمس الحقّ الساطعة التي تضيء بأشعَّتها الأرض كلّها وعمود الله ومفسّر اللاهوت المنوّر. وابن الحكمة الشرعي وكنز العقل وسفير الآب وبوق الكلمة الأزليَّة ومقسّم مواهب روح القدس* وكنّاهُ ثاودوريطُس بباسيليوس الكبير ومار صُفرونيوس بفخر الكنيسة* وسمّاهُ المجمع الخلقيدوني المسكوني باسيليوس الكبير خادم النعمة ومفسّر الحقّ لكلّ المسكونة. فهذه الألقاب والصفات التي كنّاهُ بها آباء الكنيسة الأوّلون هي دليلٌ كافٍ على سموّ اعتبار هذا القديس الجليل الذي صار قدوةً للصبيان في فضائل حداثتهِ. وقدوةً للشبَّان في احتشامهِ وطهارتهِ وهربهِ من المعاشرات الرديَّة وولعهِ في الدرس وخلوص صداقتهِ وقدوةً للرهبان بسيرتهِ الكاملة. وقدوة للكهنة بحسن سيرتهِ الصالحة وتعاليمهِ السامية. وقدوة للأساقفة بوصالهِ مع الكرسي الرسولي وبشجاعتهِ في محاربة أعداء الحقّ وغيرتهِ على مجد الله وخلاص النفوس. وقدوة للمعلّمين بشغلهِ المداوم في التفتيش العميق على الحقّ. وقدوة لجميع النفوس الكاملة ببهاء جميع فضائلهِ. ونقول بالاجمال انّهُ فخر الكنيسة الشرقيّة ومجد الكنيسة الكاثُليكيَّة كلّها*

اليشع النبي

انّ اليشع النبيّ كان ابن شافاط من مدينة آبل محولة. وكان في أيّام ملوك يهوذا يوشافاط ويهورام واخزيا وعتليا ويواش. ولمّا أمر الله ايليا النبيّ ان يمسح اليشع نبيّاً جاء إلى آبل محولة فوجد اليشع يحرث واثنا عشر فدّان بقر قدّامهُ. فدنا ايليا منهُ وطرح رداءَهُ عليهِ فترك البقر واتّبع ايليا وكان يخدمهُ. ولمّا اصعد الربّ ايليا النبيّ في العاصفة إلى السماء ورِث اليشع رداءَهُ وحاز منهُ روحاً مضاعفة في النبوّة وعمل الآيات. وأخذ اليشع النبيّ رداء معلّمهِ ايليا النبيّ وجاءَ إلى نهر الأردن وضرب بهِ الماء وقال: أين هو الربّ إله ايليا. ثمّ ضرب الماء أيضاً فانفلق إلى هنا وهناك. فعبر اليشع* ولمّا صار في ايريحا اتى رجال المدينة وقالوا لهُ: هوذا موقع المدينة حسن وامّا المياه فرديئة والأرض مجدبة. فقال: ايتوني بصحن جديد وضعوا فيهِ ملحاً فاتوهُ بهِ* فخرج إلى نبع الماء وطرح فيهِ الملح وقال: هكذا يقول الربّ قد أبرأَتُ هذه المياه لا يكون فيها أيضاً موت ولا جدب. فبرئت المياه حسب قول اليشع الذي نطق بهِ* ثمّ صعد من هناك إلى بيت ايل. وفيما هو صاعدٌ في الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا بهِ وقالوا لهُ: اصعد يا أصلع. اصعد يا أصلع* فالتفت إلى ورائهِ ونظر إليهم ولعنهم باسم الربّ. فخرجت دبّتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين صبيّاً* وذهب من هناك إلى جبل الكرمل ومن

هناك رجع إلى السامرة* ومن جملة الكرامات التي جرت على يد هذا النبيّ أيضاً هو انّهُ أفاض قلّة الزيت لامرأَة فقيرة حتى وفت دينها منهُ وعاشت هي وبنوها بما بقي* وأحيا أيضاً ابن المرأَة الشوناميّة التي كانت تضيفهُ في بيتها باضّجاعهِ فوق الصبي مرّتين ووضعهِ فمهُ على فمهِ وعينيهِ على عينيهِ ويديهِ على يديهِ* ولمّا كان اليشع في الجلجال وكان جوع في الأرض وكان بنو الأنبياء جلوساً أمامهُ قال لواحد من تلاميذهِ: اطبخ طبيخاً لبني الأنبياء. فخرج واحد إلى الحقل ليلقط عشباً برّيّاً فوجد كجفنة برّيّة ولقط منها حنظلاً وملأَ طرفهُ وجاء وطرحهُ في قدر الطبخ لأَنّهُ لم يعلم ما هو فصبّوا لاصحابهم ليأكلوا فلمّا ذاقوا من الطبيخ صاحوا وقالوا لإِليشع: يا رجل الله انَّ في القدر موت ولا يستطيعوا أن يأكلوا فقال: هاتوا دقيقاً ولمّا أتوهُ بهِ ألقاهُ في القدر وصاروا يأكلون فكأَنَّهُ لم يكن شيءٌ رديٌّ في القدر* ومن أجلّ كرامات هذا النبي هو انّهُ أشبعماية رجل من عشرين رغيف خبز شعير وفضل عنهم* وأبرأَ نعمان رئيس جيش ملك آرام من برصهِ حين أمرهُ أن يغتسل سبع مرّات في ماء الأردن وآمن باله اسرائيل* وضرب اليشع حجزي غلامهُ ببرص نعمان الآرامي لأَنّهُ خانهُ بأخذهِ من نعمان الهديّة التي أبى أخذها سيّدهُ اليشع* ولمّا كان واحدٌ يقطع خشبةً وقع حديد الفاس في ماء الأردن فصرخ إلى اليشع. فقال رجل الله اين سقط. فأراهُ الموضع. فقطع عوداً وألقاهُ هناك فطفا الحديد على وجه الماء وردّهُ لصاحبهِ*

وتنبَّأَ اليشع عن جوع يأتي على الأرض سبع سنين وكان كذلك* وبعدما تنبَّأَ اليشع النبي عن أمور كثيرة وصنع كرامات باهرة مرض مرضهُ الذي مات بهِ وكان ذلك سنة ٣١٦٥ للعالم وهي سنة ٨٣٩ قبل المسيح فدفنوهُ* وأجرى الله بعد موتهِ كرامة باهرة وهي انَّهم طرحوا رجلاً ميتاً في قبر اليشع. فلمّا نزل الرجل ومسَّ عظام اليشع حيي وقام على رجليهِ*

* اليوم الخامس عشر *

القدّيسة جرمانية كوزين العذراء

انّ هذه القدّيسة وُلدت سنة ١٥٧٩ في قرية تُدعى فِبراق من ابرشيّة تُلوزا من أعمال فرنسا. وكان أبوها حرّاثاً فقيراً. ولمّا ماتت أمّها وهي بعد صغيرة تزوَّج أبوها فكانت امرأَة أبيها سأُوماً توذي الصبيّة جرمانيّة وتهمل تربيتها. ولمّا كان الله يحبّ جرمانيّة ويريد أن يجعلها قدّيسة جرَّبها منذ صغرها باسقام مختلفة كانت شلاّء اليد مقرّحة في كلّ جسمها. واحتملت هذه الأسقام بصبر جميل طول حياتها. ولمّا خرجت من سنّ الطفوليّة وكانت امرأَة أبيها تشمئزّ منها وتبغضها ولا تقدر أن تنظر إليها أرسلتها إلى البراري لرعاية الغنم. فكانت هذه الصبيَّة المسكينة تبكر صباحاً وتسرح بالغنم وترجع عند المساء إلى

البيت وتبيت في كوخ دنيّ طولهُ خمسة أقدام كانّهُ القبر. وكانت جرمانية تنشو في العمر عائشة في الانفراد والاهمال من الجميع والأسقام والفقر. ولكنّ ربّنا يسوع المسيح لم يهمل هذه الفتاة الفقيرة اليتيمة بل صار لها أباً وأمّاً ومعزّياً ومعلّماً وعلّمها علم القدّيسين* وهاك ملخّص سيرتها: انَّها كانت كلّ يوم صباحاً تمضي إلى الكنيسة وتسمع القدّاس ثمّ تنطلق إلى البرّيَّة وترعى الغنم* وفي النهار كانت تجمع الرعاة الصغار رفاقها وتعلّمهم أن يعرفوا الله ويحبّوهُ ويعبدوهُ. وكانت تقسم خبز فقرها مع الفقراء وتقضي بقيَّة نهارها بالصلوة. وعند المساء ترجع بقطيعها إلى القرية. وكانت تحتمل كلّ ما يصيبها من الأذيّات من امرأَة أبيها. وهكذا بصبرها كانت تغلب الشيطان والعالم والجسد وتزيد لآلئ تاجها. وفي الليل كانت تدخل كوخها وتنام على حطب* وفي أيّام الأحد والأعياد كانت تتناول القربان المقدَّس وتقضي نهارها في الكنيسة بالمفاوضة مع يسوع المسيح* وبهذا النوع من السيرة تقدّست جرمانية وصارت عزيزة على يسوع المسيح. وجازاها بوهبةٍ لها قدرة عظيمة على الطبيعة* فذات يوم زاد ماء السيل فلم تقدر القدّيسة أن تعبرهُ وكانت منطلقة إلى الكنيسة. فامتلأَت من الايمان والثقة بيسوع المسيح وعبرتهُ ماشيةً على الأمواج* وكانت الذئاب لا تجسر على غنمها لأنَّها كثيراً ما تركت قطيعها في حماية الله ومضت لقضاء حاجةٍ. ولم يكن يصيب غنمها أدنى ضرر* ولمّا شاهد ذلك أهل القرية بدأُوا أن يعرفوا قداستها وتأكّدوا ذلك بهذا الحادث وهو انّ القدّيسة

جرمانية ذات يوم أخذت من البيت بعض فتات للفقراء ومضت بغنمها إلى البرّيّة فلمّا علمت ذلك امرأَة أبيها أخذت عصاً ولحقتها. وكانت تشتمها وتتهدّدها. فنظرها رجلان من أهل القرية وتبعاها رجاء أن يحاميا تلك الصبيّة المسكينة* فلمّا دنا منها الرجلان وامرأَة أبيها وفتحوا ذيلها لم يجدوا سوى رزمة زهر لم يروا مثلها قطّ في تلك الأراضي مع انّهُ كان فصل الشتاء الذي ليس هو ابّان الزهور. فتعجَّب الرجلان من ذلك وفهما انّ لزهر كان من السماء فرجعوا إلى القرية وحكيا ذلك لجميع الناس فصار الجميع يعتبرونها كقدّيسة*

وبعد زمان قليل أراد ربّنا يسوع المسيح أن يدعوها إلى خدرهِ السماويّ ففي أوائل الصيف من سنة ١٦٠١ انتظر أبوها خروجها من كوخها. ولمّا رآها قد جاوزت عادتها دخل كوخها فرآها ميتةً ولكنَّها كانت متبسّمة. وفي تلك الليلة شاهد راهبان زمرةً من العذارى آتيات إلى قرية فبراق. ولمّا خرجنَ من القرية رأيا بينهنَّ جرمانيّة مكلّلة بزهور بهيّة* ولمّا كان الصباح أتى الرهبان إلى القرية فوجدوا جرمانية قد ماتت* واجتمع الناس ودفنوها باحتفال عظيم في الكنيسة*

وكان ذكرها وآثار فضائلها تُنسَى رويداً رويداً مع مرور الزمان. فبعد أربعين سنة ماتت امرأَة من تلك القرية فأرادوا أن يدفنوها في قبر جرمانية. فلمّا فتحوهُ وجدوا جسدها سالماً من الفساد بل طريّاً كأنَّهُ جسد نائِم. وأخذت من ثمَّ تظهر كرامات هذه القدّيسة في شفاء المرضى*

وفي اليوم السابع من شهر أيَّار سنة ١٨٥٤ قداسة سيّدنا البابا

بيوس التاسع المالك سعيداً كتب اسمها في سفر الطوباويّين. وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر حزيران سنة ١٨٦٧ كتب اسمها في سفر العذارى القدّيسات بعد ما بان منها كرامات أخر جديدة أكيدة*

* اليوم السادس عشر *

مار فرنسيس راجس الذي من أخويّة اليسوعيّين

انَّ هذا القدّيس وُلد في فُنْكُوفَرْته في أبرشيَّة نَرْبُنه في اليوم الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني سنة ١٥٩٧ من أبوين شريفَي الأصل وجزيلَي الفضل ومنذ صغرِهِ أرسلهُ أبواهُ إلى مدرسةٍ للرهبان اليسوعيّين في مدينة بَزْيَرْس. وبعد زمان قليل أضحى هذا الصبيّ قدوةً لجميع رفاقهِ في العلم والفضيلة* وكان لهُ عبادةٌ خصوصيَّة لمريم العذراء ولملاكهِ الحارس. واختبر حماية ملاكهِ الحارس في هذا الحادث وهو انّهُ إذ كان يوماً نائماً تحت شجرة في البرّيّة قام في نومهِ وأخذ يمشي وهو نائِم إلى أن وصل إلى جرف تحتهُ نهرٌ عميق وحينئذٍ شعر بيدٍ غير منظورة أمسكتهُ. فاستيقظ ولمّا رأَى الخطر الذي كان يصيبهُ لو لم تدركهُ الرحمة الإلهيّة شكر الله وملاكهُ الحارس الذي صانهُ من الموت. ومنذ ذلك اليوم عزم أن يخصّص نفسهُ بجملتها إلى الله* وفي اليوم الثامن من شهر كانون الأوَّل سنة ١٦١٦ دخل في جماعة اليسوعيّين وأصبح قدوةً للمبتدئين

في حلمهِ واتّضاعهِ وحبّهِ للفقراء وشفقتهِ على المرضى وقساوتهِ على نفسهِ* وبعد ما قضى زمان ابتدائهِ نذر نذورهُ الاحتفاليَّة سنة ١٦١٨ وتعلّم جيّداً علوم المنطق والفلسفة واللاهوت في أماكن مختلفة. ورُسم قسّيساً سنة ١٦٣٠. وكان يقدّس والدموع تهطل من عينيهِ. وقُلّد خدمة المصابين بالوبأ في مدينة تُولوزا. وبعد ذلك قُلّد الرسالة إلى مدينة أهلهِ. فانطلق إليها وكان صباحاً يعلّم التعليم المسيحيّ ومساءً يعظ على الشعب وفي النهار يستعطي للفقراء والمرضى المحتاجين. وكان أهلهُ وأخوتهُ وعشيرتهُ يخجلون عندما يرونهُ يستعطي. وطالما منعوهُ عن ذلك فلم يمتنع. وذات يوم إذ كان حاملاً طعاماً لمريض صادفهُ جند ممّن كانوا يعرفونهُ فقالوا لهُ: ما هذا العمل. لقد شنت عرض أهلك اذكر بانّك من عشيرة شريفة ويجب عليك أن تصون شرفها. فقال لهم باحتشام: حقّاً ولكنّي لستُ أقدر أن أرى فقيراً أو مريضاً محتاجاً الاَّ وتأخذني الشفقة والرحمة عليهِ ولأجل ذلك لا يقدر الهوان أن يمنعني عن مساعدتهم لأنّي اعتبر خدمة الانجيل أشرف من عرض قبيلتي* وبعد زمان قليل أصبحت تلك المدينة مزهرةً بالفضائل بواسطة أمثال هذا القدّيس وتعليمهِ ووعظهِ* ولمّا علم روساؤهُ بهذا النجاح أرسلوهُ إلى مدينة منُتْبليار فكان هناك يكرز بكلمة الله ويعلّم التعليم المسيحيّ للصبيان ويستعرف الناس ويساعد الفقراء والمرضى. وكان يطوف في القرى والجبال التي في تلك النواحي ويكرز ويعلّم ويربح نفوساً كثيرة ليسوع المسيح* وفي ذات يومٍ إذ خرج من الكنيسة وهو تعبان

صادف جمعاً من الشباب آتين إليهِ من بعيد. وقالوا لهُ: يا أبانا ساعدنا في حبّ الله فانّنا قد مشينا هذهِ الليلة كلها وسرنا منذ أمس اثني عشر ميلاً ونحن مشاة في هذه الطرق الوعرة وجئنا قاصدين ان نسمع إرشاداتك. فحينئذٍ تاقت الدموع من عيني القدّيس وقال لهم: تعالوا يا أولادي. وشرع يخطبهم وبعد ان أعطاهم إرشادات روحيَّة استعرفهم وصرفهم ممتلئين من الفرح والتعزية* ومع كلّ هذه الأعمال الرسليَّة التي كان يتعاطاها كان يقمع جسدهُ بالتقشّف. فكان طعامهُ خبزاً وبقلاً مسلوقاً في الماء. وكان يتناول أحياناً مع الخبز قليلاً من الحليب بدل البقل. ولم يكن ينام أكثر من ثلاث ساعات في اليوم ويجلد نفسهُ بالسياط* وفي أسفارهِ كان يمشي دائماً ان في الصيف وان في الشتاء في الجبال وفي الوعور. وكان الناس يتّخذونهُ قدّيساً ويسمعون إرشاداتهِ باصغاء ويتوبون على يديهِ* وطالما شغلتهُ كثرة أعمالهِ عن تناول الطعام. وإذا قيل لهُ في ذلك يقول. نسيتُ* وكان يجمع الفقراء ثلاث مرّات في الأسبوع. وبعدما كان يعظهم يقسّم عليهم ما كان يستعطيهِ لهم من الفضَّة والخبز واللباس. وأنشأ أخويّة للعمل معهُ في مساعدة المحتاجين. فكان بعض من أصحاب هذه الأخويّة يستعطون للفقراء وبعضهم يدارون المرضى وبعضهم يقضون بقيّة أعمال الرحمة* وكان عند القدّيس مخزن ممتلئ من القمح قد جمعهُ من المحسنين فوزّعهُ كلّهُ على الفقراء في زمان المجاعة التي حدثت في سنة ١٦٣٧* وجاءَت إليهِ امرأَة فقيرة لها أولاد صغار يعوّلون عليها وطلبت منهُ

قمحاً. فقال لأحد رفقائهِ: امضِ واعطِها من المخزن. فلمّا ذهب ليعطيها لم يجد فيهِ شيئاً. فجاء إلى القدّيس وقال لهُ: قد نفد القمح ولم يبقَ شيءٌ. فقال مار فرنسيس ارجع واعطِها. قال وماذا أُعطيها إذ ليس في المخزن ولا حبَّة. فقال القدّيس ألم أقل لك ارجع واعطِها فستجد فيهِ قمحاً كثيراً يكفي لها ولكثيرين. فلمّا رجع وجد المخزن ممتلئاً فاعطى منهُ تلك المرأَة وفقراء أُخر كثيرين* وكانت محبّة مار فرنسيس للفقراء والمرضى تزداد شيئاً فشيئاً حتى انّهُ كان يعمل كلّ جهدهِ في اسعافهم. فكان يداريهم هو بنفسهِ ويكنس مساكنهم ويغسل ثيابهم. وبالاجمال انّهُ كان لهم مثل امّ رأُوم تجتهد في تربية أولادها الروحيّة والجسديّة* وحدث انّهُ دارى مرّة مريضاً فقيراً. فلمّا نَقِهَ أتى إليهِ ليشكرهُ. فعانقهُ القدّيس قائلاً: آه يا عزيز انَّما أنا يجب عليَّ أن أشكرك لأنّي ربحتُ كثيراً في الخدمات الصغيرة التي خدمتُك بها* ويوماً آخر عاد فتاة فقيرة مريضة. فتحنَّن عليها وصلّى عليها فشفاها* وشفى مرضى اخر كثيرين* وتوَّب كثيراً من النساء الفاحشات وأراد أن يعمل لهنّ ديراً ويحشرهنّ فيهِ. وأصابهُ موانع كثيرة واضطهادات وشدائد غير محتملة من أجل العمل* من ذلك انّ ثلاثة شبَّان من الفاسدين والمفسدين جزموا على قتلهِ فاتوا إليهِ ليقتلوهُ. فلمّا رآهم قال لهم لستُ أجهل انّكم جئْتم قاصدين قتلي. ولكنّي واثق بالله ولستُ أخاف من الموت فانّهُ غاية أشواقي. امّا حالتكم الشقيَّة فانّها تجعلني أن أخاف عليكم من عقاب الله. فالآن اطلب إليكم أن ترجعوا إلى الله بالتوبة. ولئن كانت

نفوسكم ملوَّثة بالخطايا فلا تقطعوا رجاءَكم من الرحمة الالهية فانّها مستعدَّة دائماً لتمنحكم نعمة التوبة. ثمّ انّهُ ارتمى عليهم وعانقهم. فيا للخجل الذي أصاب هولاء الشباب حينئذٍ. فانّ كلامهُ أثَّر في قلوبهم واتَّعظوا بهِ حتى انّ واحداً منهم أتى مساء واعترف لديهِ بجميع خطاياهُ والاثنين الآخرين فعلا ذلك في الغد*

ورغماً عن جميع الموانع والاضطهادات التي كانت تصيبهُ عمل ديراً وجمع فيهِ جميع الخاطئات التائبات فكنّ يكفّرن بالتوبة والتقشّف عن أدناس سيرتهنّ الماضية* ووهب لهُ الله روح النبوّة فتنبَّأَ عن أمور كثيرة وصحَّت بعد ذلك*

وبعدما قضى حياتهُ في الأعمال الرسليّة الشاقَّة الراجعة إلى مجد الله وخلاص النفوس حان الزمان الذي فيهِ أراد ربّنا يسوع المسيح أن يكافئهُ على ذلك* ففي اليوم الثاني والعشرين من شهر كانون الأوّل سنة ١٦٤٠ وقع مريضاً. وكان مرضهُ يشتدّ. ومع ذلك لم يكن يملّ من الوعظ واستعراف الناس إلى أن لزم الفراش. وفي اليوم الثلاثين من شهر كانون الأوّل أخذ الأسرار المقدّسة زوّادة أخيرة. وفي الغد ظهر لهُ يسوع المسيح ومريم العذراء وعزَّياهُ. ثمَّ انّهُ طبق يديهِ ورفع عينيهِ إلى السماء وقال يا يسوع مخلّصي في يديك استودع روحي. وحين قولهِ هذه الكلمات طارت روحهُ إلى السماء وكان عمرهُ حين مات ثلاثاً وأربعين سنة. وشاع خبر موتهِ في كلّ تلك النواحي. فتقاطر الناس إلى تشييعهِ ودفنوهُ باحتفال عظيم. وجرت كرامات

كثيرة بعد موتهِ أيَّدت قداستهُ*

* اليوم السابع عشر *

مار بريور الحبيس ـ جهاد مانويل وسابيل واسماعيل الشهداء

مار بريور الحبيس

انّ هذا القدّيس كان أصلهُ من مصر. وكان من أوّل تلاميذ مار انطونيوس أبي الرهبان وقد هجر العالم وبيت أبويهِ وانطلق عند مار انطونيوس وعاش معهُ في البرّيّة مدّةً بالانفراد* ولمّا بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة وقد تعلّم أصول السيرة الانفراديَّة أرسلهُ مار انطونيوس معلّمهُ ليعبد الله وحدهُ في برّيّة نترية وكان هذا الزاهد منعكفاً على أعمال الصلوة والتقشّف وكان طعامهُ الخبز والزيتون. ووهب لهُ الله هبة الكرامات* وأخيراً بعدما قضى نحبهُ في عبادة الله رقد بالسلام وعمرهُ مائة سنة. وكان ذلك في أواخر القرن الرابع للتاريخ المسيحي*

جهاد مانويل وسابيل واسماعيل الشهداء

انَّ هولاء الشهداء كانوا أخوة مسيحيّين من قبيلة شريفة. وكان شابور ملك الفرس قد بلغهُ ان يُليانُس الكافر قد هيّأ عليهِ حرباً فارسل مانويل وسابيل واسماعيل سفراء إلى الملك يُليانُس مستمدّين الصلح. وكان حينئذٍ هذا الملك مع عسكرهِ في خلقدونية. فلمّا علم يُليانُس انَّهم مسيحيُّون قبض عليهم وعرض عليهم السجود للأوثان. فلمّا امتنعوا اوعدهم بالعقاب وأخيراً سمَّر مسامير في أيديهم وأرجلهم ومزَّق أجسادهم بأظفار من حديد. وكان ملاك الربّ يساعدهم في احتمال هذه العذابات. وبعد أن عُذِّبوا بتعاذيب مختلفة أُخِذَت رؤُوسهم في اليوم السابع عشر من شهر حزيران سنة ٣٦٣. فعاقب الله يليانُس على قساوتهِ إذ انّهُ بعد زمان قليل قُتِل في هذه الحرب التي أثارها على الفُرس*

* اليوم الثامن عشر *

جهاد مرقس ومرقلّينس الأخوين الشهيدين

انَّ هذين الجنديّين ليسوع المسيح البطَلين مرقس ومرقلّينس كانا أخوين توأَمين روميّين مسيحيّين شريفي الأصل وغنيّين في الفضائل. فلمّا

سمع بهما والي المدينة قبض عليهما وبعدما عذّبهما عذابات مختلفة قضى بقطع رأسيهما ولكنّهُ امهل اجراء هذا القضاء إلى ثلاثة أيّام لعلّهما يسجدان للآلهة الباطلة. وكان أصدقاؤهما ومعارفهما وأولادهما يأتون إليهما في السجن باكين عليهما ويقولون لهما: ما هذا الجنون. على من تتركان أهلكما وأولادكما المساكين. الا تشفقان عليهم. فكان هذان الشهيدان يقولان انّهُ لا شيء اعزُّ لدينا من ديننا فلهذا نوثر أن نبذل دمنا دونهُ* وكان حينئذٍ مار سبسطيانُس الشهيد لا يظهر نفسهُ مسيحيّاً لسبب علوّ مرتبتهِ في قصر الملك. فلمّا رأى تجلّد مرقس ومرقلّينس في احتمال العذاب أقرَّ بأنّهُ مسيحيّ وجعل يخاطب الشهداء المبحوسين عن زوال هذه الأشياء الأرضيّة مشجّعاً إيّاهم على احتمال التعاذيب في حبّ يسوع المسيح. وهدى كثيراً من الوثنيّين إلى الايمان وجزموا كلّهم أن يؤْثروا الموت على أن يكفروا* وبعد ثلاثين يوماً أحضر القاضي الأخوَين مرقس ومرقلّينس. ولمّا راءَهما ثابتين في ايمانهما علّقهما على خشبة وسمَّر أرجلهما بالمسامير. وفي هذا العذاب كانا يرتّلان مع داود النبيّ هذه الآية وهي: ما أحلى وما أشهى أن تسكن الأخوة جميعاً. وبعد ما استمرَّا يوماً كاملاً على الخشبة طعنوهما بالرماح. وفيهِ تمّت شهادتهما وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر حزيران سنة ٢٨٤. وبعد ذلك استشهد مار سبسطيانُس أيضاً*

* اليوم التاسع عشر *

مار زوسِمُس الشهيد ـ مار بُنيفاقيوس الأسقف ورسول روسيا الشهيد ـ القدّيسة يُليانة فَلْكُنْياري العذراء

مار زوسمُس الشهيد

انَّهُ في عهد الملك طَرَيانُس كانت الديانة النصرانيَّة مضطهدة في كلّ البلاد ولا سيّما في مدينة انطاكية وبيسديّة في ولاية دومطيانُس الذي كان يقتل النصارى بقساوة فظيعة طبقاً لمسرَّة الملك* فهذا الحاكم جاءَ إلى مدينة افُلّونيا ليضطهد المسيحيّين. فبلغهُ انَّ جنديّاً يُدعى زوسِمُس قد هجر خدمة العسكريّة وأبى السجود للآلهة واتَّبع ديانة النصارى. وقيل لهُ أيضاً انّهُ لم يكتفِ بتركهِ خدمة الملك بل انهُ يشتّم ويجدّف على آلهة المملكة أيضاً غير مبالٍ بأوامر الملوك* فأمر دومطيانُس باحضارهِ وقال لهُ: ما الذي اسمعهُ عنك. قال الشهيد: أنا مسيحي. فعند هذه الكلمة حبسهُ الوالي. وفي الغد أحضرهُ أمامهُ وأوعدهُ بالعذاب والموت ان استمرّ على دينهِ. فقال لهُ زوسِمُس: مهما تشأ فافعل فانّي مسيحي. فللوقت جلدهُ حتَّى كاد الدم يسيل من جميع جوارحهِ. وكان الشهيد يستنجد حماية ربّنا يسوع المسيح. وفي أثناء ذلك سُمِع صوتٌ من السماء يقول: يا زوسِمُس كن قويّاً وشجاعاً فاني معك ولا يقدر

أحد أن يضرّك. وسمع كثيرون هذا الصوت. وسمعهُ أيضاً الوالي دومطيانس. فبعضهم كانوا يقولون انّهُ صوت ساحر. والآخرون علموا انّهُ كان من اله النصارى* ثمّ ربط الجلاّدون زوسِمس بالحبال وكانوا يجرّون أعضاءَهُ ليخلعوها من جسدهِ. ثمّ مدّدوهُ على صفائح من حديد محمّرة بالنار ولكنّ ربّنا يسوع المسيح أرسل ملائكتهُ فاخذوهُ من على النار والقوهُ على الأرض* ولمّا ملّ الوالي من تعذيبهِ أرسلهُ موثقاً إلى مدينة سوزوبليس وهناك البسوهُ حذاءً مرصّعاً بنبال ذات شوكات حادّة وربطوهُ بذَنَب حصان وكانوا يقودون الحصان والشهيد وراءَهُ محتملاً بصبر عذاب الحذاء. ثمّ وضعوهُ في السجن وتركوهُ ثلاثة أيّام بلا مطعم ولا مشرب. فاتاهُ صبيّان بخبز وماء فاكل وشرب وشكر الله* ولمّا رأى الوالي تجلّدهُ على احتمال كلّ تعاذيبهِ احتزّ رأسهُ في اليوم التاسع عشر من شهر حزيران*

مار بُنيفاقيوس الأسقف ورسول روسيا الشهيد

انّ بُنيفاقيوس (ويسمَّى أيضاً برُونو) كان من أصل شريف في اقليم سكسا. وأحسن أبواهُ تربيتهُ. ولمّا كبر قرأَ العلوم على أمهر المعلّمين ونجح في العلوم والفنون ولا سيّما في الموسيقى. ثمّ رُسِم قسّيساً. وصار كاهن الملك اوثون الثالث الذي كان من عشيرتهِ. وكان هذا الملك يحبّهُ لملاحة خصالهِ ويجلّسهُ معهُ على المائدة. ومع كلّ الشرف الذي كان

لبُنيفاقيوس كان حليماً وديعاً متَّضعاً. وكان يلازم الصلوة والتقشّف* وفي ذات يوم إذ كان منطلقاً ليصلّي في كنيسة مار بُنيفاقيوس اسقف ماينسة الشهيد شعر في قلبهِ بشوق عظيم إلى تقديم حياتهِ ذبيحةً ليسوع المسيح اقتداءً بسميّهِ مار بُنيفاقيوس. ومنذ ذلك اليوم كان يتمنَّى اكليل الاستشهاد*

وفي ذلك الزمان جاءَ روموالدُس منشئ رهبنة السوّاح المدعوّة كَمَلدُولة ليزور الملك. فلمّا رآهُ مار بُنيفاقيوس وشاهد حسن سيرتهِ طلب إليهِ أن يقبلهُ في رهبنتهِ. فأخذهُ معهُ مار روموالدس إلى ديرهِ وكان هناك مار بُنيفاقيوس منعكفاً على الصلوة والتأمّل والتقشُّف واكتساب الفضائل* وبعدما قضى عدَّة سنين عند مار روموالدس استأذن معلّمهُ وخرج في طلب اكليل الاستشهاد بانذارهِ الوثنيّين بالانجيل. وانطلق إلى رومية ونال تثبيت هذه الرسالة من البابا يوحنا الثامن عشر* ثمّ رُسِم أسقفاً وكان يطوف في جرمانيا ويهدي الضالّين بإنذارهِ* وانطلق إلى بلاد روسيا وكان أهل هذه البلاد أقواماً متوحّشين غائصين في ظلمات الديانة الوثنيَّة الكثيفة* فلمّا علموا بقدوم هذا المرسَل وانّهُ يريد أن يبشّرهم بديانة جديدة أمروهُ أن يخرج من بلادهم. فامّا هو فانطلق إلى الملك وشرع ينذرهُ في الايمان. فقال لهُ الملك: ان رايتك تدخل في النار ولا تحترق صرتُ من دينك. فأجابهُ القدّيس إلى ذلك. ولمّا فعل هذه الكرامة بقدرة الله تنصَّر الملك هو وكثير من رعيّتهِ. فلمّا شاهد الوثنيّون نجاح مار بُنيفاقيوس

اغتاظوا وامسكوهُ وقطعوا راسهُ هو وثمانية عشر مسيحيّاً وكان ذلك سنة ١٠٠٩*

القديسة يُليانة فلكُياري العذراء

انّ هذه القدّيسة وُلدَت سنة ١٢٨٠ من أبوَين قد طعنا في السنّ. وكان أبوها أخا مار أَلَكسيس فلكُنياري* وكانت يُليانَه في صغرها مُحِبَّة للصلوة وسائر الأعمال التقويَّة. وكانت تخاف جدّاً من الخطيَّة حتى انّ اسم الخطيَّة كان مكروهاً لديها جدّاً* ولمّا صار عمرها ستّ عشرة سنة هجرت العالم ونذرت بتوليّتها لله في الرهبنة. وصارت بعد ذلك رئيسة على راهبات كثيرات. وكانت رهبنتهنّ متوقّفة على أعمال الرحمة كمداراة المرضى وتعزية الحزانى ومساعدة الفقراء وما أشبه ذلك. فكانت القدّيسة يليانه قدوةً لهنّ بهذه الأعمال الخيريّة* وأصابها شدائد كثيرة احتملتها بصبر. واعترتها أسقام اليمة* ولمّا دنا موتها أخذت الأسرار المقدّسة وتوُفّيت في ديرها في مدينة فلورنسا وذلك في اليوم التاسع عشر من شهر حزيران سنة ١٣٤٠ وعمرها ستُّون سنة*

* اليوم العشرون *

مار سلواريوس البابا الشهيد

انّ البابا القدّيس اغابيطس لمّا انطلق إلى مدينة القسطنطينيَّة لقضاء بعض الأمور مع الملك يُستنيانُس قبلهُ هذا الملك باكرام عظيم وهناك عزل هذا البابا البطريرك انثيمُس من كرسيِّهِ القسطنطينيّ لأنَّهُ كان هرطوقيّاً من تبّاع اوطاخي المبدع ونصب في مكانهِ مَنّاس وكان رجلاً كاثُليكيّاً بارّاً. ولمّا أراد البابا اغابيطس أن يرجع إلى روميّة توفّاهُ الربّ. وبعد موتهِ تخلّف لهُ في الكرسيّ الروماني مار سلواريوس البابا سنة ٥٣٦ وكان من بلاد كَمبانيا وابن البابا مار هرمزدا الذي كان مزوَّجاً قبل انتخابهِ أسقفاً على كرسيّ مار بطرس*

ولمّا كان الملك يُستنيانُس كاثُليكيّاً وكانت ثاودورة امرأَتهُ هرطوقيّة أرادت هذه الملكة أن ترجّع انثيمس البطريرك الهرطوقي على كرسيّهِ القسطنطيني وقد حرّكها على ذلك ويجيليوس. فهذا كان شمّاساً في الكنيسة الرومانيّة وكان حينئذٍ في مدينة القسطنطينيّة. ولمّا كان رجلاً طمّاعاً متكبّراً اقنع الملكة ثاودوره بانَّها ان جعلتهُ أن يصير بابا يرجّع انثيمس على كرسيّهِ* وفي ذلك الزمان كان بَليساريوس قائد قوّاد عساكر ايطاليا يحارب أقوام الغوثيّين من قِبَل الملك يُستنيانُس. فانتهزت الملكة هذه الفرصة وكتبت رسالةً إلى بَليساريوس وأرسلتها

مع ويجيليوس المذكور فيها تقول لهُ ان ينطلق إلى سلواريوس البابا ويسأَلهُ ترجيع انثيمُس البطريرك على كرسيّهِ القسطنطيني فان فعل والاّ فبعزلهِ من كرسيّهِ غصباً وينصب مكانهُ ويجيليوس* فلمّا مضى بليساريوس عند البابا سلواريوس وعرض عليهِ إرادة الملكة بترجيع انثيمس على كرسيّهِ قال لهُ بشجاعة: اعلم انّي لستُ أفعل ذلك واؤْثر العزل والموت على أن انقض القضاء الذي أيَّدهُ سالفي اغابيطُس البابا* فلمّا رأَى بَليساريوس شجاعتهُ وانّهُ ليس لهُ قدرة على أن يخلعهُ من كرسيّهِ من أجل هذه الحجَّة عمد إلى الحيلة. فقرفهُ بواسطة شهود زور بانّهُ خائن للمملكة على انّهُ يريد أن يسلّم مدينة رومية للأقوام الغوثيّين الذين كانوا أعداء المملكة. وتمكّن بَليساريوس بحيلتهِ من هذا البابا البري فشلّحهُ الثياب الحبريّة والبسهُ ثياباً رهبانيّة وأرسلهُ منفياً إلى جزيرة بنطيّة* ولمّا كان البابا في هذا المنفى أقام بَليساريوس على الكرسي الروماني ويجيليوس حسب مراد الملكة ثاودورة. وحدث في ذلك الزمان اضطرابات كثيرة في الكنيسة. وبعدما احتمل مار سلواريوس شدائد كثيرة تُوُفّي في النفي* وقيل انّهُ نُفِي إلى بطارة في لوقيَّة فتكلّف اسقف بَطارة محاماة مار سلواريوس وانطلق إلى الملك يُستنيانُس في القسطنطينيَّة وتهدّدهُ بنقمات الله ان لم يصلح الشكّ الذي أبداهُ والضرر الذي الحقهُ بالكنيسة وقال لهُ: اعلم انّهُ يوجد ملوك كثيرون في العالم ولكن لا يوجد في المسكونة كلّها سوى بابا واحد* فاتَّعظ الملك بأقوال هذا الأسقف وأمر أن يرجع سلورايوس إلى

كرسيِّهِ. وإذ كان هذا البابا راجعاً اوقفوهُ في جزيرة بلماريا وهناك آذوهُ جدّاً وتركوهُ يموت من الجوع. وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر حزيران سنة ٥٣٨*

ولم يترك ربّنا يسوع المسيح بلا عقاب أولئك الذين تجاسروا على اضطهاد وكيلهِ. فانّهُ بعدما نُفِي مار سلواريوس هجم أقوام كثيرون من المتوحّشين ومن الفرس على يستنيانس الملك وأبدوا خراباً كثيراً في المملكة. وحدثت مجاعة عظيمة في ايطاليا حتَّى انّ الامّهات اكلنَ أولادهنَّ واستولى الأقوام الغوثيّون على رومية. وامّا بَليساريوس فخُلع من مرتبتهِ وسُلِبَت أموالهُ وفُقِئت عيناهُ وأخيراً صار يشحذ من باب إلى باب* ولنأتينَّ إلى ويجيليوس الذي اختلس الكرسي الباباوي من مار سلواريوس. فهذا بعد موت مار سلواريوس عرف ذنبهُ وتنزَّل عن الكرسي الرسولي وبعد ذلك أقامهُ من جديد الاقليرُس الروماني بنوع شرعي خليفةً لمار سلواريوس. ولما استقرّ على كرسيِّهِ لم يكمّل وعدهُ مع الملكة ثاودورة بارجاع انثيمس إلى كرسيِّهِ القسطنطيني مصرّحاً بانّهُ لا يقدر أن يحلّ بضمير مستقيم ذلك الذي قد أعلن اغابيطُس وسلواريوس الباباوان سالفاهُ بانهُ هرطوقي. وحرم الملكة ثاودورة فماتت بعد ذلك ميتة شقيَّة. وأما الملك يُستنيانس فسقط في هرطقة المونوثليطيّين وصار ممقوتاً من الجميع*

فهكذا الله لا يترك بلا عقاب أولئك الذين يضطهدون عبيدهُ ولا سيّما آباء كنيستهِ المقدّسة* وقد نرى ذلك أيضاً في زماننا هذا الذي

فيهِ الحبر الأعظم بيوس التاسع وكيل يسوع المسيح قد اضطُهِد وأصابهُ بلايا كثيرة من أعداء الحقّ الذين مرادهم أن يعدموا من الأرض الكنيسة الكاثُليكيَّة الرومانيّة عروس يسوع المسيح. فلا شكّ في انّ الله الذي حفظ حبرهُ الأعظم ابانا الأقدس بيوس التاسع في الكرسي الروماني مدّة سبع وعشرين سنة ما بين الاضطهادات والمصائب التي أصابتهُ لا سيّما في هذه سني شيخوختهِ الأخيرة يُظهِر كرامةً من يمينهِ القديرة بنصر الكنيسة المقدّسة على أعدائها ويعاقبهم كما عاقب من حذوا حذوهم من المنافقين في القرون السالفة الذين اضطهدوا آباء الكنيسة المقدّسة لأنهُ تعالى قد قال: من لمسكم فقد لمس حدقة عيني*

* اليوم الحادي والعشرون *

مار لويس غنزاغا الذي من أخويّة اليسوعيّين

انَّ القدّيس العظيم لويس غنزاغا كان شريف الأصل ابن فردينندُس أحد أعيان الدولة العظام في مدينة كَستيلونية في مملكة لُمبرديَّة وقد تزوَّج في قصر الملك بإحدى بنات الأشراف اسمها مرتا. وبعد انقضاء هذا الزواج انطلق هذان العريسان إلى ايطاليا. وكانت مرتا امراة فردينندُس ذات تقوى عظيمة. فتوسّلت إلى ربّنا يسوع المسيح أن يرزقها ابناً لتنذرهُ لهُ. فاعطاها مار لويس غنزاغا. وفي حين ولادتها

أخذتها أوجاع عظيمة وبقيت حياتها وجنينها في خطر. فاستنجدت هذه النفساء عون مريم العذراء وفي الحال ولدتهُ بالسلامة وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر آذار سنة ١٥٦٨* وأوَّل ما بدأَ هذا الصبيّ ان يلغلغ علّمتهُ امّهُ ان يلفظ اسمَي يسوع ومريم المباركَين وان يعمل علامة الصليب ويصلّي الصلوة الربّيّة والسلام الملاكي. وكانت تعلّمهُ دروس العبادة وخوف الله. وكان لويس شهيّاً محبوباً عند الجميع وكانت أمّهُ تعدّهُ لخدمة الله في الرهبنة ولكنَّ أباهُ كانت غايتهُ بهِ ازدياد شرف عشيرتهِ وثروة بيتهِ بخدمة الوظيفة العسكريَّة* ولمّا صار عمرهُ سبع سنين وشرع يدخل في سنّ التمييز اتّفق انَّ راهباً قدّيساً من رهبان مار فرنسيس كان يخرج أرواحاً نجسة من بدن مجنون. وكان الفتى لويس واقفاً مع القوم. وفي تلك الأثناء صرخت الشياطين بفم ذلك المجنون مومئةً إلى لويس قائلةً: هوذا الذي سيذهب إلى السماء ويكون عظيماً*

وكان مار لويس ينشو في العمر والفضيلة وكان متعبّداً بعبادة خصوصيَّة لمريم العذراء فكانت هذه البتول تحاميهِ دائماً. واكراماً لها نذر عفّتهُ لله وجعلتهُ عفَّتهُ واحتشامهُ وحياؤُهُ وحلمهُ وفطنتهُ وتقواهُ ومداومتهُ على الصلوة وصبرهُ في الأمراض وسائر مزاياهُ العجيبة أن يكون محبوباً ومكرّماً عند أهلهِ وأقربائهِ ومعارفهِ وخدّامهِ. فكانوا يعتبرونهُ ملاكاً لابساً جسداً. وسمع ذات يوم امَّهُ تقول: بما انّ الله رزقني عدَّة أولاد أتمنَّى أن يكون واحد منهم راهباً. فقال لها لويس: يا أمّي ابشري فانَّ الله سيمنحكِ منيتكِ لانّي أظنّ انّي أنا الذي سأصير راهباً من بين

أولادكِ*

وفي ذلك الزمان جاءَ إلى مدينة كَستيليونية القدّيس كارلُس بورُماوس الكردِنال اسقف مديولان. ولمّا رأى مار لويس وتخاطب معهُ تعجَّب من النعمة الالهية التي كانت لائحة على وجههِ وفي مخاطباتهِ وسائر أعمالهِ. فاحبّهُ جدّاً وناولهُ بيدهِ التناول الأوَّل*

ولمّا بلغ من العمر ثلاث عشرة سنة دخل في قلبهِ شوق عظيم إلى الرهبنة. فشرع من ثمَّ يستعدّ لهذه الدعوة بالصوم والصلوة والتقشّف. فكان يجلد نفسهُ بالسياط حتَّى الدم وينام على شيءٍ صلب ويسهر جزءاً كبيراً من الليل في الصلوة ولا يأكل سوى ما كفى لقيام حياتهِ* وانطلق إلى بلاد اسبانيا. وقرأَ العلوم عند اليسوعيّين وكان قدوةً لجميع تلاميذ المدرسة بانصبابهِ على الدرس وبتقواهُ. وكان شوقهُ إلى دخول الرهبنة لا يزال يشتدّ يوماً فيوماً. وفي سنة ١٥٨٣ وكان عمرهُ حينئذٍ ستّ عشرة سنةً انطلق إلى الكنيسة في مدينة مدريد يوم عيد انتقال سيّدتنا مريم العذراء إلى السماء وهناك تناول القربان المقدّس وطلب من مريم العذراء أن تعلّمهُ الطريق التي يجب أن يسلك فيها. وحينما كان يشكر الله بعد التناول سمع صوتاً صريحاً يقول لهُ: ادخل في اخويّة الرهبان اليسوعيّين* فعند ذلك قام لويس وذهب عند معلّم اعترافهِ وكان من هذه الأخويّة واخبرهُ بدعوتهِ. فقال لهُ هذا الكاهن اليسوعيّ: اعلم يا ابني انّك لا تُقبَل في هذهِ الأخويّة من دون اذن ابيك* ولمّا سمع أبوهُ بما عزم عليهِ ابنهُ سعى في أن يصدّهُ عن عزمهِ

ولكنّهُ ما قدر أن يغيّرهُ أبداً. وأخيراً إذن لهُ بشرط أن لا يكون مقرّهُ في اسبانيا بل في إيطاليا* فانطلق مار لويس إلى مدينة روميّة وهناك دخل في أخويّة اليسوعيّين في دير مار اندراوس في اليوم الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٥٨٥ وعمرهُ حينئذٍ ثمانِ عشرة سنة. وصار قدوةً لجميع المبتدئين بفضائلهِ السامية فانّهُ كان محتشماً عفيفاً قاهراً جسدهُ متَّضعاً بشوشاً حليماً مطيعاً لروسائهِ متعبّداً لله مجرَّداً من جميع الأشياء الأرضيَّة ناسياً شرفهُ وبيت أبيهِ وثروتهُ ورفاهية عيشهِ وحافظاً بالتدقيق قوانين رهبنتهِ* وكان عقلهُ متّجهاً دائماً إلى الله حتَّى انّهُ لم يكن ينظر إلى شيءٍ دنيويّ. وكان قليل التكلّم كثير الصلوة والتقشّف. وطالما حمل كيس المؤُونة واستعطى في روميّة من باب إلى باب* وقضى مار لويس في رومية ونابُلي سنتين في هذه سيرة ابتدائهِ المقدّسة المتوقّفة على الدرس في العلم والفضيلة. وكان يرتقي يوماً فيوماً في درجات الكمال حتى انّ أحد الرهبان الذي سكن معهُ في قلاّية واحدة مدّة سنتين لكي يرصد هفواتهِ ما قدر أن يوبّخهُ على واحدة. وبعد ذلك نذر نذورهُ الاحتفالية في اليوم الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٥٨٧* وكان منعكفاً على الصلوة والتأمّل والدرس. وكان لهُ عبادة خصوصيّة لآلام مخلّصنا يسوع المسيح فكلّما تأمَّل في أسرار فدائنا تاقت الدموع من عينيهِ. وكان يؤَدّي اكراماً عظيماً واحتراماً فائقاً للقربان المقدَّس. فكان يزورهُ مرَّات عديدة في النهار. وكان متعبّداً لمريم العذراء التي خصّص لها عفّتهُ واتّخذها محاميةً لهُ

منذ صغرهِ* وكان يكرم الملائكة ولا سيّما ملاكهُ الحارس. وقمع لويس جسدهُ في صغرهِ وغلب إرادتهُ الذاتيّة بالتقشّف الباطن والظاهر. وكان يجلس في المكان الأخير ويقضي الأعمال الدنيّة في الدير كخدمة الطبخ والمائدة وكنس النفايات وما أشبه ذلك* وسما في فضيلة الطاعة حتى انّهُ لم يكن يعمل أدنى شيءٍ من دون إذن روسائهِ. وكان متدقّقاً في حفظ قوانين رهبانيّتهِ حتى انّهُ ما تعدَّى شيئاً منها أبداً. فيوماً ما انطلق لزيارة كردِنال. فدعاهُ ليتغدَّى معهُ على مائدتهِ. فقال لهُ مار لويس: ارغب إليك أن تعفيني لأنّ ذلك ضدّ قانون رهبنتي. فصار هذا الكردنال كلّما سأَلهُ شيئاً يقول لهُ هل ذلك هو ضدّ قانون رهبنتك* ويوماً آخر طلب منهُ أحد الرهبان ورقةً ليكتب فيها رسالة فلم يعطِهِ ذلك الاّ بعدما مضى واستأذن الرئيس. وكان يحبّ الفقر حتى انّهُ لم يكن يقتني شيئاً. وكانت قلاّيتهُ فارغة من كلّ متاع وكانوا حينما يعطونهُ ثياباً يأخذها ويلبسها غير مفتكر انَّها قصيرة أو طويلة أو ضيّقة أو غير مخيّطة جيّداً*

ورجع مار لويس إلى بيت أهلهِ لقضاء حاجةٍ وأرادت امّهُ ان تعطيهُ ثياباً وامتعةً فلم يأخذ ولم يكن يسمح لخدّام أمّهِ أن يفرشوا منامهُ ويخدموهُ في شيءٍ بل كان هو يعمل لنفسهِ. وبعد ذلك رجع إلى ديرهِ وكان يرتقي إلى قمّة الكمال بسلّم جميع الفضائل. وكان قلبهُ مشتعلاً بمحبَّة الله حتى انّهُ كلّما سمع مفاوضةً روحيّة في محبّة الله تغيَّر وجههُ وتاقت الدموع من عينيهِ* وهذا حبُّهُ لله أضرم فيهِ حبّاً للقريب. فكان

كثيراً يمضي إلى المارستانات ويداري المرضى ويغسل أقدامهم ويكنس حجراتهم ويعزّيهم. وكان غيوراً على خلاص النفوس*

وفي سنة ١٥٩١ أصاب إيطاليا غلاء ووبأ اهلكا خلقاً كثيراً. وامتلأَت رومية من الحزن والبكاء فاظهر في هذه الضيقة الرهبان اليسوعيّون حبّهم وهمّتهم وغيرتهم وشجاعتهم في اسعاف المحتاجين. فكانوا يطوفون من مكان إلى مكان مستعرفين الناس ومدارين المصابين بالطاعون. وإذ كان حينئذٍ مار لويس يزور المرضى ويخدمهم مخاطراً بحياتهِ اعدى عليهِ الطاعون. ولمّا أحسّ بهِ لم يتأَسَّف على شبابهِ بل فرح فرحاً عظيماً. واعلَمهُ ربّنا يسوع المسيح بيوم وفاتهِ فاستعدّ لهُ بأَخذ الزوّادة الأخيرة* ولمّا حضرت ساعتهُ أتى عندهُ روساؤُهُ وأخوتهُ وقالوا لهُ: كيف حالك أيّها الأخ لويس. قال اني منطلقٌ فالوداع. فقالوا إلى أين. قال إلى الفردوس السماوي. وفي تلك الليلة تُوُفّي مار لويس وهو لافظٌ اسمَي يسوع ومريم. وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر حزيران وهو اليوم الثامن بعد عيد الجسد سنة ١٥٩١ وعمرهُ ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر واحد عشر يوماً وقد قضى منها في الرهبنة سبع سنين وسبعة أشهر. ودُفن جسدهُ في كنيسة البشارة التي في المدرسة الرومانيّة. وعمل الله على يديهِ كرامات كثيرة باهرة. وأوّل كرامةٍ ظهرت منهُ بعد موتهِ هي انّهُ في سنة ١٥٩٣ مرضَت امّهُ ودنت من الموت وبعدما أخذت الأسرار المقدّسة على سبيل الزوّادة الأخيرة ظهر لها ابنها مار لويس ممجَّداً. فلمّا رأَتهُ شرعت تبكي. امّا هو فعزّاها

ثمّ شفاها* والكردنال بلّرمينُس الذي كان معلّم اعترافهِ أكّد بقَسَم انّ مار لويس لم يخطئ أبداً خطأً مميتاً. وقال انهُ من أَجَلّ النعم التي أنعم الله بها على هذا القدّيس كانت عدم تشتيت أفكارهِ في الصلوة والتأمّل وعدم احساسهِ باهواء جسدهِ* وتأَيّدتُ قداستهُ بكراماتهِ. وقد اعتاد شبّان المدارس أن يتّخذوهُ شفيعاً لهم لأَنّهُ كان قدوةً لهم في انصبابهِ على الدرس وفي عفّتهِ وحفظهِ شبابهُ من كلّ دنس وفي سائر فضائلهِ*

* اليوم الثاني والعشرون *

مار بَولينُس اسقف مدينة نوله ـ مار البان الشهيد الأول في برتانيا الكبرى

مار بَولينُس اسقف مدينة نوله

أخبرنا عن مار بَوْلينُس اسقف مدينة نوله آباء الكنيسة القديسون امبروسيوس وهيرونيمُس واوغسطينس وغريغوريوس البابا فقالوا: انّ مار بَوْلينس كان فرنساويّاً مولوداً في مدينة بُردو من نسب شريف. وفي حداثتهِ تولّع في درس العلوم الدنيَويَّة واتقنها جيّداً ثمّ انعكف على الدرس في الكتاب المقدّس. وبعد ذلك تزوَّج بامرأَة من بنات

الأشراف وصار مدبّر مدينة روميّة وكان معتبراً عند جميع الناس بشرف أصلهِ وبغناهُ وبمنصبهِ وبعلمهِ وبعملهِ* وإذ لم يُرزَق ولداً اتّفق مع امرأَتهِ أن ينفصلا من بعضهما ويعيشا مثل أخ وأخت لكي يقدرا أن يعبدا الله بوجه أكمل. فانطلق مار بَولينس إلى مدينة برشلّونة في اسبانيا. وبعدما أقام هناك مدّة من الزمان رُسِم قسّيساً ورجع إلى ايطاليا وجاء إلى روميّة وباع جميع أموالهِ وعمَّر بثمنها كنيسة ووزَّع الباقي على الفقراء. وسكن في مدينة نَوْله غير معروف للناس وكان يستعطي قوتهُ. وبعدما بقي في هذه الحالة الدنيَّة مدّة من الزمان عُرِف بهِ انّهُ كان بولينُس المشهور بشرف أصلهِ وغناهُ وسائر مناقبهِ فتعجّب الناس من فقرهِ الاختياري. فكان يختفي والله يظهرهُ. ويهرب من العزّ والعزّ يتبعهُ*

وفي ذلك الزمان مات اسقف مدينة نوله فانتُخِب بولينُس مكانهُ كرهاً منهُ. ولمّا جلس على كرسيّهِ أحسن رعاية قطيعهِ فكان يعزّي الحزانى ويقيم الساقطين ويساعد المحتاجين فأصبح محبوباً ومكرَّماً عند قومهِ. وكان حليم الطبع رقيق الجنان وديعاً متّضعاً قدوةً لقومهِ بحسن سيرتهِ وتعاليمهِ*

وفي ذلك الزمان هجم ملك الغوثيّين على رومية واخربها واجتاز مظفَّراً في مملكة نابُلي ودخل عسكرهُ في مدينة نولة وجاءُوا إلى بَولينُس وطلبوا أن يعطيهم كلّ ما عندهُ من المال. فأجابهم القدّيس بهذه الصلوة وهي: يا ربّ لا تجعل أن أُضطهَد من أجل الذهب

والفضّة لأنّك تعلم انّي قد أخفيتُ أموالي عندك إذ وزّعتها على المحتاجين. فلمّا أقبل العسكر لم يجدوا عندهُ شيئاً فتركوهُ وانصرفوا* وبعد سنين جاءَ قوم الونداليّين من افريقية وغاروا على تلك البلاد واستأسروا كثيراً من سكّان مدينة نوله ونهبوا بيت مار بَوْلينُس وكنيستهُ فلم يبقَ شيء لمار بَولينس. وجاءَت إليهِ أرملة فقيرة وطلبت منهُ صدقةً لتفتدي بها ابنها الذي استاسرهُ صهر ملك الونداليّين وأخذهُ إلى افريقية. فقال لها القدّيس: لم يبقَ عندي سوى ذاتي. فخذيني واعطيني أسيراً لختن الملك بدل ابنكِ. فظنَّت الأرملة انّهُ يقول لها ذلك على سبيل المزاح ولكنّهُ أكّد لها بانّهُ يرضى بذلك من كلّ قلبهِ واقنعها أن تفعلهُ. فانطلقا كلاهما إلى افريقية ومثُلا أمام صهر الملك. فتوسَّلت إليهِ الأرملة أن يدفع لها ابنها ويأخذ بدلهُ بولينس. فعند ذلك قال لهُ أتحسن صناعةً. قال بَولينس نعم أحسن العمل في البستان. فرضي بذلك وردّ الأسير لأمّهِ وأخذ بولينُس وأرسلهُ ليفلح بستانهُ. فكان هذا القدّيس يشتغل بتعب شاقّ في فلاحة البستان وكان كلّ يوم يرسل لمولاهُ شيئاً من ورود البستان وأثمارها. فكان هذا الأمير يحبُّهُ ويودّ مخاطبتهُ حتى انّهُ ترك أصدقاءَهُ وتولّع فيهِ فكان كلّ يوم يأتي عندهُ في البستان ويسأَلهُ عن أشياء كثيرة لأنّهُ وجدهُ كثير الفطنة* ففي ذات يوم قال بولينُس لمولاهُ: يا سيّدي استودعك سرّاً فاحفظهُ. وهو: دبّر أعمالك فانّ الملك حماك سيموت عمَّا قليل. فانطلق هذا الأمير عند الملك حميهِ وأخيرهُ بقول بستانيّهِ بولينُس

فارسل الملك استدعاهُ بحجّة أن يأتيهُ بزهور من البستان. فلمّا أتى ورآهُ الملك قال لصهرهِ سرّاً: واعجباه اني في الليلة السابقة حلمتُ وإذا أنا أمام قضاة ومعهم كان هذا البستاني. وكانوا جالسين على كراسي وبأمرهِ أخذوا منّي القضيب الذي كان بيدي. فاسالهُ بالخفاء من هو فانّهُ يبان انّ باطنهُ على خلاف ظاهرهِ. فعند ذلك أخذه مولاهُ وانفرد بهِ وسألهُ عن نفسهِ فاقرّ بولينس انّهُ أسقف وحكاهُ أمرهُ. فعند ذلك قال لهُ: سَلْني ما تحتاج إليهِ من الأموال فاني مطلقك إلى بلدك. فطلب منهُ القدّيس أن يعتق جميع ما عندهُ من الأسرى الذين في كنيستهِ. فللوقت جمعهم وسلّمهم إليهِ فأخذهم بولينس ورجع بهم مظفَّراً إلى مدينة نوله وقد انتصر على العالم وعلى الأعداء وعلى الشيطان. وخرج أهل المدينة إلى لقائهِ بفرح وأدخلوهُ المدينة باحتفال عظيم* امّا الملك حمو مولاهُ فمات بعد زمان قليل حسب قول مار بولينس*

وبعدما قضى مار بولينوس حياتهُ في الأعمال الخيريّة الراجعة إلى مجد الله وخلاص النفوس حان جزاؤُهُ فوقع مريضاً وكان مرضهُ يشتدّ. وبعد أن حرَّض اقليرسهُ على الثبات في خدمة يسوع المسيح وحفظ السلامة فيما بينهم وقال بعضاً من المزامير تُوُفّيَ في اليوم الثاني والعشرين من شهر حزيران سنة ٤٣١ ودُفن جسدهُ باكرام عظيم. وتأيَّدت قداستهُ ببواهر كراماتهِ*

مار البان الشهيد الأوّل في برتانيا الكبرى

انهُ في السنة التاسعة عشرة للملك ديوقلتيانس في شهر آذار قبل عيد الفصح بأيَّام قليلة خرج أمر بهدم كنائس النصارى وباحراق الكتب المقدّسة وباضطهاد المسيحيّين وبحبس رعاة الكنيسة وباجبارهم على السجود للأوثان. فكان ولاة المدن يخترعون أنواعاً كثيرة من العذابات للنصارى الذين لا يشاءُون أن يحيدوا عن ديانتهم. ورغماً عن هذا الاضطهاد العظيم كان حقل الكنيسة يزهو بأثمار عظيمة* وكانت برتانيا في ذلك الزمان ملجأً للمسيحيّين ومع ذلك لم تنجُ من الاضطهاد من أجل قبولها نور الإنجيل من المسيحيّين. وأوّل من استشهد فيها كان مار البان. فهذا كان وثنيّاً مولوداً في مدينة وارولام من نسب شريف. وفي صبائهِ تعلّم العلوم الدنيويّة. ولمّا كبر انطلق إلى روميّة ودخل في سلك العسكريّة عند الملك ديوقلطيانس. وبعد سبع سنين رجع إلى بلدهِ بمنصب حازهُ من الملك جزاءً لخدمتهِ. غير انّهُ لمّا وصل إلى وطنهِ تنزَّل عن هذا المنصب حبّاً للراحة. فاتَّفق ان استضافهُ رجل مسيحيّ والتجأ عندهُ من الاضطهاد الثائر. فلمّا شاهد البان حسن سيرة ضيفهِ بملازمتهِ الصلوة والصوم والتقشّف وسائر الأعمال التقويّة. قال لهُ من الذي يأمرك بهذه الأعمال. قال ديني. فقال لهُ البان: إذاً أرغب إليك أن ترشدني إلى هذه ديانتكم النصرانيّة لعلّى أقتدي بك. فاقبل البان وشرع يعظهُ وعلّمهُ أصول الديانة

المسيحيّة. وأخيراً هداهُ إلى الايمان. فصارا كلاهما يصلّيان سويّةً ويقضيان سائر الأعمال الدينيَّة إلى أن وُشي بهما أمام الوالي. فبعث جنودهُ ليمسكوهما. فلمّا بلغ ذلك مار البان قال لضيفهِ: ارغب إليك أن تنجو بنفسك لكي تقدر أن تشتغل في خدمة الكنيسة. وبعدما هرب أتى الجنود فوجدوا مار البان فأخذوهُ إلى الوالي. فقال لهُ: يا ألبان ما الذي دعاك إلى خيانة الآلهة. قال: الحقُّ. فقال لهُ الوالي: من أيَّة عشيرة أنت. قال ما شأنك بذلك. انّ المسأَلة هي في الدين يكفيك أن تعلم انّي مسيحي. قال لهُ الوالي: ما اسمك. قال: اسمي البان وأنا أعبد الإله الحقّ الحيّ الذي خلق جميع الكائنات من العدم فقال لهُ الوالي: ان أردتَ أن لا يلحقك أذى وان تنال حظّاً عند الملك فقرّب قرابين للآلهة العظام. قال الشهيد: انّ قرابينكم هي ممقوتة لأنّها لا تُقرَّب إلى الإله الحقّ بل إلى الشياطين. والذي يقرّبها يحلّ عليهِ غضب الله ويكون حظّهُ في النار المؤَبّدة. فعند ذلك اغتاظ الوالي من كلامهِ وقال لهُ: من حيث انّك لا تشاء أن تسمع نصاحتي فعليك وبالك. ثمّ أمر أن يُجلَد مار البان بالسياط. ولمّا رأَى المضطهد انّ هذا الشهيد احتمل هذا العذاب بتجلّد وهو غير متزعزع عن دينهِ أمر بقطع رأسهِ. فأخذوهُ إلى المكان المعيَّن لقتلهِ. وأتوا في طريقهم على نهر وأرادوا أن يعبروهُ وكان الجسر ضيّقاً لا يسع الزحام الذي كان خلف الشهيد. فلمّا رأَى مار ألبان الخطر الحاصل للناس وانّ اكليل الاستشهاد يبطئ عليهِ من جرى ذلك رفع عينيهِ إلى السماء طالباً من

الله أن يعمل كرامة لتعبر الناس بسرعة. فللوقت انغلق النهر وظهر اليبس فاجتازوا فيهِ وعبروهُ بأرجل ناشفة* فتعجَّب الناس عند نظرهم هذه الآيَة البيّنة واهتدى كثير من الوثنيّين إلى الايمان المسيحي. وكان من جملة المهتدين الجلاّد الذي كان يسوق مار البان ليقطع رأسهُ. فهذا رمى سيفهُ وانطرح على قدمي الشهيد القدّيس كافراً بأضاليلهِ ومعترفاً بيسوع المسيح* ولمّا وصل الشهيد إلى قمّة الجبل وكان الناس قد عطشوا وقد أجهدهم حرّ الشمس تحنَّن عليهم وطلب إلى الله أن يروى عطشهم بكرامة أخرى لأجل مجدهِ وتوطيد ايمان المسيحيّين وهداية الضالّين. فباذن الله ظهرت عين في الأرض ونبع منها ماءٌ غزير أروى العطاش وصار سبب تعجّب لجميع الناظرين*

ولمّا أوقفوا مار البان ليقطعوا راسهُ كان الجنود خائفين لا يجسرون أن يمضوا سيفهم بهِ من أجل مشاهدتهم تينك الكرامتين. فتقدَّم أشجعهم واستلّ سيفهُ وقطع رأس الشهيد. فاختبر عقاب الله حالاً إذ انَّ عينيهِ وقعتا على الأرض مع رأس الشهيد* واستشهد أيضاً بعد ذلك الجلاّد الذي آمن وكان استشهاد مار البان في اليوم الثاني والعشرين من شهر حزيران سنة ٣٠٦. ودفن المسيحيّون جسدهُ باكرام عظيم في المكان الذي قُتل فيهِ. وشُيّد بعد ذلك على قبرهِ كنيسة لاكرامهِ وجرت كرامات عظيمة بجاههِ رفعت قدرهُ وزادت مجدهُ*

أمّا الضيف الذي هدى مار البان الشهيد إلى الايمان المسيحيّ فبعد ما هرب من أيدي الوثنيّين أُدرك وأُتي بهِ إلى مدينة وارولان

وهناك جُلِد وأخيراً قُتل وهو يصيح أنا مسيحي*

* اليوم الثالث والعشرون *

القديسة مريم الوانية

انَّ هذه القدّيسة وُلدت في مدينة نِيَلاّ من أعمال بلجكا وكان أبواها شريفين في الحسب والنسب وغنيّين في المال. ومنذ حداثتها كانت تنفر من الأباطيل الدنيويّة وتهرب من المعاشرات ولم يكن شيء أحبّ إليها من الانفراد في الصلوة والتأمّل* ولمّا بلغت من العمر أربع عشرة سنة زوّجها أهلها من شابّ من أولي الشرف والغنى يُدعى يوحنا. وكان ذلك كرهاً منها لأنَّها كانت تتمنَّى أن تنذر بتوليّتها ليسوع المسيح وفعلت ذلك طاعةً لابويها. وكانت تحبّ زوجها وتخدمهُ. فتحرَّك بحسن سيرتها إلى الاقتداء بها في الأعمال التقويَّة. وبعد ذلك اتّفقا كلاهما على أن يعيشا بالتعفّف فباعا جميع أموالهما ووزَّعاها على الفقراء وصار يخدمان البرص* وجرَّبهما الربّ بشدائد كثيرة لامتحان صبرهما. من ذلك انَّ أهلهما ومعارفهما وجميع الناس احتقروهما وكانوا يهينونهما وهما لا يفتكران الاَّ في اتّباع يسوع المسيح في الطريق الصليب*

وكانت القدّيسة مريم تقشّف نفسها بالأصوام والسهر والأعمال المتعبة. وكانت الدموع لا تنفَكّ مهملةً من عينيها ليلاً ونهاراً. وكانت

الملائكة تظهر لها وتعزّيها ولا سيّما أنّ ملاكها الحارس كان يشجّعها ويرشدها دائماً*

وكان لها عادة أن تنطلق في كلّ سنة إلى مدينة واني لتزور كنيسةً مبنيّةً على اسم مريم العذراء. ونالت من الله بشفاعة مريم العذراء مواهب كثيرة* وبعد ما قضت هذهِ القدّيسة حياتها في عبادة الله وخدمة القريب اعلمها الله بساعة موتها. فانطلقت إلى مدينة واني وقضت ثَمَّ بقيّة أيّامها في الاستعداد للرحيل من هذه الدنيا. واعتراها سقم المّها مدّة ثلاثة وخمسين يوماً. وبعد ما أخذت أسرار البيعة المقدّسة ظهر لها ربّنا يسوع المسيح ومعهُ زمرة رسلهِ وعزَّاها بحضورهِ. ثمَّ أخذ نفسها إلى فردوسهِ السماويّ في اليوم الثالث والعشرين من شهر حزيران سنة ١٢١٣. ودُفن جسدها باكرام عظيم في كنيسة مار نيقُولاس في مدينة واني. وزيّنها الله بأعاجيب باهرة في حياتها وبعد موتها تأيّدت بها قداستها*

* اليوم الرابع والعشرون *

ميلاد يوحنا المعمذان سابق مخلّصنا يسوع المسيح

انّ يوم ميلاد يوحنَّا المعمذان المجيد هو معتبر في الكنيسة المقدّسة* قال لوقا الانجيليّ: كان في أيَّام هيرودس ملك اليهوديَّة كاهن اسمهُ زكريَّا من خدمة آبيا وامرأتهُ من بنات هرون واسمها اليشباع. وكانا

كلاهما بارَّين قدّام الله سائرين في جميع الوصايا وحقوق الربّ بغير عيب. ولم يكن لهما ولدٌ لأنَّ اليشباع كانت عاقراً وكانا كلاهما قد طعنا في أيَّامهما. وكان بينما هو يكهّن في رتبة خدمتهِ أمام الله كعادة الكهنوت إذ بلغتهُ نوبة وضع البخور فدخل إلى هيكل الربّ وكان كلّ جمهور الشعب يصلّون خارجاً وقت البخور. فظهر لهُ ملاك الربّ قائماً عن يمين مذبح البخور. فلمّا رآهُ زكريّا اضطرب وغشيهُ خوف. وقال لهُ الملاك: لا تَخف يا زكريّا لأنَّ طلبتك قد سُمِعت وامرأتك اليشباع ستلد لك ابناً وتدعو اسمهُ يوحنا. ويكون لك فرح وتهليل وكثيرٌ يفرحون بمولدهِ لأنّهُ يكون عظيماً قدَّام الربّ ولا يشرب خمراً ولا مسكراً ويمتلئ من روح القدس وهو في بطن أمّهِ. ويعيد كثيرين من بني إسرائيل إلى الربّ الههم. وهو يتقدَّم أممهُ بروح ايليّا وقوّتهِ ليقبل بقلوب الآباء على الأبناء والذين لا يطيعون إلى علم الأبرار. ليُعدّ للربّ شعباً مكمَّلاً* فقال زكريا للملاك: كيف اعلم هذا وأنا شيخٌ وامراتي قد طعنت في أيَّامها* فأجاب الملاك وقال لهُ: أنا هو جبرائيل الواقف قدَّام الله وأُرسلتُ لاكلّمك وأبشّرك بهذا. وها أنت تكون صامتاً لا تستطيع أن تتكلّم إلى اليوم الذي يكون هذا لأنّك لا تؤْمن بكلامي الذي سيتمّ في أوانهِ* وكان الشعب منتظرين زكريّا ومتعجّبين من ابطائهِ في الهيكل* ولمّا خرج لم يقدر أن يكلّمهم فعلموا انّهُ رأى رؤيا في الهيكل وكان يشير إليهم وأقام صامتاً* ولمّا كملت أيَّام خدمتهِ مضى إلى بيتهِ* ومن بعد تلك الأيّام حبلت اليشباع امرأتهُ وكتمت حبلها خمسة

أشهر قائلة: هكذا صنع بي الربّ في الأيّام التي نظر إليَّ فيها لينزع عاري بين الناس*

وبعد ما بشَّر ملاك جبرائيل اليشباع بيوحنَّا بستّة أشهر أرسلهُ الله ليبشّر مريم العذراء بميلاد يسوع المسيح مخلّص العالم. فلمّا حبلت مريم العذراء المباركة بكلمة الله قامت ومضت مسرعةً إلى الجبل إلى مدينة يهوذا ودخلت بيت زكريّا وسلّمت على اليشباع. فلمّا ان سمعت اليشباع سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها. وامتلأت اليشباع من روح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركةٌ أنتِ في النساء ومباركة ثمرة بطنكِ. ومن أين لي هذا ان تأتي امّ ربّي اليَّ. فها هوذا منذ وقع صوت سلامكِ في اذنيَّ ارتكض الجنين بتهليل في بطني* فمن هنا يبان شرف يوحنّا المعمذان إذ انَّ يسوع المسيح زارهُ وهما كلاهما في أحشاء أمّيهما. وبهذه الزيارة قدَّس يسوع يوحنا وطهّرهُ من الخطيّة الأَصليَّة التي حُبل بها وذلك حينما شعر بمجيء المخلّص ارتقش فرحاً وهو في البطن*

وولدت اليشباع يوحنّا في اليوم الرابع والعشرين من شهر حزيران وذلك قبل ميلاد مخلّص العالم بستّة أشهر فصار فرحُ عظيم بميلادهِ* وفي اليوم الثامن إذ كانوا يختتنون الصبيّ أرادوا أن يدعوهُ باسم أبيهِ زكريّا. فقالت أمّهُ لا بل يُدعى يوحنا. فقالوا لها: ليس أحد من جنسكِ يدعى بهذا الاسم. فاشاروا إلى أبيهِ ماذا يريد أن يُسمَّى. فاستدعى لوحاً وكتب قائلاً اسمهُ يوحنّا. فتعجّب جميعهم. وللوقت انفتح

فوهُ ولسانهُ وتكلّم وبارك الله* وشاع هذا الخبر في جميع جبال اليهوديَّة وكانوا يقولون ماذا ترى يكون من هذا الصبيّ. ويد الربّ كانت معهُ*

ولمّا كان يوحنّا بعدُ حَدَثاً صغيراً انفرد في البرّيّة وكان ثمّ يتربَّى مع الوحوش مكتسياً بوبر الابل وممنطقاً حقويهِ بجلد ومقتاتاً بالجراد وعسل البَرّ* وبهذا صار يوحنّا إِماماً لجميع المتوحّدين والرهبان كما قال مار غريغوريوس النازِينزي ومار يوحنّا فم الذهب وغيرهما* وأقام في الانفراد والتقشّف حتى حلّت كلمة الله عليهِ. وأرسلهُ ربّنا يسوع المسيح كملاك أمام وجههِ مبشّراً بهِ*

قال نيكَفورُس وكلّسطُس وغيرهما: انّ هيرودس لمّا قتل الأطفال الأبرياء راجياً أن يكون معهم يسوع المسيح المولود هربت اليشباع بابنها يوحنا وعمرهُ سنة ونصف إلى الجبال واحتمت في مغارة. وبعد أن أقامت فيها أربعين يوماً قضت نحبها تاركةً الصبيّ إلى تدبير العناية الإلهية فعالهُ الله إلى أن بلغ أَشُدَّهُ على يد ملاك كما عال يوماً اسماعيل بن ابرهيم حينما تركتهُ امّهُ هاجر تحت شجرة لكي لا تراهُ يموت أمام عينيها* وقيل انّ تلك المغارة التي تربّى فيها يوحنّا المعمذان بُنِي عليها بعد ذلك كنيسة*

ولمّا حلّت كلمة الله على يوحنّا شرع يكرز في البرّيّة باقتراب ملكوت السموات بمجيء المسيح مخلّص العالم ويعمّذ كلّ من يأتي إليهِ من أهل أورشليم واليهوديّة وجميع الكورة المحيطة بالأردن ويبشّرهم قائلاً: يأتي بعدي من هو أقوى منّي الذي لستُ أهلاً أن أنحني لأحلّ سيور

حذائهِ. أنا أعمّذكم بالماء وهو يعمّذكم بروح القدس والنار* يرشد الناس من كلّ صنف ويعلّمهم الاستقامة في جميع أعمالهم*

وفي تلك الأيّام جاءَ يسوع من الجليل إلى الأردن ليعتمذ من يوحنا. فكان يوحنّا يمنعهُ قائلاً: أنا المحتاج أن أعتمذ منك وأنت تاتي إليَّ. فأجاب وقال لهُ: دع الآن فهكذا يليق بنا أن نكمّل كلّ البرّ. حينئذٍ تركهُ* فلمّا اعتمذ يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات انفتحت لهُ ورأَى روح الله نازلاً كمثل حمامة وجاثياً عليهِ. وإذا صوتٌ من السموات يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُرِرتُ*

وكان اليهود يعتبرون يوحنا المعمذان مثل نبيّ عظيم. وكانوا يظنّونهُ المسيح المنتَظَر. ولهذا أرسلوا إليهِ من أورشليم كهنة ولاويّين ليسأَلوهُ: من أنت. فاعترف ولم ينكر واقرّ اني لستُ المسيح بل أنا صوت الصارخ في البرّيّة سهّلوا طريق الربّ كما قال اشعياء النبي* وحقّاً انّ يوحنا كان نبيّاً عظيماً وهو خاتمة الأنبياء الذين بشَّروا بمجيء المسيح مخلّص العالم الموعود بهِ. لأنّهم كلهم قالوا انّ المسيح سيأتي. وامَّا يوحنّا فقال قد أتى وأومأ عنهُ بيدهِ قائلاً: هوذا حَمَل الله الرافع خطايا العالم. ولأجل هذا لم يكن نبيّاً فقط بل أعظم من نبي كما قال عنهُ ربّنا يسوع المسيح: انّهُ لم يقم في مواليد النساء نبي أعظم من يوحنا المعمذان*

ومن ثمَّ بكل صوابٍ يسوغ لنا أن نسمّي يوحنّا ملاكاً لأنّهُ قضى وظيفة الملائكة بالرسالة وعاش بطهارة ملائكيّة كاملة. وكانت حياتهُ

كلّها منذ تقدَّس في بطن أمّهِ قداسةً وكمالاً* وكما قال مار امبروسيوس ومار يوحنّا فم الذهب وغيرهما من ملافنة الكنيسة انّ روح القدس هو الذي كان معلّماً لمار يوحنا يوحي إليهِ بالأسرار الإلهيّة وبتفسير الكتاب المقدّس. ووهب لهُ هبات الايمان والعلم والحكمة ليكون واعظاً ومبشّراً بالمسيح قبل الكلّ. ومن ثمَّ دعاهُ ما هيرونُمس رسولاً لأنّهُ قضى أعمال الرسل بالسيرتين النظريّة والعمليّة* ودعاهُ مار بطرس خريسولوغس: مدرسة الفضائل ومثال القداسة وقانون العدل ومرآة البتوليّة وواعظ التوبة ومعلّم الايمان وزارع الإنجيل وصوت الرسل وصمت الأنبياء ونور العالم وساعي يسوع المسيح والشاهد لهُ ومقدّس الثالوث الأقدس* وكنّاهُ مار اوغسطينس ومار برنَردُس ببوق السماء وبجنديّ يسوع المسيح وبواعظ الملكوت وبقدوة العالم وبفخر أولاد آدم* ومدحهُ كثيرون من آباء الكنيسة ولكنَّهم لم يقدروا ان يعظّموهُ كما عظّمهُ يسوع المسيح نفسهُ إذ قال عنهُ: انَّهُ لم يقم في مواليد النساء أعظم من يوحنّا المعمذان. وغمّرهُ بنعم غزيرة إذ جعلهُ أهلاً لأن يولد ببشارة ذلك الملاك عينهِ الذي بشّر بولادة المسيح مخلّص العالم ولأن يتقدَّس وهو بعدُ في حشا امّهِ اليشياع ولان يكون ساعياً للمسيح ومعمّذاً لهُ وكارزاً بملكوتهِ وقائماً بجميع وظائف الأنبياء والرسل والشهداء والمعترفين والكهنة والنسّاك والعذارى*

وبعدما قضى هذا الرجل الكامل رسالتهُ قُطع راسهُ بامر هيرودس وهكذا ختم حياتهُ بسفك دمهِ غيرةً منهُ على مجد الله ومحاماة الحقّ.

وقيل انّ وفاتهُ كانت في السنة الحادية والثلاثين أو في أوائل السنة الثانية والثلاثين للمسيح*

* اليوم الخامس والعشرون *

جهاد الشهداء في رومية في عهد الملك نيرون ـ القدّيسة فبرونية الشهيدة

جهاد الشهداء في رومية في عهد الملك نيرون

انّ ربّنا يسوع المسيح لمّا قضى رسالتهُ في العالم ترك في الأرض صليبهُ واثني عشر رسولاً مقلّدين التبشير بهِ في أقطار المسكونة. فكان هولاء الضعيفون بالطبيعة قويّين بالعمل في الرسالة لا يفزعون من الاضطهاد ولا من العذاب ولا من الموت متشجّعين بموت معلّمهم على الصليب* وبنعمة الله كانت أعمالهم لا تزال متقدّمة في سُبُل النجاح. ورأَى العالم فتعجَّب من قدرة هذه الديانة الجديدة التي في قليل من الزمان انتشرت في الدنيا كلّها وكان أصحابها يكثرون يوماً فيوماً* ومنذ موت يسوع المسيح منشئ هذه الديانة المقدّسة فهم ملوك الروم بل ايقنوا بوجود خطر عظيم يدمّر بهذه الديانة سلطتهم وقدرتهم المؤَسَّسة على البغي والظلم. وكانوا يغتاظون لرؤيتهم هولاء الرجال أهل الديانة الجديدة

يكرزون بالمحبَّة للقريب ويعظّمون العمل بالحسنى ويستأصلون السيّئات من الدنيا ويفضحون إِفك الديانة الوثنيّة الضالّة والمضلّة ويؤَيّدون ديانة يسوع المسيح الحقيقيّة بالانذار والكرامات* ولمّا كانت مساعي هذه الديانة المسيحيَّة تبدي انقلاباً عجيباً في المسكونة الوثنيّة اقتضى لمداركة الأمر توقيفها بالتصدّي لمحاربة جميع الذين يستفرغون فيها وسعهم ولمحوهم من وجه الأرض. فلزم الأمر أن يشمّر لهذا العمل الوحشيّ نيرون الأثيم القاسي ملك روميّة قاعدة المسكونة ومركز الوثنيّة الذي كان يلتذّ بسفك الدماء. وافتتح أمرهُ باحراق مدينة روميّة سنة ٦٤ وكانت هذه المدينة إذ ذاك عظيمة ومؤَلّفة من أربع عشرة محلّة. وكان نيرون حينئذٍ جالساً على برج عالٍ يغنّي ويتفرّج على هذا المنظر الأليم. واستمرّ الحريق تسعة أيّام واحترق عشر محاليل من روميّة ولم يبقَ سوى أربع* ولم يكن نيرون يكتفي بذلك بل قرف النصارى بانَّهم هم الذين أبدعوا هذا الحريق. فمن ثمّ شرع بامساكهم. وكان يعذّبهم بأنواع مختلفة لا توصَف. فمنهم كان يطرحهم أمام كلاب كَلِبة فكانت تمزّقهم بانيابها. ومنهم كان يطلي أجسادهم بالزفت والزيت ويعلّقهم على عُمُد منصوبة في طرق المدينة وشوارعها ويشعلهم بالنار لكي يكونوا كمشاعل تضيء المدينة في ظلمة الليل. ومنهم كان يصلبهم. ومنهم كان يقتلهم بأنواع أخرى. وأبرز أمراً بأن يُصنَع كذلك بالنصارى في كلّ المسكونة* فمن يقدر أن يحصى عدد هولاء الشهداء الذين سفكوا دماءَهم حبّاً لمعلّمهم الإلهيّ في هذا الاضطهاد الأوّل وصاروا

باكورة الذين سفوا حفل الكنيسة المقدّسة بدمهم وجعلوهُ أن يأتي بأثمار غزيرة قبل موت الرسل. وهكذا بكلّ صواب جعلت الكنيسة المقدّسة أن يُكرَم ذكرهم مخلَّداً في عبر الأجيال*

القديسة فبرونية العذراء الشهيدة

انّ هذه القدّيسة كانت راهبة في دير في مدينة سيبافُليس مشتهرة بفضائلها. وكانت عمّتها رئيسة الدير. فذات يوم جاءَ سَلانُس والياً على المدينة وكان رجلاً قاسياً مضطهداً للمسيحيّين. فلمّا سمع بصيت فبرونية أرسل جنودهُ إلى الدير ليقضوا عليها. فلمّا بلغ الراهبات هذا الخبر هربنَ كلّهنَّ ولم يبقَ سوى الرئيسة وفبرونية ابنة أخيها. ولمّا دخل الجنود إلى الدير قالت الرئيسة لفبرونية: يا ابنة أخي لقد ربّيتُكِ في هذا الدير ثماني عشرة سنة باجتهاد عظيم لكي لا يتدنَّس جمال نفسكِ وجسدكِ ولكي تُصان عفّتكِ من كلّ عيب. فهل يليق الآن ان تخسري بتوليّتكِ بسبب ضعف شجاعتكِ. ام هل يليق أن يتزعزع ايمانكِ بين أيدي الجلاّدين* فعند ذلك أخذوها وأتوا بها أمام سَلانُس الوالي* فلمّا رآها وما عليها من الجمال وعدها أن يتزوَّج بها ان سجدت للآلهة. فقالت لهُ: لستُ أرضى بوعدك ولا بسجودي لآلهتك لأنّ لي في السماء عريساً أبديّاً لا يسمح لي أن أكون عروساً لغيرهِ. فلمّا لم يتمكَّن منها أخذتهُ حميّة الغضب عليها وأمر أن تُطرَح في خلقين

ممتلئ زيتاً مغليّاً. ثمّ أخرجوها وجلدوها بالعصيّ ومزّقوا جثمانها بأمشاط من حديد وأشاطوا جسدها بنار هادئة وقلعوا أسنانها وقطعوا ثدييها. وكان عريسها يسوع يقوّيها على احتمال هذه التعاذيب الفظيعة* ولمّا رأَى الوالي ثباتها أمر بقطع رأسها. وفيهِ تمَّت شهادتها في اليوم الخامس والعشرين من شهر حزيران سنة ٣٠٣ للمسيح*

* اليوم السادس والعشرون *

جهاد القدّيسَين يوحنا وبولس الشهيدَين ـ مار بلاجيوس الصبيّ الشهيد

جهاد القدّيسين يوحنا وبولس الشهيدَين

انّ استشهاد القدّيسَين يوحنّا وبولس قد اخبر بهِ تَرَنْطيانُس قائد جيوش الملك يُليانُس الكافر الذي قتلهما بأمر الملك وبعد ذلك اهتدى إلى ايمان يسوع المسيح* انّ هذين القدّيسَين كانا أخوَين ومن خدّام قسطنطة ابنة الملك قسطنطين الكبير. وكانت سيّدتهما قد اغنتهما بأموال كثيرة. وعلى أيديهما كانت توزّع صدقاتها لأنّها كانت عذراء ذات مزايا حميدة وتقوى عظيمة* وبعد موت قسطنطين الكبير وأولادهِ الثلاثة قسطنطين وقسطَنْط وقسطَنطيوس ورث المملكة يليانُس الكافر

ابن أخي قسطنطين. فهذا الملك جحد الايمان المسيحيّ وشرع يعبد الأوثان. وصار عدوّاً الدّ للمسيحيّين. ولمّا سمع بأنّ يوحنا وبولس يوزّعان بسخاءٍ عظيم على الفقراء أموالاً غزيرة كانت قسطنطة سيّدتهما قد تركتها لهما أرسل إليهما تَرَنْطيانُس قائد جيوشهِ يدعوهما إلى خدمتهِ ويعدهما ان اجابا دعوتهِ بأن يكرمهما ويجعلهما مقرَّبين إليهِ أكثر ممّا كانا عند عمّهِ قسطنطين وابنة عمّهِ قسطنطة. فلمّا عرض عليهما هذا القائد دعوة الملك قالا لهُ: انّنا قد خدمنا سابقاً الملوك المومنين فكيف الآن نرضى أن نخدم يُليانُس الذي جحد الديانة المسيحيّة وعبد الأوثان* فلمّا رأَى تَرَنْطيانُس امتناعهما قال لهما: امهلكما عشرة أيّام حتى تفتكرا وتردّا لي الجواب. فقالا لهُ: احسب ان قد انتهت العشرة الأيّام ونحن نجيبك باننّا لا نشاء أن نخدم يُليانُس. فالذي تريد أن تفعلهُ بعدها افعلهُ الآن* فقال لهما: أَرى انّكما تؤْثران الموت لتنالا اكرام الشهداء عند النصارى فوَحياة الملك لاخبرنَّهُ بذلك* فلمّا أيقن يوحنا وبولس بالموت أخذا يقضيان الأيّام العشرة في عطاء كلّ ما عندهما من المال صدقةً وفي التأَهّب للاستشهاد* وفي مساء اليوم العاشر جاءَ تَرَنْطيانُس القائد إلى بيتهما ومعهُ شرذمة من الجند وأراهما صورة المشتري اله يُليانُس وقال لهما: انّ الملك يأمركما بالسجود وتقديم البخور لهُ. والاّ فتُقتَلان بالخفاء ولا يعلم بكما أحد* فقالا لهُ: معاذ الله أن نجحد الاهنا الحقّ ونسجد لهذا الصنم. فعند ذلك قطع تَرَنْطيانُس رأسيهما ودفن جسديهما سرّاً في بيتهما حتى لا يعلم بهما النصارى فيكرموهما. وأشاع

خبراً في المدينة بانّ الملك نفاهما. ولكنّ الله الذي لا يفلت أحدٌ من أمام عدلهِ لم يبطئ بالعقاب على يُليانُس الكافر. فانّهُ بعد سنة فيما كان يحارب الفُرس جرّعهُ كاس ميتة شقيّة وذلك في مثل اليوم الذي استشهد فيهِ برومية القدّيسان يوحنا وبولس* وبعد موت هذا الملك الشرّير تخلّف في المملكة يوبنيانُس وكان ملكاً كاثُليكيّاً ومن أعظم المحامين للكنيسة* وجعل الله أن تخبر الشياطين بأفواه الممسوكين منها بالمكان المدفون فيهِ جسدا الأخَوين الشهيدَين يوحنا وبولس. فعند ذلك أتى المسيحيّون وحفروا المكان المعيَّن فوجدوهما. وظهرَت كراماتهما باخراج كثير من الشياطين من أبدان المجانين* وكان لتَرَنْطيانُس القائد الذي قتلهما ابنٌ فيهِ روح نجس. فخرج بشفاعة هذين الشهيدَين. وحينئذٍ عرف تَرَنْطيانُس ضلالتهُ وزور آلهتهِ والقساوة الفظيعة التي عامل بها الشهيدَين القدّيسين. فجاءَ منطرحاً على أقدامهما ومستغفراً* واهتدى إلى ايمان يسوع المسيح وكفَّر عن معاصيهِ بالتوبة. وكتب قصَّة استشهاد الأخَوين يوحنا وبولس اللذين قُتِلا في اليوم السادس والعشرين من شهر حزيران سنة ٣٦٢* وشُيِّد على بيتهما كنيسة فاخرة على اسمهما وحُفِظت فيها ذخائرهما*

مار بلاجيوس الصبيّ الشهيد

انَّ عبدَرام ملك العرب حاز غلبة عظيمة على النصارى في

اسبانيا سنة ٩٢١ وقتل كثيراً منهم واستأسر كثيراً. ومن جملة الأسرى كان أسقف مدينة طُوي فأَخذهُ مصفَّداً بالحديد إلى مدينة قرطبة في اسبانيا. فقال الأسقف للملك: لا يخفاك انّ تحت يدي بعض المغاربة قد أُسِروا في الحرب. فان أطلقتني أنال لك اطلاقهم. ولصدق مقالتي اترك عندك رهناً ابن أخي. وكان لهُ ابن أخ اسمهُ بلاجيوس وعمرهُ عشر سنين. فرضي الملك بذلك وأطلق الأسقف وامسك عندهُ بلاجيوس. وكان هذا الصبيّ تقيّاً جميلاً ذا فضائل سامية. وبقي في الأسر خمس سنين*

ففي ذات يوم إذ كان عبدَ رام الملك يتغدَّى شرع أحد مشيريهِ يصف لهُ جمال بَلاجيوس الصبيّ الأسير. فأمر باحضارهِ ولمّا رآهُ بُهِت من جمالهِ وقال لهُ: اجحد ايمان المسيح واتّبع ديني وأنا أجازيك مجازاةً عظيمة. فقال لهُ الصبيّ: أيُّها الملك لستُ أشاء أبداً أن أكفر بالمسيح. لأنّ مواعيدك زائلة ويسوع المسيح الذي خلق جميع الأشياء يعطيني مجازاةً أبديَّة* فدنا منهُ الملك وأراد أن يلاطفهُ فزجرهُ هذا الفتى بشجاعةٍ قائلاً: تاخّر أيُّها الكلب اتحسبني كأحد الصبيان الفاسدين شركائك. فاغتاظ الملك منهُ وأمر بتعذيبهِ وقتلهِ أو يكفر. فأخذهُ الأعوان وشرعوا يعذّبونهُ بأنواع مختلفة ثمّ قطّعوا يديهِ ورجليهِ ورأسهُ وهو يصرخ: اللهمّ خلّصني من أعدائي* وهكذا تمّ استشهادهُ في اليوم السادس والعشرين من شهر حزيران سنة ٩٢٥. وطرح جسدهُ في نهر غوادِلكبير* ورفع الله قدر شهيدهِ مار بلاجيوس بكرامات باهرة

فعلها بجاههِ. وشُيِّد كنائس كثيرة على اسمهِ في اسبانيا*

* اليوم السابع والعشرون *

مار لادِسلاس ملك هُنغريا ـ مار شمشون القسّيس

مار لادِسلاس ملك هُنغريا

انّ هذا الملك القدّيس كان ابن بادة ملك هُنْغريا وُلِد سنة ١٠٣١ وجلس على سرير المُلك سنة ١٠٨٠ وكان يحكم بالقسط ويقتدي بأمثال سالفهِ مار اسطفانس ملك هُنغريا. وكان غيوراً عفيفاً حليماً رأُوفاً سخيّاً بارّاً. وكان رجل خيرٍ للكنائس والفقراء. وكان يقضي زمانهُ في عَمَلين وهما عبادة الاههِ وتدبير مملكتهِ لأجل مجدهِ تعالى. وكان محامياً للكنيسة المقدّسة ولمملكتهِ فكان يحارب أعداءَهما وينصرهُ الله دائماً عليهم. وبعدما قضى سعي حياتهِ في الأعمال الصالحة توفّاهُ الله في اليوم الثلاثين من شهر تموز سنة ١٠٩٥. ودُفن جسدهُ في مدينة وردين. ويُرَى جسدهُ هناك إلى اليوم* والكرامات التي أجراها الله بعبدهِ لادِسلاس جعلت البابا كَلَستينُس الثالث أن يكتب اسمهُ في سفر القدّيسين سنة ١١٩٨*

مار شمشون القسيس

انّ هذا القديس وُلد في روميّة من أبوَين شريفَي الأصل وغنيَّين جدّاً. ولمّا كبر تولّع بدرس علم الطبّ راجياً بهِ أن يساعد المرضى الفقراء لأنَّهُ كان رقيق الجنان حنوناً إلى الغاية. وبعد موت أبويهِ باع كلّ أموالهِ وعتق عبيدهُ وأتى إلى مدينة القسطنطينيَّة وسكن في بيت صغير جعلهُ مقراً للضيوف وكان يقتبل فيهِ حبّاً لله الفقراء المرضى ويعولهم ويعالجهم. فالذي لم يكن يقدر أن يشفيهُ بعقاقيرهِ كان الله يشفيهِ بكرامتهِ. ولمّا بلغ خبرهُ بطريرك القسطنطينيَّة استدعاهُ ورسمهُ قسّيساً وعمرهُ إذ ذاك ثلاثون سنة* وأقام مار شمشون يخدم الله والقريب حتى شاخ وطعن في السنّ. ولمّا حان رحيلهُ من هذه الدنيا تُوُفّي بسلام في اليوم السابع والعشرين من شهر حزيران سنة ٥٣٠* وظهرت محبّتهُ ورأَفتهُ على المرضى بعد موتهِ أيضاً فانّ الله كان يشفي بشفاعتهِ جميع المرضى الذين يستغيثون بهِ* وبجاههِ نجت كنيسة القدّيسة صوفية من حريقة عظيمة. فانّهُ تراءَى على سطح هذه الكنيسة وكان يدفع عنها اللهبات ويطفئها*

* اليوم الثامن والعشرون *

مار ايرَناوس اسقف مدينة ليون الشهيد

انّ مار ايرَناوس كان يونانيّ الأصل وحسب رأي بعض من المؤَرّخين انّهُ كان من بلاد آسيا الصغرى. ولمّا كان أبواهُ مسيحيّين وضعاهُ عند مار بُلِكَربُس أسقف ازمير فتعلّم جيّداً عند هذا القدّيس المجيد علم الديانة الذي جعلهُ فيما بعد من أعظم المحامين للكنيسة* وحسب قول مار غريغوريوس أسقف تور انّ مار بُلِكَرْبُس أرسل تلميذهُ ايرَناوس إلى بلاد غاليا لينذر هناك بالإنجيل. ولمّا كان في مدينة ليون سامهُ مار فُوثينُس اسقف هذه المدينة قسّيساً سنة ١٧٧* وفي ذلك الزمان اثار الوثنيّون في مدينة ليون اضطهاداً عظيماً على النصارى. فبانت في ذلك غيرة مار ايرَناوس وشهامتهُ على محاماة الديانة المسيحيّة. وبعد ذلك انتُخِب هذا القدّيس خليفةً لمار فوثينُس الذي سفك دمهُ ليسوع المسيح أسقفاً على مدينة ليون وهدى بإنذارهِ كلّ سكّان المدينة. وشمَّر لمحاربة الهراطقة وصنَّف كتباً جليلة فنَّد فيها أضاليلهم*

وبعدما قضى زماناً طويلاً في تدبير كرسيّهِ والسعي في هداية الضالّين إلى طريق الحقّ شبَّ اضطهاد عظيم على المسيحيّين في تلك البلاد في عهد الملك سَويرُس. وكان هذا الاضطهاد الخامس. وكان الملك سَويرُس قاسياً جدّاً حتى انّهُ أجرى دماء المسيحيّين في أزقّة

مدينة ليون كالماء. وفي هذا الاضطهاد استشهد مار ايرَناوس سنة **٢٠٥** وعمرهُ تسعون سنة بعدما ساس كرسيَّه مدّة ستّين سنة. ودُفن جسدهُ باكرام عظيم. وأجرى الله بهِ كرامات كثيرة تأيَّدت بها قداستهُ*

ومدح آباء الكنيسة الأوَّلون مار ايرَناوس اسقف ليون فقال عنهُ مار ابيفانيوس انهُ رجل علاّمة فصيح مجمَّل بجميع مواهب روح القدس. وقال عنهُ ثاودورِطُس انهُ نورد بلاد غاليا الغربيّة* وشُيِّد كنيسة عظيمة على اسمهِ في مدينة ليون*

* اليوم التاسع والعشرون *

مار بطرس نائب يسوع المسيح المعصوم ورئيس الرسل ـ مار بولس الرسول

مار بطرس نائب يسوع المسيح المعصوم ورئيس الرسل

انّ مار بطرس الرسول المعظّم كان يدعى شمعون قبلما دعاهُ يسوع المسيح إلى تلمذتهِ. وكان عبرانيّاً جنساً مولوداً في بيت صيدا وابن يونا وأخا مار اندراوس. وكان لهُ امرأَة اسمها بَرْبَتْوَه (أي عائشة مؤَبَّدة) وكانت ابنة آرسطيل أخي مار برنابا. وكانت صناعة شمعون وأخيهِ اندراوس صيد السمك* وانّ مار اندراوس كان من تلاميذ يوحنّا

المعمذان* فذات يوم نظر يوحنا إلى يسوع ماشياً فقال هوذا حمل الله. وكان مار اندراوس قبل يوم قد سمع معلّمهُ يوحنا يتكلّم عن يسوع فقام وتبع يسوع إلى حيث كان يسكن وأقام عندهُ يوماً كاملاً متعجّباً من أقوالهِ الإلهيّة. ولمّا تأكّد منهُ بأنّهُ هو المسيح الذي ينتظرهُ شعب إسرائيل مضى إلى أخيهِ شمعون وأخبرهُ بهذه البشرى قائلاً: قد وجدنا مَشِيَّح الذي تاويلهُ المسيح. وجاءَ بهِ إلى يسوع. فنظر إليهِ يسوع وقال لهُ: أنت هو شمعون بن يونا. أنت تدعى كيفا الذي تأويلهُ الصفا* وأشار بذلك يسوع المسيح إلى إيثارهِ أن يجعلهُ الصخرة الأولى التي كان مزمعاً أن يبني عليها كنيستهُ* وبعد زمان فيما كان يسوع يمشي عند بحر الجليل أبصر شمعون واندراوس أخاهُ يلقيان شبكاً في البحر فقال لهما: اتبعاني فاصيّركما صيَّادَي الناس وللوقت تركا شباكهما وتبعاهُ*

ووهب ربّنا يسوع المسيح لمار بطرس نِعماً غزيرة أكثر من سائر رسلهِ من ذلك انّهُ جعلهُ الأوّل ورئيساً على الجميع. وكان يأخذهُ معهُ في أعمالهِ العظيمة والخفيَّة كتجلّيهِ على طور طابور. واقامتهِ ابنة يوارش رئيس الجماعة. وصلاتهِ في بستان الزيتون* وانّما بطرس هو الذي اصطفاهُ يسوع المسيح ليكون نائبهُ على الأرض وراعياً عامّاً لكنيستهِ كلّها. وأعطاهُ مفاتيح كنوزهِ ووشّحهُ بنعمهِ الفائضة وجعلهُ أن يسمو بالمناقب* ومن أجلّ مناقبهِ كان تواضعهِ فانّهُ حينما أمرهُ يسوع بالقاء الشباك في بحيرة جنّاشار وكانوا قد تعبوا الليل كلّهُ ولم يأخذوا شيئاً وبكلمة يسوع أُلقَيت الشبكة وامتلات سمكاً حتى كادت تتخزَّق خرَّ

بطرس عند ركبتَي يسوع وقال: ابعد عنّي يا سيّد فاني رجل خاطئ فقال لهُ يسوع: لا تخَفْ من الآن تكون صيّاداً للناس* ولمّا أراد يسوع في ليلة موتهِ أن يغسل قدمَي بطرس امتنع هذا الرسول لتواضعهِ قائلاً: أأنت يا سيّد تغسل لي قدميّ. لن تغسل لي قدميَّ إلى الأبد. ولكن لمّا أمرهُ يسوع أن يطيعهُ في ذلك سمع وأطاع*

ومن أجلّ مناقب هذا الرسول كان ايمانهُ وبهِ أيقن انَّ يسوع المسيح هو ابن الله الحيّ وذلك لمّا سأَل يسوع تلاميذهُ قائلاً: مَن تقولون انّي أنا. فأجاب بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله. فجازاهُ الربّ على ايمانهِ بقولهِ لهُ: طوبى لك يا شمعون بريونا انَّ اللحم والدم لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات. وأنا أيضاً أقول لك انّك أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. وما ربطتهُ على الأرض يكون مربوطاً في السموات وما حللتهُ على الأرض يكون محلولاً في السموات* ومن أعمال ايمانهِ أيضاً هو انَّ يسوع المسيح حينما علّم بانّهُ هو خبز الحيوة وجسدهُ طعامٌ حقّ ودمهُ مشربٌ حقّ وانَّ كثيراً من تلاميذهِ لمّا سمعوا هذا التعليم استصعبوهُ وقالوا: من يطيق استماعهُ ورجعوا إلى ورائهم ولم يعودوا يمشون معهُ قال للاثنَي عشر العلّكم أنتم أيضاً تريدون المضي. قال لهُ شمعون الصفا: يا سيّد إلى مَن نذهب وكلام الحيوة الدائمة لك ونحن قد آمنّا وعلمنا انَّك أنت المسيح ابن الله الحيّ* ولكي يثبّت يسوع المسيح ايمان وكيلهِ مار بطرس قال لهُ: أنا طلبتُ من أجلك

لئلاَّ ينقص ايمانك وأنت إذا رجعت ثبّت أخوتك. وبهذا أراد ربّنا يسوع المسيح أن يجدّد وعدهُ لمار بطرس بالرياسة على كنيستهِ وأن يجعلهُ معصوماً في جميع تعاليمهِ لكي يقدر أن يثبّت أخوتهُ في طريق الصواب*

ومن أجلّ مناقب هذا الرسول المعظّم هي محبّتهُ فانّهُ حينما كان يسوع يتجلّى أمامهُ وأمام يعقوب ويوحنّا على طور طابور كان هو يتمنّى أن يمكث هناك دائماً برفقة يسوع. ولذلك طلب إليهِ أن يأذن لهُ بعمل مظلاَّت* وجعلتهُ محبّتهُ لمعلّمهِ الإلهيّ أن يمشي مرّتين على البحر آتياً إليهِ إذ لم يقدر أن ينتظر قدوم سفينة ليركبها* ومن أعمال محبّتهِ أيضاً أنَّهُ كان يتوسّل إلى يسوع ان لا يموت. وأصابهُ من جرى هذه المحبّة أتعاب شاقّة وأخطار عظيمة. ولمّا رأى اليهود قد أتوا إلى يسوع ليمسكوهُ استلّ سيفهُ وقحم عليهم وحدهُ وقطع إذن عبد رئيس الكهنة* وأراد أن يتبع يسوع في آلامهِ غير انّ الربّ سمح أن ينكرهُ ليريهُ ضعف طبيعتهِ البشريّة لأنّهُ حينما كان يسوع يخاطب تلاميذهُ عن آلامهِ كان بطرس يقول لهُ مفتخراً بنفسهِ: لو شكّ فيك جميعهم لم أشكّ أنا أبداً. وانّي لمستعدّ ان أمضي معك إلى السجن وإلى الموت. ولكنّهُ لمّا عرف ضعفهُ بعدما كفر بمعلّمهِ شرع يندب سقطتهُ ويبكي بكاءً مرّاً. واستمرَّ يكفّر عن خطيّتهِ بأعمال التوبة طول مدَّة حياتهِ* وأخيراً لمّا أراد ربّنا يسوع المسيح أن يثبّت محبّتهُ سأَلهُ ثلاث مرَّات اتحبّني أكثر من جميع الرسل. وكان بطرس يجيبهُ قائلاً: نعم يا ربّ أنت تعلم انّي أحبّك. ولخاطر هذه المحبّة رفع الربّ قدرهُ وقلّدهُ رعاية كنيستهِ كلّها منجزاً ما كان قد

وعدهُ بهِ*

وبعد صعود ربّنا يسوع المسيح إلى السماء أخذ بطرس بالعمل في الوظيفة التي قلّدهُ ايَّاها معلّمهُ الالهي فانّهُ لمّا كان الرسل والتلاميذ مجتمعين في العلّيّة وقف بطرس في الوسط وعرض عليهم انتخاب واحد بدل يهوذا الاسخريوطي ليُحصى ما بين الرسل الاثني عشر* وبعدما حلّ روح القدس عليهم باشر بطرس أعمالهُ الرسليّة. وهو أوَّل من وعظ اليهود بسرّ الصليب وبهذه عظتهِ الأولى هدى ثلاثة آلاف نفس* وهدى بعظةٍ ثانية خمسة آلاف نفس* وبطرس هو أوَّل مَن أيَّد التعليم الإنجيليّ بالمعجزات. وذلك انَّ بطرس ويوحنّا صعدا يوماً إلى الهيكل لكي يصلّيا وكان رجلٌ أعرج من بطن أمّهِ يُحمَل. وكانوا يضعونهُ كلّ يومٍ على باب الهيكل الذي يُدعى الحَسَن ليسأَل الصدقة من الذين يدخلون الهيكل* فهذا لمّا رأَى بطرس ويوحنا داخلَين إلى الهيكل صار يسأَل أن يأخذ صدقة. فتفرَّس فيهِ بطرس مع يوحنا وقالا: انظر إلينا. فتفرَّس فيهما راجياً أن يأخذ منهما شيئاً. فقال بطرس: ليس لي فضَّة ولا ذهب ولكن أعطيك ممَّا هو لي. باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ. وامسكهُ بيدهِ اليمنى وأقامهُ. وللوقت تقوَّت رِجلاهُ وعقباهُ. فوثب وقام صار يمشي ودخل معهما الهيكل وهو يمشي ويطفر ويسبّح الله. وكانوا يعرفونهُ انّهُ هو ذلك الذي كان يجلس يسأَل الصدقة على باب الهيكل الحَسَن. فامتلأُوا دهشة وحيرةً ممَّا جرى لهُ*

ولمّا بلغت هذه المعجزة آذان مشايخ اليهود وكانوا يتألّمون من

تعليم بطرس ويوحنّا للشعب وإنذارهما بيسوع امسكوهما وحبسوهما إلى الغد ولمّا حاكموهما امتلأ بطرس من روح القدس وشرع يبيّن لهم انّ الخلاص لا يكون الاّ بيسوع المسيح. وأخيراً لما رأَوا ثباتهما أمروهما أن لا يتكلّما البتَّة ولا يعلّما باسم يسوع. فأجاب بطرس ويوحنّا وقالا لهم: ان كان عدلاً قدّام الله ان نطيعكم أكثر من الطاعة لله فاحكموا. لأنّنا لا نقدر أن لا ننطق بما عاينّا وسمعنا* وهكذا بقوّةٍ عظيمة كان الرسل يؤَدّون الشهادة عن قيامة الربّ يسوع ويهدون الغير المؤمنين إلى الايمان* وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة. ولم يكن أحد يقول في الأموال التي كان يملك بأنّ لهُ شيئاً منها بل كان عندهم كلّ شيءٍ مشتركاً. ولم يكن فيهم أحدٌ محتاجاً وذلك انّ كل الذين كانوا يملكون حقولاً أو بيوتاً كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان الأشياء المبيعة ويضعونها عند أرجل الرسل وكان يُقسَّم على إنسان إنسان حسبما كان محتاجاً* وانَّ رجلاً اسمهُ حنانيّا وامرأَتهُ شفّيرا باع ضيعةً لهُ واحرز شيئاً من الثمن إذ تعلم امرأَتهُ بذلك وجاءَ بالبعض ووضعهُ قدّام أرجل الرسل. فقال بطرس يا حنانيّا لماذا ملأَ الشيطان قلبك لتغدر بروح القدس وتخبئ من ثمن الحقل. اليس عندما كان باقياً فلك كان باقياً ولمّا بيع كان في سلطانك. فلِمَ نويتَ في قلبك هذا الأمر. انّما أنت لم تغدر بالناس بل بالله* فلمّا سمع حنانيّا هذا الكلام وقع ومات. وصار مخافة عظيمة في جميع الذين سمعوا* فنهض الذين هم شباب فيهم وكفَّنوهُ وحملوهُ خارجاً ودفنوهُ* وحدث بعد ذلك

بنحو ثلاث ساعات انّ امرأتهُ دخلت من غير ان تعلم بما كان. فقال لها بطرس: قولي لي أبهذا الثمن بعتما الحقل. فقالت نعم بهذا. فقال لها بطرس: ما بالكما اتَّفقتما على تجربة روح الربّ. ها انّ أقدام الذين دفنوا زوجكِ على الباب وهم سيحملونكِ خارجاً* فسقطت للوقت قدّام رجليهِ وماتت. فدخل الشبّان ولقوها ميتة فحملوها خارجاً ودفنوها إلى جانب بعلها* وكان خوف شديد في جميع البيعة وفي جميع الذين سمعوا بذلك* فهكذا ربّنا يسوع المسيح عاقب هذين الخائنين بفم وكيلهِ مار بطرس لكي يعلّمنا بكم من الصدق يجب علينا أن نخدمهُ ونكون لهُ بجملتنا*

وكان الذين يؤْمنون بالربّ يزدادون أكثر فأكثر من جماهير الرجال والنساء. حتَّى انَّهم كانوا يحملون المرضى إلى خارج في الأسواق. ويضعونهم على أسرّة وفُرُش ليكون متى أقبل بطرس يخيّم ولو بظلّهِ على أحدٍ منهم* واجتمع إلى أورشليم فوج المدن المحيطة بها حاملين المرضى والمعذَّبين بالأرواح النجسة وكانوا يبرأُون أجمعون*

وانطلق بطرس ويوحنّا برضى الرسل إلى السامرة ليُعطيا المؤْمنين المعمّذين سرّ التثبيت وهو نوال روح القدس بوضع الأيدي والصلوة. وهناك طلب سيمون الساحر الذي كان قد اهتدى إلى الايمان على يد فيلبّس الرسول من بطرس ويوحنّا نعمة روح القدس وقدَّم لهما فضّة لأجل ذلك. لأنَّهُ كان يظنّ انَّ موهبة الله تُقتنى بدراهم. فوبّخهُ مار بطرس على هذا الذنب قائلاً: لتكن فضّتك معك للهلاك ليس لك

نصيب ولا قرعة في هذا الأمر لأنَّ قلبك ليس مستقيماً مع الله. ثمَّ حرَّضهُ على التوبة* وكان مار بطرس يطوف في كلّ موضع منذراً بإنجيل يسوع المسيح ومؤَيّداً إنذارهُ بالمعجزات التي كانت تجري على يديهِ. فانّهُ لمّا كان في لُدّ وجد هناك إنساناً اسمهُ أينياس مضطجعاً على سرير منذ ثمان سنين لأنَّهُ كان مخلّعاً. فقال لهُ بطرس: يا أينياس شفاك يسوع المسيح قم فافرش لنفسك. ومن ساعتهِ قام. ورآهُ كلّ سكّان لُدّ وصرفندة ورجعوا إلى الربّ*

وأقام في يافا تلميذة اسمها طابيثة أعني غزالة كانت قد ماتت. وصار ذلك معلوماً في يافا كلّها وكثيرون آمنوا بالربّ*

وفي ذلك الزمان وضع هيرودِس الملك يديهِ ليُسيءَ إلى أناس من الكنيسة فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف* فلمّا رأى انَّ ذلك يرضي اليهود عاد أيضاً فقبض على بطرس وألقاهُ في السجن ووضع حرَّاساً ليحرسوهُ. فحزنت الكنيسة كلّها من أجلهِ وكانت تصلّي بلا انقطاع إلى الله أن يخلّص راعيها من يد هيرودس لئلاَّ تتبدَّد الاغنام. فاستجاب الربّ صلاة الكنيسة. وأرسل ملاكهُ فاخرجهُ من السجن بكرامةٍ بيّنة كما هو مكتوب في سفر قصص الرسل*

انّ مار بطرس رئيس الرسل بشَّر أوَّلاً في بلاد آسيّا مدّة أربع أو خمس سنين. ثمّ نصب أوّلاً كرسيّ رياستهِ العامّة في مدينة انطاكية ومكث فيهِ متسلّطاً تسلّطاً عامّاً على جميع الكنائس مدّة سبع سنين. ورسم أساقفة لكنائس الشرق* وبعد ذلك خلّف في مكانهِ في كرسيّ

انطاكية اوديوس وهو انطلق ليفتتح مدينة القياصرة رومية العظمى التي كانت قاعدة الديانة الوثنيّة ويثبّت هناك كرسيَّهُ الرسولي ويغرس فيها شجرة الصليب المقدَّسة التي كان ظلّها عتيداً أن يملأَ أفق المسكونة كلّها. فدخلها في السنة الثانية لمُلك قلودِيوس التي هي سنة ٤٤ للمسيح وقيل انهُ دخلها في سنة ٤٥* وافتتح عملهُ بمحاربة سيمون الساحر الذي رام أَوَّلاً أن يشتري عطيَّة روح القدس من الرسولين بطرس ويوحنا حين كانا في السامرة ووبَّخهُ مار بطرس على ذلك وهو عوضاً عن أن يتوب عمِهَ في الأضاليل وانطلق إلى رومية. وكان يضلّ الناس بسحرهِ ويدّعي الألوهية لنفسهِ ويجذب الناس إلى السجود لهُ مثل الاه. فكان مار بطرس يفنّد أضاليلهُ ويفضح سحرهُ* وكان هذا الراعي الغيور ينذر بشجاعةٍ الأقوام الوثنيّين ويهديهم إلى الايمان بيسوع المسيح وكان الله ينجّح أعمالهُ* ورسم أساقفةً وقسوساً وأرسلهم لينذروا في الأقاليم الغربيّة* وبعد ذلك خرج مار بطرس من روميّة ورجع إلى بلاد الشرق زائراً جميع الكنائس. وأتى إلى أورشليم وجمع مجمعاً من الرسل والتلاميذ وحدَّد فيهِ معهم أموراً كثيرة من جملتها انَّهُ ليس ضروريّاً للخلاص حفظ الختان وناموس موسى بل الضروريّ هو ناموس المسيح الذي يُقتَبل بالايمان والمعموذيّة والأعمال الصالحة* وكان هذا المجمع الأورشليميّ أوَّل مجمع انعقد في الكنيسة*

وبعدما قضى مار بطرس مصالحهُ في أورشليم واليهوديّة وسائر بلاد الشرق رجع إلى روميّة واجتاز في طريقهِ بمصر وافريقية كما قال

مَتَفْرَسْطُس* ولمّا دخل في رومية رأَى أنّ نيرون كان قد تخلّف لقلوديوس في سرير المملكة. وكان هذا الملك الجديد شرّيراً محبّاً للسحراء وقد اتخذ سيمون الساحر الاهاً. وذلك انّ هذا ابن الشيطان كان بسحرهِ الشيطانيّ يعمل أعمالاً ظاهرة عجيبة. فانّهُ كان يجعل الأشياء الغير المتحرّكة تمشي ويتزيّا بزيّ حيّة أو وحش آخر ويجلس على النار ولا يحترق ويطير في الجوّ ويجعل الحجارة أن تصير خبزاً ويجعل الأبواب المغلقة أن تنفتح من ذاتها. وكان يقطع السلاسل الحديديّة ويفكّ المربوطين بها. بهذه الأعمال وغيرها جذب إليهِ كلّ سكّان المدينة* وحدث في ذلك الزمان أيضاً انّ نيرون العاتي الظالم احرق مدينة روميّة لكي يتفرّج على هذا المنظر الأليم. واستمرّ الحريق تسعة أيّام. واحترق تسعة محاليل من روميَّة ولم يبقَ سوى أربع واتهم النصارى بانَّهم هم الذين صنعوا هذا الحريق. وكان يمسكهم ويعذّبهم بأنواع مختلفة لا توصَف ويهلكهم* وفي غضون ذلك أتى مار بولس الرسول إلى رومية وكان يعزّي المسيحيّين على ما أصابهم من الضيق* أمّا مار بطرس فلمّا شاهد أعمال الشيطان الذي كان يريد توقيف مساعي الديانة المسيحيّة نزل في الحرب مع سيمون الساحر وكان يجادلهُ. وقال لهُ ليؤتَ بجسد ميتٍ ولنرَ مَن منّا يقدر أن يقيمهُ فذاك يكون هو واعظ الحقّ. فصار الاتّفاق على هذا الشرط أمام جميع الناس* ولمّا أُتي بالميت شرع سيمون يسحر. فبان للحاضرين انّ راس الميت يتحرَّك. وظنّوا انّهُ أقامهُ ولكنّ الميت لبث ميّتاً. فجاءَ مار بطرس وحالما صلّى قام الميت أمام جميع الحاضرين.

وهكذا فضح مار بطرس زور سيمون الساحر وصار الناس لا يعتبرونهُ كالأوّل. فلمّا رأَى ذلك شرع ينادي في المدينة بأنّهُ في يوم الأحد المعيَّن للّعب العامّ يطير في الجوّ أمام جميع الناس ويخزي ديانة النصارى. فلمّا بلغ ذلك مار بطرس أمر جميع المسيحيّين أن يصوموا يوم السبت ويصلّوا معهُ إلى الله لكي يخزي سيمون الساحر* ولمّا كان اليوم المعيَّن ارتفع سيمون في الجوّ بقدرة الشيطان أمام الملك نيرون وجميع المتفرّجين الاّ انّهُ بقدرة صلاة مار بطرس والكنيسة سقط أمام ديوان الملك وتحطّم ساقاهُ. فاتوا بهِ إلى بيتهِ وجنَّ غضباً فقتل نفسهُ* وبالكرامات التي كان الله يعملها على يدي رسولهِ مار بطرس كان المسيحيّون يتشدَّدون بالايمان والغير المومنين يهتدون* وأما نيرون فلمّا فقد خليلهُ سيمون الساحر الذي كان يحبّهُ استشاط غضباً وأراد أن يأخذ ثارهُ ممَّن صار سبب هلاكهِ. فقبض على الرسولين بطرس وبولس وألقاهما في السجن. وليس من أجل سيمون فقط أُلقِيا في السجن بل من أجل أنَّهما هديا أيضاً إلى الايمان بعضاً من أقرباء نيرون وأصدقاءَهُ لا سيّما امرأَةً كانت حبيبةً لهذا الملك وقد تركتهُ وتنصَّرت وحفظت عفَّتها*

وأقام هذان الرسولان في السجن مدّة تسعة أشهر. وفي هذه الفقرة هديا جمّاً غفيراً من الجند وحرّاس السجن إلى الايمان. وانبع مار بطرس ماءً في السجن وعمَّذهم* ولمّا حان زمان استشهادهما قضى نيرون الكافر على مار بطرس بالصلب بما انّهُ كان يهوديّاً. وعلى مار بولس بقطع

الراس لأنّهُ كان محسوباً رومانيّاً. وبعدما جلدوهما في السجن أخذوهما إلى ميدان الشهادة. ولمّا أخرجوهما من المدينة تعانق بطرس وبولس بقبلة أخيرة. ثمّ أخذوا مار بطرس إلى مكان يدعى الواتِكان ويسمَّى الآن مُنتوريو أو جبل الذهب وهناك شلّحوهُ ثيابهُ وسمّروهُ في الصليب. وكان هذا الرسول الشهيد فارحاً على أنّهُ يموت مثل سيّدهِ على الصليب غير انّهُ احتسب نفسهُ غير أهلٍ لهذه الميتة مثل يسوع المسيح. فتوسَّل إلى الجلاّدين أن يصلبوهُ منكّس الراس مرفوع الرجلين. وهكذا تمّ استشهاد مار بطرس رئيس الرسل سنة ٦٩. ودُفن جسدهُ باحتفال عظيم في بقعة في الواتِكان قريبة من مكان استشهادهِ*

انَّ المسيحيّين الأَوَّلين كانوا يؤَدّون اكراماً عظيماً لعمودَي الكنيسة بطرس وبولس. وبحسب قول مار اوغسطينُس انّهُ كان للمسيحيّين عادة أن يصوّروا صورة مار بطرس وصورة مار بولس ويضعونهما على جانبَي صورة يسوع المسيح* وشهد أوسابيوس القيصريّ انّهُ رأَى بعينيهِ أقدم صورتَي مار بطرس ومار بولس* وكان لقسطنطين الملك اكرام عظيم لمار بطرس حتَّى انّهُ شيَّد في رومية كنيسةً فاخرة على اسمهِ. وهو بنفسهِ خلع تاجهُ واشتغل مرَّةً في أساساتها اكراماً لهذا القدّيس* وقد أ كرم هذا الرسولَ جميعُ الملوك المسيحيّين. فكانوا يزورون كنيستهُ ويتبرّكون بذخائرهِ* وكثيرٌ من المسيحيّين يقصدون روميّة من أربعة أقطار المسكونة ليحجّوا إلى ضريح الرسول المجيد وكيل يسوع المسيح وينالوا نعماً غزيرة من الله بشفاعتهِ*

وكان للأساقفة الأوَّلين عادة أن يأتوا إلى روميّة ويعيّدوا هناك باحتفال عيد رئيسهم مار بطرس*

انّهُ من عجيب الأشياء ما منحهُ ربّنا يسوع المسيح من المزايا العالية والمناقب السامية لوكيلهِ مار بطرس فانّهُ فضّلهُ على سائر الرسل في أمور كثيرة. وأعطاهُ مفاتيح ملكوتهِ السماويّ لكي يكون راعياً عامّاً على كنيستهِ ويدوم مؤَبّداً بخلافةٍ شرعيَّة على انقضاء العالم. وأعطاهُ سلطانا أن يجمع مجامع ويكون هو المقدّم فيها. ويجدّد مراسيم تكون كطرقٍ أمينة تهدي المؤمنين إلى الحيوة الأبديَّة* وأعطاهُ سلطاناً ليفحص أعمال القدّيسين وكراماتهم ومن ثمَّ يعلن قداستهم في الكنيسة ويأمر باكرامهم* وأعطاهُ سلطاناً أن يسنّ شرائع ويفرضها على المومنين. وان يفسّر الإلهيات* وأعطاهُ سلطاناً أن يرسم أساقفة ويبني كنائس* وأعطاهُ سلطاناً على جميع الأساقفة وعلى جميع الملوك والولاة المسيحيّين لأنَّهم نعاجهُ وعلى جميع المومنين لأنّهم خرافهُ. ومن ثمّ يلتزم الجميع بتأدية الطاعة لهُ* وأعطاهُ سلطاناً بأن يقسّم كنوز الكنيسة. ويمنح غفرانات. ويغفر الخطايا. ويتصرّف في جميع الأمور الكنيسيّة الراجعة إلى مجد الله وخلاص النفوس* فهذه المنح التي أعطاها ربّنا يسوع المسيح لوكيلهِ مار بطرس أسقف روميّة أعطاها أيضاً لجميع خلفائهِ البابا وات* قال معلّموا الكنيسة والمجامع المقدّسة. انّ كلّ من يجلس على كرسيّ مار بطرس يُدعى بابا. ويكون أبا الاباء. وحبر المومنين. وعظيم الكهنة. ووكيل يسوع المسيح. وهامة جسد الكنيسة. وأساس بنائها. وراعي قطيع

يسوع المسيح كلّهِ. وأباً عامّاً ومعلّماً معصوماً في جميع تعاليمهِ المتعلّقة بالدين والآداب المسيحيّة للكنيسة كلّها. وربّاً على بيت الله. وحارس كرمهِ. وعريس الكنيسة. وحبر الكرسيّ الرسولي. والأسقف العام. وبوّاب السماء*

وكتب مار بطرس في حياتهِ رسالتين قانونيّتين وهما المشهورتان باسمهِ* ولقَّن تلميذهُ مرقس الإنجيليّ الذي كان ترجمانهُ أن يكتب انجيلهُ لأهل روميّة الذين اهتدوا على يدهِ. وثبَّت مار بطرس هذا الإنجيل وأمر أن يُقرأ في الكنيسة* وكانت سنو حبريّة مار بطرس في الكرسيّ الروماني خمساً وعشرين سنة*

مار بولس الرسول

انّ مار بولس رسول الأمم كان عبرانيّاً جنساً من سبط بنيامين. ووُلد كما قال في طرسوس قِليقيَّة. وكان اسمهُ أولاً شاول. وكان أبواهُ غنيّين جدّاً. وأرسلاهُ إلى أورشليم ليتعلّم الشرع عند غَملائيل المعلّم المشهور. وتعلّم جيّداً واجبات الديانة اليهوديّة* ولمّا أتى يسوع المسيح إلى العالم وأسَّس كنيستهُ وأمر تلاميذهُ أن ينذروا بالإنجيل كان بولس يضطهدهم. وقذف في السجون كثيرين من القدّيسين بالسلطان الذي أخذهُ من قِبَل روساء الكهنة. وكان يسعى في قتلهم* ولمّا استشهد مار اسطِفانُس رئيس الشمامسة وأوّل الشهداء كان شاول

يحرس ثياب الذين رجموهُ وهو الذي حمّلهم على قتلهِ. وكان يسطو على البيعة إذ كان يدخل المنازل ويجرّ الرجال والنساء ويسلّمهم إلى السجون. وأخذ رسائل من مشايخ اليهود وانطلق إلى دمشق ليمسك النصارى ويستأسرهم ويشخص بهم إلى أورشليم. ولمّا اقترب إلى دمشق ابرق حولهُ بغتةً نور من السماء وظهر لهُ يسوع المسيح. فانبهر شاول من النور وسقط على الأرض أعمى. وبعدما وبّخهُ الربّ على اضطهادهِ كنيستهُ هداهُ إليهِ وفتح عينيهِ* وهكذا جعل يسوع المسيح أن يكون هذا الذئب نعجةً وهذا المضطهد محامياً لكنيستهِ ومعلّماً وهادياً للأمم واناءً مختاراً يحمل اسمهُ القدّوس إلى العالم كلّهِ* وبعدما أقام شاول في دمشق أيّاماً منذراً بيسوع المسيح في محافل اليهود بغيرة عجيبة ومبرهناً لهم انّ يسوع هو هو المسيح ابن الله اضطهدهُ اليهود وجزموا على قتلهِ. فعلم شاول بمكيدتهم وانّهم كانوا يرصدون الأبواب نهاراً وليلاً ليقتلوهُ. فأخذهُ التلاميذ ليلاً ودَلّوهُ من السور في زنبيل وانزلوهُ. وهكذا فرّ من أيدي أعدائهِ وجاءَ إلى أورشليم وكان يطلب أن يلتصق بالتلاميذ. وكانوا يخافونهُ كلّهم إذ لم يكونوا يصدّقون انّهُ تلميذ أي مسيحي* وانّ برنابا الرسول أحد الاثنين والسبعين تلميذاً الذي كان رفيق مار بولس في مدرسة غَملائيل وخليلاً لهُ أخذ بولس وجاءَ بهِ إلى الرسل وحدّثهم كيف أبصر الربّ في طريق دمشق واهتدى إليهِ. فعند ذلك قبلوهُ. وكان معهم يدخل ويخرج أورشليم ويجاهر باسم الربّ. وكان يطوف المدن والقرى وينذر بالإنجيل* ولمّا كان في مدينة طرسوس

جاءَ إليهِ برنابا وأخذهُ إلى انطاكية. وانَّهما تردّدا معاً سنة كاملة في تلك الكنيسة وعلّما جمعاً غفيراً. ودُعي التلاميذ مسيحيّين في انطاكية أوّلاً*

وأفرز روح القدس برنابا وشاول للعمل في انذار الامم. فانطلقا إلى سلوقيّة. ومن هناك سارا في البحر إلى جزيرة قبرس ونا‌ديا بكلمة الله في سلامينا في مجامع اليهود. ولمّا أراد الوالي سرجيوس بولس أن يسمع منهما كلمة الله ناصبهما اليماس الساحر طالباً أن يصرف الوالي عن الايمان فامتلأَ مار بولس من روح القدس ووبّخهُ ودعى عليهِ بالعمى. وفي الحال وقع عليهِ ضباب وظلمة وجعل يدور ملتمساً مَن يقودهُ بيدهِ. فلمَّا رأَى حينئذٍ الوالي ما جرى آمن متعجبّاً من تعليم الربّ* وقيل انَّ مار بولس الذي كان يدعى إلى حينئذٍ شاول اتّخذ اسم هذا الوالي لأَنَّهُ أوَّل رجل شريف رومانيّ اهتدى إلى الايمان. هذا ما رواهُ القدّيسان هيرونُمِس واوغسطينُس. وتبان حقيقة ذلك من انَّ لوقا الانجيليّ في كتابتهِ قصص الرسل دعاهُ شاول إلى أن هدى هذا الوالي وحينئذٍ بدأَ أن يسمّيهُ بولس* وقال اوريجَنيس انّهُ منذ ولادتهِ كان لهُ اسمان شاول وبولس. وقال معلّمون آخرون انّهُ كان يُدعى شاول إلى حين اعتماذهِ. ولمّا اعتمذ سُمِّي بولس* وقال غيرهم انَّ شاول سمّى نفسهُ بولس لأَنَّ هذا الاسم كان مستعملاً عند الرومانيّين والوثنيّين الذين كان يتعاطى معهم* وقال يوحنا فم الذهب وثاودورِيطُس انَّ الربّ أعطاهُ هذا الاسم كما أعطى شمعون اسم بطرس*

وعمل مار بولس كرامةً أخرى في مدينة لسطرة فانّهُ أبرأَ رجلاً ضعيف الرجلين مقعداً من بطن أمّهِ لم يمشِ قطّ* وبعد ذلك انطلق الرسولان بولس وبرنابا من انطاكية إلى أورشليم ليعرضا على الرسل مسأَلة الختان التي صار عليها منازعة ومباحثة بين اليهود والأمم. لأنَّ اليهود كانوا يقولون انَّ الختان ضروريّ للخلاص. وكانوا يريدون أن يثقّلوا النير على الأمم إذ يلزمونهم بحفظ ناموس موسى أيضاً. ولمّا عمل مار بطرس والرسل مجمعاً في أورشليم كتبوا إلى أهل انطاكية انَّهُ ليس ضروريّاً للخلاص حفظ الختان وناموس موسى بل الضروريّ هو ناموس المسيح الذي يتقلّدهُ الإنسان بالمعموذيّة والأعمال الصالحة* وفي جميع هذهِ الأسفار كان الرسولان بولس وبرنابا يقاسيان أتعاباً شاقّة واضطهادات عظيمة وهما لا يملأَن من زرع التعليم الإنجيليّ* وبعدما استمرَّا زماناً ليس بيسير يبشّران سويّةً انفصلا بسبب يوحنّا الذي يدعى مرقس لأنّ برنابا أراد أن يأخذهُ معهما. وامّا بولس فكان يرى أن لا يأخذا معهما ذلك الذي كان قد فارقهما من فمفولية ولم يذهب معهما إلى العمل. فأخذ برنابا معهُ مرقس وسار في البحر إلى قبرس. وأمّا بولس فاختار سيلا وخرج. وكان يطوف في الشام وفي بلاد العرب وفي بلاد اخر كثيرة في اسيَّا*

ولما كان مار بولس يكرز في مدينة طرواذة كان فتىً اسمهُ اوطِخُس جالساً في كوّة. فغرق في نعاس ثقيل إذ كان بولس مطيلاً في الخطاب وغلب عليهِ النوم فوقع من الطبقة الثالثة إلى أسفل

وحُمِل ميّتاً. فنزل مار بولس وعانقهُ وأقامهُ. وشمل الحاضرين فرح عظيم ومجَّدوا الله الذي كان يؤَيّد التعليم الإنجيلي بالمعجزات الباهرة التي كان يجترحها في يد رسولهِ مار بولس*

وكانت سيرة هذا الرسول عجيبة فانّهُ لم يكن يعيش كانسان بل كمثل رجل نازل من السماء وكان الله معهُ دائماً. وعلى هذا قولهُ: اني مع المسيح صُلبتُ وأنا حيٌّ ولستُ أنا بل المسيح يحيا فيَّ* وقال في مكان آخر من رسائلهِ: انَّما حياتي هي المسيح وان متُّ فذلك ربحٌ لي* وكان مضطرماً بمحبّة الله وقد تناول هذه المحبّة من السماء لأنهُ اختُطِف إلى السماء الثالثة وسمع كلمات سرّيّة وشرب من ينبوع النعمة واكتسى بالنور السماوي. وامتلأً من المحبّة الإلهية حتى انهُ كان يصرخ: من الذي يفصلنا عن محبَّة المسيح. أَضَرر أم ضيق أم طرد أم جوع أم عُرْي أم خطر أم سيف* وكان يقول أيضاً: اني لواثق انهُ لا موت ولا حيوة ولا الملائكة ولا الروساء ولا القوّات ولا هذه الأشياء الحاضرة ولا المستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفرقنا عن محبَّة الله التي بالمسيح يسوع ربّنا* وتناول من السماء حين اختطافهِ إليها بحراً زاجراً من العلم الإلهي وأصبح مفسّراً أسرار الإنجيل ومظهراً جزيل محبَّة الله ببذلهِ ابنهُ الوحيد عنّا وشارحاً الكنوز والثروات المحتوية في يسوع المسيح. وعلى ذلك قال يوحنا فم الذهب: انّ الرسل وتلاميذ الربّ حينما كانوا يوجَدون مع مار بولس كانوا يخلّون لهُ دائماً منبر الوعظ لأنّهُ كان مثل لسان كلّهم* وكانت فصاحتهُ فائقة وكلامهُ

جزيل التأثير في قلوب السامعين* وماذا نقول عن سائر مناقب هذا الرسول المجيد. فانّهُ كان سامياً بايمانهِ الحيّ وبرجائهِ الوطيد وبقناعتهِ العجيبة وبعدلهِ وفطنتهِ وقوّتهِ وثباتهِ وتقشّفهِ وصبرهِ في احتمال التعب والجوع والعطش والعُري وكلّ نوع من الضيقات* وكان تواضعهُ بليغاً إلى الغاية. ومع انّهُ تعب أزيد من جميع الرسل في انتشار الديانة المسيحيَّة في أقصى الأماكن كان يقول: اني أصغر الرسل ولستُ أهلاً ان أسمَّى رسولاً لأني ناصبتُ بيعة الله*

وفي أعمالهِ وأسفارهِ بين اليهود والأمم أصابهُ نوائب كثيرة ولا سيّما من اليهود. فكم من المحافل اجتمعت عليهِ. وكم من مرّة حاكموهُ امام الولاة وخاصموهُ واضطهدوهُ وضربوهُ بالعصيّ ورجموهُ بالحجارة والقوهُ في السجون* وأخيراً بعدما خلّصهُ ربّنا يسوع المسيح مرّات كثيرة من أيدي اليهود الذين لم يكفّوا عن اضطهادهِ سمح بأن يقع في أيديهم. وذلك انّهُ لما كان في قيصريّة جاء نبيٌّ اسمهُ اغابُس وأخذ منطقة بولس وأوثق بها رجلَي نفسهِ ويديهِ وقال: هذا ما يقولهُ روح القدس. انّ الرجل صاحب هذه المنطقة سيوثقهُ اليهود هكذا في أورشليم ويسلّمونهُ إلى الامم* فلمّا سمع التلاميذ ذلك طلبوا إليهِ أن لا يصعد إلى أورشليم. أمّا هو فقال لهم: ماذا تصنعون إذ تبكون وتغمّون قلبي. لأني لستُ مستعدّاً أن أُوسَر فقط بل أن أموت أيضاً في أورشليم على اسم يسوع* وحقّاً انّهُ لمّا صعد إلى أورشليم صحَّت فيهِ نبوّة اغابُس واحتمل من اليهود أشياء لا توصَف. ومع ذلك فكان يحبهم حتى انهُ حين كان

يتكلّم عنهم كان يقول: اني أودّ لو كنتُ أنا نفسي محروماً من المسيح من أجل أخوتي الذين هم انسبائي حسب الجسد* ولمّا كان محبوساً ظهر لهُ ربّنا يسوع المسيح وقال لهُ: تقوَّ فانّك كما شهدتَ عليَّ في اورشليم كذلك ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً* وبعدما حاكمهُ مشايخ اليهود مرّات عديدة ولم يقدروا أن يثبّتوا عليهِ أمام الولاة شيئاً يوجب عليهِ العقاب وهم لم يكونوا يكفّون عنهُ استجار مار بولس بقيصر وطلب أن تُرفع دعواهُ إليهِ في مدينة رومية. فأُرسِل ومعهُ جندٌ يحرسونهُ من قاضٍ إلى قاضٍ ومن والٍ إلى والٍ ومن بلدٍ إلى بلد وهو مصفَّد بالحديد حتى بلغ مدينة رومية* وصانهُ ربّنا يسوع المسيح من أعدائهِ في هذه المدينة مدّة سنتين. فكان إذ ذاك هذا الرسول الغيور لا ينفكّ من الوعظ والإنذار بالإنجيل. وهدى جمّاً غفيراً من الوثنيّين إلى الايمان* وبعد انقضاء السنتين التصق بمار بطرس رئيس الرسل. وكانت مساعي الديانة المسيحيّة لا تزال تنجح* وبما انّ دعوة مار بولس الرسول كانت إلى تبشير الأمم لم يلبث زماناً طويلاً في روميّة بل انطلق إلى ايطاليا وفرنسا وزرع هناك تعليم الإنجيل كما قال مَتَفْرَسطُس وكرز في اسبانيا* وبعد أسفار كثيرة قضاها في الشرق والغرب منذراً بكلمة الله رجع إلى رومية وذلك في السنة الثانية عشرة لمُلك نيرون. وبأمر هذا الملك قُبِض على الرسولين بطرس وبولس وأُلقِيا في السجن كما قلنا في سيرة مار بطرس* ولمّا حان زمان الاستشهاد أخذوا مار بولس إلى المكان المعيَّن لقطع راسهِ وفي الطريق هدى إلى الايمان

ثلاثة من الجنود الذين كانوا يقودونهُ إلى الاستشهاد واستشهدوا هم أيضاً بعد ذلك* ولمّا بلغوا إلى المقتل جثا مار بولس على ركبتيهِ. وبعد أن صلّى مدّ عنقهُ إلى الجلاّد فأخذ رأسهُ. ووقتئذٍ حدث شيءٌ عجيب كما قال مار يوحنا فم الذهب. وذلك انّهُ بدل الدم خرج حليب غزير من عنق مار بولس الرسول. فلا تتعجّبنّ من ذلك لأنَّ الله أراد أن يشير بهِ انّ شهيدهُ كان كمرضعة تُرضع المومنين بحليب التعليم السماويّ النقي* ونعلم بالتقليد انَّ راس مار بولس الرسول حينما قُطع قمز ثلاث قمزات وفي مكان كلّ قمزة نبعت عين ماء عذب جدّاً. وإلى الآن تُرى هذه العيون الثلاث في ذلك المكان عينهِ المدعوّ اليوم بالعيون الثلاث* وبهذه الكرامات التي جرت في استشهاد مار بولس الرسول المعظّم اهتدى إلى الايمان خمسة وثلاثون رَجُلاً من الذين كانوا حاضرين في قتلهِ* وأخذت امرأَةٌ تقيّة اسمها لوقينة جسد مار بولس ودفنتهُ باكرام عظيم في أرضٍ لها* وكان استشهاد مار بولس الرسول سنة ٦٩ للمسيح. وحسب قول مار يوحنا فم الذهب انّ عمرهُ كان ثماني وستّين سنة*

ومدح آباء الكنيسة الأوَّلون بكلمات عجيبة الرسولين العظيمين بطرس وبولس. فقال مار يوحنّا فم الذهب مخاطباً ايّاهما بهذهِ الكلمات وهي: انَّ الله نفسهُ قد مدحكُما وسمّاكما نور العالم. حقّاً انّكما أقدر من الملوك. وأشجع من الجنود. وأغنى من الأغنياء. واحكم من الفلاسفة. وأفصح من البلغاء. أنتما قدوة الشهداء. واكليل العذارى. وقانون المتزوّجين.

ومثال الرهبان. وفخر الملوك. وحماية المسيحيّين. وقهر الغير المؤمنين. وخزي الهراطقة* ودعاهما اوسابيوس الامِسّاتي الينبوعَين الخارجين من عرش الله مثل نهر سريع الجري تروى بهِ النفوس. وكنَّاهما بطبيبَي السماء. وببوقَين ينعشان البشر بصوتهما. وبسراجين منيرين يُضيئان للعالم كلّهِ* وقال عنهما مار غورنقيوس أسقف برشّيا أنّهما نور العالم وعمودا الايمان. ومؤَسّسا الكنيسة. ومعلّما البرارة. ومُنشئا القداسة* وقال عنهما مار لاون الكبير انَّهما عينا جسد المسيح السرّيّ الذي هو الكنيسة*

وكتب مار بولس الرسول أربع عشرة رسالة لكنائس مختلفة أودع فيها تعاليم سامية بخصوص موادّ كثيرة دينيّة. وقد أثبتتها الكنيسة وجعلتها ما بين أسفار الكتاب المقدَّس القانونيّة*

* اليوم الثلاثون *

مار مرتيالس أسقف ليموجس ورسول فرنسا ـ رسل ربنّا يسوع المسيح الاثنَي عشر

مار مرتيالس اسقف ليموجس ورسول فرنسا

انَّ الطوباويّ مرتيالس كان عبرانيّ الأصل من سبط بنيامين وابن عمّ مار اسطِفانُس أوَّل الشهداء. وكان واحداً من تلاميذ يسوع

المسيح الاثنين والسبعين. وقد اتّبع يسوع المسيح منذ صباهُ. وعمّذهُ مار بطرس الرسول بعد صعود الربّ إلى السماء. وأقام مع مار بطرس خمس سنين في أورشليم وسبع سنين في انطاكية. وانطلق معهُ إلى رومية* وبعد ذلك سامهُ مار بطرس اسقفاً وبعثهُ رسولاً إلى فرنسا لينذر هناك بانجيل يسوع المسيح ويهدي أولئك الأقوام الوثنيّين. وثبّت هذا الرسول كرسيّ اسقفيّتهِ في مدينة ليموجس. ونجح جدّاً في هذه الرسالة حتى انّهُ في مدّة ستّ سنين دكّ هياكل الأوثان وعمَّر كنائس على اسم يسوع المسيح ومريم العذراء ومار اسطِفانُس* وزيَّنهُ الله ببواهر الكرامات فانهُ أقام ستَّة أموات. وردّ البصر لكثير من العميان. والنطق لجمٍّ غفير من الخرس. وطرد الأرواح النجسة من أبدان مجانين كثيرين*

ومن أجل قداسة سيرتهِ وسموّ تعاليمهِ وبواهر كراماتهِ شاع صيتهُ في كلّ جهات فرنسا. واهتدى على يديهِ مُعظَم أهالي تلك البلاد* ولمّا رأَى الشيطان نجاح أعمالهِ حرَّك كهّان الأصنام ان يضطهدوهُ فقبضوا عليهِ وحبسوهُ ولكنّ الله حاماهُ إذ قتل أولئك الكهّان وأخرجهُ من السجن بأعجوبة. وأقام مار مرتيالس أولئك الكهّان من الموت الجسديّ والروحيّ لأنَّهُ هداهم كلّهم إلى الايمان ومعهم اثنين وعشرين ألفاً من الوثنيّين* وبعدما انتصر هذا القدّيس على الشيطان مراراً كثيرة وخلّص من بين يديهِ نفوساً لا تحصى انطلق إلى رومية وأخبر مار بطرس رئيس الرسل بالنجاح الذي خوّله الله إيّاهُ في الرسالة. ففرح مار بطرس وشكر الله على هذه النعمة* ولمّا أراد مار مرتيالس أن يرجع إلى قطيعهِ

أعطاهُ مار بطرس عصاهُ الراعويّة. وأقام هذا القدّيس بهذه العصا هِلبرتُس ابن الأمير اركاديوس الذي كان قد غرق في الماء. وأطفأ بها أيضاً حريقة كبيرة في مدينة بُردُو*

ولمّا طعن في السن وضعف من كثرة تقشّفهِ وأتعابهِ اعلمهُ ربّنا يسوع المسيح بأنّهُ يدعوهُ إلى الراحة الأبديّة. وفي اليوم الثلاثين من شهر حزيران سنة ٧٤ قدَّس القدّاس وحرَّض جميع المومنين على الثبات في الايمان الذي هداهم إليهِ. ثمّ تنيَّح بسلام. وكان قد قضى ثماني وعشرين سنة في كرسيّ اسقفيّتهِ. ودُفن جسدهُ في مدينة ليموجس*

رسل ربّنا يسوع المسيح الاثني عشر

انّ ربّنا يسوع المسيح تعالى اسمهُ وجلّ ثناؤُهُ اختار لهُ على الأَرض اثنَي عشر رسولاً وجعلهم عُمُداً لكنيستهِ المقدّسة. وأعطاهم سلطاناً أن يكرزوا باسمهِ في كلّ العالم ويثبّتوا تبشيرهم بافتعال الكرامات ويعمّذوا جميع الذين يومنون باسمهِ* فبعد صعود يسوع المسيح إلى السماء وحلول روح القدس على التلاميذ شمّروا للعمل الذي قلّدهم ايّاهُ معلّمهم في تبشير المسكونة كلّها باسمهِ. وقبلما اقتسموا المسكونة وتفرَّقوا وانطلق كلٌّ منهم إلى البلاد التي وقعت في قسمتهِ اجتمعوا وأَلّفوا بالهام روح القدس قانون الايمان المعروف بقانون ايمان الرسل لكي تُحفَظ عندهم جميعاً وحدة الايمان* امّا مار بطرس فكان عبرانيّاً جنساً مولوداً في بيت

صيدا مدينة في الجليل. وقد اصطفاهُ يسوع المسيح من بين الجميع وجعلهُ نائبهُ ورئيس الرسل واباً عامّاً للكنيسة كلّها ومعلّماً معصوماً في جميع الأمور المتعلّقة في الدين والآداب المسيحيّة. ونصبهُ صخرةً قويّة بنى عليها كنيستهُ المقدّسة. وخوَّلهُ آلاء غزيرة أكثر من جميع الرسل لكي يقدر بها ان يقوم بالوظيفة العظيمة التي قلّدهُ ايّاها* وبعدما بشَّر هذا الرسول بالمسيح في اليهوديّة انطلق إلى انطاكية وثبَّت فيها كرسيّ رياستهِ العامَّة. وبعد سبع سنين انتقل إلى مدينة روميّة وثبّت هناك كرسيّهُ الرسوليّ إلى انقضاء العالم* وبعدما هدى أناساً لا يحصى عددهم إلى الايمان المسيحيّ بانذارهِ وكراماتهِ ختم سعي حياتهِ باكليل الاستشهاد بصلبهِ منكّس الراس سنة ٦٩ في عهد نيرون الملك القاسي الذي هو أوّل ملك اضطهد ديانة المسيح*

وامّا مار يوحنا الانجيليّ فكان ابن زبدى مولوداً في بيت صيدا. وكان يسوع المسيح يحبّهُ جدّاً. وانطلق فبشّر في بلاد الفَرْث وفي بلاد كثيرة من اسيا ولا سيَّما افسس حيث استمرّ زماناً طويلاً* وفي الاضطهاد الذي أثارهُ الملك دومطيانُس على المسيحيّين سنة ٩٥ نُفِي مار يوحنا من افسس إلى جزيرة بطمس وهناك تجلّت عليهِ مناظر الرويا. وأُوحِي إليهِ كتابتها. وبعد ذلك رجع إلى افسس سنة ٩٧ وكتب انجيلهُ وثلاث رسائلهِ وتُوُفّي وعمرهُماية سنة*

ومار اندراوس أخو مار بطرس رئيس الرسل كان أوَّلاً من تلاميذ يوحنا المعمذان. ثمّ تتلمذ ليسوع المسيح وانطلق فبشَّر في آسيا

الصغرى وفي بلاد سقوثيا وختم حياتهُ بالاستشهاد مصلوباً في بتراس مدينة في اخائيَّة سنة ٦٢*

ومار يعقوب الكبير أخو مار يوحنا الانجيليّ كان أحد الرسل الثلاثة الذين اصطفاهم يسوع المسيح ليكونوا رفقاءَهُ الخصوصيّين وهم بطرس ويعقوب ويوحنا. فهولاء وحدهم رُخِّص لهم أن يعاينوا قيامة ابنة يوارش. وتجلّي معلّمهم الالهيّ على طور طابور. وجهادهُ في بستان الزيتون* وانطلق مار يعقوب فبشَّر اسباط اسرائيل الاثنَي عشر المتشتّتين في جهات الأرض. واستشهد في أورشليم بقطع راسهِ سنة ٤٤*

ومار فيلبّس كان جليليّاً مولوداً في بيت صيدا. ومضى فانذر بالانجيل في آسيا الكبرى وسقوثيا وفروجية. وتمّم سعيهُ بالاستشهاد مصلوباً ومرجوماً بالحجارة سنة ٥٤*

ومار توما كان عبرانيّاً من الجليل. ولهُ قد سمح الرب أن يضع يديهِ في جروحهِ. وذهب فبشَّر بالمسيح في بلاد العجم وفي بلاد الحبش وفي بلاد الهند وختم بدمهِ التعليم الذي كرز بهِ وتكلّل بالاستشهاد مطعوناً بالحربات سنة ٧٥*

ومار برثُلماوس كان عبرانيّاً من الجليل من جنس ملوك يهوذا. وانطلق وبشَّر في بلاد العرب والعجم وبلغ إلى أقاصي الهند وردع إلى ارمنيّة وتمّم سعيهُ بالاستشهاد مسلوخاً جلدهُ ومقطوعاً راسهُ سنة ٥٢*

ومار متى الانجيليّ كان ابن حلفى يهوديّاً مولوداً في قانا الجليل. وبشَّر أوّلاً في اليهوديّة حيث كتب انجيلهُ. وانطلق إلى مصر وانذر

بلاد الحبش وختم حياتهُ بالاستشهاد بطعنة رمح سنة ٩٠*

ومار يعقوب الصغير الملقَّب بأخي الربّ كان عبرانيّاً من قانا الجليل ابن قليوفا الملقَّب أيضاً حلفى أخي مار يوسف. وصار أوَّل أسقف على أورشليم. وكتب في هذه المدينة رسالتهُ الفاثُليقيّة* وبعدما قضى حياتهُ في الانذار بالانجيل استشهد بضرب العصيّ من أيدي اليهود سنة ٦٣*

ومار سمعان القنانيّ كان اخا مار يعقوب الصغير ويكنّى أيضاً بأخي الربّ. وبعد استشهاد أخيهِ مار يعقوب تخلّف لهُ في الكرسيّ الاورشليميّ. ولمّا طعن في السنّ وقد قضى كلّ عمرهِ في التبشير بالمسيح تكلّل بالاستشهاد. مصلوباً في عهد الملك طرَيانُس سنة ١٠٧ وعمرهُ مابة وعشرون سنة*

ومار يهوذا الملقَّب أيضاً ثدىً لتمييزهِ من يهوذا الاسخريوطي كان أخا مار يعقوب الصغير ومار سمعان القناني. وانطلق فانذر في بلاد العرب وفي سوريّة وفي الجزيرة وهي ما بين النهرين وفي بلاد فارس. وكتب رسالتهُ الفاثُليقيَّة ونال اكليل الشهادة كسائر الرسل سنة ٨٠*

ومار متيّاس كان عبرانيّاً من سبط يهوذا. واختارهُ الرسل بقرعةٍ أن يكون عوض يهوذا الاسخريوطي. فصار معدوداً معهم. وبشَّر أوّلاً في بلاد اليهوديّة وفلّسطين وفي بلاد الحبش. وختم سعي حياتهِ بالاستشهاد مرجوماً بالحجارة ومقطوعاً راسهُ من أيدي اليهود سنة ٦٠ للمسيح*

خاتمة المجلّد الأوّل

سيرة الطوباوية مريم لؤلؤ أَلاكوك الراهبة من رهبنة زيارة مريم العذراء ومنشئة العبادة لقلب يسوع الأقدس

انّ اسم الطوباويّة مريم لؤلؤ لا يزال عزيزاً أبداً على الكنيسة المقدّسة وذلك لسبب الأعمال العظيمة التي قضتها في انتشار العبادة لقلب يسوع الأقدس ولأجل الآلاءِ الغزيرة التي غمّرها بها ربّنا يسوع المسيح إذ اختارها لتكون آلةً لجلب المراحم الالهية على البشر الغارقين في بحر الشقاء في القرن السابع عشر وذلك بواسطة العبادة لقلب يسوع يبنوع النعم*

انّ الطوباويّة مريم لؤلؤ وُلدت في اليوم الثاني والعشرين من شهر تموز سنة ١٦٤٧ في قرية في فرنسا. وكان أبوها رجلاً خيِّراً وتقيّاً ومحبوباً عند جميع أهل وطنهِ* ومنذ صغرها اظهرت ميلها إلى التقوى. وكان يبان انّ ربّنا يسوع المسيح اختارها لتكون عروساً لهُ. فانّها في صغر سنها نذرت لهُ بتوليّتها واتخذتهُ عريساً لها وعزمت أن تخدمهُ طول حياتها. وكانت تحبّ جدّاً سيّدتنا مريم العذراء سلطانة العذارى وكانت تصلّي مسبحة ورديّتها اكراماً لها* وجرّبها ربّنا يسوع المسيح في حداثتها بأمراض كثيرة طويلة بها علّمها أن تقتدي بحياتهِ الآلاميّة. وكان صليبهُ مطبوعا في نفسها ولا تزال تتأمّله برأفة ومحبّة. وبهذا طريق الصليب كانت ترتقي شيئاً فشيئاً في درجات القداسة. وكان يسوع

المسيح يعزّيها في الشدائد الكثيرة التي كانت تقاسيها بصبر*

ولمّا كبرت سمح الله الذي غاياتهُ لا تُدرَك أن تكلّ شجاعة هذه الطوباويّة وتبرد حرارة عبادتها. فانجذبت رويداً رويداً إلى العالم. وصارت تحبّ الأباطيل والزينات الدنيويّة والمعاشرات العالميّة. غير انَّها بعد ذلك انتبهت على نفسها وشرعت تندب سيرتها وتكفّر عنها بالتوبة والتقشّف. ومع انّها كانت قليلة الامانة في دعوتها لم يحرمها ربّنا يسوع المسيح من نعمهِ. فانها طالما أحسَّت في قلبها بفتورها. فكانت تذهب إلى الكنيسة وتبكي على حالها وتنوح أمام عريسها. وكان عريسها يوبّخها باطناً على نكرانها جميلهُ وعلى فتورها. وكانت هذه التوبيخات كأسهم ناريّة تطعن قلبها وتمزّقهُ اسفاً. وكانت تطلب الغفران من الله بدموع حارّة وتجلد نفسها بالسياط. ومع ذلك كانت في الغد ترجع إلى سيرتها الماضية وأباطيلها الدنيويَّة ومعاشراتها. وهكذا كانت حربٌ عظيمة في نفسها بين الدنيا والنعمة* وذات يوم ظهر لها ربّنا يسوع المسيح مجلوداً ومخزَّقاً جسمهُ بالجروح وملطّخاً بالدم وقال لها: انظري ما فعلت بي أباطيلكِ. ووبّخها توبيخاً صارماً* فشرعت تزيد تقشّفاتها وتقضي جزءاً كبيراً من الليل في الصلوة وتنام على ألواح من خشب أو على قضبان معقَّدة ومع ذلك فلم يسترِح ضميرها الاّ بعدما سلّمت نفسها بجملتها إلى يسوع المسيح الذي حلّها من الرباط الذي كان يصلها بالعالم وغيَّر قلبها تغييراً عجباً وجعل السّلم في قلبها المتقسّم وأراها انّهُ هو غايتها الوحيدة* وبما انّها كانت قد وعدت يسوع المسيح منذ

عدّة سنين بأن تكون عروساً لهُ وخانت عهدهُ بتركها اياهُ واتّباعها الأباطيل العالمية ظهر لها هذا الربّ العزيز وقال لها: اعلمي أَنّهُ ان اهنتِني من الآن فصاعداً بتركِكِ ايّاي وانطلاقكِ وراء الأشياء الأرضيَّة تركتُكِ إلى الأبد. وان استمرّيتِ أمينةً معي فلا أتركِكِ أبداً بل أكون قوّتكِ ونصرتكِ على جميع أعدائكِ واعلّمكِ أن تعرفيني* فعند ذلك عزمت مريم لؤلؤ أن تهجر مطلقاً كلّ شيءٍ عالميّ وتتبع يسوع المسيح في السيرة الرهبانيّة. ولمّا اعلنت عزمها هذا لأهلها قاومتها امّها زماناً طويلاً. وأخيراً اضطرّها الأمر أن تخلّي سبيلها خوفاً على عافيتها من الغمّ والحزن*

وحينئذٍ دخلت مريم لؤْلؤ في دير راهبات الزيارة في مدينة بارَيِلْمُنْيال وفرحت بدخولها هذه الرهبنة المخصصة لمريم العذراء. وعزمت أن تنجز هناك ما وعدت بهِ يسوع المسيح عريسها. وكان دخولها في ذلك الدير في اليوم الخامس والعشرين من شهر أيار سنة ١٦٧١ وعمرها ثلاث وعشرون سنة*

ولمّا كانت هذه الطوباوية ذات شوق عظيم إلى احتمال الآلام حبّاً ليسوع المسيح عريسها كانت تقشّف نفسها بأنواع كثيرة شديدة وتطيع روساءَها وتعمل بكلّ ما يامرونها بهِ من دون تمهُّل* وفي اليوم السادس من شهر تشرين الثاني سنة ١٦٧٢ نذرت نذورها الاحتفاليّة*

وكانت تحزن جدّاً إذ ترى نفسها خالية من الشدائد والأحزان. وذات يوم قالت لعريسها يسوع بمحبَّة: يا الهي هل تتركني

دائماً بلا صليب* فقبل الربّ شوقها وأراها صليباً عظيماً مغطًّى بزهور وتحت الزهور أشواك حادّة ومسامير وقال لها: هوذا سرير عرائسي العفيفات. فنظرت وإذا تلك الزهور قد انتثرت من على الصليب وظهرت الأشواك والمسامير. فايقنت انّ الربّ قد أعدّ لها تجارب كثيرة* ومنذ ذلك اليوم شرعت المصائب والأحزان تتكاثر عليها من كلّ جهة. وكانت الرئيسة والراهبات يعاملنَها بقساوة ويكلّفنَها أعمالاً صعبة ويهزأنَ بها ويبغضنَها ويحتقرنَها. ولم يبقَ لها تعزية الاّ في يسوع المسيح عريسها* وذات يوم إذ ثقَّلنَ عليها جدّاً بان لها أَنَّ ذلك الحمل كان فوق طاقتها. فعند ذلك ظهر لها يسوع المسيح مثخناً جسمهُ بالجراح. فقالت لهُ: يا ربّي ماذا أصنع. انّ إرادتي أقوى منّي* فقال لها يسوع: ضعيها في جرح قلبي فتتناولي منهُ قوّةً لعمل كلّ ما يُطلَب منكِ* ومنذ تلك البرهة كانت ترى أصعب الأعمال سهلاً لديها* وقُلِّدت مداراة المرضى فكانت تخدمهم بمحبَّة*

وذات يوم إذ كانت جالسة على مائدة سرّ الاوخرستيا رأَت الجوهرة المقدّسة لامعةً كالشمس وملتحفة بنور سماويّ. وفي وسط النور رأَت يسوع المسيح وفي يدهِ اكليل شوك. فوضع الربّ هذا الاكليل في رأسها قائلاً: يا ابنتي خذي هذا الاكليل والبسيهِ مثلما لبستُ أنا اكليل الشوك. ومنذ ذلك اليوم كانت تحسّ بأوجاع حادّة في راسها. وكانت تحتملها بفرح متأمّلة في أوجاع عريسها المكلّل بالشوك*

ووشّحها ربّنا يسوع المسيح بآلاء غزيرة ونعم فائقة واعظمهنّ هي

انّهُ اختارها أن تكون آلةً لانتشار العبادة لقلبهِ الأقدس وذلك انّ الطوباويّة مريم لؤلؤ إذ كانت يوماً جاثية أمام القربان المقدس ظهر لها يسوع المسيح وقال لها: انّ قلبي الالهي ممتلئٌ من المحبّة للعالم حتى انهُ لم يعد يقدر أن يحتمل لهيب هذه المحبَّة المضطرمة. فأريد أن أسكبها على البشر وان تُعرَف عندهم لكي تغنيهم بالكنوز المحتوية فيها. قال هذا وفتح لها قلبهُ الإلهي قائلاً: هذا هو القلب الذي أحبّ البشر كلّ هذه المحبّة. وعوض الشكران فاني لا أرى منهم إلاّ الكفران والاحتقار والاهانات والنفاق والبرودة نحو سرّ محبّتي. فلهذا قد اخترتُكِ لكي تبثّي في كلّ مكان العبادة لقلبي وتسلّميها إلى العالم كواسطة حقيقيّة للحصول على محبّة الله* ثمّ انّ ابن الله طلب من أمتهِ أن تعطيهُ قلبها بدل هذه الهديّة التي قدّمها للعالم. فقدَّمت لهُ ايّاهُ وتوسَّلت إليهِ أن يتسلّط عليهِ. فبان لها حينئذٍ انّ الربّ أخذ قلبها وأدخلهُ في قلبهِ ثمّ أخرجهُ كلهبة من نار ووضعهُ مكانهُ قائلاً لها: هاكِ يا حبيبتي عربون حبّي لكِ ومن الآن لا تكوني أسيرتي بل تلميذة قلبي. فاحسَّست الطوباويّة بانّ قلبها اشتعل بمحبّة قلب يسوع*

وبعد ذلك قال لها الربّ أريد منكِ ان تعلّمي جميع الناس من أهل الدرجات البيعيّة ومن الرهبان ومن العلمانيّين أن يتعبّدوا لقلبي. فبهذه العبادة يتمكّنون على القيام بوظائفهم. والانتصار على أقوى الشهوات والقاء الصلح والاتّفاق فيما بين الناس المتقسّمين. وينالوا بها المحبّة الحارّة لي* وأريد أيضاً أن يكون اليوم الثامن الذي بعد عيد سرّ جسدي

وهو يوم الجمعة يُعيَّد لاكرام قلبي. ويتناولوا فيهِ جسدي كفّارةً عن خطاياهم التي بها يجرمون إلى سرّ جسدي حينما يكون مصموداً على المذابح المقدّسة. وأنا أعدكِ بأنَّ قلبي يمنح أولئك الذين يكرمونهُ هذا الاكرام نعماً كثيرة وبركات غزيرة* فأجابتهُ هذه المتواضعة قائلةً: يا ربّي مَن اتّخذت لقضاء هذا العمل العظيم. خليقة ضعيفة مسكينة خاطئة لا تقدر على شيء وعندك نفوس كثيرة بارّة قادرة على قضائهِ* فقال لها يسوع: أما تعلمين انّني ما أستعمل الاَّ الوسائط الضعيفة لكي أخزي الأقوياء. وانّني أظهر قدرتي على يد المساكين بالروح لكي يعلم كلّ أحد انَّ ذلك ليس منهم بل منّي. فأنا إذاً أكون قوّتكِ فلا تخافي شيئاً* ثمَّ انَّ الربّ يسوع علّمها وجه هذه العبادة المقدّسة وحثّها على نشرها*

ويوماً آخر إذ كانت الطوباويّة مريم لولو جاثية أمام عريسها الموجود في القربان المقدَّس وطالبةً إليهِ ما الذي تقدر أن تقدّمهُ لهُ كعلامة حبّها لهُ ظهر لها يسوع وقال لها: لا تقدرين أن تقدّمي لي شيئاً أعظم من ما طلبتُ منكِ مرَّات كثيرة. فقالت لهُ الطوباويّة: أعطِني واسطة بها أقدر أن أعمل ما أمرتني بهِ. فقال لها اذهبي إلى عبدي الاب كُلمْبيار وقولي لهُ من قِبَلي أن يهتمّ بتثبيت هذه العبادة لاكرام قلبي ولا يخاف إذا صادفتهُ بعض صعوبات* فانطلقت وقتئذٍ مريم لولو إلى هذا الكاهن وأخبرتهُ بذلك. فبعدما اختبر قداسة سيرة الفتاة الفاضلة ومخاطبتها مع يسوع المسيح أخذ يكرز وينشر هذه العبادة في العالم بغيرة مضطرمة رسليّة*

وحدث بعد زمان في مدينة مرسيليا وبأٌ طال نحو ثلاثة أشهر ومات فيهِ كثير من الناس ونحو أربعماية كاهن من الذين أعدى عليهم هذا المرض حينما كانوا يستعرفون الناس* فافتكر مطران هذه المدينة أن يصنع زفّة محتفلة في المدينة اكراماً لقلب يسوع طالباً من الله انقطاع الطاعون. ونذر نذراً لله انّهُ إذا ارتفع الوبأ يُعيِّد في كلّ سنة عيد محتفل لاكرام قلب يسوع وذلك في اليوم الثامن بعد عيد القربان المقدّس* فاستُجيبت طلبتهُ وانقطع الوبأ عن تلك المدينة بل بعدها بثلاثة أشهر لا مات أحد من تلك المدينة ولا مرض أحد قطّ* ولذلك رسم البابا بَنَدِكْتُس الرابع عشر عيداً لقلب يسوع في يوم الجمعة الثانية بعد عيد القربان المقدّس وطقس صلوة فرضيّة لهُ. ومنح غفرانات جزيلة لمن يعترف ويتناول القربان المقدّس في هذا العيد المبارك ولمن يشترك في أخويّة قلب يسوع الأقدس*

ومن أفضل أنواع العبادة لقلب يسوع قضاء الساعة المقدَّسة في ليلة أوّل جمعة من كلّ شهر تذكرةً لتلك الساعة المقدّسة التي فيها كان فادينا في السياق وهو عرقان دماً ونفسهُ حزينة حتّى الموت. وقد طلب هذه العبادة مخلّصنا العزيز بفمهِ القدّوس من الطوباويّة مريم لولو إذ قال لها: أريد أن تقومي للصلوة في نصف الليل في ليلة أوَّل جمعة من كلّ شهر لكي تحتملي معي وجع قلبي بالمحبّة وتسكّني غضبي على الخطاة وتستمدّي لهم الراحة من أبي السماويّ باستحقاقات دمي الثمين* ووعدها بأنّهُ يعطي نعماً كثيرة لكلّ مَن يرافقهُ بهذه الصلوة المقدّسة في نزاع قلبهِ

الأقدس* ومنذ ذلك اليوم استعمل هذهِ العبادة جميع المتعبّدين الحقيقيّين لقلب يسوع. فانّهم يقومون في نصف الليل في ليلة أوَّل جمعة من كلّ شهر لقضاء هذه الساعة مع قلب يسوع المنازع ويتبعونهُ روحاً إلى بستان الزيتون ويفتكرون بانّهُ تعالى يختارهم ليكونوا شهوداً لنزاعهِ. ويتأَمّلون في أحزان قلب يسوع مدَّة سياقهِ ويقترنون معهُ في صلاتهِ الحارَّة الحزنيّة ويسجدون معهُ للآب الأزلي بتلاشٍ عميق ويقدّمونهُ وفاءً لعدلهِ الإلهيّ عن خطاياهم وخطايا جميع الخطاة قائلين: رحمةً رحمةً أيّها الآب الأزليّ باستحقاقات دم قلب يسوع الثمين* وبعد ختام هذهِ الساعة المقدّسة يشكرون الله على جميع النعم التي منحهم ايّاها في هذه الصلوة. ويستودعون الله جميع المومنين الذين في سياق الموت والمائتين ثمَّ يرجعون إلى رقادهم وينامون مستريحين في قلب يسوع*

فلنرجع الآن إلى الطوباوية مريم لولو فانّها كان لها شوق عظيم إلى خلاص النفوس. فمن يقدر أن يصف كم تألّمت من أجل رجوع الخطاة إلى التوبة ومن أجل الأنفس المطهريّة وكانت حياتها تنقضي في الأوجاع كذبيحة مداومة لمحبّة الله والقريب* وذات يومٍ أراها ربّنا يسوع المسيح العذابات التي كان يريد أن يعاقب بها نفوس الخطاة. فانطرحت الطوباويّة على قدميهِ قائلةً: يا مخلّصي اضربني أنا وامحُ اسمي من سفر الحيوة ولا تخسر كلّ هذه النفوس التي تكلّفت عليك ثمناً غالياً* فقال لها يسوع: لستُ أقدر أن أحتملهم أكثر لأنّهم لا يحبّوني بل يهينونني دائماً بخطاياهم ويحتقرون دمي الذي هو ثمن فدائهم*

فحينئذٍ وقعت الطوباويّة على قدميهِ وقبّلتهما قائلةً: يا ربّي لستُ أتركك أو تغفرَ لهم. فتحنّن يسوع على دموعها وقال لها: رضيتُ بذلك بشرط أن توفي أنتِ عنهم* قالت نعم يا ربّ ولكنّي لستُ أقدر أن أوفيك الاّ من احساناتك وكنوز قلبك الأقدس. فعند ذلك هدأَ غضبهُ عن الخطاة* ويوماً آخر ظهر لها يسوع مثلما كان واقفاً أمام بيلاطُس بعد ما جُلِدَ وجسمهُ ممزَّق بالجروح ودمهُ يجري وعلى كتفهِ صليبهُ الثقيل وقال للطوباوية بصوت شجيّ: أَوَما يوجَد أحد يقدر أن يتحنَّن عليَّ ويشفق على وجعي. انظري الحالة الأَليمة التي جعلتني فيها الخطاة* فتاقت الدموع من عينَي الطوباويّة وقدَّمت نفسها ذبيحة لعريسها الإلهي قائلةً: اقبلني يا ربّ فأنا أريد أن أحتمل معك هذه الأوجاع* فقبل الرب تقدمة نفسها ووضع صليبهُ على منكبيها. فلمّا أحسَّت بثقلهِ صرخت قائلةً: الآن فهمتُ جيّداً شرّ الخطيّة. فقال لها يسوع. أريد منكِ يا عريستي أن تشاركيني في جميع أوجاعي. فقال لهُ: نعم يا ربّ بل اترك نفسي بين يديك افعل بي ما شئت* وكان ربّنا يسوع المسيح يرسل إليها أوجاعاً كثيرة ومصائب مختلفة فكانت تحتملها بصبر من أجل رجوع الخطاة* وكثيراً ما ظهر لها قائلاً: ابكي وتنهَّدي على دمي الثمين المسفوك من أجل تلك النفوس النّاكرة الجميل والمدنّسة بالخطايا التي لا تشاءُ أن تتوب وتغسل خطاياها الكثيرة ببحر دمي الغافر. فكانت هذه الطوباوية تبكي بدموع حارّة على شقاء هذهِ النفوس* وكانت تعمل أيضاً أعمالاً كثيرة وفائية عن أنفس المطهر.

وكان ربّنا يسوع المسيح يريها هذه النفوس المسكينة والعذابات التي تكابدنَها والنقائص التي تتعذَّب من جراها. فكانت الطوباويّة تشعر في قلبها برأفة عظيمة على هذه النفوس وتصلّي من أجلها وتكفّر عنها* وبعد ما قضت حياتها في القداسة اعلمها عريسها بساعة وصالها معهُ في خدرهِ السماويّ. فاستعدّت لها* وفي شهر تشرين الأول وقعت مريضة. ومع انّ مرضها لم يكن يبان مخطراً قالت اني سأَموت فيهِ. وفي ليلة موتها تناولت القربان المقدّس*

وأراد الله أن يحزنها قبل موتها بتجربة عظيمة وأخيرة وذلك انّها فقدت حينئذٍ الامن والسلامة والراحة والتعزية التي كانت في قلبها. وأصابها خوف عظيم من دينونة الله. وفكر الموت الذي في مدّة حياتها كان لها موضوع لذّةٍ وعزاءٍ صار لها وقتئذٍ موضوع رعبةٍ وفزع من عدل الله. فكانت ترجف في كلّ أعضاء جسدها. وكانت تضمّ الصليب إلى صدرها طالبةً من الله الطمانينة قائلةً: رحمةً رحمةً يا ربّ. وكانت تقلق جدّاً وتقول: أنا محترقة. أنا محترقة. ولكن آه واسفاه. ليت حرقتي تكون بسبب محبّة الله فتكون عزاءً لي ولكنّي ما عرفتُ أن أحبّ الله جيّداً في حياتي*

ولمّا كان المساء وثقل مرضها أرادت الرئيسة أن تستدعي الطبيب ولكنّ مريم لؤْلؤ قالت لها: يا أمّي لا تفعلي فانّي لست احتاج الاّ إلى الله وحدهُ وإلى حماية قلب يسوع. ثمَّ انّها طلبت أن تُقال عند فراشها ليتانيات قلب يسوع وليتانيات مريم العذراء* ولمّا كان الكاهن يمشحها

المشحة الأخيرة سلّمت نفسها إلى عريسها السماويّ وهي لافظة اسمهُ الأقدس واسمَي مريم العذراء ومار يوسف. وكان ذلك في اليوم السابع عشر من شهر تشرين الأوَّل سنة ١٦٩٠ وعمرها ثلاث وأربعون سنة وشهران ونيّف*

وشاع خبر موتها في المدينة كلّها فكان الناس يصرخون في الأزّقة ماتت القدّيسة ماتت القدّيسة* وفي الغد تقاطر الناس أفواجاً أفواجا إلى الكنيسة لينظروا هذه الطوباويّة المتنيّحة ويتبرّكوا منها. وأخيراً دفنوا جسدها باحتفال عظيم. وأجرى الله بشفاعتها كرامات عظيمة في حياتها وبعد موتها ارتفع بها قدرها في الكنيسة المقدّسة*

* انتهى شهر حزيران *

تمّ المجلّد الأوَّل

فهرست المجلّد الأوّل

شهر كانون الثاني

شهر حزيران

فهرست على حروف الأبجديّة للمجلد الأوّل